مرقاة المفاتيح
للعلامة الشيخ علي بن سلطان محمد القاري المتوفى سنة ١٠١٤هـ
شرح مشكاة المصابيح
للإمام العلامة محمد بن عبد الله الخطيب التبريزي المتوفى سنة ٧٤١هـ
تحقيق
الشيخ جمال عيتاني
تنبيه:
وضعنا متن المشكاة في أعلى الصفحات، ووضعنا أسفل منها نص مرقاة المفاتيح، وألحقنا في آخر المجلد الحادي عشر كتاب الإكمال في أسماء الرجال وهو تراجم رجال المشكاة للعلامة التبريزي
منشورات
محمد علي بيضون
لنشر كتب السنة والجماعة
دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

مرقاة المفاتيح

للعلامة الشيخ علي بن سلطان محمد القاري المتوفى سنة ١٠١٤هـ

شرح مشكاة المصابيح

للإمام العلامة محمد بن عبد الله الخطيب التبريزي المتوفى سنة ٧٤١هـ

تحقيق

الشيخ جمال عيتاني

تنبيه:

وضعنا متن المشكاة في أعلى الصفحات، ووضعنا أسفل منها نص «مرقاة المفاتيح» وألحقنا في آخر المجلد الحادي عشر كتاب «الإكمال في أسماء الرجال» وهو تراجم رجال المشكاة للعلامة التبريزي

الجزء التاسع

يحتوي

تتمة كتاب الآداب - كتاب الرقاق

منشورات
محمد علي بيضون
لنشر كتب السنة والجماعة
دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

بسم الله الرحمٰن الرحيم

(٧) باب الضحك

الفصل الأول

٤٧٤٥ ـ (١) عن عائشةَ [رضي اللّهُ عنها]، قالت: ما رأيتُ النبيَّ ﷺ مستجمِعاً ضاحكاً حتى أرى منه لَهَواتِه، إنما كانَ يتبسَّمَ.

باب الضحك

هو بكسر فسكون في الأصول، وفي القاموس ضحك ضحكاً بالفتح وبالكسر وبكسرتين ككتف، هذا ولعل المصنف أراد بالضحك المعنى الأعم الشامل للتبسم وإلا فكان أكثر ضحكه ﷺ تبسماً، أو أراد بالضحك من حيث هو استدلالاً على جوازه بوقوعه منه ﷺ ومن أصحابه رضي الله عنهم، وأما ما نقل البغوي في تفسيره عند قوله تعالى: ﴿**لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها**﴾ [الكهف ـ ٤٩] عن ابن عباس أنه قال: الصغيرة التبسم، والكبيرة: الضحك فمحمول على سخرية الكفار بالمؤمنين أو جهلة الفجار بالعلماء الصالحين كما أخبر الله سبحانه بقوله: ﴿**إن الذين أجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون**﴾ [المطففين ـ ٢٩].

(الفصل الأوّل)

٤٧٤٥ ـ (**عن عائشة رضي الله عنها قالت: ما رأيت النبي ﷺ مستجمعاً ضاحكاً**) أي أي ما أبصرته حال كونه مستجمعاً من جهة الضحك، فقوله: ضاحكاً نصب على التمييز وإن كان مشتقاً كقوله: «لله دره فارساً»، والمعنى ما رأيته يضحك تاماً مبالاً بكليته على الضحك، (**حتى أرى منه لهواته**) بفتح اللام والهاء جمع اللهاة وهي اللحمات في سقف أقصى الفم مشرفة على الحلق، (**إنما كان يتبسم**) أي غالباً، وقد يضحك لكن لا يصل إلى الحد المذكور، والاعراب السابق زبدة كلام الطيبي، ومال ابن الملك إلى أن قوله: ضاحكاً حال أي ما رأيته مستجمعاً لضحكه في حال ضحكه أي لم أره يضحك ضحكاً تاماً ضاحكاً بجميع فمه اهـ، وهو مأخوذ من كلام شارح سبقه وقال: فكأنها قالت: مستجمعاً ضحكاً، وفي المصباح استجمعت شرائط الإمامة، واجتمعت بمعنى حصلت، فالفعلان على اللزوم وحينئذ لا يحتاج إلى تقدير مفعول، وفي المغرب استجمع السيل اجتمع من كل موضع، واستجمعت للمرء أموره اجتمع له ما يحبه، وهو لازم كما ترى، وقولهم: استجمع الفرس جرياً نصب على التمييز، وأما قول

الحديث رقم ٤٧٤٥: أخرجه البخاري في صحيحه ١٠/ ٥٠٤ الحديث رقم ٦٠٩٢، ومسلم في ٢/ ٦١٦.

رواه البخاري.

٤٧٤٦ ـ (٢) وعن جريرٍ، قال: ما حجَبني النبيُّ ﷺ منذ أسلمتُ، ولا رآني إلاَّ تبسَّمَ. متفق عليه.

٤٧٤٧ ـ (٣) وعن جابرِ بنِ سَمُرةَ، قال: كانَ رسولُ الله ﷺ لا يقومُ من مصلاهُ [٣٥٧ ـ ب ـ] الذي يصلِّي فيه الصُّبحَ حتى تطلعَ الشَّمسُ، فإذا طلعتِ الشمسُ قامَ، وكانوا يتحدثون فيأخذونَ في أمرِ الجاهليَّةِ

الفقهاء: مستجمعاً شرائط الجمعة فليس يثبت والله أعلم. **(رواه البخاري)**. وروى أحمد والترمذي والحاكم عن جابر بن سمرة أنه ﷺ «كان لا يضحك إلا تبسماً» جعل التبسم من الضحك واستثنى منه، فإن التبسم من الضحك بمنزلة السنة من النوم، ومنه قوله تعالى: ﴿فتبسم ضاحكاً﴾ [النمل ـ ١٩] أي شارعاً في الضحك.

٤٧٤٦ ـ **(وعن جرير)** أي ابن عبد الله البجلي **(قال: ما حجبني النبي ﷺ)** أي ما منعني من مجالسته الخاصة أو من بيته حيث يمكن الدخول عليه، والمقصود أني لم أحتج إلى الاستئذان، ويحتمل أن يكون المراد ما منعني من ملتمساتي عنه، بل أعطاني ما طلبته منه البتة **(منذ أسلمت)**، وقد أسلم قبل موته ﷺ بأربعين يوماً، **(ولا رآني)** أي منذ أسلمت إذ الحذف من الثاني لدلالة الأول كثير، ويؤيده ما في رواية للترمذي عنه بلفظ «ما حجبني رسول الله ﷺ ولا رآني منذ أسلمت»، فهو متعلق بكل من الفعلين لكن قوله: **(إلا تبسم)** مرتبط بالفعل الثاني، وفي رواية للترمذي إلا ضحك، والمراد به التبسم وهذا من كمال مكارم أخلاقه ﷺ، ولعل منشأ كثرة انبساطه عليه السلام معه أنه رضي الله عنه كان من مظاهر الجمال، ولذا قال عمر رضي الله عنه: إن جريرا يوسف هذه الأمة. **(متفق عليه)**.

٤٧٤٧ ـ **(وعن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ لا يقوم من مصلاه الذي يصلي فيه)** أي الصبح **(حتى تطلع الشمس)** أي طلوعاً حسناً كما سبق، **(فإذا طلعت الشمس قام)** أي لصلاة الإشراق وهو مبدأ صلاة الضحى، أو معناه قام للانصراف. قال النووي: فيه استحباب الذكر بعد الصبح، وملازمته مجلسها ما لم يكن عذر. قال القاضي عياض: وكان السلف يواظبون على هذه السنة ويقتصرون في ذلك على الذكر والدعاء حتى تطلع الشمس، **(وكانوا)** أي أصحابه **(يتحدثون)** أي فيما بين الوقتين، وهو الأظهر أو في غيره أو مطلقاً غير مقيد بوقت دون وقت، **(فيأخذون في أمر الجاهلية)** أي على سبيل المذمة أو

الحديث رقم ٤٧٤٦: أخرجه البخاري في صحيحه ١٠/ ٥٠٤ الحديث رقم ٦٠٨٩، ومسلم في ٤/ ١٩٢٥، وأحمد في المسند ٤/ ٣٥٩.

الحديث رقم ٤٧٤٧: أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ١٨١٠ الحديث رقم ٢٣٢٢، والترمذي في السنن ٥/ ١٢٨ الحديث رقم ٢٨٥٠.

فيضحكونَ، ويتبسَّمُ ﷺ. رواه مسلم. وفي رواية للترمذي: يتناشدون الشِّعْرَ.

الفصل الثاني

٤٧٤٨ ـ (٤) عن عبد الله بن الحارث بن جَزْء، قال: ما

بطريق الحكاية لما فيها من فائدة وغيره من جملته أنه قال: واحد ما نفع أحداً صنمه مثل ما نفعني، قالوا: كيف هذا؟ قال: صنعته من الحيس، فجاء القحط فكنت آكله يوماً فيوماً، وقال آخر: رأيت ثعلبين جاآ وصعد فوق رأس صنم لي وبالا عليه فقلت:

«أرب يـبـول الـثـعـلـبـان بـرأسـه»

فجئتك يا رسول الله وأسلمت، (فيضحكون ويتبسم رسول الله ﷺ. رواه مسلم، وفي رواية للترمذي يتناشدون الشعر) أي يقرؤونه أو يطلب بعضهم من بعض قراءته في الشمائل عن جابر بن سمرة قال: جالست النبي ﷺ أكثر من مائة مرة وكان أصحابه يتناشدون الشعر ويتذاكرون أشياء من أمر الجاهلية وهو ساكت وربما يتبسم معهم، ومن المعلوم أن في مجلسه الشريف لا يتناشد إلا الشعر المنيف المشتمل على التوحيد والترغيب والترهيب، وقد كان ﷺ يتمثل بشعر ابن رواحة ويقول:

ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلاً ويأتيك بالأخبار من لم تزوّد

وقد قال ﷺ وهو الصادق المصدوق: إن أصدق كلمة قالها الشاعر كلمة لبيد:

ألا كل شيء ما خلا الله باطل وكل نعيم لا محالة زائل

أي من نعيم الدنيا لقوله بعد ذلك:

نعيمك في الدنيا غرور وحسرة وعيشك في الدنيا محال وباطل

هذا ومن لطائف ما حكي عن بعض المشايخ أنه قرأ بعد صلاة الصبح حزبه من القرآن ثم أنشد أحد من أصحابه شعراً، فحصل له بكاء وتواجد فلما سكن قال: أتلومون الناس يقولون: فلان ملحد أو زنديق، قرأت كذا من القرآن ولم يخرج لي دمعة، فلما سمعت هذا الشعر كدت أن أتجنن، أقول: هذا فتح باب للسماع وينجر إلى ما وقع فيه من النزاع ويحتاج إلى بيان الحكمة في الفرق بين حالي الشيخ في ذلك المقام مما يحتاج إلى بسط في الكلام فأعرضنا عنه شروعاً في الأهم منه من المرام.

(الفصل الثاني)

٤٧٤٨ ـ (عن عبد الله بن الحارث بن جزء) بفتح جيم وسكون زاي بعده همز (قال: ما

الحديث رقم ٤٧٤٨: أخرجه الترمذي في السنن ٥/ ٥٦١ الحديث رقم ٣٦٤٦، وأحمد في المسند ٤/ ١٩٠.

رأيتُ أحداً أكثرَ تبسُّماً من رسولِ الله ﷺ. رواه الترمذي.

الفصل الثالث

٤٧٤٩ ـ (٥) عن قتادةَ، قال: سُئلَ ابنُ عمَرَ: هلْ كانَ أصحابُ رسولِ الله ﷺ يضحكونَ؟ قال: نعمْ والإيمانُ في قلوبِهم أعظمُ من الجبلِ. وقال بلالُ بنُ سعدٍ: أدركتُهم يشتدونَ بين الأغراضِ، ويضحكُ بعضُهم إلى بعضٍ،

رأيت أحداً أكثر تبسماً من رسول الله ﷺ. رواه الترمذي).

(الفصل الثالث)

٤٧٤٩ ـ (عن قتادة) من أكابر التابعين (قال: سئل ابن عمر هل كان أصحاب رسول الله ﷺ يضحكون؟ قال: نعم. والإيمان) أي نعم يضحكون، والحال أن عظمة الإيمان وجلالته (في قلوبهم أعظم من الجبل) فكانوا في غاية من الوقار والثبات على قواعد الآداب الشرعية، وفي نهاية من مراعاة مكارم الأخلاق الرضية حيث لم يتجاوزوا في حال الضحك وغيره عن دائرة الأمور الدينية وقال الطيبي: هو من باب الرجوع والقول بالموجب أي نعم كانوا يضحكون لكن لا يتجاوزون إلى ما يميت قلوبهم ويتزلزل بهم إيمانهم من كثرة الضحك كما ورد أن كثرة الضحك تميت القلوب، (وقال بلال بن سعد.) تابعي، ولم يذكره المؤلف في أسمائه (أدركتهم) أي كثيراً من الصحابة (يشتدون) بتشديد الدال من الشد وهو العدو أي يعدون ويجرون (بين الأغراض) جمع الغرض بفتحتين وهو الهدف زنة، ومعنى، والمراد بالجمع هنا ما فوق الواحد ليوافق ما في النهاية في حديث عقبة بن عامر تختلف بين هذين الغرضين وأنت شيخ كبير، ثم قوله: (ويضحك بعضهم إلى بعض) أي متوجهاً وملتفياً إليه لا معرضاً ومائلاً عنه أو إلى بمعنى مع كما نقل في قوله تعالى: ﴿ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم﴾ [النساء ـ ٢] وفي قوله: ﴿إلى المرافق﴾ [المائدة ـ ٦] أو ضمن يضحك معنى ينبسط. وأغرب الطيبي في قوله: وضمن ضحك معنى السخرية وعداه بإلى، كقوله تعالى: ﴿وإذا خلوا إلى شياطينهم﴾ [البقرة ـ ١٤] ووجه غرابته من وجهين أما أولاً فإن السخرية يتعدى بمن كقوله تعالى: ﴿فيسخرون منهم سخر الله منهم﴾ [التوبة ـ ٧٩] نعم في قوله تعالى: ﴿إن الذين أجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون﴾ [المطففين ـ ٢٩] ضمن الضحك معنى السخرية، وأما ثانياً فلأن قوله تعالى: ﴿وإذا خلا بعضهم إلى بعض﴾ [البقرة ـ ٧٦] ليس فيه تضمين السخرية بل ولا يصح لفظاً ولا معنى، بل فيه تأويلان أحدهما أن إلى بمعنى مع كما في قوله عزّ وجلّ: ﴿من أنصاري إلى الله﴾ [آل عمران ـ ٥٢]، وثانيهما تضمين إلى معنى الانضمام أو الانتهاء. هذا

الحديث رقم ٤٧٤٩: أخرجه البغوي في شرح السنن ١٢/٣١٨ الحديث رقم ٣٣٥١.

فإذا كانَ الليلُ كانوا رُهباناً. رواه في «شرح السنّة».

(٨) باب الأسامي

الفصل الأول

٤٧٥٠ - (١) عن أنسٍ، قال: كان النبيُّ ﷺ في السوقِ،

وحاصل المعنى إن هذا كان حالهم في النهار وفي مجالس أصحابهم الأبرار، (فإذا كان الليل) أي وجد أو كان الوقت زمان الليل ومقام الوحدة ومرتبة الخلوة بعد منزلة الجلوة (كانوا رهباناً) بضم الراء جمع راهب كركبان وراكب، وقد يقع على الواحد ويجمع على رهابين، ففي النهاية الرهبان من ترك الدنيا وزهد فيها وتخلى عنها وعزل عن أهلها وتعمد مشاقها اهـ، فهم كما قال تعالى فيهم: ﴿رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار﴾ [النور - ٣٧]، وقال عزّ وجلّ أخباراً عنهم ﴿تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً وطمعاً ومما رزقناهم ينفقون﴾ [السجدة - ١٦] وقال سبحانه: ﴿كانوا قليلاً من الليل يهجعون وبالأسحار هم يستغفرون﴾ [الذاريات - ١٨] بل أقول: «إنهم كانوا حال الضحك ظاهراً في عين البكاء باطناً، فإنهم فرشيون بأشباحهم، عرشيون بأرواحهم كائنون مع الخلق بأبدانهم، بائنون عنهم مع الحق بقلوبهم وجنانهم، قريبون في الظاهر مع القريب والبعيد، غريبون عن الخلق في الباطن على قدم التجريد والتفريد، ملوك في سلوك لباس الأطمار، وأغنياء مع كمال فقرهم في هذه الدار رضي الله عنهم ونفعنا ببركة ما ظهر منهم». (رواه) أي البغوي (في شرح السنة).

باب الأسامي

بتشديد الياء وتخفيفها، فإن الأسماء جمع اسم وكذا أساميّ وأسام على ما في القاموس، فأسامي على وزن أفاعيل، وأسام على وزن أفاعل.

(الفصل الأول)

٤٧٥٠ - (عن أنس رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ في السوق) أي قاعداً أو واقفاً أو

الحديث رقم ٤٧٥٠: أخرجه البخاري في صحيحه ٤/ ٣٩٩ الحديث رقم ٢١٢٠، ومسلم في ٣/ ١٦٨٢ الحديث رقم ٢١٣١، وأبو داود في السنن ٥/ ٢٤٩ الحديث رقم ٤٩٦٥ والترمذي في ٥/ ١٢٥، الحديث رقم ٢٨٤١، وابن ماجه في ٢/ ١٢٣٠ الحديث رقم ٣٧٣٥، والدارمي في ٢/ ٣٧٩ الحديث رقم ٢٣٩٣، وأحمد في المسند ٣/ ١٧٠.

فقال رجلٌ: يا أبا القاسم! فالتفتَ إليه النبيُّ ﷺ فقال: إنما دعوتُ هذا. فقال النبيُّ ﷺ «سمُّوا باسمي، ولا تكتَنوا بكُنيتي». متفق عليه.

٤٧٥١ ـ (٢) وعن جابرٍ، أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «سمُّوا باسمي ولا تكتَنوا بكُنيتي، فإني إنما جُعِلْتُ قاسماً أقسمُ بينكم».

مارًا (فقال رجل: يا أبا القاسم فالتفت إليه النبي ﷺ فقال:) أي الرجل (إنما دعوت هذا) أي وأشار إلى غيره ﷺ (فقال النبي ﷺ: سموا باسمي) يعني فإنه لا يوجب الالتباس لأنكم منهيون عن دعائي باسمي لقوله تعالى: ﴿لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً﴾ [النور ـ ٦٣] وللتعليم العقلي من الله تعالى لعباده حيث ما خاطبه ﷺ في كلامه إلا بيا أيها النبي، ونحوه بخلاف سائر الأنبياء، حيث ناداهم بأسمائهم وقال: «يا آدم ويا إبراهيم ويا موسى ويا عيسى»، (ولا تكتنوا) من باب الافتعال، وفي نسخة «ولا تكنوا» بضم التاء وتشديد النون من التكنية من باب التفعيل، وفي نسخة بفتح أوله وسكون ثانيه، والكل لغات، وفي رواية الطبراني عن ابن عباس ولا تكنوا (بكنيتي) لأن الكنية من باب التعظيم والتوقير بخلاف الاسم المجرد فنهاهم عن ذلك لئلا يقع الالتباس حين مناداة بعض الناس ثم اعلم أن علماء العربية قالوا: العلم إما أن يكون مشعراً بمدح أو ذم، وهو اللقب، وإما أن لا يكون فإما أن يصدر بأب أو ابن وهو الكنية أولاً وهو الاسم، فاسمه محمد ﷺ، وكنيته أبو القاسم، ولقبه رسول الله ﷺ، وإنما كني بأكبر أولاده. (متفق عليه).

٤٧٥١ ـ (وعن جابر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «سموا باسمي ولا تكتنوا») من باب الافتعال، ولفظ الجامع «ولا تكتنوا»، وهو يحتمل أن يكون مجرداً، وأن يكون من باب التفعيل (بكنيتي) أي المخصوصة بي، قيل: مذهب العرب في العدول عن الاسم إلى الكنية هو التوقير إلا أن تكون الكنية نبذاً يتأذى منه المدعو به، ولما كان من حق الرسول ﷺ فيما يراد به التعظيم أن لا يشاركه فيه أحد كره أن يكتني أحد بكنيته، وقد قال تعالى: ﴿لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً﴾ [النور ـ ٦٣] وبين هذا المعنى قوله: (فإني إنما جعلت) أي جعلني الله (قاسماً)، وفي رواية الجامع إنما بعثت قاسماً (لأقسم بينكم) أي العلم والغنيمة ونحوهما، وقيل: البشارة للصالح والنذارة للطالح، ويمكن أن تكون قسمة الدرجات والدركات مفوّضة إليه ﷺ ولا منع من الجمع كما يدل عليه حذف المفعول لتذهب أنفسهم كل المذهب ويشرب كل واحد من ذلك المشرب، وهذا المعنى غير موجود حقيقة في حقكم، بل مجرد اسم لفظاً وصورة في شأنكم وشأن أولادكم، والحاصل أني لست أبا لقاسم بمجر[دان] ولدي كان مسمى بقاسم، بل لوحظ في معنى القاسمية باعتبار القسمة الأزلية في الأمور الدينية

الحديث رقم ٤٧٥١: أخرجه البخاري في صحيحه ٦/ ٢١٧ الحديث رقم ٣١١٤، ومسلم في ٣/ ١٦٨٣ الحديث رقم (٣ ـ ٢١٣٣)، والترمذي في السنن ٥/ ١٢٥ الحديث رقم ٢٨٤٢، وابن ماجه في ٢/ ١٢٣٠ الحديث رقم ٣٧٣٦، وأحمد في المسند ٣/ ٣٦٩.

. . . .

والدنيوية فلست كأحدكم لا في الذات ولا في الأسماء والصفات، فعلى هذا يكون أبا القاسم نظير قول الصوفية: الصوفي أبو الوقت أي صاحبه وملازمه الذي لا ينفك عنه، فمعنى أبي القاسم صاحب هذا الوصف كما يقال: أبو الفضل، وإن لم يكن له ولد مسمى بالفضل ومجمله إن هذه الكنية ترجع إلى معنى اللقب المحمود والله أعلم. [وقيل: النهي مخصوص بحياته لئلا يلتبس خطابه بخطاب غيره، وهذا هو الصحيح لما تقدم من سبب ورود النهي في الحديث المتفق عليه بالصريح، وقيل: النهي عن الجمع بينهما، وهو أيضاً ينبغي أن يكون مخصوصاً بحياته عليه السلام، هذا وقد قال الطيبي: اختلفوا فيه على وجوه أحدها أنه لا يحل التكني بأبي القاسم أصلاً سواء كان اسمه محمداً أو أحمداً، ولم يكن اسم لظاهر هذا الحديث]، وذلك أنه لما كان رسول الله ﷺ يكنى أبا القاسم لأنه يقسم بين الناس من قبل الله تعالى إما يوحي إليه وينزلهم منازلهم التي يستحقونها في الشرف والفضل وقسم الغنائم، ولم يكن أحد منهم يشاركه في هذا المعنى، منع أن يكتني به غيره بهذا المعنى وهو مذهب الشافعي، وأهل الظاهر. قال القاضي: هذا إذا أريد به المعنى المذكور أما لو كني به أحد للنسبة إلى ابن له اسمه قاسم أو للعلمية المجردة جاز، ويدلك عليه التعليل المذكور للنهي، قلت: لكن يأبى عليك ما سبق من سبب الورود المسطور للنهي، قال: وثانيها أن هذا الحكم كان في بدء الأمر ثم نسخ فيباح التكني اليوم بأبي القاسم لكل أحد سواء فيه من اسمه محمد أو غيره، وعلته التباس خطابه بخطاب غيره، ويدل عليه نهيه عنه في حديث أنس عقيب ما سمع رجلاً يقول: يا أبا القاسم، فالتفت إليه ﷺ فقال: إنما دعوت هذا، وما روي في الفصل الثاني عن علي رضي الله عنه أنه قال: «يا رسول الله إن ولد لي بعدك ولد أسميه محمداً وأكنيه بكنيتك قال: نعم» أقول: دعوى النسخ ممنوعة لأنها غير مسموعة، بل ينبغي أن يقال: ينتفي الحكم بانتفاء العلة، والعلة في ذلك الاشتباه وهو متعين في حال الحياة. قال: وهذا مذهب مالك، قال القاضي عياض: وبه قال جمهور السلف وفقهاء الأمصار، وثالثها أنه ليس بمنسوخ، وإنما كان النهي للتنزيه والأدب لا للتحريم، وهو مذهب جرير، قلت: وهو خلاف الأصل في أن النهي للتحريم لا سيما وما يترتب عليه من الأذى له ﷺ ولو كان في بعض الأحيان من حياته على أنه علل النهي بعلة دالة على اختصاص الاسم به حال وجوده، قال: ورابعها أن النهي للجمع ولا بأس بالكنية وحدها لمن لا يسمى واحداً من الاسمين، ويدل عليه ما روي عن أبي هريرة أن النبي ﷺ «نهى أن يجمع أحد بين اسمه وكنيته». ونظيره قولهم، «اشرب اللبن ولا تأكل السمك» أي حين شربته، فيكون النهي عن الجمع بينهما وهو مذهب جماعة من السلف، قلت: هذا مع مخالفة ظاهر الحديثين المتفق عليهما من جواز التسمية ومنع التكنية أعم من أن يكون مقارناً بالتسمية أو مفارقاً لها لا يلائمه سبب ورود النهي في الحديث الأوّل، ولا يناسبه العلة المسطورة في الحديث الثاني، فتأمل. والنظير لفظي لا معنوي، فإن الجمع بين شرب اللبن وأكل السمك مضر على قول الأطباء، وأما هنا فالضرر في التكنية وحدها أعم من أن يوجد معها اشتراك الاسم أم لا، فالنظير الحقيقي هو أن يقال: خالط

متفق عليه.

٤٧٥٢ ـ (٣) وعن ابن عمرَ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إنَّ أحبَّ أسمائكم إلى الله: عبدُ الله، وعبدُ الرحمن».

الناس ولا تؤذ، قال: وخامسها أنه نهى عن التكني بأبي القاسم مطلقاً وأراد المقيد، وهو النهي عن التسمية بالقاسم، وقد غير مروان بن الحكم اسم ابنه حين بلغه هذا الحديث فسماه عبد الملك، وكان اسمه القاسم، وكذا عن بعض الأنصار قلت: لو قيل قول سابع وهو النهي عن التكنية بأبي القاسم كما يدل عليه سبب الورود المذكور، وعن التسمية بالقاسم أيضاً نظراً إلى التعليل المذكور لكان له وجه وجيه مع التقييد في حال حياته تنزيهاً لغيره أن يكون مشاركاً له في أسمائه وصفاته، وأما جواز إطلاق أبي القاسم ومنع القاسم فممنوع ولا له وجه مشروع، والظاهر أن مروان غيّر اسم ابنه القاسم لما بلغه الحديث عن التكني بأبي القاسم، وخاف أنه يكتنى به ويقع المحظور فغيره تخلصاً من حصول المحذور قال: وسادسها أن التسمية بمحمد ممنوعة مطلقاً وجاء فيه حديث عن النبي ﷺ «تسمون أولادكم محمداً ثم تلعنوهم»، قلت: ليس في الحديث دلالة على منع التسمية بمحمد، بل فيه إشعار إلى أنه إذا سمي ولد بمحمد يجب تعظيمه بسبب هذا الاسم الشريف فلا يعامل معه معاملة سائر الأسماء، ويؤيده ما رواه البزار عن أبي رافع مرفوعاً «إذا سميتم محمداً فلا تضربوه ولا تحرموه» وما رواه الخطيب عن علي مرفوعاً «إذا سميتم الولد محمداً فأكرموه وأوسعوا له في المجلس، ولا تقبحوا له وجهاً». قال: وكتب عمر إلى الكوفة «لا تسموا أحداً باسم النبي ﷺ وسببه أنه سمع رجلاً يقول لمحمد بن يزيد بن الخطاب: فعل الله بك يا محمد، فدعاه عمر رضي الله عنه، فقال: أرى أن رسول الله ﷺ يسب بك، والله لا تدعى محمداً ما بقيت وسماه عبد الرحمن، قلت: فالنهي عنه ليس مطلقاً لذاته بل مقيد بأن يحصل بسببه إهانة لسميه ﷺ من حيث إنه شريكه في اسمه، قال: وهذا أكثره من كلام الشيخ محيي الدين النووي، وقال أيضاً: أجمعوا على جواز التسمية بأسماء الأنبياء إلا ما قدمناه عن عمر بن الخطاب، قلت: وقد قدمت ما هو الصواب، قال: وكره مالك التسمي بأسماء الملائكة كجبريل، قلت: ويؤيده ما رواه البخاري في تاريخه عن عبد الله بن جرار «اسموا بأسماء الأنبياء ولا تسموا بأسماء الملائكة». (متفق عليه).

٤٧٥٢ ـ (وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أحب أسمائكم إلى الله عبد الله وعبد الرحمن»). قيل: أي بعد أسماء الأنبياء عليهم السلام بدليل الإضافة فدل

الحديث رقم ٤٧٥٢: أخرجه مسلم في صحيحه ٣/ ١٦٨٢ الحديث رقم (٢ ـ ٢١٣٢)، وأبو داود في السنن ٥/ ٢٣٦ الحديث رقم ٤٩٤٩، والترمذي في ٥/ ١٢١ الحديث رقم ٢٨٣٣، وابن ماجه في ٢/ ١٢٢٩ الحديث رقم ٣٧٢٨، والدارمي في ٢/ ٣٨٠ الحديث رقم ٢١٩٥، وأحمد في المسند ٤/ ٣٤٥.

رواه مسلم.

٤٧٥٣ ـ (٤) وعن سَمُرَةَ بن جُنْدُبٍ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «لا تُسمِّيَنَّ غلامكَ يساراً، ولا رَباحاً، ولا نَجيحاً، ولا أفلحَ، فإنَّك تقول: أثَمَّ هوَ؟ فلا يكونُ، فيقول: لا». رواه مسلم. وفي رواية له، قال: «لا تُسَمِّ غلامكَ رباحاً، ولا يساراً، ولا أفلَحَ، ولا نافعاً».

على أن الاسمين ليسا بأحب من اسم محمد فهما في مرتبة التساوي معه أو يكون اسم محمد أحب من الاسمين إما مطلقاً أو من وجه، والله سبحانه أعلم. **(رواه مسلم)**. وروى الحاكم في الكنى والطبراني عن أبي زهير الثقفي مرفوعاً «إذا سميتم فعبدوا أي أنسبوا عبوديتهم إلى أسماء الله، فيشمل عبد الرحيم وعبد الملك وغيرهما، ولا يجوز نحو عبد الحارث ولا عبد النبي ولا عبرة بما شاع فيما بين الناس».

٤٧٥٣ ـ **(وعن سمرة بن جندب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ لا تسمين)** أي البتة أيها المخاطب بالخطاب العام **(غلامك)** أي صبيك أو عبدك **(يساراً)** من اليسر ضد العسر **(ولا رباحاً)** بفتح الراء من الربح ضد الخسارة **(ولا نجيحاً)** من النجح، وهو الظفر **(ولا أفلح)** من الفلاح، وهو الفوز، **(فإنك تقول:)** أي أحياناً **(أثم)** بفتح المثلثة وتشديد الميم بتقدير استفهام أي أهناك **(هو)** أي المسمى بأحد هذه الأسماء المذكورة **(فلا يكون)** أي فلا يوجد هو في ذلك المكان اتفاقاً **(فيقول:)** أي المجيب **(لا)** أي ليس هناك يسار أو لا رباح عندنا أو لا نجيح هناك أو لا أفلح موجود، فلا يحسن مثل هذا في التفاؤل أو فيكره لشناعة الجواب في شرح السنة معنى هذا أن الناس يقصدون بهذه الأسماء التفاؤل بحسن ألفاظها أو معانيها، وربما ينقلب عليهم ما قصدوه إلى الضد إذا سألوا فقالوا: أثم يسار أو نجيح، فقيل: لا، فتطيروا بنفيه وأضمروا اليأس من اليسر وغيره فنهاهم عن السبب الذي يجلب سوء الظن والإياس من الخير، قال: حميد بن زنجويه «فإذا ابتلي رجل في نفسه أو أهله ببعض هذه الأسماء فليحوله إلى غيره، فإن لم يفعل، وقيل: أثم يسار أو بركة»، فإن من الأدب أن يقال: كل ما هنا يسر وبركة والحمد لله، ويوشك أن يأتي الذي تريده، ولا يقال: ليس هنا ولا خرج والله أعلم. **(رواه مسلم. وفي رواية له)** أي لمسلم **(قال: لا تسم غلامك رباحاً ولا يساراً ولا نافعاً)**. في شرح مسلم للنووي قال أصحابنا: يكره التسمي بالأسماء المذكورة في الحديث وما في معناها، وهي كراهة تنزيه لا تحريم، والعلة فيه ما نبه ﷺ بقوله: أثم هو، فيقول لا فكره لشناعة الجواب.

الحديث رقم ٤٧٥٣: أخرجه مسلم في صحيحه ٣/ ١٦٨٥ الحديث رقم (١٠ ـ ٢١٣٦)، وأبو داود في السنن ٥/ ٢٤٣ الحديث رقم ٤٩٥٨، والترمذي في ٥/ ١٢٢ الحديث رقم ٢٨٣٦، وابن ماجه في ٢/ ١٢٢٩ الحديث رقم ٣٧٣٠، والدارمي في ٢/ ٣٨١ الحديث رقم ٢٦٩٦، وأحمد في المسند ٥/ ٧.

٤٧٥٤ ـ (٥) وعن جابرٍ، قال: أرادَ النبيُّ ﷺ أنْ ينهى عن أن يُسمَّى بيَعْلى وبِبركة وبأفلح وبيسارٍ [٣٥٨ ـ أ ـ] وبنافعٍ وبنحو ذلك. ثمَّ رأيته سكتَ بعدُ عنها، ثمَّ قُبِضَ ولم يَنهَ عن ذلك. رواه مسلم.

٤٧٥٥ ـ (٦) وعن أبي هريرة، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «أخنى الأسماءِ يومَ القيامةِ عندَ الله رجلٌ يُسمَّى

٤٧٥٤ ـ **(وعن جابر رضي الله عنه قال: أراد النبي ﷺ أن ينهي عن أن يسمى بيعلى)** بالفتح مضارع علي في الشرف بالكسر، **(وببركة)** بعدم الصرف، وكذا قوله: **(وبأفلح)**، وأما قوله: **(وبيسار)** فالياء أصلية فصرف **(وبنافع وبنحو ذلك)** أي وبمعنى ما ذكر من الأسماء كما سبق بعضها **(ثم رأيته سكت بعد)** بالضم مبنياً أي بعد إرادته النهي عن التسمية بما ذكر **(عنها)** أي سكت عن الأسماء المسطورة وغيرها، ولم يصرح بنهي ولا بجواز، **(ثم قبض)** أي توفي **(ولم ينه عن ذلك)** أي عما ذكر من الأسماء. قال الطيبي: كأنه رأى أمارات، وسمع ما يشعر بالنهي، ولم يقف على النهي صريحاً، فلذا قال ذلك، وقد نهاه ﷺ في الحديث السابق لسمرة، وشهادة الإثبات أثبت، قلت: وله وجه آخر من التأويل وهو أنه أراد أن ينهي نهي تحريم ثم سكت بعد ذلك رحمة على الأمة لعموم البلوى وإيقاع الحرج لا سيما وأكثر الناس ما يفرقون بين الأسماء من القبيح والحسن، فالنهي المنفي محمول على التحريم والمثبت على التنزيه، وقد روى أبو داود وابن ماجه عن سمرة أنه ﷺ «نهى أن يسمي أربعة أسماء أفلح ويساراً ونافعاً ورباحاً»[١]. وروى الطبراني بسند حسن عن ابن مسعود أنه ﷺ «نهى أن يسمى الرجل حرباً أو وليداً أو امرأة أو الحكم أو أبا الحكم أو أفلح أو نجيحاً أو يساراً». وروى الطبراني عن بريدة أنه ﷺ «نهى أن يسمى كلب أو كليب».

٤٧٥٥ ـ **(وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ أخنى الأسماء)** بسكون الخاء المعجمة بعدها نون أي أقبحها، وروي أخنع أي أذلها وأوضعها باعتبار مسماه **(يوم القيامة عند الله)** أي وإن كان اليوم عند عامة الناس أعظم الأسماء وأكرمها **(رجل)** أي اسم رجل **(يسمى)** بصيغة المجهول من التسمية نص عليه السيد جمال الدين، وهو المطابق لما في النسخ المصححة، وفي نسخة بفتح الفوقية وتشديد الميم ماض معلوم من التسمي مصدر من باب التفعل، قال بعضهم: وقع في أكثر نسخ المصابيح بصيغة المجهول من التسمية، وكذا رأيته في

الحديث رقم ٤٧٥٤: أخرجه مسلم في صحيحه ٣/ ١٦٨٦ الحديث رقم (١٣ ـ ٢١٣٨)، وأبو داود في السنن ٥/ ٢٤٤ الحديث رقم ٤٩٦٠، والترمذي في ٥/ ٢٢ الحديث رقم ٢٨٣٦، وابن ماجه في ٢/ ١٢٢٩ الحديث رقم ٣٧٢٩.

الحديث رقم ٤٧٥٥: أخرجه البخاري في صحيحه ١٠/ ٥٨١ الحديث رقم ٦٢٠٦، ومسلم في ٣/ ١٦٨٨ الحديث رقم (٢٠ ـ ٢١٤٣)، وأبو داود في السنن ٥/ ٢٤٥ الحديث رقم ٤٩٦١، والترمذي في ٥/ ١٢٣ الحديث رقم ٢٨٣٧، وأحمد في المسند ٢/ ٣١٥.

مَلِكُ الأملاكِ». رواه البخاري. وفي روايةٍ لمسلم، قال: «أغيظُ رجلٍ على الله يومَ القيامةِ وأخبثُه رجلٌ كانَ يسمَّى مَلِكَ الأملاكِ لا مَلِكَ إلاّ الله».

أصل مصحح من كتاب مسلم ووقع في بعض النسخ بصيغة المعروف من التسمي، ثم قوله: **(ملك الأملاك)** منصوب على المفعولية والأملاك جمع ملك كالملوك على ما في القاموس، وقد فسره سفيان الثوري فقال: هو شهنشاه يعني شاه شاهان بلسان العجم، وقدم المضاف إليه ثم حذف الألف وفتح الهاء تخفيفاً وهو بالعربي سلطان السلاطين. **(رواه البخاري. وفي رواية مسلم قال:)** أي النبي ﷺ **(أغيظ رجل)** اسم تفضيل بني للمفعول أي أكثر من يغضب عليه ويعاقب، فإن الغيظ غضب العاجز عن الانتقام، وهو مستحيل في حقه سبحانه، فيكون كناية عن شدة كراهة هذا الاسم أو مجازاً عن عقوبته للتسمي بالاسم الآتي، وأضيف إلى مفرد بمعنى الجمع أي أشد أصحاب الأسماء الكريهة عقوبة **(على الله)** بحذف مضاف أي بناء على حكمه **(يوم القيامة وأخبثه)** أي حالاً ومقاماً **(رجل كان يسمى ملك الأملاك)** وهو من التسمية بصيغة المجهول في جميع الأصول، والمفهوم من كلام ابن حجر أنه بصيغة الفاعل حيث قال: أي يسمي نفسه بذلك فيرضى أن اسمه على ذلك **(لا ملك)** أي لا سلطان **(إلا الله)**، والجملة استئناف لبيان تعليل تحريم التسمية، فبين أن الملك الحقيقي ليس إلا هو وملكية غيره مستعارة فمن سمي بهذا الاسم نازع الله برداءه وكبريائه، وقد قال تعالى في الحديث القدسي «الكبرياء ردائي والعظمة إزاري، فمن نازعني فيهما قصمته»، ولما استنكف أن يكون عبد الله جعل له الخزي على رؤوس الاشهاد، وهذا مجمل الكلام في مقام المرام، وفي الجامع الصغير رواه الشيخان وأبو داود والترمذي ولفظه «أخنع الأسماء عند الله يوم القيامة رجل يسمى ملك الأملاك لا مالك إلا الله»[1] اهـ. وظاهره أن الأملاك جمع الملك بالكسر فيكون بهذا المعنى أيضاً مذموماً على أنه يمكن أن يقرأ ملك مالك كما في قوله تعالى: ﴿ملك يوم الدين﴾ [الفاتحة - ٤] وهو مرسوم بحذف الألف اتفاقاً والله أعلم. وقال الطيبي: لا بد في الحديث من الحمل على المجاز لأن التقييد بيوم القيامة مع أن حكمه في الدنيا كذلك للإشعار بترتب ما هو مسبب عنه من إنزال الهوان وحلول العقاب، والرواية الأخرى لمسلم أخنع اسم عند الله، وقال الشيخ محيي الدين: سأل أحمد بن حنبل أبا عمرو عن أخنع فقال: أوضع، والمعنى أشد ذلاً وصغاراً يوم القيامة اهـ. وقوله: رجل يسمى خبر أخنى، ولا بد من التأويل ليطابق الخبر المبتدأ وهو على وجهين أحدهما أن يقدر مضاف في الخبر أي اسم رجل، وثانيهما أن يراد بالاسم المسمى مجازاً أي أخنى الرجال رجل كقوله تعالى: ﴿سبح اسم ربك الأعلى﴾ [الأعلى - ١] وفيه من المبالغة أنه إذا قدس اسمه عما لا يليق بذاته فكان ذاته بالتقديس أولى، وهنا إذا كان الاسم محكوماً عليه بالهوان والصغار فكيف بالمسمى، فإذا كان حكم الاسم[2] ذلك فكيف بالمسمى، وهذا إذا كان رضي المسمى بذلك الاسم واستمر عليه ولم يبدله، وهذا التأويل أبلغ

---

(١) الجامع الصغير ١/ ٢٤ الحديث رقم ٣٠٣.

(٢) في المخطوطة «المسمى».

....

من الأول وأولى لأنه موافق لرواية أغيظ رجل. قال القاضي: أي أكبر من يغضب عليه غضباً اسم تفضيل بني للمفعول كألوم، وأضافه إلى المفرد على إرادة الجنس والاستغراق فيه. قال الطيبي: وعلى هنا ليست بصلة إلا غيظ كما يقال: اغتاظ على صاحبه وتغيظ عليه لأن المعنى يأباه كما لا يخفى، ولكن بيان كأنه لما قيل: أغيظ رجل قيل: على من قيل على الله كقوله تعالى: ﴿هيت لك﴾ [يوسف ـ ٢٣] فإن لك بيان لاسم الصوت، قلت: التقدير ما أفاد التغيير ليكون دفع الفساد، بل وقع في عين ما أراد منه الشر إذ ثم ليس نظيره ما ذكره من الآية، فإن الغيظ تعديته بعلى في أصل اللغة بخلاف هيت، فإنه ليس بمتعد أصلاً بل معناه أقبل وبادر أو تهيأت، والكلمة على الوجهين اسم فعل بني على الفتح عند جمهور القراء كأين واللام للتبيين كالتي في سقياً لك، فالأولى ما أوّلناه أولاً، وفي النهاية هذا مجاز الكلام معدول عن ظاهره، فإن الغيظ صفة تعتري المخلوق عند احتداده يتحرك لها والله تعالى يتعالى عن ذلك، وإنما هو كناية عن عقوبته للمسمى بهذا الاسم أي أنه أشد أصحاب هذه الأسماء عقوبة عند الله سبحانه. قال الطيبي: إن الغيظ والغضب من الأعراض النفسانية لها بدايات وغايات، فإذا وصف الله تعالى بها يتعين حملها على الغايات من الانتقام بإنزال الهوان وحلول العقاب لا على بداياتها من التغيير النفساني، فعلى هذا في على معنى الوجوب أي واجب على الله تعالى على سبيل الوعيد أن يغيظ عليه وينكل به ويعذبه أشد العذاب، قلت: هذا غاية كلام صاحب النهاية، غايته أنه زاد في معنى على أنه للوجوب وهو لا يصح في هذا المقام لأن الله تعالى لا يجب عليه شيء لذاته، وإنما يجب وقوع ما أخبر به إذا كان على سبيل التحتم كما في قوله تعالى: ﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به﴾ [النساء ـ ٤] فحينئذ يقال: إنه يجب وقوع عذاب الكفار، وألا يقع الخلف في اخباره تعالى عن ذلك، فهذا واجب لغيره وهو لا يصح في هذا المحل لأن ما عدا الشرك تحت المشيئة، فلا يصح أن يقال: واجب عليه تعالى على سبيل الوعيد أن يعذبه، فتدبر وتأمل لئلا تقع في الخلل والخطر، وقد أوضحت هذه المسألة في رسالتي المسماة بالقول السديد في خلف الوعيد. هذا وفي شرح مسلم للنووي عند قوله: ملك الأملاك زاد ابن أبي شيبة في روايته «لا مالك إلا الله»، قال سفيان: مثل شاهنشاه، وقال القاضي عياض: وقع في رواية شاه شاه، قال: وزعم بعضهم أن الأصوب شاه شاهان، قلت: كذلك حتى يصح الإضافة أو يقدر مضاف فيقال شاه كل شاه، قال القاضي: فلا ينكر مجيء ما جاءت به الرواية لأن كلام العجم مبني على التقديم والتأخير في المضاف والمضاف إليه، قلت: هذا إنما يستقيم في شاهنشاه، قال الطيبي: فيتغير الاعتبار فيكون المعنى شاهانراشاه، قلت: والتحقيق ما قدمناه فلا يحتاج إلى زيادة الراء على ما بيناه، ثم قال القاضي عياض: ومنه قولهم: شاه ملوك وشاهان الملوك، وكذا ما يقولون: قاضي القضاة، قال الطيبي: ومما يلحق به ملك شاه، وتأول بعضهم قوله: باسم ملك الأملاك أي تسمى باسم الله عزّ وجلّ كقوله: ﴿الرحمن الجبار العزيز﴾ وفي شرح السنة، والذي قاله سفيان أشبه، وكل له وجه.

٤٧٥٦ ـ (٧) وعن زينبَ بنتِ أبي سلَمةَ، قالت: سُمِّيتُ برَّةَ، فقال رسولُ الله ﷺ: «لا تزكُّوا أنفسكم، اللَّهُ أعلمُ بأهلِ البرِّ منكم، سمُّوها زينبَ». رواه مسلم.

٤٧٥٧ ـ (٨) وعن ابنِ عبَّاسٍ، قال: كانت جوَيريةُ اسمُها برَّةَ، فحوَّلَ رسولُ الله ﷺ اسمَها جويرية، وكان يكره أن يقال: خرجَ من عند برَّة. رواه مسلم.

٤٧٥٨ ـ (٩) وعن ابن عمر، أنَّ بنتاً كانت لعمرَ يقال لها: عاصيةُ،

٤٧٥٦ ـ (وعن زينب بنت أبي سلمة) وهي ربيبة النبي ﷺ (قالت: سميت) بصيغة المجهول أي سماني أهلي (برة) بفتح الموحدة وراء مشددة مبالغة بارة إما على الوصفية أو المصدرية، (فقال رسول الله ﷺ: «لا تزكوا أنفسكم») أي كما قال تعالى: (﴿الله أعلم بأهل البر منكم﴾) قال ابن الملك: تزكية الرجل نفسه ثناؤه عليها، والبر اسم لكل فعل مرضي، (سموها زينب)، في القاموس زنب كفرح سمن والأزنب السمين، وبه سميت المرأة زينب يعني إخباراً أو تفاؤلاً أو من زبانا العقرب لزباناها أو من الزيب الشجر حسن المنظر طيب الرائحة أو أصلها زين أب. (رواه مسلم). وفي الجامع الصغير كان ﷺ يلاعب زينب بنت أم سلمة ويقول: «يا زوينب يا زوينب» مراراً. رواه الضياء عن أنس[1].

٤٧٥٧ ـ (وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان)، وفي نسخة كانت (جويرية) بجيم مضمومة تصغير جارية، وهي من أمهات المؤمنين رضي الله عنها (اسمها برة) أي قبل أن تدخل في عصمته ﷺ (فحوّل رسول الله ﷺ اسمها) يعني برة (جويرية) على نزع الخافض أي إلى جويرية، ويمكن أن يجعل حوّل بمعنى صير، فيصير متعدياً إلى مفعولين، (وكان) أي النبي ﷺ (يكره أن يقال: خرج من عند برة). الظاهر أن هذا من عند ابن عباس، ويحتمل أنه عليه السلام أخبره عما في ضميره، فحينئذ يصح قول النووي: بين ﷺ في الحديثين نوعين من العلة، وهما التزكية وخوف التطير، قلت: يعني أن العلة في الأول التزكية، وفي الثاني التطير مع أنه لا منع من الجمع. (رواه مسلم).

٤٧٥٨ ـ (وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن بنتاً كانت لعمر يقال لها: عاصية)، ولعلها

الحديث رقم ٤٧٥٦: أخرجه البخاري في صحيحه ١٠/ ٥٧٥ الحديث رقم ٦١٩٢، ومسلم في ٣/ ١٦٨٧ الحديث رقم (١٩ ـ ٢١٤٢)، وأبو داود في السنن ٥/ ٢٣٩ الحديث رقم ٤٩٥٣، وابن ماجه في ٢/ ١٢٣٠ الحديث رقم ٣٧٣٢، والدارمي في ٢/ ٣٨١ الحديث رقم ٢٦٩٨.

(١) الجامع الصغير ٢/ ٤٤١ الحديث رقم ٧١٨٨.

الحديث رقم ٤٧٥٧: أخرجه مسلم في صحيحه ٣/ ١٦٨٧ الحديث رقم (١٦ ـ ٢١٤٠)، وأحمد في المسند ١/ ٣١٦.

الحديث رقم ٤٧٥٨: أخرجه مسلم في صحيحه ٣/ ١٦٨٧ الحديث رقم (١٥ ـ ٢١٣٩)، وأبو داود في السنن ٥/ ٢٣٨ الحديث رقم ٤٩٥٢، والترمذي في السنن ٥/ ١٢٣ الحديث رقم ٢٨٣٨، وابن ماجه في ٢/ ١٢٣٠ الحديث رقم ٣٧٣٣، والدارمي في ٢/ ٣٨١ الحديث رقم ٢٦٩٧.

فسماها رسول الله ﷺ جميلة. رواه مسلم.

٤٧٥٩ ـ (١٠) وعن سهلِ بن سعدٍ، قال: أُتي بالمنذرين أبي أُسَيْدٍ إلى النبيِّ ﷺ حين وُلد، فوضعه على فخذه فقال: «ما اسمُه؟» قال: فلان. قال: «لا، لكن اسمه المنذر». متفق عليه.

٤٧٦٠ ـ (١١) وعن أبي هريرة، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «لا يقولنَّ أحدُكم

سميت بها في الجاهلية، ويمكن أن لا يكون من العصيان بل من العيص، وهو بالكسر الشجر الكثير المتلف، ويطلق على المنبت، ومنه عيص بن إسحاق بن إبراهيم عليهما السلام، وكأنه لما أبدلت الياء ألفاها فتحت العين، ومنه العاص وأبو العاص، والحاصل أنها مؤنث العاص لا تأنيث العاصي، لكن لما كان يتبادر منه هذا المعنى غيرها، **(فسماها رسول الله ﷺ جميلة)**، ولعله لم يسمها مطيعة مع أنها ضد العاصية مخافة التزكية والله أعلم. ثم رأيت التوربشتي قال: وإنما كان ذلك منه في الجاهلية، فإنهم كانوا يسمون بالعاص والعاصية ذهاباً إلى معنى الأباء عن قبول النقائص والرضا بالضيم، فلما جاء الله بالإسلام كره له ذلك، وقال الطيبي: كان من الظاهر أن يسمي بما يقابل اسمها، والمقابل برة وهو أيضاً غير جائز للعلتين السابقتين، ولذلك عدل إلى جميلة وهي مقابلة لها من حيث المعنى لأن الجميل لا يصدر منه إلا الجميل والبر، قلت: لا يلزم من التحويل المقابلة البتة، فلا يحتاج إلى مراعاتها مع أن المقابل للعاصية إنما هو المطيعة على ما قدمناه، فالظاهر أن الجميلة هنا بمعنى الحسنة لا بمعنى الآتية بالجمال، فإنها ترجع إلى معنى التزكية والله أعلم. قال النووي: وفيه استحباب تغيير الاسم القبيح كما يستحب تغيير الأسامي المكروهة إلى حسن. **(رواه مسلم)**.

٤٧٥٩ ـ **(وعن سهل بن سعد رضي الله عنه)** أي الساعدي الأنصاري، وكان اسمه حزناً فسماه النبي ﷺ سهلاً، مات النبي ﷺ وهو ابن خمس عشرة سنة وهو آخر من مات بالمدينة من الصحابة، روى عنه ابنه العباس والزهري وأبو حازم. **(قال: أتي)** أي جيء **(بالمنذر)** بالكسر **(ابن أبي أسيد)** بالتصغير هو الساعدي أيضاً **(إلى النبي ﷺ حين ولد فوضعه على فخذه)** بفتح فكسر، في القاموس الفخذ ككتف ما بين الساق والورك مؤنث كالفخذ ويكسر، **(فقال:)** أي لمن أتي به **(ما اسمه قال: فلان)** لم أقف على تعيينه **(قال: لكن)**، وفي نسخة لا لكن أي لا أرضى بذلك لكن **(اسمه المنذر)**. قال الطيبي: أي لا أرضى بما سميتموه ولكن أرضى له أن يكون اسمه المنذر، ولعله ﷺ تفاءل به ولمح إلى معنى التفقه في الدين في قوله تعالى: **﴿ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم﴾** [التوبة ـ ١٢٢]. **(متفق عليه)**.

٤٧٦٠ ـ **(وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يقولن أحدكم**

الحديث رقم ٤٧٥٩: أخرجه البخاري في صحيحه ١٠/ ٥٧٥ الحديث رقم ٦١٩١، ومسلم في ٣/ ١٦٩٢ الحديث رقم (٢٩ ـ ٢١٤٩).

الحديث رقم ٤٧٦٠: أخرجه البخاري في صحيحه ٥/ ١٧٧ الحديث رقم ٢٥٥٢، ومسلم في ٤/ ١٧٦٤

عبدي وأَمَتي؛ كلكم عبيدُ الله، وكلُّ نسائكم إماءُ الله. ولكن ليقلْ: غلامي وجاريتي وفتايَ وفتاتي. ولا يقلِ العبدُ: ربي؛ ولكنْ ليقلْ: سيدي». وفي رواية: «ليقُلْ: سيدي ومولايَ». وفي رواية: «لا يقلِ العبدُ لسيدِه: مولايَ؛ فإنَّ مولاكم اللهُ».

عبدي» أي يا عبدي أو عبدي فلان دفعاً لتوهم الشركة في العبودية أو في حقيقة العبدية، وكذا قوله: **(«وأمتي»)** في الإعراب، والمعنى فإن الأمة هي المملوكة على ما في القاموس ولا ملك في الحقيقة إلا له سبحانه وتعالى، **(كلكم)** استئناف تعليل، والمعنى كل رجالكم **(عبيد الله)** بقرينة المقابلة بقوله: **(وكل نسائكم إماء الله)**، ويحتمل أن يكون الأول عاماً على وجه التغليب، والثاني تخصيصاً بعد تعميم، ويؤيد التوجيه السابق قوله تعالى: **﴿وأنكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم﴾** [النور - ٣٢] **(ولكن ليقل: «غلامي وجاريتي»)** أي بدلاً عن عبدي وأمتي، وكذا قوله: **(«فتاي وفتاتي»)**. فالواو بمعنى أو وهما بمعنى الشاب أو الشابة بناء على الغالب في الخدم أو القوي والقوية، ولو باعتبار ما كان، **(ولا يقل العبد: ربي)** أي بالنداء أو الإخبار لأن الإنسان مربوب متعبد بإخلاص التوحيد فكره المضاهاة بالاسم لئلا يدخل في معنى الشرك إذا العبد والحر فيهما بمنزلة واحدة، **(ولكن ليقل: سيدي)** لأن مرجع السيادة إلى معنى الرياسة وحسن التدبير في المعيشة، ولذلك يسمى الزوج سيداً، **(وفي رواية ليقل: سيدي)** أي تارة **(ومولاي)** أي أخرى لكن بمعنى متصرف؛ **(وفي رواية لا يقل العبد لسيده: مولاي)** أي بمعنى الناصر والمعين، فلا ينافي ما سبق، ولذا يطلق المولى على المعتق والمعتق، ومنه قوله ﷺ: «مولى القوم من أنفسهم»[1] على ما رواه البخاري عن أنس، ومولى الرجل أخوه وابن عمه على ما رواه الطبراني عن سهل بن حنيف، والحاصل أن المولى له معان متعددة منها ما يختص به سبحانه، فلا يجوز استعماله في حق غيره تعالى وهو نعم المولى، ولذا قال: **(فإن مولاكم الله)** أي المختص بهذا المعنى الخاص، ولذا قيل في كراهة هذه الأسماء هو أن يقول ذلك على طريق التطاول على الرقيق والتحقير لشأنه، وإلا فقد جاء به القرآن قال الله تعالى: **﴿والصالحين من عبادكم وإمائكم﴾** [النور - ٣٢] وقال: «عبداً مملوكاً لا يقدر على شيء»، وقال: اذكرني عند ربك، وقال: ألفيا سيدها لدى الباب، ومعنى هذا راجع إلى البراءة من الكبر والتزام الذل والخضوع، فلم يحسن لأحد أن يقول: فلان عبدي، بل يقول: فتاي، وإن كان قد ملك فتاه ابتلاء وامتحاناً من الله بخلقه كما قال تعالى: **﴿وجعلنا بعضكم لبعض فتنة﴾** [الفرقان - ٢٠] وعلى هذا امتحان الله تعالى لأنبيائه وأوليائه ابتلى يوسف عليه السلام بالرق، كذا في شرح السنة، وفي شرح مسلم للنووي. قالوا: «إنما كره للمملوك أن يقول لمالكه: ربي لأن فيه إيهام المشاركة لله تعالى، وأما حديث حتى يلقاها ربها في الضالة، فإنما استعمل لأنها غير مكلفة، فهي كالدار والمال، ولا كراهة أن يقول رب المال،

= الحديث رقم (١٥ - ٢٢٤٩)، وأبو داود في السنن ٥/ ٢٥٦ الحديث رقم ٤٩٧٥، وأحمد في المسند ٢/ ٤٩٦.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ١٢/ ٤٨ الحديث رقم ٦٧٦١.

رواه مسلم.

٤٧٦١ ـ (١٢) وعنه، عن النبيّ ﷺ، قال: «لا تقولوا: الكرم؛ فإنّ الكرم قلبُ المؤمنِ». رواه مسلم.

والدار، وأما قول يوسف عليه السلام: ﴿اذكرني عند ربك﴾ [يوسف ـ ٤٢] و﴿إنه ربي أحسن مثواي﴾ [يوسف ـ ٢٣] ففيه جوابان أحدهما أنه خاطبه بما يعرفه وجاز ذلك للضرورة، وثانيهما أن هذا منسوخ في شرعنا اهـ. والأظهر في الجواب عن قوله: ﴿إنه ربي أحسن مثواي﴾ [يوسف ـ ٢٣] أن الضمير لله تعالى أي أنه خالقي أحسن منزلتي ومأواي بأن عطف عليّ القلوب فلا أعصيه، وعن قوله: ﴿اذكرني عند ربك﴾ [يوسف ـ ٤٢] أي اذكر حالي عند الملك كي يخلصني فأنساه الشيطان ذكر ربه أي أنسى يوسف ذكر الله حتى استعان بغيره، ويؤيده قوله عليه السلام: «رحم الله أخي يوسف لو لم يقل اذكرني عند ربك لما لبث في السجن سبعاً بعد الخمس» كذا في تفسير البيضاوي، وقال أبو سعيد القرشي: لما قال لصاحب السجن ﴿اذكرني عند ربك﴾ نزل جبريل عليه السلام، فقال: الله يقرئك السلام ويقول: من حببك إلى أبيك من بين أخوتك، ومن قيض لك السيارة لتخليصك، ومن طرح في قلب من اشتراك من مودتك حتى قال: ﴿اكرمي مثواه﴾ [يوسف ـ ٢١] الآية. ومن صرف عنك وبال المعصية؟ قال: الله تعالى قال فإنه يقول: أنا الذي حفظتك في هذه المواضع أخشيت أن أنساك في السجن حتى استعنت بغيري وقلت: ﴿اذكرني عند ربك﴾ أما كان ربك أقرب منك وأقدر على خلاصك من رب صاحب السجن لتلبثن فيه بضع سنين، قال يوسف: وربي عني براض، قال: نعم. قال: لا أبالي ولوالي الساعة». كذا في حقائق السلمي. **(رواه مسلم)**.

٤٧٦١ ـ **(وعنه)** أي عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه **(عن النبي ﷺ قال: لا تقولوا:)** أي للعنب **(الكرم)** بسكون الراء ويفتح على ما في بعض النسخ، **(فإن الكرم قلب المؤمن)**. قال شارح: سمت العرب العنبة كرماً ذهاباً إلى أن الخمر تورث شاربها كراماً، ويلتفت إليه قول القائل:

فيا ابنة الكرم لا بل يا ابنة الكرم

فلما حرم الخمر نهاهم عن ذلك تحقيراً للخمر وتأكيداً لحرمتها، وبين لهم أن قلب المؤمن هو الكرم لأنه معدن التقوى لا الخمر المؤدي إلى اختلال العقل وفساد الرأي وإتلاف المال، وصرفه لا على وجه الصواب. وفي الفائق أراد أن يقرر ما في قوله تعالى: ﴿إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾ [الحجرات ـ ١٣] بطريق منيف ومسلك لطيف، وفي القاموس الكرم محركة ضد اللؤم وأرض كرم محركة أي طيبة والكرم العنب والكريمان الحج والجهاد، ومنه

الحديث رقم ٤٧٦١: أخرجه البخاري في صحيحه ١٠/٥٦٦ الحديث رقم ٦١٨٣، ومسلم في ٤/١٧٦٣ الحديث رقم (٧ ـ ٢٢٤٧)، وأبو داود في السنن ٥/٢٥٥ الحديث رقم ٤٩٧٤، والدارمي في ٢/٣٨٢ الحديث رقم ٢٧٠٠، وأحمد في المسند ٢/٣١٦.

٤٧٦٢ ـ (١٣) وفي رواية له عن وائلِ بن حُجرٍ، قال: «لا تقولوا: الكرمُ؛ ولكن قولوا: العنبُ والحَبلَةُ».

٤٧٦٣ ـ (١٤) وعن أبي هريرةَ، قال: قال رسولُ الله ﷺ [٣٥٨ ـ ب ـ]: «لا تسمُّوا العنبَ الكرمَ، ولا تقولوا: يا خَيبةَ الدَّهر! فإنَّ اللّهَ هو الدهرُ». رواه البخاري.

٤٧٦٤ ـ (١٥) وعنه، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «لا يسبُّ أحدُكم الدهرَ، فإنَّ اللّهَ هوَ الدهرُ». رواه مسلم.

خير الناس مؤمن بين كريمين، وفي الحديث «لا تسموا العنب الكرم، فإن الكرم الرجل المسلم»، وليس الغرض حقيقة النهي عن تسمية العنب كرماً، ولكنه رمز إلى أن هذا النوع من غير الأناسي المسمى بالاسم المشتق من الكرم أنتم أحقاء بأن لا تؤهلوه بهذه التسمية غيرة للمسلم التقي أن يشارك فيما سماه الله وخصه بأن جعله صفته فضلاً أن تسموا بالكريم من ليس بمسلم، وكأنه قال: «أن تأتي لكم أن لا تسموه مثلاً باسم الكرم فلا تسموا به غيره». وقوله: فإن الكرم أي فإنما المستحق للاسم المشتق من الكرم المسلم، وفي شرح مسلم للنووي قال: أهل اللغة رجل كرم وامرأة كرم، ورجلان كرم ورجال كرم، ونسوة كرم كله بفتح الراء وإسكانها بمعنى كريم وصف بالمصدر كعدل وضيف.

٤٧٦٢ ـ **(وفي رواية له)** أي لمسلم **(عن وائل بن حجر)** بضم حاء وسكون جيم **(لا تقولوا: الكرم، ولكن قولوا: العنب)** وهو يطلق على الثمر والشجر، والمراد به هنا الشجر **(والحبلة)** بفتح مهملة وباء موحدة ويسكن وهو الأصل من شجر العنب.

٤٧٦٣ ـ **(وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تسموا العنب الكرم ولا تقولوا: يا خيبة الدهر»)** الخيبة الحرمان والخسران وهو من إضافة المصدر الفاعل، وكانوا في الجاهلية إذا أصابتهم مصيبة قالوا: يا خيبة الدهر يريدون سب الدهر، فنهوا عن ذلك بقوله: **(«فإن الله هو الدهر»)** أي هو ما يضاف إلى الدهر من الخير والشر أو فإن الله خالق الدهر ومصرفه ومقلبه والمتصرف فيه، والدهر مسخر حكمه. **(رواه البخاري)**. وفي الجامع الصغير رواه الشيخان[1].

٤٧٦٤ ـ **(وعنه)** أي عن أبي هريرة رضي الله عنه **(قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يسب أحدكم الدهر فإن الله هو الدهر»)** قد مر شرحه في كتاب الإيمان مفصلاً. **(رواه مسلم)**.

الحديث رقم ٤٧٦٢: أخرجه مسلم في ٤/ ١٧٦٤ الحديث رقم (١٢ ـ ٢٢٤٨).

الحديث رقم ٤٧٦٣: أخرجه البخاري في صحيحه ١٠/ ٥٦٤ الحديث رقم ٦١٨٢، ومسلم في ٤/ ١٧٦٣ الحديث رقم (٤ ـ ٢٢٤٦)، وأحمد في المسند ٢/ ٢٥٩.

(١) الجامع الصغير ٢/ ٥٨٠ الحديث رقم ٩٨٠٠.

الحديث رقم ٤٧٦٤: أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ١٧٦٣ الحديث رقم (٦ ـ ٢٢٤٧)، وأبو داود في السنن ٥/ ٤٢٣ الحديث رقم ٥٢٧٤، وأحمد في المسند ٢/ ٢٧٢.

٤٧٦٥ ـ (١٦) وعن عائشةَ، قالت: قال رسولُ الله ﷺ: «لا يقولنَّ أحدُكم: خَبُثَتْ نفسي؛ ولكن ليقُلْ: لَقِسَتْ نفسي». متفق عليه.

وذكر حديثُ أبي هريرةَ: «يُؤذيني ابنُ آدمَ» في «باب الإيمان».

الفصل الثاني

٤٧٦٦ ـ (١٧) عن شريح بن هانىء، عن أبيهِ، أنّه لما وفَدَ إلى رسول الله ﷺ مع قومِه سمعهم يكنُونه

٤٧٦٥ ـ (وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ «لا يقولن أحدكم: خبثت») بفتح خاء معجمة وضم موحدة وفتح مثلثة وتاء ساكنة («نفسي، ولكن ليقل: لقست») بفتح لام فكسر قاف أي غثيت على ما في النهاية من أن اللقس الغثيان، وإنما كره خبثت هرباً من لفظ الخبث والخبيث يعني من الاشتراك المعنوي مع التبادر إلى المعنى القبيح، وقال شارح: لقست بالكسر وخبثت أي غثيت، والعرب تستعمل كلاً منهما مكان الآخر، فكره النبي ﷺ أن يضرب المؤمن لنفسه مثل السوء، ويضيف الخبث الذي يطلق على خباثة النفس وسوء الخلق كما يطلق على الغثيان إلى نفسه، ولذلك أطلق على من لم يقم الصلاة الليل كسلاً وتهاوناً الخبث حيث قال: أصبح خبيث النفس كسلاناً ذماً وزجراً له وقال النووي: إنما كره لفظ «الخبث» لشناعته، وعلمهم الأدب في الألفاظ واستعمال أحسنها وهجران قبيحها، فإن قيل: قد قال ﷺ في الذي ينام عن الصلاة: خبيث النفس كسلان، والجواب أنه ﷺ مخبر هناك عن صفة غيره وعن شخص مبهم مذموم الحال، قال التوربشتي: وكم مثل ذلك في السنن نهى عن لعن المسلم أشد النهي، ثم قال: لعن الله من تولى غير مواليه، ولعن الله من سرق منار الأرض وأمثال ذلك مما كان القصد فيه الوعيد والزجر لا اللعن لمسلم بعينه. (متفق عليه، وذكر حديث أبي هريرة يؤذيني ابن آدم في باب الإيمان).

(الفصل الثاني)

٤٧٦٦ ـ (عن شريح) بالتصغير (ابن هانىء) بنون مكسورة فهمزة (عن أبيه) أي هانىء بن يزيد (أنه لما وفد) أي جاء (إلى رسول الله ﷺ سمعهم) أي سمع النبي ﷺ (يكنونه) بتشديد

الحديث رقم ٤٧٦٥: أخرجه البخاري في صحيحه ١٠/ ٥٦٣ الحديث رقم ٦١٧٩، ومسلم في ٤/ ١٧٦٢ الحديث رقم (٢ ـ ٢٢٤٦)، وأبو داود في السنن ٥/ ٢٥٨ الحديث رقم ٤٩٧٨، وأحمد في المسند ٦/ ٢٨١.

الحديث رقم ٤٧٦٦: أخرجه أبو داود في السنن ٥/ ٢٤٠ الحديث رقم ٤٩٥٥، والنسائي في ٨/ ١٢٢٦ الحديث رقم ٥٣٨٧.

بأبي الحكم، فدعاه رسولُ الله ﷺ فقال: «إنّ اللّهَ هوَ الحَكَم، وإليهِ الحُكْمُ، فلِمَ تُكنَى أبا الحكم؟» قال: إنّ قومي إذا اختلفوا في شيءٍ أتوني فحكمتُ بينهم، فرضي كلا الفريقين بحكمي. فقال رسولُ الله ﷺ: «ما أحسنَ هذا، فما لكَ من الولدِ؟» قال: لي شريح، ومسلم، وعبدُ الله. قال: «فمن أكبرهُم؟». قال: قلتُ: شريحٌ. قال: «فأنتَ أبو شريحٍ».

النون مع ضم أوّله وتخفيف مع فتح أوله (**بأبي الحكم**) الكنية قد تكون بالأوصاف كأبي الفضائل وأبي المعالي وأبي الحكم وأبي الخير، وقد تكون بالنسبة إلى الأولاد كأبي سلمة وأبي شريح وإلى ما لا يلابسه كأبي هريرة، فإنه عليه السلام رآه ومعه هرة فكناه بأبي هريرة، وقد تكون للعلمية الصرفة كأبي بكر وأبي عمرو (**فدعاه رسول الله ﷺ**) أي طلب هانئاً (**فقال: إن الله هو الحكم**) عرف الخبر وأتى بضمير الفصل فدل على الحصر، وأن هذا الوصف مختص به لا يتجاوز إلى غيره (**وإليه الحكم**) أي منه يبتدأ الحكم وإليه ينتهي الحكم له الحكم وإليه ترجعون لا رادّ لحكمه ولا يخلو حكمه عن حكمته، وفي إطلاق أبي الحكم على غيره يوهم الاشتراك في وصفه على الجملة، وإن لم يطلق عليه سبحانه أبو الحكم لما فيه من إيهام الوالدية والولدية وقد غير ﷺ اسم عمرو بن هشام المكنى بأبي الحكم بأبي جهل، وفي شرح السنة الحكم هو الحاكم الذي إذا حكم لا يرد حكمه، وهذه الصفة لا تليق بغير الله تعالى ومن أسمائه الحكم، (**فلم تكنى أبا الحكم**) أي فلأي شيء وبأي سبب من أنواع الكنية تكنى بأبي الحكم (**قال: إن قومي**) استئناف تعليل (**إذا اختلفوا في شيء**) وصاروا فرقتين مختلفتين وكاد أن يقتتلا (**أتوني، فحكمت بينهم**) أي بأي نوع من الحكم (**فرضي كل الفريقين بحكمي**) أي لمراعاتي الجانبين والعدل بين الخصمين وحصول الصلح من الطرفين (**فقال رسول الله ﷺ: «ما أحسن هذا»**) أي الذي ذكرته من الحكم بالعدل أو من وجه التكنية وهو الأولى، وأتى بصيغة التعجب مبالغة في حسنه لكن لما كان فيه من الإيهام ما سبق في الكلام أراد تحويل كنيته إلى ما يناسبه في المرام فقال: إذا كان الأمر كذلك، (**فما لك من الولد**)؛ وأغرب المظهر في قوله: ما للتعجب يعني الحكم بين الناس حسن، ولكن هذه الكنية غير حسنة، وتبعه الطيبي فقال: ولما لم يطابق جواب أبي شريح قال له ﷺ على ألطف وجه وأرشقه رداً عليه ذلك ما أحسن هذا لكن أين ذلك من هذا فأعدل عنه إلى ما هو يليق بحالك من التكني بالأبناء، وهو من باب الرجوع والتنبيه على ما هو أولى به وأليق بحاله. (**قال لي شريح ومسلم وعبد الله**): ظاهر الترتيب المقتضي لعقله أنه قدم الأكبر فالأكبر لكن الواو لدلالته على مطلق الجمع كان غير صريح في المدعي (**قال: ومن أكبرهم**)، في شرح السنة فيه أن الأولى أن يكنى الرجل بأكبر بنيه فإن لم يكن له ابن فبأكبر بناته، وكذلك المرأة بأكبر بنيها فإن لم يكن لها ابن فبأكبر بناتها. (**قال:**) أي هانئ، (**قلت: شريح**) أي أكبرهم (**قال: فأنت أبو شريح**) أي رعاية للأكبر سناً فصار ببركته ﷺ أكبر رتبة وأكثر فضلاً، فإنه من أجلة أصحاب علي رضي الله عنه، وكان مفتياً في زمن الصحابة ويرد على بعضهم، وقد ولاه علي رضي الله عنه قاضياً، وخالفه في قبول شهادة الحسن له والقضية مشهورة، قال بعض علمائنا: وأما التابعي فإن ظهرت فتواه في زمن الصحابة كشريح كان مثلهم عند البعض، ولعله عد في فصل الصحابة في أسماء رجال المصنف لهذا المعنى أو

رواه أبو داود، والنسائي.

٤٧٦٧ ـ (١٨) وعن مسروقٍ، قال: لقيتُ عُمَرَ. فقال: مَنْ أنتَ؟ قلتُ: مسروقُ بنُ الأجدَعِ. قال عمرُ: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «الأجدَعُ شيطانٌ». رواه أبو داود، وابنُ ماجه.

٤٧٦٨ ـ (١٩) وعن أبي الدرداءِ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «تُدعَونَ يومَ القيامةِ بأسمائكم وأسماءِ آبائكم، فأحسِنوا أسماءَكم» رواه أحمد، وأبو داود.

٤٧٦٩ ـ (٢٠) وعن أبي هريرة، أنَّ النبي ﷺ نهى أنْ يجمعَ أحدٌ بين اسمه

لكونه من المخضرمين كما قاله ابن عبد البر في الاستيعاب والله أعلم بالصواب. **(رواه أبو داود والنسائي)**.

٤٧٦٧ ـ **(وعن مسروق)** همداني كوفي أسلم قبل وفاة النبي ﷺ وأدرك الصدر الأول من الصحابة كأبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضوان الله تعالى عليهم أجمعين، وكان أحد الأعلام والفقهاء، قال محمد بن المنتشر: إن خالد بن عبد الله وكان عاملاً على البصرة أهدى إلى مسروق ثلاثين ألفاً وهو يومئذ محتاج فلم يقبلها، يقال: إنه سرق صغيراً ثم وجد فسمي مسروقاً. **(قال: لقيت عمر فقال: من أنت؟ قلت: مسروق بن الأجدع، قال عمر: سمعت رسول الله ﷺ يقول: الأجدع شيطان)** أي اسم شيطان من الشياطين. قال الطيبي وهو استعارة من مقطوع[1] الأطراف لمقطوع الحجة اهـ. وهو يحتمل أن يكون مطايبة من عمر رضي الله عنه أو تنبيهاً على تغيير هذا الاسم عن أبيه إن كان حياً، ويقال له: أبو مسروق إن كان ميتاً واحتراساً من أن يسمي ولده باسم أبيه، ويكنى بأبي الأجدع والله تعالى أعلم. **(رواه أبو داود وابن ماجه)**، وكذا أحمد والحاكم[2].

٤٧٦٨ ـ **(وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: تدعون)**، وفي رواية الجامع «إنكم تدعون» وهو بصيغة المجهول أي تنادون أو تسمون **(«يوم القيامة بأسمائكم وأسماء آبائكم، فاحسنوا»)** أي أنتم وآباؤكم **(«أسماءكم». رواه أحمد وأبو داود)**.

٤٧٦٩ ـ **(وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن النبي ﷺ «نهى أن يجمع أحد بين اسمه**

الحديث رقم ٤٧٦٧: أخرجه أبو داود في السنن ٥/ ٢٤٣ الحديث رقم ٤٩٥٧، وابن ماجه في ٢/ ١٢٢٩ الحديث رقم ٣٧٣١، وأحمد في المسند ١/ ٣١.

(١) في المخطوطة «مقطوف». (٢) الحاكم في المستدرك ٤/ ٢٧٩.

الحديث رقم ٤٧٦٨: أخرجه أبو داود في السنن ٥/ ٢٣٦ الحديث رقم ٤٩٤٨، والدارمي في ٢/ ٣٨٠ الحديث رقم ٢٦٩٤، وأحمد في المسند ٥/ ١٩٤.

الحديث رقم ٤٧٦٩: أخرجه الترمذي في السنن ٥/ ١٤٤ الحديث رقم ٢٨٤١، وأحمد في المسند ٢/ ٤٣٣.

وكُنيته، وسمّى محمّدَ أبا القاسم. رواه الترمذي.

٤٧٧٠ ـ (٢١) وعن جابر: أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «إذا سمَّيتم باسمي فلا تكتنوا بكُنيتي». رواه الترمذي، وابن ماجه. وقال الترمذي: هذا حديثٌ غريب. وفي رواية أبي داود، قال [٣٥٩ ـ أ ـ]: «مَن تسمَّى باسمي، فلا يكتنِ بكُنيتي؛ ومَن تكنَّى بكنيتي، فلا يتسمَّ باسمي».

٤٧٧١ ـ (٢٢) وعن عائشة [رضي اللّهُ عنها]، أنَّ امرأةً قالتْ: يا رسولَ الله! إني

وكنيته»، وسمي) بصيغة المجهول (محمد) بالرفع (أبا القاسم) بالنصب، ويؤيده ما في بعض النسخ نهى أن يجمع بين اسمه على بناء المفعول من غير ذكر أحد، وفي نسخة صحيحة يسمي بصيغة الفاعل ومحمداً بالنصب وهو ظاهر مطابق لما قبله. قال الطيبي: محمد مرفوع على أنه مفعول أقيم مقام الفاعل، كذا في جامع الترمذي وشرح السنة وأكثر نسخ المصابيح، والمعنى يسمي المسمى بمحمد أبا القاسم، وفي جامع الأصول وبعض نسخ المصابيح محمداً منصوب، فالفعل يكون على بناء الفاعل اهـ، ولا يخفى أنه على بناء الفاعل يكون بفتح الياء بالنصب الظاهري بخلاف ما إذا كان مفعولاً، فإن نصبه مقدر على الألف ثم على الأول يكون تقديره وأن يسمي أحد محمداً أبا القاسم وتقدم تحقيقه، وأن النهي في الحقيقة إنما هو عن كنيته ﷺ في حال حياته، ولعل تخصيص اسم محمد لما كان الغالب عليهم ذلك، والله أعلم. (رواه الترمذي).

٤٧٧٠ ـ (وعن جابر رضي الله تعالى عنه أن النبي ﷺ قال: «إذا سميتم باسمي) أي فلا حرج عليكم في تسميته، (فلا تكتنوا بكنيتي») أي في حياتي لئلا يلتبس في ذاتي كما يدل عليه الحديث الصحيح «تسموا باسمي ولا تكتنوا بكنيتي» على ما رواه أحمد والشيخان والترمذي وابن ماجه عن أنس، وأحمد والشيخان وابن ماجه عن جابر وقال ابن الملك: في الحديث أن أفراد لكنية جائز، فإنه أقل كراهة من الجمع إذ في الأفراد يمكن رفع اللبس بخلاف الجمع فإنه لا يمكن الرفع [إلا بكفه لكثرة الاشتراك، سواء كان ذلك في زمانه أو بعده اهـ، وما قررناه سابقاً أولى. (رواه الترمذي وابن ماجه وقال الترمذي: هذا حديث غريب، وفي رواية أبي داود قال: «من تسمى باسمي فلا يكتن بكنيتي ومن تكنى بكنيتي فلا يتسم باسمي»)، وهذه الرواية تؤيد قول ابن الملك، لكن تخالف الحديث الصحيح السابق نعم يمكن تقييده بأن هذا بعد موته ﷺ لئلا يورث الاشتباه في ذكره أو نسبه، وأما الكنية في حال حياته فمنهية مطلقاً لما سبق من سبب وروده، وأما وجه المنع على التعليل المتقدم فإنه مع وجود الفرد الأكمل لا ينبغي إطلاق الوصف على غيره والله أعلم.

٤٧٧١ ـ (وعن عائشة رضي الله تعالى عنها أن امرأة قالت: «يا رسول الله أني

الحديث رقم ٤٧٧٠: أخرجه أبو داود في السنن ٥/ ٢٤٩ الحديث رقم ٤٩٦٦، والترمذي في ٥/ ١٢٤ الحديث رقم ٢٨٤٢، وأحمد في المسند ٣/ ٣٦٩.

الحديث رقم ٤٧٧١: أخرجه أبو داود في السنن ٥/ ٢٥١ الحديث رقم ٤٩٦٨، والترمذي في ٥/ ١٢٥ الحديث رقم ٢٨٤٣.

ولدتُ غلاماً فسمَّيتُه محمَّداً، وكنَّيتُه أبا القاسمِ، فذُكِرَ لي أنَّكَ تكرهُ ذلكَ. فقال: «ما الذي أحلَّ اسمي وحرَّمَ كنيتي؟ أو ما الذي حرَّمَ كنيتي وأحلَّ اسمي؟». رواه أبو داود. وقال محيي السنة: غريبٌ.

٤٧٧٢ ـ (٢٣) وعن محمَّدِ ابن الحنفيَّةِ، عن أبيه، قال: قلتُ: يا رسولَ الله! بتَ إنْ وُلِد لي بعدَكَ ولدٌ أسميهِ باسمِكَ وأُكنِّيهِ بكنيتِكَ؟ قال: «نعم». رواه أبو داود.

٤٧٧٣ ـ (٢٤) وعن أنسٍ، قال: كنَّاني رسولُ الله ﷺ ببقلَةٍ كنتُ أجتنيها. رواه الترمذي، وقال: هذا حديثٌ لا نعرفه إلا من هذا الوجه. وفي «المصابيح»:

ولدت غلاماً) أي نفسه (**«فسميته محمداً وكنيته أبا القاسم»**) أي تبركاً بهما (**«فذكر»**) بصيغة المجهول أي فذكر بعض (**لي أنك تكره ذلك**) أي كراهة تحريم كما يدل عليه ما أجاب (**«فقال: ما الذي أحل اسمي وحرم كنيتي»**) بالاستفهام الإنكاري (**«أو ما الذي حرم كنيتي وأحل اسمي»**) شك من أحد الرواة، وفيه تصريح على أن النهي عن الجمع ليس للتحريم بل للتنزيه كما سبق. (**رواه أبو داود، وقال محيي السنة: غريب**) أي متناً أو إسناداً.

٤٧٧٢ ـ (**وعن محمد ابن الحنفية**) هو محمد بن علي بن أبي طالب يكنى أبا القاسم وأمه خولة بنت جعفر الحنفية، ويقال: بل كانت أمه من سبي اليمامة فصارت إلى علي رضي الله عنه، وقالت أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما: رأيت أم محمد ابن الحنفية سندية سوداء وكانت أمة بني حنيفة، روى عنه ابنه إبراهيم مات بالمدينة سنة إحدى وثمانين وله خمس وستون سنة، (**عن أبيه قال:**) أي أبوه علي كرم الله وجهه (**قلت: يا رسول الله أرأيت**) أي أخبرني (**أن ولد لي بعدك**) أي فرضاً وتقديراً (**ولد**) أي من فاطمة أو غيرها (**أسميه**)، وفي نسخة وأسميه (**باسمك وأكنيه**) بتشديد النون (**بكنيتك**) أي تبركاً وتذكراً (**قال: نعم**) فيه أن النهي مقصور على زمانه ﷺ، فيجوز الجمع. بينهما بعده لرفع الالتباس، وبه قال مالك، وقد حققنا البحث قبل ذلك. (**رواه أبو داود**).

٤٧٧٣ ـ (**وعن أنس رضي الله تعالى عنه قال: كناني**) بتشديد النون الأولى [أي جعلني مكنى بأبي حمزة] (**رسول الله ﷺ ببقلة**) أي بسبب اسم بقلة خريفية في طعمها حموضة اسمها حمزة بالحاء والزاي (**كنت أجتنيها**) أي أقلعها. (**رواه الترمذي وقال: هذا حديث لا نعرفه إلا من هذا الوجه**) أي الحديث غريب، والغرابة تجتمع مع الصحيح وغيره، ولذا قال المؤلف، (**وفي المصابيح صحيحة**).

الحديث رقم ٤٧٧٢: أخرجه أبو داود في السنن ٥/ ٢٥٠ الحديث رقم ٤٩٦٧، والترمذي في ٥/ ١٢٥ الحديث رقم ٢٨٤٣، وأحمد في المسند ١/ ٩٥.

الحديث رقم ٤٧٧٣: أخرجه الترمذي في السنن ٥/ ٦٤٠ الحديث رقم ٣٨٣٠، وأحمد في المسند ٣/ ١٢٧.

٤٧٧٤ ـ (٢٥) وعن عائشةَ [رضي اللّهُ عنها]، قالتْ: إنَّ النبيَّ ﷺ كانَ يغير الاسْمَ القبيحَ. رواه الترمذيُّ.

٤٧٧٥ ـ (٢٦) وعن بشيرِ بن ميمونٍ، عن عمِّه أسامةَ بن أخْدَرِيّ، أنَّ رجلاً يقال له أصْرمُ كانَ في النَّفرِ الذينَ أتوا رسولَ الله ﷺ، فقال رسولُ الله ﷺ: «ما اسمُكَ؟» قال: أصْرمُ قال: «بلْ أنتَ زُرْعَةُ». رواه أبو داود.

٤٧٧٦ ـ (٢٧) وقال: وغيَّر النبي ﷺ اسمَ العاص، وَعزيزٍ، وعَتَلَةَ،

٤٧٧٤ ـ **(وعن عائشة رضي الله عنها قالت: إن النبي ﷺ كان يغير الاسم القبيح)** أي غير اللائق بضده وقد تقدم بعض الأمثلة، وروي أن رجلاً كان اسمه أسود فسماه أبيض. **(رواه الترمذي)**.

٤٧٧٥ ـ **(وعن بشر بن ميمون)** ذكره المؤلف في فصل التابعين وقال: صدوق، روى عنه بشر بن المفضل وغيره **(عن عمه أسامة بن أخدري)** بفتح همزة وسكون خاء معجمة وفتح دال مهملة وكسر راء وياء مشددة لم يذكره المؤلف في أسمائه، وقيل: في صحبته وفي إسناد حديثه مقال، له حديث واحد في تغيير الأسماء **(أن رجلاً يقال له أصرم)** افعل من الصرم **(كان في النفر الذي)** أفرد الموصول باعتبار لفظ النفر وجمع في قوله: **(أتوا)** بحسب المعنى، ونحوه قوله تعالى: **﴿كالذي خاضوا﴾** [التوبة ـ ٦٩] وفي نسخة الذين أتوا **(رسول الله ﷺ فقال له رسول الله ﷺ: ما اسمك؟ قال:** أصرم، **قال: بل أنت زرعة)** بضم زاي وسكون راء مأخوذ من الزرع وهو مستحسن بخلاف أصرم فإنه مأخوذ من الصرم وهو القطع، فبادله به وغيره له. **(رواه أبو داود)**.

٤٧٧٦ ـ **(وقال:)** أي أبو داود بطريق التعليق **(وغير النبي ﷺ اسم العاص)**، قال شارح: لأنه من العصيان، وفي الفائق كره العاصي لأن شعار المؤمن الطاعة لكن المفهوم من القاموس أن العاص ليس من مادة العصيان حيث ذكر في معتل العين لأن الأعياص من قريش أولاد أمية ابن عبد شمس الأكبر وهم العاص وأبو العاص والعيص وأبو العيص، قال: والعيص المنبت وعيص بن إسحاق بن إبراهيم عليهما السلام، فلعل التبديل الاسمي لأجل الاشتباه اللفظي **(وعزيز)** لأنه من أسماء الله تعالى، فينبغي أن يقال: عبد العزيز لأن العبد موصوف بالذل والخضوع والعزة لله تعالى، وكذا لا ينبغي أن يسمى بحميدة فإنه من أسمائه وصفاته على وجه المبالغة فلا يقال: إلا عبد الحميد وكذلك الكريم وأمثاله، **(وعتلة)** بفتحات لأن معناه الغلظة والشدة من عتلته إذا جذبته جذباً عنيفاً، والمؤمن موصوف بلين الجانب وخفض الجناح وقيل:

الحديث رقم ٤٧٧٤: أخرجه الترمذي في السنن ٥/ ١٢٤ الحديث رقم ٢٨٣٩.
الحديث رقم ٤٧٧٥: أخرجه أبو داود في السنن ٥/ ٢٣٩ الحديث رقم ٤٩٥٤.
الحديث رقم ٤٧٧٦: أخرجه أبو داود في السنن ٥/ ٢٤٣ الحديث رقم ٤٩٥٦.

وشيطان، والحَكَم، وغُراب، وحُبَاب، وشِهاب، وقال: تركت أسانيدها للاختصار.

٤٧٧٧ ـ (٢٨) وعن أبي مسعودٍ الأنصاريّ، قال لأبي عبد الله، أو قال أبو عبد الله لأبي مسعود: ما سمعتَ رسول الله ﷺ يقول في (زعموا؟) قال: سمعتُ رسول الله ﷺ

العتلة عمود حديد يهدم به الحيطان، وقيل: حديدة كبيرة يقلع بها الحجر والشجر (وشيطان) لأنه مع قطع النظر عن مسماه يتشاءم به كل من رآه، وهو باعتبار اللغة أيضاً مأخوذ من شاط احترق أو هلك، قال صاحب القاموس: ومنه الشيطان في قول أو من شطن، ففي القاموس الشاطن الخبيث، والشيطان معروف، وكل عات متمرد من أنس أو جن أو دابة، وشيطن وتشيطن فعل فعله والحية، وفي شرح السنة لأن اشتقاقه من الشطن وهو البعد عن الخير (والحكم) بفتحتين مبالغة الحاكم فإن الله تعالى هو الحاكم ولا حكم إلا له، فإذا كان ﷺ غير أبا الحكم على ما سبق فالحكم بالأولى كما لا يخفى، (وغراب) لأن معناه البعد ولأنه أخبث الطيور لوقوعه على الجيف وبحثه عن النجاسات، وقال شارح: لأن الغراب طير مذموم شرعاً أو لأنه من الغروب وهو غير مستحسن في التفاؤل يعني وكان ﷺ يحب الاسم الحسن والفأل الحسن على ما ورد كما سبق (وحباب) بضم الحاء وموحدتين اسم الشيطان، ويقع على الحية أو نوع منها، (وشهاب) بكسر الشين المعجمة لأنه شعلة نار ساقطة والنار عقاب الكفار ولأنه يرجم به الشيطان والظاهر أنه إذا أضيف إلى الدين مثلاً لا يكون مكروهاً، (وقال:) أي أبو داود اعتذاراً عن إيراد هذه الأحاديث معلقاً (تركت أسانيدها للاختصار)، ويمكن أن يكون قوله: تركت استئناف تعليل، وإعادة قال: لطول الفصل هذا الذي ظهر لي في حل هذا المحل، وقال الطيبي: قوله: وقال تركت أسانيدها عطف على قوله: قال: وغير وهو قول راوي أبي داود، يقول: روى أبو داود أحاديث متعددة بإسناده إلى النبي ﷺ وفيها أنه غير أسامي رجال ثم عطف أبو داود قوله وغير الخ من حيث المعنى على المذكور، ثم قال: ما ذكرته من التغيير ورد في أحاديث متفرقة مسندة وإني تركت أسانيدها اختصاراً كذا في شرح السنة، وفي سنن أبي داود قال: أبو داود سليمان بن الأشعث وغير النبي ﷺ غير اسم العاص، ولعله سهو من الناسخ اهـ. كلام الطيبي فتأمل.

٤٧٧٧ ـ (وعن أبي مسعود الأنصاري رضي الله تعالى عنه قال لأبي عبد الله:) وهو كنية حذيفة عند الإطلاق في اصطلاح المحدثين (أو قال أبو عبد الله لأبي مسعود:) الشك من أحد الرواة عنهما (ما سمعت رسول الله ﷺ) أي أي شيء فسمعته (يقول في زعموا) أي في شأن هذه الكلمة أو في حق هذا اللفظ، ويمكن أن تكون ما نافية وهمزة الاستفهام مقدرة أي أما سمعته ﷺ يطعن، ويذكر الذم فيما استعمله الناس من قولهم: زعموا، وينسبون الأخبار إليهم بهذه العبارة ظناً وحسباناً لا تحقيقاً وإيقاناً. (قال: سمعت رسول الله ﷺ

الحديث رقم ٤٧٧٧: أخرجه البغوي في شرح السنة ١٢/ ٣٦١ الحديث رقم ٣٣٩٢، وأحمد في المسند ٤/ ١١٩.

يقول: «بئس مطيّةُ الرجل». رواه أبو داود

يقول: بئس مطية الرجل) وهو بفتح ميم وكسر طاء مهملة وتشديد تحتية أي مركوبه ويقال له بالفارسية باركير يعني إذا عجز عن كل شيء تعلق به ليخلص عهدته، وفي القاموس[1] مطاجد في السير، والمطية التي تمطو في سيرها وما أحسن مناسبة اشتقاقها بالمقام، فإنه شبه بها الكلام الذي لم يتوقف في تحقيقه ويتبادر فيه إلى نقله ونشره، ثم الجملة مفعول يقول، والمخصوص بالذم محذوف للعلم به أي بئس مطية الرجل زعموا ولو رويت المطية منصوبة لكان في بئس ضمير راجع إلى زعموا قيل: أراد بذلك النهي عن التكلم بكلام يسمعه من غيره ولم يعلم صحته أو عن اختراع القول بإسناده إلى من لا يعرف يقول: زعموا أن قد كان كذا وكذا فيتخذ قوله: زعموا مطية يقطع بها أودية الإسهاب، وقيل: سماه مطية لأن الرجل يتوصل بهذا القول إلى مقصوده من إثبات شيء كما أنه يتوصل إلى موضع بواسطة المطية، وتوضيحه ما في النهاية من أن معناه أن الرجل إذا أراد شيئاً من المسير إلى بلد والظعن في حاجة ركب مطية وسار حتى يقضي أربه، فشبه ما يقدمه المتكلم أمام كلامه ويتوصل به إلى غرضه من قوله: زعموا كذا وكذا بالمطية التي يتوصل بها إلى الحاجة، وإنما يقال: زعموا في حديث لا سند له ولا ثبت فيه، وإنما يحكى عن الألسن على سبيل البلاغ فذم من الحديث ما كان هذا سبيله والزعم بالضم والفتح الظن اهـ. وفي الحديث مبالغة في الاجتناب عن اخبار الناس كيلا يقع في الكذب، وقد ورد في حديث رواه أبو داود والحاكم عن ابن عمر مرفوعاً: «كفى بالمرء اثماً أن يحدث بكل ما سمع» لأن الرجل إذا كان مذموماً مع قوله: زعموا أن الأمر كذا وكذا حيث أسند إلى الناس ولم يجعله إنشاء من تلقاء نفسه ولا جزم به، بل عبر بالزعم الذي بمعنى الادعاء والافتراء كما أخبر الله تعالى بقوله: ﴿زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا﴾ [التغابن ـ ٧] فكيف لا يكون مذموماً إذا أسند إليهم القول على وجه التحقيق أو نسب إلى نفسه من غير إسناد إلى من سمعه أو كذب عليه ﷺ، والحاصل من الحديث أنه ينبغي تبديل هذه اللفظة وهذه الإضافة فأما أن يحقق الكلام وينسبه إلى قائله أو يسكت كما قال ﷺ: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت». ولعل وجه مناسبة إيراد هذا الحديث للباب مجرد التغيير المذموم أعم من أن يكون اسماً أو غيره، وكذا الأمر في الحديث الآتي. هذا وقال الطيبي: قوله: في زعموا أي في شأن زعموا وأمره أي هل كان يرضى به قولاً أم لم يرض، ولا بد من هذا التأويل ليدخل في باب تغيير الأسماء الشنيعة ولما لم يرض به ﷺ قال: بئس مطية الرجل يعني ينبغي أن لا يكثر الرجل في كلامه زعم فلان وفلان كيت وكيت وينسب الكذب إلى أخيه المسلم اللهم إذا إذا تحقق وتيقن كذبه وأراد أن يحترز الناس عنه كما ورد في كلامه تعالى: ﴿زعم الذين كفروا﴾ [التغابن ـ ٧] ﴿بل زعمتم أن لن نجعل لكم موعداً﴾ [الكهف ـ ٤٨] ﴿أين شركائي الذين زعمتم﴾ [القصص ـ ٦٢] اهـ. وليس مسلك غير ما شرحه الشراح كما قدمناه، فتأمل. (رواه أبو داود) أي هكذا على الشك، وفي الجامع الصغير بئس مطية

---

(١) في المخطوطة «الفاتن».

وقال: إن أبا عبد الله، حذيفةُ.

٤٧٧٨ ـ (٢٩) وعن حُذيفةَ عن النبي ﷺ قال: «لا تقولوا: ما شاء الله وشاء فلانٌ، ولكن قولوا: ما شاء الله ثمّ شاء فلانٌ». رواه أحمد وأبو داود.

٤٧٧٩ ـ (٣٠) وفي رواية منقطعاً قال: «لا تقولوا: ما شاء الله وشاء محمّدٌ [٣٥٩ ـ أ ـ] وقولوا: ما شاءَ اللَّهُ وحْدَه».

الرجل زعموا رواه أحمد وأبو داود عن حذيفة[1]. (**وقال:**) أي أبو داود (**أن أبا عبد الله**) أي المذكور في صدر الحديث (**هو حذيفة**).

٤٧٧٨ ـ (**وعن حذيفة**) لم يقل، وعنه لئلا يرجع الضمير إلى أبي مسعود، (**عن النبي ﷺ قال: لا تقولوا: ما شاء الله وشاء فلان**) فيه حذف تقديره فهو كائن أو كان لما فيه من التسوية بين الله وبين عباده لأن الواو للجمع والاشتراك (**ولكن قولوا: ما شاء الله**) أي كان، (**ثم شاء فلان**) أي ثم بعد مشيئة الله شاء فلان، لأن ثم للتراخي، وإنما قدرنا كان قبل، ثم شاء فلان ليندفع توهم الاشتراك في الحكم ولو بالتراخي أيضاً فتأمل، فإنه مسلك دقيق وبالتحقيق حقيق وحينئذ قوله: ثم شاء فلان جملة مستأنفة أو معطوفة على الجملة السابقة كما أشرنا إليه، وثم لتراخي الأخبار هذا مجمل ما ظهر لي في حل هذا المحل، وفي شرح السنة لما كان الواو حرف الجمع والتشريك منع من عطف إحدى المشيئتين على الأخرى وأمر بتقديم مشيئة الله وتأخير مشيئة من سواه بحرف ثم الذي هو للتراخي قال الطيبي: ثم ههنا يحتمل التراخي في الزمان وفي الرتبة، فإن مشيئة الله تعالى أزلية ومشيئة غيره حادثة تابعة لمشيئة الله تعالى قال تعالى: ﴿**وما تشاؤون إلا أن يشاء الله**﴾ [التكوير ـ ٢٩] وما شاء الله كان، ومشيئة العبد لم يقع أكثرها فأين أحدهما من الأخرى. (**رواه أحمد وأبو داود**).

٤٧٧٩ ـ (**وفي رواية منقطعاً**) أي إسنادها (**قال: لا تقولوا: شاء الله وشاء محمد، وقولوا: ما شاء الله وحده**) أي شاء غيره أو لم يشاء وهو لا ينافي ما سبق من جواز ما شاء الله ثم شاء فلان كما لا يخفى. قال الطيبي: فإن قلت: كيف رخص أن يقول: ما شاء الله ثم شاء فلان ولم يرخص في اسمه ﷺ حيث قال: قولوا: ما شاء الله وحده، قلت: فيه جوابان أحدهما قال دفعاً لمظنة التهمة في قولهم: ما شاء الله وشاء محمد تعظيماً له ورياء لسمعته، وثانيهما أنه رأس الموحدين ومشيئته مغمورة في مشيئة الله تعالى ومضمحلة فيها، أقول: أصل السؤال مدفوع لأنه ﷺ داخل في عموم فلان، فيجوز أن يقال: ما شاء الله ثم شاء محمد، ولا

---

(١) الجامع الصغير ١/ ١٩١ الحديث رقم ٣١٨٨.

الحديث رقم ٤٧٧٨: أخرجه أبو داود في السنن ٥/ ٢٥٩ الحديث رقم ٤٩٨٠، وأحمد في المسند ٥/ ٣٨٤.

الحديث رقم ٤٧٧٩: أخرجه البغوي في شرح السنة ١٢/ ٣٦١، والدارمي ٢/ ٣٨٢ الحديث رقم ٢٦٩٩، وأحمد في المسند ٤/ ٢٨٩.

رواه في «شرح السنة».

٤٧٨٠ ـ (٣١) وعنه، عن النبيّ ﷺ قال: «لا تقولُوا للمنافقِ سَيِّدٌ، فإنَّه إن يكُ سيِّداً فقد أسخطتُم ربكم».

يجوز أن يقال: ما شاء الله وشاء محمد، فجوابه الأوّل خطأ فاحش لأنهم لو قالوا: ما شاء الله وشاء محمد لكان شركاً جلياً لا مظنة للتهمة التي ذكرها وجوابه الثاني في نفس الأمر صحيح لكن لا يفيد جواز الإتيان بالواو مع أن مشيئة غيره ﷺ أيضاً مضمحلة في مشيئة الله تعالى سبحانه، وأيضاً ما سبق من قوله ﷺ: ولكن قولوا ما شاء الله ثم شاء فلان لمجرد الرخصة، وقال: هنا قولوا: ما شاء الله ثم شاء محمد لكان أمر وجوب أو ندب، وليس الأمر كذلك مع أن المشيئة المسندة إلى فلان إنما هي مشيئة جزئية لا يجوز حملها على المشيئة الكلية كما رمزنا إليه فيما سبق من الكلام والله سبحانه أعلم بالمرام. (رواه) أي ما ذكر من الرواية المقطوعة الإسناد (في شرح السنة) فقوله في المصابيح وفي رواية معناه في رواية أخرى لغير أحمد وأبي داود خلافاً لما هو المتبادر من الإطلاق.

٤٧٨٠ ـ (وعنه) أي عن حذيفة، وفي بعض الحواشي عن بريدة لكن لم يظهر لي وجه صحته (عن النبي ﷺ قال: لا تقولوا للمنافق سيد) مفهومه أنه يجوز أن يقال للمؤمن سيد، وهو لا ينافي ما رواه أحمد والحاكم عن عبد الله بن الشخير مرفوعاً «السيد الله»[1] لأن في الحقيقة لا سيادة إلا له وما سواه مملوكه، (فإنه) أي الشأن أو المنافق (إن يك سيداً) أي سيد قوم أو صاحب عبد وإماء وأموال (أسخطتم ربكم) أي أغضبتموه لأنه يكون تعظيماً له وهو ممن لا يستحق التعظيم فكيف إن لم يكن سيداً بأحد من المعاني، فإنه مع ذلك يكون كذباً ونفاقاً وفاقاً. وفي النهاية فإنه إن كان سيدكم وهو منافق فحالكم دون حاله والله لا يرضى لكم ذلك، وقال الطيبي: أي إن يك سيداً لكم فتجب عليكم طاعته، فإذا أطعمتموه فقد أسخطتم ربكم أو لا تقولوا للمنافق: سيد، فإنكم إن قلتم ذلك فقد أسخطتم ربكم فوضع الكون موضع القول تحقيقاً له، قال: وفيه إن قول الناس لغير الملة كالحكماء والأطباء مولانا داخل في هذا النهي والوعيد بل هو أشد لورود قوله تعالى مولانا في التنزيل دون السيد قلت: إذا كان المراد به تعظيمه فلا شك في عدم جوازه، وأما إذا أريد به أحد معاني المولى مما سبق فلا يبعد جوازه لا سيما عند الحاجة والضرورة، والمخلص أن يكون على سبيل التورية وقد قال تعالى في تجويز إطلاق المولى على غيره سبحانه: ﴿فإن لم تعلموا آباءهم فإخوانكم في الدين﴾ [الأحزاب ـ ٥] أي في المسلمين ومواليكم في غيرهم، والحاصل أن المولى والسيد على الإطلاق هو الله سبحانه، وجواز إطلاقه وعدمه على غيره لا يعرف إلا من الشارع ولم يرد نهي عن إطلاق المولى على غيره سبحانه، فيجوز على أصل الإباحة وهو المتعارف فيما بين

الحديث رقم ٤٧٨٠: أخرجه أبو داود في السنن ٥/ ٢٥٧ الحديث رقم ٤٩٧٧، وأحمد في المسند ٥/ ٣٤٦.

(١) أحمد في المسند ٤/ ٢٤.

رواه أبو داود.

الفصل الثالث

٤٧٨١ ـ (٣٢) عن عبدِ الحميدِ بن جُبيرِ بن شيبةَ قال: جلستُ إلى سعيد بن المسيِّب، فحدَّثني أنَّ جدَّهُ حَزناً قدمَ على النبي ﷺ فقال: «ما اسمُكَ؟» قال: اسمي حَزْنٌ، قال: «بل أنت سَهْلٌ» قال: ما أنا بمغيِّرٍ اسماً سمانيه أبي. قال ابن المُسيِّب: فما زالت فينا الحُزُونةُ بعدُ. رواه البخاري.

المسلمين وما رآه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن. (رواه أبو داود)، ورواه الحاكم والبيهقي عن بريدة بلفظ «إذا قال الرجل للمنافق: يا سيد فقد أغضب ربه»[1]، ولعل هذا منشأ وهم المحشي فيما صدر عنه مما ذكرناه في صدر الحديث.

(الفصل الثالث)

٤٧٨١ ـ (عن عبد الحميد بن جبير بن شيبة) قال المؤلف: حجبي روى عن عمته صفية وابن المسيب وعنه ابن جريج وابن عيينة (قال: جلست إلى سعيد بن المسيب) بتشديد التحتية المفتوحة وقد تكسر وهو من أكابر التابعين وقد سبق ذكره، (فحدثني أن جده حزناً) بفتح حاء وسكون زاي (قدم على النبي ﷺ فقال: ما اسمك؟ فقال: اسمي حزن، قال: بل أنت سهل) أي فإن الحزن ضد السهل، وقد ورد أن الله تعالى يحب السهل الطليق على ما رواه البيهقي وغيره عن أبي هريرة ومنه قوله ﷺ: «اللهم لا سهل إلا ما جعلته سهلاً وأنت تجعل الحزن سهلاً إذا شئت»، وفي القاموس: «الحزن ما غلظ من الأرض والسهل من الأرض ضد الحزن». (قال: «ما أنا بمغير اسماً سمانيه أبي»)، وفي رواية أبي داود لأن السهل يوطأ ويمتهن أي لا أغير اسمي لأن السهل يوطأ ويهان أي يداس بالأقدام، وفيه نوع نزغة من نزغات إبليس وقياساته من التلبيس حيث لم يدر أن من تواضع لله رفعه الله، وأن المرء عند الامتحان يكرم أو يهان، والحاصل أنه كما قيل: الأسماء تنزل من السماء يوفق اسمه حزنه الجبلية مطابقاً للحزن الجبلي، وما أفاده قول الحكيم الإلهي وأبعد الطيبي في قوله: بل أنت سهل أي هذا الاسم غير مناسب لك لأنك حليم لين الجانب ينبغي أن تسمى سهلاً، فإنه لو كان حليماً لين الجانب لراعى أدب جانب النبوة وعمل بمقتضى أخلاق الفتوة ولو بدل اسمه السهل بالحزن فكيف والأمر بالعكس، وقد أباه حتى سرى هذا الطبع في ذريته، (قال ابن المسيب: فما زالت فينا) أي معشر أولاده (الحزونة) أي صعوبة الخلق على ما ذكره السيوطي (بعد) أي بعد إباء أبي اسم السهل من النبي ﷺ. (رواه البخاري).

---

(١) الحاكم في المستدرك ٤/ ٣١١.

الحديث رقم ٤٧٨١: أخرجه البخاري في صحيحه ١٠/ ٥٧٥ الحديث رقم ٦١٩٣، وأبو داود في السنن ٥/ ٢٤١ الحديث رقم ٤٩٥٦، وأحمد في المسند ٥/ ٤٣٣.

٤٧٨٢ ـ (٣٣) وعن أبي وهبٍ الجُشَميِّ، قال: قالَ رسولُ اللَّهِ ﷺ: «تسمَّوا أسماءِ الأنبياءِ، وأحبُّ الأسماءِ إلى الله: عبدُ الله وعبدُ الرَّحمنِ، وأصدقُها حارثٌ وهمامٌ، أقبحها حربٌ ومُرَّةُ». رواه أبو داود.

(٩) باب البيان والشعر

الفصل الأول

٤٧٨٣ ـ (١) عن ابن عمر، قال: قدم رجلانِ من المشرقِ

٤٧٨٢ ـ (وعن أبي وهب الجشمي) بضم جيم وفتح شين معجمة قال المؤلف: اسمه كنيته، وله صحبة (قال: قال رسول الله ﷺ: «تسموا بأسماء الأنبياء») أي دون الملائكة لما سبق، ولا بأسماء الجاهلية من كلب وحمار وعبد شمس ونحوها، («وأحب الأسماء إلى الله عبد الله وعبد الرحمن») أي ونحوهما من عبد الرحيم وعبد الكريم وأمثالهما («وأصدقها حارث وهمام»). فإن الأول بمعنى الكاسب والثاني فعال من هم يهم فلا يخلو إنسان عن كسب وهم بل عن هموم («وأقبحها حرب ومرة») لأن الحرب يتطير بها وتكره لما فيها من القتل والأذى، وأما مرة فلان المركريه ولأن كنية إبليس أو مرة. (رواه أبو داود) وكذا النسائي في مسنده والبخاري في تاريخه.

باب البيان والشعر

في النهاية البيان إظهار المقصود بأبلغ لفظ وهو من الفهم وذكاء القلب وأصله الكشف والظهور، وقال الراغب: الشعر معروف، وشعرت أصبت الشعر ومنه استعير شعرت كذا أي علمت علماً في الدقة كإصابة الشعر قيل: وسمي الشاعر شاعر الفطنتة ودقة معرفته، فالشعر في الأصل اسم للعلم الدقيق في قولهم: ليت شعري صار في التعارف أسماء للموزون المقفى من الكلام، والشاعر للمختص بصناعته اهـ. وقال بعضهم: الشعر كلام مقفى موزون قصداً ليخرج ما وقع في القرآن أو كلام النبوّة قلت: لكن يشكل مع هذا في الكلام الإلهي لعدم تصوّر نفي الإرادة فيه، فإنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن اللهم إلا أن يقال: بأن وقوعه غير مقصود بالذات كما ذكروا في قوله ﷺ: «والخير بيديك والشر ليس إليك».

(الفصل الأوّل)

٤٧٨٣ ـ (عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قدم رجلان من المشرق) أي من جانبه قال الميداني: هما الزبرقان بن بدر وعمرو بن الأهتم وكذا عن الشيخ التوربشتي على ما سيأتي

الحديث رقم ٤٧٨٢: أخرجه أبو داود في السنن ٥/ ٢٣٧ الحديث رقم ٤٩٥٠، وأحمد في المسند ٤/ ٣٤٥.

الحديث رقم ٤٧٨٣: أخرجه البخاري في صحيحه ١٠/ ٢٣٧ الحديث رقم ٥٧٦٧، وأبو داود في السنن

فخطبا، فعَجِبَ الناسُ لبيانِهما، فقال رسولُ الله ﷺ: «إنَّ مِنَ البيانِ لَسِحْراً».

(فخطبا) أي بكلمات محسنات جامعة للبلاغة والفصاحة (فعجب الناس لبيانهما) أي ولفصاحة لسانهما وغرابة شأنهما (فقال رسول الله ﷺ: «إن من البيان لسحراً») أي في استمالة القلوب كالسحر قال التوربشتي: وكان هذا القول منه ﷺ عند قدوم وفد بني تميم، وكان فيهم الزبرقان وعمرو ففخر الزبرقان فقال: يا رسول الله أنا سيد تميم والمطاع فيهم والمجاب أمنعهم من الظلم وآخذ لهم بحقوقهم وهذا يعلم ذلك فقال عمرو: إنه لشديد العارضة مانع لجانبه مطاع في أذنه فقال الزبرقان: «والله يا رسول الله لقد علم مني غير ما قال، وما منعه أن يتكلم إلا الحسد» فقال عمرو: «أنا أحسدك، فوالله أنك لئيم» الحال حديث المال ضيق العطن حمق الولد مضيع في الغيرة، والله يا رسول الله لقد صدقت فيما قلت أوّلاً وما كذبت فيما قلت آخراً ولكني رجل إذا رضيت قلت أحسن ما علمت، وإذا غضبت قلت أقبح ما وجدت، ولقد صدقت في الأولى والأخرى جميعاً فقال النبي ﷺ إن من البيان لسحراً قال الميداني: يضرب هذا المثل في استحسان المنطق، وإيراد الحجة البالغة اهـ. والأظهر أنه ذو وجهين، والمعنى أن بعض البيان بمنزلة السحر في ميلان القلوب له أو في العجز عن الإتيان بمثله، وهذا النوع ممدوح إذا صرف إلى الحق كمذمة الخمر مثلاً ومذموم إذا صرف إلى الباطل كمدحها مثلاً، وفي شرح السنة اختلفوا في تأويله فمنهم من حمله على الذم وذلك أنه ذم التصنع في الكلام والتكلف لتحسينه ليروق للسامعين قوله وليستميل به قلوبهم، وأصل السحر في كلامهم الصرف وسمي السحر سحراً لأنه مصروف عن جهته فهذا المتكلم ببيانه يصرف قلوب السامعين إلى قبول قوله وإن كان غير حق، أو المراد من صرف الكلام فضله وما يتكلف الإنسان من الزيادة فيه من وراء الحاجة قد يدخله الرياء ويخالطه الكذب، وأيضاً قد يحيل الشيء عن ظاهره ببيانه ويزيله عن موضعه بلسانه إرادة التلبيس عليهم فيصير بمنزلة السحر الذي هو تخييل لا حقيقة له، وقيل: أراد به أن من البيان ما يكتسب به صاحبه من الاثم ما يكتسب الساحر بسحره، وقيل: معناه الرجل يكون عليه الحق وهو ألحن بحجته من صاحب الحق فيسحر القوم ببيانه فيذهب بالحق وشاهده قول النبي ﷺ: «إنكم تختصمون إلي ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض»[1] الحديث. وذهب آخرون إلى أن المراد منه مدح البيان، والحث على تحسين الكلام، وتحبير الألفاظ لأن إحدى القرينتين وهو قوله: «إن من الشعر حكماً». على طريق المدح، فكذلك القرينة الأخرى، وقال شارح: هذا ورد للذم أي أن من البيان نوعاً يحل من العقول والقلوب محل السحر، فإن الساحر بسحره يزين الباطل في عين المسحور حتى يراه حقاً، وكذا المتكلم بمهارته في البيان وتفننه في البلاغة وترصيف النظم يسلب عقل السامع

= ٥/ ٢٧٧ الحديث رقم ٥٠١١، والترمذي في ٤/ ٣٢٩ الحديث رقم ٢٠٢٨، ومالك في ٢/ ٩٨١ الحديث رقم ٧، وأحمد في المسند ٤/ ٢٦٣.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ٥/ ٢٨٨ الحديث رقم ٢٦٨٠، ومسلم في ٣/ ١٣٣٧ الحديث رقم (٤ - ١٧١٣).

رواه البخاري.

٤٧٨٤ ـ (٢) وعن أُبَيّ بن كعب، قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: «إنَّ مِنَ الشِّعْرِ حِكمةً». رواه البخاري.

٤٧٨٥ ـ (٣) وعن ابن مسعودٍ قال: قال رسول الله ﷺ: «هلكَ المُتَنَطِّعون»

ويشغله عن التفكر فيه، والتدبر له حتى يخيل إليه الباطل حقاً والحق باطلاً، فبين النبي ﷺ إن جنس البيان وإن كان محموداً فإن فيه ما يذم للمعنى الذي ذكرناه، وأن جنس الشعر وإن كان مذموماً فإن فيه ما يحمد لاشتماله على الحكم وهو ما فيه موعظة وثناء لله ورسوله وزهد في الدنيا ورغبة في الآخرة قلت: ومما يدل على أن البيان في أصله محمود قوله تعالى: ﴿**الرحمن علم القرآن خلق الإنسان علمه البيان**﴾ [الرحمٰن ـ ٤] ومما يدل على أن الشعر في أصله مذموم قوله تعالى: ﴿**والشعراء يتبعهم الغاوون ألم تر أنهم في كل واد يهيمون وأنهم يقولون ما لا يفعلون**﴾ [الشعراء ـ ٢٢٦] الآية وقد كثر الأحاديث في ذمه ومن ثم سموا الأدلة الكاذبة شعراً وقيل في الشعر: أكذبه أحسنه، ولذا قال بعض المفسرين في قول الكفار له ﷺ: «إنه شاعر» يعنون أنه كاذب لأن ما يأتي الشاعر أكثره كذب والله أعلم. وروي عن عمر بن عبد العزيز إن رجلاً طلب إليه حاجة كان يتعذر عليه إسعافه بها فاستمال قلبه بالكلام فأنجزها له ثم قال: هذا هو السحر الحلال، وقال الطيبي: من للتبعيض والكلام فيه تشبيه وحقه أن يقال: إن بعض البيان كالسحر، فقلب وجعل الخبر مبتدأ مبالغة في جعل الأصل فرعاً والفرع أصلاً ووجه الشبه أنه يتغير بتغير إرادة المدح والذم. (**رواه البخاري**)، وكذا مالك وأحمد وأبو داود والترمذي، ورواه أحمد وأبو داود عن ابن عباس بلفظ «إن من البيان سحراً وإن من الشعر حكماً»[1].

٤٧٨٤ ـ **(وعن أبي بن كعب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن من الشعر حكمة»)** أي ما فيه حق وحكمة أو قولاً صادقاً مطابقاً للحق، وقيل: أصل الحكمة المنع، فالمعنى إن من الشعر كلاماً نافعاً يمنع عن السفه والجهل، وهو ما نظمه الشعراء من المواعظ والأمثال التي ينتفع به الناس، فإن الشعر كلام فحسنه كحسن الكلام. (**رواه البخاري**).

٤٧٨٥ ـ **(وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «هلك المتنطعون»)** أي المتكلفون في الفصاحة أو المصوّتون من قعر حلوقهم والمرددون لكلامهم في أفواههم رعونة في القول. قال التوربشتي: أراد بهم المتعمقين الغالين في خوضهم فيما لا يعنيهم من

---

(١) أبو داود في السنن ٥/ ٢٧٧ الحديث رقم ٥٠١١، وأحمد في المسند ١/ ٣٠٣.

الحديث رقم ٤٧٨٤: أخرجه البخاري في صحيحه ١٠/ ٥٣٧ الحديث رقم ٦١٤٥، وأبو داود في السنن ٥/ ٢٧٦ الحديث رقم ٥٠١٠، والترمذي في ٥/ ١٢٦ الحديث رقم ٢٨٤٤، وابن ماجه ٢/ ١٢٣٥ الحديث رقم ٣٧٥٥، والدارمي في ٢/ ٣٨٣ الحديث رقم ٢٧٠٤، وأحمد في المسند ٥/ ١٢٥.

الحديث رقم ٤٧٨٥: أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ٢٠٥٥ الحديث رقم ٢٦٧٠.

قالها ثلاثاً. رواه مسلم.

٤٧٨٦ ـ (٤) وعن أبي هريرة، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «أصدقُ كلمةٍ قالها الشاعر كلمةُ لبيدٍ: ألا كلُّ شيءٍ ما خلا اللهَ باطلٌ».

الكلام، والأصل في المتنطع الذي يتكلم بأقصى حلقه مأخوذ من النطع وهو الغار الأعلى (قالها:) أي هذه الكلمة أو الجملة (ثلاثاً)، إنما ردد القول ثلاثاً تهويلاً وتنبيهاً على ما فيه من الغائلة وتحريضاً على التيقظ والتبصر دونه وكم تحت هذه الكلمة من مصيبة تعود على أهل اللسان والمتكلفين في القول الذين يرومون بسبك الكلام سبي قلوب الرجال، نسأل الله العافية من الدخول في الأوحال. قال الطيبي: لعل المذموم من هذا ما يكون القصد فيه مقصوراً على مراعاة اللفظ ومجيء المعنى تابعاً للفظ، وأما إذا كان بالعكس وكلام الله تعالى وكلام الرسول مصبوب في هذا القالب فيرفع الكلام إلى الدرجة القصوى. قال تعالى حكاية عن الهدهد ﴿وجئتك من سبأ بنبأ يقين﴾ [النمل ـ ٢٢] الكشاف. هذا من جنس الكلام الذي سماه المحدثون البديع، وهو من محاسن الكلام التي يتعلق باللفظ بشرط أن يجيء مطبوعاً أو بصيغة عالم بجوهر الكلام يحفظ معه صحة المعنى وسداده ولقد جاء ههنا زائداً على الصحة فحسن وبدع لفظاً ومعنى، ألا ترى أنه لو وضع مكان بنبأ بخبر لكان المعنى صحيحاً وهو كما جاء أصح لما في النبأ من الزيادة التي يطابقها وصف الحال، وقال أبو الحسن الهروي صاحب دلائل النبوة: «اعلم أن التلاؤم يكون بتلاؤم الحروف وتلاؤم الحركات والسكنات وتلاؤم المعنى، فإذا اجتمعت هذه الوجوه خرج الكلام غاية في العذوبة، وفي حصول بعضها دون بعض انحطاط عن درجة العذوبة، وكلما ظهرت الصيغة أكثر كان الكلام أقرب إلى التعسف. (رواه مسلم)، وكذا أحمد وأبو داود.

٤٧٨٦ ـ (وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: أصدق كلمة) أي جملة من الكلام (قالها الشاعر:) أراد به جنس الشعراء، وفي شمائل الترمذي أشعر كلمة تكلمت بها العرب أي أحسنها وأجودها (كلمة لبيد:

«ألا كل شيء ما خلا الله باطل»

قال النووي: المراد بالباطل الفاني المضمحل، وفي الحديث منقبة للبيد وهو صحابي، قال الطيبي: وإنما كان أصدق لأنه موافق لأصدق الكلام، وهو قوله كل من عليها فان، فإن قلت الأوفق أنه أصدق، لما قال الحق: كل شيء هالك إلا وجهه، وقد بينت وجهه الوجيه في شرح حزب الفتح عند قول الشيخ استغفر الله مما سوى الله وقول بعض العارفين ليس في الدار غير ديار، وقول آخر سوى الله، والله ما في الوجود، وأوضحت معنى التوحيد لتحصيل المريد

الحديث رقم ٤٧٨٦: أخرجه البخاري في صحيحه ١٠/٥٣٧ الحديث رقم ٦١٤٧، ومسلم في ٤/١٧٦٨ الحديث رقم (٢ ـ ٢٢٥٦)، والترمذي في السنن ٥/١٢٨ الحديث رقم ٢٨٤٩، وابن ماجه ٢/١٢٣٥، الحديث رقم ٣٧٥٧.

متفق عليه.

٤٧٨٧ - (٥) وعن عمرو بن الشَّريد، عن أبيه، قال: رَدِفتُ رسولَ الله ﷺ يوماً فقال: «هل معك من شِعْر أميَّة بن أبي الصَّلت شيء؟» قلت: نعم. قال: «هيه» فأنشدتُه بيتاً. فقال: «هيه» ثم أنشدته بيتاً فقال: «هيه» حتى أنشدتُه مائة بيت. رواه مسلم.

إذا كان من أهل المزيد وأما لبيد فهو ابن ربيعة الشاعر العامري قدم على النبي ﷺ سنة وفد قومه بنو جعفر بن كلاب، وكان شريفاً في الجاهلية والإسلام نزل الكوفة ومات بها سنة إحدى وأربعين وله من العمر مائة وأربعون سنة، وقيل: «مائة وسبع وخمسون سنة» ذكره المؤلف ومن جملة فضائله أنه لما أسلم لم يقل: شعراً وقال يكفيني القرآن وتمام كلامه:

وكل نعيم لا محالة زائل　　نعيمك في الدنيا غرور وحسرة
وعيشك في الدنيا محال وباطل

(متفق عليه)، ورواه ابن ماجه.

٤٧٨٧ - (وعن عمرو بن الشريد رضي الله عنه) سبق ذكرهما (عن أبيه قال: ردفت رسول الله ﷺ) بكسر الدال أي ركبت خلفه ورواية الشمائل كنت رديفه يوماً، وهذا يدل على كمال قربه ويشعر إلى كمال حفظه (فقال: هل معك من شعر أمية) بالتصغير (ابن أبي الصلت) بفتح فسكون (شيء) بيانه مقدم قال شارح: وإنما استنشده شعر أمية لأنه كان ثقفياً أدرك مبادىء الإسلام وبلغه خبر المبعث لكنه لم يوفق للإيمان برسول الله ﷺ وقال ميرك: كان رجلاً مترهباً غواصاً في المعاني معتنياً بالحقائق مضمناً لها في أشعاره، ولذا قال ﷺ في شأنه: «كاد أن يسلم». وفي خبر آخر: «آمن لسانه وكفر قلبه» (قلت: نعم. قال: هيه) بكسر هاء وسكون تحتية بينهما أي هات، قال ابن الملك هو بمعنى: أية بكسر الهمزة فأبدلت الهمزة هاء وهو اسم فعل بمعنى الأمر «أي تكلم وقد ينون فتحاً وكسراً للتنكير أي حدث حديثاً (فأنشدته بيتاً) أي قرأت له بيتاً من أشعار أمية فأعجبه (فقال: هيه) أي زد في النهاية تقول للرجل إيه بغير تنوين إذا استزدته من الحديث المعهود بينكما فإن نونته استزدته من حديث مّا غير معهود للتنكير (ثم أنشدته بيتاً فقال: هيه حتى أنشدته مائة بيت)، والغرض أنه ﷺ استحسن شعر أمية واستزاد من إنشاده لما فيه من الإقرار بوحدانية الله تعالى والبعث، وهذا يؤيد قول من قال من أرباب الحال: «انظر إلى ما قال، ولا تنظر إلى من قال»، ويوافق حديث الحكمة ضالة المؤمن، وفيه استحباب إنشاد الشعر المحمود المشتمل على الحكمة. (رواه مسلم).

الحديث رقم ٤٧٨٧: أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ١٧٦٧ الحديث رقم (١ - ٢٢٥٥)، وابن ماجه في السنن ٢/ ١٢٣٦ الحديث رقم ٣٧٥٨، وأحمد في المسند ٤/ ٣٩٠.

٤٧٨٨ ـ (٦) وعن جُنْدُب: أنَّ النبيَّ ﷺ كان في بعض المشاهد وقد دَمِيتْ إصْبَعُهُ فقال:

«هَلْ أنتِ إلا إصْبَعٌ دَمِيتِ وفي سبيلِ اللّهِ [٣٦٠ ـ أ] ما لقيتِ»

٤٧٨٨ ـ (وعن جندب) بضم الجيم وسكون النون وضم الدال المهملة وفتحها أيضاً وهو ابن عبد الله بن سفيان البجلي، روى عنه جماعة، مات في فتنة ابن الزبير ذكره المؤلف في فصل الصحابة (إن النبي ﷺ كان في بعض المشاهد) أي المغازي وهو غزوة أحد على ما قاله العلامة الكرماني في شرح البخاريّ، ووقع في صحيح مسلم كان النبي ﷺ في غار، فدميت أصبعه قال القاضي عياض: قال أبو الوليد الباجي: لعله غازياً فتصحف، قلت: الأظهر في التصحيف أن يقال في غاز بالزاي والتقدير في فريق غاز أي معهم ثم قال الباجي: لما قال في الرواية الأخرى في بعض المشاهد، ولما جاء في رواية للبخاري يعني في كتاب الأدب بينما النبي ﷺ يمشي إذ أصابه حجر فدميت أصبعه قال القاضي عياض: وقد يراد بالغار الجيش والجمع لا الغار الذي هو الكهف ليوافق رواية بعض المشاهد ومنه قول علي كرم الله وجهه «ما ظنك يا مري، جمع بين هذين الغارين» أي العسكرين، وقال العسقلاني: وقع في رواية شعبة عن الأسود خرج إلى الصلاة، أخرجه الطيالسي وأحمد، قلت: يمكن الجمع بأنه كان في غزوة وخرج إلى الصلاة فآجره مرتين أو في سبيل الله كرتين، (وقد دميت) بفتح الدال (اصبعه) بكسر الهمزة وفتح الموحدة على ما في الأصول، وفي القاموس أنه مثلث الهمزة والباء ففيه تسع لغات عاشرها أصبوع، وفي الشمائل أصاب حجر أصبع النبي ﷺ فدميت (فقال:) أي النبي ﷺ اتفاقاً على مقتضى الطبع السليم السليقي من غير قصد إلى وزنه كما يقع لكثير من الناس:

(هَلْ أنتِ إلا أصبع «دميت»)

الاستفهام في معنى. النفي ودميت صفة أصبع والمستثنى منه أعم عام الصفة أي ما أنت يا أصبع موصوفة بشيء من الأشياء إلا بأن دميت كأنها لما تجرحت وتوجعت خاطبها على سبيل الاستعارة أو الحقيقة مسلياً لها، والمعنى هوّني على نفسك فإنك ما ابتليت بشيء من الهلاك والقطع سوى إنك دميت ولم يكن ذلك هدراً، بل كان في سبيل الله ورضاه كما أفاده بقوله:

(«وفي سبيل الله ما لقيت»)

ما موصولة[١] أي الذي لقيته هو في سبيل الله لا في سبيل غيره فلا يكون ضائعاً فافرحي به قيل: ويجوز أن يكون ما نافية أي ما لقيت شيئاً تحقيراً لما لقيه فيه قلت: هذا تحصيل للحاصل لأنه استفيد من المصراع الأوّل مع ما يوهم إطلاقه من الخلل فتأمل، قال السيوطي:

الحديث رقم ٤٧٨٨: أخرجه البخاري في صحيحه ٦/ ١٩ الحديث رقم ٢٨٠٢، ومسلم في ٣/ ١٤٢١ الحديث رقم (١١٢ ـ ١٧٩٦)، وأحمد في المسند ٤/ ٣١٢.

(١) في المخطوطة «موصوفة».

متفق عليه.

٤٧٨٩ ـ (٧) وعن البَراءِ، قال: قال النبيُّ ﷺ يومَ قُريظةَ

الرواية بكسر التاء فيهما ومن قال: إنهما بالسكون فراراً من الوزن يعارضه أنه مع السكون أيضاً موزون من الكامل واختلفوا هل قاله النبي ﷺ: منشئاً أو متمثلاً، وبالثاني جزم الطبري وغيره، فقيل: هو للوليد بن الوليد بن المغيرة، وقيل: لعبد الله بن رواحة قاله في غزوة مؤتة وقد أصيبت أصبعه، وبعده:

يا نفس إن لا تقتلي تموتي ... هذي حياض الموت قد صليت
وما تمنيت فقد لقيت ... إن تفعلي فعلهما هديت

أي فعل زيد بن حارثة وجعفر بن أبي طالب اهـ. وقد جزم به بعض شراح المصابيح بأن الرجز [الذي] في الحديث قول ابن رواحة وقد تلفظ به النبي ﷺ، قلت: الظاهر أن ابن رواحة ضمن كلامه ﷺ تبركاً وصدر به شعراً صدر من صدره تيمناً لأن قضية مؤتة متأخرة عن غزوة أحد مع احتمال التوارد والله أعلم. قال الخطابي: اختلف الناس في هذا وما أشبهه من الرجز الذي جرى على لسان النبي ﷺ في بعض أسفاره وأوقاته، وفي تأويل ذلك مع شهادة الله تعالى بأنه لم يعلمه الشعر وما ينبغي له، فذهب بعضهم [إلى أن الرجز ليس بشعر وذهب بعضهم] إلى أن هذا وما أشبهه وإن استوى على وزن الشعر فإنه لم يقصد به الشعر إذ لم يكن صدوره عن نية له وروية فيه، وإنما هو اتفاق كلام يقع أحياناً فيخرج منه الشيء بعد الشيء على أعاريض الشعر، وقد وجد في كتاب الله العزيز من هذا القبيل وهذا مما لا يشك فيه أنه ليس بشعر، وقال بعضهم معنى قول الله تعالى: ﴿وما علمناه الشعر وما ينبغي له﴾ [يس ـ ٦٩] الرد على المشركين في قولهم بل افتراه بل هو شاعر والبيت الواحد من الشعر لا يلزمه هذا الاسم فلا يخالف معنى الآية هذا مع قوله: «إن من الشعر لحكمة»، وإنما الشاعر هو الذي قصد الشعر ونشبه ويصنه ويمدحه ويتصرف تصرف الشعراء في هذه الأفانين وقد برأ الله رسوله ﷺ من ذلك وصان قدره، وأخبر أن الشعر لا ينبغي له وإذا كان مراد الآية هذا المعنى لم يضر أن يجري على لسانه الشيء اليسير منه فلا يلزمه الاسم المنفي عنه. قال القاضي عياض: وقد غفل بعض الناس وقال: «رواية أنا النبي لا كذب» بفتح الباء «وأنا ابن عبد المطلب» بالخفض، وكذا قوله: دميت» من غير مد حرصاً منه على أنه بغير الرواية ليستغني عن الاعتذار، وإنما الرواية بإسكان الباء والمد اهـ. وسبق أن القصر ما يضر بالوزن وأما ما في بعض النسخ من ضبط قوله: «دميت ولقيت» على صيغة الغائبة وإن كان يخرجه عن حيز الوزن لكن لا أصل له أصلاً. (متفق عليه).

٤٧٨٩ ـ (وعن البراء) أي ابن عازب رضي الله عنه (قال: قال النبي ﷺ: يوم قريظة) أي

الحديث رقم ٤٧٨٩: أخرجه البخاري في صحيحه ٦/ ٣٠٤ الحديث رقم ٣٢١٦، ومسلم في ٤/ ١٩٣٣ الحديث رقم (٥١ ـ ٢٤٨٥).

لحسانَ بن ثابتٍ: «أهجُ المشركين، فإنَّ جبريلَ معكَ» وكان رسولُ الله ﷺ يقولُ لحسان: «أجبْ عني، اللَّهمَّ أيِّده بروحِ القُدُس». متفق عليه.

٤٧٩٠ ـ (٨) وعن عائشة [رضي الله عنها] أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «أهجوا قريشاً؛ فإنَّه أشدُّ عليهم من رَشْقِ النَّبْلِ». رواه مسلم.

يوم محاصرة بني قريظة طائفة من اليهود في أطراف المدينة (لحسان) بغير الصرف على الأصح (ابن ثابت)، قال المؤلف: أنصاري خزرجي شاعر رسول الله ﷺ وهو من فحول الشعراء أجمعت العرب على أن أشعر أهل المدر حسان بن ثابت، روى عنه عمر وأبو هريرة وعائشة، مات في خلافة علي وله مائة وعشرون سنة عاش منها ستين سنة في الجاهلية وستين في الإسلام (اهج المشركين) أمر بالهجو ابتداء أو جواباً (فإن جبريل) بكسر الجيم وفيه أربع قرآن متواترات ذكرناها سابقاً أي الروح الأمين (معك) أي معين لك وملهم إياك والحديث إلى هنا متفق عليه من حديث البراء، وأما ما بعده فمتفق عليه من حديث أبي هريرة كما سيأتي بيانه، (وكان رسول الله ﷺ يقول لحسان: «أجب عني») أي من قبلي وعوضاً عن جانبي («اللهم أيده») أي قوّ حسان («بروح القدس») بضم الدال ويسكن أي بجبريل سمي به لأنه كان يأتي الأنبياء بما فيه حياة القلوب، فهو كالمبدأ لحياة القلب كما أن الروح مبدأ حياة الجسد، والقدس صفة للروح وإنما أضيف إليه لأنه مجبول على الطهارة والنزاهة عن العيوب، وقيل: القدس بمعنى المقدس وهو الله، فإضافة الروح إليه للتشريف ثم تأييده إمداده له بالجواب وإلهامه لما هو الحق والصواب، قيل: لما دعاه أعانه جبريل تسعين بيتاً. (متفق عليه) أي من حديث أبي هريرة، ورواه أبو داود والنسائي أيضاً من حديث أبي هريرة وقد حقق ميرك شاه [رحمه الله] حيث قال: ظاهر إيراد المؤلف يقتضي أن قوله: وكان رسول الله ﷺ يقول لحسان أجب الخ من حديث البراء وليس كذلك بل يفهم من الصحيحين إن حديث البراء ينتهي إلى قوله: فإن جبريل معك، وقوله: وكان الخ من حديث أبي هريرة لا من حديث البراء.

٤٧٩٠ ـ (وعن عائشة رضي الله عنها إن رسول الله ﷺ قال لشعراء المسلمين: اهجوا قريشاً) أي مجازاة لمهاجاتهم (فإنه) أي الهجو (أشد) أي أصعب (عليهم) وأكثر تأثيراً فيهم (من رشق النبل) بفتح الراء وسكون الشين المعجمة وبالقاف والنبل بفتح النون فسكون موحدة فلام أي من رمي السهم إليهم، قال النووي: الرشق بفتح الراء، الرمي بالسهم وبالكسر النبل التي ترمي دفعة واحدة وفيه جواز هجو الكفار وإذا هم ما لم يكن لهم أمان لأن الله تعالى قد أمر بالجهاد فيهم والأغلاظ عليهم لأن في الأغلاظ بياناً لنقصهم، والانتصار منهم لهجائهم المسلمين، ولا يجوز ابتداء لقوله تعالى: ﴿ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدواً بغير علم﴾ [الأنعام ـ ١٠٨] (رواه مسلم).

الحديث رقم ٤٧٩٠: أخرجه مسلم في صحيحه ٤/١٩٣٥ الحديث رقم (١٥٧ ـ ٢٤٩٠).

٤٧٩١ ـ (٩) وعنها، قالت: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول لحسانَ: «إنَّ روحَ القُدُس لا يزال يؤيِّدُكَ ما نافحتَ عن اللّهِ ورسوله». وقالت: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «هجاهُم حسَّانُ فشفى واشتفى». رواه مسلم.

٤٧٩٢ ـ (١٠) وعن البَراء، قال: كانَ رسولُ الله ﷺ ينقُل الترابَ يومَ الخندقِ حتى أغبرَ بطنُهُ يقول:

واللّهِ لولا اللّهُ ما اهتدينا ولا تصدَّقنا ولا صلَّينا
فأنزلنْ سكينةً علينا وثبِّتِ الأقدامَ إن لاقينا

٤٧٩١ ـ (وعنها) أي عن عائشة رضي الله عنه (أنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول لحسان: «إن روح القدس لا يزال يؤيدك») بفتح الهمزة ويجوز إبدالها واواً («ما نافحت عن الله ورسوله») أي دافعت وخاصمت واجتهدت في الذب عن حريمهما، في النهاية المنافحة المدافعة والمضاربة، والمراد بمنافحة هجاء المشركين ومحاربتهم على إشعارهم، قال التوربشتي: المعنى إن شعرك هذا الذي تنافح به عن الله وعن رسوله يلهمك الملك سبيله بخلاف ما تقوله الشعراء إذا اتبعوا الهوى وهاموا في كل واد فإن مادة قولهم من إلقاء الشيطان إليهم، (وقالت:) أي عائشة (سمعت رسول الله ﷺ يقول: «هجاهم حسان فشفى») أي المسلمين («واشتفى») أي بنفسه، قال التوربشتي: ويحتمل أنه أراد بالكلمتين التأكيد أي شفى الغيظ بما أمكنه. (رواه مسلم).

٤٧٩٢ ـ (وعن البراء رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ ينقل التراب) أي مع الأصحاب (يوم الخندق) أي يوم الأحزاب (حتى اغبر بطنه) أي صار ذا غبار (يقول:) استئناف أو بدل من ينقل أو حال من ضميره (والله) قسم (لولا الله) أي لو هدايته أو فضله علينا معشر الإسلام بأن هدانا (ما اهتدينا) أي بنفسنا إلى الإسلام وهو مقتبس من قوله تعالى: ﴿وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله﴾ [الأعراف ـ ٤٣] (ولا تصدقنا) أي على وجه الإخلاص (ولا صلينا) أي صلاة الاختصاص (فأنزلن سكينة) أي وقاراً وطمأنينة (علينا)، وهو مستفاد من قوله سبحانه: ﴿فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين﴾ [الفتح ـ ٢٦] (وثبت الأقدام) أي أقدامنا (إن لاقينا) أي إن رأينا الكفار وبلغنا إليهم ثبتنا على محاربتهم وانصرنا عليهم، وهو مأخوذ من قوله عزّ وجلّ: ﴿وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين﴾ [البقرة ـ ٢٥٠] (إن الأولى) مقصور أولاء وهو لغة فيه، والإشارة إلى أهل مكة والأحزاب الذين تحزبوا معهم يومئذ (قد بغوا علينا) أي تكبروا وتجبروا وتعدوا بالظلم علينا والسبب في ذلك أنهم كما قال: (إذا

الحديث رقم ٤٧٩١: أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ١٩٣٥ الحديث رقم (١٥٧ ـ ٢٤٩٠).
الحديث رقم ٤٧٩٢: أخرجه البخاري في صحيحه ٧/ ٣٩٩ الحديث رقم ٤١٠٤. ومسلم في ٣/ ١٤٣٠ الحديث رقم (١٢٥ ـ ١٨٠٣). وأحمد في المسند ٤/ ٣٠٢.

إنَّ الأولى قد بغَوْا علينا إذا أرادوا فتنةً أبَينا

يرفع بها صوته: «أبَينا أبَينا». متفق عليه.

٤٧٩٣ ـ (١١) وعن أنسٍ، قال: جعلَ المهاجرون والأنصارُ يحفِرون الخندَقَ وينقلونَ الترابَ وهم يقولون:

نحن الذين بايعوا محمَّدا على الجهادِ ما بقينا أبدا

يقول النبي ﷺ وهو يجيبهم:

«اللهمَّ لا عيشَ إلاّ عيشُ الآخره فاغفر للأنصارِ والمهاجره»

أرادوا فتنة) أي شركاً أو قتلاً ونهباً أو إضلالنا وإعادتنا في ملتهم **(أبينا)** أي امتنعنا عن القبول أشد الامتناع على ما في النهاية، وفيه إشارة إلى قوله تعالى: **﴿إن يثقفوكم يكونوا لكم أعداء ويبسطوا إليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء وودّوا لو تكفرون﴾** [الممتحنة ـ ٢] **(يرفع)** أي النبي ﷺ **(بها)** أي بهذه الكلمة أو بجملة أبينا **(صوته)** قائلاً **(أبينا أبينا)** أي مكرراً للتأكيد والتلذذ والتسميع لغيره من المسلمين والكافرين قال الطيبي: الضمير في بها راجع إلى الأبيات وأبينا أبينا حال أي خصوصاً أبينا أبينا، ويحتمل أن يكون مفعولاً مطلقاً، ويجوز أن يكون الضمير في بها مبهم مفسر بقوله: أبينا كقوله تعالى: **﴿كبرت كلمة تخرج من أفواههم﴾** [الكهف ـ ٥] **(متفق عليه)**.

٤٧٩٣ ـ **(وعن أنس رضي الله عنه قال: جعل المهاجرون والأنصار يحفرون الخندق)** وهو حفرة كبيرة عريضة طويلة حاجزة بين المسلمين والكافرين، **(وينقلون التراب وهم يقولون: نحن الذين بايعوا محمداً)** بفتح التحتية ماض من المبايعة **(على الجهاد ما بقينا)** بكسر القاف أي ما عشنا **(أبداً يقول النبي ﷺ)** استئناف جواباً لما يقال، فما كان يقول وقوله **(وهو يجيبهم)** جملة حالية معترضة بين القول ومقولة وهو: **(«اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة»)** وهي بهاء ساكنة للوقف، وفي نسخة بالتاء المخفوضة أي الحياة الهنيئة الدائمة هي حياة الآخرة وفيه تسلية للأصحاب عن تحمل مشاقهم في مجاهدة الأحزاب، كقوله تعالى: **﴿وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور﴾** [آل عمران ـ ٨٥] **﴿وإن الآخرة هي دار القرار﴾** [غافر ـ ٣٩] **﴿والآخرة خير وأبقى﴾** [الأعلى ـ ١٧] **﴿والآخرة خير لمن اتقى﴾** [النساء ـ ٧٧] وأمثال ذلك. وقال النووي: هو ما يسد الرمق، وقال القرطبي: أي ما يقربهم ويكفيهم بحيث لا يشعرهم الجهد ولا يرهقهم الفاقة ولا تزلهم المسألة والحاجة ولا يكون في ذلك أيضاً فضول يخرج إلى الترفه والتبسط في الدنيا والركون إليها. وقال الطيبي: يعني أنهم إذا وفوا بما عاهدوا الله ورسوله جازاهم مجازاة ليس بعدها ولا يكون ذلك إلا في الآخرة **(فاغفر للأنصار والمهاجرة)** أي فاغفر لهم الآن ليكون ذلك

الحديث رقم ٤٧٩٣: أخرجه البخاري في صحيحه ٦/ ٤٦ الحديث رقم ٢٨٣٥، ومسلم في ٣/ ١٤٣٢ الحديث رقم (١٣٠ ـ ١٨٠٥) وأحمد في المسند ٣/ ١٧٢.

متفق عليه.

٤٧٩٤ ـ (١٢) وعن أبي هريرة، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «لأن يمتلىء جوفُ رجلٍ قيْحاً يَرِيهِ خيرٌ من أن يمتلىءَ شِعراً». متفق عليه.

الفصل الثاني

٤٧٩٥ ـ (١٣) عن كعبِ بنِ مالكٍ،

سبباً للمطلوب اهـ، ضمن اغفر معنى استر، وفي نسخة للأنصار فيقرأ بالنقل مراعاة للوزن والتاء في المهاجرة للجمع يريد جماعة المهاجرين (متفق عليه)، ورواه النسائي.

٤٧٩٤ ـ (وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: لأن يمتلىء) بهمزة في آخره (جوف رجل قيحاً) نصبه على التمييز أي صديداً ودماً وما يسمى نجاسة (يريه) بفتح ياء وكسر راء وسكون ياء أخرى صفة قيح أي يفسده من الورى وهو داء يفسد الجوف، ومعناه قيحاً يأكل جوفه ويفسده، وقيل: أي يصل إلى الرئة ويفسدها ورد بأن المشهور في الرئة الهمز (خير من أن يمتلىء) أي ما في جوفه من الصدر والقلب (شعراً) أي مذموماً. في شرح مسلم قالوا: المراد منه أن يكون الشعر غالباً عليه متولياً بحيث يشغله عن القرآن وغيره من العلوم الشرعية وذكر الله تعالى، وهو مذموم من أي شعر كان وإلا فلا يضره حفظ اليسير من الشعر لأن جوفه ليس ممتلئاً شعراً، وقيل: هذا الذم مختص بمعين كما يجيء في الفصل الثالث، وقال السيوطي: قيل: خاص بشعر هجي به النبي ﷺ لرواية شعر أهجيت به قلت: الظاهر الإطلاق وهو يدخل فيه دخولاً أولياً ولعل وجه تخصيصه بالذكر تنبيهاً على أنه أقبح أنواعه أو إشعاراً بأن الشعر مذموم لأنه قد يؤدي إلى ذلك وإلا فلا يحتاج إلى قيد الامتلاء كما لا يخفى على أرباب الإملاء، فإن هذا النوع من الشعر وما يلحق به من هجو مسلم أو افتراء مذموم سواء امتلأ الجوف أم لا. (متفق عليه)، ورواه أبو داود والترمذي وابن ماجه. ذكره ميرك، وفي الجامع الصغير رواه أحمد والشيخان والأربعة[1].

(الفصل الثاني)

٤٧٩٥ ـ (عن كعب بن مالك) أنصاري خزرجي وكان أحد شعراء النبي ﷺ، روى عنه

الحديث رقم ٤٧٩٤: أخرجه البخاري في صحيحه ١٠/ ٥٤٨ الحديث رقم ٦١٥٥، ومسلم في ٤/ ١٧٦٩ الحديث رقم (٧ ـ ٢٢٥٧) وأبو داود في السنن ٥/ ٢٧٦ الحديث رقم ٥٠٠٩، والترمذي في ٥/ ١٢٩ الحديث رقم ٢٨٥١، وابن ماجه في ٢/ ١٢٣٦ الحديث رقم ٣٧٥٩، والدارمي في ٢/ ٣٨٤ الحديث رقم ٢٧٠٥، وأحمد في المسند ١/ ١٧٥.

(١) الجامع الصغير ٢/ ٤٤٢ الحديث رقم ٧٢١٨.

الحديث رقم ٤٧٩٥: أخرجه البغوي في شرح السنة ١٢/ ٣٧٨ الحديث رقم ٣٤٠٩، وأحمد في المسند ٣/ ٤٥٦.

أنه قال للنبيِّ ﷺ: «إنَّ اللّهَ تعالى قد أنزلَ في الشعرِ ما أنزلَ. فقال النبيُّ ﷺ: «إنَّ المؤمنَ يُجاهدُ بسيفِهِ ولسانِهِ، والذي نفسي بيدِهِ لكأنَّما ترمونَهم به نَضْحَ النبلِ». رواه في شرح السنة.

وفي «الاستيعاب» لابن عبدِ البرِّ، أنَّهُ قال: يا رسولَ اللهِ! [٣٦٠ ـ ب ـ] ماذا ترى في الشِّعْرِ؟ فقال: «إنَّ المؤمنَ يُجاهدُ بسيفِهِ ولسانِهِ».

٤٧٩٦ ـ (١٤) وعن أبي أُمامةَ عن النبيِّ ﷺ قال: «الحياءُ والعِيُّ

جماعة ومات سنة خمسين وهو ابن سبع وسبعين سنة بعد أن عمي، ذكره المؤلف وقال ابن عبد البر في الاستيعاب عن ابن سيرين قال: كان شعراء المسلمين حسان بن ثابت وعبد الله بن رواحة وكعب بن مالك، وكان كعب يخوفهم الحرب. قال ابن سيرين: بلغنا أن دوساً إنما أسلمت فرقاً من قول كعب بن مالك، ثم اعلم أنه وقع في بعض النسخ هنا عن أبيه، وهو خطأ فاحش، (**أنه قال:**) أي كعب (**للنبي ﷺ: إن الله تعالى قد أنزل في الشعر**) أي في حقه (**ما أنزل**) أي من الذم، فكأنه لما سمع قوله تعالى: ﴿**والشعراء يتبعهم الغاوون**﴾ [الشعراء ـ ٢٢٤] أنكر على نفسه الشعر، (**فقال النبي ﷺ: «إن المؤمن يجاهد بسيفه ولسانه، والذي نفسي بيده لكأنما ترمونهم»**) اللام زائدة لتأكيد القسم، والتقدير: والذي نفسي بيده إنما ترمونهم» (**به**) أي بالشعر أو باللسان (**«نضح النبل»**) بالنصب أي نضحاً مثل نضح النبل؛ وقال الطيبي: أي كنضح النبل لأن أصل كان زيد الأسد إن زيداً كالأسد فقدم حرف التشبيه اهتماماً به، ويدل عليه ما في الفصل من قوله، والفصل بينه وبين الأصل أنك ههنا بأن كلامك على التشبيه من أول الأمر، وثم بعد مضي صدره على الإثبات. وقال القاضي: نضح النبل رميه مستعار من نضح الماء، والمعنى أن هجاءهم يؤثر فيهم تأثير النبل، وقام قيام الرمي في النكاية بهم؛ وقال الطيبي: خلاصة جوابه ﷺ أنه ليس فيه ذم الشعر على الإطلاق فإن ذلك في شأن الهائمين في أودية الضلال، وأما المؤمن فهو خارج من ذلك الحكم لأنه إحدى عدتيه في ذب الكفار من اللسان والسنان، بل هو أعدى وأبلى كما قال ﷺ: «فإنه أشد عليهم من رشق النبل»، وإليه ينظر قول الشاعر:

جراحات السنان لها التئام ... ولا يلتأم ما جرح اللسان

(**رواه في شرح السنة**). قال ميرك بإسناد الصحيحين، إلا أحمد بن منصور، فإنه عالم ثبت؛ (**وفي الاستيعاب لابن عبد البر أنه قال: يا رسول الله ما ترى في الشعر؟ فقال: «إن المؤمن يجاهد بسيفه ولسانه»**)، قلت: وقد رواه أحمد والطبراني عن كعب بن مالك مرفوعاً «إن المؤمن يجاهد بسيفه ولسانه».

٤٧٩٦ ـ (**وعن أبي أمامة**) أي الباهلي (**عن النبي ﷺ قال: الحياء والعي**) بكسر العين المهملة وتشديد التحتية أي العجز في الكلام والتحير في المرام، والمراد به في هذا المقام هو

الحديث رقم ٤٧٩٦: أخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٣٢٩ الحديث رقم ٢٠٢٧، وأحمد في المسند ٥/ ٢٦٩.

شُعبتانِ من الإيمانِ، والبَذاءُ والبيانُ شعبتان من النِّفاقِ». رواه الترمذي.

٤٧٩٧ ـ (١٥) وعن أبي ثعلبةَ الخُشَنيّ، أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «إنَّ أحبَّكُمْ إليَّ وأقربَكم مني يومَ القيامةِ، أحاسنُكم أخلاقاً، وإنَّ أبغضَكُم إليَّ وأبعدَكم مني، مساويكم أخلاقاً».

السكوت عما فيه اثم من النثر والشعر لا ما يكون للخلل في اللسان (**شعبتان من الإيمان**)، فإن المؤمن يحمله الإيمان على الحياء فيترك القبائح حياء من الله تعالى ويمنعه عن الاجتراء على الكلام شفقة عن عثرة اللسان فهما شعبتان من شعب الإيمان، والحاصل أن الإيمان منشؤهما ومنشأ كل معروف وإحسان، (**والبذاء**) بفتح موحدة فذال معجمة، فحش الكلام أو خلاف الحياء، (**والبيان**) أي الفصاحة الزائدة عن مقدار حاجة الإنسان من التعمق في النطق وإظهار التفاصح للتقدم على الأعيان، (**شعبتان من النفاق**)! ومنه قوله تعالى: ﴿**ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو ألد الخصام**﴾ [البقرة ـ ٢٠٤] قال القاضي: لما كان الإيمان باعثاً على الحياء والتحفظ في الكلام والاحتياط فيه عدا من الإيمان وما يخالفهما من النفاق، وعلى هذا يكون المراد بالعي ما يكون بسبب التأمل في المقال والتحرز عن الوبال لا للخلل في اللسان، وبالبيان ما يكون سببه الاجتراء وعدم المبالاة بالطغيان والتحرز عن الزور والبهتان. (**رواه الترمذي**) وقد قال: حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث محمد بن مطرف اهـ، ورجاله رجال الصحيحين، كذا نقله ميرك عن التصحيح، وقد رواه الإمام أحمد في مسنده والحاكم في مستدركه.[1]

٤٧٩٧ ـ (**وعن أبي ثعلبة الخشني**) رضي الله عنه مر ذكره (**إن رسول الله ﷺ قال: «إن أحبكم إلي»**) أي في الدنيا (**«وأقربكم مني يوم القيامة»**) أي منزلة (**«أحاسنكم أخلاقاً»**) نصبه على التمييز وجمعه لإرادة الأنواع أو لمقابلة الجمع بالجمع، (**«وإن أبغضكم إلي»**) أي في الدنيا (**«وأبعدكم مني»**) أي في العقبى (**«مساويكم أخلاقاً»**) بفتح الميم وكسر الواو جمع مسوأ بفتح الميم والواو، كمحاسن في جمع محسن وهو إما مصدر وصف به وإما اسم مكان أي محال سوء الأخلاق، ويروى أساويكم وهو جمع أسوأ كأحاسن جمع أحسن وهو مطابق لما في أصل المصابيح، هذا مجمل الكلام في مقام المرام، وقال القاضي: افعل التفضيل إذا أضيف على معنى أن المراد به زائد على المضاف إليهم في الخصلة التي هو وهم مشتركون فيها جاز الافراد والتذكير في الحالات كلها وتطبيقها لما هو وصف له لفظاً ومعنى، وقد جمع الوجهان في الحديث فأفرد أحب وأبغض وجمع أحاسن وأساوي في رواية من روى أساويكم بدل مساويكم وهو جمع مسوأ كمحاسن في جمع محسن، وهو إما مصدر ميمي نعت به ثم

---

(١) الحاكم في المستدرك ١/ ٩.

الحديث رقم ٤٧٩٧: أخرجه أحمد في المسند ٤/ ١٩٣، والبيهقي في شعب الإيمان ٤/ ٢٥٠ الحديث رقم ٤٩٦٩.

الثرثارون، المتشدِّقون، المتفيهقون». رواه البيهقي في «شعب الإيمان».

٤٧٩٨ ـ (١٦) وروى الترمذي نحوَه عن جابر، وفي روايته قالوا: يا رسول الله! قد علمنا الثرثارونَ والمتشدقون، فما المتفيهقون؟ قال: «المتكبرون».

جمع، أو اسم مكان بمعنى الأمر الذي فيه السوء، فأطلق على المنعوت به مجازاً. وقال الدارقطني: أراد بأبغضكم، بغيضكم وبأحبكم للتفضيل فلا يكون المخاطبون بأجمعهم مشتركين في البغض والمحبة، وقال الحاجبي: تقديره أحب المحبوبين منكم وأبغض المبغوضين منكم، ويجوز إطلاق العام وإرادة الخاص للقرينة. قال الطيبي: إذا جعل الخطاب خاصاً بالمؤمنين، فكما لا يجوز أبغضكم لا يجوز بغيضكم لاشتراكهم في المحبة، فالقول ما ذهب إليه ابن الحاجب لأن الخطاب عام يدخل فيه البر والفاجر والموافق والمنافق، فإذا أريد به المنافق الحقيقي فالكلام ظاهر، وإذا أريد به غير الحقيقي كما سبق في باب علامات النفاق فمستقيم أيضاً، كما يدل عليه قوله: (الثرثارون) الخ، وهو إما بدل من مساويكم أخلاقاً فيلزم أن تكون هذه الأوصاف أسوأ الأخلاق لأن المبدل كالتمهيد والتوطئة وإما رفع على الذم فإنه خبر مبتدأ محذوف، فيكون أشنع وأبلغ. وفي النهاية الثرثارون هم الذين يكثرون الكلام تكلفاً وخروجاً عن الحق من الثرثرة وهي كثرة الكلام وترديده (المتشدقون) أي المتوسعون في الكلام من غير احتياط واحتراز، وقيل: أراد بالمتشدق المستهزىء بالناس يلوي شدقه لهم وعليهم، وقيل: هم المتكلفون في الكلام فيلوي به شدقيه، والشدق جانب الفم (المتفيهقون) أي الذين يملؤون أفواههم بالكلام ويفتحونها من الفهق، وهو الامتلاء والاتساع، قيل: وهذا من التكبر والرعونة، والحاصل أن كل ذلك راجع إلى معنى التزيد في الكلام ليميل بقلوب الناس وأسماعهم إليه؛ قال الطيبي: وزاد في الفائق والنهاية على هذا أي على هذا الحديث أو على هذا الوصف المعهود الموطؤون أكنافاً الذين يألفون يؤلفون، قال: وهذا مثل وحقيقته من التوطئة، وهي التمهيد والتذليل، وفراش وطيء لا يؤذي جنب النائم، والأكناف الجوانب أراد الذين جوانبهم وطيئة يتمكن فيها من يصاحبهم ولا يتأذى. (**رواه البيهقي في شعب الإيمان**).

٤٧٩٨ ـ (**وروى الترمذي نحوه**) أي مثله معنى لا لفظاً (**عن جابر**). قال ميرك: ولم يقل فيه: مساويكم أخلاقاً بل قال: وأبعدكم مني مجلساً يوم القيامة الثرثارون الخ؛ (**وفي روايته**) أي رواية جابر والترمذي (**قالوا: «يا رسول الله قد علمنا الثرثارون والمتشدقون فما المتفيهقون قال: المتكبرون»**) أي المظهرون للكبرياء والعظمة في أقوالهم وأفعالهم. قال النووي في الأذكار: يكره التقعر في الكلام وبالتشدق وتكلف السجع، والفصاحة والتصنع بالمقدمات التي يعتادها المتفاصحون من زخارف القول، فكل ذلك من التكلف المذموم، وكذلك التحري في دقائق الأعراب ووحشي اللغة في حال مخاطبة العوام، بل ينبغي أن يقصد في مخاطبته إياهم لفظاً يفهمونه فهماً جلياً، ولا يدخل في الذم تحسين القادر للخطب والمواعظ إذا لم يكن فيها إفراط

الحديث رقم ٤٧٩٨: أخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٣٢٥ الحديث رقم ٢٠١٨.

٤٧٩٩ ـ (١٧) وعن سعدِ بنِ أبي وقاصٍ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «لا تقومُ الساعةُ حتى يخرجَ قومٌ يأكلونَ بألسنتِهم كما تأكل البقرةُ بألسنتِها». رواه أحمد.

٤٨٠٠ ـ (١٨) وعن عبدِ الله بن عُمر، أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «إنَّ اللّهَ يُبغضُ البليغَ مِنَ الرجالِ الذي يتخلَّلُ بلسانِهِ كما يتخلَّلُ الباقرةُ بلسانِها». رواه الترمذي، وأبو داود، وقال الترمذي: هذا حديثٌ غريب.

وإغراب، لأن المقصود منها تهييج القلوب إلى طاعة الله تعالى؛ ولحسن اللفظ في هذا أثر ظاهر

٤٧٩٩ ـ (**وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى يخرج قوم يأكلون بألسنتهم كما تأكل البقرة»**) بفتحتين، وفي نسخة الباقرة، وهي جماعة البقرة (**«بألسنتها»**) أي يجعلون ألسنتهم وسائل أكلهم كالبقرة تأخذ العلف بلسانها، قال التوربشتي: ضرب للمعنى مثلاً يشاهده الراؤون من حال البقر ليكون أثبت في الضمائر، وذلك أن سائر الدواب تأخذ من نبات الأرض بأسنانها، فضرب بها المثل لمعنيين أحدهما أنهم لا يهتدون من المآكل إلا إلى ذلك سبيلاً كما أن البقرة لا تتمكن من الاحتشاش إلا بلسانها، والآخر أنهم في مغزاهم ذلك كالبقرة التي لا تستطيع أن تميز في رعيها بين الرطب والشوكة وبين الحلو والمر، بل تلف الكل بلسانها لفاً فكذلك «هؤلاء الذين يتخذون ألسنتهم ذريعة إلى مأكلهم لا يميزون بين الحق والباطل ولا بين الحلال والحرام، سماعون للكذب أكالون للسحت». (**رواه أحمد**)، ورواه محيي السنة في شرح السنة بإسناده[1]، ذكره ميرك وفي الحلية لأبي نعيم عن أبي هريرة مرفوعاً «لا تقوم الساعة حتى يكون الزهد رواية والورع تصنعاً».

٤٨٠٠ ـ (**وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله يبغض البليغ»**) أي المبالغ في فصاحة الكلام وبلاغته (**«من الرجال»**) أي مما بينهم وخصوا لأنه الغالب فيهم (**«الذي»**) صفة البليغ (**«يتخلل بلسانه»**) أي يأكل بلسانه أو يدير لسانه حول أسنانه مبالغة في إظهار بلاغته وبيانه (**«كما يتخلل الباقرة بلسانها»**) أي البقرة كأنه أدخل التاء فيها على أنه واحد من الجنس كالبقرة من البقر، واستعمالها مع التاء قليل. قال القاضي: شبه إدارة لسانه حول الأسنان والفم حال التكلم تفاصحاً بما تفعل البقرة بلسانها، والباقرة جماعة البقرة. وفي النهاية: هو الذي يتشدق في الكلام ويفخم به لسانه ويلفه كما تلف البقرة بلسانها لفاً اهـ. فالمرضي من الكلام ما يكون قدر الحاجة يوافق ظاهره باطنه على منوال الشريعة. (**رواه الترمذي وأبو داود**) وكذا الإمام أحمد. (**وقال الترمذي: هذا حديث غريب**). وذكر الحاكم في تاريخه عن أبي هريرة مرفوعاً: «إن الله يبغض كل عالم بالدنيا جاهل بالآخرة».

الحديث رقم ٤٧٩٩: أخرجه أحمد في المسند ١/ ١٨٤.

(١) شرح السنة للبغوي ١٢/ ٣١٨ الحديث رقم ٣٣٩٧.

الحديث رقم ٤٨٠٠: أخرجه أبو داود في السنن ٥/ ٢٧٤ الحديث رقم ٥٠٠٥، والترمذي في ٥/ ١٢٩ الحديث رقم ٢٨٥٣، وأحمد في المسند ٢/ ١٨٧.

٤٨٠١ ـ (١٩) وعن أنسٍ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «مررْتُ ليلةَ أُسرِيَ بي بقومٍ تُقرَضُ شفاهُهم بمقاريضَ منَ النارِ، منَ النارِ، فقلتُ: يا جبريلُ! مَنْ هؤُلاءِ؟ قال: هؤلاءِ خُطباءُ أُمتِكَ الذينَ يقولونَ ما لا يفعلونَ». رواه الترمذيُّ، وقال: هذا حديثٌ غريب.

٤٨٠٢ ـ (٢٠) وعن أبي هريرةَ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «مَنْ تعلَّمَ صرفَ الكلامِ ليَسْبيَ بهِ قُلوبَ الرِّجالِ أو النَّاسِ لمْ يقبلِ اللَّهُ منه يومَ القيامةِ صرْفاً ولا عدْلاً». رواه أبو داود.

٤٨٠٣ ـ (٢١) وعن عَمرِو بن العاصِ، أنَّه قال يوماً وقامَ رجلٌ فأكثرَ القولَ. فقال عمْرٌو:

٤٨٠١ ـ (**وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مررت ليلة أسري بي»**) بنى الليلة على الفتح لإضافتها إلى الجملة، وفي نسخة بالتنوين، فالتقدير ليلة أسري بي فيها، وقوله: (**«بقوم»**) متعلق بمررت (**«تقرض»**) بصيغة المجهول أي تقطع (**«شفاههم»**) بكسر أوّله جمع الشفة بالفتح (**«بمقاريض»**) جمع مقراض (**«من النار فقلت: يا جبريل من هؤلاء؟ فقال: هؤلاء»**) إشارة تحقير، ولذا أعيد (**«خطباء أمتك»**) أي علماؤهم ووعاظهم أو شعراؤهم (**«الذين يقولون ما لا يفعلون»**). قال تعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون**﴾ [الصف ـ ٣] وقال عزّ وجلّ: ﴿**أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون**﴾ [البقرة ـ ٤٤] (**رواه الترمذي وقال: هذا حديث غريب**)[1].

٤٨٠٢ ـ (**وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من تعلم صرف الكلام»**) أي إيراده على وجوه مختلفة، وقيل: أي الزيادة من القول والتصرف فيه كيف شاء، والصرف الفضل (**«ليسبي»**) بكسر الموحدة أي ليسلب ويستميل (**«به»**) أي بصرف الكلام (**«قلوب الرجال أو الناس»**) أي عامتهم، وأو للشك من الراوي (**«لم يقبل الله منه يوم القيامة صرفاً ولا عدلاً»**). في النهاية الصرف التوبة أو النافلة، والعدل الفدية أو الفريضة. (**رواه أبو داود**). وقد روى الترمذي عن ابن عمر مرفوعاً: «من تعلم علماً لغير الله فليتبوّأ مقعده من النار»[2].

٤٨٠٣ ـ (**وعن عمرو بن العاص رضي الله عنه أنه قال:**) أي عمرو (**يوماً**) أي من الأيام (**وقام**) أي وقد قام (**رجل**) أي خطيباً وواعظاً، (**فأكثر القول**) أي أطال الكلام إظهاراً للفصاحة والبلاغة حتى حصل للسامعين الملالة (**فقال عمرو:**) كذا في جميع نسخ المشكاة. قال الطيبي: كذا في سنن أبي داود وبعض نسخ المصابيح وهو تكرار لطول الكلام لأن قوله: (**«لو**

الحديث رقم ٤٨٠١: أحمد في المسند ٣/ ١٨٠.

(١) ليس هذا الحديث عند الترمذي بل رواه أحمد.

الحديث رقم ٤٨٠٢: أخرجه أبو داود في السنن ٥/ ٢٧٤ الحديث رقم ٥٠٠٦.

(٢) أخرجه الترمذي في السنن ٥/ ٣٢ الحديث رقم ٢٦٥٥.

الحديث رقم ٤٨٠٣: أخرجه أبو داود في السنن ٥/ ٢٧٦ الحديث رقم ٥٠٠٨.

لوْ قصَدَ في قوله لكانَ خيراً له، سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «لقد رأيتُ - [٣٦١ - أ -] أو أُمرتُ - أنْ أتجوّزَ في القولِ، فإنّ الجوازَ هو خيرٌ». رواه أبو داود.

٤٨٠٤ - (٢٢) وعن صخرِ بن عبد الله بنِ بُريدةَ، عن أبيه، عن جدِّه، قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «إنّ منَ البيانِ سحراً، وإنّ منَ العلمِ جهلاً،

قصد في قوله لكان خيراً له») هو المقول لقوْله: قال يوماً، وقوله: «وقام رجل» حال، فلما وقع بينهما طال الكلام فأعاد. قال عمرو: ونظيره قول الحماسي وإن أمر أدامت مواثيق عهده، على مثل هذا أنه لكريم؛ فقوله: لكريم خبران الأولى، وأعاد أنه لطول الكلام. وقال التوربشتي. قوله: قصد أي لو أخذ في كلامه الطريق المستقيم، والقصد ما بين الإفراط والتفريط. **(سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لقد رأيت»)** أي علمت **(«أو أمرت»)** شك من الراوي **(«أن أتجوز في القول»)** أي أسرع فيه وأخفف المؤنة عن السامع، من قولهم: تجوز في صلاته أي خفف، ذكره التوربشتي: **(«فإن الجواز»)** بفتح الجيم، وهو الاقتصار على قدر الكفاية **(«هو خير»)**. قال شارح: التجوّز في القول، والجواز فيه الاقتصار لأنه إسراع وانتقال من التكلم إلى السكوت. **(رواه أبو داود)**. قال ميرك: وفي سنده محمد بن إسماعيل بن عباس عن أبيه وفيهما مقال اهـ. وفي الجامع الصغير بلفظ: «لقد أمرت أن أتجوّز في القول، فإن الجواز في القول وهو خير». رواه أبو داود والبيهقي عن عمرو بن العاص.

٤٨٠٤ - **(وعن صخر بن عبد الله بن بريدة)** تابعي يروي عن أبيه عن جده، وعن عكرمة، وعنه حجاج بن حسان وعبد الله بن ثابت، **(عن أبيه)** أي عبد الله بن بريدة وهو قاضي مرو تابعي من مشاهير التابعين وثقاتهم سمع أباه وغيره من الصحابة، وروى عنه ابنه سهل وغيره، مات بمرو وله أحاديث كثيرة **(عن جده)** أي بريدة بن الحصيب الأسلمي، أسلم قبل بدر ولم يشهدها، وبايع بيعة الرضوان، وكان من ساكني المدينة ثم تحوّل إلى البصرة، ثم خرج منها إلى خراسان غازياً فمات بمرو زمن يزيد بن معاوية سنة اثنتين وستين، روى عنه جماعة. والحصيب تصغير الحصب. ذكره المؤلف. **(قال:)** أي بريدة **(سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن من البيان سحراً»)** مر بيانه **(«وإن من العلم جهلاً»)** أي لكونه علماً مذموماً والجهل به خير منه أو لكونه علماً بما لا يعنيه فيصير جهلاً بما يعنيه. في النهاية قيل: هو أن يتعلم من العلوم ما لا يحتاج إليه كالنجوم وعلم الأوائل، ويدع ما يحتاج إليه في دينه من علم القرآن والسنة، فالاشتغال به يمنعه عن تعلم ما هو محتاج إليه فيكون جهلا له. قال الأزهري: وقيل: هو أن لا يعمل بعمله. فيكون ترك العمل بالعلم جهلاً ومصداقه قوله تعالى: **﴿مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفاراً﴾** [الجمعة - ٥] قلت: ويؤيده أيضاً قوله تعالى: **﴿إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة﴾** [النساء - ١٧] ففي معالم التنزيل قال قتادة: أجمع أصحاب النبي ﷺ على أن كل ما عصي به الله فهو جهالة عمداً كان أو لم يكن،

الحديث رقم ٤٨٠٤: أخرجه أبو داود في السنن ٥/ ٢٧٨ الحديث رقم ٥٠١٢.

وإنَّ من الشعرِ حُكْماً، وإنَّ من القولِ عيالاً». رواه أبو داود.

الفصل الثالث

٤٨٠٥ ـ (٢٣) عن عائشةَ، قالتْ: كانَ رسولُ الله ﷺ يضعُ لحسَّانَ منبراً في المسجدِ يقومُ عليه قائماً، يُفاخِرُ عن رسولِ الله ﷺ، أو يُنافِحُ. ويقولُ رسولُ الله ﷺ: «إنَّ اللَّهَ يُؤيِّدُ حسَّانَ بروحِ القدسِ ما نافحَ أوْ فاخرَ عن رسولِ الله ﷺ». رواه البخاري.

وكل من عصى الله فهو جاهل، **(وإن من الشعر حكماً)** بضم فسكون أي حكمة كما سبق، ولقوله تعالى: ﴿**وآتيناه الحكم صبياً**﴾ [مريم ـ ١٢] أي الحكمة **(وإن من القول)** أي الكلام **(عيالاً)** بكسر أوّله، وفي رواية لغير أبي داود عيلاً بفتح فسكون أي ثقلاً ووبالاً عليك أو ثقلاً على سامعك لأنه عالم به أو جاهل لا يفهمه. ففي النهاية هو عرضك حديثك وكلامك على من لا يريده وليس من شأنه. **(رواه أبو داود)**. قال ميرك: وفي إسناده أبو عبيدة يحيى بن واضح الأنصاري وثقه ابن معين وأبو حاتم قال: وأدخله البخاري في الضعفاء، قال أبو حاتم: تحوّل من هناك اهـ. ووهم أبو حاتم فيه بل البخاري احتج به.

(الفصل الثالث)

٤٨٠٥ ـ **(عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ يضع لحسان منبراً في المسجد يقوم عليه قائماً)** أي قياماً، ففي المفصل قد يرد المصدر على وزن اسم الفاعل نحو قمت قائماً **(يفاخر عن رسول الله ﷺ)** أي لأجله وعن قبله **(أو ينافح)** بنون ثم فاء فحاء مهملة أي يدافع عنه ﷺ، ويخاصم المشركين، ويهجوهم مجازاة لهم؛ وأو تحتمل الشك والتنويع، ويؤيد الأوّل ما في الشمائل أو قال: أي الراوي، وفي نسخة أو قالت: **(ويقول رسول الله ﷺ: «إن الله يؤيد حسان»)**، وفي بعض نسخ الشمائل حساناً **(«بروح القدس»)** بضم الدال ويسكن، والمراد به جبريل عليه السلام كما يدل عليه حديث «إن جبريل مع حسان ما نافح عني»، وإضافته إلى القدس وهو الطهارة لأنه خلق منها على ما ذكره في النهاية، وقيل: المراد به القدس وهو الله تعالى، والإضافة فيه للتشريف كبيت الله وتسميته بالروح لأنه يأتي الأنبياء بما فيه الحياة الأبدية والطهارة السرمدية **(ما نافح أو فاخر عن رسول الله ﷺ)**. وفي الشمائل ما ينافح أو يفاخر أي ما دام مشتغلاً بتأييد دين الله وتقوية رسول الله ﷺ، وقد تقدم بعض ما يتعلق به من المعاني في الحديث المتفق عليه. **(رواه البخاري)**.

الحديث رقم ٤٨٠٥: أخرجه أبو داود في السنن ٥/ ٢٨٠ الحديث رقم ٥٠١٥، والترمذي في ٥/ ١٢٦ الحديث رقم ٢٨٤٦، وأحمد في المسند ٦/ ٧٢.

٤٨٠٦ ـ (٢٤) وعن أنسٍ، قال: كانَ للنبيِّ حادٍ يقالُ له: أنجشةُ، وكان حسَنَ الصَّوتِ. فقال له النبيُّ ﷺ: «رُويدَكَ يا أنجشةُ لا تكسرِ القواريرَ». قال قتادةُ: يعني ضعفةَ النساءِ. متفق عليه.

٤٨٠٦ ـ (وعن أنس رضي الله تعالى عنه قال: كان للنبي ﷺ حاد) اسم فاعل من حدا الإبل، وبها حدواً وحداء وحداء زجرها وساقها، ذكره صاحب القاموس، وفي أساس البلاغة حدا بها إذا غنى بها. قال صاحب القاموس: وأصل الحداء في دي دي، وقال: فيه ما كان للناس حداء فضرب أعرابي غلامه [وعض أصابعه] ومشى وهو يقول: «دي دي دي» أراد بأيدي فسارت الإبل على صوته فقال له: الزمه وخلع عليه، فهذا أصل الحداء اهـ، وله تأثير بليغ في سرعة مشي الإبل وتأثير الغناء فيهن، ومما حكي فيه «إن شخصاً صار ضيفاً لأعرابي فرأى عبداً أسود مسلسلاً مقيداً وبين يديه بعير واحد فقال له: اشفع لي عند سيدي فإنه لا يرد شفاعة الضيف، فتكلم في حقه فقال: إن هذا عمل ذنباً كبيراً فإنه كان لي عشرة من الابل فحدا بهن ليلة حتى سرن فيها مسافة ليالي، فلما وصلن إلى المنزل لم يبق إلا هذا الإبل، لكني قبلت شفاعتك فقال: إذا تأمره أن يسمعني بعض حدياته وهنياته، فأمر به، فلما أبدى بعض الكلمات قامت الإبل ونفرت وحشية إلى الصحراء، وقام الرجل مجنوناً أو مجذوباً لا يدري أين يذهب في البيداء» (يقال له:) أي للحادي (أنجشة) بفتح همز وسكون نون وجيم وشين معجمة مفتوحتين مولى رسول الله ﷺ على ما في القاموس، وقال السيوطي: هو غلام للنبي ﷺ حبشي يكنى أبا مارية (وكان) أي أنجشة (حسن الصوت) أي وكان يحدو ابل بعض النساء، (فقال له النبي ﷺ: «رويدك») أي امهل إمهالك ومنه قوله تعالى: ﴿أمهلهم رويداً﴾ [الطارق ـ ١٧] فهو مصدر منصوب بفعله المقدر والكاف في محل جر، وقيل: اسم فعل والكاف حرف خطاب («يا أنجشة لا تكسر القوارير») بالجزم على جواب الأمر، والقوارير جمع قارورة سميت بها لاستقرار الشراب فيها، وهي الزجاجة كني بها عن النساء لما فيهن من الرقة واللطافة وضعف البنية، أمره أن يغض من صوته الحسن خشية أن يقع من قلوبهن موقعاً لضعف عزائمهن وسرعة تأثرهن كسرعة الكسر إلى القوارير. وفي النهاية شبههن بالقوارير لأنه يسرع إليها الكسر، وكان أنجشة يحدو وينشد القريض والرجز فلم يأمن أن يصيبهن أو يقع في قلوبهن حداؤه فأمره بالكف عن ذلك. وفي المثل «الغناء رقية الزنا»، وقيل: «أراد أن الإبل إذا سمعت الحداء أسرعت في المشي واشتدت فأزعجت الراكب وأتعبته، فنهاه عن ذلك لأن النساء يضعفن عن شدة الحركة»، قلت: وهذا المعنى أظهر كما لا يخفى، فإنه ناشيء عن الرحمة والشفقة، وذاك عن سوء ظن لا يليق بمنصب النبوة (قال قتادة:) تابعي جليل يروي عن أنس وغيره (يعني) أي يريد النبي ﷺ (بالقوارير ضعفة النساء) وهو من إضافة الصفة إلى الموصوف. (متفق عليه).

الحديث رقم ٤٨٠٦: أخرجه البخاري في صحيحه ١٠/ ٥٩٤ الحديث رقم ٦٢١١، ومسلم في صحيحه ٤/ ١٨١٢ والدارمي في ٢/ ٣٨٣ الحديث رقم ٢٧٠١، وأحمد في المسند ٢٧٠١.

٤٨٠٧ ـ (٢٥) وعن عائشة [رضي الله عنها]، قالتْ: ذُكِرَ عندَ رسولِ اللهِ ﷺ الشِّعْرُ فقالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «هوَ كلامٌ، فحسنُهُ حسنٌ، وقبيحُه قبيحٌ». رواه الدارقطني.

٤٨٠٨ ـ (٢٦) ورَوى الشافعيُّ، عن عروةَ، مرسلاً.

٤٨٠٩ ـ (٢٧) وعن أبي سعيدٍ الخدريِّ، قال: بيْنا نحنُ نسيرُ معَ رسولِ اللهِ ﷺ بالعَرْجِ إذ عرضَ شاعرٌ يُنشِدُ. فقال رسولُ اللهِ ﷺ: «خُذوا الشيطانَ، أو أمسِكوا الشيطانَ، لأنْ يمتلىءَ جوفُ رجلٍ قيحاً خيرٌ له من أنْ يمتلىءَ شِعراً». رواه مسلم.

٤٨٠٧ ـ (وعن عائشة رضي الله عنه قالت: ذكر) بصيغة المجهول (عند رسول الله ﷺ الشعر) فكأنه ذمه بعض ومدحه بعض على إطلاقه أو ذكر بالذم فقط ومنه قوله تعالى حكاية ﴿قالوا سمعنا فتى يذكرهم﴾، (فقال رسول الله ﷺ: «هو كلام») أي كسائر الكلام أو هو نوع من الكلام، فإنه قول موزون («فحسنه حسن وقبيحه قبيح»)، والمعنى أن الحسن والقبح إنما يدوران مع المعنى ولا عبرة باللفظ سواء كان موزوناً أو غيره، عربياً أو غيره. (رواه الدارقطني)، وكذا أبو يعلى الموصلي بإسناد حسن، ذكره ميرك. وفي الجامع الصغير «الشعر بمنزلة الكلام فحسنه كحسن الكلام وقبيحه كقبيح الكلام»[1] رواه البخاري في الأدب، والطبراني في الأوسط عن ابن عمرو، وعبد الرزاق في الجامع عن عائشة، وروي في نسخة

٤٨٠٨ ـ (ورواه الشافعي عن عروة مرسلا)[2]، وهو لا يضر لكون المرسل حجة عند الجمهور وكذا عند الشافعي إذا اعتضد، وقد تقدم من طرق أنه أسند.

٤٨٠٩ ـ (وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: بينا نحن) أي معشر الصحابة (نسير مع رسول الله ﷺ بالعرج) بفتح فسكون، في القاموس العرج بالفتح بلد باليمن، وواد بالحجاز، ونخيل وموضع ببلاد هذيل، ومنزل بطريق مكة. وقال النووي: هو بفتح العين المهملة وإسكان الراء وبالجيم، قرية جامعة من عمل الفرع على نحو ثمانية وسبعين ميلاً من المدينة (إذ عرض) أي ظهر (شاعر ينشد) بضم أوله أي يقرأ شعره أو شعر غيره (فقال رسول الله ﷺ: «خذوا الشيطان أو امسكوا الشيطان») شك من الراوي أي امنعوه من إنشاده، ولعله ﷺ لما رآه ينشد الشعر متعرضاً غير ملتفت إليهم وبال بهم مستهتراً بإنشاد الشعر عرف أن الغالب عليه هو قرض الشعر وأنه مسلوب الحياء معزول عن الأدب، ولذلك أطلق عليه اسم الشيطان وأتبعه بقوله: («لأن يمتلىء جوف رجل قيحاً خير له من أن يمتلىء شعراً») وقد مر بيانه. (رواه مسلم).

الحديث رقم ٤٨٠٧: أخرجه الدارقطني في السنن ٤/ ١٥٥ الحديث رقم ٢ من باب الخبر الواحد يوجب العمل.

(١) الجامع الصغير ٢/ ٣٠٤ الحديث رقم ٤٩٣٩.

(٢) وهي نسخة المتن.

الحديث رقم ٤٨٠٩: أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ١٧٦٩ الحديث رقم (٩ ـ ٢٢٥٩) وأحمد في المسند ٣/ ٨.

٤٨١٠ ـ (٢٨) وعن جابرٍ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «الغناءُ يُنبتُ النفاقَ في القلبِ كما يُنبتُ الماءُ الزَّرعَ». رواه البيهقي في «شعب الإيمان».

٤٨١١ ـ (٢٩) وعن نافعٍ، [رحمه الله]، قال: كنتُ معَ ابن عمَرَ في طريقٍ، فسمعَ مِزماراً، فوضع أصبعَيهِ في أذنَيهِ وناءَ عن الطريقِ إلى الجانبِ الآخرِ، ثمّ قال لي بعدَ أن بعُدَ: يا نافعُ! [٣٦١ ـ ب ـ] هل تسمعُ شيئاً؟ قلتُ: لا، فرفعَ أصبعيهِ من أُذنَيهِ، قال: كنتُ معَ رسولِ الله ﷺ فسمعَ صوتَ يراعٍ، فصنعَ مثلَ ما صنعتُ. قال نافعٌ: فكنتُ إذ ذاكَ صغيراً.

٤٨١٠ ـ (وعن جابر رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الغناء») بكسر الغين ممدوداً أي التغني («ينبت النفاق في القلب كما ينبت الماء الزرع») يعني الغناء سبب النفاق ومؤد إليه، فأصله وشعبته كما قال البذاء: «والبيان شعبتان من النفاق»، وفي شرح السنة قيل: «الغناء رقية الزنا»، وقال الشافعي: ولو كان يديم الغناء ويغشاه المغنون معلناً فهذا سفه يرد شهادته وإن كان يقل لا ترد شهادته». وقال النووي في الروضة: «غناء الإنسان بمجرد صوته مكروه، وسماعه مكروه، وإن كان سماعه من الأجنبية كان أشد كراهة، والغناء بآلات مطربة هو من شعار شاربي الخمر كالعود والطنبور والصنج والمعازف، وسائر الأوتار حرام، وكذا سماعه حرام». وفي اليراع الوجهان؛ صحح البغوي الحرمة، والغزالي الجواز وهو أقرب، وليس المراد من اليراع كل قصب بل المزمار العراقي «وما يضرب به من الأوتار حرام بلا خلاف». ثم قال: الأصح أو الصحيح حرمة اليراع وهي هذه المزمارة التي تسمى الشبابة، وقد صنف الإمام أبو القاسم الدولقي كتاباً في تحريم اليراع مشتملاً على نفائس وأطنب في دلائل تحريمه. (رواه البيهقي في شعب الإيمان)، ورواه ابن أبي الدنيا في ذم الملاهي عن ابن مسعود لكن لفظه البقل بدل الزرع.

٤٨١١ ـ (وعن نافع رضي الله عنه قال: «كنت مع ابن عمر في طريق، فسمع مزماراً، فوضع أصبعيه في أذنيه وناء») بهمز بعد الألف أي بعد («عن الطريق إلى الجانب الآخر») أي مما هو أبعد منه («ثم قال لي بعد أن بعد:») بفتح فضم أي صار بعيداً بعض البعد عن مكان صاحب المزمار («يا نافع هل تسمع شيئاً») أي من صوت المزمار («قلت: لا، فرفع أصبعيه من أذنيه قال:») استئناف بيان وتعليل بالدليل («كنت مع رسول الله ﷺ فسمع صوت يراع») بفتح أوله أي قصب («فصنع مثل ما صنعت») أي من وضع الأصبعين في الأذنين فقط، أو جميع ما سبق من البعد عن الطريق ومراجعة السؤال والله أعلم. (قال نافع: وكنت إذ ذاك صغيراً)، ولعل ابن عمر أيضاً كان صغيراً فيتم به الاستدلال والله أعلم بالحال مع أنه قد يقال: إنه أيضاً كان واضعاً أصبعيه في أذنيه، فلما سأله رفع أصبعيه فأجاب وليس حينئذ محذور، فإنه لم

الحديث رقم ٤٨١٠: أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ٤/ ٢٧٩ الحديث رقم ٥١٠٠.

الحديث رقم ٤٨١١: أخرجه أبو داود في السنن ٥/ ٢٢٢ الحديث رقم ٤٩٢٤.

رواه أحمد، وأبو داود.

(١٠) باب حفظ اللسان والغيبة والشتم

الفصل الأول

٤٨١٢ ـ (١) عن سهلِ بن سعدٍ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «مَنْ يضمنْ

يتعمد السماع ومثله يجوز للشخص أن يفعل أيضاً بنفسه إذا كان منفرداً، بل التحقيق إن نفس الوضع من باب الورع والتقوى ومراعاة الأولى وإلا فلا يكلف المرء إلا بأنه لم يقصد السماع لإبانة يفقد السماع والله أعلم. وقال الطيبي: هذا جواب سؤال مقدر يعني لبس لقائل أن يقول: سماع اليراع مباح، والمنع ليس للتحريم بل للتنزيه، لأنه لو كان حراماً لمنع أيضاً نافعاً عن الاستماع، والجواب أن نافعاً لم يبلغ مبلغ التكليف وإليه الإشارة بقوله: وكنت إذ ذاك صغيراً ولو لم يذهب إلى هذه الفائدة لكان وصفه لنفسه بالصغر ضحكة للساخرين كما في قولك: «الميت اليهودي لا يبصر هذا»، وذكر الحديث بعيد السابق شعر بأن استماع الغناء والمزمار واليراع من واد واحد أي في الجملة، وفي شرح السنة اتفقوا على تحريم المزامير والملاهي والمعازف، وكان الذي سمع ابن عمر صفارة الرعاة، وقد جاء مذكوراً في الحديث وإلا لم يكن يقتصر فيه على سد المسامع دون المبالغة في الرد والزجر، وقد رخص بعضهم في صفارة الرعاة اهـ؛ ولعله كان صاحب اليراع يهودياً من أهل الذمة أو بعيداً عن المواجهة. هذا وفي فتاوى قاضي خان: أما استماع صوت الملاهي كالضرب بالقضيب ونحو ذلك حرام ومعصية لقوله عليه السلام: «استماع الملاهي معصية، والجلوس عليها فسق، والتلذذ بها من الكفر»، إنما قال ذلك على وجه التشديد، وإن سمع بغتة فلا اثم عليه ويجب عليه أن يجتهد كل الجهد حتى لا يسمع لما روي أن رسول الله ﷺ أدخل أصبعه في أذنيه، وأما قراءة أشعار العرب ما كان فيها من ذكر الفسق والخمر والغلام مكروه لأنه ذكر الفواحش (رواه أحمد وأبو داود).

باب حفظ اللسان والغيبة والشتم

حفظ اللسان من باب إضافة المصدر إلى مفعوله، والمراد منه حفظه عما لا يعنيه، فعطف الغيبة والشتم على الحفظ من باب التخصيص بعد التعميم، والغيبة بكسر الغين «إن تذكر أخاك بما يكره»، في الغيبة بالفتح، بشرط أن يكون موجود فيه وإلا فهو بهتان، والشتم السب واللعن هو يشمل الحاضر والغائب والحي والميت».

(الفصل الأول)

٤٨١٢ ـ (عن سهل بن سعد) أي الساعدي (قال: قال رسول الله ﷺ: «من يضمن»)

الحديث رقم ٤٨١٢: أخرجه البخاري في صحيحه ١١/ ٣٠٨ الحديث رقم ٦٤٧٤.

لي ما بينَ لَحْيَيْه وما بينَ رجليه، أضمنْ له الجنّةَ». رواه البخاري.

٤٨١٣ ـ (٢) وعن أبي هريرةَ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إنّ العبدَ ليتكلّمُ بالكلمةِ منْ رضوانِ الله لا يُلقي لها بالاً، يرفعُ اللهُ بها درجاتٍ،

بالجزم على أن من شرطية («لي ما بين لحييه») بفتح اللام منبت الأسنان أي من يكفل لي محافظة ما بينهما من اللسان والفم عن تقبيح الكلام وأكل الحرام («وما بين رجليه») أي من الفرج عن الزنا ونحوه («أضمن له الجنة») أي دخولها أو لا أو درجاتها العالية. قال الطيبي وعن بعضهم: «من يضمن لي لسانه أي شر لسانه وبوادره وحفظه عن التكلم بما لا يعنيه ويضره مما يوجب الكفر والفسوق، وفرجه بأن يصونه أضمن له دخول الجنة، ولحييه بفتح اللام تثنية لحى وهما العظمان اللذان ينبت عليهما الأسنان علواً وسفلاً. (رواه البخاري)، ورواه أحمد والحاكم عن أبي موسى بلفظ: «من حفظ ما بين فقميه ورجليه دخل الجنة»[١]، والفقم بالضم والفتح اللحى على ما في النهاية؛ ورواه الترمذي وابن حبان والحاكم عن أبي هريرة مرفوعاً، ولفظ: «من وقاه الله شر ما بين لحييه وشر ما بين رجليه دخل الجنة»[٢]، وفي رواية للبيهقي عن أنس «من وقي شر لقلقه وقبقبه وذبذبه فقد وجبت له الجنة»، واللقلق اللسان، والقبقب البطن، والذبذب الذكر. كذا في مختصر النهاية للسيوطي.

٤٨١٣ ـ (وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله) بكسر أوله وبضم، ومن بيانية حال من الكلمة أي من كلام فيه رضاه («لا يلقي») بضم الياء وكسر القاف أي لا يرى («لها») أي لتلك الكلمة («بالاً») أي شأناً أو بأساً («يرفع الله») أي له («بها») أي بتلك الكلمة («درجات»)، والمعنى إن العبد لا يعرف قدرها ويظنها هينة قليلة الاعتبار وهي عند الله عظيمة الاقتدار، والجملة مستأنفة بيان للموجب كأن قائلاً يقول: ماذا يستحق بعد قيل: له يرفع الله بها درجات وفي بعض النسخ بفتح الياء والقاف، والمعنى لا يجد لها عظمة عنده، ولا يلتفت عاقبتها عند ربه؛ والجملة حال من ضمير يتكلم في النهاية أي لا يستمع إليها ولا يجعل قلبه نحوها اهـ. وفيه حث على التدبر والتفكر عند التكلم، وفي شرح المشارق أنه بفتحهما ورفع البال، فالبال على هذا بمعنى الحال، والظاهر أنه في المصابيح كذلك، فإنه قال شارحه زين العرب أي لا يلحقه بأس وتعب في قولها أولاً، ولا يحضر باله أي قلبه لما يقوله منها، أو هو من قولهم: «ليس هذا من بالي أو مما أباليه»، والمعنى أنه يتكلم بكلمة الحق يظنها قليلة وهي عند الله جليلة، فيحصل له

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك ٤/ ٣٥٨، وأحمد في المسند ٤/ ٣٩٨.

(٢) أخرجه ابن حبان في ١٣/ ٨ الحديث رقم ٥٠٧١، والترمذي في السنن الحديث رقم (٢٤٠٨).

الحديث رقم ٤٨١٣ أخرجه البخاري في صحيحه ١١/ ٣٠٨ الحديث رقم ٦٤٧٧، ومسلم في ٤/ ٢٢٩٠ الحديث رقم (٥٠ ـ ٢٩٨٨)، والترمذي في السنن ٤/ ٤٨٤ الحديث رقم ٢٣١٩، وابن ماجه في ٢/ ١٣١٢ الحديث رقم ٣٩٦٩، ومالك في الموطأ ٢/ ٩٨٥ الحديث رقم ٥، وأحمد في المسند ٣/ ٤٦٩.

وإنَّ العبدَ ليتكلَّمُ بالكلمةِ منْ سَخَطِ الله لا يُلقي لها بالاً، يهوي بها في جهنَّمَ». رواه البخاري وفي رواية لهما: «يهوي بها في النارِ أبعدَ ما بينَ المشرقِ والمغربِ».

٤٨١٤ ـ (٣) وعن عبد الله بن مسعود، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «سِبابُ المسلمِ فسوقٌ، وقتالُه كفرٌ».

رضوان الله، وقد يتكلم بسوء ولا يعلم أنه كذلك وهو عند الله ذنب عظيم، فيحصل له السخط من الله. وهذا معنى قوله: (**«وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله»**) أي مما يوجب غضبه (**«لا يلقي لها بالاً، يهوي»**) بكسر الواو أي يخوض ويقع ويسقط (**«بها»**) أي بتلك الكلمة (**«في جهنم». رواه البخاري**)، وكذا الإمام أحمد. (**وفي رواية لهما**) أي الشيخين ذكره السيد جمال الدين (**«يهوي بها في النار أبعد ما بين المشرق والمغرب»**) أي هوياً أبعد من البعد الذي بينهما، قال الطيبي: الظاهر أنه صفة مصدر محذوف أي هوياً بليغاً بعيد المبتدأ والمنتهى؛ وفي الجامع الصغير «وإن العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبين فيها يزل بها في النار أبعد ما بين المشرق والمغرب» رواه أحمد والشيخان عنه[1].

٤٨١٤ ـ (**وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «سباب المسلم»**) بكسر أوله أي شتمه وهو من باب إضافة المصدر إلى مفعوله (**«فسوق»**) لأن شتمه بغير حق حرام. قال الأكمل: الفسوق لغة الخروج زنة، ومعنى وشرعاً هو الخروج عن الطاعة (**«وقتاله»**) أي محاربته لأجل الإسلام (**«كفر»**). كذا قاله شارح، لكن بعده لا يخفى لأن هذا من معلوم الدين بالضرورة، فلا يحتاج إلى بيانه، بل المعنى مجادلته ومحاربته بالباطل كفر بمعنى كفران النعمة والإحسان في أخوة الإسلام، وأنه ربما يؤول إلى الكفر أو أنه فعل الكفرة أو أراد به التغليظ والتهديد والتشديد في الوعيد كما في قوله ﷺ: «من ترك صلاة متعمداً فقد كفر»، نعم «قتاله مع استحلال قتله كفر صريح». ففي النهاية السب الشتم. يقال: سبه يسبه سباً وسباباً قيل: هذا محمول على من سب أو قاتل مسلماً من غير تأويل وقيل: إنما ذلك على جهة التغليظ لا أنه يخرجه إلى الفسق والكفر، وفي شرح السنة «إذا استباح دمه من غير تأويل ولم ير الإسلام عاصماً له فهو ردة وكفر». قال الطيبي: معنى الحديث راجع إلى قوله ﷺ: «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده»[2]، وقد تقرر أن المراد بالمسلم هنا الكامل في الإيمان المؤدي لحقوقه بحسب استطاعته، فالنسبة إلى الكفر في هذا الحديث إشارة إلى نقصان إيمانه تغليظاً اهـ، وهو منه وهم حيث ظن أن الإضافة من باب إضافة المصدر إلى فاعله وليس

---

(١) الجامع الصغير ١/ ١٢٦ الحديث رقم ٢٠٦١.

الحديث رقم ٤٨١٤: أخرجه البخاري في صحيحه ١/ ١١٠ الحديث رقم ٤٨، ومسلم في ١/ ٨١ الحديث رقم (١١٦ ـ ٦٤)، والترمذي في السنن ٤/ ٣١١ الحديث رقم ١٩٨٣، والنسائي في ٧/ ١٢١ الحديث رقم ٤١٠٥، وابن ماجه في ٢/ ١٢٩٩ الحديث رقم ٣٩٣٩، وأحمد في المسند ١/ ٣٨٥.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ١/ ٥٣ الحديث رقم ١٠، ومسلم في ١/ ٦٥ الحديث رقم (١٤ ـ ٤٠).

متفق عليه.

٤٨١٥ ـ (٤) وعن ابن عمرَ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «أيُّما رجلٍ قال لأخيهِ كافرٌ، فقدْ باءَ بها أحدُهما».

كذلك كما قدمناه «لأن سب المسلم وقتاله فسق وكفران سواء يكون كامل الإسلام أم لا». هذا وفي شرح السنة فيه دليل على المرجئة الذين لا يرون الطاعة من الإيمان ويقولون: «إن الإيمان لا يزيد بالطاعة ولا ينقص بالمعصية»، فإنه ﷺ أشار بقوله: «قتاله كفر» إلى أن ترك القتال من الإيمان وأن فعله ينقص الإيمان، قلت: قد سبق في أوّل الكتاب ما هو فصل الخطاب في هذا الباب من أن القول الصواب هو أن الأعمال ليست من أصل الإيمان بل من كماله، وأن حقيقة الإيمان وهو التصديق غير قابل للزيادة والنقصان، نعم قد يحصل له قوّة بحسب معرفة الدليل وضعف بفقده، وقد يثمر ثمرته من ظهور الطاعات، وقد لا يثمر، فيقع صاحبه في السيئات والله أعلم بالحالات والمقامات. (متفق عليه). ورواه أحمد والترمذي والنسائي وابن ماجه عن ابن مسعود، ورواه ابن ماجه عن أبي هريرة وعن سعد، والطبراني عن عبد الله بن مغفل وعن عمرو بن النعمان بن مقرن، والدارقطني في الأفراد عن جابر، وزاد الطبراني في رواية عن ابن مسعود «وحرمة ماله كحرمة دمه».

٤٨١٥ ـ (**وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «أيما رجل قال لأخيه: كافر»**) بضم الراء على البناء، فإنه منادي حذف حرف ندائه كما ذكره ميرك ويؤيده ما جاء في رواية بالنداء، وفي بعض النسخ بتنوينه على أنه خبر محذوف تقديره أنت أو هو (**«فقد باء بها»**) أي رجع بأثم تلك المقالة (**«أحدهما»**). وفي النهاية التزمها ورجع بها اهـ. وفي بعض نسخ المصابيح به أي بالكفر وهو أولى، ذكره ابن الملك وفيه بحث، بل الأولى إن معناه رجع بأثم ذلك القول المفهوم من قال: أحدهما، أما القائل إن اعتقد كفر المسلم بذنب صدر منه أو الآخر إن صدق القائل، كذا ذكره بعض الشراح من علمائنا، وقال الطيبي: لأنه إذا قال القائل لصاحبه: يا كافر مثلاً، فإن صدق رجع إليه كلمة الكفر الصادر منه مقتضاها، وإن كذب واعتقد بطلان دين الإسلام رجعت إليه هذه الكلمة، وقال النووي: هذا الحديث مما عده بعض العلماء من المشكلات من حيث إن ظاهره غير مراد، وذلك إن مذهب أهل الحق «أنه لا يكفر المسلم بالمعاصي كالقتل والزنا وقوله لأخيه كافر من غير اعتقاد بطلان دين الإسلام»، وإذا تقرر ما ذكرناه فقيل في تأويل الحديث أوجه، أحدها أنه محمول على المستحل لذلك فعلى هذا معنى باء بها أي بكلمة الكفر أي رجع عليه الكفر، وثانيها أن معناه رجعت عليه نقيصته ومعصية تكفيره، وثالثها أنه محمول على الخوارج المكفرين للمؤمنين، وهذا ضعيف لأن المذهب

الحديث رقم ٤٨١٥: أخرجه البخاري في صحيحه ١٠/ ٥١٤ الحديث رقم ٦١٠٤، ومسلم في ١/ ٧٩ الحديث رقم (١١١ ـ ٦٠) ومالك في الموطأ ٢/ ٩٨٤ الحديث رقم ١ من كتاب الكلام، وأحمد في المسند ٢/ ٤٧.

متفق عليه.

٤٨١٦ ـ (٥) وعن أبي ذرٍّ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «لا يرمي رجلٌ رجلاً بالفسوقِ، ولا يرميهِ بالكفرِ إلاَّ ارتدَّتْ عليه إنْ لم يكنْ صاحبُه كذلكَ» رواه البخاري.

٤٨١٧ ـ (٦) وعنه، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «مَنْ دعا رجلاً بالكفرِ، أو قال: عدوَّ الله وليسَ كذلكَ، إلاَّ حارَ عليهِ». متفق عليه.

٤٨١٨ ـ (٧)، ٤٨٢٠ ـ (٨) وعن أنس، وأبي هريرة، أن رسول الله ﷺ قال:

الصحيح المختار الذي قاله الأكثرون: أن الخوارج كسائر أهل البدع لا تكفر، قلت: وهذا في غير حق الرافضة الخارجة في زماننا، فإنهم يعتقدون كفر أكثر الصحابة فضلاً عن سائر أهل السنة والجماعة، فهم كفرة بالإجماع بلا نزاع: قال: وخامسها فقد رجع إليه تكفيره، وليس الراجع حقيقة الكفر بل كفر من هو مثله. قال: لأن كفر من لا يكفره إلا كافر يعتقد بطلان دين الإسلام؛ وقال الطيبي: وفي أكثر الوجوه أحدهما محمول على القائل. (متفق عليه). وفي الجامع الصغير «إذا قال الرجل لأخيه: يا كافر، فقد باء بها أحدهما». رواه البخاري من أبي هريرة، ورواه أحمد والبخاري عن ابن عمر[1].

٤٨١٦ ـ (وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يرمي رجل رجلاً بالفسوق ولا يرميه») أي رجل رجلاً (بالكفر إلا ارتدت») أي رجعت تلك الكلمة من نسبة الفسق أو الكفر («عليه») أي على القائل أو على أحدهما، والظاهر الأول لقوله: («إن لم يكن صاحبه») أي المقول له: («كذلك») أي مثل ما قيل له من الفسوق أو الكفر. (رواه البخاري).

٤٨١٧ ـ (وعنه) أي عن أبي ذر رضي الله عنه (قال: قال رسول الله ﷺ: «من دعا رجلاً بالكفر») أي بأن قال له: «يا كافر» («أو قال: عدو الله») بالنصب أي يا عدو الله، وفي نسخة عدواً لله أي هو أو أنت عدواً لله («وليس كذلك») أي والحال أنه ليس مثل ما ذكر من كونه كافراً أو عدوّ الله، بل هو مسلم محب لله («إلا حار عليه») بالحاء المهملة والراء أي رجع عليه ما نسب إليه كذا في النهاية، وقال الطيبي: المستثنى منه محذوف [دال] على جواب الشرط أي «من دعا رجلاً بالكفر باطلاً فلا يلحقه من قوله ذلك شيء إلا الرجوع عليه»، ويجوز أن يكون من استفهامية، وفيه معنى الإنكار أي ما يفعل أحد هذه الفعلة في حالة من الأحوال إلا في هذه الحالة. (متفق عليه).

٤٨١٨ ـ (وعن أنس وأبي هريرة رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ: قال

---

(١) الجامع الصغير ١/ ٥٤ الحديث رقم ٧٧٦.

الحديث رقم ٤٨١٦: أخرجه البخاري في صحيحه ١٠/ ٤٦٤ الحديث رقم ٦٠٤٥، وأحمد في المسند ٥/ ١٨١.

الحديث رقم ٤٨١٧: أخرجه مسلم في صحيحه ١/ ٧٩ الحديث رقم (١١٢ ـ ٦١) وأحمد في المسند ٥/ ١٦٦.

الحديث رقم ٤٨١٨: أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ٢٠٠٠ الحديث رقم (٦٨ ـ ٢٥٨٧)، وأبو داود في السنن ٤/ ٢٠٣ الحديث رقم ٤٨٩٤، وأحمد في المسند ٢/ ٢٣٥.

«المستبّان ما قالا، فعلى البادىء، ما لم يعتد المظلوم». رواه البخاري.

٤٨١٩ ـ (٨) وعن أبي هريرة، أنَّ رسول الله ﷺ قال: «لا ينبغي لصدِّيق أنْ يكون لعَّاناً». رواه مسلم.

المستبان) بتشديد الموحدة تثنية اسم الفاعل من باب التفاعل أي المتشاتمان وهما اللذان سب كل منهما الآخر لكن الآخر أراد رد الآخر أو قال شيئاً من معايبه الموجودة فيه، وهو مبتدأ خبره جملة (**«ما قالا:»**) أي اثم قولهما (**«فعلى البادىء»**) أي على المبتدىء فقط، والفاء إما لكون إما شرطية أو لأنها موصولة متضمنة للشرط، ثم البادىء بالهمز، وإنما كان الإثم كله عليه لأنه كان سبباً لتلك المخاصمة، وقيل: إثم ما قالا: للبادىء أكثر مما يحصل للمظلوم (**«ما لم يعتد المظلوم»**) فإن جاوز الحد بأن أكثر المظلوم شتم البادىء وإيذاءه صار إثم المظلوم أكثر من إثم البادىء، وقيل: إذا تجاوز فلا يكون الإثم على البادىء، فقط، بل يكون الآخر آثماً أيضاً باعتدائه، وحاصل الخلاف يرجع إلى خلاف الاعتداء. قال الطيبي: يجوز أن تكون ما شرطية، وقوله: فعلى البادىء جزاؤه أو موصولة فعلى البادىء خبره، والجملة مبينة، ومعناه إثم ما قالاه على البادىء إذا لم يعتد المظلوم، فإذا تعدى يكون عليهما؛ نعم إلا إذا تجاوز غاية الحد فيكون إثم القولين عليه اهـ، وفيه بحث ظاهر، وفي شرح السنة، من أربى الربا من يسب سبتين بسبة» (**رواه مسلم**). وفي الجامع الصغير بلفظ «المستبان ما قالا، فعلى البادىء منهما حتى يعتدي المظلوم». رواه أحمد ومسلم وأبو داود والترمذي عن أبي هريرة من غير ذكر أنس[١]، وفي رواية لأحمد والبخاري في الأدب عن عياض بن حمار «المستبان شيطاناً يتهاتران ويتكاذبان» والتهاتر التعالج في القول.

٤٨١٩ ـ (**وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لا ينبغي»**) أي لا يجوز (**«لصديق»**) بكسر فتشديد أي مبالغ في الصدق، والمراد به المؤمن لقوله تعالى: ﴿**والذين آمنوا بالله ورسله أولئك هم الصديقون**﴾ [الحديد ـ ١٩] ولرواية لا ينبغي للمؤمن (**«أن يكون لعاناً»**) أي كثير اللعن وهو الطرد، والمراد به هنا الدعاء بالبعد عن رحمة الله تعالى، وإنما أتى بصيغة المبالغة لأن الاحتراز عن قليله نادر الوقوع في المؤمنين، قال ابن الملك: وفي صيغة المبالغة إيذان بأن هذا الذم لا يكون لمن يصدر منه اللعن مرة أو مرتين، وقال الطيبي: قوله: ولا ينبغي لصديق حكم مرتب على الوصف المناسب وذلك أن هذه الصفة تالية صفة النبوّة وقال تعالى: ﴿**أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين**﴾ [النساء ـ ٦] والأنبياء إنما بعثوا رحمة للخلق ومقربين للبعيد والطريد إلى الله ورحمته واللاعن طارد لهم وطالب لبعدهم منها فاللعنة منافية له اهـ، وفيه أن مفهوم المخالف المختلف جوازه المعتبر عنده بخلافه. (**رواه مسلم**).

---

(١) الجامع الصغير ٢/ ٥٥٠ الحديث رقم ٩١٩٧.

الحديث رقم ٤٨١٩: أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ٢٠٠٥ الحديث رقم (٨٤ ـ ٢٥٩٧)، والترمذي في السنن ٤/ ٣٢٥ الحديث رقم ٢٠١٩، وأحمد في المسند ٢/ ٣٣٧.

٤٨٢٠ ـ (٩) وعن أبي الدرداءِ، قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «إنَّ اللعَّانينَ لا يكونونَ شهداءَ ولا [٣٦٢ ـ أ ـ] شفعاءَ يومَ القيامةِ». رواه مسلم.

٤٨٢١ ـ (١٠) وعن أبي هريرةَ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إذا قالَ الرجلُ: هلكَ النَّاسُ؛ فهوَ أهلكُهم» رواه مسلم.

٤٨٢٠ ـ **(وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن اللعانين لا يكونون شهداء»)** أي على الناس وهم الأمم السالفة بأن رسلهم بلغوا الرسالة إليهم فيحرمون عن هذه المرتبة الشريفة المختصة بهذه الأمة كما قال تعالى: ﴿**وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس**﴾ [البقرة ـ ١٤٣] قال الطيبي: المراد بالوسط العدل واللعنة سالبة للعدالة، وقال شارح: لا يكونون شهداء لصيرورتهم فاسقين باللعن على الناس، **(«ولا شفعاء»)** أي ولا تكون لهم مرتبة الشفاعة لأنهم باللعنة أسقطوا مرتبتهم تلك من مراتب الأنبياء والشهداء **(«يوم القيامة»)** ظرف لهما. **(رواه مسلم)**.

٤٨٢١ ـ **(وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا قال الرجل: هلك الناس»)** أي استوجبوا النار بسوء أعمالهم **(«فهو أهلكهم»)** بضم الكاف ويفتح، ففي النهاية يروى بفتح الكاف وضمها، فمن فتحها كان فعلاً ماضياً، ومعناه أن الغالين الذين يؤيسون الناس من رحمة الله يقولون: هلك الناس، فإذا قال الرجل ذلك فهو الذي أوجبه لهم لا الله تعالى يعني، ولا عبرة بإيجابه لهم، فإن فضل الله واسع ورحمته تعمهم. ثم قال: أو هو الذي لما قال لهم ذلك وآيسهم حملهم على ترك الطاعة والانهماك في المعاصي، فهو الذي أوقعهم في الهلاك، وأما الضم فمعناه أنه إذا قال لهم: فهو أهلكهم أي أكثرهم هلاكاً، وهو الرجل يولع بعيب الناس ويذهب بنفسه عجباً ويرى له فضلاً عليهم، وزاد في شرح السنة أنه روى معنى هذا عن مالك حيث قال: إذا قال ذلك: عجباً بنفسه وتصاغراً للناس فهو المكروه الذي نهي عنه، وأما إذا قال ذلك: تحزناً أو تحذيراً لما يرى في الناس من أمر دينهم فلا أرى به بأساً اهـ. وقيل: المراد به أهل البدع الذين يؤيسون الناس من رحمة الله ويوجبون الخلود بذنوبهم إذا قالوا ذلك في أهل السنة والجماعة، فهم أهلكهم أي هم بهذا الاعتقاد الفاسد أنجس من المؤمن الفاسق. **(رواه مسلم)**.

الحديث رقم ٤٨٢٠: أخرجه مسلم في صحيحه ٤/٢٠٠٦ الحديث رقم (٨٥ ـ ٢٥٩٨) وأحمد في المسند ٦/٤٤٨.

الحديث رقم ٤٨٢١: أخرجه مسلم في صحيحه ٤/٢٠٢٤ الحديث رقم (١٣٩ ـ ٢٦٢٣)، وأبو داود في السنن ٥/٢٦٠ الحديث رقم ٤٩٨٣، ومالك في الموطأ ٢/٩٨٤ الحديث رقم ٢ من كتاب الكلام وأحمد في المسند ٢/٣٤٢.

٤٨٢٢ ـ (١١) وعنه، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «تجدونَ شرَّ الناسِ يومَ القيامةِ ذا الوَجهينِ، الذي يأتي هؤلاءِ بوجهٍ، وهؤلاء بوجهٍ». متفق عليه.

٤٨٢٣ ـ (١٢) وعن حُذيفةَ، قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «لا يدخلُ الجنةَ قتَّاتٌ». متفق عليه وفي رواية مسلم: «نمّام».

٤٨٢٢ ـ (وعنه) أي عن أبي هريرة رضي الله عنه (قال: قال رسول الله ﷺ: «**تجدون شر الناس يوم القيامة ذا الوجهين**») أي بقصد الفساد («**الذي يأتي هؤلاء**») أي طائفة («**بوجه وهؤلاء بوجه**») أي بوجه آخر كالمنافقين والنمامين، وقد قال تعالى: ﴿**مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلاً إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار**﴾ [النساء ـ ١٤٥] (**متفق عليه**). هذا مختصر من حديث رواه أحمد والشيخان عنه ولفظه: «تجدون الناس معادن خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا، وتجدون خير الناس في هذا الشأن أشدهم له كراهية قبل أن يقع فيه، وتجدون شر الناس يوم القيامة عند الله ذا الوجهين». الحديث.

٤٨٢٣ ـ (**وعن حذيفة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يدخل الجنة**») أي مع الفائزين («**قتات**») بفتح القاف وتشديد التاء أي نمام، والنميمة نقل الكلام على وجه الفساد فلا يحتاج إلى ما قاله ابن الملك من أن هذا إذا لم يكن للإصلاح فلو كان له جاز لأنه حينئذ يكون مصلحاً، وقد قال تعالى: ﴿**لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضات الله فسوف نؤتيه أجراً عظيماً**﴾ [النساء ـ ١١٤] وفي النهاية القتات هو النمام، يقال: قت الحديث إذا زوره وهيأه وسواه، وقيل: النمام هو الذي يكون مع القوم يتحدث فيهم وعليهم، والقتات هو الذي يتسمع على القوم وهم لا يعلمون ثم ينم، قال الشيخ أبو حامد: قيل: النميمة مبنية على الكذب والحسد والنفاق وهي أثافي الذل، فينبغي أن يبغض النمام ولا يوثق به وبصداقته، حكي أن حكيماً زاره أحد وأخبره عن غيره بخبر، فقال: أبطلت زيارتي ثم أتيتني بثلاث جنايات بغضت إلي أخي، وشغلت قلبي الفارغ، واتهمت نفسك الأمينة. (**متفق عليه. وفي رواية مسلم**) الأولى، وفي رواية لمسلم كما في نسخة (**نمام**).

الحديث رقم ٤٨٢٢: أخرجه البخاري في صحيحه ١٠/ ٤٧٤ الحديث رقم ٦٠٥٨، ومسلم في ٤/ ٢٠١١ الحديث رقم (١٠٠ ـ ٢٥٢٦)، وأبو داود في السنن ٥/ ١٩٠ الحديث رقم ٤٨٧٢، والترمذي في السنن ٤/ ٣٢٨ الحديث رقم ٢٠٢٥، ومالك في الموطأ ٢/ ٩٩١ الحديث رقم ٢١ من كتاب الكلام، وأحمد في المسند ٢/ ٤٩٥.

الحديث رقم ٤٨٢٣: أخرجه البخاري في صحيحه ١٠/ ٤٧٢ الحديث رقم ٦٠٥٦، ومسلم في ١/ ١٠١ الحديث رقم (١٦٩ ـ ١٠٥)، وأبو داود في السنن ٥/ ١٩٠ الحديث رقم ٤٨٧١، والترمذي في ٤/ ٣٢٩ الحديث رقم ٢٠٢٦، وأحمد في المسند ٥/ ٣٨٢.

٤٨٢٤ ـ (١٣) وعن عبدِ الله بن مسعودٍ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «عليكم بالصِّدقِ فإنَّ الصدقَ يهدي إلى البرِّ، وإنَّ البرَّ يهدي إلى الجنَّةِ، وما يزالُ الرجلُ يصدُقُ ويتحرَّى الصِّدقَ حتى يُكتبَ عندَ اللهِ صدِّيقاً. وإيَّاكم والكذِبَ، فإنَّ الكذِبَ يهدي إلى الفُجورِ، وإنَّ الفجورَ يهدي إلى النَّارِ، وما يزالُ الرجلُ يكذِبُ ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً». متفق عليه. وفي رواية لمسلم قال: «إن الصدق بر وإن البر يهدي إلى الجنة، وإن الكذب فجور، وإن الفجور يهدي إلى النار».

٤٨٢٤ ـ (وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «عليكم بالصدق») أي الزموا الصدق وهو الأخبار على وفق ما في الواقع («فإن الصدق») أي على وجه ملازمته ومداومته («يهدي») أي صاحبه («إلى البر») بكسر الباء، وهو جامع الخيرات من اكتساب الحسنات واجتناب السيئات، ويطلق على العمل الخالص الدائم المستمر معه إلى الموت («وإن البر يهدي») أي يوصل («صاحبه إلى الجنة») أي مراتبها العالية ودرجاتها الغالية، («وما يزال الرجل») أي الشخص («يصدق») أي في قوله وفعله («ويتحرى الصدق») أي يبالغ ويجتهد فيه («حتى يكتب») أي يثبت («عند الله صديقاً») بكسر الصاد وتشديد الدال أي مبالغاً في الصدق، ففي القاموس الصديق من يتكرر منه الصدق حتى يستحق اسم المبالغة في الصدق، وفي الحديث إشعار بحسن خاتمته وإشارة إلى إن الصديق يكون مأمون العاقبة، وقيل: المراد بالكتابة الحكم عليه بذلك وإظهاره للملأ الأعلى وإلقاء ذلك في الأرض («وإياكم والكذب») بفتح فكسر، وفي نسخة بكسر فسكون، والأوّل هو الأفصح («فإن الكذب يهدي إلى الفجور») بضم الفاء أي الميل عن الصدق والحق والانبعاث في المعاصي وهو أظهر للمقابلة بالبر، وفي القاموس فجر فسق وكذب وعصى وخالف. («وإن الفجور يهدي إلى النار، وما يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً») قال النووي: ومعنى يكتب هنا يحكم له بذلك ويستحق الوصف بمنزلة الصديقين وثوابهم أو صفة الكذابين وعقابهم، والمراد إظهار ذلك للمخلوقين، وأما بأن يكتب اسمه بخط المصنفين حتى يوضع له القبول أو البغضاء بقدرة الله سبحانه وتعالى. (متفق عليه). وفي الجامع الصغير رواه أحمد والبخاري في الأدب، ومسلم في صحيحه، والترمذي عن ابن مسعود، (وفي رواية لمسلم قال: «إن الصدق بر وإن البر يهدي إلى الجنة، وإن الكذب فجور، وإن الفجور يهدي إلى النار»). وفي الجامع الصغير «إن الصدق يهدي إلى البر وإن البر يهدي إلى الجنة، وإن الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقاً، وإن الكذب يهدي إلى

الحديث رقم ٤٨٢٤: أخرجه البخاري في صحيحه ١٠/٥٠٧ الحديث رقم ٦٠٩٤، ومسلم في ٤/٢٠١٣ الحديث رقم (١٠٥ ـ ٢٦٠٧) وأبو داود في السنن ٥/ ٢٦٤ الحديث رقم ٤٩٨٩، والترمذي في ٤/ ٣٠٦ الحديث رقم ٥٩٧١، والدارمي في ٢/ ٣٨٨ الحديث رقم ٢٧١٥، ومالك في الموطأ ٢/ ٩٨٩ الحديث رقم ١٥، وأحمد في المسند ١/ ٣٩٣.

٤٨٢٥ ـ (١٤)وعن أم كلثوم، قالت: قال رسول الله ﷺ: «ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس ويقول خيراً وينمي خيراً»

الفجور، وأن الفجور يهدي إلى النار، وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذاباً». رواه الشيخان عن ابن مسعود.

٤٨٢٥ ـ (وعن أم كلثوم) بضم الكاف، وقد صرح به المغني، وفي نسخة بفتحها، ففي القاموس أم كلثوم كزنبور بنت رسول الله ﷺ اهـ؛ والمراد بها هنا بنت عقبة بن أبي معيط أسلمت بمكة وهاجرت ماشية وبايعت ولم يكن لها بمكة زوج، فلما قدمت المدينة تزوّجها زيد ابن حارثة فقتل عنها في غزوة مؤتة، فتزوّجها الزبير بن العوام ثم طلقها فتزوّجها عبد الرحمن ابن عوف، فولدت له إبراهيم وحميداً ومات عنها فتزوّجها عمرو بن العاص فمكثت عنده شهراً وماتت، وهي أخت عثمان بن عفان لأمه؛ روى عنها ابنها حميد (قالت: قال رسول الله ﷺ: «ليس الكذاب») بالرفع على أنه اسم ليس، وفي نسخة بالنصب على أنه خبرها مقدم على اسمها وهو أظهر دراية لأنه المحكوم به والمحكوم عليه قوله: («الذي يصلح بين الناس»)، ثم الظاهر أن الفعال هنا للنسبة كلبان وتمار أي ذي كذب، كما قيل في قوله تعالى: ﴿وما ربك بظلام﴾ [فصلت ـ ٤٦] أي بذي ظلم إذ لا يلزم من نفي المبالغة انتفاء أصل الفعل، والمعنى من كذب ليصلح بين الناس لا يكون كاذباً مذموماً («ويقول خيراً») أي قولاً متضمناً للخير دون الشر بأن يقول للإصلاح مثلاً بين زيد وعمرو: يا عمرو يسلم عليك زيد ويمدحك ويقول: أنا أحبه، وكذلك يجيء إلى زيد ويبلغه عن عمرو مثل ما سبق («وينمي خيراً») أي يبلغه ويرفعه إليه؛ هذا وأغرب الطيبي في قوله: اللام في الكذاب إشارة إلى الكذاب المعهود الذي في الحديث السابق ونحوه يعني الكذاب المذموم عند الله تعالى، الممقوت عند المسلمين، ليس من يصلح ذات البين، فإنه محمود عند الله تعالى وعندهم، فعلى هذا يجب أن يكون الكذاب مرفوعاً على أنه اسم ليس، وقوله: الذي يصلح خبره خلافاً لمن زعم أن الكذاب خبر ليس، والذي اسمه اهـ. ووجه غرابته أنه لا يلزم من سبق الحديث السابق في الكتاب صدوره من صدر صدر الأنبياء أو لا في هذا الباب، أو وقوعه عند هذا الخطاب والله أعلم بالصواب. ثم في النهاية يقال: نميت الحديث وأنميه إذا بلغته على وجه الإصلاح وطلب الخير، فإذا بلغته على وجه الإفساد والنميمة قلت: نميته بالتشديد، هكذا قال أبو عبيد وابن قتيبة وغيرهما من العلماء، قلت: فقوله: خيراً أي حديث خير للتأكيد أو على إرادة التجريد، وقال الحربي: نمى مشددة، وأكثر المحدثين يقولها: مخففة وهذا لا يجوز ورسول الله ﷺ لم يكن يلحن، ومن خفف لزمه أن يقول: خير بالرفع. قال صاحب النهاية: وهذا ليس بشيء فإنه ينتصب بنما كما انتصب بقال وكلاهما على زعمه لازمان، وإنما نمى متعد يقال: نميت الحديث أي رفعته وأبلغته اهـ. وفي القاموس نما ينمو زاد كنمى ينمي نمياً وأنمى ونمى الحديث ارتفع، ونميته

الحديث رقم ٤٨٢٥: أخرجه البخاري في صحيحه ٥/ ٢٩٩ الحديث رقم ٢٦٩٢، ومسلم في ٤/ ٢٠١١ الحديث رقم (١٠١/ ٢٦٠٥) وأحمد في المسند ٦/ ٤٠٣.

متفق عليه.

٤٨٢٦ ـ (١٥)وعن المقداد بن الأسود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا رأيتم المداحين فاحثوا في وجوههم التراب». رواه مسلم.

ونميه رفعته وعزوته، وأنماه أذاعه على وجه النميمة. (متفق عليه). ولفظ الجامع ليس الكذاب بالذي يصلح بين الناس فينمي خيراً ويقول: خيراً. رواه أحمد والشيخان وأبو داود والترمذي عن أم كلثوم بنت عقبة، والطبراني عن شداد بن أوس[1].

٤٨٢٦ ـ (وعن المقداد بن الأسود رضي الله عنه)، قال المؤلف: هو المقداد بن عمرو الكندي وذلك أن أباه حالف كندة فنسب إليها، وإنما سمي ابن الأسود لأنه كان حليفه أو لأنه كان في حجره، وقيل: بل كان عبداً فتبناه، وكان سادساً في الإسلام، روى عنه علي وطارق بن شهاب وغيرهما، مات بالجرف على ثلاثة أميال من المدينة فحمل على رقاب الناس ودفن بالبقيع سنة ثلاث وثلاثين وهو ابن سبعين سنة، (قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا رأيتم المداحين») أي المبالغين في المدح متوجهين إليكم طمعاً سواء يكون نثراً ونظماً («فاحثوا») بهمزة وصل وضم مثلثة أي ارموا («في وجوههم»)، وفي نسخة في أفواههم («التراب») قيل يؤخذ التراب ويرمي به في وجه المداح عملاً بظاهر الحديث، وقيل: معناه الأمر بدفع المال إليهم إذ المال حقير كالتراب بالنسبة إلى العرض في كل باب أي اعطوهم إياه واقطعوا به ألسنتهم لئلا يهجوكم، وقيل: معناه أعطوهم عطاء قليلاً فشبهه لقلته بالتراب، وقيل: المراد منه أن يخيب المادح ولا يعطيه شيئاً لمدحه، والمراد زجر المادح والحث على منعه من المدح لأنه يجعل الشخص مغروراً ومتكبراً. قال الخطابي: المداحون هم الذين اتخذوا مدح الناس عادة وجعلوه بضاعة يستأكلون به الممدوح، فأما من مدح الرجل على الفعل الحسن والأمر المحمود يكون منه ترغيباً له في أمثاله وتحريضاً للناس على الاقتداء في أشباهه فليس بمداح؛ وفي شرح السنة قد استعمل المقداد الحديث على ظاهره في تناول عين التراب وحثيه في وجه المادح، وقد يتأول على أن يكون معناه الخيبة والحرمان أي من تعرض لكم بالثناء والمدح فلا تعطوه واحرموه، كني بالتراب عن الحرمان كقولهم: «ما في يده غير التراب»، وكقوله ﷺ: «إذا جاءك يطلب ثمن الكلب فاملأ كفه تراباً»، وفي الجملة المدح والثناء على الرجل مكروه لأنه قلما يسلم الماحد عن كذب يقوله في مدحه، وقلما يسلم الممدوح من عجب يدخله. (رواه مسلم)؛ ورواه أحمد في مسنده، والبخاري في الأدب، وأبو داود والترمذي عن المقداد، والطبراني والبيهقي عن ابن عمر، والحاكم في الكنى عن أنس، ولفظ الجامع الصغير «أحثوا التراب في وجوه المداحين»، رواه الترمذي عن أبي هريرة وابن عدي في الكامل وأبو نعيم في

---

(١) الجامع الصغير ٢/ ٤٦٤ الحديث رقم ٧٥٨٤.

الحديث رقم ٤٨٢٦: أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ٢٢٩٧ الحديث رقم (٦٩ ـ ٣٠٠٢)، وأبو داود في السنن ٥/ ١٥٤ الحديث رقم ٤٨٠٣، والترمذي في ٤/ ٥١٨ الحديث رقم ٢٣٩٣، وابن ماجه في ٢/ ١٢٣٢ الحديث رقم ٣٧٤٢، وأحمد في المسند ٦/ ٥.

٤٨٢٧ ـ (١٦) وعن أبي بكر، قال: أثنى رجل على رجل عند النبي ﷺ فقال: «ويلك قطعت عنق أخيك ثلاثاً من كان منكم مادحاً لا محالة فليقل: أحسب فلاناً كذا وكذا والله حسيبه إن كان يرى أنه كذلك ولا يزكي على الله أحداً».

الحلية عن ابن عمر؛ وفي رواية ابن ماجه عن المقداد «أحثوا في أفواه المداحين التراب»، وكذلك رواه ابن حبان عن ابن عمر، وكذا ابن عساكر عن عبادة بن الصامت[1].

٤٨٢٧ ـ (وعن أبي بكرة) أي الثقفي (قال: «أثنى رجل على رجل عند النبي ﷺ») أي بالغ في مدحه («فقال: ويلك») الويل بمعنى الهلاك أي هلكت هلاكاً وأهلكت إهلاكاً، وفي نسخة ويحك وهو للشفقة والمرحمة بخلاف الأوّل فإنه للزجر في الموعظة («قطعت عنق أخيك») بضم عين ونون في جميع النسخ المصححة والأصول المعتمدة، وفي القاموس العنق بالضم وبضمتين وكأمير وصرد الجيد ويؤنث، وإنما كره ذلك لئلا يغتر المقول له فيستشعر الكبر والعجب وذلك جناية عليه، فيصير كأنه قطع عنقه فأهلكه. قال النووي: هذه استعارة من قطع العنق الذي هو القتل لاشتراكهما في الهلاك لكن هذا الهلاك في الدين، وقد يكون من جهة الدنيا (ثلاثاً) أي قاله: ثلاث مرات (من كان منكم) استئناف لبيان المدح الممدوح (مادحاً) أي لأحد (لا محالة) بفتح الميم أي البتة، وفي نسخة بضمها. ففي القاموس لا محالة منه بالفتح أي لا بد، والمحال بالضم من الكلام ما عدل عن وجهه، وفي الصحاح لا محالة بالضم بمعنى لا بد أي لا فراق، وبالفتح بمعنى لاحتيال (فليقل: أحسب فلاناً) بكسر السين وفتحها أي أظنه (كذا وكذا) يعني رجلاً صالحاً مثلاً (والله حسيبه) أي محاسبه ومجازيه على أعماله وهو عالم به ومطلع على أحواله، والجملة حال من المفعول وبقية المقول (إن كان) شرط لإباحة القول المسطور أي فليقل ما ذكر إن كان القائل المادح (يرى) بضم الياء أي يظن، وفي نسخة بفتحها أي يعلم (أنه) أي الممدوح (كذلك) أي مثل ما مدحه (ولا يزكي) أي والحال أن المادح لا يزكي (على الله) أي على حكمه من قضائه وقدره (أحداً)، والمعنى لا يقطع بتقوى أحد ولا بتزكيته عند الله فإن ذلك غيب، وقيل: عداه بعلى لتضمنه معنى الغلبة لأن من جزم على تزكية أحد عند الله فكأنه غلب عليه في معرفته، هذا ما ظهر لي في حل هذا المحل، وقال الأشرف: والله حسيبه جملة اعتراضية، وقوله: إن كان يرى متعلق بقوله: أحسب فلاناً، وقوله: ولا يزكي على الله أحداً منع عن الجزم وهو عطف على قوله: فليقل اهـ. وفيه أن لا يزكي جاء بإثبات الياء فيحتاج على هذا بأن يقال إخبار في معنى النهي أي ولا يكن منكم التزكية على الله. وقد أبعد بعضهم حيث قال: ولا يزكي عطف على يرى وهو الصواب، وأنت لا يخفى عليك أنه هو المخطأ منه في هذا الباب، ثم لا يخلو كلام الطيبي من الأغراب أيضاً في

---

(١) الجامع الصغير ١/ ٢١ الحديث رقم ٢٣٤ و٢٣٥.

الحديث رقم ٤٨٢٧: أخرجه البخاري في صحيحه ١٠/ ٥٥٢ الحديث رقم ٦١٦٢، ومسلم في ٤/ ٢٢٩٦ الحديث رقم (٦٥ ـ ٣٠٠) وأبو داود في السنن ٥/ ١٥٤ الحديث رقم ٤٨٠٥، وابن ماجه في ٢/ ١٢٣٢ الحديث رقم ٣٧٤٤ وأحمد في المسند ٥/ ٤٧.

متفق عليه.

٤٨٢٨ ـ (١٧) وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال: أتدرون ما الغيبة؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. «قال: ذكرك أخاك بما يكره قيل أفرأيت إن كان في أخي ما أقول قال إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهته» رواه مسلم. وفي رواية «إذا قلت لأخيك ما فيه فقد اغتبته، وإذا قلت ما ليس فيه

الأعراب حيث قال: إن كان يرى الجملة الشرطية وقعت حالاً من فاعل فليقل؛ وعلى في على الله فيه معنى الوجوب والله أعلم. (متفق عليه).

٤٨٢٨ ـ (وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال: أتدرون ما الغيبة؟) بكسر الغين المعجمة، قيل: أي أتعلمون ما جواب هذا السؤال («قالوا: الله ورسوله أعلم»)، والأظهر أن يقال: أتدرون ما الغيبة التي ذكرها الله في قوله: ﴿ولا يغتب بعضكم بعضاً﴾ [الحجرات ـ ١٢] قالوا: الله ورسوله أعلم يعني ولو علمنا بعض العلم لكن يستفاد منك حقيقة العلم بكل شيء فضلاً عن الغيبة ونحوها. («قال: ذكرك») أي أيها المخاطب خطاباً عاماً («أخاك») أي المسلم («بما يكرهه») أي بما لو سمعه لكرهه. قال النووي: اعلم أن الغيبة من أقبح القبائح وأكثرها انتشاراً في الناس حتى لا يسلم منها إلا القليل من الناس، وذكرك فيه بما يكرهه عام سواء كان في بدنه أو دينه أو دنياه أو نفسه أو خلقه أو ماله أو ولده أو والده أو زوجه أو خادمه أو ثوبه أو مشيه وحركته وبشاشته وعبوسته وطلاقته أو غير ذلك مما يتعلق به سواء ذكرته بلفظك أو كتابك أو رمزت أو أشرت إليه بعينك أو يدك أو رأسك ونحو ذلك، وضابطه «إن كل ما أفهمت به غيرك نقصان مسلم فهو غيبة محرمة»، ومن ذلك المحاكاة بأن يمشي متعارجاً أو مطأطئاً أو على غير ذلك من الهيئات مريداً حكاية هيئة من يتنقصه بذلك («قيل:») أي قال بعض الصحابة: («أفرأيت») أي فأخبرني («إن كان في أخي») أي موجوداً («ما أقول:») أي من المنقصة، والمعنى أيكون حينئذ ذكره بها أيضاً غيبة كما هو المتبادر من عموم ذكره بما يكره («قال: إن كان فيه ما تقول») أي من العيب («فقد اغتبته») أي لا معنى للغيبة إلا هذا، وهو أن تكون المنقصة فيه («وإن لم يكن فيه ما تقول، فقد بهته») بفتح الهاء المخففة وتشديد التاء على الخطاب أي قلت عليه البهتان وهو كذب عظيم، يبهت فيه من يقال في حقه. (رواه مسلم): وكذا الثلاثة ذكره السيد جمال الدين، والمراد بهم الترمذي وأبو داود والنسائي ولفظهما قيل: «يا رسول الله ما الغيبة؟» قال: «ذكرك أخاك بما يكره»، وذكره بتمامه على ما حرره ميرك، (وفي رواية) المتبادر منه أنها رواية لمسلم وليس كذلك، بل رواية للبغوي في شرح السنة على ما بينه السيد (إذا قلت لأخيك ما فيه فقد اغتبته، وإذا قلت ما ليس فيه

الحديث رقم ٤٨٢٨: أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ٢٠٠١ الحديث رقم (٧٠ ـ ٢٥٨٩)، وأبو داود في السنن ٥/ ١٩١ الحديث رقم ٤٨٧٤، والترمذي في ٤/ ٢٩٠ الحديث رقم ١٩٣٤، والدارمي في ٢/ ١٣٨٧ الحديث رقم ٢٧١٤، ومالك في الموطأ ٢/ ٩٨٧ الحديث رقم ١٠ من كتاب الكلام، وأحمد في المسند ٢/ ٣٨٤.

فقد بهته».

٤٨٢٩ ـ (١٨) وعن عائشة رضي الله تعالى عنها أن رجلاً استأذن على النبي ﷺ فقال: ائذنوا فبئس أخو العشيرة فلما جلس تطلق النبي ﷺ في وجهه وانبسط إليه فلما انطلق الرجل قالت عائشة:

فقد بهته». قال ميرك: هذه الرواية ليست في واحد من الصحيحين وإنما رواها صاحب المصابيح في شرح السنة بإسناده عن أبي هريرة[(١)] اهـ، وفيه تلويح إلى الاعتراض على صاحب المصابيح حيث ذكر هذه الرواية في الصحاح ومر مراراً الاعتذار عنه بأن ذلك الالتزام إنما هو في الأصول لا في معتضدات الفصول.

٤٨٢٩ ـ **(وعن عائشة رضي الله تعالى عنها أن رجلا)**، قيل: هو عيينة الفزاري، وقيل: مخرمة بن نوفل، ويمكن الجمع بتعدد الواقعة **(استأذن على النبي ﷺ)** أي في الدخول عليه **(فقال: ائذنوا)** بهمزة ساكنة وصلاً، ويجوز إبدالها ياء لكن إذا ابتدىء به يقرأ بهمزة مكسورة وياء ساكنة والذال مفتوحة مطلقاً أي اعطوا الاذن **(له)**، أو اعلموا بالاذن **(فبئس أخو العشيرة)** أي بئس هو من قومه، وفي رواية للبخاري «بئس أخو العشيرة وبئس ابن العشيرة» من غير شك، وفي الشمائل، «بئس ابن العشيرة أو أخو العشيرة» على الشك، فقيل: يحتمل أن يكون الشك من سفيان، فإن جميع أصحاب المنكدر رووه عنه بدون الشك. قال الطيبي: العشيرة القبيلة أي بئس هذا الرجل من هذه العشيرة، كما يقال: يا أخا العرب لرجل منهم، قال النووي: واسم هذا الرجل عيينة بن حصين ولم يكن أسلم حينئذ وإن كان قد أظهر الإسلام، فأراد النبي ﷺ أن يبين حاله ليعرفه الناس ولا يغتر به من لم يعرف بحاله، وكان منه في حياة النبي ﷺ وبعده ما دل على ضعف إيمانه، ووصف النبي ﷺ بأنه بئس أخو العشيرة من أعلام النبوّة لأنه ظهر كما وصف، **(فلما جلس)** أي بعد دخوله **(تطلق النبي ﷺ في وجهه)** أي أظهر له طلاقة الوجه وبشاشة البشرة، **(وانبسط إليه)** أي تبسم له وألان القول له كما في رواية، وقال شارح: أي جعله قريباً من نفسه. قال النووي: وإنما ألان له القول تألفاً له ولأمثاله على الإسلام، وفيه مداراة من يتقي فحشه وجواز غيبة الفاسق؛ وفي شرح السنة فيه دليل على أن ذكر الفاسق بما فيه ليعرف أمره فيتقي لا يكون من الغيبة»، ولعل الرجل كان مجاهراً بسوء أفعاله «ولا غيبة لمجاهر»، قال النووي: ومن الذين يجوز لهم الغيبة المجاهر بفسقه أو بدعته فيجوز ذكره بما يجهر به ولا يجوز بغيره، **(فلما انطلق الرجل)** أي ذهب **(قالت عائشة:)** لعل هذا نقل بالمعنى ويدل عليه رواية الشمائل عن عروة عن عائشة؛ قالت: «استأذن رجل على رسول الله ﷺ وأنا عنده فقال: بئس ابن العشيرة أو أخو العشيرة ثم أذن له، فألان له القول

---

(١) البغوي في شرح السنة ١٣/ ١٣٨ الحديث رقم ٣٥٦٠.

الحديث رقم ٤٨٢٩: أخرجه البخاري في صحيحه ١٠/ ٤٥٢ الحديث رقم ٦٠٣٢، ومسلم في ٤/ ٢٠٠٢ الحديث رقم (٧٣ ـ ٥٩١) وأبو داود في السنن ٥/ ١٤٤ الحديث رقم ٤٧٩٢، والترمذي في السنن ٤/ ٣١٦ الحديث رقم ١٩٩٦، ومالك في الموطأ ٢/ ٩٠٣ الحديث رقم ٤ من كتاب حسن الخلق.

يا رسول الله قلت له: كذا وكذا ثم تطلقت في وجهه وانبسطت إليه، فقال رسول الله ﷺ: «متى عاهدتني فحاشاً إن شر الناس عند الله منزلة يوم القيامة من تركه الناس اتقاء شره». وفي رواية اتقاء فحشه متفق عليه.

فلما خرج قلت: (يا رسول الله قلت له: كذا وكذا). وفي الشمائل قلت له ما قلت، (ثم تطلقت في وجهه وانبسطت إليه) أي ألنت له القول على ما في الشمائل (فقال رسول الله ﷺ: متى عاهدتني) أي وجدتني ورأيتني (فحاشاً) أي ذا فحش يعني قائلاً للفحش، وأصل الفحش زيادة الشيء على مقداره، وهذا إنكار على قولها: إنك خالفت بين الغيب والحضور فلم لم تذممه في الحضور كما ذممته في الغيب (إن شر الناس عند الله منزلة يوم القيامة) استئناف كالتعليل لقوله: متى عاهدتني فحاشاً (من تركه الناس)، وفي رواية ودعه الناس كقراءة ما ودعك في الشواذ بالتخفيف، وفيه رد لقول الصرفيين أماتوا ماضي يدع إلا أن يريدوا بإماتته ندرته، فهو شاذ استعمالاً صحيح قياساً، والمعنى من ترك الناس التعرض له (اتقاء شره) كيلا يؤذيهم بلسانه وفيه رخصة المداراة لدفع الضرر؛ (وفي رواية) أي للشيخين وغيرهما (اتقاء فحشه)، وهو مجاوزة الحد قولاً وفعلاً، وقيل: المعنى إنما ألنت له القول لأني لو قلت له في حضوره ما قلته في غيبته لتركني اتقاء فحشي فأكون أشر الناس، قيل: ذلك الرجل كما وصفه النبي ﷺ فإنه ارتد بعد موته ﷺ مع المرتدين وجيء به أسيراً إلى أبي بكر رضي الله عنه، وفي فتح الباري أن عيينة ارتد في زمن الصديق وحارب ثم رجع وأسلم، وكان يقال له: الأحمق المطاع، كذا فسره به القاضي عياض والقرطبي والنووي، وأخرج عبد الغني من طريق أبي عامر الخزاعي عن عائشة قالت: «جاء مخرمة بن نوفل يستأذن، فلما سمع النبي ﷺ صوته قال: بئس أخو العشيرة». الحديث ذكره القسطلاني في المواهب وقد جمع هذا الحديث كما قاله الخطابي علماً وأدباً، وليس قوله عليه السلام في أمته بالأمور التي يسمهم بها ويضيفها إليهم من المكروه غيبة، وإنما يكون ذلك من بعضهم في بعض، بل الواجب عليه ﷺ أن يبين ذلك ويفصح به ويعرف الناس أمورهم، فإن ذلك من باب النصيحة والشفقة على الأمة، ولكنه لما جبل عليه من الكرم وأعطيه من حسن الخلق أظهر له البشاشة ولم يجبه بالمكروه، وليقتدي به أمته في اتقاء شر من هذا سبيله، وفي مداراته ليسلموا من شره وغائلته؛ وقال القرطبي: فيه جواز غيبة المعلن بالفسق أو الفحش ونحو ذلك مع جواز مداراتهم اتقاء شرهم ما لم يؤد ذلك إلى المداهنة، ثم قال تبعاً للقاضي حسين: والفرق بين المداراة والمداهنة إن المداراة بذل الدنيا لصلاح الدنيا أو الدين أو هما معاً وهي مباحة وربما استحسنت، والمداهنة بذل الدين لصلاح الدنيا اهـ. وهذه فائدة جليلة ينبغي حفظها والمحافظة عليها فإن أكثر الناس عنها غافلون وبالفرق بينهما جاهلون، (متفق عليه). وفي الجامع الصغير «إن شر الناس منزلة عند الله يوم القيامة من ترك اتقاء فحشه»[1]. رواه الشيخان وأبو داود والترمذي، وفي رواية الطبراني في

---

(١) الجامع الصغير ١/١٣٨ الحديث رقم ٢٢٨٤.

٤٨٣٠ ـ (١٩) وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «كل أمتي معافى إلا المجاهرون وإن من المجانة أن يعمل الرجل بالليل عملاً ثم يصبح وقد ستره الله عليه فيقول يا فلان عملت البارحة كذا وكذا وقد بات يستره ربه ويصبح يكشف ستر الله عنه»

الأوسط عن أنس بلفظ «من يخاف الناس شره»[1].

٤٨٣٠ ـ (**وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ كل أمتي معافى**)، هكذا في جميع نسخ المشكاة وهو اسم مفعول من عافاه الله أي أعطاه الله العافية والسلامة من المكروه، وقال النووي في شرح مسلم: معافاة بالهاء في آخره هكذا هو في معظم النسخ والأصول المعتمدة. قال الطيبي: وفي نسخ المصابيح معافى بلا هاء، وعلى هذا ينبغي أن يكتب ألفه بالياء فيكون مطابقاً للفظ كل كما ورد «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته»[2] (**إلا المجاهرون**) بالرفع في جميع نسخ المشكاة. قال التوربشتي: كتب مرفوعاً في نسخ المصابيح وحقه النصب على الاستثناء. قال الأشرف: هو مستثنى من قوله: معافى، وهو في معنى النفي أي كل أمتي لا ذنب عليهم إلا المجاهرون. وأورد الحافظ أبو موسى في مجموعه المغيث إلا المجاهرين بالنصب على الأصل، وهكذا أورده في النهاية. قال الطيبي: والأظهر أن يقال: «كل أمتي يتركون عن الغيبة إلا المجاهرون» كما ورد «من ألقى جلباب الحياء فلا غيبة له»، والعفو بمعنى الترك وفيه معنى النفي، ونحوه قوله تعالى: ﴿**ويأبى الله إلا أن يتم نوره**﴾ [التوبة ـ ٣٢] والمجاهرون هم الذين جاهروا بمعاصيهم وأظهروها وكشفوا ما ستر الله عليهم منها فيتحدثون. يقال: جهر وجاهر وأجهر أقول قول الأشرف: «كل أمتي لا ذنب عليهم» لا يصح على إطلاقه، بل المعنى «كل أمتي لا يؤاخذون أو لا يعاقبون عقاباً شديداً إلا المجاهرون». وأما ما ذكره الطيبي من التقييد بالغيبة فلا دلالة للحديث عليه ولا عبرة بعنوان الباب كما لا يخفى على أولي الألباب، بل في نفس الحديث [ما] يزيد ما ذكرناه وهو قوله ﷺ على طريق الاستئناف البياني: (**«وإن من المجانة»**) بفتح الميم وخفه الجيم مصدر مجن يمجن من باب نصر وهي أن لا يبالي الإنسان بما صنع ولا بما قيل له من غيبة ومذمة ونسبة إلى فاحشة، (**أن يعمل الرجل بالليل**) أي مثلاً (**«عملاً»**) أي من أعمال المعصية (**«ثم يصبح»**) بالنصب، وفي نسخة بالرفع أي ثم هو يدخل في الصباح (**«وقد ستره الله»**) أي عمله عن الناس أو ستره ولم يعاقبه في ليله حتى عاش إلى النهار (**«فيقول:»**) بالنصب ويرفع أي فينادي صاحباً له (**«يا فلان عملت البارحة»**) أي في الليلة الماضية (**«كذا وكذا»**) أي من الأعمال السيئة (**«وقد بات»**) أي والحال أن الرجل العاصي دام في ليله (**«يستره ربه»**) أي عن غيره ولم يكشف حاله بالعقوبة (**«ويصبح»**) أي الرجل مع ذلك (**«يكشف»**) خبر يصبح أي يرفع ويزيل (**«ستر الله عنه»**) وهو

---

(١) الجامع الصغير ١/ ١٣٨ الحديث رقم ٢٢٨٣.

الحديث رقم ٤٨٣٠: أخرجه البخاري في صحيحه ١٠/ ٤٨٦ الحديث رقم ٦٠٦٩، ومسلم في ٤/ ٢٢٩١ الحديث رقم (٥٢ ـ ٢٩٩٠).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ٢/ ٣٨٠ الحديث رقم ٨٩٣.

متفق عليه. وذكر حديث أبي هريرة من كان يؤمن بالله في باب الضيافة.

(الفصل الثاني)

٤٨٣١ ـ (٢٠) عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من ترك الكذب وهو باطل بني له قصر في ربض الجنة ومن ترك المراء وهو محق بني له في وسط الجنة

بكسر السين بمعنى السترة والحجاب، وفي نسخة بفتحها وهو مصدر، والمقصود غاية الاستغراب؛ ولذا وقع في الكلام نوع من الإطناب (متفق عليه). وفي الجامع الصغير بلفظ: «كل أمتي معافى إلا المجاهرون» وإن من الجهار أن يعمل الرجل[1]. الحديث لكن بدون يا فلان، رواه الشيخان عنه، ورواه الطبراني في الأوسط عن أبي قتادة ولفظه: «كل أمتي معافى إلا المجاهر الذي يعمل العمل بالليل فيستره ربه ثم يصبح فيقول: يا فلان إني عملت البارحة كذا وكذا، فيكشف ستر الله عزّ وجلّ». قال المؤلف: (وذكر حديث أبي هريرة من كان يؤمن بالله) أي واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت (في باب الضيافة) أي في حديث طويل ذكر فيه، وسببه أن صدره مناسب لذلك الباب فيكون إسقاطه هنا للتكرير، فكلامه للاعتذار لكنه متضمن لنوع من الاعتراض.

(الفصل الثاني)

٤٨٣١ ـ (عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من ترك الكذب») أي وقت مرائه كما يدل عليه القرينة الآتية ويحتمل الإطلاق والله أعلم. (وهو باطل) جملة معترضة بين الشرط والجزاء للتنفير عن الكذب، فإن الأصل فيه أنه باطل أو جملة حالية من المفعول أي والحال أنه باطل لا مصلحة فيه من مرخصات الكذب كما في الحرب أو إصلاح ذات البين والمعاريض، أو حال من الفاعل أي وهو ذو باطل بمعنى صاحب بطلان («بني له») بصيغة المجهول وله نائبه أي بنى الله له قصراً («في ربض الجنة») بفتح الراء والموحدة أي نواحيها وجوانبها منْ داخلها لا من خارجها، وأما قول شارح: هو ما حولها خارجاً عنها تشبيهاً بالأبنية التي حول المدن وتحت القلاع، فهو صريح اللغة لكنه غير صحيح المعنى، فإنه خلاف المنقول ويؤدي إلى المنزلة بين المنزلتين حساً، كما قاله المعتزلة معنى، فالصواب أن المراد به أدناها كما يدل عليه قوله: («ومن ترك المراء») بكسر الميم أي الجدال («وهو محق») أي صادق ومتكلم بالحق («بني له في وسط الجنة») بفتح السين ويسكن أي في أوسطها لتركه كسر

---

(١) الجامع الصغير ٢/ ٣٩١ الحديث رقم ٦٢٧٨ و٦٢٧٩.

الحديث رقم ٤٨٣١: أخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٣١٥ الحديث رقم ١٩٩٣، وابن ماجه في ١/ ١٩ الحديث رقم ٥١، والبغوي في شرح السنة ١٣/ ٨٢ الحديث رقم ٣٥٠٢.

ومن حسن خلقه بني له في أعلاها. رواه الترمذي وقال: هذا حديث حسن وكذا في شرح السنة وفي المصابيح غريب.

٤٨٣٢ ـ (٢١) وعن أبي هريرةَ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «أتدرونَ ما أكثرُ ما يدخلُ النّاسَ الجنّةَ؟ تَقوى اللّهِ، وحُسنُ الخلُقِ. أتدرونَ ما أكثرُ ما يدخلُ الناسَ النّارَ؟ الأجوَفانِ: الفَمُ والفَرْجُ».

قلب من يجادله ودفعه رفعة نفسه وإظهار نقامة فضله، وهذا يشعر بأن معنى صدر الحديث أن من ترك المراء وهو مبطل، فوضع الكذب موضع المراء لأنه الغالب فيه، أو المعنى أن من ترك الكذب ولو لم يترك المراء بني له في ربض الجنة لأنه حفظ نفسه عن الكذب، لكن ما صانها عن مطلق المراء فلهذا يكون أحط مرتبة منه (**ومن حسن**) بتشديد السين أي أحسن بالرياضة (**خلقه**) بضمتين ويسكن اللام أي جميع أخلاقه التي من جملتها المراء وترك الكذب (**بني له في أعلاها**) أي حساً ومعنى؛ وهذا يدل على أن الخلق مكتسب وإن كان أصله غريزياً، ومنه خبر صحيح «اللهم حسن خلقي كما حسنت خلقي»[1] وكذا خبر مسلم «اللهم اهدني لأحسن الأخلاق، لا يهدي لأحسنها إلا أنت»[2]. قال الإمام حجة الإسلام [حد] المراء الاعتراض على كلام الغير بإظهار خلل فيه إما لفظاً أو معنى أو في قصد المتكلم، وترك المراء بترك الإنكار والاعتراض، فكل كلام سمعته فإن كان حقاً فصدق به وإن كان باطلاً ولم يكن متعلقاً بأمور الدين فاسكت عنه. (**رواه الترمذي وقال: هذا حديث حسن**) وتمامه لا يعرف إلا من حديث سلمة بن وردان. قال ميرك نقلاً عن التصحيح، وسلمة تكلم فيه لكن حسن حديثه الترمذي، وللحديث شواهد اهـ. فالحديث حسن لذاته أو لغيره، (**وكذا في شرح السنة**) أي حسن، (**وفي المصابيح غريب**) أي إسناداً لما سبق، وهو لا ينافي كونه حسناً كما قررناه.

٤٨٣٢ ـ (**وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أتدرون ما أكثر ما يدخل الناس الجنة»**) أي ما أكثر أسباب إدخالهم الجنة مع الفائزين (**«تقوى الله»**) وأقلها التقوى عن الشرك وأعلاها عن خطور ما سوى الله (**«وحسن الخلق»**) أي مع الخلق وأدناه ترك أذاهم، وأعلاه الإحسان إلى من أساء إليه منهم، وفيه مبادرة إلى الجواب حيث يعلم جهل أهل الخطاب وفائدة يراد السؤال أولاً إبهام وتفصيل وهما يوجبان إيقاع الكلام وتأثيره في النفوس أكثر (**«أتدرون ما أكثر ما يدخل الناس النار الأجوفان»**) أي المجوّفان أو المعتلان الوسط علة معنوية (**«الفم والفرج»**)، لأن المرء غالباً بسببهما يقع في مخالفة الخالق وترك المخالفة مع المخلوق، وبه يظهر الارتباط بين القرينتين من الكلام والله أعلم بحقيقة المرام. وقال الطيبي: قوله: «تقوى الله» إشارة إلى حسن المعاملة مع الخالق بأن يأتي جميع ما أمره به، وينتهي عما

---

(١) أحمد في المسند. (٢) أحمد في المسند ١/ ١٠٢.

الحديث رقم ٤٨٣٢: أخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٣١٩ الحديث رقم ٢٠٠٤، وابن ماجه في ٢/ ١٤١٨ الحديث رقم ٤٢٤٦، وأحمد في المسند ٢/ ٢٩١.

رواه الترمذي، وابنُ ماجه.

٤٨٣٣ ـ (٢٢) وعن بلالِ بنِ الحارثِ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إنَّ الرجلَ ليتكلمُ بالكلمةِ منَ الخيرِ ما يعلمُ مبلغها يكتبُ اللهُ له بها رضوانه إلى يوم يلقاهُ. [٣٦٢ ـ أ ـ] وإنَّ الرجلَ ليتكلمُ بالكلمةِ منَ الشرِّ ما يعلمُ مبلغَها يكتبُ اللهُ بها عليه سخطهُ إلى يوم يلقاهُ».

نهى عنه، وحسن الخلق إشارة إلى حسن المعاملة مع الخلق، وهاتان الخصلتان موجبتان لدخول الجنة ونقيضهما النار، فأوقع الفم والفرج مقابلاً لهما، أما الفم فمشتمل على اللسان وحفظ ملاك أمر الدين كله، وأكل الحلال رأس التقوى كله، وأما الفرج فصونه من أعظم مراتب الدين. قال تعالى: ﴿والذين هم لفروجهم حافظون﴾ [المؤمنون ـ ٥] لأن هذه الشهوة أغلب الشهوات على الإنسان وأعصاها على العقل عند الهيجان؛ «ومن ترك الزنا خوفاً من الله تعالى مع القدرة وارتفاع الموانع وتيسر الأسباب لا سيما عند صدق الشهوة وصل إلى درجة الصديقين». قال تعالى: ﴿وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى﴾ [النازعات ـ ٤٠] وقصة الرشيد في تعليق طلاق زبيدة مع الإمام أبي يوسف مشهورة، ومعنى الأكثرية في القرينتين إن أكثر أسباب السعادة الأبدية الجمع بين هاتين الخلتين، وإن أكثر أسباب الشقاوة السرمدية الجمع بين هاتين الخصلتين. (رواه الترمذي وابن ماجه).

٤٨٣٣ ـ (وعن بلال بن الحارث)، قال المؤلف في فصل الصحابة: وأبو عبد الرحمن المزني سكن بالأستعراء[1] وراء المدينة، روى عنه ابنه الحارث وعلقمة بن الوقاص، مات سنة ستين وله ثمانون سنة، (قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الرجل ليتكلم بالكلمة من الخير») من بيانية («ما يعلم») أي الرجل («مبلغها») أي قدر تلك الكلمة ومرتبتها («عند الله»)، والجملة حال أي والحال أنه يظن أنها يسيرة قليلة وهي عند الله عظيمة جليلة («يكتب الله») أي يثبت ويديم («له بها رضوانه») بكسر الراء وبضم أي رضاه، وهو يحتمل أن يكون من باب إضافة المصدر إلى فاعله أو مفعوله والأول أظهر لمقابلة القرينة الآتية («إلى يوم يلقاه») بكسر الميم في أكثر النسخ وبفتحها في بعضها، وبالتنوين في بعضها، والضمير البارز في يلقاه يحتمل أن يكون إلى اليوم، والمستتر إلى الرجل ويمكن عكسه تجوزاً، ويمكن أن يكون أحد الضميرين إلى الله والآخر إلى الرجل، فتأمل. («وإن الرجل ليتكلم بالكلمة من الشر ما يعلم مبلغها يكتب الله بها سخطه») أي غضبه («إلى يوم يلقاه») قال ابن عيينة: هي الكلمة عند السلطان، فالأولى ليرده بها عن ظلم، والثانية ليجره بها إلى ظلم، وقال ابن عبد البر: لا أعلم خلافاً في تفسيرها بذلك، نقله السيوطي. قال الطيبي: فإن قلت: ما معنى قوله: «يكتب الله بها رضوانه»، وما

الحديث رقم ٤٨٣٣: أخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٢٨٤ الحديث رقم ٢٣١٩، وابن ماجه في ٢/ ١٣١٢ الحديث رقم ٣٩٦٩، ومالك في الموطأ ٢/ ٩٨٥ الحديث رقم ٥ من كتاب الكلام، والبغوي في شرح السنة ١٤/ ٣١٤ الحديث رقم ٤١٢٤، وأحمد في المسند ٣/ ٤٦٩.

(١) في المخطوطة «الأشعري».

رواه في «شرح السنة». وروى مالك، والترمذي، وابن ماجه نحوَه.

٤٨٣٤ ـ (٢٣) وعن بَهْزِ بن حكيم، عن أبيه، عن جدِّه، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «وَيْلٌ لمن يُحدِّثُ فيكذِبُ ليُضحِكَ به القومَ،

فائدة التوقيت إلى يوم يلقاه» قلت: معنى كتبه رضوان الله توفيقه لما يرضي الله تعالى من الطاعات والمسارعة إلى الخيرات فيعيش في الدنيا حميداً وفي البرزخ يصان من عذاب القبر ويفسح له قبره، ويقال له: نم كنومة العروس الذي لا يوقظه إلا أحب أهله إليه، ويحشر يوم القيامة سعيد، ويظله الله تعالى في ظله، ثم يلقى بعد ذلك من الكرامة والنعيم المقيم في الجنة ثم يفوز بلقاء الله. ما كل ذلك دونه، وفي عكسه قوله: يكتب الله بها عليه سخطه، ونظيره قوله تعالى لإبليس: ﴿إن عليك لعنتي إلى يوم الدين﴾ [ص ـ ٧٨] (رواه في شرح السنة) أي بهذا اللفظ، (وروى مالك والترمذي وابن ماجه نحوه) أي بمعناه، وفي الجامع الصغير رواه مالك وأحمد والترمذي والنسائي وابن ماجه وابن حبان والحاكم عن بلال بن الحارث مرفوعاً ولفظه: «إن الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله تعالى ما يظن أن تبلغ ما بلغت، فيكتب الله له بها رضوانه يوم القيامة، وأن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله ما يظن أن تبلغ ما بلغت فيكتب الله عليه بها سخطه إلى يوم القيامة». وفي الأحياء، وكان علقمة يقول: وكم من كلام مَنَعنيه حديثُ بلال بن الحارث[1].

٤٨٣٤ ـ (وعن بهز) بفتح موحدة وسكون هاء فزاي (ابن حكيم) تابعي، قال المصنف: قد اختلف العلماء فيه؛ روى عنه جماعة ولم يخرج البخاري ومسلم في صحيحيهما شيئاً منه، وقال ابن عدي ولم أر حديثه منكراً، (عن أبيه) أي حكيم بن معاوية القشيري البصري قال البخاري: في صحبته نظر، روى عنه ابن أخيه معاوية بن حكيم وقتادة، (عن جده) أي معاوية ابن حيدة بفتح حاء مهملة فسكون تحتية ودال مهملة لم يذكره المؤلف. (قال: قال رسول الله ﷺ: «ويل») أي هلاك عظيم أو واد عميق في جهنم («لمن يحدث») أي لمن يخبر الناس («فيكذب») أي لا يصدق في تحديثه وإخباره («ليضحك») بضم أوله وكسر حائه («به») أي بسبب تحديثه أو الكذب («القوم») بالنصب على أنه مفعول ثان هكذا في النسخ، ويجوز فتح الياء والحاء ورفع القوم، ثم المفهوم منه أنه إذا حدث بحديث صدق ليضحك القوم فلا بأس به، كما صدر مثل ذلك عن عمر رضي الله عنه مع النبي ﷺ حين غضب على بعض أمهات المؤمنين؛ قال الغزالي: وحينئذ ينبغي أن يكون من قبيل مزاح رسول الله ﷺ فلا يكون إلا حقاً ولا يؤذي قلباً ولا يفرط فيه، فإن كنت أيها السامع تقتصر عليه أحياناً وعلى الندور فلا حرج عليك، ولكن من الغلط العظيم أن يتخذ الإنسان المزاح حرفة، ويواظب عليه، ويفرط فيه ثم يتمسك بفعل رسول الله ﷺ، فهو كمن يدور مع الزنوج أبداً لينظر إلى رقصهم، ويتمسك بأن

---

(١) الجامع الصغير ١/ ١٢١ الحديث رقم ١٩٧٣.

الحديث رقم ٤٨٣٤: أخرجه أبو داود في السنن ٥/ ٢٦٥ الحديث رقم ٤٩٩٠، والترمذي في ٤/ ٤٨٣ الحديث رقم ٢٣١٥ والدارمي في ٢/ ٣٨٢ الحديث رقم ٢٧٠٢، وأحمد في المسند ٥/ ٥.

ويلٌ له، ويلٌ له». رواه أحمد، والترمذي، وأبو داود، والدارميُّ.

٤٨٣٥ ـ (٢٤) وعن أبي هريرةَ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إنَّ العبدَ ليقولُ الكلمةَ لا يقولُها إلاَّ ليُضحكَ به الناسَ، يهوي بها أبعد ما بينَ السماءِ والأرضِ، وإنَّه ليزلُّ عن لسانه أشدَّ ممَّا يزلُّ عن قدمِه». رواه البيهقي في «شعب الإيمان».

رسول الله ﷺ أذن لعائشة رضي الله عنه في النظر إليهم وهم يلعبون». (ويل له، ويل له) إنما أعاده مرتين للتأكيد أو أولها للبرزخ وثانيها للموقف، وثالثها للنار. (رواه أحمد والترمذي) أي وقال: حسن اهـ. وقد تكلم بعضهم في بهز ووثقه جماعة، ذكره ميرك (وأبو داود والدارمي) وكذا النسائي والحاكم[1].

٤٨٣٥ ـ (وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن العبد») أي الشخص («ليقول الكلمة») أي الكاذبة («لا يقولها إلا ليضحك به الناس») أي بتلفظها، أو المراد بها الكلام على أنها كلمة لغوية، والمستثنى من أعم عام الغرض («يهوي») بفتح الياء وكسر الواو أي يسقط في جهنم («بها») أي بسببها («أبعد») أي هوياً وسقوطاً أبعد («مما بين السماء والأرض»)، وفي نسخة، «أبعد ما بين السماء والأرض»، وقيل: معناه يبعد بها عن الخير والرحمة بعداً أبعد ما بينهما، («وإنه») أي العبد، والمراد به الجنس، فلا يرد أن المعرفة إذا أعيدت تكون عين الأول فتأمل. («ليزل») بفتح اللام والياء وكسر الزاي وتشديد اللام أي ليعثر ويزلق ويخطأ («عن لسانه») أي عن جهته ومن قبله وبسببه («أشد») أي زللاً أقوى وأكثر («مما يزل عن قدمه»)، والمعنى أن صدور الكذب ونحوه عن لسانه أضر عليه من ضرر سقوطه عن رجله على وجهه، فإن الضرر البدني أهون من الضرر الديني. قال الطيبي: قوله: وإنه ليزل عن لسانه تمثيل بعد تمثيل مثلاً أولاً مضرته في جاهه، وسقوطه من منزلته عند الله تعالى بمن سقط من أعلى مكان إلى أدناه، ثم مثل ثانياً مضرته بها في نفسه وما يلحقه من المشقة والتعب بمن يتردد في وحل عظيم فيدحض قدماه في تلك المزالق قلما يتخلص منها. (رواه البيهقي في شعب الإيمان). قال ميرك ناقلاً عن التصحيح، ورواه أحمد في مسنده من طريق مكحول عن أبي هريرة، ورواه صاحب المصابيح في شرح السنة بهذا اللفظ من طريق يحيى بن أبي عبيد عن أبيه عن أبي هريرة[2]، قلت: وفي الجامع الصغير بلفظ «إن العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبين فيها يزل بها في النار أبعد ما بين المشرق والمغرب». رواه أحمد والشيخان عن أبي هريرة، وفي رواية للترمذي وابن ماجه والحاكم عنه بلفظ: «إن الرجل ليتكلم بالكلمة لا يرى بها بأساً يهوي بها سبعين خريفاً في النار». وفي رواية أحمد عن أبي سعيد ولفظه: «إن الرجل ليتكلم بالكلمة لا يريد بها بأساً ليضحك بها القوم وأنه ليقع بها أبعد من السماء»[3].

---

(١) الحاكم في المستدرك ١/ ٤٦.

الحديث رقم ٤٨٣٥: أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ٤/ ٢١٣ الحديث رقم ٤٨٣٢.

(٢) البغوي في شرح السنة ١٤/ ٣١٩ الحديث رقم ٤١٣١.

(٣) الجامع الصغير ١/ ١٢٦ الحديث رقم ٢٠٦١.

٤٨٣٦ ـ (٢٥) وعن عبد اللّهِ بن عمْرٍو، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «مَن صمتَ نجا». رواه أحمد، والترمذي، والدارمي، والبيهقي في «شعب الإيمان».

٤٨٣٧ ـ (٢٦) وعن عُقْبَةَ بن عامرٍ، قال: لقيتُ رسولَ الله ﷺ، فقلتُ: ما

٤٨٣٦ ـ (وعن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: «من صمت») أي سكت («عن الشر نجا») أي فاز وظفر بكل خير أو نجا من آفات الدارين. قال الراغب: الصمت أبلغ من السكوت لأنه قد يستعمل فيما لا قوّة له للنطق[1] وفيما له قوّة النطق، ولهذا قيل لما لا نطق له الصامت والمصمت والسكوت يقال: لما له نطق فيترك استعماله. وقال الغزالي: اعلم أن ما ذكره ﷺ من فصل الخطاب وجوامع الكلم وجواهر الحكم ولا يعرف أحد ما تحت كلماته من بحار المعاني الأخواص العلماء، وذلك إن خطر اللسان عظيم وآفاته كثيرة من الخطأ والكذب والنميمة والغيبة والرياء والسمعة والنفاق والفحش والمراء، وتزكية النفس والخوض في الباطل وغيرها، ومع ذلك النفس مائلة إليها لأنها سباقة إلى اللسان لا تثقل عليه، ولها حلاوة في النفس، وعليها بواعث من الطبع والشيطان، فالخائض فيها قلما يقدر على أن يزم اللسان فيطلقه بما يجب وكفه عما لا يجب، ففي الخوض خطر وفي الصمت سلامة مع ما فيه من جمع الهم ودوام الوقار والفراغة للفكر ،العبادة والذكر، والسلامة من تبعات القول في الدنيا ومن حسابه في العقبى. وقد قال تعالى ما يلفظ من قول ﴿إلا لديه رقيب عتيد﴾ [ق ـ ١٨] ويدلك على لزوم الصمت أمر وهو أن الكلام أربعة أقسام قسم هو ضرر محض، وقسم هو نفع محض، وقسم فيه ضرر ومنفعة، وقسم لا ضرر فيه ولا منفعة، أما الذي هو ضرر محض فلا بد من السكوت عنه، وكذلك ما فيه ضرر ومنفعة لا نفي بالضرر، وأما ما لا منفعة فيه ولا ضرر فهو فضول والاشتغال به تضييع زمان وهو عين الخسران ظاهراً فلا يبقى إلا القسم الرابع وفيه خطر إذ قد يمتزج به ما فيه اثم من دقائق الرياء والتصنع والغيبة وتزكية النفس وفضول الكلام امتزاجاً يخفي مدركه فيكون الإنسان به مخاطراً اهـ. وحاصله أن آفات اللسان غير محصورة، وفي الصمت خلاص منها. وقد قيل: «اللسان جرمه صغير وجرمه كبير وكثير» (رواه أحمد والترمذي والدارمي والبيهقي في شعب الإيمان).

٤٨٣٧ ـ (وعن عقبة بن عامر) أي الجهني (قال: لقيت رسول الله ﷺ فقلت: ما

الحديث رقم ٤٨٣٦: أخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٥٦٩ الحديث رقم ٢٥٠١، والدارمي في ٢/ ٣٨٧ الحديث رقم ٢٧١٣، والبيهقي في شعب الإيمان ٤/ ٢٥٤ الحديث رقم ٤٩٨٣، وأحمد في المسند ٢/ ١٧٧.

(١) في المخطوطة من «النطق».

الحديث رقم ٤٨٣٧: أخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٥٢٣ الحديث رقم ٢٤٠٦، وأحمد في المسند ٥/ ٢٥٩.

النَّجاةُ؟ فقال: «أَمْلِكْ عليكَ لسانَكَ، ولْيَسَعْكَ بيتُكَ، وابْكِ على خطيئتِكَ». رواه أحمدُ والترمذي.

٤٧٣٨ ـ (٢٧) وعن أبي سعيدٍ، رفعَه، قال: «إذا أصبحَ ابنُ آدمَ، فإنَّ الأعضاءَ

النجاة؟) أي ما نجاة هذا الأمر حتى نتعلق به، أو ما الخلاص عن الآفات حتى أحترس به، (**فقال: أملك عليك لسانك**) بفتح الهمزة وكسر اللام أي احفظ لسانك عما ليس فيه خير كما قاله شارح، والأظهر أن معناه أمسك لسانك حافظاً عليك أمورك مراعياً لأحوالك، ففيه نوع من التضمين. وفي النهاية أي لا تجره إلا بما يكون لك لا عليك اهـ. وهو حاصل المعنى كما لا يخفى، وعن بعضهم أي «اجعل لسانك مملوكاً لك فيما عليك وباله وتبعته فامسكه عما يضرك وأطلقه فيما ينفعك» اهـ. وهو ناظر إلى أن الصيغة من الثلاثي المجرد، ففي القاموس ملكه يملكه ملكاً مثلثة احتواه قادراً على الاستبداد به، وأملكه الشيء وملكه إياه تمليكاً بمعنى لكن النسخ المصححة والأصول المعتمدة بصيغة المزيد مضبوطة؛ نعم كتب ميركشاه على هامش كتابه الظاهر «إملك» بكسر الهمزة من الثلاثي المجرد فإنه متعد، لكن في الأصل صحح من الثلاثي المزيد فيه وليس بظاهر تأمل، قلت: لعل الزيادة لزيادة المبالغة في التعدية فتدبر هذا وقد قال الطيبي هذا الجواب من أسلوب الحكيم سئل عن حقيقة النجاة فأجاب عن سببه لأنه أهم بحاله وأولى، وكان الظاهر أن يقول: حفظ اللسان، فأخرجه على سبيل الأمر الذي يقتضي الوجوب مزيداً للتقرير والاهتمام اهـ، وما فيه من التكلف لا يخفى، بل من التعسف في حق الصحابي فإنه جعل العدول عن معرفته حقيقة النجاة بالنسبة إليه أولى، فالصواب أن تقدير السؤال ما سبب النجاة بقرينة الجواب وقد أشرنا فيما تقدم إلى تقدير آخر والله أعلم. (**وليسعك**) بكسر اللام وسكن (**بيتك**) بأن تسكن فيه ولا تخرج منه إلا لضرورة ولا تضجر من الجلوس فيه، بل تجعله من باب الغنيمة، فإنه سبب الخلاص من الشر والفتنة، ولذا قيل: «هذا زمان السكوت وملازمة البيوت والقناعة إلى أن يموت». قال الطيبي: الأمر في الظاهر وارد على البيت، وفي الحقيقة على المخاطب أي تعرض لما هو سبب للزوم البيت من الاشتغال بالله والمؤانسة بطاعته والخلوة عن الأغيار (**وابك على خطيئتك**) أي ابك إن تقدر وإلا فتباك نادماً على معصيتك فيما سبق من أيام حياتك. قال الطيبي: ضمن بكى معنى الندامة وعداه بعلى أي اندم على خطيئتك باكياً. (**رواه أحمد والترمذي**)؛ وروى ابن قانع والطبراني عن الحارث بن هشام صدر الحديث فقط وهو «أملك عليك لسانك».

٤٨٣٨ ـ (**وعن أبي سعيد**) أي الخدري (**رفعه**) أي أسند الحديث إلى النبي ﷺ وإنما أبهمه الراوي لأنه شك في كيفية رفعه أنه هل هو بصيغة السمع أو القول ونحوهما (**قال: «إذا أصبح ابن آدم»**) أي دخل في الصباح وهو مفتاح باب النجاح [لأن آفات اللسان إنما هي بمعاشرة الإخوان وهي في النهار أكثر باعتبار أغلب الأزمان] (**«فإن الأعضاء»**) أي التي يتأتى

الحديث رقم ٤٨٣٨: أخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٥٢٣ الحديث رقم ٢٤٠٧، وأحمد في المسند ٣/ ٩٦.

كلَّها تكفِّرُ اللسانَ، فتقولُ: اتقِ اللّهَ فينا، فإنّا نحنُ بكَ، فإنِ استقمتَ استقمْنا، وإنِ اعوججْتَ اعوَججْنا». رواه الترمذي.

منها العصيان أو مطلقها فإن لها تعلقاً ما في الحركات والسكنات للإنسان، ويؤيده تأكيدها بقوله: («كلها تكفر») بتشديد الفاء المكسورة أي تتذلل وتتواضع («للسان»)، من قولهم: كفر اليهودي إذا خضع مطأطأ رأسه وانحنى لتعظيم صاحبه، كذا قاله شارح، وفي النهاية التكفير هو أن ينحني الإنسان ويطأطيء رأسه قريباً من الركوع كما يفعل من يريد تعظيم صاحبه («فتقول»:) أي الأعضاء («اتق الله فينا») أي في حفظ حقوقنا («فإنما نحن بك») أي نتعلق ونستقيم ونعوج بك» («فإن استقمت استقمنا وإن اعوججت اعوججنا»). قال الطيبي: فإن قلت: كيف التوفيق بين هذا الحديث وبين قوله ﷺ: «إن في الجسد لمضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب»، قلت: اللسان ترجمان القلب وخليفته في ظاهر البدن، فإذا أسند إليه الأمر يكون على سبيل المجاز في الحكم كما في قولك: «شفى الطبيب المريض». قال الميداني: في قوله: المرء بأصغريه يعني بهما القلب واللسان أي يقوم ويكمل معانيه بهما وأنشد لزهير:

وكأن ترى من صامت لك معجب	زيادته أو نقصه في التكلم
لسان الفتى نصف ونصف فؤاده	فلم يبق إلا صورة اللحم والدم

اهـ ولا يخفى ظهور توقف صلاح الأعضاء وفسادها على القلب بحسب صلاحه وفساده فإنه معدن الأخلاق الكريمة كما أنه منبع الأحوال الذميمة، ونظيره الملك المطاع، والرئيس المتبع، فإنه إذا صلح المتبوع صلح التبع. وقد قال بعض أكابر الصوفية: «إن البطن عضوان جاع هو شبع سائر الأعضاء» يعني سكن فلا يطالبك بشيء، «وإن شبع هو جاع سائر الأعضاء»، وبيانه على ما في منهاج العابدين أن في كثرة الأكل فتنة الأعضاء وانبعاثها للفضول والفساد، فالرجل إذا كان شبعان بطراً اشتهت عينه النظر إلى ما لا يعنيه من حرام أو فضول، والأذن الاستماع إليه واللسان التكلم به والفرج الشهوة والرجل المشي إليه، وإذا كان جائعاً فتكون الأعضاء كلها ساكنة هادية لا تطمح إلى شيء من هذا ولا تنشط له. وجملة الأمر إن أفعال الرجل وأقواله على حسب طعامه وشرابه، «إن دخل الحرام خرج الحرام، وإن دخل الفضول خرج الفضول كأن الطعام بذر الأفعال، والأفعال نبت يبدو منه»، فهذا المعنى ظاهر جداً في أمر القلب والبطن، وأما تعلق الأعضاء جميعها باللسان فلم يظهر لي مدة من الزمان حتى ألهمني الله تعالى ببركة الصلاة على نبيه ﷺ وهو أن اللسان من أعضاء الإنسان آله البيان للكفر والإيمان، فمع استقامته تنفعه استقامة سائر الأعضاء، ومع اعوجاجه تبطل أحوالها سواء تكون مستقيمة أو معوجة في أفعالها والله الملهم بالصواب وإليه المرجع والمآب. (**رواه الترمذي**)، وكذا ابن خزيمة والبيهقي.

٤٨٣٩ ـ (٢٨) وعن عليّ بن الحسين [رضي اللّهُ عنهما] قال قال: رسولُ الله ﷺ: «مِنْ حُسنِ إسلام المرءِ تركُه ما لا يعنيه».

٤٨٣٩ ـ **(وعن علي بن الحسين)** أي ابن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم وهو الإمام زين العابدين وقد سبق بعض مناقبه من جملة محاسن مراتبه **(قال: قال رسول الله ﷺ: «من حسن إسلام المرء»)** أي من جملة محاسن إسلام الشخص وكمال إيمانه **(«تركه ما لا يعنيه»)** أي ما لا يهمه ولا يليق به قولاً وفعلاً ونظراً وفكراً، «فحسن الإسلام عبارة عن كماله، وهو أن تستقيم نفسه في الاذعان لأوامر الله تعالى ونواهيه والاستسلام لأحكامه على وفق قضائه وقدره فيه وهو علامة شرح الصدر بنور الرب ونزول السكينة على القلب وحقيقة ما لا يعنيه ما لا يحتاج إليه في ضرورة دينه ودنياه، ولا ينفعه في مرضاة مولاه بأن يكون عيشه بدونه ممكناً وهو في استقامة حاله بغيره متمكناً، وذلك يشمل الأفعال الزائدة والأقوال الفاضلة، فينبغي للمرء أن يشتغل بالأمور التي يكون بها صلاحه في نفسه في أمر زاده بإصلاح طرفي معاشه ومعاده، وبالسعي في الكمالات العلمية والفضائل العملية التي هي وسيلة إلى نيل السعادات الأبدية والفوز بالنعم السرمدية»؛ ولعل الحديث مقتبس من قوله تعالى: **﴿والذين هم عن اللغو معرضون﴾** [المؤمنون ـ ٣] قال الغزالي: وحد ما لا يعنيك أن تتكلم بكل ما لو سكت عنه ولم تأثم ولم تتضرر في حال ولا مآل ومثاله أن تجلس مع قوم فتحكي معهم أسفارك وما رأيت فيها من جبال وأنهار وما وقع لك من الوقائع وما استحسنته من الأطعمة والثياب وما تعجبت منه من مشايخ البلاد ووقائعهم، فهذه أمور لو سكت عنها لم تأثم ولم تتضرر، وإذا بالغت في الاجتهاد حتى لم يمتزج بحكايتك زيادة ولا نقصان ولا تزكية نفس من حيث التفاخر بمشاهدة الأحوال العظيمة، ولا اغتياب لشخص ولا مذمة لشيء مما خلقه الله تعالى، فأنت مع ذلك كله مضيع زمانك ومحاسب على عمل لسانك إذ تستبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير لأنك لو صرفت زمان الكلام في الذكر والفكر ربما ينفتح لك من نفحات رحمة الله تعالى ما يعظم جدواه، ولو سبحت الله بنى لك بها قصراً في الجنة، ومن قدر على أن يأخذ كنزاً من الكنوز فأخذ بدله بدرة لا ينتفع بها كان خاسراً خسراناً مبيناً، وهذا على فرض السلامة من الوقوع في كلام المعصية وأنى تسلم من الآفات التي ذكرناها. وذكر أن بعض العارفين مر على غرفة بنيت فقال: «مذ كم بنيت هذه؟ ثم أقبل على نفسه وقال: يا نفسي المغرورة تسألين عما لا يعنيك؟ وعاقبتها بصوم سنة» وقد ورد في الحديث ليس يتحسر أهل الجنة إلا على ساعة مرت بهم ولم يذكروا الله فيها على ما رواه الطبراني عن معاذ مرفوعاً، فطوبى لمن حاسب نفسه قبل أن يحاسب. قال تعالى: **﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون﴾** [الحشر ـ ١٩] قال الأوزاعي: كتب إلينا [عمر بن] عبد العزيز: أما بعد فإن من أكثر ذكر الموت رضي من الدنيا باليسير، ومن

الحديث رقم ٤٨٣٩: أخرجه مالك في الموطأ ٢/ ٩٠٣ الحديث رقم ٣ من كتاب حسن الخلق، وأحمد في المسند ١/ ٢٠١.

رواه مالك، وأحمد.

٤٨٤٠ ـ (٢٩) ورواه ابنُ ماجه، عن أبي هريرة.

٤٨٤١ ـ (٣٠) والترمذيُّ، والبيهقي في «شعب الإيمان» عنهما.

عد كلامه من عمله قل كلامه فيما لا يعنيه، وقيل: ما تكلم الربيع بن خثيم بكلام الدنيا عشرين سنة، وكان إذا أصبح وضع قرطاساً نقياً وقلما فكلما تكلم به كتبه ثم يحاسب نفسه عند المساء. هذا وعن بعضهم من في قوله: «من حسن إسلام المرء» تبعيضية، ويجوز أن تكون بيانية، اهـ وبيانه أن تركه ما لا يعنيه هو حسن إسلام المرء وكماله فيه، وتقديم الخبر لكون التركيب من باب على التمرة مثلها زبداً. قال الطيبي: وعلى أن تكون تبعيضية إشارة إلى قوله ﷺ: «الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه»[1]. الحديث بعد الإيمان والإسلام وأنت تعلم أن التحلية مسبوقة بالتخلية، فالترك بعض من الاحسان، فيكون إشارة إلى الانسلاخ عما يشغله عن الله، فإذا أخذ السالك في السلوك تجرد بحسب أحواله ومقاماته شيئاً فشيئاً مما لا يعنيه إلى أن يتجرد عن جميع أوصافه، ويتوجه بكليته إلى الله سبحانه، وإليه يلمح قوله تعالى: **﴿بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن﴾** [البقرة ـ ١١٢] وقول إبراهيم عليه السلام: **﴿إذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين﴾** [البقرة ـ ١٣١] قال النووي: هذا أحد الأحاديث التي عليها مدار الإسلام. قال أبو داود: وهي أربعة الأوّل حديث نعمان بن بشير الحلال بين والحرام بيّن وبينهما مشتبهات لا يعلمهن»، الثاني «من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه»، الثالث «لا يكون المؤمن مؤمناً حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»، الرابع «الأعمال بالنيات»، وقيل بدل الثالث: «ازهد في الدنيا يحبك الله وازهد فيما في أيدي الناس يحبك الناس». وأنشد الإمام الشافعي رضي الله عنه في معناه:

عمدة الخير عندنا كلمات أربع قالهن خير البريه
اتق الشبهات وازهد ودع ما ليس يعنيك واعملن بنيه

قلت: مدار الأربعة السنية على تصحيح النية، فإنه إذا عمل بالنية المرتبطة بحسن الطوية يورث له اتقاء الشبهات أكلاً وترك ما لا يعنيه قولاً وفعلاً ويترتب عليها الزهد في الدنيا والزهد فيما في أيدي الناس بالأولى، فيحب المؤمنين ويحبونه لله تعالى، فنية المؤمن خير من عمله كما ورد في حديث، وقد جعلت في شرحه رسالة تعين مبانيه وتبين معانيه. **(رواه مالك وأحمد)** أي عن علي بن الحسين.

٤٨٤٠ ـ **(ورواه ابن ماجه عن أبي هريرة)**.

٤٨٤١ ـ **(والترمذي)** أي في جامعه، **(والبيهقي في شعب الإيمان عنهما)** أي عن علي

---

(١) متفق عليه أخرجه البخاري في صحيحه ١/ ١١٤ الحديث رقم ٥٠، ومسلم في ١/ ٤٠ الحديث رقم (٧/ ١٠).

الحديث رقم ٤٨٤٠: أخرجه ابن ماجه في السنن ٢/ ١٣١٥ الحديث رقم ٣٩٧٦.

الحديث رقم ٤٨٤١: أخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٤٨٣ الحديث رقم ٢٣١٧، و٢٣١٨ والبيهقي في

٤٨٤٢ ـ (٣١) وعن أنسٍ، قال: توفيَ رجلٌ منَ الصَّحابةِ. فقال رجلٌ: أبشرْ بالجنَّةِ. فقال رسولُ الله ﷺ: «أوَ لا تدري، فلعلَّه تكلَّم فيما لا يعنيه، أو بخِلَ بما لا ينقصُه» [٣٦٣ ـ ب ـ].

وأبي هريرة معاً، أما في حديث واحد أو في حديثين والله أعلم. وفي الجامع الصغير رواه أحمد والطبراني عن الحسين بن علي، والترمذي وابن ماجه عن أبي هريرة، والحاكم في الكنى عن أبي بكر، والشيرازي عن أبي ذر، والحاكم في تاريخه عن علي بن أبي طالب، والطبراني في الصغير عن زيد بن ثابت، وابن عساكر عن الحارث بن هشام[١]. قال المؤلف: هو علي ابن الحسين بن علي بن أبي طالب يكنى أبا الحسن المعروف بزين العابدين من أكابر سادات أهل البيت ومن أجلة التابعين وأعيانهم اهـ، فكان حقه أن يقول في آخر الحديث أو أوّله مرسلاً، ويمكن أن يكون عن أبيه ساقطاً أو وقع تغيير بتقديم وتأخير من أحد من الرواة أو المصنفين، وأصله عن الحسين بن عليّ على ما نقلناه عن الجامع والله أعلم، ثم رأيت كلام ميرك حيث قال: حديث «من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه». رواه ابن ماجه والترمذي من حديث أبي هريرة وقال: غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه، قال: وحدثنا قتيبة عن مالك عن الزهري علي بن الحسين عن النبي ﷺ: «أن من حسن إسلام المرء» الخ. قال: وهكذا روى غير واحد من أصحاب الزهري عنه عن علي بن الحسين نحو حديث مالك قال: وهذا عندنا أصح من حديث أبي سلمة عن أبي هريرة اهـ، كلام الترمذي وطريقه عن أبي سلمة عن أبي هريرة جيدة، وقال النووي: حديث حسن، قال الشيخ الجزري وقال جماعة من الحفاظ: الصواب أنه عن علي بن الحسين عن النبي ﷺ مرسل، كذا قاله أحمد وابن معين والبخاري وغيرهم، وكذا رواه مالك عن الزهري عن علي بن الحسين، ذكره المنذري والله أعلم.

٤٨٤٢ ـ (**وعن أنس رضي الله عنه قال: توفي رجل من الصحابة فقال رجل: أبشر بالجنة، فقال رسول الله ﷺ: أو لا تدري**) بفتح الواو على أنها عاطفة على محذوف أي تبشر ولا تدري أو تقول هذا ولا تدري ما تقول، أو على أنها للحال أي والحال أنك لا تدري، وفي نسخة بسكونها وهي رواية، فأو عاطفة على مقدر أيضاً أي أتدري أنه من أهلها أو لا تدري، والمعنى بأي شيء علمت ذلك؟ أو كيف دريت ما لم يدر غيرك؟ (**فلعله تكلم فيما لا يعنيه**) أي فيما يضره ولا ينفعه (**أو بخل بما لا ينقصه**) أي مما لا يغنيه فيما يجب عليه بذله من العبادات المالية أو المسائل العلمية أو إعطاء الماعون بالعارية، والضمير المنصوب للرجل، والمرفوع لما قال الغزالي؟ وفي حديث آخر «أن النبي ﷺ فقد كعباً فسأل عنه فقالوا: مريض، فخرج يمشي حتى أتاه فلما دخل عليه قال: أبشر يا كعب، فقالت أمه: هنيأ لك الجنة يا كعب، فقال: من هذه المتألية على الله، قال: هي أمي يا رسول الله قال: وما يدريك يا أم

= شعب الإيمان ٤/ ٢٥٥ الحديث رقم ٤٩٨٧ و٤٩٨٦.

(١) الجامع الصغير ٢/ ٥٠٣ الحديث رقم ٨٢٤٣.

الحديث رقم ٤٨٤٢: أخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٤٨٣ الحديث رقم ٢٣١٦.

رواه الترمذي.

٤٨٤٣ - (٣٢) وعن سُفيانَ بن عبدِ الله الثَّقفيِّ، قال: قلتُ: يا رسولَ الله! ما أخوَفُ ما تخافُ عَلَيَّ؟ قال: فأخَذَ بلِسانِ نفسِه وقال: «هذا».

كعب لعل كعباً قال ما لا يعنيه أو منع ما لا يغنيه»[1]، ومعناه أنه «إنما تتهنأ الجنة لمن لا يحاسب ولا يعاقب ومن تكلم فيما لا يعنيه حوسب عليه وإن كان مباحاً، فلا تتهنأ له الجنة مع المناقشة في الحساب، فإنه نوع من العذاب». (رواه الترمذي) ورجاله رجال الصحيحين إلا سليمان بن عبد الجبار البغدادي شيخ الترمذي، وقد ذكره ابن حبان في الثقات، كذا في التصحيح وقال المنذري: رواه الترمذي، وقال: غريب اهـ. ورواته ثقات، وروى ابن أبي الدنيا وأبو يعلى عن أنس أيضاً قال: «استشهد منا رجل يوم أحد فوجد على بطنه صخرة مربوطة من الجوع فمسحت أمه التراب عن وجهه وقالت: هنيأ لك يا بني الجنة فقال النبي ﷺ: ما يدريك لعله كان يتكلم فيما لا يعنيه ويمنع ما لا يضره». وروى أبو يعلى أيضاً والبيهقي عن أبي هريرة قال: «قتل رجل على عهد رسول الله ﷺ شهيداً فبكت عليه أمه وقالت: واشهيداه فقال النبي ﷺ: وما يدريك أنه شهيد، لعله كان يتكلم فيما لا يعنيه أو يبخل بما لا ينقصه». وفقنا الله لما يعنينا ومن سوى مرضاته يغنينا.

٤٨٤٣ - (وعن سفيان بن عبد الله) أي ابن ربيعة (الثقفي)، قال المؤلف: يكنى أبا عمرو يعد في أهل الطائف له صحبة، وكان عاملاً لعمر بن الخطاب على الطائف، وقال الجزري: وقع في بعض نسخ المصابيح سعيد بن عبد الله الثقفي، والصواب سفيان بن عبد الله (قال: قلت: يا رسول الله ما أخوف ما تخاف علي) ما الأولى استفهامية مبتدأ خبره أخوف وهو اسم تفضيل بني للمفعول نحو أشهد وألوم وأشغل، وما الثانية مضاف إليه لأخوف وهي موصولة والعائد محذوف أي أي شيء أخوف أشياء تخاف منها عليّ؛ وقال الطيبي: ما في ما تخاف يجوز أن تكون موصولة أو موصوفة وأن تكون مصدرية على طريقة جد جده وجن جنونه وخشيت خشيته (قال:) أي سفيان (فأخذ) أي النبي ﷺ (بلسان نفسه) الباء زائدة لمزيد التعدية (وقال: هذا) هو مبتدأ أو خبر، والمعنى هذا أكثر خوفي عليك منه، قال في الأحياء: وإنما أسند ﷺ شدة خوفه على أمته في سائر الأخبار إلى اللسان لأنه أعظم الأعضاء عملاً إذ ما من طاعة ومعصية إلا وله فيها مجال، فمن أطلق عذبة اللسان وأهمله مرخى العنان سلك به الشيطان في كل ميدان، وساقه إلى شفا جرف هار إلى أن يضطره إلى البوار، ولا يكب الناس على مناخرهم في النار إلا حصائد ألسنتهم، ولا ينجي من شره إلا أن يقيد بلجام الشرع، وعلم ما يحمد إطلاق اللسان فيه أو يذم غامض عزيز، والعمل بمقتضاه على من عرفه ثقيل عسير

---

(١) الخطيب ذكره في كنز العمال ٣/ ٦٤١ الحديث رقم ٨٢٩٥.

الحديث رقم ٤٨٤٣: أخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٥٢٤ الحديث رقم ٢٤١٠، وابن ماجه في ٢/ ١٣١٤ الحديث رقم ٣٩٧٢ والدارمي في ٢/ ٣٨٦ الحديث رقم ٢٧١١، وأحمد في المسند ٣/ ٤١٣.

رواه الترمذيُّ، وصحَّحَه.

٤٨٤٤ ـ (٣٣) وعن ابنِ عمرَ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إذا كذَبَ العبدُ تباعدَ عنه الملَكُ ميلاً من نتنِ ما جاءَ به». رواه الترمذي.

٤٨٤٥ ـ (٣٤) وعن سُفيان بن أسيدٍ الحضرميِّ، قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «كبُرت خيانةً أن تحدِّثَ أخاكَ حديثاً هوَ لكَ بهِ مصدِّقٌ وأنتَ به كاذِبٌ».

لكن علي ما يسره الله يسير. (رواه الترمذي وصححه)، قال ميرك: ورواه النسائي وابن ماجه وابن حبان في صحيحه والحاكم[1]، وقال: صحيح الإسناد.

٤٨٤٤ ـ (وعن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا كذب العبد تباعد عنه الملك») أي الحفظة، وفي بعض النسخ لفظ عنه مؤخر («ميلاً») وهو ثلث الفرسخ أو قطعة من الأرض أو مد البصر، وذكره ابن الملك («من نتن ما جاء به») أي عفونته، وهو بفتح النون وسكون التاء في القاموس هو ضد الفرح، والمعنى من نتن شيء جاء ذلك الشيء بالنتن أي من نتن الكذب أو جاء العبد به والباء للتعدية. (رواه الترمذي). وفي الجامع الصغير بلفظ: «إذا كذب العبد كذبة» الخ. رواه الترمذي وأبو نعيم في الحلية[2].

٤٨٤٥ ـ (وعن سفيان بن أسد) بفتحتين، وفي نسخة صحيحة بل هي الأصح أسيد بفتح فكسر فتحتية ساكنة (الحضرمي)، زاد المؤلف في أسمائه الشامي روى عنه جبير بن نفير حديثه في الحمصين[3] ذكره المؤلف في الصحابة وقال: أسيد بفتح الهمز وكسر السين وهو الأكثر، والثانية بضم الهمزة، والثالثة بفتح الهمزة والسين وحذف الياء (قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كبرت») بضم الموحدة أي عظمت («خيانة») تمييز («إن تحدث أخاك») فاعل كبرت، قال شارح: انثه باعتبار التمييز إذ هو فاعل معنى، وقيل: بتأويل الخصلة أو الفعلة، وقال الطيبي: أنث الفعل له باعتبار المعنى لأنه يعني التحديث نفس الخيانة وفيه معنى التعجب كما في قوله تعالى: ﴿كبر مقتاً عند الله﴾ [الصف ـ ٣] الكشاف، هذا من أفصح الكلام وأبلغه في معناه، فإنه قصد في كبر التعجب من غير لفظه، ومعنى التعجب تعظيم الأمر في قلوب السامعين لأن التعجب لا يكون إلا من شيء خارج عن نظائره وأشكاله اهـ كلامه، والمعنى جناية عظيمة منك إذا حدثت أخاك المسلم («حديثاً هو لك به مصدق وأنت به») أي له كما في رواية («كاذب») أي بحديث كذب وهو يعتمد عليك ويثق بقولك، وظن بك أنك مسلم لا

---

(١) أخرجه ابن حبان في ١٣/٧ الحديث رقم ٥٧٠٠.

الحديث رقم ٤٨٤٤: أخرجه الترمذي في السنن ٤/٣٠٧ الحديث رقم ١٩٧٢.

(٢) أخرجه في الجامع الصغير ١/٥٨ الحديث رقم ٨٤٠.

الحديث رقم ٤٨٤٥: أخرجه أبو داود في السنن ٥/٢٥٤ الحديث رقم ٤٩٧١.

(٣) في المخطوطة «الحصين».

رواه أبو داود.

٤٨٤٦ ـ (٣٥) وعن عمارٍ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «مَنْ كانَ ذا وَجْهين في الدنيا، كانَ له يومَ القيامةِ لسانانِ منْ نارٍ». رواه الدارمي.

٤٨٤٧ ـ (٣٦) وعن ابنِ مسعودٍ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «ليسَ المؤمنُ الطعَّانِ ولا باللعَّانِ، ولا الفاحشِ، ولا البذيءِ» رواه الترمذي، والبيهقي في شعب الإيمان». وفي أخرى له: «ولا الفاحشِ البذيءِ». وقال الترمذيُّ: هذا حديثٌ غريبٌ.

تكذب فيصدقك، والحال أنك كاذب. (رواه أبو داود)، وكذا البخاري في الأدب عنه، ورواه أحمد والطبراني عن النوّاس.

٤٨٤٦ ـ (وعن عمار) أي ابن ياسر (قال: قال رسول الله ﷺ: «من كان ذا وجهين في الدنيا)، قيل: المراد به من يرى نفسه عند شخص أنه من جملة محبيه وناصحيه وهو يحدث في غيبته بمساويه، وقيل: المعنى مع كل واحد من عدوين كأنه صديقه، ويظن أنه ناصر له ويذم هذا عند ذلك وذلك عند هذا. («كان له يوم القيامة لسانان من نار». رواه الدارمي)، وكذا رواه أبو داود لكن بلفظ «من كان له وجهان» الخ، وقال ميرك نقلاً عن المنذري: حديث عمار رواه أبو داود وابن حبان في صحيحه، وقال العراقي: حديث عمار «من كان له وجهان» البخاري في كتاب الأدب المفرد، وأبو داود بسند حسن.

٤٨٤٧ ـ (وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ليس المؤمن») أي الكامل («بالطعان») أي عياباً للناس («ولا اللعان»)، ولعل اختيار صيغة المبالغة فيهما لأن الكامل قل أن يخلو عن المنقصة بالكلية («ولا الفاحش») أي فاعل الفحش أو قائله، وفي النهاية أي من له الفحش في كلامه وفعاله قيل: أي الشاتم، والظاهر أن المراد به الشتم القبيح الذي يقبح ذكره («ولا البذيء») بفتح موحدة وكسر ذال معجمة وتشديد تحتية، وفي نسخة بسكونها وهمزة بعدها، وهو الذي لا حياء له كما قاله بعض الشراح، وفي النهاية البذاء بالمد الفحش في القول، وهو بذيء اللسان، وقد يقال: بالهمز وليس بكثير اهـ، فعلى هذا يخص الفاحش بالفعل لئلا يلزم التكرار أو يحمل على العموم، والثاني يكون تخصيصاً بعد تعميم لزيادة الاهتمام به لأنه متعد، وقد يقال: عطف تفسير ولا زائدة ويؤيده الرواية الآتية. (رواه الترمذي) أي في جامعه، (والبيهقي في شعب الإيمان، وفي أخرى) أي وفي رواية أخرى للبيهقي («ولا الفاحش البذيء»، وقال الترمذي: هذا حديث غريب). قال ميرك ورجاله رجال الصحيح.

الحديث رقم ٤٨٤٦: أخرجه أبو داود في السنن ٥/ ١٩١ الحديث رقم ٤٨٧٣، والدارمي في ٢/ ٤٠٥ الحديث رقم ٢٧٦٤.

الحديث رقم ٤٨٤٧: أخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٣٠٨ الحديث رقم ١٩٧٧، وأحمد في المسند ١/ ٤٠٥ والبيهقي في الشعب ٤/ ٢٩٣ الحديث رقم ٥١٤٩.

٤٨٤٨ ـ (٣٧) وعن ابنِ عمَرَ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «لا يكونُ المؤمنُ لعّاناً». وفي رواية: «لا ينبغي للمؤمنِ أنْ يكونَ لعّاناً». رواه الترمذيُّ.

٤٨٤٩ ـ (٣٨) وعن سَمُرة بن جُندبٍ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «لا تلاعنوا بلعنةِ الله، ولا بغضبِ الله، ولا بجهنم». وفي رواية «ولا بالنار». رواه الترمذي، أبو داود.

٤٨٥٠ ـ (٣) وعن أبي الدرداءِ، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنَّ العبدَ إذا لعن شيئاً صَعِدتْ اللعنةُ إلى السَّماءِ،

سوى محمد بن يحيى شيخ الترمذي وثقه ابن حبان والدارقطني، وفي الجامع الصغير رواه أحمد والبخاري في تاريخه، وابن حبان في صحيحه، والحاكم في مستدركه[١].

٤٨٤٨ ـ (وعن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يكون المؤمن») أي الكامل **(«لعاناً»)** أي كثير اللعن وإن كان قد يتبادر منه أحياناً، **(وفي رواية «لا ينبغي للمؤمن»)** أي مطلقاً **(أن يكون لعاناً. رواه الترمذي)**.

٤٨٤٩ ـ (وعن سمرة بن جندب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تلاعنوا») بحذف إحدى التاءين **(«بلعنة الله»)** أي لا يلعن بعضكم بعضاً فلا يقل أحد لمسلم معين: عليك لعنة الله مثلاً **(«ولا بغضب الله»)** بأن يقول: غضب الله عليك **(«ولا بجهنم»)** بأن يقول: لك جهنم أو مأواك. **(وفي رواية «ولا بالنار»)** بأن يقول: أدخلك الله النار أو النار مثواك. وقال الطيبي: أي لا تدعوا الناس بما يبعدهم الله من رحمته، إما صريحاً كما تقولون: لعنة الله عليه أو كناية كما تقولون: عليه غضب الله أو أدخله الله النار، فقوله: لا تلاعنوا من باب عموم المجاز لأنه في بعض أفراده حقيقة وفي بعضه مجاز، وهذا مختص بمعين لأنه يجوز اللعن بالوصف الأعم كقوله: ﴿**لعنة الله على الكافرين**﴾ أو بالأخص كقوله: «لعنة الله على اليهود» أو على «كافر معين مات على الكفر كفرعون وأبي جهل». **(رواه الترمذي وأبو داود)**، وكذا الحاكم ولفظهم: «ولا بالنار» على ما في الجامع[٢].

٤٨٥٠ ـ (وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن العبد إذا لعن شيئاً صعدت») بكسر العين أي طلعت اللعنة وكأنها تتجسد **(«إلى السماء»)** أي جهة العلو

---

(١) الجامع الصغير ٢/ ٤٦٤ الحديث رقم ٧٥٨٤.

الحديث رقم ٤٨٤٨: أخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٣٢٥ الحديث رقم ٢٠١٩، وأحمد في المسند ٢/ ٣٦٦.

الحديث رقم ٤٨٤٩: أخرجه أبو داود في السنن ٥/ ٢١١ الحديث رقم ٤٩٠٦، والترمذي في ٤/ ٣٠٨ الحديث رقم ١٩٧٦، وأحمد في المسند ٥/ ١٥.

(٢) الجامع الصغير ٢/ ٥٨٣ الحديث رقم ٩٨٦٣.

الحديث رقم ٤٨٥٠: أخرجه أبو داود في السنن ٥/ ٢١١ الحديث رقم ٤٩٠٥.

فتغلق أبواب السماءِ دونها، ثم تهبط إلى الأرض فتغلق أبوابها دونها، ثُمَّ تأخذ يميناً وشمالاً، فإذا لم تجد مساغاً رجعت إلى الذي لُعن، فإن كان لذلك أهلاً، وإلاَّ رجعت إلى قائلها». رواه أبو داود.

٤٨٥١ ـ (٤٠) وعن ابنِ عبّاسٍ، أن رجلاً نازعتهُ الريحُ رداءه فلعنها. فقال رسول الله ﷺ: «لا تلعنها [٣٦٤ ـ أ ـ] فإنها مأمورةٌ، وإنه من لعن شيئاً ليس له بأهل رجعتِ اللعنةُ عليه». رواه الترمذي، وأبو داود.

٤٨٥٢ ـ (٤١) وعن ابنِ مسعودٍ، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يبلِّغني

(«فتغلق أبواب السماء») بصيغة المجهول من الإغلاق لأن غلق الباب لثغة أو لغة رديئة في أغلقه ـ على ما في القاموس. نعم يجوز تشديد لامه، ومنه قوله تعالى: ﴿وغلقت الأبواب﴾ [يوسف ـ ٢٣] («دونها») أي قدام اللعنة («ثم تهبط») بكسر الموحدة أي تنزل («إلى الأرض») أي جهة السفل («فتغلق أبوابها») أي أبواب طبقاتها («دونها») أي عند ظهور اللعنة («ثم تأخذ يميناً وشمالاً») أي تميل إلى جهتي اليمين واليسار مما بين السماء والأرض فيمنعان دونها. قال ابن الملك: صعود اللعنة وهبوطها وأخذها يميناً وشمالاً تصوير أن فعله ههنا كالمتردد الذي لا يجد سبيلاً («فإذا لم تجد مساغاً») بفتح الميم أي مدخلاً وطريقاً من ساغ الشراب في الحلق دخل فيه بسهولة («رجعت إلى الذي لعن») بصيغة المجهول («فإن كان») أي الملعون («لذلك») أي لما ذكر من اللعنة («أهلاً») جزاء الشرط محذوف تقديره لحقته ونفذت فيه» («وإلا») أي وإن لم يكن أهلاً بأن كان مظلوماً («رجعت إلى قائلها»)، فإنه المستحق لها وأهلها. (رواه أبو داود) أي وسكت عليه وأقره المنذري، ورجاله موثوقون، نقله ميرك عن التصحيح.

٤٨٥١ ـ (وعن ابن عباس رضي الله عنهما «أن رجلاً نازعته الريح») أي جاذبته («رداءه فلعنها، فقال رسول الله ﷺ: «لا تلعنها فإنها مأمورة») أي بأمر مّا أو المنازعة من خاصيتها ولوازم وجودها إعادة أو فإنها مأمورة حتى بهذه المنازعة أيضاً ابتلاء لعباده وهو الأظهر («وانه») أي الشأن («من لعن شيئاً ليس») أي ذلك الشيء («له») أي اللعن («بأهل») أي بمستحق («رجعت اللعنة عليه») أي على اللاعن لأن اللعنة، وكذا الرحمة تعرف طريق صاحبها. (رواه الترمذي وأبو داود)، وكذا ابن حبان في صحيحه[1]، ذكره ميرك.

٤٨٥٢ ـ (وعن ابن مسعود رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يبلغني») بتشديد

الحديث رقم ٤٨٥١: أخرجه أبو داود في السنن ٥/ ٢١٢ الحديث رقم ٤٩٠٨، والترمذي في ٤/ ٣٠٩، الحديث رقم ١٩٧٨.

(١) أخرجه ابن حبان ١٣/ ٥٥ الحديث رقم ٥٧٤٥.

الحديث رقم ٤٨٥٢: أخرجه أبو داود في السنن ٥/ ١٨٣ الحديث رقم ٤٨٦٠ والترمذي ٥/ ٦٦٧ الحديث رقم ٣٨٩٧، وأحمد في المسند ١/ ٣٩٦.

أحدٌ من أصحابي عن أحدٍ شيئاً، فإني أُحِبُّ أنْ أخرجَ إليكم وأنا سليمُ الصَّدرِ». رواه أبو داود.

٤٨٥٣ ـ (٤٢) وعن عائشةَ، قال: قلتُ للنبيِّ ﷺ: حسبك من صَفيَّةَ كذا وكذا ـ تعني قصيرةً ـ فقال: «لقد قلتِ كلمةً لو مُزِجَ بها البحر لمزجَتْهُ».

اللام ويخفف، وهو نفي بمعنى النهي، وفي نسخة بالجزم أي لا يوصلني («أحد من أصحابي») بيان لأحد («عن أحد») أي عن قبل أحد منهم أو من غيرهم من المسلمين («شيئاً») أي مما أكرهه وأغضب عليه، وهو عام في الأفعال والأقوال بأن شتم أحداً وآذاه أو قال فيه خصلة سوء («فإني أحب أن أخرج إليكم») أي من البيت وألاقيكم («وأنا سليم الصدر») أي من مساويكم جملة حالية. قال ابن الملك: والمعنى أنه ﷺ يتمنى أن يخرج من الدنيا وقلبه راض عن أصحابه من غير سخط على أحد منهم، وهذا تعليم للأمة أو من مقتضيات البشرية. (رواه أبو داود).

٤٨٥٣ ـ (وعن عائشة رضي الله عنه قالت: «قلت للنبي ﷺ: حسبك من صفية») أي من عيوبها البدنية («كذا وكذا») كناية عن ذكر بعضها، وهو كذا في جميع نسخ المشكاة، وقيل: هذا تحريف في كتاب المصابيح والصواب حسبك من صفية أنها كذا وكذا («تعني») أي تريد عائشة بقولها: كذا وكذا («قصيرة») أي كونها قصيرة، قال شارح: قولها: كذا إشارة إلى شبرها. قلت: الظاهر من تكرار كذا تعدد نعتها، فلعلها قالت بلسانها: أنها قصيرة وأشارت بشبرها أنها في غاية من القصر، فأرادت التأكيد بالجمع بين القول والفعل والله أعلم. («فقال: لقد قلت كلمة») أي طويلة عريضة ومرة نتنة عند أرباب الحواس الكاملة («لو مزج») بصيغة المجهول أي لو خلط («بها») أي على فرض تجسيدها وتقدير كونها مائعاً («البحر») أي ماؤه («لمزجته») أي غلبته وغيرته، قال القاضي: المزج الخلط والتغير بضم غيره إليه، والمعنى أن هذه الغيبة لو كانت مما يمزج بالبحر لغيرته عن حاله مع كثرته وغزارته، فكيف بأعمال قذرة خلطت بها، وقال التوربشتي: قد حرفت ألفاظ هذا الحديث في المصابيح، والصواب لو مزجت بالبحر لمزجته، قال الطيبي: قد ورد هذا الحديث كما في المصابيح، والمتن في نسخة مصححة من سنن أبي داود، ولعل التخطئة من أجل الدراية لا الرواية إذ لا يقال: مزج بها البحر بل مزجت بالبحر، ويمكن أن يقال: إن المزج والخلط يستدعيان الامتزاج والاختلاط، وكل من الممتزجين يمتزج بالآخر يعني مع قطع النظر عن الكثرة والقلة والمائعية والجامدية، وإن كان الأصل هو الفصل عند أرباب الفضل، ثم قال: قال تعالى: ﴿فاختلط به نبات الأرض﴾ [يونس ـ ٢٤] قال الكشاف: وكان حق اللفظ «فاختلط بنبات الأرض»، ووجه صحته أن كل واحد منهما موصوف بصفة صاحبه على أن هذا التركيب أبلغ لأنه حينئذ من باب عرضت الناقة على الحوض أقول: فيه أبحاث، أما أولاً فينبغي أن تكون الدراية تابعة للرواية، فتخطئة المحدثين ليس من شأن أرباب العناية فلا بد من تنبيه نبيه وتوجيه وجيه بعد ثبوت هذا

الحديث رقم ٤٨٥٣: أخرجه أبو داود في السنن ٥/ ١٩٢ الحديث رقم ٤٨٧٥، والترمذي في ٤/ ٥٧٠ الحديث رقم ٢٥٠٢، وأحمد في المسند ٦/ ١٨٩.

رواه أحمد، والترمذي، وأبو داود.

٤٨٥٤ ـ (٤٣) وعن أنس، قال: قال رسول الله ﷺ: «ما كان الفُحْشُ

اللفظ ممن أوتي، جوامع الكلم وبدائع الحكم، وأما ثانياً فقوله: يقال: مزجت بالبحر لا مزج بها سببه أنه ينسب القليل إلى الكثير لا عكسه عرفاً وعادة وإن جاز لغة، فإنه يقال: اختلط اللبن بالماء وعكسه تفاضلاً وتساوياً فنقول: في الحديث الشريف إشارة لطيفة إلى أن هذه الكلمة منك ولو كانت صغيرة وقليلة عندك فهي عند الله كبيرة وكثيرة بحيث لو مزج بها البحر بأجناسها وأصنافها وأنواعها ووسعها من طولها وعرضها وعمقها لغلبته، وهذا من البلاغة غاية مبلغها، وفي البليغ من الزجر نهاية حدها ومنتهاها، وأما ثالثاً فقول الكشاف في قوله تعالى: ﴿**فاختلط به نبات الأرض**﴾ [الكهف ـ ٤٥] حق اللفظ، فاختلط نبات الأرض خطأ فاحش لأنه ليس المعنى على أنه اختلط بالماء نبات الأرض إذ ليس تحته طائل، بل الصواب أن الباء للسببية وأن المختلط هو بعض نبات الأرض ببعضه، وتوضيحه أن المطر سابق وجوده على تحقق النبات على ما أشار إليه، فاء التعقيبية في قوله تعالى: ﴿**إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض**﴾ [يونس ـ ٢٤] الآية فكيف يتصوّر اختلاطهما[1]، وأما رابعاً فقوله: إنه من باب عرضت الناقة على الحوض ممنوع ومدفوع بأن العرض إنما يكون على أرباب التمييز، فبهذه القرينة يعرف أن الكلام مقلوب بخلاف ما نحن فيه، فإن بكل من الطرفين قابلية الخلط على ما بيناه، فإن قلت: لعل صاحب الكشاف أراد اختلاط أثر ماء المطر بما ينبت به الأرض من الحبة مثلاً قلت: الظاهر أن هذا مطمح نظره ومطلع فكره لكنه يرده قوله تعالى: ﴿**فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيماً تذروه الرياح**﴾ [الكهف ـ ٤٥] إذ تعقيبية الأصباح المذكور، إنما هو عند حصول اختلاط النبات بعضها ببعض لاحين اختلاط الماء بالحب والنوى كما لا يخفى، ومما يدل صريحاً على كون الباء للسببية قوله تعالى: ﴿**وهو الذي أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شيء**﴾ [الأنعام ـ ٩٩] ثم رأيت الكشاف اختار ما اخترناه وحرر ما حررناه حيث قال: فالتفت بسببه وتكاثف حتى خالط بعضه بعضاً ثم قال: وقيل: نجمع في النبات الماء فاختلط به حتى روى ورف رفيفاً، وكان حق اللفظ على هذا التفسير «فاختلط بنبات الأرض»، ووجه صحته إن كلاً من المختلطين موصوف بصفة صاحبه. اهـ كلامه. فالاعتراض يحول إلى ما قيل، ويتوجه عليه أيضاً من جهة تحريره وتوجيهه وتقريره، ويبين أن نقل الطيبي محمول على تقصيره، ثم لا يخفى ما فيه من الدسيسة الاعتزالية في قوله: وحق اللفظ مع سوء الأدب بالنسبة إلى الآية القرآنية والله ولي دينه وناصر نبيه. (**رواه أحمد والترمذي وأبو داود**).

٤٨٥٤ ـ (**وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما كان الفحش»**) أي القبيح

---

(١) في المخطوطة «اختلافهما».

الحديث رقم ٤٨٥٤: أخرجه الترمذي في السنن ٤/٣٠٧ الحديث رقم ١٩٧٤، وابن ماجه في ٢/١٤٠٠ الحديث رقم ٤١٨٥، وأحمد في المسند ٣/١٦٥.

في شيءٍ إلا شأنَهُ، وما كان الحياءُ في شيءٍ إلا زانَهُ». رواه الترمذي.

٤٨٥٥ - (٤٤) وعن خالدِ بن معدانَ، عن معاذٍ، قال: قال رسول الله ﷺ: «من عيَّرَ أخاه بذنبٍ لم يمتْ حتى يَعْمَلَهُ» - يعني من ذنب قد تاب منه -. رواه الترمذي وقال: هذا حديث غريب وليس إسناده بمتصل، لأنَّ خالداً لم يُدرك معاذ بن جبل.

٤٨٥٦ - (٤٥) وعن واثلةَ،

من الكلام («في شيء») أي في أمر من الأمور («إلا شأنه») أي عيبه الفحش، والأظهر أن المراد بالفحش العنف لما في رواية عبد بن حميد والضياء عن أنس أيضاً «ما كان الرفق في شيء إلا زانه ولا نزع من شيء إلا شأنه»، («وما كان الحياء في شيء إلا زانه») أي زينه. قال الطيبي: قوله: في شيء فيه مبالغة أي لو قدر أن يكون الفحش أو الحياء في جماد لزانه أو شأنه فكيف بالإنسان اهـ؟ ويمكن أن يكون المراد بشيء شيء يتصور فيه الفحش والحياء، فكأنه قال: ما كان في أحد. (رواه الترمذي). قال ميرك: وإسناده صحيح، وفي الجامع الصغير رواه أحمد والبخاري في الأدب، والترمذي وابن ماجه لكن بزيادة قط بعد كل من قوله: في شيء[١].

٤٨٥٥ - (وعن خالد بن معدان) بفتح ميم وسكون عين فدال مهملتين يكنى أبا عبد الله الشامي الكلاعي من أهل حمص قال: لقيت سبعين رجلاً من الصحابة، وكان من ثقات الشاميين مات بالطرطوس سنة أربع ومائة كذا ذكره المؤلف. (عن معاذ) بضم الميم وهو ابن جبل عند الإطلاق (قال: قال رسول الله ﷺ: «من عير») بتشديد التحتية أي وبخ ولام، («أخاه») أي المسلم («بذنب») أي صدر منه سابقاً أو على طريق الشماتة («لم يمت حتى يعمله») أي مثل ذنبه («يعني») أي يريد النبي ﷺ التعيير («من ذنب قد تاب منه»). قال ميرك: هذا التفسير منقول عن الإمام أحمد، (رواه الترمذي وقال: هذا حديث غريب وليس إسناده بمتصل لأن خالداً لم يدرك معاذ بن جبل) قلت: وكان معاذاً ليس من السبعين الذين أدركهم، ولعل سببه أنه مات سنة ثماني عشرة وإلا فالمعاصرة تكفي في صحة الاتصال عند الجمهور واعتباراً للقي إنما هو عند البخاري ومن تبعه، وفي الأحياء قال أعرابي لرسول الله ﷺ: «أوصني! فقال: عليك بتقوى الله، وإن امرؤ عيرك بشيء يعلمه فيك فلا تعيره بشيء تعلمه فيه يكن وباله عليه وأجره لك»، قال العراقي: رواه أحمد والطبراني بإسناد جيد من حديث أبي جري الهجيمي، قيل: اسمه جابر بن سليم وقيل: سليم بن جابر.

٤٨٥٦ - (وعن واثلة) بكسر المثلثة وهو ابن الأسقع الليثي أسلم والنبي ﷺ متوجه إلى

---

(١) الجامع الصغير ٢/ ٤٨٦ الحديث رقم ٧٩٦٣

الحديث رقم ٤٨٥٥: أخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٥٧١ الحديث رقم ٢٥٠٥.

الحديث رقم ٤٨٥٦: أخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٥٧١ الحديث رقم ٢٥٠٦.

قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تُظْهِرِ الشماتةَ لأخيكَ فيرحمَهُ الله ويبتليكَ». رواه الترمذي، وقال: هذا حديث حسن غريب.

٤٨٥٧ ـ (٤٦) وعن عائشة [رضي الله عنها] قالت: قال النبيُّ ﷺ: «ما أُحِبُّ أنّي حَكيتُ أحداً وأنَّ لي كذا وكذا». رواه الترمذي وصحّحه.

٤٨٥٨ ـ (٤٧) وعن جُنْدُبٍ، قال: جاءَ أعرابيٌّ، فأناخَ راحِلَتَهُ، ثمَّ عقَلَها ثمَّ دخَلَ

تبوك ويقال: إنه خدم النبي ﷺ ثلاث سنين وكان من أهل الصفة ومات ببيت المقدس وهو ابن مائة سنة (قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تظهر الشماتة») أي الفرح ببلية عدوك («لأخيك») أي لأجل أخيك المسلم الذي وقع في بلية دينية أو دنيوية بدنية أو مالية («فيرحمه الله») بالنصب على جواب النهي، وفي نسخة بالرفع وهو الملائم لمراعاة السجع في عطف قوله: «ويبتليك»، والمعنى يرحمه رغماً لأنفك («ويبتليك») حيث زكيت نفسك ورفعت منزلتك عليه ونحوه قوله ﷺ: في قول من قال لصاحبه «والله لا يغفر الله لك أبداً، فقال الله تعالى للمذنب: أدخل الجنة برحمتي، وقال للآخر: تستطيع أن تحظر عن عبدي رحمتي»[١]. الحديث (رواه الترمذي وقال: هذا حديث حسن غريب). وفي الأحياء بلفظ «فيعافيه الله ويبتليك». قال العراقي: أخرجه الترمذي من حديث واثلة بن الأسقع، وفي رواية ابن أبي الدنيا «فيرحمه الله».

٤٨٥٧ ـ (وعن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: قال النبي ﷺ: «ما أحب») أي ما أود («إني حكيت أحداً») أي فعل أحد، والمعنى ما أحب أن أتحدث بعيب أحد قولياً أو فعلياً («وإن لي كذا وكذا») أي ولو أعطيت كذا وكذا من الأشياء بسبب ذلك الحديث، كذا قاله شارح، أو حكيت بمعنى حاكيت، ففي النهاية أي فعلت مثل فعله، يقال: حكاه وحاكاه وأكثر ما يستعمل في القبيح المحاكاة قلت: فيحمل حكيت على الحسن فيفيد المبالغة. قال الطيبي: وإن لي كذا وكذا جملة حالية واردة على التتميم والمبالغة أي ما أحب أن أحاكي أحداً ولو أعطيت كذا وكذا من الدنيا اهـ، وفيه أن الأصول المعتمدة على فتح أن، والظاهر أنه معطوف على ما سبق من قوله: «إني»، والمعنى إني ما أحب الجمع بين المحاكاة حصول كذا وكذا من الدنيا وما فيها بسبب المحاكاة، فإنها أمر مذموم. قال النووي: ومن الغيبة المحرمة المحاكاة بأن يمشي متعارجاً أو مطأطأً رأسه أو غير ذلك من الهيئات كما مر. (رواه الترمذي وصححه). وفي الجامع الصغير عنها بلفظ «ما أحب أني حكيت إنساناً» الخ. رواه أبو داود والترمذي[٢].

٤٨٥٨ ـ (وعن جندب) مر ذكره رضي الله عنه (قال: «جاء أعرابي») أي واحد من الأعراب وهم سكان البادية من العرب («فأناخ راحلته ثم عقلها») أي قيدها («ثم دخل

---

(١) أحمد في المسند ٢/ ٣٢٣.

الحديث رقم ٤٨٥٧: أخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٥٧ الحديث رقم ٢٥٠٣، وأحمد في المسند ٦/ ١٢٨.

(٢) الجامع الصغير ٢/ ٤٧٧ الحديث رقم ٧٧٨٦.

الحديث رقم ٤٨٥٨: أخرجه أبو داود في السنن ٥/ ١٩٨ الحديث رقم ٤٨٨٥، وأحمد في المسند ٤/ ٣١٢.

المسجدَ فصلّى خلفَ رسولِ الله ﷺ، فلما سلّم أتى راحلتَه فأطْلَقَها، ثمّ رَكِبَ، ثمّ نادى: اللّهمّ ارحمني ومحمّداً ولا تشرِك في رَحمَتِنا أحداً. فقال رسولُ الله ﷺ: «أتقولون هو أضلُّ أم بعيره؟ ألم تسمعوا إلى ما قال؟» قالوا: بلى. رواه أبو داود.

وذُكر حديث أبي هريرة «كفى بالمرء كذباً» في «باب الاعتصام» في الفصل الأول.

الفصل الثالث

٤٨٥٩ ـ (٤٨) عن أنسٍ، قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا مُدِحَ الفاسقُ غضِبَ الرّبُّ تعالى، واهتزَّ [٣٦٤ ـ ب ـ] لهُ العرش».

المسجد فصلى خلف رسول الله ﷺ فلما سلم») أي من الصلاة أو عليه عليه السلام («أتى راحلته فأطلقها ثم ركب ثم نادى») أي رفع صوته بقوله: («اللهم ارحمني ومحمداً ولا تشرك في رحمتنا أحداً، فقال رسول الله ﷺ: أتقولون») في النهاية أي أتظنون («هو أضل أم بعيره») أي أجهل («ألم تسمعوا إلى ما قال») فيه تنبيه على أنه يستحق أن يقال في حقه ما قال («قالوا: بلى») وقال الطيبي: أيدور هذا الترديد في ظنكم ولا يقول: ما قال إلا جاهل بالله وسعة رحمته حيث يحجر الواسع. (رواه أبو داود)، ورجاله رجال الصحيحين إلا أبا عبد الله الجشمي الراوي عن جندب لم يرو له غير أبي داود ولم يتكلم فيه أحد. كذا نقله ميرك عن التصحيح، وفي الحصن للجزري ومن جملة آداب الدعاء أن لا يتحجر. رواه البخاري وأبو داود وابن ماجه. قال ميرك: كلهم من حديث أبي هريرة «إن أعرابياً دخل المسجد فصلى فيه ثم دعا فقال: اللهم ارحمني ومحمداً ولا ترحم معنا أحداً، فقال النبي ﷺ: لقد تحجرت واسعاً». قال صاحب النهاية: أي ضيقت ما وسعه الله فخصصت به نفسك دون غيرك. (وذكر حديث أبي هريرة «كفى بالمرء كذباً») تمامه أن يحدث بكل ما سمع (في باب الاعتصام في الفصل الأول)، كان الأولى أن يقول في الفصل الأول من باب الاعتصام ثم في تحويله من هذا الباب المناسب له أيضاً بل الأنسب، فإنه يفيد المعنى الأعم من كون الكذب في حديثه ﷺ أو في حديث غيره بكل ما سمع من غير تثبت خلاف الصواب كما لا يخفى على أولي الألباب، فالاعتذار المتضمن للاعتراض مردود عليه.

(الفصل الثالث)

٤٨٥٩ ـ (عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا مدح الفاسق») بأن قال له: يا سيد مثلاً («غضب الرب تعالى») أي على المادح («واهتز له») أي لأجل مدحه، وفي رواية لذلك («العرش») أي وكاد أن يتحرك وينذك من هيبة أثر عظمة سخطه سبحانه،

الحديث رقم ٤٨٥٩: أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ٤/ ٢٣٠ الحديث رقم ٤٨٨٦.

رواه البيهقي في «شعب الإيمان».

٤٨٦٠ ـ (٤٩) وعن أبي أمامةَ، قال: قال رسول الله ﷺ: «يُطبَعُ المؤمنُ على الخِلالِ كلِّها إلا الخيانةَ والكذبَ».

ونظيره قوله تعالى: ﴿تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هداً إن دعوا للرحمن ولداً﴾ [مريم ـ ٩٠] وقال الطيبي: اهتزاز العرش عبارة عن وقوع أمر عظيم وداهية دهياء لأن فيه رضا بما فيه سخط الله وغضبه، بل يقرب أن يكون كفراً لأنه يكاد أن يفضي إلى استحلال ما حرمه الله تعالى، وهذا هو الداء العضال لأكثر العلماء والشعراء والقراء المرائين في زماننا، هذا وإذا كان هذا حكم من مدح الفاسق فكيف بمن مدح الظالم وركن إليه ركوناً، وقد قال تعالى: ﴿ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار﴾ [هود ـ ١١٣] الكشاف. النهي متناول للانحطاط في هواهم والانقطاع إليهم ومصاحبتهم ومجالستهم وزيارتهم ومداهنتهم والرضا بأعمالهم والتشبه بهم والتزيي بزيهم ومد العين إلى زمرتهم وذكرهم بما فيه تعظيم لهم. ولما خالط الزهري السلاطين كتب إليه أخ له في الدين «عافانا الله وإياك أبا بكر من الفتن فقد أصبحت بحال ينبغي لمن عرفك أن يدعو لك ويرحمك، أصبحت شيخاً كبيراً وقد أثقلتك نعم الله بما فهمك من كتابه، وعلمك من سنة نبيه وليس كذلك أخذ الله الميثاق على العلماء قال الله تعالى: ﴿لتبيننه للناس ولا تكتمونه﴾ [آل عمران ـ ١٨٧] واعلم أن أيسر ما ارتكبت وأخف ما احتملت أنك آنست وحشة الظالم وسهلت سبيل الغي بدنوك ممن لم يؤد حقاً ولم يترك باطلاً حين أدناك، اتخذوك قطباً يدور عليك رحى باطلهم، وجسراً يعبرون عليك إلى بلائهم، وسلماً يصعدون فيك إلى ضلالهم، يدخلون الشك بك على العلماء، ويقتادون بك قلوب الجهلاء، فما أيسر ما عمروا لك في جنب ما أخربوا عليك، وما أكثر ما أخذوا منك فيما أفسدوا عليك من دينك، فما يؤمنك أن تكون ممن قال الله تعالى فيهم: ﴿فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غياً﴾ [مريم ـ ٥٩] فإنك تعامل من لا يجهل ويحفظ عليك من لا يغفل فداوِ دينَك فقد دخله السقم وهيىء زادك فقد حضر السفر البعيد وما يخفى على الله من شيء في الأرض ولا في السماء والسلام». (رواه البيهقي في شعب الإيمان)، وكذا رواه أبو يعلى الموصلي وابن أبي الدنيا في الصمت وإسناده ضعيف، ذكره ميرك، وكذا رواه ابن عدي عن بريدة.

٤٨٦٠ ـ (وعن أبي أمامة) أي الباهلي (قال: قال رسول الله ﷺ: «يطبع المؤمن») بصيغة المفعول أي يخلق ويجبل («على الخلال») أي الخصال زنة ومعنى («كلها») أي جميع الأخلاق الذميمة لأن الكلام فيها أو الأعم منها («إلا الخيانة والكذب») بنصبهما أي غيرهما، فإن المؤمن يخلق ويجبل على الصدق والأمانة كما هو مقتضى التصديق والإيمان، ولذا قال تعالى بصيغة الحصر ﴿إنما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله وأولئك هم الكاذبون﴾ [النحل ـ ١٠٥]

الحديث رقم ٤٨٦٠: أخرجه أحمد في المسند ٥/ ٢٥٢.

رواه أحمد.

٤٨٦١ ـ (٥٠) والبيهقي في «شعب الإيمان» عن سعد بن أبي وقّاص.

٤٨٦٢ ـ (٥١) وعن صفوان بن سليم، أنه قيل لرسول الله ﷺ: أيكون المؤمن جباناً؟ قال: «نعم». فقيل له: أيكونُ المؤمنُ بخيلاً؟ قال: «نعم». فقيل: أيكون المؤمنُ كذاباً؟ قال: «لا». رواه مالك والبيهقي في «شعب الإيمان» مرسلاً.

أي الكاملون في الكذب أو المجبولون عليه وقال ﷺ: «لا إيمان لمن لا أمانة له»، على ما رواه أحمد والبيهقي عن أنس، فما يصدر عن المؤمن من الكذب والخيانة فهو من الأمور العارضة لطبيعته لا من أصل خلقته وجبلته، ويمكن أن يراد به المبالغة في نفي المؤمن عنهما. قال في النهاية: قوله: يطبع عليها أي يخلق، والطباع ما ركب في الإنسان من جميع الأخلاق التي لا يكاد يزاولها[1] من الخير والشر. قال الطيبي: وإنما كانت الخيانة والكذب منافيين بحاله، فإن الإيمان أفعال من الأمن وحقيقته أمنه التكذيب والمخالفة ولأنه حامل أمانة الله تعالى، فينبغي أن يكون أميناً لا خائناً. **(رواه أحمد)** أي عن أبي أمامة.

٤٨٦١ ـ **(والبيهقي)**، والأظهر ما في نسخة، ورواه البيهقي **(في شعب الإيمان عن سعد ابن أبي وقاص)**. وفي الجامع الصغير «يطبع المؤمن على كل خلق ليس الخيانة والكذب»، رواه البيهقي في شعب الإيمان عن ابن عمر.

٤٨٦٢ ـ **(وعن صفوان بن سليم)** بالتصغير تابعي كبير روى عن أنس بن مالك ونفر من التابعين، وكان من خيار عباد الله الصالحين يقال: إنه لم يضع جنبه على الأرض أربعين سنة، ويقولون: إن جبهته ثقبت من كثرة السجود، وكان لا يقبل جوائز السلاطين، ومناقبه كثيرة. روى عنه ابن عيينة. كذا ذكره المؤلف. **(أنه قيل لرسول الله ﷺ: «أيكون المؤمن جباناً»)** أي بالطبع أو مطلقاً وهو بفتح الجيم وتخفيف الموحدة ضد الشجاع **(«قال: نعم»)** أي يكون ولا ينافي الإيمان. **(«فقيل له:»)** أي لرسول الله ﷺ **(«أيكون المؤمن بخيلاً»)** أي بالطبع كما قال تعالى: ﴿**وكان الإنسان قتوراً**﴾ [الإسراء - ١٠٠] أو بإخراج ما يجب عليه من المال لميله على وجه الكمال **(«قال: نعم»)** أي يكون ولا ينافيه مطلق الإيمان أو كماله، **(«فقيل»)** أي له **(«أيكون المؤمن كذاباً»)** أي كثير الكذب مبالغاً فيه أو ذا كذب بحسب الطبع والخلقة **(«قال: لا»، رواه مالك والبيهقي في شعب الإيمان مرسلاً)**، قيد لهما.

---

(١) في المخطوطة «يزوالها».

الحديث رقم ٤٨٦١: أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ٤/ ٢٠٧ الحديث رقم ٤٨٠٩.

الحديث رقم ٤٨٦٢: أخرجه مالك في الموطأ ٢/ ٩٩٠ الحديث رقم ١٩ من كتاب الكلام، وأحمد في المسند ٢/ ٢٨٨ والبيهقي في شعب الإيمان ٤٠/ ٢٠٧ الحديث رقم ٤٨٣٢.

٤٨٦٣ ـ (٥٢) وعن ابن مسعودٍ، قال: «إنَّ الشيطانَ ليتمثلُ في صورةِ الرجلِ، فيأتي القومَ فيحدِّثهم بالحديثِ من الكذبِ فيتفرَّقونَ؛ فيقول الرجل منهم: سمعتُ رجلاً أعرفُ وجْهَهُ ولا أدري ما اسمُه يحدِّث». رواه مسلم.

٤٨٦٤ ـ (٥٣) وعنِ عمران بن حِطَّان، قال: أتيتُ أبا ذَرٍّ فوجدته في المسجدِ محتبياً بكساءٍ أسودَ وحده. فقلتُ: يا أبا ذرٍّ! ما هذه الوحدة؟ فقال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «الوحدةُ خيرٌ من جليسِ السوء، والجليسُ الصالحُ خيرٌ من الوَحدة وإملاءُ الخير خيرٌ من السكوتِ، والسكوتُ خيرٌ من إملاءِ الشر».

٤٨٦٥ ـ (٥٤) وعن عمرانَ بن حُصَينٍ، أنّ رسولَ الله ﷺ قال: «مقامُ الرجلِ

٤٨٦٣ ـ (وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «إن الشيطان ليتمثل في صورة الرجل») أي أحياناً («فيأتي القوم») أي جماعة («فيحدثهم بالحديث من الكذب فيتفرقون، فيقول الرجل منهم: سمعت رجلاً أعرف وجهه») أي رسمه («ولا أدري ما اسمه») أي ووصفه («يحدث») أي كذا وكذا، وظاهره أنه من حديث رسول الله ﷺ فإنه من أقبح أنواع الكذب حتى عد كفراً، فلهذا يعتني به رئيسهم ويتصوّر بصورة حسية تقوية للوسوسة الداخلية المعنوية، فكان الأنسب إيراده في باب الاعتصام، ولا يبعد أن يراد به مطلق خبر الكذب أو ما يتفرع عليه الفساد من نحو البهتان والقذف وأمثالهما، والمراد بالشيطان واحد من الجنس. قال الطيبي: وفيه تنبيه على التحري فيما يسمع من الكلام، وأن يتعرف من القائل أهو صادق يجوز النقل عنه، أو كاذب يجب الاجتناب عن نقل كلامه، على ما ورد «كفى بالمرء كذباً أن يحدث بكل ما سمع». (رواه مسلم).

٤٨٦٤ ـ (وعن عمران بن حطان) بكسر الحاء وتشديد الطاء المهملتين وبالنون دوسي خزرجي سمع عائشة وابن عباس وأبا ذر، وروى عنه محمد بن سيرين ويحيى بن أبي كثير وغيرهما (قال: أتيت أبا ذر فوجدته في المسجد محتبياً بكساء أسود وحده) أي منفرداً ليس أحد عنده (فقلت: يا أبا ذر ما هذه الوحدة؟) أي التي تورث الوحشة، والمعنى ما سببها وباعثها («فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: الوحدة خير من جليس السوء») بفتح السين وبضم أي السيىء الطالح («والجليس الصالح خير من الوحدة») يعني والجليس الصالح قليل في هذا الزمان («وإملاء الخير خير من السكوت والسكوت خير من إملاء الشر») يعني ومما يعين على السكوت العزلة والوحدة. في الجامع الصغير رواه البيهقي والحاكم.

٤٨٦٥ ـ (وعن عمران بن حصين رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: مقام الرجل) بفتح

الحديث رقم ٤٨٦٣: أخرجه مسلم في صحيحه ١/ ٦٨ الحديث رقم (٧٣ ـ ٤٦)، وأحمد في المسند ٣/ ٨٩٨.

الحديث رقم ٤٨٦٤: أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ٤/ ٢٥٦ الحديث رقم ٤٩٩٣.

الحديث رقم ٤٨٦٥: أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ٤/ ٢٤٥ الحديث رقم ٤٩٥٣.

بالصَّمتِ أفضلُ من عبادةِ ستينَ سنةً».

٤٨٦٦ ـ (٥٥) وعن أبي ذرٍّ، قال: دخلتُ على رسولِ الله ﷺ، فذكر الحديث بطوله إلى أن قال: قلت: يا رسول الله! أوصني قال: «أوصيكَ بتقوى الله، فإنَّهُ أزينُ لأمرِكَ كلِّه» قلت: زدني قال: «عليكَ بتلاوةِ القرآنِ وذكرِ اللّهِ عزَّ وجلَّ، فإنَّه ذِكرٌ لكَ في السماءِ، ونورٌ لكَ في الأرضِ».

الميم وبضم أي ثباته («بالصمت») أي بمداومة سكوته عن الشر، وقال الطيبي: أي منزلته عند الله («أفضل من عبادة ستين سنة») أي مع كثرة الكلام وعدم التثبت في المقام. قال الطيبي: لأن في العبادة آفات يسلم عنها بالصمت كما ورد «من صمت نجا»، وفي الجامع الصغير رواه الطبراني والحاكم عن عمران لكن لفظه «مقام الرجل في الصف في سبيل الله»[1] اهـ. ولعل الصمت وقع فيه تصحيف فراجع في الأصول.

٤٨٦٦ ـ (ومن أبي ذر رضي الله عنه قال: دخلت على رسول الله ﷺ فذكر) أي أبو ذر أو راويه (الحديث بطوله). قال الطيبي: ولعله أراد مثل ما ذكر في حديث أنس التالي لهذا الحديث وفيه أنه لا دلالة له على هذا مع أنه لو كان هو المراد لجمع بينهما في حديث واحد، ثم رأيت الحديث في الجامع الصغير وفيه طول، لكن في أثنائه وأواخره على ما سنورده (إلى أن قال:) أي أبو ذر (قلت: يا رسول الله أوصني قال: «أوصيك بتقوى الله») وهو وصية الله للأولين والآخرين كما قال تعالى: ﴿ولقد وصينا الذين أتوا الكتاب من قبلكم وإياكم أن اتقوا الله﴾ [النساء ـ ١٣١] («فإنه») أي الاتقاء أو ما ذكر من التقوى («أزين») أي غاية من الزين ونهاية [من] الحسن («لأمرك») أي لأمور دينك الاعتقادي والقولي والعملي، بل ولأمور دنياك التي هي معاشك المقتضية لحسن معادك كله لأن التقوى بجميع مراتبها من ترك الشرك الجلي والخفي واجتناب الكبائر والصغائر والاحتراز عن الشبهات والتورّع في المباحات والتنزه عن الشهوات والتخلي عن خطور ما سوى الله بالبال من شيم أرباب الكمال في الأحوال. قال الطيبي: نسب الزينة إلى التقوى كما نسب إليه تعالى اللباس في قوله: ﴿ولباس التقوى ذلك خير﴾ [الأعراف ـ ٢٦] بعد قوله: ﴿خذوا زينتكم عند كل مسجد﴾ [الأعراف ـ ٣١] فكما أن السماء مزينة بزينة الكواكب كذلك قلوب العارفين مزينة بالمعارف والتقوى. قال تعالى: ﴿فإنها من تقوى القلوب﴾ [الحج ـ ٣٢] اهـ وفيه أنه غير مذكور بعد قوله: ﴿خذوا زينتكم﴾ بل قبله بعد قوله: ﴿يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباساً يواري سوآتكم وريشاً﴾ [الأعراف ـ ٢٦] (قلت: زدني) أي في الوصية بالعمل الصالح (قال: «عليك بتلاوة القرآن») أي فإنها مجلبة للتقوى ومورثة للدرجات العلى (وذكر الله عزّ وجلّ) تعميم وتتميم («فإنه») أي ما ذكر لك من التلاوة والذكر، («ذكر لك في السماء نور لك في الأرض») وهو يحتمل أن يكون باعتبار كل واحد

---

(١) الجامع الصغير ٢/ ٥٠١ الحديث رقم ٨١٩٤.

الحديث رقم ٤٨٦٦: أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ٤/ ٢٤٢ الحديث رقم ٤٩٤٢.

قلت: زدني. قال: «عليك بطول الصَّمتِ، فإنَّهُ مَطْرَدةٌ للشيطانِ وعَوْنٌ لكَ على أمرِ دينِكَ» قلت: زدني. قال: «إيَّاكَ وكثرةَ الضحكِ، فإنَّهُ يُميتُ القلبَ، ويذهَبُ بنورِ الوجهِ» قلت: زدني قال: «قُلِ الحق وإن كانَ مرّاً». قلت: زدني. قال: «لا تخف في الله لومةَ لائم». قلت: زدني. قال: «لِيحجزكَ عن [٣٦٥ ـ أ ـ] الناسِ ما تعلمُ من نفسكَ».

وأن يكون بطريق اللف[1] والنشر المرتب، فإن ما بينهما من الفرق كما بين السماء والأرض على ما أشار إليه ﷺ بقوله: «فضل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على خلقه»[2]، ويمكن أن يكون ضمير، فإنه «راجع إلى أقرب مذكور وهو الذكر، فيعرف مرتبة التلاوة بالأولى على أن التلاوة مناجاة مع الرب سبحانه وتعالى («قلت: زدني») أي في الوصية بما يعنيني على ما ذكرت («قال:»)، وفي نسخة فقال: («عليك بطول الصمت») أي بدوامه («فإنه مطردة للشيطان») أي لرئيسهم أو لجنسهم، ويؤيده ما في نسخة للشياطين («وعون») أي معين («لك على أمر دينك») أي استقامته («قلت: زدني قال: إياك وكثرة ضحك، فإنه») أي إكثاره، وقيل ما ذكر من كثرة الضحك أو الضحك الكثير («يميت القلب»)، وفي نسخة القلوب أي يورث قساوة القلب، وهي مفضية إلى الغفلة وليس موت القلب إلا الغفلة عن الذكر («ويذهب بنور الوجه») أي بهائه وحسنه في قوله سبحانه: ﴿سيماهم في وجوههم من أثر السجود﴾ («قلت: زدني. قال: قل الحق وإن كان») أي وإن كان قول الحق على النفس أو عند أهل الباطل المتلهين بالحلويات النفسانية («مراً») أي صعب المذاق وشديد المشاق وأنشد:

«لن تبلغ المجد حتى تلعق الصبرا»

قال الطيبي: شبه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيمن يأباهما بالصبر، فإنه مر المذاق لكن عاقبته محمودة («قلت: زدني قال: لا تخف في الله») أي في حقه وطريق عبادته («لومة لائم») أي ملامة أحد، وفيه قطع تعلقه عن الخلق بالكلية فيما يأتي ويذرو ثباته على الحق من غير نظر إلى مذمة الناس ومدحهم قال تعالى: ﴿وتبتل إليه تبتيلا﴾ [المزمل ـ ٨] وقال الطيبي: أي كن صلباً في دينك إذا شرعت في إنكار منكر أو أمر بمعروف أمتن فيه كالمسامير المحماة لا يرعك قول قائل ولا اعتراض معترض اهـ، ولا يخفى أن هذا المعنى فهم من قوله: «قل الحق ولو كان مراً»، والحمل على التأسيس أولى من التأكيد («قلت: زدني قال: ليحجزك») بكسر اللام وفتح الياء وسكون الحاء المهملة وضم الجيم وسكون الزاي أي ليمنعك («عن الناس») أي عيوبهم («ما تعلم من نفسك») أي من عيوبها كما ورد عن أنس، أخرجه الديلمي «طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس». قال ميرك: حديث المتن رواه أحمد والطبراني وابن حبان والحاكم واللفظ له، وقال: صحيح الإسناد[3]. وفي الجامع الصغير روى عبد بن حميد في تفسيره، والطبراني في الكبير عن أبي ذر مرفوعاً: أوصيك بتقوى الله تعالى

---

(١) في المخطوطة «اللغو» والصواب ما أثبت.

(٢) ابن عدي.

(٣) أخرجه ابن حبان ٢/ ٧٦ الحديث رقم ٣٦١.

٤٨٦٧ ـ (٥٦) وعن أنسٍ، عن رسولِ الله ﷺ قال: «يا أبا ذر! ألا أدلُّكَ على خَصْلَتينِ هما أخفُّ على الظَّهرِ، وأثقلُ في الميزانِ؟» قال: قلت: بلى يا رسول الله قال: «طول الصَّمتِ، وحُسْنُ الخُلُقِ، والذي نفسي بيده ما عمل الخلائقُ بمثلهما».

٤٨٦٨ ـ (٥٧) وعن عائشةَ، قالت: مرَّ النبيُّ ﷺ بأبي بكرٍ وهو يَلْعَنُ بعضَ رقيقِهِ، فالتفت إليه فقال: «العانين وصدِّيقين؟

فإنه رأس الأمر كله، عليك بتلاوة القرآن وذكر الله، فإنه ذكر لك في السماء ونور لك في الأرض، عليك بطول الصمت إلا من خير، فإنه مطردة للشيطان عنك وعون لك على أمر دينك، إياك وكثرة الضحك فإنه يميت القلب ويذهب بنور الوجه، عليك بالجهاد فإنه رهبانية أمتي، أحب المساكين وجالسهم، انظر إلى من تحتك ولا تنظر إلى من فوقك فإنه أجدر أن لا تزدري نعمة الله عندك، صل قرابتك وإن قطعوك، قل الحق وإن كان مراً، لا تخف في الله لومة لائم، ليحجزك عن الناس ما تعلم من نفسك ولا تجد عليهم فيما تأتي وكفى بالمرء عيباً أن يكون فيه ثلاث خصال أن يعرف من الناس ما يجهل من نفسه، ويستحيي لهم مما هو فيه، ويؤذي جليسه. يا أبا ذر لا عقل كالتدبير، ولا ورع كالكف، ولا حسب كحسن الخلق»[1].

٤٨٦٧ ـ (**وعن أنس رضي الله عنه عن رسول الله**)، وفي نسخة أن رسول الله (ﷺ **قال: «يا أبا ذر ألا أدلك على خصلتين هما أخف على الظهر»**) أي ظهر المكلف وبدنه أو على ظهر اللسان (**«وأثقل في الميزان»**). قال الطيبي: تشبيه للمعقول بالمحسوس في تأتيه بالسهولة كما في قوله ﷺ: «كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان». (**«قال: قلت: بلى قال: طول الصمت»**) أي المتضمن ليتفكر (**«وحسن الخلق»**) أي المشتمل على الصبر والشكر وهو أعم من المعاملة مع الحق أو الخلق (**«والذي نفسي بيده ما عمل الخلائق بمثلهما»**) الباء زائدة أي ما عمل الخلائق عملين مثل عملهما أو عمل بمعنى أتي أي ما أتوا بمثلهما من الأعمال. قال ميرك نقلاً عن المنذري: أخرجه ابن أبي الدنيا والبزار والطبراني وأبو يعلى، ورواته ثقات. ورواه البيهقي ورواه أبو الشيخ ابن حبان من حديث أبي الدرداء قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا أنبئك بأمرين خفيف أمرهما عظيم أجرهما لم تلق الله عزّ وجلّ بمثلهما: طول الصمت وحسن الخلق». ورواه ابن أبي الدنيا أيضاً عن صفوان بن سليم مرسلاً قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا أخبركم بأيسر العبادة وأهونها على البدن الصمت وحسن الخلق».

٤٨٦٨ ـ (**وعن عائشة رضي الله عنها قالت: مر النبي ﷺ بأبي بكر وهو يلعن بعض رقيقه فالتفت**) أي النبي ﷺ كما في نسخة (**إليه**) أي إلى أبي بكر أو فالتفت أبو بكر إليه ﷺ (**فقال:**) أي النبي ﷺ (**«لعانين وصديقين»**) بتقدير همزة الاستفهام في صدر الكلام أي هل رأيت لعانين

---

(١) الجامع الصغير ١/١٦٦ الحديث رقم ٢٧٩٣.

الحديث رقم ٤٨٦٧: أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ٤/ ٢٤٢ الحديث رقم ٤٩٤١.

الحديث رقم ٤٨٦٨: أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ٤/ ٢٩٤ الحديث رقم ٥١٥٤.

كلا وربِّ الكعبة» فأعتق أبو بكرٍ يومئذٍ بعضَ رقيقه، ثمَّ جاء إلى النبيِّ ﷺ فقال: لا أعود. روى البيهقي الأحاديث الخمسة في «شعب الإيمان».

٤٨٦٩ ـ (٥٨) وعن أسلم، قال: إنَّ عمرَ دخلَ يوماً على أبي بكر الصِّدِّيق [رضي الله عنهم] وهو يجْبِذُ لسانَهُ فقال عُمر: مه، غفر الله لك فقال له أبو بكر: إنَّ هذا أوردني الموارد. رواه مالك.

وصديقين أي جامعين بين هاتين الصفتين، والعطف لتغاير الصفة، ويمكن أن يكون الجمع لإرادة تعظيم الصديق («كلا وربِّ الكعبة»). قال الطيبي: أي هل رأيت صديقاً يكون لعاناً كلا والله لا تتراءى ناراهما، فالواو للجمع أي لا يجتمعان أبداً، وفي الكلام معنى التعجب (**«فأعتق أبو بكر يومئذ بعض رقيقه»**) أي كفارة لما صدر عنه من غير شعوره (**«ثم جاء إلى النبي ﷺ»**) أي للاعتذار (**«فقال: لا أعود»**) أي في لعن أحد الحديث أخرجه ابن أبي الدنيا في الصمت وشيخه بشار بن موسى الخفاف وضعفه الجمهور، وكان أحمد حسن الرأي فيه. ذكره العراقي. (**روى البيهقي الأحاديث الخمسة في شعب الإيمان**).

٤٨٦٩ ـ (**وعن أسلم**) [هو] مولى عمر بن الخطاب كنيته أبو خالد كان حبشياً اشتراه عمر بمكة سنة إحدى عشر سمع عمر بن الخطاب، وروى عنه زيد بن أسلم وغيره، مات في ولاية مروان وله مائة وأربع عشرة سنة. (**قال: إن عمر دخل يوماً على أبي بكر الصديق وهو يجبذ**) بكسر الموحدة أي يجذب (**«لسانه»**) ويمده ويجره، ففي المغرب الجبذ بمعنى الجذب وكلاهما من باب ضرب. قال الطيبي، وفي النهاية: الجبذ لغة في الجذب، وقيل: هو مقلوب منه اهـ. وفي القاموس الجبذ الجذب وليس مقلوبه بل لغة صحيحة، ووهم الجوهري وغيره (**فقال عمر: مه**) بفتح ميم وسكون هاء اسم فعل بمعنى اكفف وامتنع عن ذلك (**«غفر الله لك»**) دعاء أو إخبار عما سمع في حقه (**«فقال له أبو بكر: إن هذا»**) أي اللسان والإشارة للتعظيم أو التحقير (**«أوردني الموارد»**) أي أدخلني المهالك. (**رواه مالك**)، وكذا ابن أبي الدنيا والبيهقي، وفي لفظ البيهقي قال: «إن هذا أوردني شر الموارد أن رسول الله ﷺ قال: ليس شيء من الجسد إلا يشكو إلى الله ذرب اللسان على حدته». كذا نقله ميرك عن المنذري، وقال العراقي: حديث ابن عمر اطلع على أبي بكر، وهو يمد لسانه فقال: ما تصنع يا خليفة رسول الله فقال: «إن هذا أوردني الموارد أن رسول الله ﷺ قال: ليس شيء من الجسد إلا يشكو إلى الله اللسان على حدته»[(١)] ابن أبي الدنيا في الصمت وأبو يعلى في مسنده، والدارقطني في العلل، والبيهقي في الشعب من رواية أسلم مولى عمر، وقال الدارقطني: إن المرفوع وهم على الدراوردي قال: وروي هذا الحديث عن قيس بن أبي حازم عن أبي بكر ولا علة له. قال الغزالي: وفي الآثار روي عن الصديق أنه كان يضع حصاة في فيه يمنع بها نفسه من الكلام،

الحديث رقم ٤٨٦٩: أخرجه مالك في الموطأ ٢/٩٨٨ الحديث رقم ١٢.

(١) البيهقي في شعب الإيمان ٤/٢٤٤ الحديث رقم ٤٩٤٧.

٤٨٧٠ ـ (٥٩) وعن عبادة بن الصامت، أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «اضمَنوا لي ستًّا من أنفسكم أضمن لكم الجنَّة: اصدُقوا إذا حدَّثتم، وأوفوا إذا وعدتم، وأدُّوا إذا ائتمنتُم، واحفظوا فروجَكم، وغضُّوا أبصارَكم، وكفُّوا أيديَكُم».

٤٨٧١ ـ (٦٠) ٤٨٧٢ ـ (٦١) وعن عبد الرحمن بن غَنم، وأسماء بنت يزيد [رضي الله عنهم]، أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «خيارُ عبادِ الله الذين إذا رُؤُوا ذُكِرَ اللهُ».

وكان يشير إلى لسانه ويقول: «هذا الذي أوردني الموارد».

٤٨٧٠ ـ **(وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «اضمنوا لي»)** بفتح الميم أي تكلفوا لأجلي (**«ستاً»**) أي من الخصال (**«من أنفسكم»**) أي من خصالها أو من أجل منفعتها (**«أضمن لكم الجنة»**) أي دخولها مع الفائزين أو وصولها إلى أعلى درجات المقربين (**«اصدقوا»**) بضم الدال أي تكلموا بالصدق (**«إذا حدثتم»**) أي أخبرتم، (**«وأوفوا إذا وعدتم»**) أي وعهدتم (**«وأدوا»**) أي أدوا الأمانة وأعطوا الشهادة (**«إذا ائتمنتم»**) بصيغة المجهول (**«واحفظوا فروجكم»**) أي عن الزنا ونحوه (**«وغضوا أبصاركم»**) بضم الغين أي غموضها عن النظر إلى ما لا يجوز (**«وكفوا أيديكم»**) بضم الكاف وتشديد الفاء أي امسكوا أنفسكم عن الظلم. قال ميرك: حديث عبادة رواه أحمد وابن أبي الدنيا وابن حبان في صحيحه، والحاكم[1] والبيهقي كلهم من رواية المطلب بن عبد الله بن حنطب عنه. وقال الحاكم: صحيح الإسناد اهـ. وقال المنذري: المطلب لم يسمع من عبادة، وفي الجامع الصغير «اضمنوا لي ست خصال أضمن لكم الجنة، لا تظالموا عند قسمة مواريثكم، وانصفوا الناس من أنفسكم، ولا تجبنوا عند قتال عدوكم، ولا تغلوا غنائمكم، وامنعوا ظالمكم من مظلومكم». رواه الطبراني عن أبي أمامة مرفوعاً[2].

٤٨٧١ ـ ٤٨٧٢ ـ **(وعن عبد الرحمن بن غنم)** بفتح الغين المعجمة وسكون النون على ما ضبطه المغني ونص عليه المؤلف وقال: هو أشعري شامي أدرك الجاهلية والإسلام وأسلم على عهد رسول الله ﷺ ولم يره، ولازم معاذ بن جبل منذ بعثه النبي ﷺ إلى اليمن إلى أن مات معاذ، وكان أفقه أهل الشام. روى عن قدماء الصحابة مثل عمر بن الخطاب ومعاذ بن جبل اهـ فكان حقه أن يقول في آخر الحديث؛ مرسلاً تنبيهاً على ذلك (**وأسماء بنت يزيد**) أي ابن السكن، ولم يذكرها المؤلف في الأسماء، (**أن النبي ﷺ قال: «خيار عباد الله الذين إذا رؤوا**

الحديث رقم ٤٨٧٠: أخرجه أحمد في المسند ١/ ٢٥٧، والبيهقي في شعب الإيمان ٤/ ٣٢٠ الحديث رقم ٥٢٥٦، والترمذي في ٤/ ٢٨٣ الحديث رقم ١٩١٩.

(١) ابن حبان في ١/ ٥٠٦ الحديث رقم ٢٧١، والحاكم في المستدرك ٤/ ٣٥٨.

(٢) الجامع الصغير ١/ ١٧١ الحديث رقم ١٠٩٤.

الحديث رقم ٤٨٧١ و٤٨٧٢: أخرجه أحمد في المسند ٤/ ٢٢٧، والبيهقي في الشعب ٧/ ٤٩٤ الحديث رقم ١١١٠٨ وعن أسماء أخرجه أحمد في المسند ٦/ ٤٥٦.

وشرارُ عبادِ الله المشّاؤونَ بالنّميمةِ، والمفرّقونَ بينَ الأحبّةِ، الباغونَ البُرآءَ العَنَتَ» رواهما أحمد، والبيهقي في «شعب الإيمان».

٤٨٧٣ ـ (٦٢) وعن ابنِ عبّاسٍ، أنّ رجُلينِ صلّيا صلاةَ الظهرِ أو العصرِ،

ذكر الله») بصيغة المفعول فيهما أي يتذكر برؤيتهم ذكر الله، وفيه إيماء إلى حديث: «المؤمن مرآة القلوب»[1] على أحد معانيه. قال الطيبي: يحتمل وجهين أحدهما أنهم في الاختصاص بالله بحيث إذا رؤوا خطر ببال من رآهم مولاهم لما فيهم من سيما العبادة، وثانيهما أن من رآهم يذكر الله تعالى كما روى ابن الأثير في النهاية عن عمران بن حصين قال: قال رسول الله ﷺ: «النظر إلى وجه علي عبادة»، قلت: وقد رواه الطبراني والحاكم عن أبي مسعود وعن عمران بن حصين بلفظ: «النظر إلى علي عبادة»، ونظيره ما روى أبو الشيخ عن عائشة مرفوعاً «النظر إلى الكعبة عبادة»، ثم قيل: معناه أن علياً كرم الله وجهه، كان إذا برز قال الناس: «لا إله إلا الله ما أكرم هذا الفتى، ما أشجع هذا الفتى، ما أعلم هذا الفتى، ما أحلم هذا الفتى»، فكانت رؤيته تحملهم على كلمة التوحيد («وشرار عباد الله المشاؤون») بصيغة المبالغة للنسبة أي الذين يمشون («بالنميمة») أي على وجه الفساد كما بينه بقوله: («المفرقون بين الأحبة الباغون») أي الطالبون («البراء») بفتح الموحدة والراء بمعنى البريء: مصدر وصف به للمبالغة، ففي القاموس «أنت بريء» والجمع بريؤون، وكفقهاء وكرام وأشراف وأنصباء ورجال وأنا براء منه لا يثنى ولا يجمع ولا يؤنث بريء. قال الطيبي: وهو وقوله: («العنت») منصوبان مفعولان للباغين. يقال: بغيت فلاناً خيراً، وبغيتك الشيء طلبته لك، وبغيت للشيء طلبته اهـ. وحاصله أن العنت مفعول ثان للباغون، وفي رواية للبراء العنت وهو بفتح العين المهملة والنون المشقة والفساد والهلاك والإثم والخطأ والغلط والزنا كل ذلك قد جاء وأطلق العنت عليه، والحديث يحتمل كلها، فإن الموجود في نسخة صحيحة بضم الموحدة في البراء وهو جمع بريء كما سبق، وفي نسخة بضم موحدة وفتح راء وهمزة ممدودة. قال النووي في شرح مسلم: هو على وزن فضلاء جمع بريء اهـ. والحديث في الجامع الصغير بلفظ «خياركم الذين إذا رؤوا ذكر الله بهم وشرارهم المشاؤون بالنميمة المفرقون بين الأحبة الباغون البراء العنت»[2]. رواه البيهقي عن ابن عمر، لكن قال المؤلف: (رواهما) أي الحديثين السابقين وسبق الكلام على السابق منهما (أحمد والبيهقي في شعب الإيمان). وفي الجامع الصغير رواه أحمد عن عبد الرحمن بن غنم، والطبراني عن عبادة بن الصامت بلفظ. «خيار أمتي الذين إذا رؤوا ذكر الله، وشرار أمتي المشاؤون بالنميمة، المفرقون بين الأحبة، الباغون البراء العنت»[3].

٤٨٧٣ ـ (وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رجلين صليا صلاة الظهر أو العصر) أي

---

(١) الطبراني كما في الجامع الصغير ٢/ ٥٤٨ الحديث رقم ٩١٤١، وأخرجه البخاري في الأدب المفرد.

(٢) الجامع الصغير ٢/ ٢٤٣ الحديث رقم ٣٩٨٦. (٣) الجامع الصغير ٢/ ٢٢٣ الحديث رقم ٣٩٧٦.

الحديث رقم ٤٨٧٣: أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ٥/ ٣٠٣ الحديث رقم ٦٧٢٩.

وكانا صائمين، فلمّا قضى النبيُّ ﷺ الصّلاة قال: «أعيدا وُضوءكما وصلاتكما، وامْضِيا في صومِكما واقضياهُ يوماً آخرَ». قالا: لِمَ يا رسولَ الله؟ قال: «اغْتبتُم فلاناً».

٤٨٧٤ ـ (٦٣) ٤٨٧٥ ـ (٦٤) وعن أبي سعيدٍ، وجابرٍ، قالا: قال رسولُ الله ﷺ: «الغِيبةُ أشدُّ من الزِّنا». قالوا: يا رسولَ الله! وكيفَ الغِيبةُ أشدُّ من الزنا؟ قال: «إنَّ الرَّجلَ ليزني فيتوبُ، فيتوبُ اللّهُ عليه» [٣٦٥ ـ ب ـ] وفي روايةٍ: «فيتوبُ فيغفرُ اللّهُ له، وإنَّ صاحبَ الغيبةِ لا يُغفرُ له حتى يغفرَها له صاحبُه».

معه ﷺ (وكان صائمين) عطف أو حال (فلما قضى النبي ﷺ الصلاة) أي فرغ عن إدائها (قال:) أي النبي ﷺ للرجلين («أعيدوا») بصيغة الجمع على أن الاثنين أقله بقرينة ما بعده، وفي نسخة أعيدا («وضوءكما وصلاتكما وامضيا») بهمز وصل وكسر ضاد أي انفذا في صومكما يعني لا تقطعاه بالإفطار عن مضي في أمره إذا نفذ فيه ولم يتوقف («واقضياه») أي صومكما («يوماً آخر»). قال الطيبي: وهذا في الصوم ظاهر لقوله تعالى: ﴿أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً﴾ [الحجرات ـ ١٢] وأما في الصلاة، فلأنه شرب دم أخيه ولحمه فحمل النجاسة اهـ. وحاصله أن الإتيان بالمعصية قبل الطاعة ينقص كمالها كما أن الحسنة بعد السيئة توجب زوالها فإن قوله تعالى: ﴿إن الحسنات يذهبن السيئات﴾ [هود ـ ١١٤] ورد فيمن قبل امرأة أجنبية، ولعله ﷺ هنا أظهر الزجر الشديد والتغليظ والوعيد لما يتعلق بالغيبة من حق العباد، وربما تذهب العبادة بالكلية حيث يعطى لصاحب الغيبة النافلة الطوية، فيبقى المذنب بلا صوم وصلاة، فلهذا أمرهما بإعادتهما وقضائه وهذا من قبيل فتوى الخاصة لا من قبيل أحكام العامة وفي مسند الفردوس للديلمي عن ابن عمر مرفوعاً: «الغيبة تنقض الوضوء والصلاة» (قالا:)، وفي نسخة فقالا: («لم يا رسول الله») أي لأي سبب («قال: اغتبتم فلاناً») أي قبل الصلاة وبعد الطهارة ومباشرة الصوم.

٤٨٧٤ ـ و٤٨٧٥ ـ (وعن أبي سعيد وجابر رضي الله تعالى عنهما قالا: قال رسول الله ﷺ: «الغيبة أشد من الزنا») أي أصعب منه لتعلقها بحق العباد ألبتة بخلافه (قالوا:) أي بعض الصحابة، ويمكن أن يكون هما المراد بهم («وكيف الغيبة أشد من الزنا») أي والحال أن الزنا ذنب كبير وقد وقع عليه وعيد كثير وتعلق به الحد والرجم ونحو ذلك، قال الطيبي: أشد من الزنا مبتدأ على سبيل حكاية قول رسول الله ﷺ، وكيف خبره أي كيف قولك هذا؟ («قال: إن الرجل ليزني فيتوب») أي بينه وبين الله («فيتوب الله عليه») أي فيقبل توبته ويفقه على ثباته؛ (وفي رواية «فيتوب فيغفر له، وإن صاحب الغيبة») عطف على ما سبق («لا يغفر له») أي ولو تاب بينه وبين ربه («حتى يغفر هاله») أي لصاحب الغيبة.

الحديث رقم ٤٨٧٤ و٤٨٧٥: أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ٥/ ٣٠٦ الحديث رقم ٦٧٤١.

٤٨٧٦ ـ (٦٥) وفي رواية أنسٍ [رضي الله عنه]، قال: «صاحبُ الزِّنا يتوبُ، وصاحبُ الغيبةِ ليسَ له توبةٌ». روى البيهقيُّ الأحاديثَ الثلاثةَ في «شعب الإيمان».

٤٨٧٧ ـ (٦٦) وعن أنسٍ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إنَّ مِنْ كفَّارةِ الغيبةِ أنْ تستغفرَ لمنِ اغتبْتَه، تقولُ: اللهُمَّ اغفِرْ لنا وله».

٤٨٧٦ ـ (**وفي رواية أنس قال: «صاحب الزنا يتوب»**) أي يتصور منه التوبة أو يتوب غالباً لأنه ذنب عظيم عنده (**«وصاحب الغيبة ليس له توبة»**) أي غالباً لأنه يحسبه هيناً وهو عند الله عظيم، لكن البلية إذا عمت طابت، أو ليس له توبة مستقلة لتوقف صحتها على رضا صاحبها. (**روى البيهقي الأحاديث الثلاثة**) أي حديث ابن عباس وأبي سعيد وأنس (**في شعب الإيمان**)، قال ميرك نقلاً عن المنذري: إن حديث أبي سعيد وجابر رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الغيبة والطبراني في الأوسط، وروى البيهقي حديث أنس عن رجل لم يسم عنه، ورواه عن سفيان بن عيينة غير مرفوع وهو الأشبه.

٤٨٧٧ ـ (**وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن من كفارة الغيبة»**) أي بعد تحقق التوبة (**«أن تستغفر»**) أي أنت أيها المخاطب خطاباً عاماً (**«لمن اغتبته، تقول:»**) بدل أو بيان أو حال (**«اللهم اغفر لنا»**) أي إذا كانوا جماعة أو لنا معشر المسلمين عموماً (**«وله»**) أي لمن اغتبته خصوصاً، والظاهر أن هذا إذا لم تصل الغيبة إليه، وأما إذا وصلت إليه فلا بد من الاستحلال بأن تخبر صاحبها بما قال فيه، ويتحللها منه، فإن تعذر ذلك فليعزم على أنه متى وجده تحلل منه، فإذا حلله سقط عنه ما وجب عليه له من الحق، فإن عجز عن ذلك كله بأن كان صاحب الغيبة ميتاً أو غائباً فليستغفر الله تعالى، والمرجو من فضله وكرمه أن يرضي خصمه من إحسانه فإن جواد كريم رؤوف رحيم، وفي روضة العلماء سألت محمداً فقلت له: «إذا تاب صاحب الغيبة قبل وصولها إلى المغتاب عنه هل تنفعه توبته؟ قال: نعم. تنفعه توبته، فإنه تاب قبل أن يصير الذنب ذنباً يعني ذنباً يتعلق به حق العبد قال: «لأنها تصير ذنباً إذا بلغت إليه، قلت: فإن بلغت إليه بعد توبته قال: لا تبطل توبته بل يغفر الله لهما جميعاً، المغتاب بالتوبة والمغتاب عنه بما لحقه من المشقة، قلت: أو بما حصل له من المغفرة، قال: لأنه كريم ولا يحمل كرمه رد توبته بعد قبولها بل يعفو عنهما جميعاً، قلت فيه: إنه يحتمل أن يكون قبل توبته موقوفاً على عدم تحقق وصولها إليه وحصول مشقته والله أعلم». وقال الفقيه أبو الليث: قد تكلم الناس في توبة المغتابين هل تجوز من غير أن يستحل من صاحبه؟ قال بعضهم: تجوز، وقال بعضهم: لا تجوز، وهو عندنا على وجهين، أحدهما إن كان ذلك القول قد بلغ إلى الذي اغتابه فتوبته أن يستحل منه، وإن لم يبلغ فيستغفر الله ويضمر أن لا يعود لمثله اهـ. وهل يكفيه أن يقول: اغتبتك فاجعلني في حل أم لا بد أن يبين ما اغتاب؟ قال بعض علمائنا في

الحديث رقم ٤٨٧٦: أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ٥/٣٠٦ الحديث رقم ٦٧٤٢.

الحديث رقم ٤٨٧٧: أخرجه البيهقي في الدعوات الكبير.

رواه البيهقيُّ في «الدَّعوات الكبير» وقال: في هذا الإسناد ضعفٌ.

(١١) باب الوعد

الفصل الأول

٤٨٧٨ - (١) عن جابرٍ، قال: لما ماتَ رسولُ الله ﷺ، وجاءَ أبا بكرٍ مالٌ

الغيبة: لا يعلمه بها بل يستغفر الله له إن علم أن إعلامه يثير فتنة، ويدل عليه ما هو المقرر في الأصول أن الإبراء عن الحقوق المجهولة جائز عندنا، ثم اعلم أنه يستحب لصاحب الغيبة أن يبرئه منها ليخلص أخاه من المعصية ويفوز هو بعظيم ثواب الله في العفو. وفي القنية تصافح الخصمين لأجل العذر استحلال؛ وقال النووي: رأيت في فتاوى الطحاوي أنه يكفي الندم والاستغفار إلى الغيبة وإن بلغت، فالطريق أن يأتي المغتاب ويستحل منه فإن تعذر لموته أو لغيبته البعيدة استغفر الله تعالى، ولا اعتبار بتحليل الورثة، وإذا اغتاب أحداً فهل يكفي أن يقول: قد اغتبتك فاجعلني في حل؟ أم لا بد أن يبين ما اغتابه به؟ فيه وجهان لأصحاب الشافعي أحدهما يشترط، فإن أبرأه من غير بيانه لم يصح كما لو أبرأه عن مال مجهول، وثانيهما لا يشترط، لأن هذا مما يتسامح فيه بخلاف المال، والأول أظهر لأن الإنسان قد يسمح بالعفو عن غيبة دون غيبة. وقال الشيخ أبو حامد: «سبيل المعتذر أن يبالغ في الثناء عليه والتودد إليه ويلازم ذلك حتى يطيب قلبه، فإن لم يطب قلبه كان اعتذاره وتودده حسنة محسوبة له فتقابل بها سيئة الغيبة في القيامة» (**رواه البيهقي في الدعوات الكبير**) اسم كتاب له، (**وقال: في هذا الإسناد ضعف**) قلت: وما يضر فإن فضائل الأعمال يكفيها الحديث الضعيف للعمل والله أعلم ثم رأيت في الجامع الصغير ما يعضده وهو ما رواه ابن أبي الدنيا في الصمت عن أنس أيضاً ولفظه: «كفارة من اغتبت أن تستغفر له».

باب الوعد

الوعد يستعمل في الخير والشر. يقال: وعدته خيراً ووعدته شراً، فإذا أسقطوا الخير والشر قالوا: في الخير الوعد والعدة وفي الشر ألا يعاد والوعيد ومنه قول القائل:

وإني وإن أوعدته أو وعدته لمخلف ميعادي ومنجز موعدي

(الفصل الأول)

٤٨٧٨ - (**عن جابر رضي الله تعالى عنه قال: لما مات رسول الله ﷺ وجاء أبا بكر مال**

الحديث رقم ٤٨٧٨: أخرجه البخاري في صحيحه ٦/ ٢٦٨ الحديث رقم ٣١٦٤، ومسلم في ٤/ ١٨٨ الحديث رقم (٦٠ - ٢٣١٤).

منْ قِبَلِ العلاءِ بن الحضرميِّ. فقال أبو بكرٍ: مَنْ كانَ له على النبيِّ ﷺ دَينٌ، أو كانت له قِبَله عِدَةٌ فليأتِنا. قال جابر: فقلتُ: وعدَني رسولُ الله ﷺ أنْ يُعطِيَني هكذا، وهكذا، وهكذا. فبسطَ يدَيهِ ثلاثَ مرَّاتٍ. قال جابر: فحَثا لي حَثيةً، فعدَدْتُها فإذا هيَ خمسمائة، وقال: خُذْ مثلَيها. متفق عليه.

الفصل الثاني

٤٨٧٩ ـ (٢) عن أبي جحيفةَ، قال: رأيتُ رسولَ الله ﷺ أبيضَ قد شابَ، وكانَ الحسنُ بن عليٍّ يشبهُه، وأمرَ لنا

من قبل العلاء بن الحضرمي) بكسر القاف وفتح الموحدة أي من جهته وهو بفتح العين واسمه عبد الله، من حضرموت وكان عامل رسول الله ﷺ على البحرين وأقره أبو بكر وعمر رضي الله عنهما عليها إلى أن مات العلاء سنة أربع عشرة، روى عنه السائب بن يزيد وغيره (فقال أبو بكر: «من كان له على النبي ﷺ دين أو كانت له قبله») بكسر ففتح أي عنده («عدة») بكسر فتخفيف دال أي وعد («فليأتنا»). قال الأشرف وغيره من علمائنا: فيه استحباب قضاء دين الميت وإنجاز وعده لمن يخلفه بعده، وأنه يستوي فيه الوارث والأجنبي اهـ. وفيه إشعار بأن الوعد ملحق بالدين كما ورد عنه ﷺ «العدة دين» على ما رواه الطبراني في الأوسط عن علي وابن مسعود. (قال جابر: فقلت: «وعدني رسول الله ﷺ أن يعطيني هكذا وهكذا») أي ثلاثاً، وفي نسخة مرتين والأول هو الظاهر لقوله: («فبسط يديه ثلاث مرات بياناً لهكذا، قال جابر: فحثا لي حثية») أي فملأ أبو بكر كفيه من الدراهم وصبها في ذيلي («فعددتها») أي ما فيها («فإذا هي خمسمائة، وقال: خذ مثليها») أي مثلي ما في الحثية من العدد لئلا يزيد ولا ينقص. (متفق عليه).

(الفصل الثاني)

٤٨٧٩ ـ (عن أبي جحيفة) بضم جيم فحاء مهملة مفتوحة فياء ساكنة بعدها. قال المؤلف: ذكر أن النبي ﷺ توفي ولم يبلغ الحلم، لكنه سمع منه وروى عنه مات بالكوفة سنة أربع وسبعين، روى عنه ابنه عون وجماعة من التابعين (قال: رأيت رسول الله ﷺ أبيض) أي أبيض اللون مائلاً إلى الحمرة، ومنه قوله ﷺ لعائشة: «يا حميراء» (قد شاب) أي بعض لحيته أو ظهر فيه شيب (وكان الحسن بن علي يشبهه). والمشهور أنه شبيهه في النصف الأعلى والحسين في النصف الآخر. (وأمر لنا) أي لأجلنا أو لإعطائنا، وهو كذا في جامع الأصول،

الحديث رقم ٤٨٧٩: أخرجه البخاري في صحيحه ٦/ ٥٦٤ الحديث رقم ٣٥٤٤، ومسلم في ٤/ ١٨٢٢ الحديث رقم (١٠٧ ـ ٢٣٤٣). والترمذي في السنن ٥/ ١١٨ الحديث رقم ٢٨٢٦.

بثلاثة عشر قلوصاً، فذهبنا نقبضها، فأتانا موته. فلم يعطونا شيئاً. فلمّا قام أبو بكرٍ قال: مَن كانت له عند رسولِ الله ﷺ عِدَةٌ فليجيء؛ فقمتُ إليه فأخبرتُه، فأمرَ لنا بها. رواه الترمذي.

٤٨٨٠ ـ (٣) وعن عبد الله بن أبي الحَمْساءِ، قال: بايعتُ النبيَّ ﷺ قبلَ أن يُبعثَ، وبقيتْ له بقيَّةٌ، فوعدتُه أنْ آتيَه بها في مكانِه، فنسيتُ، فذكرتُ بعدَ ثلاثٍ، فإذا هوَ في مكانِه، فقال: «لقدْ شققتَ عليَّ، أنا ههُنا منذُ ثلاثٍ أنتظرُكَ»

وفي سائر نسخ المصابيح أمر له، والأول أنسب لاتفاق الضمائر التالية (بثلاثة عشر قلوصاً) بفتح فضم أي ناقة شابة (فذهبنا نقبضه) أي فشرعنا في الذهاب إلى المأمور لنقبض العطاء المذكور (فأتانا موته) أي خبر موته (ﷺ) بالقدر المقدور (فلم يعطونا شيئاً) فيه دليل على أن الهبة والعطية والصدقة لا تملك إلا بالقبض (فلما قام أبو بكر) أي خطيباً أو قام بأمر الخلافة (قال: من كان له عند رسول الله ﷺ عدة فليجيء) أي فليأت إلينا فإن وفاءه علينا، ولعل الاكتفاء بها وعدم ذكر الدين هنا لأنه يلزم منها بالأولى، ويمكن أن يكون اقتصاراً من الراوي لا سيما وكلامه في العدة («فقمت إليه») أي متوجهاً («فأخبرته») أي بما سبق («فأمر لنا بها») أي بالقلوص الموعودة. (رواه الترمذي). قال في جامع الأصول: اتفق البخاري ومسلم والترمذي على الفصل الأول من حديث أبي جحيفة، واتفق البخاري والترمذي على الفصل الثاني، وانفرد الترمذي بذكر أبي بكر وإعطائه إياهم، كذا قاله الشيخ الجزري في تصحيح المصابيح. قال ميرك: ولذا قال المؤلف في آخر مجموع الحديث: رواه الترمذي.

٤٨٨٠ ـ (وعن عبد الله ابن الحمساء) بفتح الحاء المهملة وإسكان الميم وبالسين المهملة. ذكره الشيخ الجزري في التصحيح وهو كذلك في القاموس وزاد المغني وهو بالمد (قال: بايعت النبي ﷺ) أي بعت منه بمعنى اشتريت، فهو من البيع لا من المبايعة، فإنه الطيبي: وفيه أنه غير مستقيم بحسب القاعدة الصرفية، فالظاهر أنه محمول على بيع المقابضة والمعاوضة فتكون الصيغة من المفاعلة على بابه («قبل أن يبعث») أي للرسالة («وبقيت له») أي للنبي ﷺ («بقية») أي شيء من ثمن ذلك المبيع («فوعدته أن آتيه بها») أي أجيئه بتلك البقية («في مكانه») أي المعين أو النبي («فنسيت») أي ذلك الوعد («فذكرت بعد ثلاث») أي ثلاث ليال («فجئت ذلك المكان فإذا هو») أي النبي ﷺ [ينتظرني] («في مكانه») أي في ذلك المكان أو في مكانه الموعود وفاء بما وعد من لزوم المكان حتى أجيئه بما بقي من الثمن، وفيه إرشاد إلى ندب تصديق الوعد والوفاء بالعهد (فقال: «لقد شققت») بقافين أي حملت المشقة («علي») وأوصلتها إلي («أنا ههنا منذ ثلاث أنتظرك»)، وكان انتظاره ﷺ لصدق وعده لا لقبض ثمنه. قال الطيبي: واعلم أن الوعد أمر مأمور الوفاء به في جميع الأديان، حافظ عليه الرسل المتقدمون. قال تعالى: ﴿وإبراهيم الذي وفى﴾ [النجم ـ ٣٧] ومدح ابنه إسماعيل؛ يعني جد

الحديث رقم ٤٨٨٠: أخرجه أبو داود في السنن ٥/ ٢٦٨ الحديث رقم ٤٩٩٦.

رواه أبو داود.

٤٨٨١ ـ (٤) وعن زيدِ بن أرقَمَ، عن النبيِّ ﷺ، قال: «إذا وعدَ الرجلُ أخاهُ ومن نيَّتِه أنْ يَفيَ له، فلم يَفِ ولم يجىءْ للميعادِ، فلا إثمَ عليه» [٣٦٦ ـ أ ـ] رواه أبو داود، والترمذي.

٤٨٨٢ ـ (٥) وعن عبدِ الله بن عامرٍ، قال: دعَتني أُمي يوماً ورسولُ الله ﷺ قاعدٌ في بيتِنا، فقالت: ها تعالَ أُعطيكَ.

نبينا عليهم السلام بقوله عزّ وجلّ: ﴿إن كان صادق الوعد﴾ [مريم ـ ٥٤] يقال: «إنه وعد إنساناً في موضع فلم يرجع إليه، فأقام عليه حتى حال الحول قلت: وذلك بحوله وقوّته». (**رواه أبو داود**).

٤٨٨١ ـ (**ومن زيد بن أرقم**) يكنى أبا عمرو الأنصاري الخزرجي سكن الكوفة ومات بها سنة ثمان وسبعين وهو ابن خمس وثمانين، روى عنه عطاء بن يسار وغيره (**عن النبي ﷺ قال: «إذا وعد الرجل أخاه ومن نيته أن يفي»**) بفتح فكسر وأصله أن يوفي (**«له»**) أي للرجل (**«فلم يف»**) أي بعذر (**«ولم يجيء للميعاد»**) أي لمانع (**«فلا إثم عليه»**). قال الأشرف. هذا دليل على أن النية الصالحة يثاب الرجل عليها وإن لم يقترن معها المنوي وتخلف عنها اهـ. ومفهومه أن من وعد وليس من نيته أن يفي فعليه الإثم سواء وفى به أو لم يف، فإنه من أخلاق المنافقين ولا تعرض فيه لمن وعد ونيته أن يفي ولم يف بغير عذر، فلا دليل لما قيل: من أنه دل على أن الوفاء بالوعد ليس بواجب إذ هو أمر مسكوت عنه على ما حررته، وسيجيء بسط الكلام على هذا المرام في آخر باب المزاح. (**رواه أبو داود والترمذي**).

٤٨٨٢ ـ (**ومن عبد الله بن عامر**) قال المؤلف: قرشي خال عثمان بن عفان ولد على عهد رسول الله ﷺ فأتي به فتفل عليه وعوّذه، ورأى النبي ﷺ وله ثلاث عشرة سنة وقيل: إنه لم يرو عن النبي ﷺ شيئاً ولا حفظ عنه، ومات سنة تسع وخمسين. ولاه عثمان البصرة وخراسان وأقام عليها إلى أن قتل عثمان، فلما أفضى الأمر إلى معاوية رد إليه ذلك وكان سخياً كريماً كثير المناقب، وهو افتتح خراسان وقتل كسرى في ولايته، ولم يختلفوا أنه افتتح أطراف فارس وعامة خراسان وأصفهان وكرمان وحلوان وهو الذي شق نهر البصرة. (**قال: دعتني أمي يوماً**) أي نادتني وطلبتني وأنا صغير (**ورسول الله ﷺ قاعد في بيتنا**) الجملة حالية (**فقالت: ها**) للتنبيه أو اسم فعل بمعنى خذ، فقولها: (**«تعال»**) بفتح اللام بلا ألف تأكيد (**«أعطيك»**) أي أنا

الحديث رقم ٤٨٨١: أخرجه أبو داود في السنن ٥/ ٢٦٨ الحديث رقم ٤٩٩٥، والترمذي في السنن ٥/ ٢١ الحديث رقم ٢٦٣٣.

الحديث رقم ٤٨٨٢: أخرجه أبو داود في السنن ٥/ ٢٦٥ الحديث رقم ٤٩٩١، وأحمد في المسند ٣/ ٤٤٧، والبيهقي في شعب الإيمان ٤/ ٢١٠ الحديث رقم ٤٨٢٢.

فقال لها رسولُ الله ﷺ: «ما أردتِ أنْ تُعطِيه؟» قالت: أردتُ أنْ أُعطيَه تمراً. فقال رسولُ الله ﷺ: «أما إنَّكِ لو لم تُعطيهِ شيئاً كُتِبَتْ عليكِ كذبةٌ». رواه أبو داود، والبيهقي في «شعب الإيمان».

الفصل الثالث

٤٨٨٣ ـ (٦) عن زيدِ بن أرقمَ، أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «مَنْ وعدَ رجلاً فلم يأتِ أحدُهما إلى وقتِ

فهو مرفوع على أنه خبر لمبتدأ محذوف، وفي نسخة أعطك بغير ياء على أنه مجزوم، قال الطيبي: هو بالجزم في بعض نسخ المصابيح جواباً للأمر، وفي بعضها بإثبات الياء وهو لرواية في سنن أبي داود وشعب الإيمان على أنه استئناف كقوله تعالى: ﴿فهب لي من لدنك ولياً يرثني﴾ [مريم ـ ٦] بالرفع اهـ. وفي الآية الوجهان متواتران على أنه يمكن أن الياء حصل من الأشباع فلا ينافي الجزم على أن إثبات الياء في المجزوم لغة كقوله تعالى: ﴿أنه من يتقي ويصبر﴾ [يوسف ـ ٩٠] ونحوه كثير (فقال لها رسول الله ﷺ: «ما أردت») أي شيء أنويت («أن تعطيه») بسكون التحتية لأن الصيغة للمخاطبة وعلامة نصبها حذف النون، ووقع في أصل السيد وبعض النسخ هنا بفتح الياء، وهو من زلة القلم أو زلقة القدمة («قالت: أردت أن أعطيه تمراً») أي واحداً أو شيئاً من التمر فإنه اسم جنس. قال الطيبي: قوله: فقال لها: ما أردت أن تعطيه قالت: أردت أن أعطيه تمراً، ليس في المصابيح فكأنه سقط من النساخ والله أعلم. (فقال لها رسول الله ﷺ: أما) بالتخفيف للتنبيه («إنك لو لم تعطيه») بالياء فإنها ضمير الكلمة لا لامها أي لو لم تنوي بإعطائه شيئاً («كتبت عليك كذبة») بفتح الكاف وسكون الذال أي مرة من الكذب، وفي بعض النسخ بكسر فسكون أي نوع من الكذب، وأما ما في بعض النسخ المصححة على زعم صاحبه من ضبطه بفتح الكاف. وكسر الذال فغير صحيح لما سبق تحقيقه من نقل اللغة وكلام الأئمة، فكأنه غير كلام ابن الملك حيث قال: بفتح الكاف ثم السكون وبفتحهما مع كسر الذال والباء الموحدة اهـ. وهو غير صحيح لأن الفتح مع كسر الذال لم يوجد مع التاء لغة، وقد نص النووي أن الذال ساكنة فيهما، فكلام ابن الملك مخالف للرواية والدراية. (رواه أبو داود والبيهقي في شعب الإيمان).

(الفصل الثالث)

٤٨٨٣ ـ (عن زيد بن أرقم رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من وعد رجلاً») أي مثلاً، والمعنى أن الرجل وعده أيضاً في مكان وزمان معينين («فلم يأت أحدهما إلى وقت

الحديث رقم ٤٨٨٣: رواه رزين.

الصَّلاة، وذهب الذي جاء لِيُصلي، فلا إثم عليه». رواه رزين.

(١٢) باب المزاح

(الصلاة) أي قيامها وقد أتى الآخر **(«وذهب الذي جاء ليصلي فلا إثم عليه»)** أي على الجائي لوعده والذاهب لصلاته في غيبته لحضور الصلاة لأنه من ضرورات الدين، والظاهر أنه كذلك إذا ذهب لضرورات أمر البدن من أكل وشرب وقضاء حاجة ونحوها. (رواه رزين).

باب المزاح

بضم الميم ويكسر. قال شارح: المزاح بالضم اسم المزاح بالكسر، وقيل: بالضم اسم من مزح يمزح وبالكسر مصدر مازح، وفي القاموس مزح كمنع مزحاً ومزاحه ومزاحاً دعب ومازحه ممازحة ومزاحاً بالكسر وتمازحاً، ثم المزاح انبساط مع الغير من غير إيذاء فإن بلغ الإيذاء يكون سخرية، ثم اعلم أنه ورد عنه ﷺ «لا تمار أخاك ولا تمازحه»[١]، وأخرجه الترمذي في جامعه من حديث ابن عباس وقال: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه. وقال الجزري: إسناده جيد، فقد رواه زياد بن أيوب، عن عبد الرحمن بن محمد البخاري، عن ليث بن أبي سليم، عن عبد الملك بن أبي بشر، عن عكرمة، عن ابن عباس، وهذا إسناد مستقيم وليث بن أبي سليم وإن كان فيه ضعف من قبل حفظه، فقد روى له مسلم مقروناً وكان عالماً ذا صلاة وصيام. ذكره ميرك، والحديث له تتمة على ما في الجامع الصغير وهي لا تعده موعداً فتخلفه، والحديث سيأتي في أصل الكتاب. قال النووي: اعلم أن المزاح المنهي عنه هو الذي فيه إفراط ويداوم عليه، فإنه يورث الضحك وقسوة القلب ويشغل عن ذكر الله والفكر في مهمات الدين، ويؤول في كثير من الأوقات إلى الإيذاء، ويورث الأحقاد، ويسقط المهابة والوقار، فأما ما سلم من هذه الأور فهو المباح الذي كان رسول الله ﷺ يفعله على الندرة لمصلحة تطييب نفس المخاطب ومؤانسته وهو سنة مستحبة، فاعلم هذا فإنه مما يعظم الاحتياج إليه اهـ. وقال الحنفي: لكن لا يلائمه ما روي عن عبد الله بن الحارث قال: ما رأيت أحداً أكثر مزاحاً من رسول الله ﷺ قلت: يلائمه من حيث إن غيره ما كان يتمالك من نفسه مثله ﷺ، فكأن ترك المزاح بالنسبة إلى غيره أولى، وقد روى الترمذي في الشمائل عن أبي هريرة قال: «قالوا: يا رسول الله إنك تداعبنا، قال: إني لا أقول إلا حقاً»، والمعنى لا يقاس الملوك بالحدادين، والحاصل أن غيره ﷺ داخل تحت نهيه إلا إذا كان متمكناً في الاستقامة على حده وعدم العدول عن جادته.

---

(١) راجع الحديث رقم ٤٨٩٢.

الفصل الأول

٤٨٨٤ ـ (١) عن أنسٍ، قال: إنْ كانَ النبيُّ ﷺ ليُخالطنا حتى يقول لأخ لي صغير: «يا أبا عُمَير! ما فعلَ النُّغيرُ؟» كانَ له نُغيرٌ يلعبُ به فمات

(الفصل الأوّل)

٤٨٨٤ ـ (عن أنس رضي الله عنه قال: إن) مخففة من المثقلة واسمها ضمير الشأن أي إنه (كان النبي ﷺ ليخالطنا) بفتح اللام وتسمى لام المفارقة، وفي نسخة للشمائل ليخاطبنا، والمعنى ليخالطنا غاية المخالطة ويعاشرنا نهاية المعاشرة ويجالسنا ويمازحنا («حتى يقول لأخ لي») أي من أمي وأبوه أبو طلحة زيد بن سهل الأنصاري («صغير: يا أبا عمير») بالتصغير واسمه كبشة («ما فعل») بصيغة الفاعل أي ما صنع («النغير») بضم ففتح تصغير نفر بضم النون وفتح الغين المعجمة طائر يشبه العصفور أحمر المنقار، وقيل: هو العصفور، وقيل: هو الصعو صغير المنقار أحمر الرأس، وقيل: أهل المدينة يسمونه البلبل، والمعنى ما جرى له حيث لم أرَهُ معك وفي هذا تسلية له على فقده بموته بينه بقوله: («كان له نغير يلعب به فمات») أي النغير، وحزن الولد لفقده على عادة الصغار، قال الطيبي: حتى غاية قوله: «يخالطنا»، وضمير الجمع لأنس وأهل بيته أي انتهت مخالطته لأهلنا كلهم حتى الصبي، وحتى الملاعبة معه، وحتى السؤال عن فعل النغير. وفي مسلم أنه ﷺ كان لا يدخل على أحد من النساء إلا على أزواجه إلا أم سليم فإنه كان يدخل عليها، وأم سليم أم أنس بن مالك، وقال الراغب: الفعل التأثير من جهة مؤثرة، والعمل كل فعل يكون من الحيوان بقصد وهو أخص من الفعل لأن الفعل قد ينسب إلى الحيوانات التي يقع منها بغير قصد وقد ينسب إلى الجمادات اهـ. كلامه. فالمعنى ما حاله وشأنه، ذكره الطيبي، ولو روي بصيغة المفعول لكان له وجه وجيه وتنبيه نبيه وصار المعنى ما فعل به، وفي شرح السنة فيه فوائد منها أن صيد المدينة مباح بخلاف صيد مكة قلت: لو ثبت هذا لارتفع الخلاف في أن المدينة لها حرم أم لا، لكن للشافعية أن يقولوا: ليس نص في الحديث على أنه من صيد المدينة لاحتمال أنه صيد من خارجها وأدخل فيها، وحينئذ لا يضر، فإن الصيد لو أخذ خارج مكة ثم أدخل في الحرم وذبح كان حلالاً عندهم فكذا هذا والله أعلم. قال: وإنه لا بأس أن يعطى الصبي الطير ليلعب به من

الحديث رقم ٤٨٨٤: أخرجه البخاري في صحيحه ١٠/ ٥٨٢ الحديث رقم ٦٢٠٣، ومسلم في ٣/ ١٦٩٢ الحديث رقم (٣٠ ـ ٢١٥٠) وأبو داود في السنن ٥/ ٢٥١ الحديث رقم ٤٩٦٩، والترمذي في ٤/ ٣١٤ الحديث رقم ١٩٨٩، وابن ماجه في ٢/ ١٢٢٦ الحديث رقم ٣٧٢٠، وأحمد في المسند ٣/ ١١٥.

متفق عليه.

الفصل الثاني

٤٨٨٥ - (٢) عن أبي هريرة، قال: قالوا: يا رسولَ الله! إنَّكَ تداعبُنا. قال: «إني لا أقولُ إلاَّ حقّاً». رواه الترمذي.

غير أن يعذبه قلت: هذا فرع آخر على المسألة السابقة إذ لو ثبت حرمية المدينة لوجب إرسال الصيد أن أخذ منها، وكذا عندنا بعد دخوله في حرم مكة قال: وإباحة تصغير الأسماء قلت: لأنه مبني على اللطف والشفقة لا سيما وفيه مراعاة السجع وهو مباح الكلام إذا لم يكن مقروناً بالتكلف قال: وإباحة الدعابة ما لم يكن اثماً قلت: بل استحبابه إذا كان تطييباً ومطايبة قال: وجواز تكني الصبي ولا يدخل ذلك في باب الكذب قلت: لأنه قصد به التفاؤل قال: وقد نقل عن الشيخ نجم الدين الكبير غير ذلك من الفوائد، وهي أن يجوز للرجل أن يدخل في بيت فيه امرأة أجنبية إذا أمن على نفسه الفتنة قلت: فيه بحث لأنه إن أراد جواز الخلوة مع الأجنبية فهو لا يجوز بالإجماع وإن أراد الدخول عليها مع وجود غيرها فهو أمر ظاهر لا شبهة في جوازه حتى مع عدم الأمن عن الفتنة أيضاً كما في مسألة تحمل الشهادة ونحوها، وليس في الحديث دلالة على الخلوة مع أنها لو ثبت لكان جوازه من خصوصياته ﷺ مع كونه معصوماً، مع أنه أب للأمة وليس لغيره ذلك، ولو كان ولياً فإن الحفظ مرتبة دون العصمة ولذا لما سئل الجنيد أيزني العارف؟ فاطرق رأسه ملياً ثم قال: «وكان أمر الله قدراً مقدوراً». وإنما أطلت هذا المبحث لئلا يتعلق به بعض الزنادقة والملاحدة والمباحية مع أنا لا نشك في جلالة الشيخ قدس سره حيث أثر نظره في الكلب قال: وأن يجوز للرجل أن يسأل عما هو عالم به تعجباً منه قلت: هذا يتوقف على تقدم علمه ﷺ بموت النغير لاحتمال صدور هذا القول بمجرد فقده وهو أعم من حصول موته، قال: وفيه كمال خلق النبي ﷺ، وإن رعاية الضعفاء من مكارم الأخلاق ويستحب استمالة قلوب الصغار وإدخال السرور في قلوبهم قلت: كيف لا وقد قال تعالى في وصفه الكريم في كلامه القديم: ﴿وإنك لعلى خلق عظيم﴾ [القلم - ٤] (متفق عليه).

(الفصل الثاني)

٤٨٨٥ - (عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «قالوا: يا رسول الله) أي بعض الصحابة («إنك تداعبنا») من الدعابة أي تمازحنا وكأنهم استبعدوه منه فلذلك أكدوا الكلام بأن وباللام أيضاً ما في بعض النسخ من قوله: لتداعبنا، والأظهر أن منشأ سؤالهم أنه ﷺ نهاهم عن المزاح كما قدمناه («قال: إني لا أقول: إلا حقاً»). أي عدلاً وصدقاً، ولا كل أحد منكم قادر على هذا الحصر لعدم العصمة فيكم. (رواه الترمذي).

الحديث رقم ٤٨٨٥: أخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٣١٤ الحديث رقم ١٩٩٠، وأحمد في المسند ٢/ ٣٤٠.

٤٨٨٦ - (٣) وعن أنس، أنَّ رجلاً استحملَ رسولَ الله ﷺ، فقال: «إني حاملك على ولدِ ناقةٍ؟» فقال: ما أصنعُ بولدِ الناقة؟ فقال رسولُ الله ﷺ: «وهلْ تلدُ الإبلَ إلاَّ النوقُ؟». رواه الترمذي، وأبو داود.

٤٨٨٧ - (٤) وعنه، أنَّ النبيَّ ﷺ قال له: «يا ذا الأذنين!». رواه أبو داود، والترمذيُّ.

٤٨٨٨ - (٥) وعنه، عن النبيِّ ﷺ، قال لامرأةٍ عجوزٍ:

٤٨٨٦ - (وعن أنس رضي الله عنه أن رجلاً) قيل: وكان به بله، (استحمل رسول الله ﷺ) أي سأله الحملان، والمعنى طلبه أن يحمله على دابة، والمراد به أن يعطيه حملة يركبها (فقال: «إني حاملك على ولد ناقة») قاله: مباسطاً له بما عساه أن يكون شفاء لبلهه بعد ذلك («فقال:») أي يا رسول الله كما في الشمائل («ما أصنع بولد الناقة») حيث توهم أن الولد لا يطلق إلا على الصغير وهو غير قابل للركوب («فقال رسول الله ﷺ: هل تلد الإبل») أي جنسها من الصغار والكبار (إلا النوق) بضم النون جمع الناقة وهي أنثى الإبل، والمعنى أنك لو تدبرت لم تقل ذلك، ففيه مع المباسطة له الإشارة إلى إرشاده وإرشاد غيره بأنه ينبغي لمن سمع قولاً أن يتأمله ولا يبادر إلى رده إلا بعد أن يدرك غوره. (رواه الترمذي وأبو داود).

٤٨٨٧ - (وعنه) أي عن أنس رضي الله عنه (أن النبي ﷺ قال له: «يا ذا الأذنين») معناه الحض والتنبيه على حسن الاستماع لما يقال له لأن السمع بحاسة الاذن ومن خلق الله له الأذنين وغفل ولم يحسن الوعي لم يعذر، وقيل: إن هذا القول من جملة مداعباته ﷺ ولطيف أخلاقه. قاله صاحب النهاية: وقال شارح: الأظهر أنه حمده على ذكائه وفطنته وحسن استماعه، ويحتمل أنه قال ذلك: على سبيل الانبساط إليه والمزاح معه قلت: لا منافاة بينهما حتى يجعل قولان في معناه، فإن مزحه الصوري اللفظي لا ينفك عن مزح حقه المعنوي على أنه يمكن أن يكون في أذنه نوع طول أو قصر أو قصور فأشار بذلك. (رواه أبو داود والترمذي).

٤٨٨٨ - (وعنه) أي عن أنس رضي الله عنه (عن النبي ﷺ قال لامرأة عجوز:) بفتح أوله، وأما العجوز بالضم فهو الضعف، وفي القاموس ولا تقل: عجوزة أو هي لغة ردئية ثم قيل: هي صفية بنت عبد المطلب أم الزبير بن العوّام عمة النبي ﷺ وسيأتي أنها غيرها، ويمكن

الحديث رقم ٤٨٨٦: أخرجه أبو داود في السنن ٥/ ٢٧٠ الحديث رقم ٤٩٩٨، والترمذي في ٤/ ٣١٤ الحديث رقم ١٩٩١، وأحمد في المسند ٣/ ٢٦٧.

الحديث رقم ٤٨٨٧: أخرجه أبو داود في السنن ٥/ ٢٧٢ الحديث رقم ٥٠٠٢، والترمذي في ٤/ ٣١٥ الحديث رقم ١٩٩٢، وأحمد في المسند ٣/ ١٢٧.

الحديث رقم ٤٨٨٨: أخرجه البغوي في شرح السنة ١٣/ ١٨٣ الحديث رقم ٣٦٠٦.

«إنّه لا تدخلُ الجنّةَ عجوزٌ» فقالتْ: وما لهُنّ؟ وكانت تقرأُ القرآنَ. فقال لها: «أما تقرئين القرآنَ؟ ﴿إنّا أنشأناهنّ إنشاءً فجعلناهنّ أبكاراً﴾. رواه رزين. وفي «شرح السنة» بلفظ «المصابيح».

الجمع بتعدد الواقعة والله أعلم، («أنه») أي الشأن (لا تدخل الجنة عجوز فقالت: وما لهن) أي وأي مانع للعجائز من دخولها وهن من المؤمنات أي الداخلات في عموم المؤمنين من أهل الجنة («وكانت تقرأ القرآن») أي ولذا سألته مستغربة لمعنى كلامه ﷺ («فقال لها: أما تقرئين القرآن») أي وقد قال تعالى: (﴿إنا أنشأناهن إنشاء﴾) الضمير لما دل عليه سياق السباق في الآية وهو فرش مرفوعة، والمراد النساء أي أعدنا إنشاءهن إنشاء خاصاً وخلقناهن خلقاً غير خلقهن (﴿فجعلناهن أبكار﴾)[1] أي عذارى كلما أتاهن أزواجهن وجدوهن أبكاراً. وفي الحديث، «هن اللواتي قبض في دار الدنيا عجائز خلقهن الله بعد الكبر فجعلن عذارى متعشقات على ميلاد واحد أفضل من الحور العين كفضل الظهارة على البطانة، ومن يكون لها أزواج فتختار أحسنهم خلقاً». الحديث في الطبراني والترمذي، مطوّلاً. (رواه رزين) أي بهذا اللفظ الذي ذكر في المشكاة. (وفي شرح السنة) أي للبغوي بإسناده، (بلفظ المصابيح)، وهو روى أنه ﷺ قال لعجوز: «إن الجنة لا يدخلها العجز» بضمتين جمع عجوز ذكره شارح، فولت تبكي قال: أخبروها أنها لا تدخلها وهي عجوز إن الله تعالى قال: ﴿إنا أنشأناهن إنشاء فجعلناهن أبكاراً﴾ [الواقعة، ٣٥ ـ ٣٦] اهـ ورواه الترمذي في الشمائل عن الحسن البصري مرسلاً قال: «أتت عجوز النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله ادع الله أن يدخلني الجنة فقال: يا أم فلان إن الجنة لا تدخلها عجوز، قال: فولت تبكي فقال: أخبروها أنها لا تدخلها وهي عجوز، إن الله تعالى يقول: ﴿إنا أنشأناهن إنشاء فجعلناهن أبكاراً﴾» [الواقعة، ٣٥ ـ ٣٦] وفي نسخة زيادة ﴿عرباً أتراباً﴾ [الواقعة ـ ٣٧] والعرب بضمتين ويسكن الثاني جمع عروب كرسل ورسول أي عواشق ومتحببات إلى أزواجهن، وقيل: العروب الملقة، والملق الزيادة في التودد ومنه التملق وقيل: الغنجة والغنج في الجارية تكسر وتدلل، وقيل: الحسنة الكلام والأتراب المستويات في السن، والمراد هنا بنات ثلاثين أو ثلاث وثلاثين كأزواجهن على ما في المدارك وهذا أكمل أسنان أبناء الدنيا، وقد أخرج أبو الشيخ ابن حبان في كتاب أخلاق النبي ﷺ من طريق محمد بن عثمان بن كرامة حدثنا عبيد الله بن موسى عن حسن عن ليث عن مجاهد قال: دخل النبي ﷺ على عائشة وعندها عجوز فقال: من هذه؟ قالت: هي عجوز من أخوالي، فقال النبي ﷺ: «إن العجز لا يدخلن الجنة»، فشق ذلك على المرأة، فلما دخل النبي ﷺ قالت له عائشة، فقال: إن الله عز وجلّ «ينشئهن خلقاً غير خلقهن». وأخرج ابن الجوزي في كتاب الوفاء من طريق الزبير بن بكار قال: حدثني رجل، حدثنا الفضل بن خالد النحوي، ثنا خارجة ابن مصعب، عن سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة عن أنس «إن عجوز أدخلت على رسول الله ﷺ فسألته عن شيء فقال لها ومازحها: إنه لا يدخل الجنة عجوز»، فخرج النبي ﷺ إلى

(١) سورة الواقعة، الآيتان ٣٥ ـ ٣٦.

٤٨٨٩ ـ (٦) وعنه، أنَّ رجلاً منْ أهلِ البادية كانَ اسمُه زاهرَ بن حرامٍ، وكانَ يُهْدي للنبيِّ ﷺ من البادية، فيُجَهِّزُه [٣٦٦ ـ ب ـ] رسولُ الله ﷺ إذا أرادَ أنْ يخرجَ فقال النبيُّ ﷺ: «إنَّ زاهراً باديتنا ونحنُ حاضروه». وكانَ النبيُّ ﷺ يحبُّه، وكانَ دميماً. فأتى النبيُّ ﷺ يوماً وهوَ يبيعُ متاعَه،

الصلاة فبكت بكاء شديداً حتى رجع النبي ﷺ فقالت عائشة: «يا رسول الله إن هذه المرأة تبكي لما قلت لها: إنه لا يدخل الجنة عجوز فضحك وقال: أجل لا يدخل الجنة عجوز ولكن قال الله تعالى ﴿أنا أنشأناهن إنشاء فجعلناهن أبكاراً عرباً أتراباً﴾ وهن العجائز الرمص». قال ميرك: هو جمع الرمصاء والرمص وسخ العين يجتمع في الموق. هذا وجعل بعض المفسرين ضمير أنشأناهن للحور العين على ما يفهم من السياق أيضاً، فالمعنى خلقناهن من غير توسط ولادة، ثم يحتمل أن المراد ثم ربيناهن حتى وصلن لحد التمتع، ويحتمل وهو الظاهر أنهن خلقن ابتداء كاملات من غير تدريج في التربية والسن لكن وجه المطابقة بين الحديث والآية غير ظاهر على هذا، فالصواب أن يجعل الضمير إلى نساء الجنة بأجمعهن، وحاصله «إن أهل الجنة كلهم أنشأهم الله تعالى خلقاً آخر يناسب الكمال والبقاء والدوام، وذلك يستلزم كمال الخلق وتوفر القوى البدنية وانتفاء صفات النقص عنها»، والله سبحانه أعلم.

٤٨٨٩ ـ (وعنه) أي عن أنس رضي الله عنه (أن رجلاً من أهل البادية) في الاستيعاب أنه كان حجازياً يسكن البادية، وقال ابن حجر: أشجعي شهد بدراً، (كان اسمه زاهر بن حرام) أي ضد حلال، ولم يذكره المؤلف في أسمائه، (وكان يهدي) بضم الياء وكسر الدال (للنبي ﷺ) أي لأجله أو إليه، وفي الشمائل إلى النبي ﷺ هدية (من البادية) أي حاصلة مما يوجد في البادية من الثمار والنبات والرياحين والأدوية ونحوها (فيجهزه رسول الله ﷺ) بتشديد الهاء، وفي نسخة بالتخفيف على ما في الشمائل أي يعدله ويهيىء له أسبابه ويعوّضه ما يحتاج إليه في البادية من أمتعة البلدان (إذا أراد) أي زاهر (أن يخرج) أي من المدينة إلى البادية (فقال النبي ﷺ: «إن زاهراً باديتنا») أي ساكن باديتنا أو صاحبها أو أهلها، وفي بعض نسخ الشمائل بادينا من غير تاء، والبادي المقيم بالبادية ومنه قوله تعالى: ﴿سواء العاكف فيه والباد﴾ [الحج ـ ٢٥] وهو في المعنى أظهر من الأوّل («ونحن حاضروه») من الحضور وهو الإقامة في المدن والقرى. قال الطيبي: معناه أنا نستفيد من ما يستفيد الرجل من باديته من أنواع النباتات ونحن نعد له ما يحتاج إليه من البلد اهـ. وصار المعنى كأنه باديته، وقيل: تاؤه للمبالغة، وقيل: من إطلاق اسم المحل على الحال، (وكان النبي ﷺ يحبه) أي حباً شديداً («وكان») مع حسن سيرته («رجلاً دميماً») بالدال المهملة أي قبيح المنظر كريه الصورة (فأتى النبي ﷺ) بالرفع أي فجاءه أو مر عليه النبي («يوماً وهو») أي زاهر («يبيع متاعه») أي في سوق أو فضاء

الحديث رقم ٤٨٨٩: أخرجه البغوي في شرح السنة ١٣/ ١٨١ الحديث رقم ٣٦٠٤، وأحمد في المسند ٣/ ١٦١.

فاحتضنَه من خلفِه وهو لا يُبصره. فقال: أرسلني، مَن هذا؟ فالتفتَ فعرفَ النبيَّ ﷺ، فجعلَ لا يألو ما ألزَقَ ظهرَه بصدرِ النبيِّ ﷺ حينَ عرفَه، وجعلَ النبيُّ ﷺ يقولُ: «مَن يشتري العبدَ؟» فقال: يا رسولَ الله! إذاً والله تجدُني كاسداً فقال النبيُّ ﷺ: «لكن عندَ اللهِ لستَ بكاسدٍ» رواه في «شرح السنة».

(«فاحتضنه»)، وفي الشمائل بالواو أي أخذه من حضنه وهو ما دون الإبط إلى الكشح («من خلفه») أي من جهة ورائه، وحاصله أنه عانقه من خلفه بأن أدخل يديه تحت إبطي زاهر وأخذ عينيه بيديه لئلا يعرفه، وقيل: معناه أنه أخذ من عقبه من غير أخذ عينيه. ذكره النووي («وهو لا يبصره») جملة حالية، وفي الشمائل ولا يبصره، وفي نسخة ولا يبصره، («فقال: أرسلني») أي أطلقني («من هذا») أي المعانق، وفي الشمائل من هذا أرسلني («فالتفت») أي زاهر فرآه بطرف عينه («فعرف النبي ﷺ فجعل») أي شرع وطفق («لا يألو») بسكون الهمز ويبدل وضم اللام أي لا يقصر («ما ألزق ظهره»)، وفي الشمائل ما ألصق بالصاد وهو بمعناه، وما مصدرية منصوبة المحل على نزع الخافض أي في إلزاق ظهره («بصدر النبي ﷺ») أي تبركاً حين عرفه، قيل: ذكره ثانياً اهتماماً بشأنه وتنبيهاً على أن منشأ هذا الإلزاق ليس إلا معرفته («وجعل») بالواو، وفي الشمائل فجعل («النبي ﷺ يقول: من يشتري العبد»)، وفي بعض نسخ الشمائل هذا العبد، ووجه تسميته عبداً ظاهر، فإنه عبد الله، ووجه الاستفهام عن الاشتراء الذي يطلق لغة على مقابلة الشيء بالشيء تارة وعلى الاستبدال[1] أخرى أنه أراد من يقابل هذا العبد بالإكرام، أو من يستبدله مني بأن يأتين بمثله، ويمكن أن يكون من قبيل التجريد؛ والمعنى من يأخذ هذا العبد («فقال: يا رسول الله إذاً») بالتنوين جواب وجزاء أي أن بعتني أو عرضتني للبيع أو الأخذ إذاً («والله تجدني كاسداً») أي رخيصاً أو غير مرغوب فيه، وفي بعض نسخ الشمائل إذا تجدني والله كاسداً بتأخير كلمة القسم عن الفعل أي متاعاً كاسداً لما فيه من الدمامة، وتجد بالرفع في أكثر النسخ، وفي بعضها بالنصب وهو ظاهر فإنه نحو:

إذا والله نـــرمـــيـــهـــم بـــحـــرب

ولعل وجه الرفع هو أن يراد بالفعل معنى الحال دون الاستقبال. قال ميرك: وفي بعض نسخ الشمائل تجدوني بلفظ الجمع، ويحتاج إلى تكلف قلت: صيغة الجمع قد تأتي للتعظيم فيكون الضمير له أو له ولأصحابه. («فقال النبي ﷺ: لكن عند الله لست بكاسد») تقديم الظرف على متعلقه وعامله للاهتمام والاختصاص، وفي الشمائل أو قال أنت عند الله غال والشك من الراوي، ولا يبعد أن يكون أو بمعنى بل، وفي نسخة لكن عند الله غال وفيه زيادة منقبة لا تخفى. («رواه») أي صاحب المصابيح («في شرح السنة») أي بإسناده، وكذا الترمذي في الشمائل وابن حبان وصححه هذا، ونظير هذا الحديث ما روى أبو يعلى أن رجلاً كان يهدي إليه ﷺ العكة من السمن أو العسل، فإذا طولب بالثمن جاء بصاحبه فيقول للنبي ﷺ: اعطه متاعه أي

---

(١) في المخطوطة «الاستدلال».

٤٨٩٠ ـ (٧) وعن عوفِ بن مالكٍ الأشجعيِّ، قال: أتيتُ رسولَ الله ﷺ في غزوةِ تبوك، وهوَ في قُبَّة من أدم، فسلَّمتُ، فردَّ عليَّ وقال: «ادخُلْ» فقلتُ: أكلّي يا رسولَ الله؟ قال: «كلُّكَ» فدخلتُ. قال عثمانُ بن أبي العاتكة: إنما قال ادخل كلّي من صِغَرِ القُبَّةِ. رواه أبو داود.

٤٨٩١ ـ (٨) وعن النعمانِ بن بشيرٍ، قال: استأذنَ أبو بكرٍ على النبيِّ ﷺ، فسمعَ صوتَ عائشة عالياً، فلمَّا دخلَ

ثمنه فما يزيد ﷺ على أن يتبسم ويأمر به فيعطي، وفي رواية أنه كان لا يدخل المدينة طرفة إلا اشترى ثم جاء بها فقال: يا رسول الله هذا هدية لك فإذا طالبه صاحبه بثمنه جاء به فقال: اعط هذا الثمن فيقول: ألم تهده لي فيقول: ليس عندي، فيضحك ويأمر لصاحبه بثمنه، قلت: فكأنه رضي الله عنه من كمال محبته للنبي ﷺ كلما رأى طرفة أعجبت نفسه اشتراها وآثره ﷺ بها وأهداها إليه على نية أداء ثمنها إذا حصل لديه، فلما عجز وصار كالمكاتب رجع إلى مولاه وأبدى له صنيع ما أولاه فإن المكاتب عبد ما بقي عليه درهم، فترجع المطالبة إلى سيده، ففعله هذا حق ممزوج بمزاح صدق. والله أعلم.[1]

٤٨٩٠ ـ (وعن عوف بن مالك الأشجعي رضي الله عنه). قال المؤلف: أول مشاهده خيبر وكان مع راية أشجع يوم الفتح، سكن الشام ومات بها سنة ثلاث وسبعين، روى عنه جماعة من الصحابة والتابعين، (قال: أتيت رسول الله ﷺ وهو في قبة) أي خيمة صغيرة (من أدم) بفتحتين أي جلد (فسلمت) أي سلام الاستئذان أو سلام الملاقاة (فرد علي) أي السلام (وقال: أدخل، فقلت: أكلي يا رسول الله، قال: كلك) بالرفع وبنصب، قال الطيبي: يجوز فيه الرفع والنصب، والتقدير أيدخل كلي، فقال: كلك يدخل أو أدخل كلّي، فقال: أدخل كلك، (فدخلت قال عثمان بن أبي العاتكة) أحد رواة الحديث: (إنما قال: أدخل كلي) بمتكلم ثلاثي، وفي نسخة من المزيد. قال الطيبي: الظاهر أنه مضموم الهمزة على أنه من باب الأفعال ولو ذهب إلى الفتح، فوجهه أن يحمل كلي على أنه تأكيد وهو بعيد (من صغر القبة)، ويمكن من كبر عوف لا سيما مع صغرها أو من كثرة الناس فيها وهذا من مزاح أصحابه معه ﷺ وطي لبساط الأدب عند انبساط الحب وترك التكلف في مقام القرب. (رواه أبو داود).

٤٨٩١ ـ (وعن النعمان) بضم أوله (ابن بشير)، قيل: مات النبي ﷺ وله ثمان سنين وسبعة أشهر، ولأبويه صحبة. ذكره المؤلف في فصل الصحابة وقد سبق زيادة في ترجمته (قال: استأذن أبو بكر على النبي ﷺ فسمع) أي أبو بكر (صوت عائشة عالياً، فلما دخل) أي

---

(١) ابن حبان في ١٣/١٠٦ الحديث رقم ٥٧٩٠.

الحديث رقم ٤٨٩٠: أخرجه أبو داود في السنن ٥/٢٧٢ الحديث رقم ٥٠٠٠، وابن ماجه في السنن ٢/١٣٤١ الحديث رقم ٤٠٤٢، وأحمد في المسند ٦/٢٢.

الحديث رقم ٤٨٩١: أخرجه أبو داود في السنن ٥/٢٧١ الحديث رقم ٤٩٩٩.

تناولَها ليلطمَها وقال: لا أراكِ ترفعينَ صوتكِ على رسولِ الله ﷺ، فجعلَ النبيُّ ﷺ يحجُزه، وخرج أبو بكرٍ مغضَباً. فقال النبيُّ ﷺ حينَ خرجَ أبو بكرٍ: «كيفَ رأيتِني أنقذتُكِ منَ الرَّجلِ؟» قالتْ: فمكثَ أبو بكرٍ أياماً، ثمّ استأذنَ فوجدهما قدِ اصطلَحا، فقال لهما: أدخلاني في سِلمِكُما كما

بعد الاذن («تناولها») أي أخذها («ليلطمها») بكسر الطاء، ويجوز ضمها من اللطم، وهو ضرب الخد وصفحة الجسد بالكف مفتوحة على ما في القاموس («وقال: لا أراك») أي بعد هذا، وهو نفي بمعنى النهي من قبيل «لا أرينك ههنا»، أو على لغة إثبات حرف العلة مع الجازم، ومنه قول الجزري:

ألا قولوا: لشخص قد تقوّى على ضعفي ولم يخشى رقيبه

وقول غيره:

ألم يأتيك والأنباء تنمي

وعليه وردت رواية قنبل عن ابن كثير في قوله تعالى: ﴿إنه من يتقي ويصبر﴾ [يوسف ـ ٩٠] («ترفعين صوتك على رسول الله ﷺ»)، الجملة مفعول ثان لأرى، ولا يبعد أن يكون لا أراك دعاء، وهمزة الإنكار مقدرة على قوله: «ترفعين»؛ وقال الطيبي: أي لا تتعرضي لما يؤدي إلى رفع صوتك، فالنهي وارد على المتكلم، والألف في لا أراك للإشباع؛ ويجوز أن تحمل على النفي الواقع موقع النهي أي لا ينبغي لي أن أراك على هذه الحالة. («فجعل النبي ﷺ يحجزه») بضم الجيم والزاي أي يمنع أبا بكر من لطمها وضربها («وخرج أبو بكر مغضباً») بفتح الضاد أي غضبان عليها («فقال النبي ﷺ: حين خرج أبو بكر: كيف رأيتني»). أي أبصرتني أو عرفتني («أنقذتك من الرجل») أي خلصتك من ضربه ولطمه. وقال الطيبي: الظاهر أن يقال: من أبيك فعدل إلى الرجل أي من الرجل الكامل في الرجولية حين غضب لله ولرسوله («قالت: فمكث»)، قيل: هكذا وجد في أصل أبي داود، وقال الطيبي: وهذا يدل على أن النعمان سمع هذا الحديث من عائشة، قلت: فيكون من مراسيل الصحابة وهي مقبولة إجماعاً، ثم هو بضم الكاف ويفتح أي فلبث («أبو بكر أياماً») أي لم يدخل فيها عندهم، والظاهر أنه ثلاثة أيام للنهي عن الهجران فوقها، قال الطيبي: قولها: فمكث أبو بكر بدل أبي لما حدث في صحبتها من غضبه عليها فجعلته كأنه أجنبي إذ في الأبوة استعطاف قلت: هذا يبعد منها كل البعد مع كمال عقلها وفهمها وأدبها وعلمها بمرتبة النبوّة والولاية، وأن يكون غضب أبيها في باطنها بعد مدة بمجرد قصده أن يلطمها أو مع تحقق لطمها رعاية لأجل رسول الله ﷺ، وتأديبها لها، وقد وقع نظيره كثيراً في الصحابة أن يذكروا آباءهم بأسمائهم وهذا من عدم تكلفاتهم التي استحدثت بعدهم، وإن كان ذكره بوصف الأبوة أولى وأنسب؛ نعم نداؤه باسمه خلاف الأدب على أن الظاهر أن في الحديث تصرفاً من الراوي حيث إنه نقل بالمعنى، ولذا قال: («ثم استأذن فوجدهما قد اصطلحا، فقال لهما:»)، فإن حق الكلام من عائشة فوجدنا قد اصطلحنا فقال لنا: («ادخلاني في سلمكما») بكسر السين ويفتح أي في صلحكما («كما

أدخلتُماني في حربكُما فقال النبيُّ ﷺ: «قدْ فعلنا، قدْ فعلنا». رواه أبو داود.

٤٨٩٢ ـ (٩) وعن ابن عبّاسٍ، عن النبيِّ ﷺ، قال: «لا تُمارِ أخاكَ، ولا تُمازِحْه، ولا تعِدْهُ موعداً فتُخلفَهُ». رواه الترمذيُّ، وقال: هذا حديثٌ غريب.

أدخلتماني في حربكما» أي في شقاقكما وخناقكما، وإسناد الإدخال إليهما في الثاني من المجاز السببي أو من قبيل المشاكلة، وإلا فالمعنى كما دخلت في حربكما (**فقال النبي ﷺ: قد فعلنا»**) مفعوله محذوف أي فعلنا إدخالك في السلم أو نزل الفعل منزلة اللازم أي أوقعنا هذا الفعل، وقد للتحقيق. وقوله ثانياً: (**قد فعلنا**) للتأكيد أو ثانيهما عوض عن عائشة أو على لسانها. (**رواه أبو داود**).

٤٨٩٢ ـ (**وعن عباس رضي الله تعالى عنهما عن النبي ﷺ قال: «لا تمار»**) بضم أوله من المماراة أي لا تجادل ولا تخاصم (**«أخاك»**) أي المسلم (**«ولا تمازحه»**) أي بما يتأذى منه (**«ولا تعده موعداً»**) أي وعداً أو زمان وعد أو مكانه (**«فتخلفه»**) من الأخلاف وهو منصوب، وفي بعض النسخ بالرفع. قال الطيبي: إن روي منصوباً كان جواباً للنهي على تقدير فيكون مسبباً عما قبله، فعلى هذا التنكير في موعد النوع من الموعد وهو ما يرضاه الله تعالى بأن يعزم عليه قطعاً ولا يستثني، فيجعل الله ذلك سبباً للأخلاف أو ينوي في الوعد كالمنافق، فإن آية النفاق الخلف في الوعد كما ورد «إذا وعد أخلف» ويحتمل أن يكون النهي عن مطلق الوعد لأنه كثيراً ما يفضي إلى الخلف، ولو روي مرفوعاً كان المنهي الوعد المستعقب للأخلاف أي لا تعده موعداً، فأنت تخلفه على أنه جملة خبرية معطوفة على إنشائية وعلى هذا يتفرع عليه مسائل. قال النووي: أجمعوا على أن من وعد إنساناً شيئاً ليس بمنهي عنه فينبغي أن يفي بوعده، وهل ذلك واجب أو مستحب، فيه خلاف ذهب الشافعي وأبو حنيفة والجمهور إلى أنه مستحب، فلو تركه فاته الفضل وارتكب المكروه كراهة شديدة ولا يأثم يعني من حيث هو خلف وإن كان يأثم إن قصد به الأذى. قال: وذهب جماعة إلى أنه واجب منهم عمر بن عبد العزيز وبعضهم إلى التفصيل، ويزيد الوجه الأول ما أورده في الأحياء حيث قال: وكان ﷺ: «إذا أوعد وعداً قال: عسى»، وكان ابن مسعود لا يعد وعداً إلا ويقول: إن شاء الله تعالى وهو الأولى، ثم إذا فهم مع ذلك الجزم في الوعد فلا بد من الوفاء إلا أن يتعذر، فإن كان عند الوعد عازماً على أن لا يفي به فهذا هو النفاق اهـ. وهذا كله يؤيد الوجوب إذا كان الوعد مطلقاً غير مقيد بعسى أو بالمشيئة ونحوهما مما يدل على أنه جازم في وعده، فقوله: وهو الأولى محل بحث كما لا يخفى. (**رواه الترمذي وقال: هذا حديث غريب**). وقد سبق ما تعلق به.

الحديث رقم ٤٨٩٢: أخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٣٦٦ الحديث رقم ١٩٩٥.

[وهذا الباب خالٍ عن الفصل الثالث].

(١٣) باب المفاخرة والعصبية

[٣٦٧ ـ أ ـ]

الفصل الأول

٤٨٩٣ ـ (١) عن أبي هريرةَ، قال: سُئِلَ رسولُ الله ﷺ: أيُّ النّاسِ أكرَمُ؟

باب المفاخرة والعصبية

الفخر ويحرك التمدح بالخصال كالافتخار، وفاخره مفاخرة عارضة بالفخر، كذا في القاموس، وفي النهاية العصبي هو الذي يغضب لعصبته ويحامي عنهم، والعصبة الأقارب من جهة الأب لأنهم يعصبونه ويعتصب بهم أي يحيطون به ويشتد بهم، ومنه «ليس منا من دعا إلى عصبية أو قاتل عصبية»[1] قلت: لأنها من حمية الجاهلية، والقواعد الشرعية ﴿إنهم يكونون قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين﴾، ولعل وجه الجمع بين المفاخرة والعصبية إن بينهما تلازماً غالبياً ومنه قوله تعالى: ﴿ألهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر﴾ [التكاثر، ١ ـ ٢] أي شغلكم التباهي والتفاخر بالكثرة حتى وصلتم إلى ذكر أهل المقابر. روي «أن بني عبد مناف وبني أسهم تفاخروا بالكثرة فكثر سهم بني عبد مناف فقال بنو سهم: «إن البغي أهلكنا في الجاهلية فعادونا بالأحياء والأموات فكثر بنو سهم».

(الفصل الأول)

٤٨٩٣ ـ (عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «سئل رسول الله ﷺ أي الناس») أي من بين أنواعهم أو أوصافهم («أكرم») أي أشرف وأعظم؛ قال الطيبي: يحتمل أن يراد به أكرم عند الله تعالى مطلقاً من غير نظر إلى النسب ولو كان عبداً حبشياً، وأن يراد به الحسب مع النسب، وأن يراد به الحسب فحسب، وكان سؤالهم عن هذا لقوله ﷺ «فعن معادن العرب أي عن أصولهم التي ينسبون إليها وكان جوابهم، فذلك على ألطف وجه حيث جمع بين الحسب

---

(١) راجع الحديث رقم ٤٩٠٧.

الحديث رقم ٤٨٩٣: أخرجه البخاري في صحيحه ٨/ ٣٦٢ الحديث رقم ٤٦٨٩، ومسلم في ٤/ ١٨٤٦ الحديث رقم (١٦٨ ـ ٢٣٧٨)، وأحمد في المسند ٢/ ٤٨٥.

قال: «أكرمُهم عندَ اللَّهِ أتقاهُم». قالوا: ليسَ عنْ هذا نسألُكَ. قال: «فأكرمُ النَّاسِ يوسفُ نبيُّ اللَّهِ ابن نبيِّ الله ابنِ نبيِّ الله ابنِ خليلِ الله». قالوا: ليسَ عن هذا نسألُكَ قال: «فعنْ معادنِ العربِ تسألوني؟» قالوا: نعمْ. قال: «فخيارُكم في الجاهليَّةِ خيارُكم في الإسلامِ إذا فقُهوا».

والنسب» وقال: إذا فقهوا، قلت: لما أطلقوا السؤال؟ وكان المناسب صرفه عليه الصلاة والسلام إلى الفرد الأكمل والوصف الأفضل (قال: **أكرمهم عند الله أتقاهم**) وهو مقتبس من قوله تعالى: ﴿**إن أكرمكم عند الله أتقاكم**﴾ [الحجرات - ١٣] بعد قوله تعالى: ﴿**يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا**﴾ [الحجرات - ١٣] وقد نبه سبحانه وتعالى أن معرفة الأنساب إنما هو للتعارف بالوصلة، وأن الكرم لا يكون إلا بالتقوى لأن العاقبة للمتقين والعبرة بما في العقبى، ثم يحتمل أنه علم غرضهم ولكن عدل عنه إلى أسلوب الحكيم (قال: «**ليس عن هذا نسألك**») تنزيل للفعل منزلة المصدر. قال الطيبي: تقديره ليس سؤالنا عن هذا على منوال قوله، فقالوا: ما تشاء؟ فقلت: الهوى اهـ. فلما تبين له ﷺ أنهم لم يسألوه عن الكرم المطلق وظن أن مرادهم الجمع بين النسب والحسب («**قال: فأكرم الناس**») أي من حيثية جمعية النسب والحسب النبوية («**يوسف نبي الله ابن نبي الله**») أي يعقوب («**ابن نبي الله**») أي اسحاق («**ابن خليل الله**») بإثبات ألف ابن في المواضع الثلاثة، والمراد بالخليل إبراهيم عليه السلام، فقد اجتمع شرف النبوّة والعلم وكرم الآباء والعدل والرياسة في الدنيا والدين في يوسف، وهو قد يهمز ويثلث سينه على ما في القاموس، والضم هو المشهور («**قالوا: ليس عن هذا نسألك قال: فعن معادن العرب**») أي قبائلهم («**تسألوني**») بتشديد النون وتخفيفه («**قالوا: نعم. قال: فخياركم في الجاهلية خياركم**») أي هم خياركم («**في الإسلام**») أي في زمنه («**إذا فقهوا**») بضم القاف ويكسر أي إذا علموا آداب الشريعة وأحكام الإسلام بعد دخولهم فيه. ففي القاموس الفقه بالكسر العلم بالشيء والفطنة له، وغلب على علم الدين لشرفه، وفقه ككرم وفرح فهو فقيه، ولعله ﷺ أراد بهذا إخراج المنافقين والمؤلفة قلوبهم، ويحتمل أن يراد به التنبيه على أن استواء النسب إنما يكون عند استواء الحسب بأن يكونوا مستوين في الفقه، وأما من زاد في الفقه فهو أعلى، ومن لم يفقه فهو في مرتبة الأدنى، والمراد بالفقه هو العلم المقرون بالعمل وهو حاصل التقوى، فرجع الأمر إلى قوله تعالى: ﴿**إن أكرمكم عند الله أتقاكم**﴾ [الحجرات - ١٣] لكن كما قال عزّ وجلّ: ﴿**لا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى**﴾ [النجم - ٣٢] وقال ﷺ: «التقوى ههنا»[١]، وأشار إلى صدره الشريف مومياً إلى انحصارها فيه بحسب كمالها، وفي شرح السنة يريد أن من كانت له مأثرة وشرف إذا أسلم وفقه فقد حاز إلى ذلك ما استفاده بحق الدين، ومن لم يسلم فقد هدم شرفه وضيع نسبه. وفي شرح مسلم للنووي قالوا: لما سئل ﷺ: «أي الناس أكرم» أجاب: «بأكملهم وأعمهم» وقال:

---

(١) الترمذي في السنن ٤/ ٢٨٦ الحديث رقم ١٩٢٧.

متفق عليه.

٤٨٩٤ ـ (٢) وعن ابنِ عمرَ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «الكريمُ بنُ الكريمِ بن الكريمِ بن الكريم، يوسفُ بنُ يعقوبَ بنِ إسحاقَ بن إبراهيمَ». رواه البخاري.

٤٨٩٥ ـ (٣) وعن البراءِ بن عازبٍ، قال: في يومِ حنينٍ كانَ أبو سفيانَ بنُ الحارثِ آخذاً بعنانِ بغلتِه، يعني بغلةَ رسولِ الله ﷺ، فلمَّا غشيَه المشركونَ، نزلَ فجعلَ

«أتقاهم لله» لأن أصل الكرم كثرة الخير، ومن كان متقياً كان كثير الخير وكثير الفائدة في الدنيا وصاحب الدرجات العلى في الأخرى، ولما قالوا: ليس عن هذا نسألك قالوا: «يوسف جمع النبوّة والنسب وضم مع ذلك شرف علم الرؤيا والرياسة وتمكنه فيها، وسياسة الرعية بالسيرة الحميدة والصورة الجميلة». (متفق عليه).

٤٨٩٤ ـ (وعن ابن عمر رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الكريم بن الكريم ابن الكريم بن الكريم»). قال ابن الملك في شرح المصابيح: كتب ابن في الثلاثة بدون الألف وصوابه أن يكتب بها لوقوعها بين الصفات («يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم». رواه البخاري)، وكذا الإمام أحمد عنه. وعن أبي هريرة أيضاً.

٤٨٩٥ ـ (وعن البراء بن عازب رضي الله تعالى عنهما) صحابيان جليلان (قال: في يوم حنين») ظرف مقدم والجملة هي المقول («كان أبو سفيان بن الحارث») أي ابن عبد المطلب ابن عم رسول الله ﷺ وكان أخاه من الرضاعة، أرضعتهما حليمة بنت أبي ذؤيب السعدية، وكان من الشعراء المطبوعين، وكان سبق له هجاء في رسول الله ﷺ وأجابه حسان بن ثابت ثم أسلم فحسن إسلامه، ويقال: إنه ما رفع رأسه إلى رسول الله ﷺ حياء منه، وكان إسلامه عام الفتح، وقال له علي كرم الله وجهه: «ائت رسول الله ﷺ من قبل وجهه فقل له: ما قال إخوة يوسف: تالله لقد آثرك الله علينا وإن كنا لخاطئين، ففعل ذلك أبو سفيان فقال رسول الله ﷺ: لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين». وقبل منه وأسلم، وكان سبب موته أنه حج فلما حلق الحلاق رأسه قطع ثؤلولاً في رأسه فلم يزل مريضاً منه حتى مات بعد مقدمه من الحج بالمدينة سنة عشرين، ودفن في دار عقيل بن أبي طالب وصلى عليه عمر رضي الله عنه؛ والحاصل أنه يوم حنين («كان آخذاً بعنان بغلته يعني») هو كلام بعض الرواة أي يريد البراء بقوله: بغلته («بغلة رسول الله ﷺ») احترازاً من رجع الضمير إلى أبي سفيان («فلما غشيه») بفتح فكسر («المشركون») أي أتوه من جميع جوانبه («نزل») أي عن بغلته («فجعل

الحديث رقم ٤٨٩٤: أخرجه البخاري في صحيحه ٦/ ٤١٧ الحديث رقم ٣٣٨٢، والترمذي في السنن ٥/ ٢٧٣ الحديث رقم ٣١١٦، وأحمد في المسند ٢/ ٩٦.

الحديث رقم ٤٨٩٥: أخرجه البخاري في صحيحه ٦/ ١٦٤ الحديث رقم ٣٠٤٢، ومسلم في ٣/ ١٤٠٠ الحديث رقم (٧٨ ـ ١٧٧٦)، وأحمد في المسند ٤/ ٢٨٠.

يقول:

«أنـــا الـــنـــبـــيُّ لا كـــذِبْ   أنـــا ابـــنُ عـــبـــدِ الـــمـــطـــلـــبْ»

قال: فما رُئِيَ منَ النَّاسِ يومئذٍ أشدُّ منه.

يقول: أنا النبي لا كذب، أنا ابن عبد المطلب) بسكون الباء فيهما على الصواب وقيل: بفتحها في الأول وكسرها في الثاني، وقد تقدم الكلام عليه من جهة أنه شعر أم لا. قال التوربشتي: ليس لأحد أن يحمل هذا على المفاخرة، والشيخ يعني صاحب المصابيح لم يرد في إيراد هذا الحديث في هذا الباب، ولا شك أنه تبع بعض أصحاب الحديث في منصفاتهم ولم يصيبوا أولئك أيضاً، وقد نفى نبي الله ﷺ عن نفسه أن يذكر الفضائل التي خصه الله بها فخراً بل شكراً لأنعمه، فقال: «أنا سيد ولد آدم ولا فخر» الحديث. وذم العصبية في غير موضع فأنى لأحد أن يعد هذا الحديث من أحد القبيلين، وكيف يجوز على نبي الله ﷺ أن يفتخر بمشرك وكان ينهى الناس أن يفتخروا بآبائهم، وإنما وجه ذلك أن تقول: تكلم بذلك على سبيل التعريف، فإن الله تعالى قد أري قوماً قبل ميلاده ما قد كان علماً لنبوّته ودليلاً على ظهور أمره، وأظهر علم ذلك على الكهنة حتى شهد به غير واحد منهم، فالنبي ﷺ ذكّرهم بذلك وعرفهم أنه ابن عبد المطلب الذي روي فيه ما روى وذكر فيه ما ذكر. قال الطيبي: الجواب ما ذكره في شرح السنة من قوله: الافتخار والاعتزاز المنهي عنه ما كان في غير جهاد الكفار، وقد رخص النبي ﷺ الخيلاء في الحرب مع نهيه عنها في غيرها؛ وروي أن علياً رضي الله عنه بارز مرحباً يوم خيبر فقال: «أنا الذي سمتني أمي حيدرة» قلت: حاصله يرجع إلى تأويل التوربشتي أنه للتعريف لا للافتخار، ثم قال الطيبي: وكأنه ﷺ يرى الكفار شدة جأشه وشجاعته مع كونه مؤيداً من عند الله تعالى حين قل شوكة المسلمين وهو السكينة التي أنزلها الله عليه يوم حنين وعلى المسلمين، وتلخيص الجواب أن المفاخرة نوعان مذمومة ومحمودة، فالمذموم منها ما كان عليها الجاهلية من الفخر بالآباء والأنساب للسمعة والرياء، والمحمود منها ما ضم مع النسب الحسب في الدين لا رياء، بل إظهاراً لأنعمه تعالى عليه، فقوله: لا فخر احترازاً عن المذموم منها وكفى به شاهداً قوله في الحديث السابق: «خياركم في الجاهلية خياركم في الإسلام إذا فقهوا»، وقوله ﷺ حين جاءه عباس، وكأنه سمع شيئاً فقام على المنبر فقال: «من أنا؟ فقالوا: أنت رسول الله، قال: أنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب، إن الله خلق الخلق فجعلني في خيرهم فرقة، ثم جعلهم فرقتين فجعلني في خيرهم فرقة، ثم جعلهم قبائل فجعلني في خيرهم قبيلة، ثم جعلهم بيوتاً فجعلني في خيرهم بيتاً، فأنا خيرهم نفساً وخيرهم بيتاً» قلت: وهذا كله تعريف لنسبه الشريف المنضم بحسبه المنيف وليس فيه الافتخار بآبائه الكفار لما سيأتي في أول الفصل الثاني مع أنه لو أراد الافتخار لافتخر بأجداده الأبرار وقال: «أنا ابن إسماعيل أو إبراهيم عليهما السلام»، وقد قال في الأحياء: كان افتخاره ﷺ بالله تعالى وبقربه لا بكونه مقدماً على ولد آدم، كما أن المقبول عند الملك قبولاً عظيماً إنما يفتخر بقبوله إياه وبه يفرح لا بتقدمه على بعض رعاياه (قال:) أي الراوي («فما رئي») بصيغة المجهول أي ما عرف («من الناس») أي أحد منهم («يومئذ أشد منه») أي أقوى وأشجع من النبي ﷺ، ومما يدل عليه اختياره البغلة

متفق عليه.

٤٨٩٦ ـ (٤) وعن أنس، قال: جاءَ رجلٌ إلى النبيِّ ﷺ، فقال: يا خيرَ البريَّة! فقال رسولُ الله ﷺ: «ذاكَ إبراهيمُ».

التي لا تصلح للعزة بالمرة، ثم زاد عليه بأنه نزل منها وعرف الناس به بإظهار نسبه وحسبه المتضمن لكمال التعريف المنافي عادة لمقام التخويف، وما ذاك إلا لقوة قلبه وتوكله على ربه واعتماده على عصمته بمقتضى وعده حيث قال تعالى: **﴿والله يعصمك من الناس﴾** [المائدة ـ ٦٧] وبموجب حكمه حيث قال: **﴿هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله﴾** [التوبة ـ ٣٣] **(متفق عليه)**.

٤٨٩٦ ـ **(وعن أنس رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا خير البرية)** بتشديد الياء، ويجوز تسكينها وهمز بعدها، ومعناها الخليقة؛ ففي النهاية يقال: برأه الله يبرأ برأ أي خلقه ويجمع على البرايا والبريات من البري وهو التراب إذا لم يهمز، ومن ذهب إلى أن أصله الهمزة أخذه من برأ الله الخلق يبرأهم أي خلقهم ثم ترك فيها الهمز تخفيفاً ولم تستعمل مهموزة قلت: بل المهموزة مشهورة متواترة قرأ بها الإمام نافع وابن ذكوان عن ابن عامل على الأصل والباقون بإبدال الهمزة ياء وإدغامها في الياء تخفيفاً **(فقال رسول الله ﷺ:)** أي تواضعاً لربه وأدباً مع جده **(«ذاك»)** أي المشار إليه الموصوف بخير البرية **(«هو إبراهيم»)**. قال النووي: فيه وجوه أحدها أنه قال هذا تواضعاً واحتراماً لإبراهيم عليه السلام لخلته وأبوّته، وإلا فنبينا ﷺ كما قال ﷺ: «أنا سيد ولد آدم ولا فخر»، وثانيها أنه قال هذا قبل أن يعلم أنه سيد ولد آدم، فإن الفضائل يمنحها الله تعالى لمن يشاء فأخبر بفضيلة إبراهيم عليه السلام إلى أن علم تفضيل نفسه فأخبر به، قلت: وفيه أنه يحتاج إلى معرفة تاريخ ليدفع التعارض به، وثالثها أن المراد به أنه أفضل برية عصره، فأطلق العبارة الموهمة للعموم لأنه أبلغ في التواضع، قلت: ومآل هذا يرجع إلى الأول مع أن كون كل منهما أفضل برية عصره ليس فيه مزيد مزية قال: وفيه جواز التفاضل بين الأنبياء عليهم السلام قلت: لا دلالة عليه في كل من الوجوه الثلاثة، نعم أفضلية نبينا ثابتة بأدلة صحيحة صريحة كاد أن تكون المسألة قطعية بل إجماعية، منها حديث مسلم وأبي داود «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، وأول من ينشق عنه القبر، وأول شافع وأول مشفع»[1] ومنها حديث الإمام أحمد والترمذي وابن ماجه عن أبي سعيد «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر وبيدي لواء الحمد ولا فخر، وما من نبي يومئذ آدم فمن سواه إلا تحت لوائي، وأنا أول من تنشق عنه الأرض ولا فخر، وأنا أول شافع وأول مشفع ولا فخر»[2]،

الحديث رقم ٤٨٩٦: أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ١٨٣٩ الحديث رقم (١٥٠ ـ ٢٣٦٩)، وأحمد في المسند ٣/ ١٧٨.

(١) مسلم في صحيحه ٤/ ١٧٨٢ الحديث رقم (٣ ـ ٢٢٧٨)، وأبو داود في السنن ٥/ ٥٤ الحديث رقم ٤٦٧٣.

(٢) أخرجه الترمذي في السنن ٥/ ٥٤٨ الحديث رقم ٣٦١٥، وابن ماجه في ٢/ ١٤٤٠ الحديث رقم ٤٣٠٨.

رواه مسلم.

٤٨٩٧ ـ (٥) وعن عمرَ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «لا تُطروني كما أطرَت النصارى ابنَ مريمَ،

ومنها حديث الترمذي عن أبي هريرة «أنا أول من تنشق عنه الأرض فأكسى حلة من حلل الجنة ثم أقوم عن يمين العرش ليس أحد من الخلائق يقوم ذلك المقام غيري»[1]؛ وأمثال ذلك من الأحاديث كثيرة صحيحة شهيرة، ومما يدل على سيادته وزيادته في سعادته. وفي الأحاديث المسطورة إشعار بتأخير قوله: «أنا سيد ولد آدم عن قوله: «ذاك إبراهيم» لأن الأوصاف المذكورة يوم القيامة لا تتصوّر أن تكون في المفضول مع أن النسخ لا يوجد في الأخبار. هذا وقد قال بعض الشراح من علمائنا: يحمل الحديث على أنه ﷺ قاله تواضعاً ليوافق الأحاديث الدالة على فضله على سائر البشر، أو على أن إبراهيم كأنه يدعى بهذا النعت حتى صار علماً له كالخليل فقال: ذاك إبراهيم أي المدعو بهذه التسمية إبراهيم إجلالاً له يعني من التشريك، فيكون معنى خير البرية راجعاً إلى من خلق دون من لم يخلق بعده، ولم يكن ذكر البرية على العموم فلم يدخل النبي ﷺ في غمارهم اهـ. وحاصله أنه ﷺ مستثنى منهم إما بطريق النقل وهو ما ذكرنا، وإما بطريق العقل، فإن المتكلم عند بعض الأصوليين غير داخل في أمره وخبره والله أعلم. (رواه مسلم).

٤٨٩٧ ـ **(وعن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تطروني»)** بضم أوله وأصله لا تطريون من الإطراء وهو المبالغة في المدح والغلو في الثناء (**«كما أطرت النصارى ابن مريم»**) أي مثل إطرائهم أياه، مفهومه إن إطراءه من غير جنس إطرائهم جائز ولله در صاحب البردة حيث قال:

دع ما ادعته النصارى في نبيهم ... واحكم بما شئت مدحاً فيه واحتكم

وفي شرح السنة، وذلك أن النصارى أفرطوا في مدح عيسى عليه السلام وإطرائه بالباطل وجعلوه ولد الله تعالى، فمنعهم النبي ﷺ أن يطروه بالباطل. قال الطيبي: وفي العدول عن عيسى والمسيح إلى ابن مريم تبعيداً له، عن الألوهية يعني بالغوا في المدح والإطراء والكذب بأن جعلوا من جنس النساء الطوامث إلا هاه أو ابن إله اهـ. ولكون اليهود بالغوا في قدح المسيح والنصارى في مدحه قال تعالى: **﴿يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق﴾** [المائدة ـ ٧٧] فالحق هو الوسط العدل كما بينه سبحانه بقول: **﴿إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله﴾** [النساء ـ ١٧١] والمعنى أنه عبد الله ورسوله لأن كونه ابن مريم يدل على أنه عبده وابن أمته كما أشار إليه بقوله: **﴿كانا يأكلان الطعام﴾** [المائدة ـ ٧٥] أي يبولان ويغوطان

(١) الترمذي في السنن ٥/٥٤٦ الحديث رقم ٣٦١١.

الحديث رقم ٤٨٩٧: أخرجه البخاري في صحيحه ٦/٤٧٨ الحديث رقم ٣٤٤٥، والدارمي في ٢/٤١٢ الحديث رقم ٢٧٨٤، وأحمد في المسند ١/٢٣.

فإنما أنا عبدُه، فقولوا: عبدُ الله ورسولُه» متفق عليه.

٤٨٩٨ ـ (٦) وعن عياضِ بن حمارٍ المجاشعيِّ، أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «إنَّ اللّٰهَ أوحى إليَّ: أنْ تواضعوا حتى لا يَفخَرَ أحدٌ على أحدٍ، ولا يبغيَ أحدٌ على أحدٍ». رواه مسلم.

ويحتاجان إلى الأكل والشرب فلا يصلحان للألوهية، ولا مناسبة لهما بالربوبية، وإنما شأنهما العبودية («فإنما أنا عبده») أي الخاص في مقام الاختصاص، وهو في الحقيقة أفضل مدح عند الفاضل الكامل، كما قال القائل:

لا تدعني إلا بيا عبدها فإنه أفضل أسمائيا

ولذا ذكره الله سبحانه في مواضع من كتابه بهذا الوصف المنيع والفضل البديع، منها في مقام الإسراء ﴿سبحان الذي أسرى بعبده﴾ [الإسراء ـ ١] ومنها في مقام إنزال الكتاب ﴿تبارك الذي نزل الفرقان على عبده﴾ [الفرقان ـ ١] و﴿الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب﴾ [الكهف ـ ١] وفيه إشارة لطيفة وبشارة شريفة أن العناية الربوبية باعتبار غاية العبودية ﴿فقولوا: عبد الله ورسوله﴾ أي ليتميز به عن بقية عبيده، وفي ذكرهما أيضاً إيماء إلى مبدأ حالته ومنتهى غايته، وكان إياس الخاص أخذ حظاً الشمائل، كذا قاله الشيخ الجزري، فتأمل في قول المصنف. متفق عليه.

٤٨٩٨ ـ (وعن عياض بن حمار) بكسر أولهما (المجاشعي) بضم الميم يعد في البصريين، وكان صديقاً لرسول الله ﷺ قديماً، روى عنه جماعة (إن رسول الله ﷺ قال: «إن الله أوحى إلي أن تواضعوا») إن هذه مفسرة لما في الإيحاء من معنى القول، وتواضعوا أمر من التواضع تفاعل من الضعة بالكسر وهي الذل والهوان والدناءة («حتى لا يفخر») متعلق بأوحى وهو بفتح الخاء من الفخر وهو ادعاء العظمة والكبرياء والشرف أي كي لا يتعاظم («أحد على أحد ولا يبغي») بكسر الغين أي ولا يظلم («أحد على أحد») وفي الجمع بينهما إشعار بأن الفخر والبغي نتيجتا الكبر لأن المتكبر هو الذي يرفع نفسه فوق كل أحد ولا ينقاد لأحد. (رواه مسلم) أي في حديث طويل في آخر صحيحه ذكره ميرك، وكذا رواه أبو داود وابن ماجه عنه، وروى البخاري في الأدب المفرد، وابن ماجه عن أنس ولفظه «إن الله تعالى أوحى إلي أن تواضعوا ولا يبغي بعضكم على بعض»[1].

الحديث رقم ٤٨٩٨: أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ٢١٩٨ الحديث رقم (٦٤ ـ ٢٨٦٥)، وابن ماجه في السنن ٢/ ١٣٩٧ الحديث رقم ٤١٧٩.

(١) ابن ماجه في السنن ٢/ ١٤٠٩ الحديث رقم ٤٢١٤.

الفصل الثاني

٤٨٩٩ ـ (٧) عن أبي هريرةَ، عن النبيِّ ﷺ قال: «لَيَنتهِيَنَّ أقوامٌ يفتخرونَ بآبائهم الذينَ ماتوا، إنما هُم فحمٌ من جهنمَ، أو ليكونَنَّ أهونَ على اللّهِ منَ الجُعَلِ الذي يُدَهْدِه [٣٦٧ ـ ب ـ] الخِراءَ بأنفِه»

(الفصل الثاني)

٤٨٩٩ ـ (عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ قال: «لينتهين) بلام مفتوحة في جواب قسم مقدر أي والله ليمتنعن عن الافتخار («أقوام يفتخرون بآبائهم الذين ماتوا») أي على الكفر، وهذا الوصف بيان للواقع لا مفهوم له، ولعل وجه ذكره أنه أظهر في توضيح التقبيح، ويؤيده ما رواه أحمد عن أبي ريحانة مرفوعاً «من انتسب إلى تسعة آباء كفار يريد بهم عزاً وكرماً ما كان عاشرهم في النار»[(١)]، («وإنما هم») أي آباؤهم («فحم من جهنم») حالاً ومآلاً. قال الطيبي: حصر آباءهم على كونهم فحماً من جهنم لا يتعدون ذلك إلى فضيلة يفتخر بها («أو ليكونن») بضم النون الأولى عطفاً على لينتهين، والضمير الفاعل العائد إلى أقوام، وهو واو الجمع محذوف من ليكونن، والمعنى او ليصيرن («أهون») أي أذل («على الله») أي عنده وفي حكمه («من الجعل») بضم جيم وفتح عين، وهو دويبة سوداء تريد الغائط يقال لها: الخنفساء فقوله: («الذي يدهده الخراء») أي يدحرجه («بأنفه») صفة كاشفة له والخرا بفتح الخاء والراء مقصوراً، وفي نسخة بالمد، وفي نسخة مصححة بكسر الخاء ممدوداً وهو العذرة، ويحتمل أن يكون بالفتح المصدر وبالكسر الاسم؛ ففي لباب الغريبين. «إن الخرء العذرة» وجمعه خروء كجند وجنود، وفي القاموس خرى كفرح خراء أو خراءة ويكسر، والاسم منه الخراء بالكسر، وفي شرح المصابيح إن الخرء بفتح الخاء وضمها واحد الخروء مثل قرء وقروء والقرء بفتح القاف وضمها الحيض، وكتب الخرء في الحديث بالألف إما لأنها مفتوحة فكتبت بحرف حركتها وإما لأنه نقلت حركتها إلى الراء وقلبت ألفاً على لفظ العصا، والحاصل أنه ﷺ «شبه المفتخرين بآبائهم الذين ماتوا في الجاهلية بالجعل، وآباءهم المفتخر بهم بالعذرة ونفس افتخارهم بهم بالدهدهة بالأنف»، والمعنى أن أحد الأمرين واقع البتة، أما الانتهاء عن الافتخار، أو كونهم أذل عند الله تعالى من الجعل الموصوف؛ وأغرب القاضي حيث قال: أو

الحديث رقم ٤٨٩٩: أخرجه أبو داود في السنن ٥/ ٣٩٩ الحديث رقم ٥١١٦، والترمذي في ٥/ ٦٩٠ الحديث رقم ٣٩٥٥، وأحمد في المسند ٢/ ٣٦١.

(١) أحمد في المسند ٤/ ١٣٤.

إنَّ الله قدْ أذهبَ عنكم عُبِّيَّةَ الجاهليَّةِ، وفخرَها بالآباءِ، إنما هوَ مؤمنٌ تقيٌّ، أو فاجرٌ شقيٌّ، النَّاسُ كلُّهم بنو آدمَ، وآدمُ منْ ترابٍ».

ههنا للتخيير والتسوية، والمعنى أن الأمرين سواء في أن يكون حال آبائهم الذين يفتخرون بهم وأنت مخير في توصيفهم بأيهما شئت اهـ. والصواب ما قدمناه، وقد راعى الأدب معه الطيبي حيث قال: الظاهر أنه عطف على قوله: لينتهين، والضمير فيه ضمير القوم لأن اللام في المعطوف والمعطوف عليه لام الابتداء على نحو قوله تعالى: **﴿لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا أو لتعودن في ملتنا﴾** [الأعراف ـ ٨٨] كأنه ﷺ حلف على أن أحد الأمرين كائن لا محالة، ثم أغرب الطيبي في سوء سؤاله حيث قال: فإن قلت: هب أنه ﷺ عرف أنه تعالى يعذبهم بسبب المفاخرة بآبائهم فاقسم عليه فيم عرف انتهاءهم عنها قلت: لما نظمهما بأوفى الحكم الذي هو الحلف، آل كلامه إلى قولك: ليكونن أحد الأمرين يعني إن كان الانتهاء لم تكن المذلة وإن لم تكن كانت كذا، حققه صاحب الكشاف في النمل، فكأنه قيل: أحد الأمرين لا بد منه، أما الانتهاء عما هم فيه أو إنزال الصغار والهوان عليهم من الله تعالى اهـ. وهو ظاهر المرام لكن وقع بسط في الكلام، ثم إنه ﷺ استأنف لبيان علة الانتهاء عن الافتخار بعد زوال زمان الجاهلية وكمال القواعد الإسلامية بقوله: (**«إن الله قد أذهب»**) أي أزال ورفع (**«عنكم عبية الجاهلية»**) بضم العين المهملة وكسرها وكسر موحدة فتحتية مشددتين أي نخوتها وكبرها (**«وفخرها»**) أي وافتخار أهل الجاهلية في زمانهم (**«بالآباء»**). قال التوربشتي: يقال: رجل فيه عبية بضم العين المهملة وكسرها أي كبر وتجبر، والمحفوظ عن أهل الحديث تشديد الياء؛ وذكر أبو عبيد الهروي أنه من العبء بمعنى الحمل الثقيل، ثم قال وقال الأزهري: بل هو مأخوذ من العبء وهو النور والضياء. يقال: هذا عب الشمس وأصله عبوء الشمس، وعلى هذا فالتشديد فيه كما في الذرية من الذرء بالهمز، والجوهري أدخله في باب المضاعف قلت: وكذا فعل صاحب القاموس حيث قال: العبية وبالكسر الكبر والفخر والنخوة. وقال أيضاً: عب الشمس ويخفف ضوءها. وذكره في المهموز أيضاً وقال: العبء بالفتح ضياء الشمس (**«إنما هو»**) أي المفتخر المتكبر بالآباء لا يخلو عن أحد الوصفين فأما هو (**«مؤمن تقي»**)، فلا ينبغي له أن يتكبر على أحد لأن مدار الإيمان على الخاتمة والله سبحانه وتعالى أعلم بمن اتقى (**«أو فاجر»**) أي منافق أو كافر (**«شقي»**) أي غير سعيد فهو ذليل عند الله، والذليل لا يناسبه التكبر ولا يلائمه التجبر، فالتكبر لا يليق بالمخلوق فإنه صفة خاصة للخالق ولذا قال: «**الكبرياء ردائي والعظمة إزاري فمن نازعني فيهما قصمته**»، ثم أشار ﷺ إلى دليل آخر ينتفي به التكبر عن الإنسان بقوله: (**﴿الناس كلهم بنو آدم وآدم من تراب﴾**) أي فلا يليق بمن أصله التراب النخوة والتجبر، أو إذا كان الأصل واحد قال أخوة فلا وجه للتكبر لأن بقية الأمور عارضة لا أصل لها حقيقة، نعم العاقبة للمتقين وهي مبهمة، فالخوف أولى للسالك من الاشتغال بهذه المسالك، هذا ما اخترناه في هذا المقام من خلاصة المرام، وتكلف الطيبي فقال: في ضمير هو وجوه أحدها إن في الكلام تقديماً وتأخيراً، فقوله: **﴿الناس كلهم بنو آدم﴾** مقدم لأنه مجمل وذاك تفصيله على نحو قوله:

رواه الترمذي، وأبو داود.

٤٩٠٠ ـ (٨) وعن مُطرِّف بن عبد الله بن الشِّخِّير، قال: [قال أبي:] انطلقت في وفدِ بني عامر إلى رسول الله

الناس من جهة التمثال أكفاء أبوهم آدم والأم حواء
فإن يكن لهم في أصلهم شرف يفاخرون به فالطين والماء
ما الفخر إلا لأهل العلم إنهم على الهدى لمن استهدى أدلاء

ووحد الضمير نظراً إلى الجنس أو على تأويل الإنسان، وثانيها أنه ضمير مبهم يفسره الخبر. كذا قرر صاحب الكشاف في قوله تعالى: ﴿وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا﴾ [الجاثية ـ ٢٤] وقولهم: «هي العرب تقول ما شاءت»، وثالثها أن يكون بمعنى اسم الإشارة فيرجع إلى المذكور السابق منطوقاً ومفهوماً، وبيانه إن قوله أقوام من باب سوق المعلوم مساق غيره وهم قوم مخصوصون نكرهم وجعلهم غائبين، ثم التفت من الغيبة إلى الخطاب في قوله: «قد أذهب عنكم» وهذا يشعر بغضب شديد وسخط متتابع» كان أناساً من المسلمين تفاخروا بأسلافهم الذين ماتوا على الكفر كالعباس بن مرداس وإضرابه حتى قال قائلهم:

فما كان حصن ولا حابس يفوقان مرداس في مجمع

فوبخهم وزجرهم وسفه رأيهم، والمعنى لينته من شرفه الله وخلع عليه حلل الإسلام ورفعه من حضيض الكفر إلى بقاع الإيمان عن هذه الشنعاء وإلا فيحطه من تلك المنزلة ويرده إلى أسفل السافلين من الكفر والذل، فإن تشبيههم بأخس الحيوانات في أخس أحواله يدل عليه، فالمعنى «ما ذاك العزيز الكريم عند الله إلا رجل تقي، وما ذاك الذليل الدنيء عنده إلا فاجر شقي»، ثم رجع ﷺ من ذاك العنف إلى اللطف ومن التوبيخ إلى إسماع الحق قائلاً: «والناس كلهم بنو آدم لقوله تعالى: ﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى﴾ إلى قوله: ﴿إن اكرمكم عند الله أتقاكم﴾ [الحجرات ـ ١٣] وفي ذكر التراب إشارة إلى نقصانهم وأنهم فيه سواء طف الصاع بالصاع. (**رواه الترمذي وأبو داود**). وروى البزار بسند حسن عن حذيفة مرفوعاً «كلكم بنو آدم وآدم خلق من تراب، لينتهين قوم يفتخرون بآبائهم أو ليكونن أهون على الله من الجعلان».

٤٩٠٠ ـ (**وعن مطرف**) بتشديد الراء المكسورة (**ابن عبد الله بن الشخير**) بكسر فتشديد خاء معجمة، وفي نسخة بالتعريف. قال المؤلف في فصل التابعين: مطرف عامري بصري روى عن أبي ذر وعثمان بن أبي العاص، وفد أبوه على النبي ﷺ في بني عامر، روى عنه ابناه مطرف ويزيد (**قال:**) أي قال أبي: (**«انطلقت»**) كما في سنن أبي داود، ذكره السيد جمال الدين وهو المفهوم من أسماء الرجال (**«في وفد بني عامر إلى رسول الله»**) أي قاصدين ومتوجهين إليه

الحديث رقم ٤٩٠٠: أخرجه أبو داود في السنن ٥/ ١٥٤ الحديث رقم ٤٨٠٦. وأحمد في المسند ٤/ ٢٥.

ﷺ، فقلنا: أنت سيِّدنا. فقال: «السيِّدُ اللهُ» فقلنا وأفضلُنا فضلاً، وأعظمُنا طَوْلاً. فقال: «قولوا قولكم، أو بعضَ قولكم، ولا يستجرِيَنَّكُم الشيطانُ».

(«صلى الله عليه وسلم فقلنا:») أي بعدما وصلنا («أنت سيدنا فقال: السيد الله»)، وفي نسخة السيد هو الله بزيادة ضمير الفصل لمزيد تأكيد إفادة الحصر مبالغة في تعظيم ربه وتواضع نفسه، فحوّل الأمر فيه إلى الحقيقة مراعاة للآداب الشرعية والطريقة أي الذي يملك نواصي الخلق ويتولاهم ويسوسهم هو الله سبحانه، وهذا لا ينافي سيادته المجازية الإضافية المخصوصة بالأفراد الإنسانية حيث قال: «أنا سيد ولد آدم ولا فخر» أي لا أقول افتخاراً، بل تحدثاً بنعمة الله وإخباراً بما أمرني الله، وإلا فقد روى البخاري عن جابر أن عمر كان يقول: أبو بكر سيدنا وأعتق سيدنا يعني بلالاً اهـ. وهو بالنسبة إلى بلال تواضع والله أعلم. («فقلنا: وأفضلنا فضلاً») أي مزية ومرتبة، ونصبه على التمييز («وأعظمنا طولاً») أي عطاء للأحباء وعلوّاً على الأعداء، والواو الأولى استئنافية لربط الكلام أو من قبيل العطف على التوهم («فقال: قولوا قولكم») أي مجموع ما قلتم، أو هذا القول ونحوه («أو بعض قولكم») أي اقتصروا على إحدى الكلمتين من غير حاجة إلى المبالغة بهما، ويمكن أن تكون أو بمعنى بل أي بل قولوا بعض ما قلتم مبالغة في التواضع، وقيل: «قولوا قولكم الذي جئتم لأجله وقصدتموه، ودعوا غيركم مما لا يعنيكم» ونظيره قوله ﷺ لجويريات يضربن بالدف ويندبن من قتل من آبائهن يوم بدر إذ قالت إحداهن: وفينا نبي يعلم ما في غد، دعي هذه وقولي: ما كنت تقولين أو قولوا قولكم المعتاد المسترسل فيه على السجية دون المستعمل للإطراء والتكلف لمزيد الثناء، وحاصله لا تبالغوا في مدحي فضلاً عن غيري («ولا يستجرينكم الشيطان») أي لا يتخذنكم جرياً بفتح الجيم وكسر الراء وتشديد التحتية أي كثيراً لجري في طريقه ومتابعة خطواته، وقيل: هو من الجراءة بالهمزة أي لا يجعلنكم ذوي شجاعة على التكلم بما لا يجوز، وفي النهاية أي «لا يغلبنكم فيتخذكم جرياً أي رسولاً ووكيلاً، وذلك أنهم كانوا مدحوه فكره لهم المبالغة في المدح فنهاهم عنه، والمعنى تكلموا بما يحضركم من القول ولا تتكلفوه كأنكم وكلاء الشيطان ورسله تنطقون على لسانه»، هذا زبدة الكلام في مقام المرام، وقد تكلف الطيبي حيث قال: وأفضلنا عطف على قوله: سيدنا كأنهم قالوا: أنت سيدنا وأفضلنا فضلاً وأعظمنا طولاً، فكره رسول الله ﷺ الكل وخص الرد بالسيد، فأدخل الراوي كلامه بين المعطوف والمعطوف عليه، والذي يدل على كراهة الكل قوله: «قولوا قولكم» أي بقول أهل ملتكم، وما هو من شعار المسلمين، وذلك قولهم: «رسول الله ونبي الله»، وقال المظهر: وقوله: «قولوا قولكم» يعني قولوا هذا القول أو أقل منه ولا تبالغوا في مدحي بحيث تمدحونني بشيء يليق بالخالق ولا يليق بالمخلوق. وقال الخطابي: أراد ﷺ بقوله: قولوا بقول أهل دينكم أو ملتكم وادعوني نبياً ورسولاً كما سماني الله في كتابه، ولا تسموني سيداً كما تسمون رؤساءكم وعظماءكم لأني لست كأحد منهم إذ كانوا يسودونكم في أسباب الدنيا وأنا أسودكم بالرسالة والنبوّة فسموني رسولاً ونبياً». وقال التوربشتي: سلك القوم في الخطاب معه مسلك مع رؤساء القبائل، فإنهم يخاطبونهم بنحو هذا الخطاب، فكره ذلك لأنه كان من حقه أن يخاطبوه بالنبي والرسول فإنها

رواه أحمد وأبو داود.

٤٩٠١ ـ (٩) وعن الحسنِ، عن سمُرةَ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «الحسَبُ المالُ، والكرَمُ التقْوى». رواه الترمذي، وابنُ ماجه.

المنزلة التي لا منزلة وراءها لأحد من البشر، (رواه أبو داود). وفي نسخة صحيحة رواه أحمد وأبو داود.

٤٩٠١ ـ (وعن الحسن) أي البصري، فإنه المراد عند الإطلاق على اصطلاح المحدثين لكن لم يظهر وجه ذكره، فإن مقتضى العادة هو الاكتفاء بذكر الصحابي إلا لسبب عارض في الإسناد محوج إلى ذكر التابعي. (عن سمرة) بفتح وضم (قال: قال رسول الله ﷺ: «الحسب») بفتحتين («المال») أي مال الدنيا الحاصل به الجاهل غالباً («والكرم») أي الكرم المعتبر في العقبى المترتب عليه الإكرام بالدرجات العلى («التقوى») لقوله تعالى: ﴿إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾ [الحجرات ـ ١٣] وفيه تنبيه نبيه على «أن الدنيا فانية والأخرى باقية، فآثروا ما يبقى على ما يفنى، فإن من أحب آخرته أضر بدنياه، ومن أحب دنياه أضر بعقباه فهما ضدان لا يجتمعان»، فمثالهما كفتا الميزان، ونعم ما قال بعض أرباب الحال:

زيادة المرء في دنيا نقصان وربحه غير محض الخير خسران

قال شارح: الحسب ما يعده الرجل من مفاخر آبائه، والكرم ضد اللؤم فقيل: معناه الشيء الذي يكون به الرجل عظيم القدر عند الناس هو المال، والشيء الذي يكون به عظيم القدر عند الله التقوى والافتخار بالآباء ليس بشيء منهما، وبهذا المعنى يظهر مناسبة إيراد هذا الحديث بعنوان الباب وقيل: معناه «أن الغني يعظم كما يعظم الحسيب وأن الكريم هو المتقي لا من يجود بماله ويخطر بنفسه ليعد جواداً شجاعاً». وقال الطيبي: الحسب ما يعده من مآثره ومآثر آبائه، والكرم الجمع بين أنواع الخير والشرف والفضائل، وهذا بحسب اللغة، فردهما ﷺ إلى ما هو المتعارف بين الناس وعند الله أي ليس ذكر الحسب عند الناس للفقير حيث لا يوقر ولا يحتفل به، بل كل الحسب عندهم من رزق الثروة ووقر في العيون، ومنه حديث عمر رضي الله عنه من حسب الرجل انقاء ثوبيه أي أنه يوقر لذلك من حيث إنه دليل الثروة وذو الفضل والشرف عند الناس، ولا يعد كريماً عند الله، وإنما الكريم عنده من ارتدى برداء التقوى وأنشد:

كانت مودة سلمان له نسباً ولم يكن بين نوح وابنه رحم

(رواه الترمذي وابن ماجه). وقال الترمذي: حسن صحيح لا نعرفه إلا من هذا الوجه. ذكره ميرك، وكذا رواه أحمد والحاكم[1].

الحديث رقم ٤٩٠١: أخرجه الترمذي في السنن ٥/ ٣٦٣ الحديث رقم ٣٢٧١، وابن ماجه في ٢/ ١٤١٠ الحديث رقم ٤٢١٩، وأحمد في المسند ٥/ ١٠.

(١) الحاكم في المستدرك ٢/ ١٦٣.

٤٩٠٢ ـ (١٠) وعن أُبيّ بن كعب، قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «مَن تعزّى بعزاءِ الجاهليّةِ، فأعضُوهُ بهَنِ أبيه ولا تَكْنُوا». رواه في «شرح السنّة».

٤٩٠٣ ـ (١١) وعن عبدِ الرّحمن بنِ أبي عُقبةَ، عن أبي عُقبةَ، وكانَ مولىً مِن أهلِ فارس، قال: شهِدتُ مع رسول الله ﷺ أُحُداً، فضربتُ رجلاً مِنَ المشركين، فقلتُ: خذها مني وأنا الغُلامُ الفارسيُّ! فالتفتَ إليَّ فقال: «هلاّ قلتَ: خُذها مني وأنا الغلامُ الأنصاريُّ؟».

٤٩٠٢ ـ (وعن أبي بن كعب رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من تعزى») أي انتسب («بعزاء الجاهلية») بفتح العين أي نسب أهلها وافتخر بآبائه وأجداده («فأعضوه») بتشديد الضاد والمعجمة من أعضضت الشيء جعلته بعضه، والعض أخذ الشيء بالأسنان أو باللسان على ما في القاموس («بهن أبيه») بفتح الهاء وتخفيف النون، وفي النهاية لهن بالتخفيف والتشديد كناية عن الفرج أي قولوا له: أعضض بذكر أبيك أو أيره أو فرجه، («ولا تكنوا») بفتح أوّله وضم النون أي لا تكنوا بذكر الهن عن الأير بل صرحوا له بآلة أبيه التي كانت سبباً فيه تأديباً وتنكيلاً، وقيل: معناه من انتسب وانتمى إلى جاهلية بإحياء سنة أهلها وابتداع سنتهم في الشتم واللعن والتعيير، ومواجهتكم بالفحشاء والتكبر، فاذكروا له قبائح أبيه من عبادة الأصنام والزنا وشرب الخمر ونحو ذلك مما كان يعبر به من لؤم ورذالة صريحاً لا كناية كي يرتدع عن التعرض لأعراض الناس. (رواه) أي صاحب المصابيح (في شرح السنة) أي بإسناده.

٤٩٠٣ ـ (وعن عبد الرحمن بن أبي عقبة) بضم أوّله هو مولى جبير بن عقيق (عن أبي عقبة)، قال ميرك: اسمه رشد بضم الراء وفتح الشين المعجمة مولى الأنصار، ويقال: مولى بني هاشم، وقال المؤلف: هو صحابي من أبناء فارس وابنه عبد الرحمن تابعي، روى عن أبيه وعن داود بن الحصين، (وكان) أي أبو عقبة (مولى من أهل فارس قال: شهدت مع رسول الله ﷺ أحداً) بضمتين أي حضرته (فضربت رجلاً من المشركين) أي برمي أو برمح أو بسيف (فقلت: «خذها») أي الضربة أو الطعنة مني («وأنا الغلام الفارسي») بكسر الراء، والجملة حال وهذا على عادتهم في المحاربة أن يخبر الضارب المضروب باسمه ونسبه إظهاراً بشجاعته («فالتفت إلي رسول الله ﷺ فقال: هلا قلت:») أي لا قلت («خذها مني وأنا الغلام الأنصاري») أي إذا افتخرت عند الضرب فانتسب إلى الأنصار الذين هاجرت إليهم ونصروني،

الحديث رقم ٤٩٠٢: أخرجه البغوي في شرح السنة ١٣/ ١٢٠ الحديث رقم ٣٥٤١، وأحمد في المسند ٥/ ١٣٦.

الحديث رقم ٤٩٠٣: أخرجه أبو داود في السنن ٥/ ٣٤٢ الحديث رقم ٥١٢٣، وابن ماجه في ٢/ ٩٢١ الحديث رقم ٢٧٨٤.

رواه أبو داود.

٤٩٠٤ ـ (١٢) وعن ابن مسعودٍ، عن النبيِّ ﷺ، قال: «مَن نصرَ قومَه على غيرِ الحقِّ فهوَ كالبعيرِ الذي رُدِّيَ، فهو يُنزَعُ بذنَبِه». رواه أبو داود.

٤٩٠٥ ـ (١٣) وعن واثلة بن الأسقعِ، قال: قلتُ: يا رسولَ الله! ما العصبيَّةُ؟ قال: «أن تُعينَ قومكَ على الظلمِ». رواه أبو داود.

٤٩٠٦ ـ (١٤) وعن سُراقَة بن مالكِ بن جُعْشُم،

وكان فارس في ذلك الزمان كفاراً فكره ﷺ الانتساب إليهم وأمره بالانتساب إلى الأنصار ليكون منتسباً إلى أهل الإسلام، وفيه إشعار بأن الصحابة مما عدا المهاجرين قد يطلق عليهم الأنصار وليسوا بمخصوصين بأهل المدينة كما يتوهم، وبهذا يحصل العموم والشمول للصحابة في قوله تعالى: ﴿من المهاجرين والأنصار﴾ [التوبة ـ ١٠٠] (رواه أبو داود).

٤٩٠٤ ـ (وعن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «من نصر قومه على غير الحق») أي على باطل أو مشكوك («فهو كالبعير الذي ردي») بفتح الدال مخففة، وفي نسخة بكسرها وفتح الياء، وفي نسخة صحيحة بضم الراء وكسر الدال مشددة وفتح الياء أي تردى وسقط في البئر، وقيل: معناه هلك («فهو») أي البعير إذا وقع فيها («ينزع») بصيغة المفعول أي يعالج ويخرج («عنها بذنبه») أي بجر من ورائه، قيل: المعنى أوقع نفسه في الهلكة بتلك النصرة الباطلة حيث أراد الرفعة بنصرة قومه، فوقع في حضيض بئر الإثم وهلك كالبعير، فلا ينفعه كما لا ينفع البعير نزعه عن البئر بذنبه، وقيل: شبه القوم، ببعير هالك لأن من كان على غير حق فهو هالك، وشبه ناصرهم بذنب هذا البعير، فكما أن نزعه بذنبه لا يخلصه من الهلكة، كذلك هذا الناصر لا يخلصهم عن بئر الهلاك التي وقعوا فيها. (رواه أبو داود). وأما ما رواه البيهقي والضياء عن أنس مرفوعاً «من نصر أخاه بظهر الغيب نصره الله في الدنيا الآخرة» فمحمول على نصرة الحق وإن كان اللفظ مطلقاً.

٤٩٠٥ ـ (وعن واثلة بن الأسقع رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله ما العصبية؟) أي الجاهلية («قال: إن تعين قومك على الظلم») يعني أن الواجب عليك متابعة الحق من غير نظر إلى ملاحظة الحق، ولهذا قال ﷺ على ما رواه الدارمي وابن عساكر عن جابر مرفوعاً «انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً، إن يك ظالماً فأردده عن ظلمه، وإن يك مظلوماً فانصره». (رواه أبو داود)، وكذا ابن ماجه.

٤٩٠٦ ـ (وعن سراقة) بضم أوله (ابن مالك بن جعشم) بضم جيم وسكون عين مهملة

الحديث رقم ٤٩٠٤: أخرجه أبو داود في السنن ٥/ ٣٤١ الحديث رقم ٥١١٨.

الحديث رقم ٤٩٠٥: أخرجه أبو داود في السنن ٥/ ٣٤١ الحديث رقم ٥١١٩، وابن ماجه في ٢/ ١٣٠٢ الحديث رقم ٣٩٤٩.

الحديث رقم ٤٩٠٦: أخرجه أبو داود في السنن ٥/ ٣٤١ الحديث رقم ٥١٢٠.

قال: خطبَنا رسولُ الله ﷺ، فقال: «خيرُكم المدافعُ عن عشيرتِه ما لم يأثم». رواه أبو داود.

٤٩٠٧ ـ (١٥) وعن جُبيرِ بن مُطعم، أنَّ رسولَ الله ﷺ [٣٦٨ ـ أ ـ] قال: «ليسَ منّا مَنْ دعا إلى عصبيَّة، وليسَ منّا مَن قاتلَ عصبيَّةً، وليسَ منّا مَن ماتَ على عصبيَّة». رواه أبو داود.

٤٩٠٨ ـ (١٦) وعن أبي الدَّرداءِ، عن النبيِّ ﷺ قال: «حُبُّكَ الشيءَ يُعمي ويُصِمُّ».

وضم شين معجمة، قال المؤلف: مدلجي كناني كان ينزل قديداً، ويعد في أهل المدينة. روى عنه جماعة، وكان شاعراً مجيداً مات سنة أربع وعشرين (قال: خطبنا رسول الله ﷺ فقال: «خيركم المدافع عن العشيرة») أي أقاربه المعاشر معهم («ما لم يأثم») أي ما لم يظلم على المدفوع، فإنه حينئذ يكون جامعاً بين نصرة المظلوم وصلة الأقارب، ثم اعلم أنه لو قدر على دفع الظالم عن قومه بكلام لم يجز له الضرب، ولو قدر بالضرب لم يجز له القتل لأنه من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فيجب مراعاة الترتيب. قال تعالى: ﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن﴾ [النحل ـ ١٢٥] إلى قوله: ﴿وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به﴾ [النحل ـ ١٢٦] الآية. (رواه أبو داود).

٤٩٠٧ ـ (وعن جبير بن مطعم رضي الله عنه) مره ذكره (أن رسول الله ﷺ قال: «ليس منا») أي من أهل ملتنا أو من أصحاب طريقتنا («من دعا») أي الناس («إلى عصبية») أي إلى اجتماع عصبية في معاونة ظالم، وفي الحديث ما بال دعوى الجاهلية؟ قال صاحب النهاية: هو قولهم: يا آل فلان كانوا يدعون بعضهم بعضاً عند الأمر الحادث («وليس منا من قاتل عصبية») أي بالباطل («وليس منا من مات على عصبية») أي على طريقتهم من حمية الجاهلية. (رواه أبو داود).

٤٩٠٨ ـ (وعن أبي الدرداء رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ قال: «حبك») من إضافة المصدر إلى فاعله ومفعوله («الشيء») وهو مبتدأ خبره («يعمي ويصم») بضم أولهما وكسر عينهما أي يجعلك أعمى عن رؤية معايب الشيء المحبوب بحيث لا تبصر فيه عيباً ويجعلك أصم عن سماع قبائحه بحيث لا تسمع فيه كلاماً قبيحاً لاستيلاء سلطان المحبة على فؤادك، كما قال:

وعين الرضا عن كل عيب كليلة ولكن عين السخط تبدي المساويا

وحاصله أنك ترى القبيح منه حسناً وتسمع منه الخنا قولاً جميلاً، كما قيل:

الحديث رقم ٤٩٠٧: أخرجه أبو داود في السنن ٥/ ٣٤٣ الحديث رقم ٥١٢١.

الحديث رقم ٤٩٠٨: أخرجه أبو داود في السنن ٥/ ٣٤٦ الحديث رقم ٥١٣٠، وأحمد في المسند ٥/ ١٩٤.

رواه أبو داود.

الفصل الثالث

٤٩٠٩ ـ (١٧) عن عُبادة بن كثيرٍ الشاميِّ من أهلِ فلسطين، عن امرأةٍ منهم يُقال لها فسيلةُ، أنَّها قالت: سمعتُ أبي يقولُ: سألتُ رسولَ الله ﷺ، فقلتُ: يا رسول الله! أمِن العصبيّةِ أنْ يُحبَّ الرجل قومَه؟ قال: «لا، ولكنْ منَ العصبيّةِ أنْ ينصرَ الرجلُ قومَه على الظلم». رواه أحمد، وابنُ ماجه.

٤٩١٠ ـ (١٨) وعن عُقبةَ بن عامرٍ، قال: قال رسول الله ﷺ: «أنسابُكم هذه ليست بمسبّةٍ

ويقبح من سواك الفعل عندي فتفعله فيحسن منك ذاكا

وقال الأستاذ أبو علي: «حبك الشيء يعمي عن الغير غيرة، وعن المحبوب هيبة». قال الطيبي: ومورد الحديث في الذم وذكر العصبية يستدعي أن يقال: إنه ﷺ قال فيمن يتعصب لغيره ويحاميه بالباطل «وحبه إياه يعميه عن أن يبصر الحق في قضيته ويصمه عن أن يسمع الحق في قصته»، وإلا فالحديث ذو وجهين. (**رواه أبو داود**)، وكذا أحمد والبخاري في تاريخه عنه، والخرائطي في اعتلال، القلوب عن أبي برزة وابن عساكر عن عبد الله بن أنيس والله أعلم.

(الفصل الثالث)

٤٩٠٩ ـ (**عن عبادة بن كثير الشامي**)، لم يذكره المصنف في أسمائه، (**من أهل فلسطين**) بكسر ففتح فسكون فنون مفتوحة، وفي المغني فلسطون وفلسطين بكسر أولهما. وفي القاموس وقد يفتح فاؤهما كورة بالشام تقول: في حال الرفع بالواو وبالنصب والجر بالياء، أو تلزمها الياء في كل حال. (**عن امرأة منهم**) أي من أهل فلسطين (**يقال لها: فسيلة**) بفتح فاء فكسر سين مهملة، وفي نسخة بالتصغير، ولم يذكرها المؤلف في التابعيات (**أنها قالت: «سمعت أبي**) ليس له ذكر في أسماء المؤلف (**«يقول:»**) أي أبو فسيلة (**«سألت رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله أمن العصبية أن يحب الرجل قومه؟»**) أي حباً بليغاً (**«قال: لا. ولكن من العصبية أن ينصر الرجل قومه على الظلم»**) أي على ظلمهم أو مع ظلمهم أو على وجه الظلم (**رواه أحمد وابن ماجه**).

٤٩١٠ ـ (**وعن عقبة بن عامر رضي الله عنه. قال: قال رسول الله ﷺ: «أنسابكم هذه»**) أي المعروفة المشهورة كأمر محسوس يشار إليه (**«ليست بمسبة»**) بفتحتين وتشديد موحدة أي

الحديث رقم ٤٩٠٩: أخرجه ابن ماجه في السنن ٢/ ١٣٠٢ الحديث رقم ٣٩٤٩، وأحمد في المسند ٤/ ١٠٧.

الحديث رقم ٤٩١٠: أخرجه أحمد في المسند ٤/ ١٤٥، والبيهقي في شعب الإيمان ٤/ ٢٩٢ الحديث رقم ٥١٤٦.

على أحدٍ، كلكم بنو آدمَ طَفُّ الصَّاعِ بالصَّاعِ لم تملؤوه، ليسَ لأحدٍ على أحدٍ فضلٌ إلاّ بدينٍ وتقوى، كفى بالرجلِ أن يكونَ بذياً فاحشاً بخيلاً». رواه أحمد، والبيهقي في «شعب الإيمان».

(١٤) باب البر والصلة

محل سب وسبب عار (**«على أحد»**) أي منكم (**«كلكم بنوا آدم»**) أي جميعكم أولاد آدم وحواء (**«طف الصاع بالصاع»**) بفتح طاء وتشديد فاء، وهو مرفوع ومنصوب، والثاني أظهر على أنه بنزع الخافض ورفعه على الخبرية، وبنو آدم بيان أو بدل أو مبتدأ ثان، فيكون من التشبيه البليغ أي كلكم متساوون في النسبة إلى أب واحد متقاربون كتقارب ما في الصاع أو تساويه للصاع إذا لم يملأ ملأً تاماً حتى يزداد عليه، وهذا معنى قوله: (**«لم تملؤوه»**) أي والحال أنكم لم تملؤوه، وفي النهاية أي قريب بعضكم من بعض يقال: هذا طف المكيال أي ما قرب من ملئه، والمعنى كلكم في الانتساب إلى أب واحد بمنزلة واحدة في النقص والتقاصر عن غاية التمام شبيههم في نقصانهم بالمكيل الذي لم يبلغ المكيال، ثم اعلم أن التفاضل ليس بالنسب ولكن بالتقوى حيث قال: (**«ليس لأحد»**) أي على أحد كما في نسخة ضعيفة (**«فضل»**) أي زيادة مرتبة (**«إلا بدين»**) أي من الأديان الحقة (**«وتقوى»**) بالقصر، وفي نسخة بالتنوين أي باجتناب من الشرك الجلي والخفي واحتراز من الكبائر والصغائر، والحاصل أن أفراد الإنسان كلهم في مرتبة النقصان والخسران إلا ذوي التقوى والكمال من أهل الأديان كما أشار إليه سبحانه وتعالى بقوله: ﴿**والعصر إن الإنسان لفي خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات**﴾ [العصر ـ ١ ـ ٣] هذا وقال الطيبي: قوله: طف الصاع يجوز نصبه على أنه حال مؤكدة نحو زيد أبوك عطوفاً فإن ذكر بني آدم يدل على النقصان لكونهم من التراب، وبالرفع على أنه بدل أو خبر بعد خبر، والباء في بالصاع للحال أي طف الصاع مقابلاً بمثله من النقصان، والمراد التسوية بينهم في النقصان (**«كفى بالرجل»**) الجار والمجرور فاعل كفى، والتمييز محذوف أي مسبة وعاراً أو نقصاناً (**«أن يكون بذياً»**) بيان للتمييز كقوله ﷺ: «كفى بالمرء اثماً أن يحدث بكل ما سمع»[١]. وهو فعيل من البذاء بمعنى الكلام القبيح فقوله: (**«فاحشاً»**) عطف بيان له، وفي القاموس البذي كرضي الرجل الفاحش (**«بخيلاً»**) أي جامعاً بين إطالة اللسان وتقصير الإحسان. (**رواه أحمد والبيهقي في شعب الإيمان**).

باب البر والصلة

في النهاية البر بالكسر الإحسان، وهو في حق الأبوين والأقربين ضد العقوق، وهو الإساءة إليهم والتضييع لحقهم، يقال: بربير فهو بار، وجمعه بررة، وجمع البرابر، وصلة الرحم كناية عن الإحسان إلى الأقربين من ذوي النسب والأصهار والتعطف عليهم والرفق بهم والرعاية لأحوالهم، وقطع الرحم ضد ذلك يقال: وصل رحمه يصلها وصلاً وصلة والهاء فيها عوض عن

(١) راجع باب الاعتصام الفصل الأول.

الفصل الأول

٤٩١١ ـ (١) عن أبي هريرة، قال: قال رجل: يا رسول الله! من أحقُّ بحسْنِ قرابتي؟ قال: «أمُّك». قال: ثمَّ من؟ قال: «أمُّك». قال: ثمَّ من؟ قال: «أمُّك». قال: ثم من؟ قال: «أبوك». وفي رواية، قال: «أمُّك، ثمَّ أمكَ، ثمَّ أمَّكَ، ثمَّ أباكَ، أدناكَ أدناكَ». متفق عليه.

الواو المحذوفة فكأنه بالإحسان إليهم قد وصل ما بينه وبينهم من علاقة القرابة والصهر.

(الفصل الأول)

٤٩١١ ـ **(عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رجل: يا رسول الله من أحق)** أي أولى وأليق **(بحسن صحابتي)** بفتح أوّله وبكسر أي بإحسان مصاحبتي في معاشرتي، قال الجوهري: صحبه يصحبه صحبة بالضم وصحابة بالفتح، وفي القاموس صحبة كسمعه صحابة ويكسر، وصحبه عاشره، وقال النووي: هو بفتح الصاد هنا بمعنى الصحبة **(قال: أمك)** بالرفع كذا في الأصول المعتمدة والنسخ المصححة هنا وفيما بعده إلى آخر الرواية الأولى، وفي نسخة بالنصب، وهو خطأ، كما سنذكر وجهه **(قال: ثم من؟ قال: أمك، قال: ثم من؟ قال: أمك، قال: ثم من؟ قال: أبوك)** وفي رواية قال: قال ميرك: هذه الرواية من إفراد مسلم فتأمل في قوله: متّفق عليه، قلت: أراد المتّفق عليه معنى **(أمك)** بالنصب على الإغراء أي الزم أمك أي أحسن صحبتها أو رعاية معاشرتها أو على نزع الخافض أي أحسن إليها أو على المفعول به، والتقدير بر أمك وهو الأظهر **(ثم أمك، ثم أمك، ثم أباك، ثم أدناك)** أي أقربك **(أدناك)** بحذف العاطف وأعيد للتأكيد، قال الطيبي: قوله: «أمك» الخ جاء مرفوعاً في رواية، وفي أخرى منصوباً أما الرفع فظاهر والنصب على معنى أحق من أبر، ويدل عليه رواية بهز بن حكيم من أبر اهـ، وهو موهم أن أمك في الروايتين جاء مرفوعاً ومنصوباً وليس كذلك، بل الرفع متعيّن في الأول لقوله: أبوك هناك، والنصب متعين هنا لقوله: «أباك» وإياك أن تخلط الرواية فتحرم الدراية، وفي شرح للنووي فيه الحث على بر الأقارب وأن الأم أحقهم بذلك ثم بعدها الأب ثم الأقرب فالأقرب قالوا: وسبب تقديم الأم كثرة تعبها عليه وشفعتها وخدمتها، قلت: وفي التنزيل إشارة إلى هذا التأويل في قوله تعالى: **﴿حملته أمه كرهاً ووضعته كرهاً وحمله وفصاله ثلاثون شهراً﴾** [الأحقاف ـ ١٥] فالتثليث في مقابلة ثلاثة أشياء مختصة بالأم وهي تعب الحمل ومشقة الوضع ومحنة الرضاع. **(متّفق عليه)**.

الحديث رقم ٤٩١١: أخرجه البخاري في صحيحه ١٠/ ٤٠١ الحديث رقم ٥٩٧١، ومسلم في ٤/ ١٩٧٤ الحديث رقم (١ ـ ٢٥٤٨) وابن ماجه في السنن ٢/ ١٢٠٧ الحديث رقم ٣٦٥٨.

٤٩١٢ ـ (٢) وعنه، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «رَغِمَ أنفُه، رغم أنفه، رغم أنفُه» قيل: من يا رسول الله؟ قال: «من أدركَ والديه عندَ الكبرِ، أحدُهما أو كلاهما، ثم لم يدخل الجنة».

٤٩١٢ ـ (وعنه) أي عن أبي هريرة رضي الله عنه (قال: قال رسول الله ﷺ: رغم) بفتح فكسر أي لصق بالرغام وهو التراب المختلط بالرمل (أنفه)، والمراد به الذل وهو اخبار أو دعاء، والضمير مبهم مبينه، والقصد من الإبهام ثم التبيين كونه أوقع في نفس السامع، وكذا تأكيداً بإعادته مرتين (رغم أنفه قيل: من) أي من هو أو هو من أو تعني من أو أنف من (يا رسول الله: قال: من أدرك والديه) فيه تغليب، (عند الكبر) خص به لأنه أحوج الأوقات إلى حقوقهما. قال المظهر: هو ظرف في موضع الحال، والظرف إذا كان في موضع الحال يرفع ما بعده فقوله: (أحدهما) مرفوع بالظرف وقوله: (أو كلاهما) معطوف على أحدهما اهـ، فهما فاعلان في المعنى، وقال الأشرف: يجوز أن يكون أحدهما خبر المبتدأ محذوف أي مدركه أحدهما أو كلاهما فإن من أدرك شيئاً فقد أدركه ذلك الشيء وهذه الجملة بيان لقوله: «من أدرك والديه»، وفي شرح المصابيح قوله: من أدرك والديه الكبر أحدهما أو كلاهما الكبر فاعل أدرك وأحدهما مفعوله قلت، الظاهر أنه بدل من مفعوله وهو والديه، قال الطيبي: قوله: عند الكبر بالإضافة، وأحدهما أو كلاهما مرفوعان، هكذا هو في جميع روايات مسلم، وفي كتاب الحميدي وجامع الأصول وبعض نسخ المصابيح وغير في بعضها إلى قوله: «عنده» بالهاء، والكبر بالرفع وأحدهما أو كليهما بالنصب، نعم هو في الترمذي كذا عن أبي هريرة أنه قال ﷺ: «رغم أنف رجل أدرك عنده أبواه الكبر فلم يدخلاه الجنة». اهـ ثم عطف على أدرك أي (ثم) بعد إدراكه ما ذكر وإمهاله مدة يسع فيها قضاء حقوقهما وأداء برهما (لم يدخل الجنة) بصيغة المعلوم من الدخول أي لم يدخلها بسبب عقوقهما والتقصير في حقوقهما وقال النووي: معناه أن برهما عند كبرهما وضعفهما بالخدمة والنفقة وغير ذلك سبب لدخول الجنة فمن قصّر في ذلك فاته دخول الجنة، وقال الطيبي: ثم في قوله: ثم لم يدخل الجنة استبعادية يعني ذل وخاب وخسر من أدرك تلك الفرصة التي هي موجبة للفلاح والفوز بالجنة ثم لم ينتهزها وانتهازها هو ما اشتمل عليه قوله تعالى: ﴿وبالوالدين إحساناً أما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما﴾ [الإسراء ـ ٢٣] إلى قوله: ﴿وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا﴾ [الإسراء ـ ٢٤] فإنه دل على الاجتناب عن جميع الأقوال المحرمة والإتيان بجميع كرائم الأقوال والأفعال في التواضع والخدمة والإنفاق عليهما ثم الدعاء لهما في العاقبة. (رواه مسلم). وفي الجامع الصغير «رغم أنفه ثم رغم أنفه ثم رغم أنفه من أدرك أبويه عنده الكبر أحدهما أو كلاهما ثم لم يدخل الجنة»[1] رواه أحمد ومسلم عن أبي هريرة، ورواه الترمذي والحاكم عنه بلفظ: رغم

الحديث رقم ٤٩١٢: أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ١٩٧٨ الحديث رقم (٩ ـ ٢٥٥١)، وأبو داود في السنن ٢/ ٣٠٧. الحديث رقم ١٦٦٨، والترمذي في ٥/ ٥٥٤ الحديث رقم ٣٥٤٥، وأحمد في المسند ٢/ ٣٤٦.

(١) الجامع الصغير ٢/ ٢٧٣ الحديث رقم ٤٤٦٠.

رواه مسلم.

٤٩١٣ ـ (٣) وعن أسماء بنت أبي بكرٍ [رضي الله عنه]، قالت: قَدِمَتْ عَليّ وهي مشركةٌ في عهدِ قريشٍ، فقلت: يا رسول الله! إن أمي قدِمَتْ عليّ وهي راغبةٌ أفأصِلُها؟ قال: «نعم صِليها». متفق عليه.

٤٩١٤ ـ (٤) وعن عمرو بن العاص، قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «إنَّ آلَ

أنف رجل ذكرت عنده فلم يصل علي، ورغم أنف رجل دخل عليه رمضان ثم انسلخ قبل أن يغفر له، ورغم أنف رجل أدرك عنده أبواه الكبر فلم يدخلاه الجنة»[١].

٤٩١٣ ـ (وعن أسماء بنت أبي بكر) أي الصديق الأكبر (رضي الله عنهم قالت: قدمت على أمي) أي من مكة إلى المدينة (وهي مشركة) أي ما أسلمت بعد (في عهد قريش) متعلّق بقدمت أي كان ذلك القدوم وفي المدة التي كان عهد المصالحة بينه ﷺ وبين قريش على ترك قتالهم فيها (فقلت: يا رسول الله إن أمي قدمت علي) أي نزلت عندي (وهي راغبة) بالموحدة أي معرضة (عن الإسلام) أو مائلة فيه أو راغبة في صلتي أو راغبة في الإشراك، وفي نسخة صحيحة راغمة بالميم أي كارهة إسلامي وهجرتي أو ذليلة محتاجة إلى عطائي، وقيل: أي هاربة من قومها، قال التوربشتي: قد روي بالباء وكذلك هو في المصابيح، والصواب راغمةً بالميم بدل الباء، وقال النووي في شرح هذا الحديث: قدمت على أمي وهي راغبة أو راهبة، وفي الرواية الأخرى راغبة بلا شك وهي مشركة، قال القاضي عياض: الصحيح راغبة بلا شك، وفي رواية أبي داود راغبة في عهد قريش وهي راغمة مشركة[٢]، قيل: معناه راغبة عن الإسلام أو كارهةً له، وقيل: طامعة فيما أعطيها حريصةً عليه، ومعنى راغمة بالميم كارهةً للإسلام ساخطةً له، قال الطيبي: تحريره إن قوله: راغبة إذا أطلقت من غير تقييد يقدر راغبة عن الإسلام لا غير، وإذا قرنت بقوله: وهي مشركة أو في عهد قريش يقدر راغبة في صلتي، ليطابق ما رواه أبو داود وهي راغمة، (أفاصلها؟ قال: نعم صليها) أي واعطيها ما يرضيها، قال النووي: وفيه جواز صلة القريب المشرك. (متفق عليه).

٤٩١٤ ـ (وعن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن آل

---

(١) الجامع الصغير ٢/ ٢٧٣ الحديث رقم ٤٤٥٩.

الحديث رقم ٤٩١٣: أخرجه البخاري في صحيحه ٦/ ٢٨١ الحديث رقم ٣١٨٣، ومسلم في ٢/ ٦٩٦ الحديث رقم (٢ ـ ٦٩٦)، وأحمد في المسند ٦/ ٣٤٤.

(٢) أبو داود في السنن ٢/ ٣٠٧ الحديث رقم ١٦٦٨.

الحديث رقم ٤٩١٤: أخرجه البخاري في صحيحه ١٠/ ٤١٩ الحديث رقم ٥٩٩٠، ومسلم في ١/ ١٩٧ الحديث رقم (٣٦٦ ـ ٢١٥)، والترمذي في السنن ٥/ ٣١٦ الحديث رقم ٣١٨٥، والنسائي في ٦/ ٢٤٨ الحديث رقم ٣٦٤٤، وأحمد في المسند ٢/ ٥١٩.

عمرانٍ ليسوا لي بأولياء، إنما ولييَ اللهُ وصالحُ المؤمنين، ولكن لهم رَحِمٌ أَبلُّها ببلالها».
متفق عليه.

٤٩١٥ ـ (٥) وعن المغيرة[٣٦٨ ـ ب ـ] قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إنَّ الله حرَّم عليكم عقوقَ الأمهاتِ،

أبي) أي أبي فلان كما في نسخة صحيحة، فقيل: هو كناية من بعض الرواة خوفاً من الفتنة، والمكنى عنه هو أبو سفيان بن حرب، وقيل: هو الحكم بن العاص، والأظهر أنه على العموم من طوائف قريش أو بني هاشم أو أعمامه وهو ظاهر الحديث أي أهل أبي (**ليسوا لي بأولياء**) لأنه كما قال تعالى: ﴿**إن أولياؤه إلا المتقون**﴾ [الأسراء ـ ٣٤] وأشار إليه بقوله: (**إنما وليي الله**) وفي نسخة بياء واحدة مشددة مفتوحة، وروي مكسورة (**وصالح المؤمنين**) أي صلحاؤهم، والمراد بالصالح الجنس، ولذلك عم بالإضافة وهو مقتبس من قوله تعالى: ﴿**فإن الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين**﴾ [التحريم ـ ٤] وكذلك في قوله: ﴿**إن وليي الله الذي أنزل الكتاب وهو يتولى الصالحين**﴾ [الأعراف ـ ١٩٦] إيماء إلى هذا المعنى، وفي رواية الطبراني عن أنس مرفوعاً آل محمد كل تقي، وقيل: المراد بصالح المؤمنين الأنبياء، وقيل: أبو بكر وعمر، وقيل: علي، والصحيح العموم، قال التوربشتي: المعنى إني لا أوالي أحداً بالقرابة، وإنما أحب الله سبحانه وأوالي من والى بالإيمان والصلاح وأراعي لذوي الرحم حقهم بصلة الرحم، وهذا معنى قوله: (**ولكن لهم**) أي لآل أبي (**رحم**) أي قرابة أعم من ذي محرم أو غيره (**أبلها**) بضم الموحدة واللام المشددة أي أصلها (**ببلالها**) بكسر الموحدة الثانية ويفتح أي بصلتها والإحسان إليها، والأصل في معناه أن يقال: «أنديها بما يجب أن تندى لئلا تنقطع، وأصلها بما ينبغي أن توصل به» يقال: الوصل بل بوجب الالتصاق والاتصال والهجر يبس يفضي إلى التعنت والانفصال، فالبلال بالكسر ما يبل به الحلق من الماء واللبن، والمراد به ههنا ما يوصل به الرحم من الإحسان، وقال بعض الشراح، يروى بفتح الباء على المصدر ويكسرها جمع بلل مثل جمل وجمال، وقيل: الكسر أوجه ومنه قوله عليه السلام على ما رواه البزار عن ابن عباس والطبراني عن أبي الطفيل والبيهقي عن أنس وسويد بن عمر ومرفوعاً بلوا أرحامكم ولو بالسلام» أي صلوها وندوها، والعرب تقول للقطيعة: اليبس شبه قطيعة الرحم بالحرارة تطفأ بالماء وتندى بالصلة. (**متفق عليه**).

٤٩١٥ ـ (**وعن المغيرة**) أي ابن شعبة الثقفي أسلم عام الخندق وقدم مهاجراً بالكوفة وهو أميرها لمعاوية، (**قال: قال رسول الله ﷺ: إن الله حرّم عليكم عقوق الأمهات**) أي مخالفتهن من العق وهو القطع والشق، المراد صدور ما يتأذى به أحد الوالدين من ولده عرفاً بقول أو فعل، وخصّ الأمهات بالذكر للاهتمام بشأنهن وضعفهن، ويمكن أن يكون من قبيل الاكتفاء،

الحديث رقم ٤٩١٥: أخرجه البخاري في صحيحه ١٠/ ٤٠٥ الحديث رقم ٥٩٧٥، ومسلم في ٣/ ١٣٤١ الحديث رقم (١٢ ـ ٥٩٣)، والدارمي في ٢/ ٤٠١ الحديث رقم ٢٧٥١، وأحمد في المسند ٤/ ٢٦٤.

ووأْدَ البناتِ، ومنعَ وهاتِ. وكره لكم قيلَ وقالَ، وكثرةَ السؤالِ،

يذكر أحد الشيئين من الآخر كقوله تعالى: ﴿وسرابيل تقيكم الحر﴾ [النحل ـ ٨١] أي الحر والبرد، وقال الخطابي: لم يخص الأمهات بالعقوق، فإن عقوق الآباء محرّم أيضاً، ولكن نبه بأحدهما عن الآخر فإن بر الأم مقدّم على بر الأب إلا أن لعقوق الأمهات مزية في القبح، وحق الأب مقدّم في الطاعة وحسن المتابعة لرأيه، والنفوذ لأمره، وقبول الأدب منه. (ووأد البنات) بسكون الهمز ويبدل أي دفنهن حيّات، قيل: قدّم حقوق الأمهات لأنهن الأصول وعقبه بوأد البنات لأنهنّ الفروع، فكان ذلك تنبيهاً على أن أكبر الكبائر قطع النسل الذي هو موجب لخراب العالم (ومنع) بسكون النون ويفتح وبفتح العين على أنه مصدر أو ماض، وفي رواية الجامع الصغير ومنعاً بالتنوين (وهات) بكسر التاء وهو اسم فعل بمعنى اعط، وعبّر بهما عن البخل والسؤال أي كره أن يمنع الرجل ما عنده ويسأل ما عند غيره، قيل: ولم ينوّن على رواية المصدر لأن المضاف إليه محذوف منه مراداً أي كره منع ما عنده، وقول: هات، وفي النهاية أي حرّم عليكم منع ما عليكم عطاؤه وطلب ما ليس لكم أخذه اهـ. وقيل: نهى عن منع الواجب من أمواله وأقواله وأفعاله وأخلاقه من الحقوق اللازمة فيها، ونهى عن استدعاء ممّا لا يجب عليهم من الحقوق، وتكليفه إياهم بالقيام بما لا يجب عليهم، فكأنه ينتصف ولا ينتصف، وهذا من أسمج الخلال (وكره) بكسر الراء، وفي نسخة بتشديدها مع فتحها في القاموس كرهه كسمعه وكرهه إليه تكريهاً صيّره كريهاً (لكم)أي لأجلكم (قيل: وقال) بصيغتي المجهول والمعلوم للماضي، في الفائق نهى عن فضول ما يتحدّث به المجالسون من قولهم: قيل كذا، وقال: كذا، وبناؤهما على كونهما فعلين محكيين متضمّنين للضمير، والإعراب على إجرائهما مجرى الأسماء خاليين من الضمير، ومنه قوله: إنّما الدنيا، قال: وقيل: وإدخال حرف التعريف عليهما لذلك في قولهم: يعرف من القيل، وفي النهاية، وهذا النهي إنّما يصح في قول لا يصح ولا يعلم حقيقته فأمّا من حكى ما يصح ويعرف حقيقته وأسنده إلى ثقة صادق فلا وجه للنهي عنه ولا ذم، وقال أبو عبيد: فيه تجوّز عربية، وذلك أنه يجعل كلاً من القيل والقال مصدراً كأنه نهى عن قيل، وقول: يقال قلت: قولاً وقالاً، وقيلاً، وهذا التأويل على أنهما اسمان، وقيل: أراد النهي عن كثرة الكلام مبتدئاً ومجيباً، وقيل: هذا الكلام يتضمّن بعمومه حرمة النميمة والغيبة، فإن تبليغ الكلام من أقبح الخصال، والإصغاء إليها من أفحش الفعال. وقال شارح قوله: قيل وقال، إما مصدران أتى بهما للتأكيد وحذف التنوين لإرادة المضاف إليه المحذوف أي كره لكم قيل: وقال ما لا فائدة فيه أو ماضيان، وفيه تنبيه على ترك الخوض في إخبار الناس وتتبع أحوالهم حكاية أقوالهم وأفعالهم. وقال السيوطي: المراد بها كثرة الكلام لأنها تؤول إلى الخطأ في الحرام وقيل: حكاية أقاويل الناس والبحث عنها ليخبر بها ويقول: قال فلان كذا، وقيل له: كذا، والنهي إما للزجر عن الاستكثار منه أو لشيء مخصوص وهو أن يكرهه المحكي عنه ثم هما فعلان ذكرا على الحكاية، وقيل: اسمان مصدران بمعنى القول، وللكشميهني قيل وقال بالتنوين. (وكثرة السؤال) بالهمز ويبدل، وفيه وجوه أحدها ما في الفائق السؤال عن أمور الناس وكثرة البحث عنها، وثانيها مسألة الناس

وإضاعة المال». متفق عليه.

٤٩١٦ ـ (٦) وعن عبد الله بن عمرو، قال: قال رسول الله ﷺ: «من الكبائر شتمُ الرجلِ والديه». قالوا: يا رسول الله! وهل يشتمُ الرجلُ والديه؟ قال: «نعم، يسبُّ أبا الرجل، فيسبُّ أباه؛ ويسبُّ أمَّه، فيسبُّ أمَّه».

أموالهم قال التوربشتي: ولا أرى حمله على هذا، فإن ذلك مكروه وإن لم يبلغ حد الكثرة، وثالثها كثرة السؤال في العلم للامتحان وإظهار المراء، وقيل: بلا حاجة أو مطلقاً، فإنه قد يفضي به إلى ما لا يعنيه، ورابعها كثرة سؤال النبي ﷺ، قال تعالى: ﴿**لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم**﴾ [المائدة ـ ١٠١] **(وإضاعة المال)**، في الفائق هو إنفاقه في غير طاعة الله والسرف. قال الطيبي: قيل: والتقسيم الحاصر فيه الحاوي بجميع أقسامه أن تقول: إن الذي يصرف إليه المال إما أن يكون واجباً كالنفقة والزكاة ونحوهما فهذا لا ضياع فيه، وهكذا إن كان مندوباً إليه، وإما أن يكون مباحاً ولا إشكال إلا في هذا القسم إذ كثير من الأمور يعده بعض الناس من المباحات، وعند التحقيق ليس كذلك كتشييد الأبنية وتزيينها والإسراف في النفقة والتوسع في لبس الثياب الناعمة والأطعمة الشهية اللذيذة وأنت تعلم أن قساوة القلب، وغلظ الطبع يتولد من لبس الرقاق، وأكل الرقاق وسائر أنواع الارتفاق، ويدخل فيه تمويه الأواني والسقوف بالذهب والفضة وسوء القيام على ما يملكه من الرقيق والدواب حتى تضيع وتهلك، وقسمة مالا ينتفع الشريك به كاللؤلؤة والسيف يكسران، وكذا احتمال الغبن الفاحش في البياعات وإيتاء المال صاحبه وهو سفيه حقيق بالحجر، وهذا الحديث أصل في معرفة حسن الخلق الذي هو منبع الأخلاق الحميدة والخلال الجميلة قلت: وهو من جوامع الكلم وبدائع الحكم، ومثل يدل على جواز السجع حيث لا تكلّف. **(متفق عليه)**.

٤٩١٦ ـ **(وعن عبد الله بن عمرو)** أي ابن العاص رضي الله عنهما **(قال: قال رسول الله ﷺ: من الكبائر)** يا أي من جملتها أو بعضها **(شتم الرجل والديه)** أي سبه إياهما أو أحدهما ولو تسبباً **(قالوا: يا رسول الله وهل يشتم)** بكسر عينه ويضم أي يسب **(الرجل والديه)** أي هل يقع ذلك **(قال: نعم)** أي يقع حقيقة تارة، وهو نادر ومجازاً أخرى، وهو كثير لكن ما تعرفونه ثم بينه بقوله: **(يسب أبا الرجل فيسب)** أي الرجل **(أباه)** أي أبا من سبه **(ويسب)** أي تارة أخرى، وقد يجمع ويسب أيضاً **(أمه)** أي أم الرجل **(فيسب)** أي الرجل **(أمه)** أي أم سابه وفي الجمع بين الشتم والسب تفنن، ففي القاموس شتمه يشتمه ويشتمه سبه وقد يفرق بينهما ويقال: السب أعم، فإنه شامل للعن أيضاً بخلاف الشتم، وأصل السب على ما في القاموس سبّه قطعه وطعنه في السبّة أي الأست وشتمه والسبة بضم العار، وقيل: وإنما ذلك من الكبائر إذا كان

الحديث رقم ٤٩١٦: أخرجه البخاري في صحيحه ١٠/ ٤٠٣ الحديث رقم ٥٩٧٣، ومسلم في ١/ ٩٢ الحديث رقم (١٤٦ ـ ٩٠)، وأبو داود في السنن ٥/ ٣٥٢ الحديث رقم ٥١٤١، والترمذي في السنن ٤/ ٢٧٦ الحديث رقم ١٩٠٢، وأحمد في المسند ٢/ ١٦٤.

متفق عليه.

٤٩١٧ ـ (٧) وعن ابن عُمر، قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ من أبرِّ البِرِّ صِلَةَ الرجلِ أهلَ وُدِّ أبيه بعد أن يُوَلِّي».

الشتم مما يوجب حداً كما إذا شتمه بالزنا والكفر وقال له: أبوك زان أو كافر أو نحوهما، فقال في جوابه: بل أبوك كافر أو زان أما إذا شتمه بما دون ذلك بأن قال له: أبوك أحمق أو جاهل أو نحوهما فلا يكون من الكبائر قلت: «إذا كان بعض أفراده كبيرة فيصدّق عليه أنه من الكبائر قال الطيبي: ويمكن أن يقال: إنه من الكبائر مطلقاً لأن سبب السب سب، فكأنه واجه أباه بقوله: «أنت أحمق وجاهل»، ولا شك أن هذا من الكبائر وقد قال تعالى: **﴿ولا تقل لهما أفٍ ولا تنهرهما﴾** [الإسراء ـ ٢٣] ونحوه قوله تعالى: **﴿ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدواً بغير علم﴾** [الأنعام ـ ١٠٨] قلت: السب لا يصح أن يكون كبيرة لا سيما إذا وجد من غير قصد، ألا ترى أنه من سب رافضياً أو خارجياً فسب أحدهما بعض الصحابة لا يعد الأول ساباً، وكذا إذا سب أحد بعض الكفار فيسبوا الله فإنه لا يصير كافراً، نعم ما يتوسّل به إلى الحرام حرام لكن بشرط وعلمه. قال النووي: وفيه قطع «بتحريم الوسائل والذرائع فيؤخذ منه النهي عن بيع العصير لمن يتخذ الخمر، والسلاح ممّن يقطع الطريق» ونحو ذلك قلت: ويؤخذ هذا الحكم من قوله: **﴿وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان﴾** [المائدة ـ ٢]. **(متفق عليه)**. وروى ابن أبي الدنيا في ذم الغضب عن أبي هريرة مرفوعاً من الكبائر استطالة الرجل في عرض رجلٍ مسلم، ومن الكبائر السبتان بالسبة.

٤٩١٧ ـ **(وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «إن من أبر البر»)** أي أفضله بالنسبة إلى والده، وكذا الوالدة أو هي بالأولى. **(صلة الرجل أهل ود أبيه)** بضم الواو أي أصحاب مودّته ومحبته، وفي القاموس الود الحب والمحب ويثلث اهـ، وإرادة المعنى الثاني أبلغ هنا كما لا يخفى. **(بعد أن يولي)** بتشديد اللام المكسورة أي يدبر ويغيب بسفر أو موت، وهو الأظهر لكونه أبعد من الرياء والسمعة فيكون أخلص، فأجره أكثر، ولما رواه أبو يعلى في مسنده وابن حبان في صحيحه: «من أحب أن يصل أباه في قبره فليصل إخوان أبيه من بعده»[1]. قال التوربشتي: هذه الكلمة ممّا يتخبط الناس فيها، والذي أعرفه هو أن الفعل مسند إلى أبيه أي بعد أن يغيب أبوه أو يموت من ولى يولي، ويؤيّده حديث أبي أسيد الساعدي يعني الآتي: «إنفاذ عهدهما من بعدهما، وصلة الرحم التي لا توصل إلا بهما، وإكرام صديقهما». قال الطيبي: وهكذا صحّح في جامع الأصول ومشارق الأنوار أن يولي بضم الياء وفتح الواو

الحديث رقم ٤٩١٧: أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ١٩٧٩ الحديث رقم (١٣ ـ ٢٥٥)، وأبو داود في السنن ٥/ ٣٥٣ الحديث رقم ٥١٤٣، والترمذي في ٤/ ٢٧٦ الحديث رقم ١٩٠٣، وأحمد في المسند ٢/ ٨٨.

(١) ابن حبان في ٢/ ١٧٥ الحديث رقم ٤٣٢.

رواه مسلم.

٤٩١٨ ـ (٨) وعن أنس، قال: قال رسول الله ﷺ: «من أحبَّ أن يُبسَطَ لهُ في رِزقِهِ ويُنسَأ له في أثرِهِ؛ فليصِلْ رحمه».

وكسر اللام المشدّدة قلت؛ ولعلّ الخبط جاء من قبيل الضبط بأن ضبط يولي مجهولاً أو معلوماً من التولي أو من قبل الإسناد حيث أسند إلى أهل ود أبيه والله أعلم. ثم المعنى «إن من جملة المبرّات الفضلى مبرّة الرجل من أحباء أبيه، فإن مودّة الآباء قرابة الأبناء»، وخلاصته أنه إذا غاب الأب أو مات يحفظ أهل ودّه يحسن إليهم، فإنه من تمام الإحسان إلى الأب، وإنما كان أبرّ لأنه إذا حفظ غيبه فهو بحفظ حضوره أولى، وإذا راعى أهل ودّه فكأن مراعاة أهل رحمه أحرى. (رواه مسلم).

٤٩١٨ ـ (وعن أنس رضي الله عنه أحب أن يبسط) بصيغة المجهول أي يوسع (له في رزقه) أي في دنياه أو آخرته. (وينسأ) بضم فسكون ففتح فنصب فهمزة أي يؤخّر له (في أثره) بفتحتين أي أجله (فليصل رحمه). في النهاية النسأ التأخير، يقال: نسأت الشيء نسأ وأنسأته إذا أخرته، والنساء الاسم، ويكون في العمر والدين والأثر والأجل ويسمّى به لأنه يتبع العمر. قال زهير:

يسعى الفتى لأمور ليس يدركها ... والنفس واحدةٌ والهم منتشرُ
والمرء ما عاش ممدودٌ له أمل ... لا ينتهي العمر حتى ينتهي الأثرُ

وأصله من أثر مشيه في الأرض، فإن من مات لا يبقى له أثر فلا يرى لإقدامه في الأرض أثر. قال النووي في تأخير الأجل. سؤال مشهور وهو أن الآجال والأرزاق مقدّرة ولا تزيد ولا تنقص، فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون، وأجاب العلماء بوجوه أحدها أن الزيادة بالبركة في العمر بسبب التوفيق في الطاعات وعمارة أوقاته بما ينفعه في الآخرة وصيانتها عن الضياع وغير ذلك، وثانيها أنه بالنسبة إلى ما يظهر للملائكة في اللوح المحفوظ ونحو ذلك، فيظهر لهم في اللوح أن عمره ستون سنة إلا أن يصل رحمه فإن وصلها زيد له أربعون وقد علم الله تعالى ما سيقع له من ذلك، وهو من معنى قوله تعالى: ﴿يمحو الله ما يشاء ويثبت﴾ [الرعد ـ ٣٩] فبالنسبة إلى علم الله تعالى وما سبق قدره لا زيادة بل هي مستحيلة، وبالنسبة إلى ما ظهر للمخلوقين يتصوّر الزيادة وهو مراد الحديث، وثالثها أن المراد بقاء ذكره الجميل فكأنه لم يمت وهو ضعيف اهـ. وإنما قال: في القول الأوسط أنه مراد الحديث، لأن الأول أيضاً يرجع إليه، فإن بركة العمر وتوفيق العمل من جملة المقدّرات التي لا تزيد ولا تنقص في الحقيقة وكذا الأخير، وإنجما ضعفه لأنه من جملة الصيت المشتمل على الرياء والسمعة غالباً فلا يصح أن يكون مراد الحديث، وإن كان له وجه في الجملة على أنه ورد في

الحديث رقم ٤٩١٨: أخرجه البخاري في صحيحه ١٠/ ٤١٥ الحديث رقم ٥٩٨٦، ومسلم في ٤/ ١٩٨٢ الحديث رقم (٢١ ـ ٢٥٥٧)، وأبو داود في السنن ٢/ ٣٢١ الحديث رقم ١٦٩٣.

متفق عليه.

٤٩١٩ ـ (٩) وعن أبي هريرةَ، قال: قال رسول الله ﷺ: «خلق اللَّهُ الخلقَ، فلما فرَغ منه قامتِ الرَّحِمُ فأخذت بحقوي الرحمنِ فقال: مه؟ قالت: هذا مقام العائذ بك

غير حديث أن صلة الرحم تزيد في العمر فإرادة غير الأجل المتعارف خلاف الحقيقة والعدول منها إلى المجاز غير جائز بلا ضرورة، وقد غفل الطيبي عن هذا المعنى فتعقب النووي على غير المبني فقال: وكان هذا الوجه أظهر، فإن أثر الشيء حصول ما يدل على وجوده، فمعنى يؤخّر في أثره أي يؤخّر ذكره الجميل بعد موته أو يجري له ثواب عمله الصالح بعد موته قال تعالى: ﴿ونكتب ما قدموا وآثارهم﴾ [يس ـ ١٢] قلت: وفيه إن المعنى الثاني عام غير مخصوص بواصل الرحم. بقي الأوّل قال: وعليه كلام صاحب الفائق حيث قال: يجوز أن يكون المعنى أن الله يبقي أثر واصل الرحم في الدنيا طويلاً فلا يضمحل سريعاً كما يضمحل أثر قاطع الرحم، قلت: كيف يجوز ما عبّر عنه الفائق بيجوز أن يكون هو الأظهر في مراد الحديث والله أعلم. (متفق عليه). ورواه أبو داود والنسائي عن أنس وأحمد والبخاري أيضاً عن أبي هريرة.

٤٩١٩ ـ (وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «خلق الله الخلق») أي قدّر المخلوقات في العلم السابق على ما هو عليه وقت وجودهم (فلمّا فرغ منه) أي لمّا صح ذلك ووقع ما هنالك، قال التوربشتي: أي قضاه وأتمه أو نحو ذلك ممّا يشهد بأنه مجاز القول فإنه سبحانه وتعالى لا يشغله شأن عن شأن حتى يطلق عليه الفراغ الذي هو ضد الشغل (قامت الرحم) أي قيام صورة مصوّرة أو معنوية مقدّرة (فأخذت بحقوي الرحمن) أي بكتفي رحمته العامة والخاصة؛ والحقو بفتح الحاء وسكون القاف الإزار والخصر ومعقد الازار في اللغة، والمراد به هنا والله أعلم الاستعارة عن الاستغاثة والاستعانة كما يقال: «أخذت بذيل الملك حتى أنصفني»، وتوضيحه أنه لمّا كان من شأن المستجير أن يستمسك بحقوي المستجار به وهما جانباه الأيمن والأيسر استعير الأخذ بالحقو في اللياذ بالشيء تقول العرب: عذت بحقو فلان أي استجرت واعتصمت به، والحاصل أن الرحم استعاذت بلسان القال أو ببيان الحال، والتجأت وعاذت بعزّة الله وعظمته من أن يقطها أحد، ووجه تخصيص الرحمن لا يخفى من مناسبة المبنى والمعنى ولا يبعد أن يقال: التقدير بحقوي عرش الرحمن أي بطرفيه أو أطراف ذيله متردّدة من جانب إلى جانب كما يدل عليه حديث عائشة الآتي: «الرحم معلقة بالعرش»، (فقال: مه) بفتح ميم وسكون هاء اسم فعل أي اكففي وامتنعي عن هذا الالتجاء، فإن حاجتك مقضية، والأظهر أن يكون استفهاماً وقلبت الألف هاء ويمكن حذف ألف الاستفهام ثم إتيان هاء السكت، والمعنى ما يقول، والمراد منه الأمر بإظهار الحاجة ليعلم الاعتناء بها لا الاستعلام، فإنه يعلم السر وأخفى (قالت: هذا) أي مقامي هذا (مقام العائذ) أي المستعيذ بك

الحديث رقم ٤٩١٩: أخرجه البخاري في صحيحه ١٠/٤١٧ الحديث رقم ٥٩٨٧ ومسلم في ٤/١٩٨٠ الحديث رقم (١٦ ـ ٢٥٥٤)، وأحمد في المسند ١/١٩١.

من القطيعةِ. قال: ألا ترضَيْنَ أن أصِلَ من وصَلَكِ، وأقطعَ من قطَعَكِ؟ قالت: بلى يا ربِّ! قال: فذاكِ». متفق عليه.

٤٩٢٠ ـ (١٠) وعنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «الرحم شِجْنَةٌ من الرحمن. فقال الله: من وصلَكِ وصَلْتُه، ومن قَطَعَكِ قطعتُه». رواه البخاري.

٤٩٢١ ـ (١١) وعن عائشة، قالت: قال رسول الله ﷺ: «الرحم مُعلَّقَةٌ بالعرش

(من القطيعة) أي قطيعتي، والمعنى أن سبب عياذي وباعث لياذي بذيل رحمتك التي وسعت كل شيء أن يقطعني أحد فيقع في غضبك وسخطك (قال: ألا ترضين) بفتح الضاد أي ألا تحبين (أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك قالت: بلى يا رب) أي أرضى بذلك فإنك الرب تربي من تشاء بما تشاء وتعطي من تشاء ما تشاء (قال: فذاك) بكسر الكاف مبتدأ أو خبره محذوف أي لك، والمعنى أفعل، ما قلت؛ من الوصل والقطع، قال النووي: الرحم التي توصَل وتقطع إنما هي معنى من المعاني، والمعاني لا يتأتى منها القيام ولا الكلام فيكون المراد تعظيم شأنها وفضيلة واصلها، وعظم اثم قاطعها، ولا خلاف أن صلة الرحم واجبة في الجملة وقطيعتها معصية كبيرة، وللصلة درجات بعضها أرفع من بعض، وأدناها ترك المهاجرة، وصلتها بالكلام ولو بالسلام، ويختلف ذلك باختلاف القدرة والحاجة، فمنها واجب ومنها مستحب، ولو وصل بعض الصلة ولم يصل غايتها ولا يسمّى قاطعاً، ولو قصر عمّا يقدر عليه، وينبغي له أن يفعله لا يسمّى واصلاً.

٤٩٢٠ ـ (وعنه) أي عن أبي هريرة رضي الله عنه (قال: قال رسول الله ﷺ: الرحم)، قال السيوطي: أي رحم الأقارب كيف كانوا (شجنة) بكسر الشين المعجمة وبضم وسكون الجيم فنون، وفي القاموس أنها مثلثة، وضبط في النهاية بالكسر والضم، وبعض الشراح، بالكسر والفتح وهي في الأصل عروق الشجر المشتبكة، والمراد منها هنا أنها مشتقة (من الرحمن) أي من الرحم المشتق من اسم الرحمن، فكأنها مشتبكة به اشتباك العروق، وقيل: في وجه الشجنة أن حروف الرحم موجود في اسم الرحمن ومتداخلة كتداخل العروق لكونهما من أصل واحد، والمعنى أنها أثر من آثار رحمته ومشتبكة بها، فالقاطع منها قاطع من رحمة الله، والواصل فيها واصل إلى رحمته تعالى كما بينه ﷺ بقوله: (فقال الله: من وصلك) أي أيها الرحمن بالصلة (وصلته) أي بالرحمة (ومن قطعك قطعته) أي عنها. (رواه البخاري)، وكذا أبو داود ولكن عن عائشة.

٤٩٢١ ـ (وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «الرحم معلقة بالعرش»)

الحديث رقم ٤٩٢٠: أخرجه البخاري في صحيحه ١٠/ ٤١٧ الحديث رقم ٥٩٨٨، والترمذي في ٤/ ٢٨٥ الحديث رقم ١٩٢٤، وأحمد في المسند ٢/ ١٦٠.

الحديث رقم ٤٩٢١: أخرجه البخاري في صحيحه ١٠/ ٤١٧ الحديث رقم ٥٩٨٩، ومسلم في ٤/ ١٩٨١ الحديث رقم (١٧ ـ ٢٥٥٥)، وأحمد في المسند ٦/ ٦٢.

تقول: من وصلني وَصَلَهُ الله، ومن قطعني قطعَهُ الله». متفق عليه.

٤٩٢٢ ـ (١٢) وعن جبيرِ بنِ مُطْعِم، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «لا يدخلُ الجنة قاطعٌ» متفق عليه.

٤٩٢٣ ـ (١٣) وعن ابن عمرو، قال: قال رسول الله ﷺ: «ليس الواصلُ بالمكافىء،

أي مستمسكة بعرش الرحمن متعلّقة بذيله مستجيرة من القطيعة مخبرة عن حكم الصلة (تقول) أي بطريق الإخبار بداية ورواية وحكاية وتلذذاً بما سمعت من الله تعالى أو على سبيل الدعاء (من وصلني وصله الله) أي بحسن رعايته وبجميل حمايته (ومن قطعني قطعه الله) أي عن عين عنايته، ومن كمال رحمته ورأفته، فالوصل كناية عن الإقبال إليه والقبول منه، والقطع عبارة عن الغضب عليه والإعراض عنه. قال النووي: واختلفوا في حد الرحم التي يجب صلتها فقيل: «في كل رحم محرم بحيث لو كان أحدهما ذكراً والآخر أنثى حرمت مناكحتهما فعلى هذا لا يدخل أولاد الأعمام وأولاد الأخوال» واحتج هذا القائل بتحريم بين المرأة وعمّتها أو خالتها في النكاح ونحوه، وجواز ذلك في بنات الأعمام، وقيل: هو عام في كل رحم من ذوي الأرحام في الميراث يستوي المحرم وغيره، ويدل عليه قوله ﷺ «ثم أدناك ثم أدناك» قلت: وهذا هو الصحيح لقوله تعالى: ﴿وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله﴾ وأما ما قاله القائل الأول فإنما هو تعريف ذي رحم محرم لا مطلق الرحم، والله أعلم. (متفق عليه). وفي الجامع أسنده إلى مسلم والله أعلم.

٤٩٢٢ ـ (وعن جبير بن مطعم) مرّ ذكره (قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يدخل الجنة قاطع») أي للرحم أو للطريق، ويدل على الأول إيراده في هذا الباب مع أنه يمكن أن يكون باعتبار أحد معنييه. قال النووي: قد سبق نظائره مما حمل تارة على من يستحل القطيعة بلا سبب ولا شبهة مع علمه بتحريمها، وأخرى لا يدخلها مع السابقين. قلت: وأخرى لا يدخلها مع الناجين من العذاب. (متفق عليه)، ورواه أحمد وأبو داود والترمذي.

٤٩٢٣ ـ (وعن ابن عمرو) بالواو، وفي نسخة بلا واو. قال ميرك: الصحيح أن راوي هذا الحديث عبد الله بن عمرو بن العاص لا ابن عمر، والله أعلم. قلت: وكذا أسنده السيوطي في الجامع الصغير إلى ابن عمرو (قال: قال رسول الله ﷺ: «ليس الواصل») أي واصل الرحم (بالمكافىء) بكسر فاء فهمز أي المجازي لأقاربه أن صلة فصلة وإن قطعا فقطع، والمراد به

الحديث رقم ٤٩٢٢: أخرجه البخاري في صحيحه ١٠/ ٤١٥ الحديث رقم ٥٩٨٤، ومسلم في ٤/ ١٩٨١ الحديث رقم (١٨ ـ ٢٥٥٦)، وأبو داود في السنن ٢/ ٣٢٣ الحديث رقم ١٦٩٦، والترمذي في ٤/ ٢٧٩ الحديث رقم ١٩٠٩، وأحمد في المسند ٤/ ٨٠.

الحديث رقم ٤٩٢٣: أخرجه البخاري في صحيحه ١٠/ ٤٢٣ الحديث رقم ٥٩٩١، وأبو داود في السنن ٢/ ٣٢٣ الحديث رقم ١٦٩٧، والترمذي في السنن ٤/ ٢٧٩ الحديث رقم ١٩٠٨، وأحمد في المسند ٢/ ١٦٠.

ولكنَّ الواصلَ الذي إذا قُطعَتْ رَحِمُهُ وَصَلَها». رواه البخاري.

٤٩٢٤ ـ (١٤) وعن أبي هريرة، أن رجلاً قال: يا رسول الله! إن لي قَرابة أصِلُهم ويقطعوني، وأُحْسِنُ إليهم ويسيؤونَ إليَّ، وأحْلمُ عنهم ويجهلون عَلَيَّ. فقال: «لئن كنتَ كما قلتَ فكأنما تُسفُّهم

نفي الكمال (ولكن الواصل) بتشديد النون وفتح اللام، وفي نسخة بتخفيف النون وكسرها للالتقاء ورفع اللام أي ولكن الواصل الكامل (الذي إذا قطعت) بصيغة المجهول (رحمه) بالرفع على نيابة الفاعل، ويؤيده رواية الجامع «إذا انقطعت رحمه»، وفي نسخة بصيغة الخطاب ونصب رحمه على المفعولية. (وصلها) أي قرابته التي تقطع عنه، وهذا من باب الحث، على مكارم الأخلاق كقوله تعالى: ﴿ادفع بالتي هي أحسن السيئة﴾ [فصلت ـ ٣٤] في آية أخرى: ﴿ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم﴾ [فصلت ـ ٣٤] ﴿وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم﴾ [فصلت ـ ٣٥] ومنه قوله ﷺ على ما رواه البخاري عن علي: «صل من قطعك وأحسن إلى من أساء إليك، وقل الحق ولو على نفسك». هذا وقد قال الطيبي: التعريف الواصل للجنس أي ليس حقيقة الواصل ومن يعتد بوصله من يكافىء صاحبه بمثل فعله، ونظيره قولك: هو ليس بالرجل بل الرجل من يصدر منه المكارم والفضائل، والرواية في لكن بالتشديد وإن جاز التخفيف. (رواه البخاري)، وكذا أحمد وأبو داود والترمذي وابن حبان.

٤٩٢٤ ـ (وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلاً قال: «يا رسول الله أن لي قرابة») أي ذوي قرابة (أصلهم ويقطعوني) بتشديد النون ويخفف، وكأنه أراد بالوصل المأتي إليهم وبالقطع ضده ولذا قال: (وأحسن إليهم) أي بالبر والوفاء (ويسيؤون إلي) أي بالجور والجفاء (واحلم عنهم) أي بالعفو والتحمل (ويجهلون علي) أي بالسب والغضب، وكان لفظة على ساقطة في أصل الطيبي فقال قوله: ويجهلون متعلقة بمحذوف أي علي يعني يغضبون ثم هذا كما قال بعض الشعراء:

وإن الذي بيني وبين بني أبي ... وبين بني عمي لمختلف جدا
إذا أكلوا لحمي وفرت لحومهم ... وإن هدموا مجدي بنيت لهم مجدا
وإن ضيعوا غيبي حفظت غيوبهم ... وإن هم هووا عني هويت لهم رشدا

(فقال:) أي النبي ﷺ (لئن كنت كما قلت) أي إن كان مقولك كما قلت، أو إن كنت مثل ما قلت من الأوصاف الجميلة والأخلاق الجزيلة (فكأنما) بالفاء (تسفهم) بضم فكسر فتشديد فاء من باب الأفعال مأخوذ من السفوف بالفتح يقال: سففته بالكسر أسفه وأسففته

الحديث رقم ٤٩٢٤: أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ١٩٨٢ الحديث رقم (٢٢ ـ ٢٥٥٨) وأحمد في المسند ٢/ ٣٠٠.

المَلّ، ولا يزالُ مَعَكَ من الله [٣٦٩ ـ أ ـ] ظهير عليهم مَا دُمْتَ على ذلك». رواه مسلم.

الفصل الثاني

٤٩٢٥ ـ (١٥) عن ثوبانَ، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يرُدُّ القدرَ إلا الدعاءُ، ولا يزيدُ في العمر إلا البرُّ».

غيري أي تلقي في وجوههم (المل) بفتح الميم وتشديد اللام أي الرماد الحار الذي يدفن فيه الخبز (لينضج) أي تجعل الملة لهم سفوفاً يسفونه، والمعنى إذا لم يشكروا فإن عطاءك إياهم حرام عليهم ونارٌ في بطونهم، وقال التوربشتي: أي إحسانك إليهم إذا كانوا يقابلونه بالإساءة يعود وبالاً عليهم حتى كأنك في إحسانك إليهم مع إساءتهم إياك أطعمتهم النار اهـ. وقيل: «إنك بالإحسان إليهم تخزيهم وتحقرهم في أنفسهم فصاروا كمن سف المل»، وقيل: «بإحسانك إليهم كالمل يحرق أحشاءهم» وقيل: «يجعل وجوههم كلون الرماد». هذا وقال الطيبي: قوله: فكأنما في المصابيح، ومسلم وكتاب الحميدي وجامع الأصول بالفاء، والظاهر باللام لأن اللام في قوله: «لئن كنت» موطئة للقسم وهذه جوابه سد مسد جواب الشرط اللهم إلاّ أن يعكس ويجعل جزاء الشرط ساداً مساد جواب القسم، وقد ورد في شرح السنة لكأنما (ولا يزال معك من الله) أي من عنده (ظهير عليهم) أي معين لك عليهم ودافع عنك أذاهم (ما دمت على ذلك) أي ما ذكرت من إحسانك وإساءتهم، فالجملة عطف على قوله: لئن قلت: «وإن عطفت عليّ فكأنما فقوله: ما دمت واقع موقع التأكيد وإشعار بأن هذا هو المسلك السديد، وإن كان على النفس لشديد. (رواه مسلم).

الفصل الثاني

٤٩٢٥ ـ (عن ثوبان) أي مولى رسول الله ﷺ رضي الله عنه (قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يرد القدر») بفتح الدال، وقد يسكن أي القضاء المعلّق (إلا الدعاء) أي المستجاب المحقّق (ولا يزيد في العمر) بضمتين، وهو الأفصح، وبضم فسكون أي أيام الحياة الفانية التي خلقت لعمارة الحياة الباقية (إلا البر) كما روي أن الدنيا مزرعة الآخرة، فالدنيا معمر والآخرة معبر. قال التوربشتي: يحتمل أن يكون المراد بالقدر أمر لولا الدعاء لكان مقدراً وبالعمر ما لولا البر لكان قصيراً، وهو القضاء المعلّق في اللوح المحفوظ المكشوف لملائكته وبعض خلّص عباده من أنبيائه وأوليائه لا من القضاء المبرم المتعلق به علم الله المعبّر عنه بأم الكتاب في قوله تعالى: ﴿يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب﴾ [الرعد ـ ٣٩]. فيكون الدعاء والبر سببين من أسباب ذلك وهما مقدران أيضاً كتقدير حسن الأعمال وسيئها اللذين من أسباب السعادة

الحديث رقم ٤٩٢٥: أخرجه ابن ماجه في السنن ٢/ ١٣٣٤ الحديث رقم ٤٠٢٢، وأحمد في المسند ٥/ ٢٧٧.

وإن الرجلَ ليُحرمُ الرزقَ بالذنبِ يصيبهُ». رواه ابن ماجه.

٤٩٢٦ ـ (١٦) وعن عائشة، قالت: قال رسول الله ﷺ: «دخلتُ الجنةَ فسمعتُ فيها قراءةً، فقلت: من هذا؟ قالوا: حارثةُ بنُ النعمانِ،

والشقاوة مع أنهما مقدّران أيضاً، والمراد برد القدر تسهيل للأمر المقدور عليه حتى يصير كأنه قد رد، والمراد بزيادة العمر البركة فيه، ففي شرح السنة ذكر أبو حاتم السجستاني في معنى الحديث أن دوام المرء على الدعاء يطيب له ورودأ القضاء، فكأنّما ردّه والبر يطيب له عيشه، فكأنّما زيد في عمره والذنب يكدر عليه صفاء رزقه إذا فكّر في عاقبة أمره، فكأنّما حرمه (وإن الرجل ليحرم) بصيغة المفعول وقوله: (الرزق) بالنصب على أنه مفعول ثان، والمعنى ليصير محروماً من الرزق (بالذنب) أي بسبب ارتكابه (يصيبه) أي حال كونه يصيب الذنب ويكتسبه. قال المظهر: له معنيان أحدهما أن يراد بالرزق ثواب الآخرة، وثانيهما أن يراد به الرزق الدنيوي من المال والصحة والعافية، وعلى هذا إشكال، فإنّا نرى الكفار والفسّاق أكثر مالاً وصحة من الصلحاء، والجواب أن الحديث مخصوص بالمسلم يريد الله به أن يرفع درجته في الآخرة فيعذّبه بسبب ذنبه الذي يصيبه في الدنيا، قلت: وهذا أيضاً من القضاء المعلّق لأن الآجال والآمال والأخلاق والأرزاق كلها بتقديره وتيسيره. (رواه ابن ماجه) وكذا ابن حبان والحاكم في صحيحيهما[١] والبغوي في شرح السنّة، ذكره ميرك، وفي الجامع الصغير «لا يرد القضاء إلا الدعاء ولا يزيد في العمر إلا البر»[٢]. رواه الترمذي والحاكم عن سلمان، وفي الحصن: «لا يرد القضاء إلاّ الدعاء ولا يزيد في العمر إلاّ البر». رواه الترمذي وابن ماجه وابن حبان والحاكم في مستدركه. قال ميرك: رواه الترمذي وابن ماجه عن سلمان والباقيان عن ثوبان، لكن في روايتهما لا يرد القدر كما نقله صاحب السلاح عنهما، وفي الترغيب للمنذري عن ثوبان كما في أصل المشكاة، وقال: رواه ابن حبان والحاكم، واللفظ له وقال: صحيح الإسناد والله أعلم.

٤٩٢٦ ـ (وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «دخلت الجنة») أي في عالم المنام لما سيأتي (فسمعت فيها قراءة) أي صوت قراءة يقرؤها أحد أو قراءة قارىء على أن التنوين عوض من المضاف إليه (فقلت: من هذا؟) أي القارىء لها (قالوا: حارثة بن النعمان) بضم أوّله شهد بدراً وأحد والمشاهد كلّها، وكان من فضلاء الصحابة، روي أنه قال: مررت على رسول الله ﷺ ومعه جبريل جالس بالمقاعد فسلّمت عليه وجزت، فلمّا رجعت وانصرف النبي ﷺ قال لي: هل رأيت الذي كان معي قلت: نعم. قال: فإنه جبريل وقد ردّ عليك السّلام، وكان قد كفّ بصره هذا، ولمّا قصّ عليهم الرؤيا كما ورد في رواية أخرى عن الزهري

---

(١) ابن حبان في ٣/ ١٥٣ الحديث رقم ٨٧٢، والحاكم في المستدرك ١/ ٤٩٣.

(٢) الجامع الصغير ٢/ ٥٨٧ الحديث رقم ٩٩٦٩.

الحديث رقم ٤٩٢٦: أخرجه البغوي في شرح السنة ١٣/ ٧ الحديث رقم ٣٤١٨، وأحمد في المسند ٦/ ١٥١ الحديث رقم ٦/ ١٥١.

كذلكم البرُّ، كذلكم البرُّ». وكان أبرَّ الناس بأمه رواه في «شرح السنة»، والبيهقي في «شعب الإيمان». وفي رواية: قال: «نِمتُ فرأيتني في الجنة» بدل: «دخلتُ الجنة».

٤٩٢٧ ـ (١٧) وعن عبد الله بن عمرٍو، قال: قال رسول الله ﷺ: «رضى الربِّ في رضى الوالدِ، وسخطُ الربِّ في سخط الوالد». رواه الترمذي.

٤٩٢٨ ـ (١٨) وعن أبي الدرداء، أنَّ رجلاً

قال: «نمت فرأيتني في الجنة» الخ خاطبهم بقوله: (**كذلكم البر**) جزاؤه أو أريد به المبالغة حيث جعل جزاء البر براً (**كذلكم البر**) كرّره للتقرير والتوكيد. قال الطيبي: المشار إليه ما سبق، والمخاطبون الصحابة، فإنه ﷺ رأى هذه الرؤيا وقصّ على أصحابه، فلمّا بلغ إلى قوله حارثة بن النعمان نبههم على سبب نيل تلك الدرجة فقال: «كذلكم البر» أي مثل تلك الدرجة تنال بسبب البر اهـ. ولا يبعد أن يكون كذلك البر من جملة مقول الملائكة والخطاب له ﷺ، وجمع تعظيماً أو أريد هو وأصحابه تغليباً (**وكان أبر الناس بأمه**) هذا من كلام الراوي، ويحتمل أن يكون من كلامه ﷺ (**رواه في شرح السنة والبيهقي في شعب الإيمان، وفي روايته**) أي رواية البيهقي (**قال: نمت فرأيتني في الجنة بدل دخلت الجنة**)، وقال الجزري: في التصحيح بعد الرواية الأولى رواه الحاكم في صحيحه وقال: صحيح على شرط الشيخين، وأقره الذهبي، ورواه البيهقي في شعبه، ورواه محيي السنة في شرح السنة من طريقين.

٤٩٢٧ ـ (**وعن عبد الله بن عمرو**) أي ابن العاص (**قال: قال رسول الله ﷺ: «رضا الرب في رضا الوالد»**)، وكذا حكم الوالدة بل هي أولى (**وسخط الرب في سخط الوالد. رواه الترمذي**). أي من طريق يعلى بن عطاء عن أبيه عن عبد الله بن عمرو بن العاص مرفوعاً وموقوفاً قال: والموقوف أصح، أخرجه ابن حبان في صحيحه مرفوعاً ولفظه: «رضا الله في رضا الوالد وسخط الله في سخط الوالد» كذا في التصحيح، وفي الجامع الصغير رواه الترمذي والحاكم عن ابن عمرو والبزار عن ابن عمر، ورواه الطبراني عن ابن عمرو ولفظه: «رضا الرب في رضا الوالدين وسخطه في سخطهما»[1]. وقال المنذري في حديث الأصل رواه الحاكم وقال: صحيح الإسناد على شرط مسلم، ورواه الطبراني من حديث أبي هريرة إلاّ أنه قال: «طاعة الله طاعة الوالد ومعصية الله معصية الوالد». رواه البزار من حديث ابن عمر أو ابن عمرو ولا يحضرني الآن أيهما، ولفظه قال: «رضا الرب تبارك وتعالى في رضا الوالدين وسخط الرب تبارك وتعالى في سخط الوالدين»[2].

٤٩٢٨ ـ (**وعن أبي الدرداء**). كان حق المؤلف أنه يذكر التابعي لتستقيم روايته («**أن رجلاً**

الحديث رقم ٤٩٢٧: أخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٢٧٤ الحديث رقم ١٨٩٩.

(١) الجامع الصغير ٢/ ٢٧٣ الحديث رقم ٤٤٥٦.

(٢) كشف الأستار ٢/ ٣٦٦ الحديث رقم ١٨٦٥، وهو عن ابن عمر رضي الله عنهما.

الحديث رقم ٤٩٢٨: أخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٢٧٥ الحديث رقم ١٩٠٠، وابن ماجه في ٢/ ١٢٠٨ =

أتاهُ، فقال: إنَّ لي أمرأة وإنَّ أمي تأمرني بطلاقها فقال له أبو الدرداء: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «الوالد أوسط أبواب الجنة، فإن شئتَ فحافظ على الباب أو ضيِّعْ». رواه الترمذي، وابن ماجه.

٤٩٢٩ ـ (١٩) وعن بَهزِ بن حكيم، عن أبيه، عن جدِّه، قال: قلت: يا رسول الله! من أبرُّ؟

أتاه» أي أبا الدرداء («فقال: أن لي امرأة وأن أمي تأمرني بطلاقها فقال له أبو الدرداء: سمعت رسول الله ﷺ يقول: الوالد أوسط أبواب الجنة»). قال القاضي: أي خير الأبواب وأعلاها. والمعنى أن أحسن ما يتوسّل به إلى دخول الجنة، ويتوصّل به إلى وصول درجتها العالية مطاوعة الوالد ومراعاة جانبه، وقال غيره: «إن للجنة أبواباً وأحسنها دخولاً لا أوسطها، وأن سبب دخول ذلك الباب الأوسط هو محافظة حقوق الوالد» اهـ. فالمراد بالولد الجنس أو إذا كان حكم الوالد هذا، فحكم الوالدة أقوى وبالاعتبار أولى، («فإن شئت فحافظ على الباب») أي داوم على تحصيله («أو ضيع») حصول الباب بترك المحافظة عليه، وهذا كلام أبي الدرداء، والمعنى فاختر خيرهما. (رواه الترمذي وابن ماجه)، وكذا ابن حبان في صحيحه وأبو داود الطيالسي والحاكم في مستدركه[1]، وصححه وأقرّه الذهبي والبيهقي في شعبه، وصححه الترمذي، ونقله ميرك عن التصحيح وقال المنذري: رواه الترمذي وغيره واللفظ وقال: ربّما قال سفيان: إن أمي أو ربّما قال: أبي قال: وهذا حديث صحيح. رواه ابن حبان في صحيحه ولفظه: «إن رجلاً أتى أبا الدرداء فقال: إن أبي لم يزل بي حتى زوّجني وإنه الآن يأمر بطلاقها قال: ما أنا بالذي آمرك أن تعق والدك ولا بالذي آمرك أن تطلق امرأتك غير أنك إن شئت حدّثتك ما سمعت من رسول الله ﷺ سمعته يقول: الوالد أوسط أبواب الجنة فحافظ على ذلك إن شئت أو دع»، قال: فاحسب عطاء قال فطلّقها قلت: وسيأتي في الفصل الثالث أنه ﷺ قال لابن عمر: طلّقها لأن عمر كان يكرهها؛ وفي الجامع الصغير، «الوالد أوسط أبواب الجنة». رواه أحمد والترمذي وابن ماجه والحاكم عن أبي الدرداء.

٤٩٢٩ ـ (وعن بهز) بفتح موحدة وسكون هاء فزاي (ابن حكيم) أي ابن معاوية بن حيدة القشيري البصري قد اختلف العلماء فيه، وقد روى عن أبيه عن جده ولم يخرج البخاري ومسلم في صحيحهما شيئاً. وقال ابن عدي: لم أر له حديثاً منكراً، ذكره المؤلف في فصل التابعين (عن أبيه) أي حكيم، قال المؤلف: أعرابي حسن الحديث روى عن أبيه وسمع منه ابنه بهز والجريري (عن جده) أي جد بهز وهو معاوية بن حيدة لم يذكره المؤلف لا في الصحابة ولا في التابعين، والظاهر أنه صحابي (قال: قلت: «يا رسول الله من أبر») بفتح الموحدة

= الحديث رقم ٣٦٦٣، وأحمد في المسند ٥/١٩٦.

(١) ابن حبان في ٢/١٦٧ الحديث رقم ٤٢٥، والحاكم في المستدرك ٤/١٥٢.

الحديث رقم ٤٩٢٩: أخرجه أبو داود في السنن ٥/٣٥١ الحديث رقم ٥١٣٩، والترمذي في السنن ٤/٢٧٣ الحديث رقم ١٨٩٧، وابن ماجه في ٢/١٢٠٧ الحديث رقم ٣٦٦١، وأحمد في المسند ٥/٣.

قال: «أمَّكَ» قلتُ: ثُمَّ من؟ قال: «أمك» قلتُ: ثم من؟ قال: «أمَّك». قلت: ثم من؟ قال: «أباك، ثم الأقربَ فالأقربَ» رواه الترمذي، وأبو داود.

٤٩٣٠ ـ (٢٠) وعن عبد الرحمن بن عوف، قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «قال الله تبارك وتعالى: أنا الله، وأنا الرحمن، خلقت الرحم وشققت لها من اسمي، فمن وصلَها وصلتُهُ، ومن قطعَهَا بتَتُّه». رواه أبو داود.

وتشديد الراء على صيغة المتكلم أي من أحسن إليه ومن أصله («قال: أمك») بالنصب أي أبر أمك وصلها أولاً («قلت: ثم من») أي أبر («قال: ثم من؟ قال: أمك») وتقدمت حكمة هذا الحكم («قلت: ثم من؟ قال: أباك ثم الأقرب فالأقرب») أي إلى آخر ذوي الأرحام. (رواه الترمذي وأبو داود). وفي التصحيح أن اللفظ للترمذي وقال: حسن. وفي بعض النسخ حسن صحيح، ورواه أبو داود بلفظ: «من أبر قال: أمك ثم أمك ثم أمك ثم الأقرب فالأقرب». ورواه الحاكم وقال: صحيح، وفي الجامع الصغير «أمك ثم أمك ثم أباك ثم الأقرب فالأقرب»[1] رواه أحمد وأبو داود والترمذي والحاكم عن معاوية بن حيدة وابن ماجه عن أبي هريرة قلت: وتقدم الحديث المتفق عليه في هذا المعنى أوّل الباب.

٤٩٣٠ ـ (وعن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه) أحد العشرة المبشرة (قال: سمعت رسول الله ﷺيقول: «قال الله تبارك وتعالى أنا الله») أي المعبود الواجب الوجود، وكان هذا توطئة للكلام حيث ذكر العلم الخاص ثم ذكر الوصف المشتق من مادة الرحم فقال: («وأنا الرحمن») أي المتصف بهذه الصفة («خلقت الرحمن») أي قدرتها أو صورتها مجسدة. («وشققت») أي أخرجت وأخذت اسماً («لها») أي للرحم («من اسمي») أي الرحمن وفيه إيماء إلى أن المناسبة الاسمية واجبة الرعاية في الجملة وإن كان المعنى على أنها أثر من آثار رحمة الرحمن، ويتعيّن على المؤمن التخلّق بأخلاق الله تعالى والتعلّق بأسمائه وصفاته ولذا قال («فمن وصلها وصلته») أي إلى رحمتي أو محل كرامتي («ومن قطعها بته») بتشديد الفوقية الثانية أي قطعته من رحمتي الخاصة. (رواه أبو داود)، وكذا الترمذي وكلاهما من رواية أبي سلمة عنه وقال الترمذي: حسن صحيح، قال المنذري في تصحيحه له نظر، فإن أبا سلمة بن عبد الرحمن لم يسمع من رسول الله ﷺ شيئاً قاله ابن معين وغيره، نقله ميرك. وفي الجامع الصغير بلفظ: «قال الله تعالى أنا الرحمن أنا خلقت الرحم وشققت لها اسماً من اسمي، فمن وصلها وصلته ومن قطعها قطعته، ومن بتها بتته»[2]، فهو للتأكيد، والمراد بالبت القطع الكلي ومنه طلاق البت، وكذا قولهم: «البتة» والله أعلم. رواه أحمد والبخاري في الأدب المفرد وأبو داود والترمذي والحاكم عن عبد الرحمن بن عوف والحاكم أيضاً عن أبي هريرة.

---

(١) الجامع الصغير ١/١٠٣ الحديث رقم ١٦٥٠.

الحديث رقم ٤٩٣٠: أخرجه أبو داود في السنن ٢/٣٢٢ الحديث رقم ١٦٩٤، والترمذي في ٤/٢٧٨ الحديث رقم ١٩٠٧، وأحمد في المسند ١/١٩٤.

٤٩٣١ ـ (٢١) وعن عبد الله بن أبي أوفى، قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «لا تنْزِلُ الرحمةُ على قومٍ فيهم قاطِعُ الرحم» رواه البيهقي في «شعب الإيمان».

٤٩٣٢ ـ (٢٢) وعن أبي بكرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من ذنبٍ أحرى أن يعجِّل اللهُ لصاحبه العقوبةَ في الدنيا، مع ما يدخِرُ له في الآخرة، من البغي وقطيعةِ الرحم». [٣٦٩ ـ ب ـ]. رواه الترمذي، وأبو داود.

٤٩٣٣ ـ (٢٣) وعن عبدِ الله بن عمرو، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يدخلُ الجنةَ

٤٩٣١ ـ (وعن عبد الله بن أبي أوفى) جهني أنصاري شهد أحداً وما بعدها (قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا تنزل الرحمة») بصيغة الفاعل (على قوم فيهم)، وفي نسخة فيه، وأفرده باعتبار لفظ القوم («قاطع رحم»)، قال التوربشتي: يحتمل أنه أراد بالقوم الذين يساعدونه على قطيعة الرحم ولا ينكرون عليه، ويحتمل أن يراد بالرحمة المطر أي يحبس عنهم المطر بشؤم القاطع. (رواه البيهقي في شعب الإيمان).

٤٩٣٢ ـ (وعن أبي بكرة) أي الثقفي (قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من ذنب») ما نافية ومن زائدة للاستغراق («أحرى») أي أحق وأولى (أن يعجل الله) صلة أحرى على تقدير الباء أي بتعجيله سبحانه («لصاحبه») أي لمرتكب الذنب («العقوبة») مفعول يعجل وظرفه قوله: («في الدنيا مع ما يدخر») بتشديد الدال المهملة وكسر الخاء المعجمة أي مع ما يؤجل من العقوبة («له») أي لصاحب الذنب («في الآخرة من البغي») أي من بغي الباغي، وهو الظلم أو الخروج على السلطان أو الكبر، ومن تفصيلية («وقطيعة الرحم») أي ومن قطع صلة ذوي الأرحام. (رواه الترمذي وأبو داود). قال ميرك وقال الترمذي: حسن. صحيح، ورواه الحاكم وقال: صحيح الإسناد اهـ. وفي الجامع الصغير رواه أحمد والبخاري في الأدب المفرد وأبو داود والترمذي وابن ماجه وابن حبان والحاكم عن أبي بكرة، ورواه الطبراني عنه أيضاً ولفظه: «ما من ذنب أجدر أن يعجل الله تعالى لصاحبه العقوبة في الدنيا مع ما يدخر له في الآخرة من قطيعة الرحم والخيانة والكذب، وأن أعجل الطاعة ثواباً صلة الرحم حتى أن أهل البيت ليكونوا فجرة فتنمو أموالهم ويكثر عددهم إذا تواصلوا»[1].

٤٩٣٣ ـ (وعن عبد الله بن عمرو) بالواو (قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يدخل الجنة

---

(١) الجامع الصغير ٢/ ٣٧٥ الحديث رقم ٦٠٣٢.

الحديث رقم ٤٩٣١: أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ٦/ ٢٢٣ الحديث رقم ٧٩٦٢.

الحديث رقم ٤٩٣٢: أخرجه أبو داود في السنن ٥/ ٢٠٨ الحديث رقم ٤٩٠٢، والترمذي في ٤/ ٥٧٣ الحديث رقم ٢٥١١، وابن ماجه في ٢/ ١٤٠٨ الحديث رقم ٤٢١١.

الحديث رقم ٤٩٣٣: أخرجه النسائي في السنن ٨/ ٣١٨ الحديث رقم ٥٦٧٢، والدارمي في ٢/ ١٥٣ الحديث رقم ٢٠٩٤.

مَنَّانٌ، ولا عاقٌ، ولا مدمنُ خمرٍ». رواه النسائي، والدارمي.

٤٩٣٤ - (٢٤) وعن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «تعلّموا من أنسابكم ما تصلونَ به أرحامَكُم، فإن صلة الرحم محبةٌ في الأهل، مثراةٌ في المالِ، منسأةٌ في الأثرِ». رواه الترمذي، وقال: هذا حديث غريب.

٤٩٣٥ - (٢٥) وعن ابن عمر، أن رجلاً أتى النبيَّ ﷺ، فقال: يا رسول

منّان») قيل: هو من المنة أي من يمن على الناس بما يعطيهم، وذلك مذموم، قال تعالى: ﴿لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى﴾ [البقرة - ٢٦٤] وقيل: من المن بمعنى القطع، قال تعالى: ﴿وإن لك لأجراً غير ممنون﴾ [القلم - ٣] ومنه المنية أي قاطع الرحم وقاطع الطريق، والظاهر أن الصيغة للنسبة أي صاحب المن («ولا عاق») أي عاص بأحد والديه («ولا مدمن خمر») أي شاربها من غير توبة، وأما ما قيل: من أن المعنى من يداوم على شرب الخمر، فله مفهوم غير صحيح، قال التوربشتي: محمل هذا أنه لا يدخل مع الفائزين أو لا يدخل حتى يعاقب بما اجترحه من الإثم بكل واحد من الأعمال الثلاثة، قلت: لا بدّ من تقييده بالمشيئة لقوله تعالى: ﴿ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾ [النساء - ٤٨] أي بشفاعة أو بغيرها. (رواه النسائي والدارمي).

٤٩٣٤ - (وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «تعلموا من أنسابكم») أي من أسماء آبائكم وأجدادكم وأعمامكم وأخوالكم وسائر أقاربكم («ما») أي قدر ما («تصلون به أرحامكم»)، وفيه دلالة على أن الصلة تتعلّق بذوي الأرحام كلها لا بالوالدين فقط، كما ذهب إليه البعض على ما سبق، والمعنى «تعرفوا أقاربكم من ذوي الأرحام ليمكنكم صلة الرحم وهي التقرّب لديهم والشفقة عليهم والإحسان إليهم» («فإن صلة الرحم محبة») بفتحات وتشديد موحدة مفعلة من الحب مصدر المبني للمفعول، وفي نسخة بكسر الحاء أي مظنة للحب وسبب للود («في الأهل») أي في أهل الرحم، وفي نسخة بضم الميم، ففي القاموس أحبه وهو محبوب على غير قياس، ومحب قليل، وحببته أحبه بالكسر شاذ وحببت إليه ككرم صرت حبيباً («مثراة في المال») أي سبب لكثرة المال وخير ثان، وفي النهاية هي مفعلة من الثرى وهو الكثرة («منسأة») بفتح الهمزة مفعلة من النسا وهو التأخير («في الأثر») بفتحتين أي الأجل، والمعنى أنها سبب لتأخير الأجل وموجب لزيادة العمر وقيل: باعث دوام واستمرار في النسل، والمعنى أن يمن الصلة يقضي إلى ذلك. (رواه الترمذي وقال: هذا حديث غريب). أي من هذا الوجه على ما في الجامع، ورواه الحاكم وقال: صحيح ذكره ميرك.

٤٩٣٥ - (وعن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما أن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال: «يا رسول

الحديث رقم ٤٩٣٤: أخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٣٠٩ الحديث رقم ١٩٧٩، وأحمد في المسند ٢/ ٣٧٤.

الحديث رقم ٤٩٣٥: أخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٢٧٦ الحديث رقم ١٩٠٤، وأحمد في المسند ٢/ ١٤.

الله! إني أذنبتُ ذنباً عظيماً، فهل لي من توبة؟ قال: هل لك من أمٍّ؟» قال: لا. قال: وهل لك من خالةٍ؟» قال: نعم. قال: «فبرَّها». رواه الترمذي.

٤٩٣٦ - (٢٦) وعن أبي أسيد الساعدي، قال: بينا نحن عند رسول الله ﷺ: إذ جاءَ رجلٌ من بني سَلمة، فقال: يا رسول الله! هل بقي من برِّ أبويَّ شيءٌ أبرُّهما به بعد موتهما؟ قال: «نعم، الصلاة عليهما، والاستغفارُ لهما، وإنفاذ عهدهما من بعدهما، وصلة الرحم التي لا توصَلُ إلا بهما، وإكرامُ صديقهما».

الله إني أصبت» أي فعلت (**«ذنباً عظيماً»**) أي قولياً أو فعلياً (**«فهل لي من توبة»**) أي رجعة بطاعة بعد الندامة القلبية تداركاً للمعصية العظيمة (**«قال: هل لك من أم»**) أي ألك أم فمن زائدة (**«قال: لا قال: وهل لك من خالة»**) يحتمل أن تكون من زائدة أو تبعيضية (**«قال: نعم قال: فبرها»**) بفتح الموحدة وتشديد الراء أمر من بررت فلاناً بالكسر أبر بالفتح أي أحسنت إليه، فأنا بارّ به وبر به، والمعنى أن صلة الرحم من جملة «الحسنات التي تذهبن السيئات أو تقوم مقامها من الطاعات»، وهو أحد معنى قوله تعالى: ﴿**إلا من تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات**﴾ [الفرقان - ٧٠] قال المظهر: يجوز أنه أراد عظيماً عندي لأن عصيان الله تعالى عظيم، وإن كان الذنب صغيراً، ويجوز أن يكون ذنبه كان عظيماً من الكبائر، وأن هذا النوع من البر يكون مكفراً له، وكان مخصوصاً بذلك الرجل علمه النبي ﷺ من طريق الوحي اهـ. وتبعه ابن الملك وفيه أنه لا دلالة على أن الرجل مصر غير تائب من ذلك الذنب ليكون من خصوصياته. (**رواه الترمذي**).

٤٩٣٦ - (**وعن أبي أسيد**) بالتصغير (**الساعدي**) قال المؤلف: أنصاري شهد المشاهدة كلها، روى عنه خلق كثير، مات سنة ستين وله ثمان وسبعون سنة بعد أن ذهب بصره وهو آخر من مات من البدريين (**قال: بينا نحن عند رسول الله ﷺ إذ جاءه رجل من بني سلمة**) بكسر اللام بطن من الأنصار ليس في العرب سلمة غيرهم (**فقال: يا رسول الله هل بقي من بر أبوي**) أي والدي وفيه تغليب (**«شيء»**) أي من البر (**«أبرهما»**) بفتح الموحدة أي أصلهما وأحسن إليهما (**«به»**) أي بذلك الشيء من البر الباقي (**بعد موتهما قال: نعم، الصلاة عليهما**) أي الدعاء، ومنه صلاة الجنازة (**«والاستغفار»**) أي طلب المغفرة لهما وهو تخصيص بعد تعميم (**««وإنفاذ عهدهما»**) أي إمضاء وصيتهما (**«من بعدهما»**) أي من بعد موتهما ولو من عهدهما (**«وصلة الرحم»**) أي وإحسان الأقارب. (**«التي لا توصل إلا بهما»**) أي تتعلق بالأب والأم، فالموصول صفة كاشفة للرحم. قال الطيبي: الموصول ليس بصفة للمضاف إليه بل للمضاف أي الصلة الموصوفة فإنها خالصة بحقهما ورضاهما لا لأمر آخر ونحوه، قلت: يرجع المعنى إلى الأول فتدبّر وتأمّل. وأما اعتبار خلوص النية وتصحيح الطوية فمعتبر في كل قضية غير

الحديث رقم ٤٩٣٦: أخرجه أبو داود في السنن ٥/ ٣٥٢ الحديث رقم ٥١٤٢، وابن ماجه في ٢/ ١٢٠٨ الحديث رقم ٣٦٦٤، وأحمد في المسند ٣/ ٤٩٧.

رواه أبو داود، وابن ماجه.

٤٩٣٧ - (٢٧) وعن أبي الطفيل، قال: رأيتُ النبيَّ ﷺ يقسم لحماً بالجعرانة إذ أقبلتِ امرأةٌ حتى دَنَتْ إلى النبيِّ ﷺ، فبسط لها رِدَاءَهُ، فجلستْ عليه. فقلت: من هي؟ فقالوا: هي أمه التي أرضعَتْه. رواه أبو داود.

الفصل الثالث

٤٩٣٨ - (٢٨) عن ابنِ عمر، عن النبيِّ ﷺ، قال: «بينما ثلاثةُ نفرٍ

منحصر في جزئية مع أن ما ذكره مضاف لما نقله عن الإمام في الإحياء، وأن العباد أمروا بأن لا يعبدوا إلاّ الله ولا يريدوا بطاعتهم غيره، وكذلك من يخدم أبويه لا ينبغي أن يخدم لطلب منزلة عندهما إلاّ من حيث إن رضا الله في رضا الوالدين، ولا يجوز له أن يرائي بطاعته لينال بها منزلة عند الوالدين، فإن ذلك معصية في الحال وسيكشف الله عن ريائه فتسقط منزلته من قلبهما أيضاً اهـ. فنقله كلام الحجة حجة عليه لا علينا. **(رواه أبو داود وابن ماجه)**.

٤٩٣٧ - **(وعن أبي الطفيل)** بالتصغير وهو آخر من مات من الصحابة على وجه الأرض، **(قال: أرأيت النبي ﷺ: يقسم لحماً بالجعرانة»)** بكسر جيم فسكون عين وتخفيف راء وقد يكسر ويشدّد الراء على ما في بعض النسخ **(«إذ أقبلت امرأة»)**، وهي حليمة **(حتى دنت»)** أي قربت **(«إلى النبي ﷺ فبسط لها رداءه فجلست عليه»)** إما لعدم التكلّف على ما هو دأب العرب أو لوجود أمر هناك، قيل: فيه إشارة إلى وجوب رعاية الحقوق القديمة ولزوم إكرام من له صحبة سابقة **(«فقلت:»)** أي لبعضهم **(من هي؟ فقالوا: هذه)**، وفي نسخة هي **(«أمه التي أرضعته»)**، في المواهب اللدنية أما أمه في الرضاعة فحليمة بنت أبي ذؤيب من هوازن وهي التي أرضعته حتى أكملت رضاعه وجاءته عليه السّلام يوم حنين، فقام إليها وبسط رداءه لها فجلست عليه، وكذا ثويبة جارية أبي لهب أيضاً واختلف في إسلامها كما اختلف في إسلام حليمة وزوجها والله أعلم، وكانت ثويبة تدخل عليه ﷺ بعد أن تزوج خديجة، فكانت تكرمها، وأعتقها أبو لهب وكان عليه السلام يبعث إليها من المدينة بكسوة وصلة حتى ماتت بعد فتح خيبر. ذكره أبو عمرو. **(رواه أبو داود)**.

الفصل الثالث

٤٩٣٨ - **(عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: بينما)** بالميم **(«ثلاثة نفر»)**

الحديث رقم ٤٩٣٧: أخرجه أبو داود في السنن ٥/ ٣٥٣ الحديث رقم ٥١٤٤.

الحديث رقم ٤٩٣٨: أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ٢٠٩٩ الحديث رقم (١٠٠ - ٢٧٤٣)، وأحمد في المسند ٢/ ١١٦.

يتماشَوْنَ أخذَهم المطرُ، فمالوا إلى غارٍ في الجبلِ، فانحطتْ على فمِ غارِهم صخرةٌ منَ الجبلِ، فأطبقتْ عليهم فقال بعضُهم لبعضٍ: انظروا أعمالاً عمِلتموها للهِ صالحةً، فادعوا اللّهَ بها لعله يفرّجُها. فقال أحدُهم: اللهُمّ إنه كانَ لي والدانِ شيخان كبيران، ولي صبيةٌ صغارٌ كنتُ أرعى عليهم، فإذا رحتُ عليهم فحلبتُ بدأتُ بوالديَّ أسقيهما قبل ولدي، [٣٧٠ ـ أ ـ] وإنّه قد نأى بي الشجرُ،

بالإضافة البيانية («يتماشون») بفتح الشين أي يسيرون في طريق («أخذهم المطر») أي جاءهم بكثرة («فمالوا إلى غار في الجبل فانحطت») أي نزلت وقعت. («على فم غارهم صخرة») أي حجر كبير من الجبل («فأطبقت»)أي الصخرة («عليهم») وأغلقت عليهم باب الغار وغطّتهم («فقال بعضهم لبعض: انظروا») أي تفكروا وتذكّروا («أعمالاً عملتموها لله صالحة») صفة أخرى لأعمالاً أي خالصة لوجهه لا رياء ولا سمعة فيها يدل عليه قوله: ابتغاء وجهك فيما بعد، كذا قاله الطيبي، وقال السيد جمال الدين: الأظهر أن يقال: صالحة لأعمالاً، وفي العبارة تقديم وتأخير أي انظروا أعمالاً صالحة لله، فأخرج بالقيد الأول الأعمال الغير الصالحة، وبالثاني الغير الصالحة لله، ويؤيّده ما وقع في رواية للبخاري، انظروا أعمالاً عملتموها صالحة لله قلت: لا شك أن كلاً من صالحة ولله صفة لأعمالاً سواء أخرت إحداهما أو قدمت، وإنّما حمل الطيبي الثانية على أنها صفة مؤكّدة لأن الأعمال التي عملت لله لا تكون إلا صالحة، لكن قوله يدل عليه قوله: ابتغاء وجهك فيما بعد مستدرك لأنه فهم من قوله: «لله» نعم كلام السيد له وجه وجيه وتنبيه نبيه لكن على روايته التي ذكرها فإنه لا يلزم من الأعمال الصالحة أن تكون خالصة لله، ولذا قيل: «الخلق كلّهم هلكى إلاّ العاملون، والعاملون كلّهم هلكى إلاّ العالمون، والعالمون كلهم هلكى إلاّ المخلصون، والمخلصون على خطر عظيم». («فادعوا الله بها») أي بتلك الأعمال الصالحة وبجعلها شفيعة ووسيلة إلى إجابة الدعوة («لعلّه») أي على رجاء أنه تعالى أو لكي («يفرجها») بتشديد الراء المكسورة، وفي نسخة بفتح أوّله وتخفيف الراء أي يزيل الصخرة أو يكشف الكربة، ففي القاموس «فرج الله الغم يفرجه»، كشفه كفرّجه («فقال أحدهم: اللهم إنه») أي الشأن («كان لي والدان شيخان كبيران ولي صبية») بكسر فسكون جمع صبي أو ولي أيضاً أطفال («صغار كنت أرعى عليهم»)، قال ابن الملك: أي أرعى ماشيتهم، قال الجوهري: يقال: فلان يرعى على أبيه أي يرعى غنمه اهـ. والتحقيق ما ذكره الطيبي من أن الرعي ضمن معنى الإنفاق، فعدى بعلى أي أنفق عليهم راعياً الغنيمات، وكذا قوله: («فإذا رحت عليهم») ضمن معنى رددت أي إذا رددت الماشية من المرعى إلى موضع مبيتهم («فحلبت») عطف على رحت، وقوله: («بدأت بوالدي») جواب إذا، وقوله: («أسقيهما») بفتح الهمزة ويضم («قبل ولدي») بفتحتين وبضم الواو ويسكن اللام أي أولادي إما حال أو استئناف بيان للعلة («وإنه»)أي الشأن («قد نأى بي الشجر») أي بعد بي طلب المرعى («يوماً»)، وفي نسخة ناء بهمز بعد الألف وهو كرواية ابن ذكوان عن ابن عامر في قوله تعالى: ﴿ونآى بجانبه﴾ [الإسراء ـ ٨٣] قال النووي: وفي بعض نسخ مسلم نآى بجعل الهمزة قبل الألف، وبه

فما أتيتُ حتى أمسيتُ، فوجدتُهما قد ناما، فحلبتُ كما كنتُ أحلبُ، فجئتُ بالحِلابِ فقمتُ عند رؤوسهما أكرهُ أنْ أوقظهما، وأكرهُ أنْ أبدأ بالصبيةِ قبلَهُما والصِبيةُ يتضاغونَ عند قدمَيَّ، فلم يزلْ ذلكَ دأبي ودأبُهم حتى طلعَ الفجرُ، فإنْ كنت تعلمُ أني فعلتُ ذلك ابتغاءَ وجهِكَ فأفرِجْ لنا فرجةً نرى منها السَّماءَ. ففرّجَ اللَّهُ لهم حتى يرَوْنَ السماءَ.

قال الثاني: اللهُمّ إنّهُ كانتْ لي بنتُ عمٍّ أُحبُّها كأشدِّ ما يُحبُّ الرجالُ النساءَ،

قرأ أكثر القرّاء السبعة وهما لغتان أي صحيحتان («فما أتيت») أي إليهم لبعد المرعى عنهم («حتى أمسيت») أي دخلت في المساء جداً («فوجدتهما قد ناما»)أي من الضعف أو من غلبة الانتظار وكثرة الإبطاء («فحلبت كما كنت أحلب»)بضم اللام، ويجوز كسره على ما في القاموس («فجئت») أي إليهما («بالحلاب») بكسر أوله وهو الإناء الذي يحلب فيه، قيل: وقد يراد بالحلاب هنا اللبن المحلوب، ذكره الطيبي فيكون مجازاً بذكر المحل وإرادة الحال، والأظهر أنه أتى بالحلاب الذي فيه المحلوب استعجالاً («فقمت») أي وقفت («على رؤوسهما») أي عند رؤوسهما كما في نسخة صحيحة («أكره أن أوقظهما») استئناف بيان أو حال («وأكره») يعني أيضاً («أن أبدأ بالصبية قبلهما») أي مع أنهم غير نائمين لأجل الجوع («والصبية يتضاغون») بفتح الغين المعجمة أي يضجون ويصيحون من الجوع («عند قدمي») بفتح الميم وتشديد الياء، وفي نسخة بالكسر والتخفيف، والجملة حالية («فلم يزل ذلك») أي ما ذكر من الوقوف وغيره («دأبي ودأبهم») بالنصب، وفي نسخة بالرفع أي عادتي وعادتهم، والضمير للوالدين والصبية («حتى طلع الفجر») انشق الصبح وظهر نوره، والمعنى أنه حينئذٍ سقيتهما أوّلاً، ثم سقيتهم ثانياً تقديماً لإحسان الوالدين على المولودين لتعارض صغرهم بكبرهما، فإن الرجل الكبير يبقى كالطفل الصغير، ومن لم يصدق بذلك أبلاه الله بما هنالك («فإن كنت») أي يالله «تعلم إني فعلت ذلك ابتغاء وجهك»، والترديد في أن عمله ذلك هل اعتبر عند الله لا خلاص فيه أو لا لعدمه («فافرج») بهمز وصل وضم راء وفي نسخة بهمز قطع وكسر راء، قال ميرك: بهمزة الوصل وضم الراء من الفرج ويجوز بهمز القطع وكسر الراء من الإفراج أي اكشف لنا («فرجة») بضم الفاء ويفتح («نري منها السماء، ففرج») بتخفيف الراء ويكسر أي كشف («الله لهم حتى يرون السماء») بإثبات النون كما في بعض نسخ شرح السنة فيكون حكاية حال ماضية كقولك: «شربت الإبل حتى يخرج بطنه»، وفي بعضها بإسقاطه، وحينئذٍ بضم الواو وصلاً للالتقاء («قال الثاني: اللهم إنه») أي الشأن («كانت لي بنت عم أحبها»)، قال الطيبي: ذكر ضمير الشان والمذكور في التفسير مؤنث وهذا يدل على جواز ذلك اهـ. وقال العسقلاني: وقع في كلام الأوّل اللهم إنه «والثاني اللهم إنها»، والثالث «اللهم إني» «وهو من التفنن وإنه في الأوّل ضمير الشان وفي الثاني للقصة ناسب ذلك أن القصة في امرأة اهـ. فهذا الكلام يدل على أن رواية البخاري وقعت أنها في كلام الثاني خلاف المشكاة. ذكره ميرك، والظاهر أن عبارة المشكاة مأخوذة من مسلم لفظاً ويكون قوله متفق عليه معنى («كأشد ما يحب الرجال النساء») أي حباً شديداً نحو قوله تعالى: ﴿يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حباً

فطلبتُ إليها نفسَها، فأبتْ حتى آتيها بمائةِ دينارٍ، فسعيتُ حتى جمعتُ مائةَ دينارٍ، فلقيتُها بها فلمّا قعدتُ بينَ رجليها. قالت: يا عبدَ الله! اتّقِ اللّهَ ولا تفتحِ الخاتمَ، فقمتُ عنها. اللهُمَّ فإنْ كنتَ تعلمُ أني فعلتُ ذلك ابتغاء وجهِكَ، فافرجْ لنا منها، ففرجَ لهم فرجةً.

قال الآخرُ: اللهُمَّ إني كنتُ استأجرتُ أجيراً بفَرَقِ أَرُزٍّ، فلما قضى عملَه قال: أعطِني حقي. فعرضتُ عليه حقَّه، فتركه ورغبَ عنه، فلم

لله﴾ [البقرة - ١٦٥]. قال الطيبي: صفة مصدر محذوف وما مصدرية أي أحبها حباً مثل أشد حب الرجال النساء أو حالاً أي أحبها مشابهاً حبي أشد حب الرجال النساء، ونظيره قوله تعالى: ﴿يخشون الناس كخشية الله أو أشد خشية﴾ [النساء - ٧٧] فإن قوله تعالى أشد خشية حال على تقدير مشبهين أشد خشية من أهل خشية الله («فطلبت إليها نفسها») فيه تضمين معنى الإرسال أي أرسلت إليها طالباً نفسها («فأبت حتى آتيها») بالنصب، وفي نسخة بالسكون على حكاية الحال الماضية أي أجيئها («بمائة دينار فسعيت حتى جمعت مائة دينار فلقيتها») أي أتيتها («بها فلمّا قعدت بين رجليها قالت: يا عبد الله»)، يحتمل الاسمية والوصفية («اتق الله») أي عذابه أو مخالفته («ولا تفتح الخاتم») بفتح التاء، وهو كناية عن البكارة («فقمت عنها») أي معرضاً عن تعرّضها («اللهم») فيه زيادة تضرع («فإن كنت»)، قال الطيبي: عطف على مقدر أي اللهم فعلت ذلك فإن كنت («تعلم إني فعلت»)، ويجوز أن يكون اللهم مقحمة بين المعطوف والمعطوف عليه لتأكيد الابتهال والتضرّع إلى الله تعالى فلا يقدّر معطوف عليه وهو الوجه، يدل عليه القرينة السابقة واللاحقة، وإنما كرّر اللهم في هذه القرينة دون أختيها لأن هذا المقام أصعب المقامات، وأشقها، فإنه ردع لهوى النفس فرقاً من الله تعالى ومفاته قال تعالى: ﴿وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى﴾ [النازعات - ٤٠] قال الشيخ أبو حامد: شهوة الفرج أغلب الشهوات على الإنسان وأصعبها عند الهيجان على العقل فمن ترك الزنا خوفاً من الله تعالى مع القدرة وارتفاع الموانع وتيسّر الأسباب لا سيما عند صدق الشهوة حاز درجة الصديقين قوله: («ذلك») أي ما ذكر («ابتغاء وجهك فافرج لنا») أي زيادة («فرجة منها») أي من هذه الكربة أو الصخرة، ويمكن أن تكون من للتبعيض أي بعض الفرجة («ففرج») أي الله («لهم فرجة») أي أخرى («وقال الآخر:») بفتح الخاء، وفي نسخة بكسرها ومآلهما واحد، والثاني أدل على المقصود («اللهم إني كنت استأجرت أجيراً بفرق أرز») بفتح همز وضم راء وتشديد زاي، وفي القاموس الأرز كأشد وعتل وقفل وطنب ورز ورنز وآرز ككابل وارز كعضد اهـ، ففيه لغات بعدد أوّله وآخره، والفرق بكسر الراء ويسكن، قال الطيبي: الفرق بفتح الراء مكيال يسع ستة عشر رطلاً، وفي القاموس الفرق مكيال بالمدينة يسع ثلاثة آصع ويحرك أو هو أفصح أو يسع ستة عشر رطلاً أو أربعة أرباع، وفي النهاية الفرق بالتحريك مكيال يسع ستة عشر رطلاً، وبالسكون مائة وعشرون رطلاً ثم قيل: وفي رواية بفرق ذرة، فيجمع بأن الفرق كان من صنفين («فلمّا قضى عمله») أي عمل عمله وانتهى أجله («قال: اعطني حقي فعرضت عليه حقه فتركه ورغب عنه») أي أعرض عن أخذه لمانع أو باعث («فلم

أرْزٍ أزرعُه حتى جمعتُ منه بقراً وراعيها، فجاءني فقال: اتّقِ اللّهَ ولا تظلمْني وأعطِني حقي. فقلتُ: اذهبْ إلى ذلكَ البقرِ وراعيها فقال: اتّقِ اللّهَ ولا تهزأ بي. فقلتُ: إني لا أهزأ بكَ فخذْ ذلكَ البقرَ وراعيَها، فأخذَه فانطلقَ بها. فإن كنتَ تعلمُ أني فعلتُ ذلكَ ابتغاءَ وجهِكَ فافرُجْ ما بقي ففرّجَ اللّهُ عنهم».

أرز أزرعه» أي الأرز («حتى جمعت منه» أي من ذلك الأرز أو من زرعه («بقراً وراعيها» أي قيمتهما، فاشتريتهما، وهذا يدل على جواز تصرّف الفضولي في مال الغير على وجه النصيحة وطريق الأمانة وإرادة الشفقة حيث استحسن ذلك منه ﷺ فهو في حكم التقرير، لا يقال: لعلّ هذا شرع من قبلنا، فإنه قد ورد نظيره في زمانه ﷺ حيث دفع قيمة كبش لبعض أصحابه فاشتراه بها فباعه بضعف ثمنه، واشترى كبشاً آخر وأتى به مع قيمته فدعا له ﷺ بالبركة («فجاءني فقال: اتق الله ولا تظلمني وأعطني حقي») ظاهر كلامه عنف لكن باطنه حقّ ولطف («فقلت: اذهب إلى ذلك البقر وراعيها»)، قال الطيبي: ذلك إشارة إلى البقر باعتبار السواد المرئي كما يقال: ذلك الإنسان أو الشخص فعل كذا، وأنث الضمير الراجع إلى البقر باعتبار الجنس («فقال: اتق الله ولا تهزأ بي») بالباء، وفي نسخة بالنون، ولعلّه توهّم أنه حصل له من كلامه لا تظلمني جزع مع إيهام قوله: اذهب إلى ذلك («فقلت: إني لا أهزأ بك فخذ ذلك البقر وراعيها فأخذه») أي مجموع ما ذكر، وفي نسخة فأخذها أي كلّها («فانطلق»)، قال ميرك: عند قوله: حتى جمعت بقراً وراعيها وقع في رواية الصحيح فثمرت[1] أجره حتى كثرت منه الأموال وفيها، فقلت له: كل ما ترى من الإبل والبقر والغنم والرقيق من أجرك، وفيها فاستاقه فلم يترك شيئاً فدلّت هذه الرواية على أن قوله في الرواية المذكورة في المشكاة: «جمعت بقراً» أنه لم يرد جمع البقر فقط، وإنّما كان الأكثر الأغلب، فلذلك اقتصر عليه، ووقع في بعض الروايات أنه دفع إليه عشرة آلاف درهم وهو محمول على أنها كانت قيمة الأشياء المذكورة، قلت: ولا يبدع أن الدراهم من زوائد الفوائد منضمة إليها فإن البركة توافي («فإن كنت تعلم أني فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج ما بقي») أي من إطباق الباب («ففرج الله عنهم») فإن قلت: رؤية الأعمال نقصان عند أهل الكمال فما بال هذه الأحوال قلت: فكأنهم توسلوا بما وقع له تعالى معهم من توفيق العمل الصالح المقرون بالإخلاص على أنه ينجيهم من مضيق الهلاك إلى فضاء الخلاص، فكأنهم قالوا: كما أنعمت علينا بمعروفك أولاً فأتم علينا فضلك ثانياً فإنا لا نستغني عن كرمك أبداً، قال النووي: استدل أصحابنا بهذا على أنه يستحب للإنسان أن يدعو في حال كربه وفي الاستسقاء وغيره ويتوسّل بصالح عمله إلى الله تعالى، فإن هؤلاء فعلوه واستجيب لهم، وذكره النبي ﷺ في معرض الثناء عليهم وجميل فضائلهم، وفيه فضل بر الوالدين وإيثارهما على من سواهما من الأهل والولد، وفيه فضل العفاف والانكفاف عن المحرّمات لا سيما بعد القدرة عليها، وفيه إثبات كرامات الأولياء وهو مذهب أهل الحق،

---

(١) في المخطوطة «فنموت».

متفق عليه.

٤٩٣٩ ـ (٢٩) وعن معاويةَ بن جاهِمةَ، أنَّ جاهمةَ جاءَ إلى النبيِّ ﷺ، فقال: يا رسولَ الله! أردتُ أنْ أغزوَ وقدْ جئتُ أستشيرُكَ. فقال: «هلْ لكَ من أمٍّ؟» قال: نعمْ. قال: «فالزمْها، فإنَّ الجنَّةَ عندَ رجلِها». رواه أحمدُ، والنسائيُّ، والبيهقي في «شعب الإيمان».

قلت: لا خلاف في جواز استجابة الدعاء للولي وغيره ما عدا الكافر، فإن فيه خلافاً لكنه ضعيف لاستجابة دعاء إبليس، والاستدلال بقوله تعالى: ﴿وما دعاء الكافرين إلا في ضلال﴾ [الرعد ـ ١٤] غير صحيح لأنه ورد في دعاء الكفار في النار بخلاف الدنيا، فإنه ورد أنه ﷺ قال: «اتق دعوة المظلوم وإن كان كافراً فإنه ليس دونه حجاب»، على ما رواه أحمد وغيره عن أنس، فمثل هذا لا يعد بعد من كرامات الأولياء لأن الكرامة من أنواع خوارق العادة، قال: وتمسّك به أصحاب أبي حنيفة وغيرهم ممّن يجوز بيع الإنسان مال غيره والتصرُّف فيه بغير إذنه إذا أجازه المالك بعد ذلك، وأجاب أصحابنا بأن هذا إخبار عن شرع من قبلنا وفي كونه شرعاً لنا خلاف، فإن قلنا: إنا متعبّدون به فهو محمول على أنه استأجره في الذمة ولم يسلم إليه بل عرضه عليه فلم يقبضه فلم يتعين ولم يصر ملكه، فالمستأجر قد تصرّف في ملك نفسه ثم تبرّع بما اجتمع منه من البقر والغنم وغيرهما، قلت: وفيه أن قوله: «استأجره في الذمة» غير صحيح لما في الحديث التصريح بخلافه حيث قال: «استأجرت أجيراً بفرق أرز»، ولا بد من تعينه وإلا فالإجارة المجهولة غير صحيحة عندهم، وكذا يرد عليه قوله: «فعرضت عليه حقه» لأنه لو فرض أنه في الذمة من غير تعيين لا يسمّى حقه، فالحق أحق أن يتبع ولا يوصل تقليد ويفرع. (متفق عليه).

٤٩٣٩ ـ (وعن معاوية بن جاهمة) بجيم ثم هاء مكسورة سلمي عداده في الحجازيين روى عن أبيه وعنه طلحة بن عبيد الله، كذا ذكره المؤلّف في فصل الصحابة ولم يذكر أباه (أن جاهمة)قيل: هو ابن العباس بن مرداس السلمي («جاء إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله أردت أن أغزو وقد جئت أستشيرك، فقال: هل لك من أم؟ قال: نعم، قال: فالزمها») أي التزم خدمتها ومراعاة أمرها («فإن الجنة») أي وإن ورد أنها تحت ظلال السيوف على ما رواه الحاكم عن أبي موسى فهي حاصلة («عند رجلها») لكونها سبباً لحصولها على ما ورد من رواية الخطيب في الجامع عن أنس أيضاً الجنة تحت أقدام الأمهات. قال الطيبي: قوله: «عند رجلها» كناية عن غاية الخضوع ونهاية التذلل كما في قوله تعالى: ﴿واخفض لهما جناح الذل من الرحمة﴾ [الإسراء ـ ٢٤]، ولعله ﷺ عرف من حاله وحال أمه حيث ألزمه خدمتها ولزومها إن ذلك أولى به. (رواه أحمد والنسائي والبيهقي في شعب الإيمان). قال المنذري: رواه ابن ماجه والنسائي واللفظ له، والحاكم وقال: صحيح الإسناد، ورواه الطبراني بإسناد جيد ولفظه:

الحديث رقم ٤٩٣٩: أخرجه النسائي في السنن ٥/ ١١ الحديث رقم ٣١٠٤، وأحمد في المسند ٣/ ٤٢٩ والبيهقي في شعب الإيمان ٦/ ١٧٨ الحديث رقم ٧٨٣٣.

٤٩٤٠ ـ (٣٠) وعن ابنِ عمرَ، قال: كانتْ تحتي امرأةٌ أحبها، وكانَ عمرُ يكرهُها. فقال لي: طلِّقْها، فأبيتُ. فأتى عمرُ رسولَ الله ﷺ، فذكرَ ذلكَ له، فقال لي رسولُ الله ﷺ: «طلِّقها». رواه الترمذي، وأبو داود.

٤٩٤١ ـ (٣١) وعن أبي أُمامةَ، أنَّ رجلاً قال: يا رسولَ الله! ما حقُّ الوالدَين على ولدِهما؟ قال: «هُما جنَّتُكَ ونارُكَ». رواه ابنُ ماجه.

٤٩٤٢ ـ (٣٢) وعن أنسٍ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إنَّ العبدَ ليموتُ والداهُ أو أحدُهما وإنَّه لهما لعاقٌّ،

قال: «أتيت النبي ﷺ أستشيره في الجهاد فقال النبي ﷺ: ألك والدان؟ قلت: نعم. قال: الزمهما، فإن الجنة تحت أرجلهما»[1] اهـ. ولعل الاقتصار في الرواية الأولى للإشعار بأن خدمة الوالدة هي الأولى، ولهذا اقتصر في حديث آخر على الأم حيث قال: «الجنة تحت أقدام الأمهات» مع أن خدمة الوالد أيضاً سبب لدخول الجنة بلا مرية وسيأتي في الحديث «هما جنتك ونارك».

٤٩٤٠ ـ (عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: كانت تحتي امرأة أحبها وكان عمر يكرهها فقال لي: طلقها فأبيت) أي امتنعت لأجل محبتي فيها (فأتى عمر رسول الله ﷺ فذكر ذلك له فقال لي رسول الله ﷺ: «طلقها») أمر ندب أو وجوب إن كان هناك باعث آخر. (رواه الترمذي وأبو داود)، وكذا النسائي وابن ماجه وابن حبان في صحيحه، وقال الترمذي: حديث صحيح، نقله ميرك عن المنذري.

٤٩٤١ ـ (وعن أبي أمامة) أي الباهلي رضي الله تعالى عنه (أن رجلاً قال: يا رسول الله ما حق الوالدين على ولدهما؟ قال: «هما جنتك ونارك») أي أسبابهما، والمعنى أن حقهما رضاهما الموجب لدخول الجنة وترك عقوقهما المقتضي لدخول النار، ولا ينحصر في حق دون حق على ما يفهم من السؤال، فالجواب له مطابقة مع المبالغة. قال الطيبي: الجواب من أسلوب الحكيم أي حقهما البر والإحسان إليهما وترك العقوق الموجبان لدخول الجنة وَعْداً، وترك الإحسان والعقوق الموجبان لدخول النار وعيداً، فأوجز كما ترى. وقوله: «جنتك وناركـ» على الخطاب العام لأن سؤاله عام فيدخل فيه السائل دخولاً أوّلياً. (رواه ابن ماجه).

٤٩٤٢ ـ (وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن العبد ليموت والداه أو أحدهما وأنه لهما») أي لأجلهما الصادق لهما أو لأحدهما («لعاق») اللام فيه للتأكيد ولهما

---

(١) سبق التعليق عليه في كتاب الجهاد.

الحديث رقم ٤٩٤٠: أخرجه أبو داود في السنن ٥/ ٣٥ الحديث رقم ٥١٣٨، والترمذي في ٣/ ٢٩٤ الحديث رقم ١١٨٩، وابن ماجه في ١/ ٦٧٥ الحديث رقم ٢٠٨٥.

الحديث رقم ٤٩٤١: أخرجه ابن ماجه في السنن ٢/ ١٢٠٨ الحديث رقم ٣٦٦٢.

الحديث رقم ٤٩٤٢: أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ٦/ ٢٠٢ الحديث رقم ٧٩٠٢.

فلا يزالُ يدعو لهُما ويستغفرُ لهُما حتى يكتبَه اللّهُ بارّاً».

٤٩٤٣ ـ (٣٣) وعن ابنِ عبّاسٍ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «مَنْ أصبحَ مُطيعاً للهِ في والدَيهِ أصبحَ له بابانِ مفتوحانِ منَ الجنّةِ، وإن كانَ واحداً فواحداً. ومَنْ أمسى عاصياً لله في والدَيه أصبحَ له بابانِ مفتوحان من النّارِ، إنْ كانَ واحداً فواحداً» قال رجلٌ: وإنْ ظلَماه؟ قال: «وإنْ ظلَماهُ، وإنْ ظلَماهُ، وإنْ ظلَماهُ».

٤٩٤٤ ـ (٣٤) وعنه، أنّ رسولَ الله ﷺ قال: «ما من ولَدٍ بارٍّ ينظرُ إلى والدَيه نظرةَ رحمةٍ إلا كتبَ اللّهُ له بكلِّ نظرةٍ حجّةً مبرورةً». قالوا: وإنْ نظرَ كلَّ يومٍ مائةَ مرّةٍ؟

متعلق بعلق قدم عليه للاختصاص («فلا يزال») أي العاق في حياتهما التائب بعد موتهما («يدعو لهما») أي بالرحمة ونحوها («ويستغفر لهما») أي لذنوبهما («حتى يكتبه الله») أي في ديوان عمله بأمر الحفظة («باراً»)، ﴿فإن الحسنات يذهبن السيئات﴾، والتائب من الذنب كمن لا ذنب له، وإنما قيدنا بالتوبة، فإن العقوق من حقوق الله أيضاً فلا بد منها حتى يصير باراً.

٤٩٤٣ ـ (وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «من أصبح مطيعاً لله في والديه») أي في حقهما، وفيه أن طاعة الوالدين لم تكن طاعة مستقلة بل هي طاعة الله التي بلغت توصيتها من الله تعالى بحسب طاعتهما لطاعته، وكذلك العصيان والأذى وهو من باب قوله تعالى: ﴿إن الذين يؤذون الله ورسوله﴾ [الأحزاب ـ ٥٧] ذكره الطيبي، قلت: ويؤيده إنه ورد: «لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق»[1]، بل من أطاعهما ولم ينو رضا الله تعالى لا يكون باراً، وفي نسخة والده وكأنه أراد به الجنس مع قطع النظر عن وصف الذكورة والأنوثة، وقيل: إنه من صيغ النسب كتامر، ولابن، فيشمل الأب والأم قلت: ومع هذا لا بد أن يراد به الجنس ليستقيم قوله: («أصبح له بابان مفتوحان من الجنة») يجوز أن يكون صفة أخرى لقوله «بابان»، وأن يكون حالاً من الضمير في مفتوحان. ذكره الطيبي، («وإن كان»)، وفي نسخة فإن كان أي الوالد المطاع («واحداً فواحداً») أي فكان الباب المفتوح واحداً. إلى هنا رواه ابن عساكر عن ابن عباس، («ومن أمسى عاصياً لله تعالى في والديه أصبح له بابان مفتوحان من النار، وإن كان واحداً فواحداً، قال رجل: وإن ظلماه») قال الطيبي: يراد بالظالم ما يتعلق بالأمور الدنيوية لا الأخروية. («قال: وإن ظلماه وإن ظلماه وإن ظلماه») ثلاث مرات، للتأكيد والمبالغة.

٤٩٤٤ ـ (وعنه) أي عن ابن عباس رضي الله عنه (أن رسول الله ﷺ قال: «ما من ولد بار ينظر إلى والديه») أي أو أحدهما («نظرة رحمة») أي محبة وشفقة («إلا كتب الله له بكل نظرة حجة مبرورة») أي ثواب حجة نافلة («مقبولة، قالوا: وإن نظر كل يوم مائة مرة») أي أيكون

الحديث رقم ٤٩٤٣: أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ٦/٢٠٦ الحديث رقم ٧٩١٦.

(١) أحمد في المسند ١/١٣١ عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه وأخرجه أيضاً عن غيره.

الحديث رقم ٤٩٤٤: أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ٦/١٨٦ الحديث رقم ٧٨٥٦.

قال: «نعم، اللَّهُ أكبرُ وأطيبُ».

٤٩٤٥ ـ (٣٥) وعن أبي بكرةَ [رضي الله عنه]، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «كلُّ الذنوبِ يغفرُ اللَّهُ منها ما شاءَ إلاَّ عقوقَ الوالدَين فإنَّهُ يُعجِّلُ لصاحبِه في الحياةِ قبلَ المماتِ».

كذلك (قال: نعم الله أكبر) أي أعظم مما يتصوّر، وخيره أكثر مما يحصى ويحصر («وأطيب») أي أطهر من أن ينسب إلى قصور في قدرته ونقصان في مشيئته وإرادته، قال الطيبي: وبالاستبعاده من أن يعطي الرجل بسبب النظرة حجة وإن نظر مائة مرة يعني الله أكبر مما في اعتقادك من أنه لا يكتب له تلك الأعداد الكثيرة ولا يثاب عليه ما هو أطيب اهـ. وفيه أن قوله: «أطيب» صفة لله لا للثواب والله أعلم بالصواب.

٤٩٤٥ ـ (وعن أبي بكرة) بالهاء رضي الله عنه (قال: قال رسول الله ﷺ: «كل الذنوب») أي جميع أنواع المعاصي ما عدا الشرك («يغفر الله منها») أي من جملتها («ما شاء») فمن تبعيضية، والأظهر أنها مبينة مقدمة («إلا عقوق الوالدين فإنه») أي إليه («يعجل») [أي الله] («لصاحبه») أي لمرتكب العقوق جزاء ذنبه («في الحياة قبل الممات») أي فلا يؤخر إلى يوم القيامة، واللام عوض عن المضاف إليه أي في حياة العاق قبل مماته، ويمكن أن يكون التقدير في حياة الوالدين قبل مماتهما، ثم يحتمل أن يكون في معناهما سائر حقوق العباد، ولأن مثل هذا الوعيد أيضاً ورد في حق أهل الظلم والبغي بغير الحق. هذا وقال الطيبي: أن من تبعيضية منصوبة المحل مفعول يغفر مجازاً، وما شاء بدل منه. ويجوز أن يتعلق بيغفر وتكون ابتدائية وما شاء مفعول، ومعنى الشمول في الكل الاستغراق يعني كل فرد من أفراد الذنوب مغفور إذا تعلقت مشيئة الله تعالى به إلا عقوق الوالدين، وهذا وارد على سبيل التغليظ والتشديد، ومفعول يعجل محذوف أي العقوبة يدل عليه سياق الكلام اهـ. وتبعه ابن الملك، لكن في عبارتهما خطأ فاحش إذ مفهومه أن مغفرة عقوق الوالدين مستثنى، ولو تعلقت بها مشيئة الله تعالى، وليس كذلك، فإيراد ما شاء في الحديث إنما هو لإخراج الشرك فقط قال تعالى: ﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾ [النساء ـ ٤٨] فالصواب إن معناه كل فرد من أفراد الذنوب التي قد يتعلق به مشيئة الله تعالى مغفور إلا عقوق الوالدين، فإن الغالب أن لا يتعلق به مشيئة المغفرة، وفي هذا أو في زجر وتهديد، ولا يصح أن يقال: التقدير إلا عقوقهما فإنه لا يتعلق به المشيئة مطلقاً وحينئذ يكون وارداً على سبيل الوعيد والتشديد لأن كلامه ﷺ لا يحمل على ما يكون ظاهره مناقضاً لكلامه سبحانه، وقد أخبر بأن مشيئته تتعلق بما عدا الشرك.

الحديث رقم ٤٩٤٥: أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ٦/ ١٩٧ الحديث رقم ٧٨٩٠.

٤٩٤٦ ـ (٣٦) وعن سعيد بن العاص، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «حقُّ كبيرِ الإخوة على صغيرِهم حقُّ الوالدِ على ولدِه». روى البيهقيُّ الأحاديثَ الخمسة في «شعب الإيمان».

(١٥) باب الشفقة والرحمة على الخلق

الفصل الأول

٤٩٤٧ ـ (١) عن جريرِ بن عبد الله، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «لا يرحمُ اللهُ مَنْ لا يرحمُ النَّاسَ». متفق عليه.

٤٩٤٦ ـ (وعن سعيد بن العاص) هو أخو عمرو بن العاص ولد عام الهجرة وكان أحد أشراف قريش، وهو أحد الذين كتبوا المصحف لعثمان، واستعمله عثمان على الكوفة، وغزا بالناس طبرستان فافتتحها، ومات سنة تسع وخمسين. ذكره المؤلف في فصل الصحابة (قال: قال رسول الله ﷺ: «حق كبير الأخوة على صغيرهم حق الوالد على ولده») أي كحقه عليهم فهو من التشبيه البليغ مبالغة. (روى البيهقي الأحاديث الخمسة في شعب الإيمان)، ولفظ الجامع «كحق الوالد على ولده». والله أعلم.

باب الشفقة والرحمة على الخلق

الشفقة الاسم من الإشفاق وهو الخوف، والشفقة عناية مختلطة بخوف لأن المشفق يحب المشفق عليه، ويخاف ما يلحقه من المشقة الدنيوية والأخروية، وفي القاموس أشفق أي حاذر.

(الفصل الأول)

٤٩٤٧ ـ (عن جرير بن عبد الله) أي البجلي (قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يرحم الله من لا يرحم الناس») أي من لا يتعطف عليهم ولا يرأف بهم، والظاهر أنه أخبار، ويحتمل أن يكون دعاء، والمعنى أنه لا يكون من الفائزين بالرحمة الكاملين والسابقين إلى دار الرحمة وإلا فرحمته وسعت كل شيء. قال الطيبي: الرحمة الثانية محمولة على الحقيقة والأولى على المجاز لأن الرحمة من الخلق التعطف والرقة وهو لا يجوز على الله والرحمة من الله، الرضا عمن رحمه لأن من رق له القلب فقد رضي عنه، أو الأنعام وإرادة الخير لأن الملك إذا عطف على رعيته ورق لهم أصابهم بمعروفه وأنعامه. (متفق عليه)؛ ورواه أحمد والشيخان وأبو داود

الحديث رقم ٤٩٤٦: أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ٦/ ٢١٠ الحديث رقم ٧٩٢٩.

الحديث رقم ٤٩٤٧: أخرجه البخاري في صحيحه ١٣/ ٣٥٨ الحديث رقم ٧٣٧٦، ومسلم في ٤/ ١٨٠٩ الحديث رقم (٦٦ ـ ٢٣١٩)، والترمذي في السنن ٤/ ٢٨٤ الحديث رقم ١٩٢٢، وابن ماجه في ٢/ ١٣٥٤ الحديث رقم ٣٦٦٥، وأحمد في المسند ٤/ ٣٥٨.

٤٩٤٨ ـ (٢) وعن عائشةَ، قالتْ: جاء أعرابيٌّ إلى النبيِّ ﷺ فقال: أتُقبِّلونَ الصبيانَ؟ فما نُقبِّلهم. فقال النبيُّ ﷺ: «أوَ أملِكُ لكَ إن نزعَ اللَّهُ من قلبِكَ الرحمةَ؟». متفق عليه.

٤٩٤٩ ـ (٣) وعنها، [٣٧١ ـ أ ـ] قالتْ: جاءتني امرأةٌ ومعها ابنتانِ لها تسألُني، فلم تجدْ عندي غيرَ تمرةٍ واحدةٍ، فأعطيتُها إيّاها، فقسمتْها بينَ ابنتيها، ولم تأكلْ منها، ثمَّ قامتْ فخرجتْ. فدخل النبيُّ ﷺ، فحدَّثته، فقال:

والترمذي عن أبي هريرة، والشيخان عن جرير أيضاً بلفظ: «من لا يرحم لا يرحم» وفي رواية لأحمد والشيخين والترمذي عن جرير، ولأحمد والترمذي أيضاً عن أبي سعيد بلفظ: «من لا يرحم الناس؛ لا يرحمه الله» وفي رواية للطبراني عن جرير «من لا يرحم من في الأرض لا يرحمه من في السماء»، وفي أخرى له عنه أيضاً «من لا يرحم لا يرحم ومن لا يغفر لا يغفر له ومن لا يتب لا يتب عليه»، كذا في الجامع الصغير، ولم يذكر فيه لفظ المشكاة والله أعلم.

٤٩٤٨ ـ **(وعن عائشة رضي الله عنها قالت: جاء أعرابي إلى رسول الله)**، وفي نسخة إلى النبي، (ﷺ **فقال: أتقبلون الصبيان**) أي الصغار، والهمزة للإنكار (**فما نقبلهم**) أي إن كنتم تقبلونهم فما نقبلهم، وهو إما للاستكبار أو للاستحقار، قال الطيبي: الفاء استبعادية أي أتفعلون ذلك وهو مستبعد عندنا، قلت: الظاهر أن الاستبعاد مفهوم من الاستفهام لا من الفاء لأنه غير معروف في معانيها، (**فقال النبي ﷺ: «أو أملك لك»**) بفتح الهمزة الاستفهامية الإنكارية وواو العاطفة أو الرابطة (**«أن نزع الله من قلبك الرحمة»**) بفتح همزة أن، فإن مع الفعل مصدر وقع موقع الظرف، وفي نسخة بكسرها، فإن شرطية دل على جزائها ما قبلها. قال الأشرف: يروى أن بفتح الهمزة فهي مصدرية ويقدر مضاف أي لا أملك لك دفع نزع الله من قلبك الرحمة، أو لا أملك لك أن أضع في قلبك ما نزعه الله منه من الرحمة، ويروى بكسرها فتكون شرطية. والجزاء محذوف من جنس ما قبله أي إن نزع الله من قلبك الرحمة لا أملك لك دفعه ومنعه. (**متفق عليه**).

٤٩٤٩ ـ (**وعنها**) أي عائشة رضي الله عنه (**قالت: «جاءتني امرأة ومعها ابنتان لها تسألني»**) أي عطية (**«فلم تجد عندي غير تمرة واحدة فأعطيتها إياها»**) أي التمرة ولم تستحقرها لقوله تعالى: ﴿**فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره**﴾ [الزلزلة ـ ٧] ولقوله عليه السلام: «اتقوا النار ولو بشق تمرة»، (**«فقسمتها بين ابنتيها ولم تأكل منها»**) أي مع جوعها إذ يستبعد أن تكون شبعانة مع جوع ابنتيها (**«ثم قامت فخرجت، فدخل النبي ﷺ فحدثته»**) أي بما جرى (**«فقال:**

الحديث رقم ٤٩٤٨: أخرجه البخاري في صحيحه ١٠/ ٤٢٦ الحديث رقم ٥٩٩٨، ومسلم في ٤/ ١٨٠٨ الحديث رقم ٦٤/ ٢٣١٧، وابن ماجه في السنن ٢/ ١٢٠٩ الحديث رقم ٣٦٦٥.

الحديث رقم ٤٩٤٩: أخرجه البخاري في صحيحه ١٠/ ٤٢٦ الحديث رقم ٥٩٩٥، ومسلم في ٤/ ٢٠٢٧ الحديث رقم ١٤٧ ـ ٢٦٢٩، والترمذي في السنن ٤/ ٢٨٢ الحديث رقم ١٩١٥ وابن ماجه في ٢/ ١٢١٠ الحديث رقم ٣٦٦٨، وأحمد في المسند ٦/ ٣٣.

«مَن ابتُلِيَ من هذه البنات بشيءٍ فأحسنَ إليهنّ كنّ له ستراً من النار». متفق عليه.

٤٩٥٠ ـ (٤) وعن أنسٍ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «مَن عالَ جاريتينِ حتى تبلغا جاءَ يومَ القيامةِ أنا وهوَ هكذا» وضمَّ أصابعَه. رواه مسلم.

من ابتلي») بصيغة المجهول أي امتحن لأن الناس يكرهونهن غالباً («من هذه البنات بشيء») متعلق بابتلي، ومن بيانية مع مجرورها حال من شيء، والإشارة إلى الجنس. وقال شارح للمصابيح: قوله: من بلي من الإبلاء من هذه البنات شيئاً أي بشيء، وفي كتاب مسلم من ابتلي من هذه البنات بشيء وهو الصواب. وروى لفظ المصابيح بلي من الولاية لمكان شيئاً وليس بشيء؛ وقال التوربشتي: قوله: «من ابتلي من هذه البنات بشيء»، هذه الرواية هي الصواب. والرواية التي اختارها صاحب المصابيح يتخبط الناس فيها لمكان قوله: شيئاً، وروي بالياء من الولاية وليس بشيء. والصواب فيه «من بلي من هذه البنات بشيء» اهـ. وحاصل كلامه أن الرواية الثانية إما ابتلي كما في المشكاة وإما بلي كما في المصابيح، وإن الصواب فيهما بشيء، وإن شيئاً بالنصب خطأ وكذا بلي من الولاية، بل هو تصحيف وتحريف والله أعلم. قال الطيبي: الرواية في البخاري والحميدي والبيهقي وشرح السنة «من ابتلي من هذه البنات بشيء»، ولم أتفق على ما في المصابيح وهو «من بلي من هذه البنات شيئاً» في الأصول اهـ. («فأحسن إليهن») قيل: بتزويجهن الأكفاء، والأحسن أن يعم الإحسان («كن له») أي للمبتلى («ستراً») بكسر أوله أي حجاباً دافعاً («من النار») أي دخولها، ولعل وجه تخصيصهن أن احتياجهن إلى الإحسان يكون أكثر من الصبيان فمن سترهن بالإحسان عن لحوق العار يجازى بالستر عن النار جزاء وفاقاً، واختلف في المراد بالابتلاء هل هو نفس وجودهن أو الابتلاء بما صدر منهن أو الإنفاق عليهن. وكذا اختلف في المراد بالإحسان هل يقتصر على قدر الواجب أو ما زاد عليه، والظاهر الثاني، ثم شرط الإحسان أن يوافق الشرع، والظاهر أن الثواب المذكور إنما يحصل لفاعله إذا استمر عليه إلى أن يحصل استغناؤهن عنه بزوج أو غيره. (متفق عليه)؛ ورواه أحمد والترمذي بلفظ المشكاة على ما في الجامع الصغير.

٤٩٥٠ ـ (وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من عال جاريتين») أي أنفق عليهما وقام بمؤنتهما («حتى تبلغا») أي تدركا البلوغ أو تصلا إلى زوجهما («جاء يوم القيامة أنا وهو كذلك») جملة حالية بغير واو أي جاء مصاحباً لي («وضم أصابعه») أي أصبعيه. (رواه مسلم). وفي الجامع الصغير بلفظ «من عال جاريتين حتى تدركا دخلت أنا وهو الجنة كهاتين». رواه مسلم والترمذي عن أنس، وروى أبو داود بسند حسن عن أبي سعيد ولفظه: «من عال ثلاث بنات فأدبهن وزوّجهن وأحسن إليهن فله الجنة»[1].

الحديث رقم ٤٩٥٠: أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ٢٠٢٧ الحديث رقم (١٤٩ ـ ٢٦٣١)، والترمذي في السنن ٤/ ٢٨١ الحديث رقم ١٩١٤.

(١) أبو داود في السنن ٥/ ٣٥٥ الحديث رقم ٥١٤٧.

٤٩٥١ ـ (٥) وعن أبي هريرة، قال رسولُ الله ﷺ: «السَّاعي على الأرملةِ والمسكينِ كالساعي في سبيلِ الله»، وأحسبه قال: «كالقائمِ لا يفتُرُ وكالصَّائمِ لا يفطرُ». متفق عليه.

٤٩٥٢ ـ (٦) وعن سهلِ بن سعدٍ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «أنا

٤٩٥١ ـ (وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الساعي على الأرملة») بفتح الميم التي لا زوج لها، قيل: سواء كانت غنية أو فقيرة، وفيه بعد، وإن كان ظاهر إطلاق الحديث يعمهما («والمسكين»)، وفي معناه الفقير بل بالأولى عند بعضهم («كالساعي في سبيل الله») أي ثواب القائم بأمرهما وإصلاح شأنهما والإنفاق عليهما كثواب الغازي في جهاده، فإن المال شقيق الروح وفي بذله مخالفة النفس ومطالبة رضا الرب. قال النووي: المراد بالساعي الكاسب لهما العامل لمؤنتهما، والأرملة من لا زوج لها سواء تزوّجت قبل ذلك أم لا. وقيل: التي فارقها زوجها. قال ابن قتيبة: سميت أرملة لما يحصل لها من الإرمال وهو الفقر وذهاب الزاد بفقد الزوج. يقال: أرمل الرجل إذا فنى زاده. قلت: وهذا مأخذ لطيف في إخراج الغنية من عموم الأرملة. قال الطيبي: وإنما كان معنى الساعي على الأرملة ما قاله النووي، لأنه ﷺ عداه بعلى مضمناً فيه معنى الإنفاق («وأحسبه») بكسر السين وفتحها أي أظنه («قال: كالقائم»)، قيل: قائله عبد الله بن سلمة القعنبي شيخ البخاري، ومسلم الراوي عن مالك كما صرح به في البخاري، ومعناه أظن أن مالكاً قال: كالقائم، وظاهر المشكاة أن قائله أبو هريرة، فالتقدير أحسب النبي ﷺ قال أيضاً: كالقائم، أو وقع له الشك في التشبيه الأول والثاني، ويؤيده ما في الجامع الصغير برواية أحمد والشيخين والترمذي والنسائي وابن ماجه بلفظ: «الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله أو القائم الليل الصائم النهار»، على أنه يمكن أن تكون أو بمعنى بل والله أعلم. فقوله: كالقائم أي بالليل للعبادة («لا يفتر») من الفتور، وهو الملل والكسل، وهو من باب نصر كما في المفاتيح، ومن باب ضرب أيضاً على ما في القاموس، وأكثر النسخ على الأوّل، فهو المعوّل. والمعنى لا يضعف عن العبادة («وكالصائم لا يفطر») أي في نهاره بل يصوم الدهر كله. قال الأشرف: الألف واللام في كالقائم والصائم غير معرفين، ولذلك وصف كل واحد بجملة فعلية بعده كقوله الشاعر:

ولقد أمر على اللئيم يسبني

وقال الطيبي: هما عبارتان عن الصوم بالنهار والقيام بالليل كقوله: «نهاره صائم وليله قائم» يريدون الديمومة. (متفق عليه). وتقدم رواية غيرهما.

٤٩٥٢ ـ (وعن سهل بن سعد) أي الساعدي رضي الله عنه (قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا

الحديث رقم ٤٩٥١: أخرجه البخاري في صحيحه ١٠/ ٤٣٧ الحديث رقم ٦٠٠٧، ومسلم في ٤/ ٢٢٨٦ الحديث رقم (٤ ـ ٢٩٨٢)، والترمذي في السنن ٤/ ٣٠٥ الحديث رقم ١٩٦٩، والنسائي في ٥/ ٨٦ الحديث رقم ٢٥٧٧، وابن ماجه في ٢/ ٧٢٤ الحديث رقم ٢١٤٠، وأحمد في المسند ٢/ ٣٦١.

الحديث رقم ٤٩٥٢: أخرجه البخاري في صحيحه ١٠/ ٤٣٦ الحديث رقم ٦٠٠٥، ومسلم في ٤/ ٢٢٨٧ =

وكافلُ اليتيمِ له، ولغيرِه، في الجنّةِ هكذا» وأشار بالسّبابة والوسطى وفرّجَ بينهما شيئاً. رواه البخاري.

٤٩٥٣ ـ (٧) وعن النعمانِ بن بشيرٍ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «ترى المؤمنينَ في تراحُمِهم وتوادِّهم وتعاطُفِهم كمثلِ الجسدِ إذا اشتكى عضواً

وكافل اليتيم») أي الذي مات أبوه وهو صغير يستوي فيه المذكر والمؤنث أي مربيه («له») أي كائناً لذلك الكافل كولد ولده وإن سفل أو ابن أخيه ونحوه («ولغيره») الواو بمعنى أو أي أو كائناً لغيره فيكون أجنبياً منه («في الجنة») خبر أنا ومعطوفه («هكذا») إشارة إلى كمال القرب («وأشار بالسبابة») أي المسبحة («والوسطى وفرج») بالتشديد أي فرق («بينهما شيئاً») أي قليلاً لعدم تصوّر الكثير، وكأنه أشار بذلك إلى علو مرتبة النبوّة وإن تلوها رتبة الفتوّة والمروّة. هذا وفي النهاية الكافل هو القائم بأمر اليتيم المربي له، وهو من الكفيل بمعنى الضمين، والضمير في له ولغيره راجع إلى الكافل أي أن اليتيم سواء كان للكافل من ذوي رحمة وأنسابه أو كان أجنبياً لغيره وتكفل به. قال الطيبي: قوله: «في الجنة» خبر أنا، وهكذا نصب على المصدر من متعلق الخبر وأشار بالسبابة والوسطى أي أشار بهما إلى ما في ضميره عليه السلام من معنى الانضمام وهو بيان هكذا اهـ. والظاهر أنه ﷺ ضم أصبعيه عند قوله: «هكذا» فعبر الراوي عن فعله ﷺ بقوله: وأشار، إذ الإشارة عما في ضميره عليه السلام غير متصوّر للراوي، قيل: اليتيم من الناس من مات أبوه ومن الدواب من مات أمه، وكافل اليتيم من يقوم بأمره ويعوله ويربيه وينفق عليه ولو من مال اليتيم والله أعلم. (رواه البخاري). وفي الجامع الصغير «أنا وكافل اليتيم في الجنة» هكذا رواه أحمد والبخاري وأبو داود والترمذي عن سهل بن سعد اهـ. وظاهره أن قوله في المشكاة: «له ولغيره» من كلام سهل أو من بعده أدرج في الحديث، أو هو رواية أخرى وفيها زيادة مقبولة، وأما قوله: «وأشار» فهو من كلام سهل، ولعله تركه صاحب الجامع اختصاراً والله أعلم.

٤٩٥٣ ـ (وعن النعمان بن بشير مر ذكرهما رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «ترى المؤمنين») أي الكاملين («في تراحمهم») أي في رحم بعضهم بعضاً بأخوة الإيمان لا بسبب رحم ونحوه («وتوادهم») بتشديد الدال المكسورة أي تواصلهم الجالب للمحبة كالتزاور والتهادي («وتعاطفهم») أي بإعانة بعضهم بعضاً («كمثل الجسد») أي جنسه («الواحد») المشتمل على أنواع الأعضاء («إذا اشتكى») أي الجسد («عضواً») لعدم اعتدال حال مزاجه،

= الحديث رقم (٤٢ ـ ٢٩٨٣)، وأبو داود في السنن ٥/ ٣٥١ الحديث رقم ٥١٥٠، والترمذي في ٤/ ٢٨٣ الحديث رقم ١٩١٨، ومالك في الموطأ ٢/ ٩٤٨ الحديث رقم ٥ من كتاب الشعر، وأحمد في المسند ٢/ ٣٧٥.

الحديث رقم ٤٩٥٣: أخرجه البخاري في صحيحه ١٠/ ٤٣٨ الحديث رقم ٦٠١١ ومسلم في ٤/ ١٩٩٩ الحديث رقم (٦٦ ـ ٢٥٨٦). وأحمد في المسند ٤/ ٢٩٨.

تداعى له سائرُ الجسدِ بالسَّهرِ والحُمَّى». متفق عليه.

٤٩٥٤ ـ (٨) وعنه، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «المؤمنونَ كرجلٍ واحدٍ، إنِ اشتكى عينه اشتكى كله، وإنِ اشتكى رأسه اشتكى كله». رواه مسلم.

٤٩٥٥ ـ (٩) وعن أبي موسى، عن النبيِّ ﷺ، قال: «المؤمنُ للمؤمنِ كالبُنيانِ يشدُّ بعضُه بعضاً» ثمَّ شبَّكَ بينَ

ونصبه على التمييز، والمعنى إذا تألم الجسد من جهة ذلك العضو، وفي نسخة إذا اشتكى عضو بالرفع أي إذا تألم عضو من أعضاء جسده («تداعى له») أي لذلك العضو («سائر الجسد») أي باقي أعضائه («بالسهر») بفتحتين أي عدم الرقاد («والحمى») أي بالحرارة والتكسر والضعف ليتوافق الكل في العسر كما كانوا في حال الصحة متوافقين في اليسر، ثم أصل التداعي أن يدعو بعضهم بعضاً ليتفقوا على فعل شيء، فالمعنى أنه كما أن عند تألم بعض أعضاء الجسد يسري ذلك إلى كله، كذلك المؤمنون كنفس واحدة إذا أصاب واحداً منهم مصيبة ينبغي أن يغتم جميعهم ويهتموا بإزالتها عنه. وفي النهاية كأن بعضه دعا بعضاً، ومنه قولهم: تداعت الحيطان أي تساقطت أو كادت، ووجه الشبه هو التوافق في المشقة والراحة والنفع والضر. (متفق عليه).

٤٩٥٤ ـ (وعنه) أي عن النعمان رضي الله عنه (قال: قال رسول الله ﷺ: «المؤمنون كرجل») أي كأعضاء رجل («واحد») لأنهم على دين واحد («إن اشتكى عينه») بالرفع، وفي نسخة بالنصب، وكذا فيما بعده («اشتكى كله، وإن اشتكى رأسه اشتكى كله». رواه مسلم). وكذا الإمام أحمد.

٤٩٥٥ ـ (وعن أبي موسى) أي الأشعري (رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «المؤمن للمؤمن») التعريف للجنس، والمراد بعض المؤمن للبعض، ذكره الطيبي، ويمكن أن يكون للاستغراق أي كل مؤمن لكل مؤمن، والأظهر أنه للعهد الذهني في الأول وللجنس في الثاني أي المؤمن الكامل لمطلق المؤمن («كالبنيان») أي البيت المبني («يشد بعضه») أي بعض البنيان («بعضاً»)، والجملة حال أو صفة أو استئناف بيان لوجه الشبه وهو الأظهر، ثم لا شك أن القوي هو الذي يشد الضعيف ويقويه، وحاصل معناه أن المؤمن لا يتقوّى في أمر دينه أو دنياه إلا بمعونة أخيه كما أن بعض البناء يقوّي بعضه («ثم شبك») أي النبي ﷺ أو أبو موسى («بين

الحديث رقم ٤٩٥٤: أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ٢٠٠٠ الحديث رقم (٦٧ ـ ٢٥٨٦)، وأحمد في المسند ٤/ ٢٧٦.

الحديث رقم ٤٩٥٥: أخرجه البخاري في صحيحه ١٠/ ٤٤٩ الحديث رقم ٦٠٢٦، ومسلم في صحيحه ٤/ ١٩٩٩ الحديث رقم (٦٥ ـ ٢٥٨٥)، والنسائي في السنن ٥/ ٧٩ الحديث رقم ٢٥٦٠، وأحمد في المسند ٤/ ٤٠٤.

أصابعه. متفق عليه.

٤٩٥٦ ـ (١٠) وعنه، عن النبيِّ ﷺ، أنَّه كانَ إذا أتاهُ السَّائلُ أو صاحبُ الحاجةِ قال: «اشفعوا فلتؤجَروا ويقضي اللهُ على لسانِ رسولِه ما شاءَ».

أصابعه») أي أدخل أصابع إحدى يديه بين أصابع اليد الأخرى، قال الطيبي: قوله: «ثم شبك كالبيان» لوجه الشبه أي شداً مثل هذا الشد. (متفق عليه). قال ميرك: اختص البخاري بذكر التشبيك، وبدونه رواه الترمذي والنسائي، قلت: وفي الجامع الصغير بدون التشبيك أسنده إلى الشيخين والترمذي والنسائي، وهذا يؤيد أن ضمير شبك إلى أبي موسى، فمن رواه إنما رواه مدرجاً والله أعلم. قال النووي: فيه تعظيم حقوق المسلمين بعضهم لبعض وحثهم على التراحم والملاطفة والتعاضد في غير اثم ولا مكروه، وفيه جواز التشبيه وضرب الأمثال لتقريب المعاني إلى الإفهام.

٤٩٥٦ ـ (وعنه) أي عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه (عن النبي ﷺ: «أنه كان إذا أتاه السائل») أي للعطية («أو صاحب الحاجة») أي إليه أو إلى غيره وهو أعم من السؤال، فأو للتنويع («قال: اشفعوا») أي له («فلتؤجروا») بسكون الهمزة ويبدل، وهو أمر المخاطب باللام نحو قوله تعالى: ﴿قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا﴾ [يونس ـ ٥٨] بالخطاب في رواية يعقوب من العشرة بقاء على الأصل المرفوض، وقد روي مرفوعاً ويؤيده أنه قرىء فافرحوا، والفاء بمعنى الشرط كأنه قيل: إن شفعتم فتؤجروا، وفي المغني أن اللام الطلبية قد تخرج عن الطلب إلى غيره كالتي يراد بها أو بمصحوبها الخبر نحو قوله تعالى: ﴿قل من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مداً اتبعوا سبيلنا ولتحمل خطاياكم﴾ [العنكبوت ـ ١٢] أي فيمد ونحمل اهـ. وخلاصة المعنى اشفعوا تؤجروا كما في رواية ابن عساكر عن معاوية، وكذا في هذا الحديث على ما سيأتي، ثم رأيت الطيبي قال: الفاء في فلتؤجروا أو اللام مقحمة للتأكيد بل كلاهما مؤكدان لأنه لو قيل: تؤجروا جواباً للأمر تم كلامه ولا يخفى ما سبق من التحقيق والله ولي التوفيق. قال المظهر: والمعنى إذا عرض صاحب حاجة حاجته علي اشفعوا له إلي فإنكم إن شفعتم له حصل لكم بتلك الشفاعة أجر سواء قبلت شفاعتكم أو لم تقبل. وقوله: (ويقضي الله على لسان رسوله) أي يجري على لساني (ما شاء) أي إن قضيت حاجته من شفاعتكم له فهو بتقدير الله، وإن لم أقض فهو أيضاً بتقدير الله اهـ. وقوله على لسان رسوله: يحتمل أن يكون نقلاً بالمعنى وأن يكون فيه نوع التفات، وهو ظاهر كلام المظهر، وفي زيادة المضاف إفادة أن غيره في هذا المعنى بطريق الأولى. وقال الطيبي: هو من باب التجريد إذ الظاهر أن يقال على لساني كأنه قال: اشفعوا لي ولا تقولوا ما ندري أيقبل رسول الله ﷺ شفاعتنا أم لا، فإني وإن

الحديث رقم ٤٩٥٦: أخرجه البخاري في صحيحه ٤٤٨/١٣ الحديث رقم ٧٤٧٦، ومسلم في صحيحه ٢٠٢٦/٤ الحديث رقم (١٤٥ ـ ٢٦٢٧)، وأبو داود في السنن ٣٣٤/٥ الحديث رقم ٥١٠٨، والترمذي في ٤١/٥ الحديث رقم ٢٦٧٢، والنسائي في ٧٨/٥ الحديث رقم ٢٥٥٧، وأحمد في المسند ٤٠٠/٤.

متفق عليه.

٤٩٥٧ ـ (١١) وعن أنسٍ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «أنصُرْ أخاكَ ظالماً أو مظلوماً». فقال رجلٌ: يا رسولَ الله! أنصرُه مظلوماً، فكيفَ أنصرُه ظالماً؟ قال: «تمنعُه من الظلم، فذلك نصرُكَ إيّاهُ». متفق عليه.

٤٩٥٨ ـ (١٢) وعن ابن عمر، أنَّ رسول الله ﷺ قال: [٣٧١ ـ ب ـ] «المسلمُ أخو

كنت رسول الله ونبيه وصفيه لا أدري أيضاً أقبل شفاعتكم أم لا لأن الله تعالى هو القاضي، فإن قضى لي أن أقبل أقبل وإلا فلا، وهو من قوله ﷺ: «اعملوا فكل ميسر لما خلق له». قلت: وفيه تلميح وتلويح إلى قوله: «ما أدري ما يفعل بي ولا بكم». قال النووي: أجمعوا على تحريم الشفاعة في الحدود بعد بلوغها إلى الإمام، وأما قبله فقد أجاز الشفاعة فيه أكثر العلماء إذا لم يكن المشفوع فيه صاحب شر وأذى للناس، وأما المعاصي التي لا حد فيها والواجب التعزيز. فيجوز الشفاعة والتشفع فيها سواء بلغت الإمام أم لا، لأن الشفاعة فيها مستحبة إذا لم يكن المشفوع فيه مؤذياً وشريراً. (متفق عليه)، ورواه أبو داود والترمذي والنسائي ذكره ميرك؛ وفي الجامع الصغير «اشفعوا تؤجروا ويقضي الله على لسان نبيه ما شاء». رواه الشيخان والثلاثة.

٤٩٥٧ ـ (وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أنصر أخاك») أي المسلم («ظالماً») حال من المفعول («أو مظلوماً») تنويع («فقال رجل: يا رسول الله أنصره») أي أنا («مظلوماً») أي حال كونه مظلوماً وهو ظاهر المبنى («فكيف أنصره ظالماً») فإنه خفي المعنى («قال: تمنعه من الظلم») أي الذي يريد فعله («فذلك») أي منعك إياه منه («نصرك إياه») أي على شيطانه الذي يغويه أو على نفسه التي تطغيه. (متفق عليه). قال ميرك: فيه نظر، فإن الحديث بهذا السياق من أفراد البخاري من حديث أنس ورواه الترمذي أيضاً كما صرح به الشيخ الجزري أيضاً. نعم أخرجه مسلم من حديث جابر في أثناء حديث بلفظ: «ولينصر الرجل أخاه ظالماً أو مظلوماً، إن كان ظالماً فلينهه فإنه له نصر، وإن كان مظلوماً فلينصره». قلت: ويتصره صنيع صاحب الجامع الصغير حيث أورد الحديث بلفظ «أنصر أخاك ظالماً أو مظلوماً»، قيل: «كيف أنصره ظالماً قال: تحجزه عن الظلم فإن ذلك نصره». رواه أحمد والبخاري والترمذي عن أنس ثم قال: وفي رواية الدارمي وابن عساكر عن جابر «أنصر أخاك ظالماً أو مظلوماً إن يك ظالماً فأردده عن ظلمه وإن يك مظلوماً فانصره».

٤٩٥٨ ـ (وعن عمر رضي الله تعالى عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «المسلم أخو

الحديث رقم ٤٩٥٧: أخرجه البخاري في صحيحه ١٢/٣٢٣ الحديث رقم ٦٩٥٢، ومسلم في ٤/١٩٩٨ الحديث رقم (٦٢ ـ ٢٥٨٤)، والترمذي في السنن ٤/٤٥٣ الحديث رقم ٢٢٥٥، والدارمي في ٢/٤٠١ الحديث رقم ٢٧٥٣، وأحمد في المسند ٣/٩٩.

الحديث رقم ٤٩٥٨: أخرجه البخاري في صحيحه ٥/٩٧ الحديث رقم ٢٤٤٢، ومسلم في ٤/١٩٩٦ الحديث رقم (٥٨ ـ ٢٥٨٠)، والترمذي في السنن ٤/٢٦ الحديث رقم ١٤٢٦.

المسلم، لا يظلمه، ولا يُسلِمُهُ، ومن كان في حاجةِ أخيه كان الله في حاجته، ومن فرّج عن مسلم كربةً فرج الله عنه كربةً من كُربات يوم القيامة،

المسلم») فيه إشعار بأن المسلم والمؤمن واحد لقوله تعالى: ﴿إنما المؤمنون أخوة﴾ [الحجرات - ١٠] وهو مجمل تفصيله ما بعده، ولهذا ورد منقطعاً عما بعده على ما رواه أبو داود عن سويد بن حنظلة، وابن عساكر عن واثلة. وحاصله «أن المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده والأخ لا يضر أخاه بل ينفعه في كل ما يراه»، ويمكن أن يكون التركيب من قبيل التشبيه البليغ مبالغة كما ورد «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه». («لا يظلمه») نفي بمعنى النهي، والمعنى لا ينبغي له أن يظلمه، وفي حكم المسلم الذمي والمستأمن ثم إنه لا مفهوم له، فإن الظلم لا يتصوّر في حق الكافر، وهو استئناف بيان للموجب أو لوجه الشبه، فإن الظالم ينحط أولاً عن رتبة النبوة «لا ينال عهدي الظالمين»، وثانياً عن درجة الولاية «ألا لعنة الله على الظالمين»، وثالثاً عن مزيد السلطنة «البيت الظالم خراب ولو بعد حين»، ورابعاً عن نظر الخلائق «جبلت القلوب على حب من أحسن إليها وبغض من أساء إليها»، وخامساً عن حفظ نفسه «ولكن كانوا أنفسهم يظلمون». (شعر).

لا تظلمن إذا ما كنت مقتدراً ... فالظلم آخره يأتيك بالندم
نامت عيونك والمظلوم منتبه ... يدعو عليك وعين الله لم تنم

(«ولا يسلمه») بضم أوله وكسر اللام أي لا يخذله بل ينصره، ففي النهاية يقال: أسلم فلان فلاناً إذا ألقاه إلى التهلكة ولم يحمه من عدوه، وهو عام في كل من أسلمته إلى شيء لكن دخله التخصيص وغلب عليه الإلقاء في الهلكة، وقال بعضهم: الهمزة فيه للسلب أي لا يزيل سلمه، وهو بكسر السين وفتحها الصلح. («ومن كان في حاجة أخيه») أي ساعياً في قضائها («كان الله في حاجته») هذا من قبيل المشاكلة، وقد ورد في رواية مسلم عن أبي هريرة ولفظه: «والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه»، وفيه تنبيه نبه على فضيلة عون الأخ على أموره، وإشارة إلى أن المكافأة عليها بجنسها من العناية الإلهية سواء كان بقلبه أو بدنه أو بهما لدفع المضار أو جذب المنافع إذا لكل عون («ومن فرج») بتشديد الراء ويخفف، وفي رواية من نفس بتشديد الفاء، والمعنى واحد أي أزال وكشف («عن مسلم كربة») أي من كرب الدنيا كما في نسخة، وهي كذلك في رواية مسلم عن أبي هريرة، والكربة بضم الكاف فعلة من الكرب، وهي الخصلة التي يحزن بها، وجمعها كرب بضم ففتح، والتنوين فيها للأفراد والتحقير أي هما واحداً من همومها أي هم كان صغيرة أو كبيرة عرضه وعرضه عدده وعدده، وقوله «من كرب الدنيا» أي بعض كربها أو كربة مبتدأة من كربها («فرج الله عنه كربة من كربات يوم القيامة») بضم الكاف والراء، وفي رواية من كرب يوم القيامة أي التي لا تحصى لأن الخلق كلهم عيال الله، وتنفيس الكرب إحسان لهم، وقد قال تعالى: ﴿هل جزاء الإحسان إلا الإحسان﴾ [الرحمن - ٦٠] وليس هذا منافياً لقوله تعالى: ﴿من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها﴾ [الأنعام - ١٦٠] لما ورد من أنها تجازي بمثلها وضعفها إلى عشرة إلى مائة إلى سبعمائة إلى غير حساب على أن كربة من كرب يوم القيامة تساوي عشراً أو أكثر من كرب الدنيا، ويدل عليه

ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة» متفق عليه.

٤٩٥٩ ـ (١٣) وعن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «المسلم أخو المسلم، لا يظلمه، ولا يَخذله، ولا يَحقِرُه، التقوى ههنا».

تنوين التعظيم، وتخصيص يوم القيامة دون يوم آخر. والحاصل أن المضاعفة إما في الكمية أو في الكيفية، (**«ومن ستر مسلماً»**) أي بدنه أو عيبه بعدم الغيبة له والذب عن معايبه، وهذا بالنسبة إلى من ليس معروفاً بالفساد وإلا فيستحب أن ترفع قصته إلى الوالي، فإذا رآه في معصية فينكرها بحسب القدرة وإن عجز يرفعها إلى الحاكم إذا لم يترتب عليه مفسدة، كذا في شرح مسلم للنووي (**«ستره الله يوم القيامة»**). وفي رواية «ستره الله في الدنيا والآخرة»، وفيه إشارة خفيفة صوفية صفية إلى أن من وقف على شيء من مقامات أهل العرفان وكرامات ذوي إلا يقال إن، أن يحفظ سره ويكتم أمره، فإن كشف الأسرار على الأغيار يسد باب العناية ويوجب الحرمان والغواية.

من أطلعوه على سر فباح به ... لم يأمنوه على الأسرار ما عاش

(**متفق عليه**)، وهو مختصر من حديث طويل ذكره الإمام النووي في أربعينه مسند إلى مسلم عن أبي هريرة وقد سبق ذكره في الكتاب.

٤٩٥٩ ـ (**وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله»**) بضم الذال المعجمة من الخذلان، وهو ترك النصرة والإعانة (**«ولا يحقره»**) بكسر القاف وفتح أوله أي لا يحتقره بذكر المعايب وتنابز الألقاب والاستهزاء والسخرية إذا رآه رث الحال أو ذا عاهة في بدنه أو غير لائق في محادثته، فلعله أخلص ضميراً وأتقى قلباً ممن هو على ضد صفته فيظلم نفسه بتحقير من وقره الله (**«التقوى ههنا»**). وقال المظهر: يعني لا يجوز تحقير المتقي من الشرك والمعاصي، والتقوى محله القلب، وما كان محله القلب يكون مخفياً عن أعين الناس، وإذا كان مخفياً فلا يجوز لأحد أن يحكم بعدم تقوى مسلم حتى يحقره، ويحتمل أن يكون معناه محل التقوى هو القلب، فمن كان في قلبه التقوى فلا يحقر مسلماً لأن المتقي لا يحقر المسلم. قال الطيبي: والقول الثاني أوجه والنظم له أدعى، لأنه ﷺ إنما شبه المسلم بالأخ ليبنيه على المساواة وأن لا يرى أحد لنفسه على أحد من المسلمين فضلاً ومزية ويحب له ما يحب لنفسه، وتحقيره إياه مما ينافي هذه الحالة، وينشأ منه قطع وصلة الأخوة التي أمر الله بها أن توصل، ومراعاة هذه الشريطة أمر صعب لأنه ينبغي أن يسوى بين السلطان وأدنى العوام وبين الغني والفقير وبين القوي والضعيف والكبير والصغير، ولا يتمكن من هذه الخصلة إلا من امتحن الله قلبه للتقوى وأخلصه من الكبر والغش

الحديث رقم ٤٩٥٩: أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ١٩٨٦ الحديث رقم (٣٢ ـ ٢٥٦٤)، وأبو داود في السنن ٥/ ١٩٦ الحديث رقم ٤٨٨٢، والترمذي في ٤/ ٢٨٦ الحديث رقم ١٩٢٧، وأحمد في المسند ٣/ ٤٩١.

ويشير إلى صدره ثلاث مرار «بحسب امرىء من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كلُّ المسلم على المسلم حرامٌ: دمُه ومالُهُ وعرضه». رواه مسلم.

والحقد ونحوها إخلاص الذهب الابريز من خبثه ونقاه منها، فيؤثر لذلك أمر الله تعالى على متابعة الهوى، وكذلك جاء قوله ﷺ التقوى ههنا **(ويشير إلى صدره ثلاث مرات)** معترضاً بين قوله: «ولا يحقره»، وبين قوله: **(«بحسب امرىء من الشر أن يحقر أخاه المسلم»)**، فإن كلاً منهما متضمن للنهي عن الاحتقار، وأنت عرفت أن موقع الاعتراض بين الكلام موقع التأكيد وقوله: **(«كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه»)** هو الغرض الأصلي، والمقصود الأولي، والسابق كالتمهيد، والمقدمة له، فجعل المسلم وعرضه جزءاً منه تلويحاً إلى معنى ما روى «حرمة مال المسلم كحرمة دمه»، والمال يبذل للعرض قال:

أصون عرضي بمالي لا أدنسه ... لابارك الله بعد العرض في المال

ولما أن التقوى تشد من عقد هذه الأخوة وتستوثق من عراها قال الله تعالى: ﴿**إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله**﴾ [الحجرات ـ ١٠] يعني أنكم إن أتقيتم لم تحملكم التقوى إلا على التواصل والائتلاف والمسارعة إلى إحاطة ما يفرط منه، وإن مستقر التقوى ومكانها المضغة التي إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله قال تعالى: ﴿**أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى**﴾ [الحجرات ـ ٣] ولذلك كرر ﷺ هذه الكلمة وأشار إلى صدره ثلاثاً، وإنما عدل الراوي عن الماضي إلى المضارع استحضاراً لتلك الحالة في مشاهدة السامع واهتماماً بشأنها! وهذا الحديث من جوامع الكلم، وفصل الخطاب الذي خص به هذا النبي المكرم ﷺ إلى هنا كلام الطيبي قد تم، فلنرجع إلى بعض ما يتعلق بالحديث الشريف من زوائد فوائد شرحه المنيف، منها قوله: التقوى ههنا، قال بعض العارفين: معناه أن حقيقة التقوى في صدري وفروعها في قلوب جميع الخلق لأنه محل عين الجمع ومرآة كشوف الغيب، كما قال: «أنا أعلمكم بالله وأخوفكم منه» بين أن من زاد معرفته زاد خشيته وتقواه وليس في الكونين أعرف منه، وقد ورد أنه قال: «الكل شيء معدن ومعدن التقوى قلوب العارفين» لأن العارف غائب في عظمة الله تعالى، شائق إلى لقائه، هائم في محبته، تجري عين التقوى من بحار معرفته من روحه إلى قلبه ومن قلبه إلى قالبه، وسره معدن التوحيد لأن الحق تجلى فيه بنعت القدم، وروحه معدن المعرفة لأن الحق تجلى بوصف البقاء فيها، وقلبه معدن الخشية والتقوى لأنه تجلى بوصف الكبرياء، والعظمة، فالتوحيد من عين القدم، والمعرفة من عين البقاء، والتقوى من عين الكبرياء. وقوله ثلاث مرار براء في آخره. في الأصول المعتمدة، وفي بعض النسخ بالتاء الفوقية، ثم قوله: «بحسب امرىء» مبتدأ والباء فيه زائدة، وقوله: «أن يحقر أخاه» خبره أي حسبه، وكافيه من خلال الشر ورذائل الأخلاق تحقير أخيه المسلم. كذا ذكره الطيبي وهو موهم إن قوله: «يحقره» من باب التفعيل وليس كذلك بل هو بفتح الياء وكسر القاف في الأصول، قال بعض المحققين: وحسب يستوي فيه الواحد والجمع والتثنية والمذكر والمؤنث لأنه مصدر قال النحاة إذا كان ما بعده معرفة فرفعه على الخبرية، والإضافة لفظية أو على الابتداء، وإن كان نكرة فرفعه على الابتداء فقط،

٤٩٦٠ ـ (١٤) وعن عياض بن حمار، قال: قال رسول الله ﷺ: «أهل الجنة ثلاثة: ذو سلطان مُقسطٌ متصدقٌ موفقٌ، ورجلٌ رحيم رقيق القلب لكلّ ذي قربى ومسلم،

والإضافة معنوية؛ ثم المراد بالعرض ما يجب أو يستحب شرعاً حمايته لا العصبية والحمية الجاهلية التي اعتادها كثير من الناس فيصرفون المال لطلب الجاه، والمنزلة في قلوب الخلق إذ هو من الهوى المتبع المهلك لكثير من الناس، فما أهلك الناس إلا الناس، ولو أنصف العلماء لعلموا أن أكثر ما هم فيه من العلوم والعبادات فضلاً عن العادات ما يحملهم عليها إلا مراعاة الخلق. قال يحيى بن معاذ: الرياسة ميادين إبليس ينزل هو وجنوده، وقيل: آخر شيء يخرج من رأس الصديقين محبة الجاه. هذا وزبدة الحديث أنه يجب على كل مسلم أن لا يقع في عرض أخيه بالغيبة والطعن والقذف والشتم والغمز واللمز والتجسس عن عوراته وإفشاء أسراره، فإن من تتبع عورة أخيه تتبع الله عورته فيفضحه ولو في جوف بيته ولا يماريه، ويرى الفضل لكل أحد على نفسه؛ أما الصغير فلأنه لم يعص الله وهو قد عصى، والكبير فلأنه أكثر عبادة، والعالم لعلمه، والجاهل لأنه قد عصى الله بجهله فحجة الله على العالم أوكد، ولذا ورد ويل للجاهل مرة وويل للعالم سبع مرات، وأما لكافر فلأن حسن العاقبة غير معلومة، والمدار على خاتمتها ختم الله لنا بالحسنى وبلغنا المقام الأسنى. (رواه مسلم)، وهو أيضاً بعض من الحديث الذي رواه الإمام النووي في أربعينه وأسنده إلى مسلم عن أبي هريرة مرفوعاً لا تحاسدوا ولا تناجشوا ولا تباغضوا ولا تدابروا ولا يبع بعضكم على بيع بعض، وكونوا عباد الله إخوان، المسلم أخو المسلم». الحديث.

٤٩٦٠ ـ (وعن عياض بن حمار) وهو اسم الحيوان المعروف، والعرب ما كانوا يتحاشون عن مثل هذه الأسماء حتى كانوا يسمون أولادهم كلباً وكلاباً. قال المؤلف: هو عياض بن حمار التميمي المجاشعي يعد في البصريين وكان صديقاً لرسول الله ﷺ، أسلم قديماً، روى عنه جماعة رضي الله عنه (قال: قال رسول الله ﷺ: «أهل الجنة ثلاثة») أي ثلاثة أجناس من الأشخاص («ذو سلطان») أي حكم، قال الطيبي: أي سلطان لأنه ذو قهر وغلبة من السلاطة، وهي التمكن من القهر، قال تعالى: ﴿ولو شاء الله لسلطهم﴾ [النساء ـ ٩٠]، ومنه سمي السلطان، وقيل: ذو حجة لأنه يقام الحجج به («مقسط») بالرفع صفة المضاف أي عادل يقال: اقسط فهو مقسط إذا عدل، وقسط فهو قاسط إذا جار، فالهمزة فيه للسلب كما يقال: شكا إليه فأشكاه، («متصدق») أي محسن إلى الناس («موفق») أي الذي هيىء له أسباب الخير وفتح له أبواب البر («ورجل رحيم») أي على الصغير والكبير («رقيق القلب لكل ذي قربى») خصوصاً («ومسلم») أي لكل مسلم عموماً. قال الطيبي: مفسر لقوله: رحيم أي يرق قلبه ويرحم لكل من بينه وبينه لحمة القرابة أو صلة الإسلام اهـ. والظاهر أن يراد بالرحيم صفة فعلية

الحديث رقم ٤٩٦٠: أخرجه مسلم في صحيحه ٤/٢١٩٧ الحديث رقم (٦٣ ـ ٢٨٦٥)، وأحمد في المسند ٤/٢٦١.

وعفيفٌ متعفِّفٌ ذو عيال. وأهلُ النار خمسةٌ: الضعيفُ الذي لا زَبْر له الذين هم فيكم تَبَعٌ

يظهر وجودها في الخارج وبالرفيق صفة قلبية سواء ظهر أثرها أم لا، والثاني أظهر فيكون باعتبار القوة، والأول باعتبار الفعل ويمكن أن تتعلق رحمة الرحيم إلى المعنى الأعم من الإنسان والحيوان الشامل للمؤمن والكافر والدواب، فيكون الثاني أخص. والحاصل أن التأسيس أولى من التأكيد («وعفيف») بالرفع على أنه الثالث من الثلاثة أي مجتنب عما لا يحل («متعفف») أي عن السؤال متوكل على الملك المتعال في أمره وأمر عياله مع فرض وجودهم، فإنه أصعب، ولهذا قال: («ذو عيال») أي لا يحمله حب العيال ولا خوف رزقهم على ترك التوكل بارتكاب سؤال الخلق وتحصيل المال الحرام والاشتغال بهم عن العلم والعمل مما يجب عليه، ويحتمل أنه أشار بالعفيف إلى ما في نفسه من القوة المانعة عن الفواحش، وبالمتعفف إلى إبراز ذلك بالفعل واستعمال تلك القوة وإظهار العفة عن نفسه. قال الطيبي: وإذا استقريت أحوال العباد على اختلافها لم تجد أحداً يستأهل أن يدخل الجنة ويحق له أن يكون من أهلها إلا وهو مندرج تحت هذه الأقسام غير خارج عنها. («وأهل النار خمسة») إشارة إلى كثرتهم («الضعيف الذي لا زبر له») بفتح الزاي وسكون الموحدة أي لا رأي له ولا عقل كاملاً بعقله ويمنعه عن ارتكاب ما لا ينبغي، وقد ورد «الدنيا دار من لا دار له، ومال من لا مال له، ولها يجمع من لا عقل له». وفي القاموس: الزبر العقل والكمال والصبر والانتهار والمنع والنهي اهـ، ولكل وجه في المعنى؛ وفي شرح السنة أي لا عقل له، وفي الغريبين يقال: ماله زبر أي عقل، قال التوربشتي: المعنى لا يستقيم عليه لأن من لا عقل له لا تكليف عليه، فكيف يحكم بأنه من أهل النار، وأرى الوجه فيه أن يفسر بالتماسك، فإن أهل اللغة يقولون: «لا زبر له» أي لا تماسك له، وهو في الأصل مصدر، والمعنى لا تماسك له عند مجيء الشهوات فلا يرتدع عن فاحشة ولا يتورع عن حرام؛ قلت: التماسك إنما هو من كمال العقل وحاصل بالصبر، فيحمل على أحدهما. وأغرب الطيبي في قوله: لعل الشيخ ذهب إلى أن قوله: («الذين هم فيكم تبع») قسم آخر من الأقسام الخمسة، ولذلك فسره بقوله: يعني به الخدام الذين يكتفون بالشبهات والمحرمات، وعليه كلام القاضي حيث قال: «الذين هم فيكم تبع» يريد به الخدام الذين لا مطمح لهم ولا مطمع إلا ما يملؤون به بطونهم من أي وجه كان، ولا تتخطى هممهم إلى ما وراء ذلك من أمر ديني أو دنيوي أقول: والظاهر أن الضعيف وصف باعتبار لفظه تارة بالمفرد، وباعتبار الجنس أخرى بالجمع، أو الموصول الثاني بيان أو بدل مما قبله لعدم العاطف كما في الأصول المشهورة، وعليه كلام الأشرف حيث قال: الذي في قول: الذي لا زبر له بمعنى الذين للجمع، وهو الذي جوّز جعل قوله: «الذين هم فيكم تبع» بدلاً من قوله: «الذي لا زبر له»، اهـ، كلامه؛ وعلى هذا لا يتوجه الإشكال الذي أورده الشيخ التوربشتي، ويتعين تقسيم الأقسام الخمسة أحدها الضعيف، وثانيها الخائن، وثالثها رجل، ورابعها البخيل، وخامسها الشنظير. تم كلام الطيبي. ووجه غرابته أنه ليس في كلام الشيخ والقاضي ما يدل على جعله قسماً آخر وهما أعقل من أن يخالفا النص على الخمس بالزيادة عليه لا سيما عند عدم وجود العاطف على ما في الأصول المشهورة، ولا دلالة لتفسير بهما

لا يبغون أهلاً ولا مالاً، والخائن الذي لا يخفى له طمعٌ وإن دقَّ إلاَّ خانه، ورجلٌ لا يصبح ولا يُمسي إلا وهو يخادعك عن أهلك ومالك، وذكر البُخلَ أو

على ما توهم الفاضل، إذ لا منافاة بين الوصف السابق واللاحق، بل الثاني مميز للأول. وحاصله أن القسم الأول هو جنس الضعيف في أمر دينه «الناقصون في عقولهم الذين هم فيكم تبع» («لا يبغون أهلاً») أي لا يطلبون زوجة ولا سرية فأعرضوا عن الحلال وارتكبوا الحرام («ولا مالاً») أي ولا يطلبون مالاً حلالاً من طريق الكد والكسب الطيب فقيل: «هم الخدم الذين يكتفون بالشبهات والمحرمات التي سهل عليهم مأخذها عما أبيح لهم وليس لهم داعية إلى ما وراء ذلك من أهل ومال»، وقيل: «هم الذين يدورون حول الأمراء ويخدمونهم ولا يبالون من أي وجه يأكلون ويلبسون، أمن الحلال أم من الحرام ليس لهم ميل إلى أهل ولا إلى مال، بل قصروا أنفسهم على المأكل والمشرب»، ثم الإشكال الذي أورده الشيخ على معنى لا زبر له لا تعلق له بأن يكون ما بعده قسماً آخر أو لا والله أعلم. ثم قوله: تبع هو الأصل، وفي نسخة بالنصب، وهو بفتحتين جمع تابع كخدم جمع خادم. قال الطيبي: تبع في بعض نسخ المصابيح مرفوع كما في صحيح مسلم على أنه فاعل الظرف أو مبتدأ خبره الظرف، والجملة خبرهم، وفي بعضها منصوب كما في الحميدي وجامع الأصول، وهو حال من الضمير المستتر في الخبر اهـ. وقوله: «لا يبغون» بفتح الياء وتسكين الموحدة وضم الغين المعجمة في النسخ المصححة المعتمدة، وفي بعضها بفتح الياء وتشديد الفوقية وكسر الموحدة والعين المهملة من الاتباع، وفي نسخة بضم الياء وسكون الفوقية وكسر الموحدة والعين المهملة. قال النووي: «لا يتبعون» بالعين المهملة يخفف ويشدد من الإتباع، وفي بعض النسخ يبغون بالغين المعجمة. («والخائن الذي لا يخفى له طمع») مصدر بمعنى المفعول. قال القاضي: أي لا يخفى عليه شيء مما يمكن أن يطمع فيه («وإن دق») بحيث لا يكاد أن يدرك («إلا خانه») أي إلا وهو يسعى في التفحص عنه والتطلع عليه حتى يجده فيخونه، وهذا هو الإغراق في الوصف بالخيانة قلت: بل هو إغراق في وصف الطمع، والخيانة تابعة له، والمعنى أنه لا يتعدى عن الطمع ولو احتاج إلى الخيانة، ولهذا قال الحسن البصري: «الطمع فساد الدين والورع صلاحه». قال: ويحتمل أن يكون خفي من الأضداد، والمعنى لا يظهر له شيء يطمع فيه إلا خانه وإن كان شيئاً يسيراً، قلت: لا خفاء في أن المعنى الأسبق أبلغ وأنسب بقوله وإن دق، فهو بالاعتبار أولى وأحق، وإن كان تعدية خفي باللام في معنى الإظهار أظهر فإنه يقال: خفي له أي ظهر، وخفي عليه الأمر أي استتر على ما ذكره بعض الشراح لكن في القاموس خفاه يخفيه أظهره، وخفي كرضي لم يظهر اهـ. فالمعنى الأول هو المعوّل بفتح الفاء في لا يخفى إلا أن ثبت الرواية بكسرها كما لا يخفى والله أعلم. («ورجل لا يصبح ولا يمسي إلا وهو يخادعك عن أهلك ومالك») أي بسببهما، فعن بمعنى الباء كما في قوله تعالى: ﴿وما ينطق عن الهوى﴾ [النجم - ٣] على ما في القاموس. الكشاف، في قوله: فأولهما الشيطان عنها أي حملهما الشيطان على الزلة بسببها («وذكر») أي النبي ﷺ إن كان لشك الآتي من الصحابي أو ذكر عياض أن كان من التابعي وهلم جرا («البخل») أي في القسم الرابع («أو

الكذب، والشِنظير الفحّاشُ». رواه مسلم.

٤٩٦١ - (١٥) وعن أنس، قال: قال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده لا يؤمنُ عبدٌ حتى يُحبَّ لأخيه ما يحبُّ لنفسه».

الكذب». قال التوربشتي: أي البخيل والكذاب، أقام المصدر مقام الفاعل؛ وقال الطيبي: ولعل الراوي نسي ألفاظاً ذكرها ﷺ في شأن البخيل أو الكذاب، فعبر بهذه الصيغة، وإلا كان يقول: والبخيل أو الكذاب، قلت: المعنى كما قال الشيخ: سواء كان هناك صفة أخرى لهما أم لا. هذا وروي بالواو، وحينئذ إما أن يجعل اثنين من الخمسة فيكون قوله: **(«والشنظير»)** منصوباً عطفاً على الكذب تتمة له، وإما إن يجعلا واحداً فيكون الشنظير مرفوعاً، كذا قاله شارح. لكن قوله: تتمة له غير صحيح لأن التعدد المفهوم من الواو وهو الذي فر منه واقع فيه، ولا يصح أن يكون الشنظير عطف تفسير للكذب لما بينهما من التباين، فالصواب أن الواو بمعنى أو كما يدل عليه الأصول المعتمدة. والنسخ المصححة، ثم الشنظير بكسر الشين والظاء المعجمتين بينهما نون ساكنة السيىء الخلق وهو مرفوع على التصحيح كما سبق قوله: **(«الفحاش»)** نعت له، وليس بمعنى له أي المكثر للفحش، والمعنى أنه مع سوء خلقه فحاش في كلامه لما بينهما من التلازم الغالبي. هذا وفي شرح مسلم للنووي في أكثر النسخ أو الكذب بأو وفي بعضها بالواو، والأول وهو المشهور في نسخ بلادنا. وقال القاضي عياض: روايتنا عن جميع شيوخنا بالواو إلا ابن أبي جعفر عن الطبري. وقال بعض الشيوخ: ولعله الصواب، وبه تكون المذكورات خمسة. قال الطيبي: فعلى هذا قوله: والشنظير مرفوع فيكون عطفاً على رجل كما سبق، وعلى تأويل الواو ينبغي أن يكون منصوباً من تتمة بالكذب أو البخل أي البخيل السيىء الخلق الفحاش أو الكذاب السيىء الخلق الفحاش اهـ. وما قدمناه هو التحقيق وإن خفي على بعض أرباب التدقيق والله ولي التوفيق. (رواه مسلم).

٤٩٦١ - **(وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده لا يؤمن عبد)**، أي إيماناً كاملاً **(«حتى يحب لأخيه»)** أي المسلم **(«ما يحب لنفسه»)** أي مثل جميع ما يحبه العبد لنفسه، وفي شرح مسلم للنووي قالوا: «لا يؤمن الإيمان التام»، وإلا فأصل الإيمان يحصل لمن لم يكن بهذه الصفة، والمراد يحب لأخيه من الطاعات والمباحات يدل عليه ما جاء في رواية النسائي في هذا الحديث حتى يحب لأخيه من الخير. وقال الشيخ أبو عمرو بن الصلاح: وهذا قد يعد من الصعب الممتنع وليس كذلك إذ معناه «لا يكمل إيمان أحدكم حتى يحب لأخيه في الإسلام مثل ما يحب لنفسه»، والقيام بذلك يحصل بأن يحب له حصول مثل ذلك من جهة لا يزاحمه فيها، وذلك سهل على القلب السليم اهـ. وتحقيق ذلك أن المؤمنين

الحديث رقم ٤٩٦١: أخرجه البخاري في صحيحه ١/ ٥٦ الحديث رقم ١٣ ومسلم في ١/ ٦٨ الحديث رقم (٧٢ - ٤٥)، والنسائي في ٨/ ١٢٥ الحديث رقم ٥٠٣٩، والدارمي في ٢/ ٣٩٧ الحديث رقم ٢٧٤٠، وأحمد في المسند ٣/ ٢٥١.

متفق عليه.

٤٩٦٢ ـ (١٦) وعن أبي هريرة، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن». قيل: مَنْ يا رسول الله؟ قال: «الذي لا يأمَنُ جارُه بوائقه».

متحدون بحسب الأرواح متعددون من حيث الأجسام والأشباح كنور واحد في مظاهر مختلفة، أو كنفس واحدة في أبدان متفرقة بحيث لو تألم الواحد تأثر الجميع كما لوح إلى هذا المعنى قوله ﷺ: «المؤمنون كرجل واحد إن اشتكى عينه اشتكى كله، وإن اشتكى رأسه اشتكى كله». وكما روي عن بعض المشايخ النقشبندية أنه أحس بالبرودة فقال: «زملوني زملوني فغطوه»، فجاءه مريد له وقع في ماء بارد في شتاء شديد، فقال الشيخ: «أدفؤه» فلما دفيء المريد قام الشيخ مستدفئاً، ونظيره أن ليلى افتصدت فخرج الدم من يد العامري فأنشد:

أنــا مــن أهــوى ومــن أهــوى أنــا نــحــن روحــان حــلــلــنــا بــدنــا

لكن الأظهر أن يقول: نحن روح واحد تعلق بها بدنان فيكون إشارة إلى الأبدان المكتسبة الواقعة للسادة الصوفية وإلا فهو موهم للحلول، ثم بل لو تمكنوا فيه صح ذلك لهم بالنسبة إلى جميع الأشياء كما روي عن بعضهم أنه ضرب عبده حماراً فتألم الشيخ بحيث رئي ألم الضرب في عضوه الذي بإزاء العضو المضروب للحمار، وذلك لأن إيمانهم من أثر نور الهداية شرعاً وطريقة ومن أثر نور الله حقيقة، وهو نور التوحيد من عكس نور الفردانية من نور الذات فأرواحهم اتحدت بذلك النور المقتضي للإلفة والرحمة، فإن حزن واحد حزنوا وإن فرح واحد فرحوا، وهذا مقام الجمع بالروح، وهو أن يجتمع عند تجلي الروح الأعظم عن تفرقة الطبيعة وتتحد الأرواح، وهناك مقام أعلى يقال له: جمع الجمع، وهو أن يجتمع عند تجلي الحق له عن تفرقة الغير روحانياً ونفسانياً ملكياً وملكوتياً، فلا يرى غير الله لاختفاء جميع الأشياء في نور التوحيد كاختفاء النجوم عند إشراق الشمس، وهذا رشحة من رحيق مختوم ختامه مسك. (متفق عليه). أي معنى، فلفظ البخاري: «لا يؤمن أحدكم» وفي نسخة عبد، وفي أخرى أحد من غير قسم، ولفظ مسلم «والذي نفسي بيده لا يؤمن عبد حتى يحب لجاره أو ـ قال: لأخيه ـ ما يحب لنفسه»، فلم يذكر المؤلف لفظ واحد منهما؛ ورواه الترمذي والنسائي وابن ماجه، ذكره ميرك. فالمتفق عليه لفظاً هو «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه». كما رواه النووي في أربعينه وقال: رواه البخاري ومسلم، وكذا في الجامع الصغير وقال: رواه أحمد والشيخان والثلاثة.

٤٩٦٢ ـ **(وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «والله»)** قسم خبره **(«لا يؤمن»)** أي إيماناً كلاماً أو إيماناً مطابقاً لمبناه ومعناه **(«والله لا يؤمن والله لا يؤمن»)** كرره ثلاثاً للتأكيد، وهو بلا عاطفة للتأكيد **(«قيل: من يا رسول الله؟ قال: «الذي لا يأمن جاره بوائقه»)** جمع بائقة بالهمز وهي الداهية، أي غوائله وشروره على ما في النهاية، وذلك لأن كمال

الحديث رقم ٤٩٦٢: أخرجه البخاري في صحيحه ١٠/٤٤٣ الحديث رقم ٦٠١٦.

متفق عليه.

٤٩٦٣ ـ (١٧) وعن أنس، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يدخلُ الجنة من لا يأمنُ جارهُ بوائقهُ». رواه مسلم.

٤٩٦٤ ـ (١٨) وعن عائشة وابن عمر [رضي الله عنهم] عن النبيِّ ﷺ قال: «ما زال جبريلُ يُوصيني بالجار، حتى ظننت أنه سيورِّثه». متفق عليه.

٤٩٦٥ ـ (١٩) وعن عبد الله بن مسعود، قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا كنتم

الإيمان هو العمل بالقرآن، ومن جملته قوله تعالى: ﴿والجار ذي القربى والجار الجنب﴾ [النساء ـ ٣٦] (متفق عليه).

٤٩٦٣ ـ (وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يدخل الجنة») أي مع الناجين («من لا يأمن جاره بوائقه»)؛ وفيه مبالغة حيث جعل عدم الأمن من وقوع الضرر سبباً لنفي دخول الجنة فكيف إذا تحقق لحوق الضرر والشر. (رواه مسلم).

٤٩٦٤ ـ (وعن عائشة رضي الله عنها وابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «ما زال جبريل») تقدم فيه أربع قراءات («يوصيني بالجار») أي يأمرني بحفظ حقه من الإحسان إليه ودفع الأذى عنه («حتى ظننت أنه») أي جبريل («سيورثه») أي الجار، وهو بتشديد الراء ويجوز تخفيفه على ما في القاموس، ورث أباه ومنه بكسر الراء يرثه كيعده، وأورثه جعله من ورثته أي سيشركه جبريل في الميراث كما قال شارح. والمعنى أنه يحكم بميراث أحد الجارين من الآخر (متفق عليه). قال المنذري: ورواه الترمذي أيضاً من حديثهما، ورواه أبو داود وابن ماجه من حديث عائشة وحدها، وابن ماجه أيضاً وابن حبان في صحيحه من حديث أبي هريرة، ذكره ميرك. وفي الجامع الصغير رواه أحمد والشيخان وأبو داود والترمذي. عن ابن عمر، ورواه أحمد والشيخان والأربعة عن عائشة، ورواه البيهقي بسند حسن من حديث عائشة بلفظ: «ما زال يوصيني جبريل بالجار حتى ظننت أنه يورثه، وما زال يوصيني بالمملوك حتى ظننت أنه يضرب له أجلاً أو وقتاً إذا بلغه عتق».

٤٩٦٥ ـ (وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا كنتم

الحديث رقم ٤٩٦٣: أخرجه مسلم في صحيحه ١/ ٦٨ الحديث رقم (٧٣ـ٤٦)، وأحمد في المسند ٢/ ١٣٧٣.

الحديث رقم ٤٩٦٤: أخرجه البخاري في: صحيحه ١٠/ ٤٤١ الحديث رقم ٦٠١٤ و٦٠١٥ ومسلم في ٤/ ٢٠٢٥ الحديث رقم (١٤٠ ـ ٢٦٢٤) و(١٤١ ـ ٢٦٢٥)، وأبو داود في السنن ٥/ ٣٥٧ الحديث رقم ٥١٥٢، والترمذي في السنن ٤/ ٢٩٣ الحديث رقم ١٩٤٢. وابن ماجه في ٢/ ١٢١١ الحديث رقم ٣٦٧٣ وأحمد في المسند ٦/ ٥٢ و٢/ ٨٥.

الحديث رقم ٤٩٦٥: أخرجه البخاري في صحيحه ١١/ ٨٢ الحديث رقم ٦٢٩٠، ومسلم في ٤/ ١٧١٨ =

ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون الآخر، حتى تختلطوا بالناس، ومن أجل أن يحزنه» متفق عليه.

٤٩٦٦ ـ (٢٠) وعن تميم الداري،

ثلاثة) أي في المصاحبة سفراً أو حضراً **(«فلا يتناجى اثنان»)** أي لا يتكلما بالسر **(«دون الآخر»)** أي مجاوزين عنه غير مشاركين له لئلا يتوهم أن نجواهما لشر متعلق به **(«حتى تختلطوا»)** أي جميعكم **(«بالناس»)**، وفيه إيذان بأن النهي محله أن يكونوا في موضع لا يأمن الواحد فيه على نفسه **(«ومن أجل أن يحزنه»)** بفتح الياء وضم الزاي، وفي نسخة بضم أوله وكسر ثالثه، وهما لغتان فصيحتان، والأولى أشهر وعليها الأكثر، وأما ما ضبط بفتح الياء والزاي فخطأ لأنه لازم وهنا الفعل متعد وضمير الفاعل للتناجي وضمير المفعول للآخر. قال الطيبي: يجوز أن يكون علة للنهي أي «لا تناجوا لئلا يحزن صاحبك»، وأن يكون علة للفعل المنهي عنه أي لا ينبغي أن يصدر منكم تناج هو سبب للحزن، فعلم أن هناك تناجياً غير منهي عنه، والأول هو المعول لرواية، فإن ذلك يحزنه. قال الخطابي: وإنما يحزنه ذلك لأحد معنيين أحدهما أنه ربما يتوهم أن نجواهما لتبييت رأي فيه أو دسيس غائلة له أو الأحزان لأجل الاختصاص بالكرامة وهو يحزن صاحبه، قلت: ويرد القول الآخر قوله: «حتى يختلطوا»، وقد قال أبو عبيد: هذا في السفر وفي الموضع الذي لا يأمن الرجل فيه صاحبه على نفسه، فأما في الحضر وبين ظهراني العمارة فلا بأس به. وقيل: قيد بالثلاثة لأنهم لو كانوا أربعة فتناجى اثنان فلا بأس وقال شارح: «إن تناجى اثنان إذا كثر الناس فلا بأس لأنه لا يظن الثالث أنهما يذكر أن منه قبيحاً قلت: ولو ظنه أيضاً لا يبالي حيث إنه مختلط بالناس، وفي شرح السنة قد صح عن عائشة: «إنا كنا أزواج النبي ﷺ عنده يوماً فأقبلت فاطمة، فلما رآها رحب ثم سارها». ففيه دليل على أن المسارة في الجمع حيث لا ريبة جائزة. قال النووي: هذا النهي عن تناجي اثنين بحضرة ثالث وكذا ثلاثة وأكثر بحضرة واحد هو نهي تحريم، فيحرم على الجماعة المناجاة دون واحد منهم إلا بإذنه، وهذا مذهب ابن عمر ومالك وأصحابنا وجماهير العلماء وهو عام في كل الأزمان حضراً وسفراً. **(متفق عليه)**. وفي الجامع الصغير بلفظ: «إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى رجلان دون الآخر حتى تختلطوا بالناس فإن ذلك يحزنه». رواه أحمد والشيخان والترمذي وابن ماجه عن ابن مسعود[1].

٤٩٦٦ ـ **(وعن تميم الداري)** منسوب إلى جد له اسمه دار عند الجمهور ومروياته ثمانية عشر حديثاً وليس له في الصحيحين إلا هذا. قال المؤلف: هو تميم بن أوس الداري كان

= الحديث رقم (٣٧ ـ ٢١٨٤)، والترمذي في السنن ٥/ ١١٧ الحديث رقم ٢٨٢٥ والدارمي في ٢/ ٣١٧ الحديث رقم ٢٦٥٧، ومالك في الموطأ ٢/ ٩٨٩ الحديث رقم ١٤.

(١) الجامع الصغير ١/ ٥٨ الحديث رقم ٨٤٢.

الحديث رقم ٤٩٦٦: أخرجه مسلم في صحيحه ١/ ٧٤ الحديث رقم (٩٥ ـ ٥٥)، والترمذي في السنن ٥/ ٢٨٦ الحديث رقم ١٩٢٦، والنسائي في ٧/ ١٥١ الحديث رقم ٤١٩٩، والدارمي في ٢/ ٤٠٢ الحديث رقم ٢٧٥٤، وأحمد في المسند ٤/ ١٠٢.

أن النبي ﷺ قال: «الدين النصيحة» ثلاثاً قلنا: لمن؟ قال: «لله، ولكتابه،

نصرانياً أسلم سنة تسع، وكان يختم القرآن في ركعة، وربما ردد الآية الواحدة كلها إلى الصباح، قال محمد بن المنكدر: إن تميماً الداري نام ليلة ولم يقم للتهجد فيها حتى أصبح فقام سنة لم ينم فيها عقوبة للذي صنع، سكن المدينة ثم انتقل إلى الشام بعد قتل عثمان وأقام بها إلى أن مات، وهو أول من أسرج السراج في المسجد؛ روى عنه النبي ﷺ قصة الدجال والجساسة، وعنه أيضاً جماعة (إن النبي ﷺ قال: «الدين») أي أعماله وأفضل أعماله أو الأمر المهم في الدين («النصيحة»)، وهي تحري قول أو فعل فيه صلاح، ولصاحبه أو تحري إخلاص الود له، والحاصل أنها إرادة الخير للمنصوح له وهو لفظ جامع لمعان شتى. قال الخطابي: النصيحة كلمة جامعة يعبر بها عن جملة هي إرادة الخير وليس يمكن أن يعبر عن هذا المعنى بكلمة وجيزة يحصرها ويجمع معناها غيرها؛ كما قالوا في الفلاح ليس في كلامهم كله أجمع لخير الدنيا والآخرة منه، فقوله عليه الصلاة والسلام: «الدين النصيحة» يريد عماد الدين وقوامه إنما هو النصيحة وبها ثباته كقوله ﷺ: «إنما الأعمال بالنية» وكما في قوله: «الحج عرفة»، فالحصر ادعائي، وهو مبني على ما اشتهر من أن هذا الحديث أحد أرباع الإسلام، وأما على ما اختاره النووي من أنه عليه مدار الإسلام كما سيأتي، فالحصر حقيقي، وهي مأخوذة من نصحت العسل إذا صفيته من الشمع، شبهوا تخليص القول والفعل من الغش بتخليص العسل من الشمع («ثلاثاً») أي ذكرها ثلاثاً للتأكيد بها والاهتمام بشأنها، وليس له ذكر في الأربعين للنووي، ثم لما كانت النصيحة من الأمور الإضافية استفصلت. فقال الراوي: («قلنا»): أي معشر الصحابة، والمراد بعضهم («لمن») أي النصيحة لمن («قال:») أي النبي عليه الصلاة والسلام («لله») أي بالإيمان وصحة الاعتقاد في وحدانيته وترك الإلحاد في صفاته وإخلاص النية في عبادته وبذل الطاقة فيما أمر به ونهى عنه والاعتراف بنعمته والشكر له عليها وموالاة من أطاعه ومعاداة من عصاه، وحقيقة هذه الإضافة راجعة إلى العبد في نصيحة نفسه لله، والله غني عن نصح كل ناصح. كذا ذكره الخطابي، وخلاصته أن النصيحة لله هي التعظيم لأمره والشفقة على خلقه؛ وقال بعض المحققين: هي الإيمان بوجوداً بأن يعلم أن وراء المتحيزات موجود خالقاً وبصفاته الثبوتية والسلبية والإضافية، وبأفعاله بأن يعلم أن كل ما سواه المسمى بالعالم، فإنما حدث بقدرته، وهو من العرش إلى الثرى بالنسبة إلى العظمة الإلهية أقل من خردلة بالنسبة إلى جميع العالم، وبأحكامه بأن يعلم أنها غير معللة بغرض؛ وأن المقصود من شرعها منافع عائدة إلى العباد، وأن له الحكم كيف يشاء، ولا يجب عليه شيء إن أثاب فبفضله، وإن عذب فبعدله، وبأسمائه بأن يعلم بأنها توقيفية، ثم بإخلاص العبادة واجتناب معاصيه والحب له والبغض فيه، («ولكتابه») أي والنصيحة لكتابه بالإيمان به وبأنه كلام الله ووحيه وتنزيله لا يقدر على مثله أحد من المخلوقين، وإقامة حروفه في التلاوة والتصديق بوعده ووعيده، والاعتبار بمواعظه والتفكر في عجائبه، والعمل بمحكمه، والتسليم بمتشابهه. ذكره الخطابي. وقيل: هو أن يكرمه ويبذل مجهوده في الذب عنه من تأويل الجاهلين وابتهال المبطلين. وقال بعض المدققين: المراد بالكتاب القرآن لأن الإيمان به يتضمن الإيمان بجميع

ولرسولِهِ ولأئمةِ المسلمين، وعامتهم». رواه مسلم.

الكتب أو جنس الكتب السماوية إذ الجنس المضاف يفيد العموم كما تقرر في الأصول على أن صاحب المفتاح صرح بأن استغراق المفرد أشمل من استغراق الجمع، ولذا قال ابن عباس: الكتاب أكثر من الكتب لتناوله وحدان الجنس بخلاف الكتب، لكن حقق بعض الأفاضل أن الجمع المحلى باللام يشمل كل فرد فرد مثل المفرد، قلت: ولو سلم فليس شمول الجمع مثل شمول المفرد، ثم وقوع الكتاب في جواب من على سبيل التغليب. («ولرسوله») بالتصديق لنبوته وقبول ما جاء به ودعا إليه، وبذل الطاعة له فيما أمر به ونهى عنه، والانقياد له وإيثاره بالمحبة فوق نفسه وولده ووالده والناس أجمعين، والمراد محمد ﷺ أو الجنس ليشمل الملك أيضاً إذ هم رسل إلى الأنبياء كما قال تعالى: ﴿جاعل الملائكة رسلاً﴾ [فاطر ـ ١] وقال الله: ﴿يصطفي من الملائكة رسلاً ومن الناس﴾ [الحج ـ ٧٥] («ولأئمة المسلمين») بأن ينقاد لطاعتهم في الحق ولا يخرج عليهم إذا جاروا، ويذكرهم برفق ولطف، ويعلمهم بما غفلوا عنه، ولم يبلغهم [من حقوق المسلمين] ويؤلف قلوب الناس لطاعتهم، ومن النصيحة لهم الصلاة خلفهم، والجهاد معهم، وأداء الصدقات إليهم، وأن لا يغرهم بالثناء الكاذب عليهم، وأن يدعو لهم بالصلاح. هذا كله على أن المراد بالأئمة الخلفاء وغيرهم ممن يقوم بأمور المسلمين من أصحاب الولاية؛ ومجمل معنى الإمام من له خلافة الرسول في إقامة الدين بحيث يجب اتباعه على الكل، وقد يتناول ذلك الأئمة الذين هم علماء الدين، وأن من نصيحتهم قبول ما رووه، وتقليدهم في الأحكام، وإحسان الظن بهم، («وعامتهم») أي ولعامة المسلمين، ولعل حكمة ترك إعادة العامل هنا إشارة إلى حط مرتبتهم بسبب تبعيتهم للخواص من أئمتهم بخلاف ما قبله، فإن كلاً من المعمولات مستقل في قصد النصيحة، ثم نصيحة العامة بإرشادهم إلى مصالحهم الدينية والدنيوية وكف الأذى عنهم، وتعليمهم ما ينفعهم في دينهم ودنياهم، وإعانتهم عليه قولاً وفعلاً، وستر عوراتهم وسد خلاتهم، ودفع المضار عنهم وجلب المنافع لهم، وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر برفق، وتوقير كبيرهم ورحم صغيرهم، وتخولهم بالموعظة الحسنة وترك غيبتهم وحسدهم، والذب عن أموالهم وأعراضهم وغير ذلك من أحوالهم، ومجملة «أن يحب لهم ما يحب لنفسه من الخير ويكره لهم ما يكره لنفسه من الشر». قال الطيبي: وجماع القول فيه أن النصيحة هي خلوص المحبة للمنصوح له والتحري فيما يستدعيه حقه، فلا يبعد أن يدخل فيه نفسه بأن ينصحها بالتوبة النصوح، وأن يأتي بها على طريقتها متداركة للفرطات ماحية للسيئات، ويجعل قلبه محلاً للنظر والفكر، وروحه مستقراً للمحبة، وسره منصاً للمشاهدة، وعلى هذا أعمال كل عضو من العين بأن يحملها على النظر إلى الآيات النازلة والأحاديث الواردة، واللسان على النطق بالحق وتحري الصدق، والمواظبة على ذكر الله وثنائه. قال تعالى: ﴿إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولاً﴾ [الإسراء ـ ٣٦] (رواه مسلم). وروى البخاري في تاريخه صدر الحديث فقط وهو قوله: «الدين النصيحة»، عن ثوبان والبزار عن ابن عمر قال النووي: هذا حديث عظيم الشأن وعليه مدار الإسلام والإيمان، وأما ما قيل: من أنه أحد أرباع الإسلام أي أحد الأحاديث

٤٩٦٧ ـ (٢١) وعن جرير بن عبد الله، قال: بايعت رسول الله ﷺ على إقام الصلاة وإيتاءِ الزكاة، والنُّصح لكل مسلم متفق عليه.

الفصل الثاني

٤٩٦٨ ـ (٢٢) عن أبي هريرة، قال: سمعتُ أبا القاسم الصادقَ

الأربعة التي تجمع أمور الإسلام فليس كما قالوا، بل المدار على هذا وحده، وقال بعضهم: فيه أن النصيحة تسمى ديناً وإسلاماً، وأن الدين يقع على العمل كما يقع على القول وقالوا: «النصيحة فرض كفاية إذا قام به واحد سقط عن الباقين»، «والنصيحة لازمة على قدر الطاقة، إذا علم الناصح أنه تقبل نصيحته ويطاع أمره وأمن على نفسه المكروه، وإن خشي أذى فهو في سعة»، والله سبحانه وتعالى أعلم.

٤٩٦٧ ـ **(وعن جرير)** أي ابن عبد الله كما في نسخة، وهو البجلي **(قال: «بايعت رسول الله ﷺ على إقام الصلاة»)** أي إقامتها وإدامتها، وحذف تاء الإقامة عند الإضافة للإطالة، **(«وإيتاء الزكاة»)**، أي إعطائها وتمليكها لمستحقيها. قال النووي: وإنما اقتصر على الصلاة والزكاة لكونهما أما العبادات[1] المالية والبدنية، وهما أهم أركان الإسلام بعد الشهادتين وإظهارها اهـ. لا يقال: لعل غيرهما من الصوم والحج لم يكونا واجبين حينئذ، لأنه أسلم عام توفي رسول الله ﷺ ـ كما سبق في ترجمته ـ ولأن الصوم من جملة العبادات البدنية، ومن أقام على محافظة الصلوات ومداومتها فبالأولى أن يقيم بالصوم بخلاف عكسه كما هو مشاهد في أهل الزمان، والحج مركب من العبادات المالية والبدنية، فمن قام بهما قام به لا سيما ومحله في العمر مرة بخلاف الصلاة فإن لها أوقاتاً في كل يوم وليلة، والزكاة واجبة في كل سنة **(«والنصح»)** بضم فسكون أي وبالنصيحة **(«لكل مسلم»)** أي من خاصة المسلمين وعامتهم. قال النووي: روي أن جريراً رضي الله عنه اشترى له فرس بثلاثمائة درهم فقال جريراً لصاحب الفرس: فرسك خير من ثلاثمائة درهم أتبيعه بأربعمائة قال: ذلك إليك يا عبد الله فقال: فرسك خير من ذلك أتبيعه بخمسمائة، ثم لم يزل يزيد مائة مائة حتى بلغ ثمانمائة، فاشتراه بها. فقيل له في ذلك فقال: بايعت رسول الله ﷺ على النصح لكل مسلم. **(متفق عليه)**.

(الفصل الثاني)

٤٩٦٨ ـ **(عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: «سمعت أبا القاسم الصادق»)** أي في

الحديث رقم ٤٩٦٧: أخرجه البخاري في صحيحه ٥/ ٣١٢ الحديث رقم ٢٧١٥، ومسلم في ٢/ ٧٥ الحديث رقم (٩٧ ـ ٥٦).

(١) في المخطوطة «العبادة».

الحديث رقم ٤٩٦٨: أخرجه أبو داود في السنن ٥/ ٢٢٣ الحديث رقم ٤٩٤٢، والترمذي في السنن ٤/ ٢٨٥ الحديث رقم ١٩٢٣، وأحمد في المسند ٢/ ٤٤٢.

المصدوقَ ﷺ يقول: «لا تُنزعُ الرَّحمةُ إلاَّ مَن شقيٍّ». رواه أحمدُ، والترمذي.

٤٩٦٩ ـ (٢٣) وعن عبدِ الله بن عمرٍو، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «الراحمون يرحمُهم الرحمنُ، ارحَمُوا مَنْ في الأرضِ يرحمْكم مَن في السَّماء». رواه أبو داود والترمذي.

أقواله وأفعاله («المصدوق») أي المشهود بصدقه في قوله تعالى: **﴿وما ينطق عن الهوى﴾** [النجم ـ ٣] («ﷺ»). قال المظهر: الصادق من صدق في قوله وتحراه بفعله، والمصدوق من صدقه غيره اهـ، وهو بتخفيف الدال، ومعناه أنه قال له: صدقت، وأما بتشديد الدال، فالمفعول منه مصدق لا مصدوق فافهم والله أعلم. («**يقول: لا تنزع الرحمة**») بصيغة المجهول أي لا تسلب الشفقة على خلق الله ومنهم نفسه التي هي أولى بالشفقة والمرحمة عليها من غيرها بل فائدة شفقته على غيره راجعة إليها لقوله تعالى: **﴿إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم﴾** [الإسراء ـ ٧] ولأن شفقته على خلق الله سبب لرحمته تعالى عليه لما سيأتي «أن الراحمون يرحمهم الرحمن» («**إلا من شقي**») أي كافر أو فاجر يتعب في الدنيا ويعاقب في العقبى. (**رواه أحمد والترمذي**). قال ميرك وأبو داود وقال الترمذي: حسن. قلت: ورواه ابن حبان في صحيحه والحاكم في مستدركه.

٤٩٦٩ ـ (**وعن عبد الله بن عمرو**) بالواو (**«رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ**: «**الراحمون يرحمهم الرحمن**») لأنهم مظاهره ومتخلقون بأخلاقه. («**ارحموا من في الأرض**»)، قال الطيبي: أتى بصيغة العموم ليشمل جميع أصناف الخلق فيرحم البر والفاجر، والناطق والبهم، والوحوش والطير اهـ. وفيه إشارة إلى أن يراد من لتغليب ذوي العقول لشرفهم على غيرهم أو للمشاكلة المقابلة بقوله: («**يرحمكم من في السماء**»)، وهو مجزوم على جواب الأمر، وفي نسخة بالرفع أي [«من ملكه الواسع وقدرته الباهرة في السماء»، أو] من أمره نافذ في السماء والأرض من باب الاكتفاء، وخص السماء بالذكر تشريفاً، أو لأن الأرض تفهم بالأولى أو لأن السماء محيطة بها وهي كحلقة بجنبها في وسطها فلا تذكر معها لحقارتها. وقيل: المراد سكن فيها، وهم الملائكة، فإنهم يستغفرون للذين آمنوا ويقولون **﴿ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلماً فاغفر للذين تابوا﴾** [غافر ـ ٧] الآية. قال المظهر: اختلف في المراد بقوله: من في السماء، فقيل: هو الله سبحانه أي «ارحموا من في الأرض شفقة يرحمكم من في السماء تفضلاً»، وتقدير الكلام «يرحمكم من في السماء ملكه وقدرته» وإنما نسب إلى السماء لأنها أوسع وأعظم من في الأرض، أو لعلوها وارتفاعها، أو لأنها قبلة الدعاء ومكان الأرواح القدسية الطاهرة، وقيل: المراد منه الملائكة أي يحفظكم الملائكة من الأعداء والمؤذيات بأمر الله ويستغفروا لكم الرحمة من الله الكريم. قلت: المعنى الأول هو المدار عليه كما أشار صدر الحديث إليه، ولأن رحمة الملائكة فرع رحمته تعالى. (**رواه أبو داود والترمذي**)، وزاد فيه «الرحم شجنة من الرحمن من

الحديث رقم ٤٩٦٩: أخرجه أبو داود في السنن ٥/ ٢٣١ الحديث رقم ٤٩٤١، والترمذي في السنن ٤/ ٢٨٥ الحديث رقم ١٩٢٤، وأحمد في المسند ٢/ ١٦٠.

٤٩٧٠ ـ (٢٤) وعن ابنِ عبَّاسٍ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «ليسَ منَّا مَن لم يرحَمْ صغيرَنا، ولم يوقِّرْ كبيرَنا، ويأمرْ بالمعروفِ، وينهَ عن المنكرِ». رواه الترمذي وقال: هذا حديثٌ غريب.

٤٩٧١ ـ (٢٥) وعن أنسٍ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «ما أكرمَ شابٌ شيخاً من أجلِ سنِّه إلا قيَّضَ الله له عندَ سنِّه من يُكرمه».

وصلها وصله الله ومن قطعها قطعه»، وقال: حسن صحيح اهـ. كلام الترمذي؛ وهذا هو الحديث المسلسل بالأولية ذكره ميرك وبينا طريقه في بحث المسلسل من شرحنا على شرح النخبة؛ وفي الجامع الصغير رواه أحمد وأبو داود والترمذي والحاكم عن ابن عمر، وزاد أحمد والترمذي والحاكم «والرحم» الخ[1].

٤٩٧٠ ـ (وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «ليس منا») أي من خواصنا، وهو كناية عن التبرئة («من لم يرحم صغيرنا ويوقر») بالجزم، وفي نسخة، ولم يوقر أي لم يعظم («كبيرنا»)، وهو شامل للشاب والشيخ («ويأمر بالمعروف») بالجزم عطفاً على المجزوم، وكذا قوله: («وينه عن المنكر»)، وهو بحذف الألف، وأما إثباته على ما في نسخة فغير صحيح رواية وإن كان له وجه دراية فتأمل. (رواه الترمذي وقال: هذا حديث غريب)، وفي نسخة: حسن غريب، ورواه البخاري في الأدب المفرد، وأبو داود في سننه عن ابن عمر أيضاً لكن بلفظ: «من لم يرحم صغيرنا ويعرف حق كبيرنا فليس منا».

٤٩٧١ ـ (وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما أكرم») أي ما عظم ووقر («شاب شيخاً من أجل سنه») أي كبر عمره [لأن الغالب عليه] زيادة علم وعمل مع سبق إيمانه («إلا قيض الله») بتشديد التحتية: ومنه قوله تعالى: ﴿ومن يعش عن ذكر الرحمن﴾ [الزخرف ـ ٣٦] نقيض له شيطاناً، فهو له قرين أي قدر، («له») أي للشاب («عند سنه») أي حال كبره («من يكرمه») أي قريناً يعظمه ويخدمه، لأن من خدم خدم، وفيه إشارة إلى طول عمر الشاب المعظم للشيخ المكرم، وقد حكي أن بعض المريدين خرج من خراسان لملازمة شيخ من أهل مصر فاجتمع به وكان معه مدة فجاء جماعة من الأكابر لزيارة الشيخ فأشار إلى المريد أنه يمسك دوابهم، فخرج المريد إلى الخدمة. لكن خطر بباله أنه مع طول مدة السفر واجتماعه سنين مع الشيخ في الحضر هذا نتيجته، فلما خرج الأكابر ودخل المريد عند الأستاذ فقال: «يا ولدي سيأتيك الأكابر ويقدر الله لك من يخدمهم». قال شيخ الإسلام ونديم الباري عبد الله الأنصاري صاحب منازل السائرين نفعنا الله من بركاتهم أجمعين، فكان كما قال الشيخ، حيث إنه لم يوجد زمان إلا على بابه بغل أو فرس لكثرة زيارة الأكابر. هذا وراوي هذا الحديث ممن

---

(١) الجامع الصغير ٢/ ٢٧٥ الحديث رقم ٤٤٨٩.

الحديث رقم ٤٩٧٠: أخرجه الترمذي في السنن ٥/ ٢٨٤ الحديث رقم ١٩٢١.

الحديث رقم ٤٩٧١: أخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٣٢٧ الحديث رقم ٢٠٢٢.

رواه الترمذي.

٤٩٧٢ ـ (٢٦) وعن أبي موسى، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إنَّ مِن إجلالِ الله إكرامَ ذي الشَّيبةِ المسلمِ، وحاملِ القرآنِ غيرِ الغالي فيه ولا الجافي عنه، وإكرامَ السُّلطانِ المقسطِ». رواه أبو

وفقه الله لهذا المنصب الجليل، وهو القائم بخدمة الحبيب وعمره عشر سنين وقد أطال الله عمره، وأكثر ماله وولده، فهو آخر من مات بالبصرة من الصحابة وله من العمر مائة وثلاث سنين، وولد له مائة ولد، وروى عنه خلق كثير. (رواه الترمذي). قال ميرك، وقال الترمذي: حديث غريب.

٤٩٧٢ ـ **(وعن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن من إجلال الله»)** أي تعظيمه وتكريمه، والمصدر مضاف إلى الفاعل أو المفعول قاله ابن الملك، والظاهر هو الثاني كما هو متعين في قوله: **(«إكرام ذي الشيبة المسلم وحامل القرآن»)** أي وإكرام قارئه وحافظه ومفسره **(«غير الغالي فيه»)** بالجر أي غير المجاوز عن الحد لفظاً ومعنى كالموسوسين والشكاكين أو المرائين أو الخائن، في لفظه، بتحريفه كأكثر العوام، بل وكثير من العلماء، أو في معناه بتأويله الباطل كسائر المبتدعة **(«ولا الجافي عنه»)** أي وغير المتباعد عنه، المعرض عن تلاوته وإحكام قراءته وإتقان معانيه، والعمل بما فيه. وقيل: الغلو المبالغة في التجويد أو الإسراع في القراءة بحيث يمنعه عن تدبر المعنى، والجفاء أن يتركه بعدما علمه لا سيما إذا كان نسيه، فإنه عد من الكبائر في النهاية، ومنه الحديث «اقرؤوا القرآن ولا تجفوا عنه» أي تعاهدوه ولا تبعدوا عن تلاوته بأن تتركوا قراءته وتشتغلوا بتفسيره وتأويله، ولذا قيل: «اشتغل بالعلم بحيث لا يمنعك عن العمل، واشتغل بالعمل بحيث لا يمنعك عن العلم». وحاصله أن كلاً من طرفي الإفراط والتفريط مذموم، والمحمود هو الوسط العدل المطابق لحاله ﷺ في جميع الأقوال والأفعال. **(«وإكرام السلطان المقسط»)** أي العادل، وأقله أن يغلب عدله جوره خلافاً لمن كان عكسه، فإن البعد عنه أفضل، ولذا قال بعض علمائنا: من قال في هذا الزمان: سلطاننا عادل، فهو كافر مع أنه لا يخلو كل سلطان عن نوع عدل، وتحقيقه مبني على الفرق بين من يعدل وبين العادل، فإن الثاني يطلق عرفاً على من كان موصوفاً بالعدل على طريق الدوام كما يقال: فلان المصلي وفلان الذي يصلي. هذا وفي شرح السنة قال طاوس: من السنة أن توقر أربعة العالم، وذا الشيبة، والسلطان والوالد. قلت: وفي معناه الوالدة، والمراد بالعالم هو الجامع بين العلم والعمل كما هو مستفاد من قوله: «حامل القرآن»، ولعل عدم ذكر الوالد في الحديث لظهوره وعمومه، أو لأن الكلام في الأجانب، فإذا كان الأب شيخاً وحاملاً للقرآن وسلطاناً ظاهرياً أو باطنياً فيزاد في إجلاله لأنه يجب تعظيمه من وجوه كثيرة. **(رواه أبو**

الحديث رقم ٤٩٧٢: أخرجه أبو داود في السنن ٥/ ١٧٤ الحديث رقم ٤٨٤٣، والبيهقي في شعب الإيمان ٧/ ٤٦٠ الحديث رقم ١٠٩٨٦.

داود، والبيهقي في «شعب الإيمان».

٤٩٧٣ ـ (٢٧) وعن أبي هريرة، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «خيرُ بيتٍ في المسلمينَ بيتٌ فيه يتيمٌ يُحسنُ إليه، وشرُّ بيت في المسلمين بيتٌ فيه يتيمٌ يُساءُ إليه». رواه ابنُ ماجه.

٤٩٧٤ ـ (٢٨) وعن أبي أُمامةَ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «مَنْ مسحَ رأسَ يتيم لم يمسحه إلا لله، كانَ له بكلِّ شعرة تمرُّ عليها يدُه حسناتٌ، ومن أحسنَ إلى يتيمة أو يتيم

داود والبيهقي في شعب الإيمان)، وروى الخطيب في الجامع عن أنس «إن من الإجلال توقير الشيخ من أمتي»، ولعله من جوامع الكلم، فإن الشيخ يطلق على ذي الشيبة والعالم والرئيس، ومنه ما روي «الشيخ في قومه كالنبي في أمته».

٤٩٧٣ ـ (وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «خير بيت في المسلمين») أي فيما بين بيوتهم («بيت فيه يتيم يحسن إليه») بصيغة المفعول («وشر بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يساء إليه») أي يؤذي بالباطل، فإن ضربه للتأديب وتعليم القرآن جائز فهما داخلان في الإحسان معنى وإن كان في الصورة إساءة، والعكس عكس. (رواه ابن ماجه). زاد في الجامع «أنا وكافل اليتيم في الجنة» هكذا وقال: رواه البخاري في الأدب المفرد وابن ماجه وأبو نعيم في الحلية عن أبي هريرة.

٤٩٧٤ ـ (وعن أبي أمامة) أي الباهلي (قال: قال رسول الله ﷺ: «من مسح رأس يتيم») وكذا حكم اليتيمة بل هي الأولى بالحنية لضعفها، ثم التنكير يفيد العموم فيشمل القريب والأجنبي يكون عنده أو عند غيره («لم يمسحه») حال من فاعل مسح أي، والحال أنه لم يمسح رأس اليتيم («إلا لله») أي لا لغرض سواه («كان له») أي للماسح («بكل شعرة») بسكون العين ويفتح أي بكل واحدة («من شعر رأسه يمر») بالتذكير ويؤنث من المرور أي يأتي («عليها»)، وكذا حكم محاذيها («يده»)، وفي نسخة من الإمرار، ففاعله ضمير الماسح ويده مفعوله («حسنات») بالرفع على اسم كان، والظاهر أن الحسنات مختلفة كمية وكيفية باعتبار تحسين النيات. قال الطيبي: مسح رأس اليتيم كناية عن الشفقة والتلطف إليه، ولما لم تكن الكناية منافية لإرادة الحقيقة لإمكان الجمع بينهما كما تقول: فلان «طويل النجاد» وتريد طول قامته مع طول علاقة سيفه رتب عليه قوله: «بكل شعرة يمر عليه يده». («ومن أحسن إلى يتيمة أو يتيم») قيل: أو للتنويع وقدم اليتيمة لأنها أحوج، والظاهر أنه شك من أحد الرواة وقع في غير محله لأن حكم اليتيم قد علم مما سبق، ففي هذه الفقرة جبر اليتيمة باللطف اللهم إلا أن يخص الإحسان بالأنعام والإنفاق ونحوهما مما يغاير معنى مطلق الإحسان الشامل للمسح، فأو للتنويع حينئذ مع احتمال الشك، لأن الأحكام الشرعية غالباً يستوي فيها المذكر والمؤنث مع

الحديث رقم ٤٩٧٣: أخرجه ابن ماجه في السنن ٢/ ١٢١٣ الحديث رقم ٣٦٧٩.

الحديث رقم ٤٩٧٤: أخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٢٨٢ الحديث رقم ١٩١٧، وأحمد في المسند ٥/ ٢٦٥.

عنده كنتُ أنا وهو في الجنّة كهاتين» وقرنَ بينَ أصبعَيه. رواه أحمد، والترمذي، وقال: هذا حديثٌ غريب.

٤٩٧٥ ـ (٢٩) وعن ابنِ عبّاس، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «مَنْ آوى يتيماً إلى طعامِه وشرابه أوجبَ اللهُ له الجنّةَ البتّة، إلاّ أن يعملَ ذنباً لا يُغفرُ. ومَن عالَ ثلاثَ بناتٍ أو مثلَهُنّ منَ الأخواتِ فأدّبهنّ ورحِمَهن

احتمال أن يكون كل فصل من الحديث على حدة، سمعه الراوي فجمعهما في الأداء. ثم قوله: («عنده») أعم من أن يكون اليتيم له أو لغيره («كنت أنا وهو») أي المحسن، وأتى بضمير الفصل ليصح العطف على الضمير («في الجنة») خبر كان، فيجب أن يقدر متعلقه خاصاً يوافق قوله: («كهاتين») أي متقارنين في الجنة اقتراناً مثل هاتين الاصبعين، ويجوز أن يكون كهاتين حال من الضمير المستقر في الخبر، وأن يكون هو الخبر وفي الجنة ظرف لكنت. كذا حققه الطيبي، («وقرن بين أصبعيه») أي المسبحة والوسطى. وفي الحديث إشارة إلى بشارة حسن الخاتمة. (رواه أحمد والترمذي وقال: هذا حديث غريب). وفي الجامع الصغير «من أحسن إلى يتيم أو يتيمة كنت أنا وهو في الجنة كهاتين». رواه الحكيم عن أنس[1]، وفي رواية الطبراني عن ابن عباس بلفظ: «من آوى يتيماً أو يتيمين ثم صبر واحتسب كنت أنا وهو في الجنة كهاتين»[2].

٤٩٧٥ ـ (وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «من آوى») بمد الهمزة ويقصر، ففي النهاية آوى وأوى بمعنى واحد، والمقصور منهما لازم ومتعد أي ضم («يتيماً»)، واليتيمة بالأولى، أو هو من باب الاكتفاء («إلى طعامه وشرابه») أي سواء أكل معه أم لا، والضميران لمن، ويحتمل أن يكونا لليتيم، وإلى بمعنى مع، فيكون أبلغ في الترغيب ويفهم الأول بالأولى («أوجب») أي أثبت («الله له الجنة») أو أوجب الله سبحانه على نفسه بمقتضى وعده («البتة») أي إيجاباً قاطعاً بلا شك وشبهة («إلا أن يعمل ذنباً لا يغفر»). المراد منه الشرك لقوله تعالى: ﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾ [النساء ـ ١١٦] كذا ذكره الطيبي وهو ظاهر. وقال شارح وتبعه ابن الملك: أي الشرك. وقيل: مظالم الخلق قلت: والجمع هو الأظهر للإجماع على أن حق العباد لا يغفر بمجرد ضم اليتيم البتة، مع أن من جملة حقوق العباد أكل مال اليتيم، نعم يكون تحت المشيئة، فالتقدير إلا أن يعمل ذنباً لا يغفر إلا بالتوبة أو بالاستحلال ونحوه، وحاصله أن سائر الذنوب التي بينه وبين الله تغفر إن شاء الله تعالى («ومن عال ثلاث بنات») أي تعهدهن وقام بمؤنتهن («أو مثلهن») أي في العدد («من الأخوات فأدبهن») أي البنات أو الأخوات، وكذا قوله («ورحمهن») أي أشفق

---

(١) الجامع الصغير ٢/ ٥٠٨ الحديث رقم ٨٣٣٦.

(٢) الجامع الصغير ٢/ ٥٠٥ الحديث رقم ٨٢٧٣.

الحديث رقم ٤٩٧٥: أخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٣٢٠ الحديث رقم ١٩١٧، والبغوي في شرح السنة ١٣/ ٤٤ الحديث رقم ٣٤٥٧.

حتى يغنيهنّ اللّهُ أوجبَ اللّهُ له الجنةَ». فقال رجلٌ: يا رسولَ الله! واثنتين؟ قال: «أو اثنتين» حتى لو قالوا: أو واحدةً؟ لقال: واحدةً «ومَن أذهبَ اللّهُ بكريمتَيه وجَبتْ له الجنّةُ». قيل: يا رسولَ الله! وما كريمتَاهُ؟ قال: «عيناهُ». رواه في «شرح السنّة».

عليهن وأحسن إليهن («حتى يغنيهن الله») إما بمال أو بزوج أو بموت («أوجب الله له الجنة. فقال رجل: يا رسول الله أو اثنتين») قال الطيبي: عطف تلقين أي قل أو اثنتين ولذلك قال: («أو اثنتين») قلت: واو للتنويع أو بمعنى بل أو بمعنى الواو للتشريك في الحكم، وكأن الحكم الإلهي كان عاماً أو مطلقاً مفوضاً إليه فاختار الأكثر بالذكر ترغيباً، فلما قيل تهويناً للأمر أو اثنتين قال: أو اثنتين، («حتى لو قالوا:») أي بعض الصحابة أعم من ذلك القائل («أو واحدة») بالنصب («لقال: واحدة») أي أو واحدة. قال الطيبي: حتى غاية الموافقة أي لم يزل يوافقه في التنزل حتى لو قال: أو واحدة لوافقه اهـ. ويمكن أنه ﷺ أخبر عن حكم الثلاث، وقال رجل: أو «اثنتين» فقال بوحي جديد: «أو اثنتين» حتى لو قالوا: «أو واحدة» لوافقهم بناء على عادة الله الجارية للأمة المرحومة من كمال لطفه وكرمه إليهم ببركته ﷺ، ونظيره: «اللهم ارحم المحلقين قالوا: والمقصرين». الحديث، استدعى أن يشمل الرحمة للمقصرين أيضاً، وإنما وقع الالتماس التلقيني هنا لأنه ربما لا توجد عند شخص ثلاثة أو اثنتين فيصير محروماً من الثواب، وهم حريصون على تحصيله من كل باب كما ورد في البخاري عن أبي سعيد أنه ﷺ قال: «ما منكن امرأة تقدم بين يديها من ولدها ثلاثة إلا كن لها حجاباً من النار» فقالت امرأة منهن: يا رسول الله أو اثنين، فأعادتها مرتين، ثم قال: «واثنين واثنين». وفي رواية لأحمد عن معاذ «ما من مسلمين يتوفى لهما ثلاثة إلا أدخلهما الله الجنة بفضل رحمته إياهما، فقالوا: يا رسول الله أو اثنان، قال: أو اثنان، قالوا: أو واحد قال: أو واحد». وجاء في بعض الروايات: «ومن لم يكن له فرط فأنا فرطه فإنهم لن يصابوا بمثلي». وحاصله إن حكم البنت والأخت الواحدة كذلك، لكنها في المرتبة الأدنى، «ومن لم يكن له بنت أو أخت فليتعهد يتيمة من الأقارب أو الأجانب، ومن لم يقدر على ذلك فنية المؤمن خير من عمله». («ومن أذهب الله كريمتيه») أي عينيه، والمراد نورهما، وهو بأن خلق أكمه أو حدث له في الصغر أو الكبر، وفي النهاية أي جارحتيه الكريمتين عليه، وكل شيء يكرم عليك فهو كريمك وكريمتك، وفي القاموس «الكريمان الحج والجهاد»، ومنه «خير الناس مؤمن بين كريمين»، أو معناه بين فرسين يغزو عليهما أو بعيران يستقي عليهما وأبوان كريمان مؤمنان، وكريمتك ابنتك وكل جارحة شريفة كالاذن، والكريمتان العينان اهـ، فتأمل. وفي نسخة صحيحة بكريمتيه، فالباء زائدة فيها للمبالغة في التعدية، والمعنى «فصبر على فقدهما وشكر ربه على سائر نعمه» («وجبت له الجنة»). وفي نسخة إلا أوجب الله له الجنة («قيل: يا رسول الله وما كريمتاه؟ قال: عيناه»)، والظاهر أن إيراد التثنية لإرادة كمال الثواب، وإلا فقد واحدة أيضاً لا يخلو عن المثوبة. («رواه») أي البغوي («في شرح السنة») أي بإسناده، ونقل ميرك عن التصحيح إن الحديث رواه الطبراني بجملته، وروى الترمذي [منه] إلى قوله: «إلا أن يعمل ذنباً لا يغفر»، ورواه المصنف يعني صاحب المصابيح في شرح السنة بتمامه أيضاً إلا قوله: «إلا أن يعمل ذنباً لا

٤٩٧٦ ـ (٣٠) وعن جابرِ بن سَمُرةَ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «لأَنْ يؤدِّبَ الرجلُ ولدَه خيرٌ له من أنْ يتصدَّقَ بصاعٍ». رواه الترمذي، وقال: هذا حديث غريب، وناصحٌ الراوي ليسَ عند أصحابِ الحديثِ بالقويِّ.

٤٩٧٧ ـ (٣١) وعن أيوبَ بن موسى، عن أبيهِ، عن جدِّه، أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «ما نَحَلَ والدٌ ولدَه من نُحلٍ

يفقره» اهـ. فالصواب أن ينسب الحديث إلى الطبراني فيتوجه الاعتراض على صاحب المشكاة في قصور تتبعه؛ وفي الجامع الصغير «من عال ثلاث بنات فأدبهن وزوّجهن وأحسن إليهن، فله الجنة». رواه أبو داود[1] عن أبي سعيد، وفيه أيضاً «من ذهب بصره في الدنيا جعل الله له نوراً يوم القيامة إن كان صالحاً». رواه الطبراني في الأوسط عن ابن مسعود.

٤٩٧٦ ـ (وعن جابر بن سمرة) رضي الله عنه مر ذكره (قال: قال رسول الله ﷺ: «لأن يؤدب الرجل») أي والله لتأديب الرجل بقول أو فعل («ولده») أي تأديباً واحداً ليلائم قوله: («خير له») أي للرجل («من أن يتصدق بصاع»)، وإنما يكون خيراً له لأن الأوّل واقع في محله لا محالة، بخلاف الثاني، فإنه تحت الاحتمال، أو لأن الأوّل إفادة عملية حالية، والثاني عملية مالية، أو لأن أثر الثاني سريع الفناء ونتيجة الأوّل طويلة البقاء، أو «لأن الرجل بترك الأوّل قد يعاقب وبترك الثاني لم يعاقب»، وأمثال ذلك. (رواه الترمذي وقال: هذا حديث غريب، وناصح الراوي ليس عند أصحاب الحديث بالقوي). أي ولم يعرف هذا الحديث إلا من هذا الوجه اهـ، ذكره ميرك، وعلى تقدير ضعفه يعمل به في فضائل الأعمال إجماعاً، ولا شك أن المراد بالتأديب هنا تعليم الآداب الشرعية وهذا المعنى مستفاد من الأدلة القرآنية والحديثية، وقد روى الطبراني بسند حسن عن أبي رافع مرفوعاً «لأن يهدي الله على يديك رجلاً خير لك مما طلعت عليه الشمس وغربت». ومما يؤيده الحديث الآتي مما يليه.

٤٩٧٧ ـ (وعن أيوب بن موسى) أموي تابعي، روى عن عطاء ومكحول وطبقتهما، وعنه شعبة وغيره، وكان أحد الفقهاء (عن أبيه) أي موسى بن عمرو، ولم يذكره المصنف، (عن جده) أي عمرو بن سعيد أو سعيد بن العاص ـ وسيأتي بيانه ـ وسعيد بن العاص ولد عام الهجرة وكان أحد أشراف قريش، وهو أحد الذين كتبوا المصحف لعثمان، واستعمله عثمان على الكوفة وغزا بالناس طبرستان فافتتحها، ومات سنة تسع وخمسين ذكره المصنف في فصل الصحابة (إن رسول الله ﷺ قال: «ما نحل») أي ما أعطى («والد ولده من نحل») بضم النون

---

(١) الجامع الصغير ٢/ ٥٣٤ الحديث رقم ٨/٤٤٧.

الحديث ٤٩٧٦: أخرجه الترمذي في السنن ٥/ ٢٩٧ الحديث رقم ١٩٥١. وأحمد في المسند ٥/ ٩٦.

الحديث رقم ٤٩٧٧: أخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٢٩٨ الحديث رقم ١٩٥٢، وأحمد في المسند ٤/ ٧٨ والبيهقي في شعب الإيمان ٦/ ٣٩٩ الحديث رقم ٨٦٥٣.

أفضلَ من أدبٍ حسَنٍ». رواه الترمذيُّ، والبيهقي في «شعب الإيمان»، وقال الترمذي: هذا عندي حديثٌ مرسل.

٤٩٧٨ ـ (٣٢) وعن عوفِ بن مالكٍ الأشجعيِّ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «أنا وامرأةٌ سَفعاءُ الخدَّينِ كهاتين

ويفتح أي عطية أو إعطاء، ففي النهاية النحل العطية والهبة ابتداء من غير عوض ولا استحقاق. يقال: نحله ينحله نحلاً بالضم، والنحلة بالكسر العطية، وفي القاموس النحل الشيء المعطى، وبالضم مصدر نحله أعطاه، والاسم النحلة بالكسر ويضم («أفضل من أدب حسن»)، وهو المطابق للعرف الموافق للشرع. قال الطيبي: جعل الأدب الحسن من جنس المال والعطيات مبالغة كما جعل الله القلب السليم من جنس البنين والمال في قوله: ﴿يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم﴾ [الشعراء ـ ٨٨، ٨٩] قلت: الصحيح في الآية أن الاستثناء منقطع أي ولكن سلامة من أتى الله بقلب سليم تنفعه أو متصل، والمعنى الأمال من هذا شأنه وبنوه حيث أنفق ماله من البر، وأرشد بنيه إلى الحق. وقيل: الاستثناء مما يدل عليه المال والبنون أي لا ينفع غنى الأغنياء. هذا ولم يظهر وجه المبالغة لا في الحديث ولا في الآية مع أن الحديث مستغن عن التكلف، فإنه إذا قيل: «الأدب خير من الذهب أو البشر خير من الملك»، فالمعنى أن هذا الجنس أحسن من هذا الجنس، ولا يحتاج إلى جعل أحدهما من جنس الآخر، إذ معنى الكلام تام بدونه. (رواه الترمذي والبيهقي في شعب الإيمان وقال الترمذي: هذا حديث عندي مرسل). قال الطيبي: قوله: عندي يدل على اختلاف فيه، وذلك أن قوله عن جده يوهم الاتصال والإرسال، فإنه يحتمل أن يكون جد أيوب وهو عمرو، فيكون مرسلاً، وأن يكون جد أبيه وهو سعيد صحابي، فيكون متصلاً. قال الطيبي[1]: روى البخاري الحديث في تاريخه وقال: إنه لم يصح سماع جد أيوب فوافق الترمذي البخاري وقال: هذا عندي مرسل. وفي جامع الأصول إشعار بأنه متصل حيث روي عن سعيد بن العاص، عن النبي ﷺ. قلت: وفي الجامع الصغير إشارة إلى أنه مرسل حيث قال: رواه الترمذي والحاكم عن عمرو بن سعيد بن العاص. هذا وكلام البخاري أنه لم يصح له سماع جد أيوب، إن أراد به جده الكبير فلا يضر الحديث لأنه حينئذ من مراسيل الصحابة وهو مقبول عند الكل، وإن أراد به جده بلا واسطة فهو المرسل المتعارف، لكنه حجة عند الجمهور على أن الحديث من فضائل الأعمال والله أعلم بالحال.

٤٩٧٨ ـ (وعن عوف بن مالك الأشجعي رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا وامرأة سفعاء الخدين») بضم الهمزة ويفتح بتقدير هي أو أعني أي متغيرة لون الخدين لما يكابدها من المشقة والضنك صفة كاشفة باعتبار غالب حالها ليصح الإطلاق في رواية أحمد ومسلم وأبي داود والترمذي عن سهل بن سعد «أنا وكافل اليتيم» هكذا («كهاتين») أي من

---

(١) في المخطوطة «البيهقي».

الحديث رقم ٤٩٧٨: أخرجه أبو داود في السنن ٥/ ٣٥٦ الحديث رقم ٥١٤٩، وأحمد في المسند ٦/ ٢٩.

يومَ القيامة». وأومأ يزيدُ بن ذريع إلى الوُسطى والسَّبابة «امرأةٌ آمَتْ من زوجها، ذاتُ منصبٍ وجمالٍ، حبَسَتْ نفسَها على يتاماها حتى بانوا أو ماتوا». رواه أبو داود.

٤٩٧٩ ـ (٣٣) وعن ابنِ عبَّاسٍ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «مَن كانتْ له أُنثى فلَمْ يئِدها ولم يُهِنْها، ولم يُؤثِرْ ولدَه عليها ـ يعني الذكورَ ـ

الأصبعين («يوم القيامة وأوماً») بهمز في آخره، من وما إليه أشار كأوماً، كذا في القاموس، ولم يذكر فيه مادة و م ي فما في بعض النسخ أومي بالياء لا يظهر له وجه إلا أن يقال: بالإبدال، وإبدال الهمز المتحرك ضعيف عند قوم والله أعلم. والحاصل أنه أشار (يزيد بن زريع) بضم زاي وفتح راء أحد رواة الحديث («إلى الوسطى والسبابة») أي بياناً لهاتين («امرأة») أي هي، فهي خبرها محذوف («آمت») بمد همزة وتخفيف ميم أي صارت أيماً بأن فارقت («من زوجها») بموت أو طلاق («ذات منصب») بكسر الصاد أي صاحبة نسب أو حسب («وجمال») أي كمال صورة وسيرة، وهي صفة لامرأة، وأريد بها كمال الثواب، وليست للاحتراز. والمعنى أنها مع هذه الصفة المرغوبة المطلوبة لكل أحد («حبست نفسها»)، فالجملة استئناف أو صفة أخرى أو حال بتقدير قد أو بدونه أي منعتها عن الزواج صابرة أو شفقة («على يتاماها»)، وقال شارح: أي اشتغلت بخدمة الأولاد وعملت لهم، فكأنها حبست نفسها أي وقفت عليهم، وفي نسخة على أيتامها («حتى بانوا») أي إلى أن كبروا وحصلت لهم الإبانة أو وصلوا إلى مرتبة كمالهم، فإن البين من الأضداد بمعنى الفصل والوصل، وقال شارح: أي حتى فصلوا وزادوا قوة وعقلاً واستقلوا بأمرهم من البون، وهو الفضل والمزية («أو ماتوا») أي أو ماتت، فأو للتنويع. وقال القاضي قوله: امرأة آمت الخ بدل مجرى مجرى البيان والتفسير، وآمت المرأة أيمة وأيوماً إذا صارت بلا زوج، وقوله: حتى بانوا أي استقلوا بأمرهم وانفصلوا عنها. وقال الطيبي: التنكير في امرأة للتعظيم، وقوله: «سفعاء الخدين» نصب أو رفع على المدح، وهو معترض بين المبتدأ والخبر. (رواه أبو داود).

٤٩٧٩ ـ (وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «من كانت له أنثى») أي بنت أو أخت («فلم يئدها») على وزن يعدها أي لم يدفنها حية كما هو عادة الجاهلية للفرار عن الفقر أو لعار («ولم يهنها») من الإهانة، وفيه إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسوداً وهو كظيم يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون أم يدسه في التراب﴾ [النحل ـ ٥٩] فالمعنى ولم يمسكها على هوان ومذلة وحقارة ومشقة («ولم يؤثر») من الإيثار أي لم يختر («ولده») أي صبيه إذا كان له («عليها») أي على الأنثى، ولما كان الولد في اللغة يطلق على الابن والبنت قال ابن عباس: («يعني») أي يريد النبي عليه السلام بالولد («الذكور»)، ويحتمل أن يكون التفسير لغير ابن عباس فتأمل، ثم تغير الولد

الحديث رقم ٤٩٧٩: أخرجه أبو داود في السنن ٥/ ٣٥٤ الحديث رقم ٥١٤٦، وأحمد في المسند ١/ ٢٢٣.

أدخلَه اللهُ الجنَّةَ». رواه أبو داود.

٤٩٨٠ ـ (٣٤) وعن أنسٍ، عن النبيِّ ﷺ، قال: «مَن اغتِيبَ عنده أخوه المسلمُ وهو يقدرُ على نصرِه فنصرَه؛ نصرَه اللهُ في الدنيا والآخرة. فإنْ لم ينصُرْه وهو يقدرُ على نصرِه؛ أدركه اللهُ به في الدنيا والآخرة». رواه في «شرح السنَّة».

٤٩٨١ ـ (٣٥) وعن أسماءَ بنتِ يزيد، قالتْ: قال رسولُ الله ﷺ: «مَنْ ذَبَّ عن لحمِ أخيهِ بالمغيبةِ كانَ حقّاً على اللهِ أنْ يُعتِقَه منَ النارِ». رواه البيهقيُّ في «شعب الإيمان».

بالذكور على صيغة الجمع لأن الولد اسم جنس، أو الجنسية هنا مستفادة من الإضافة، ولعل العدول في التفسير عن الذكر إلى الذكور تحاشياً عن ذكر الذكر فتدبر. (**«أدخله الله الجنة»**) أي مع السابقين. قال الطيبي: في وضع الأنثى موضع البنت تحقير لشأنها، كما وضع الولد موضع مكان الابن تعظيماً له إيذاناً بمخالفة عظيمة لهوى النفس وإيثار رضا الله على رضاه، ولذلك رتب عليه دخول الجنة. (**رواه أبو داود**).

٤٩٨٠ ـ (**وعن أنس رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ قال: «من اغتيب»**) يجوز كسر النون وضمها وصلاً أي من تكلم بالغيبة (**«عنده أخوه المسلم وهو يقدر على نصره»**)، الجملة حال من ضمير من (**«فنصره»**) عطف على الشرط أي فمنعه ودفعه وجزاؤه (**«نصره الله في الدنيا والآخرة، فإن لم ينصره وهو يقدر على نصره أدركه الله»**) أي عاقبه (**«به»**) أي بسبب عدم نصره عند وجود قدرته (**«في الدنيا والآخرة». رواه في شرح السنة**)؛ وفي سنده ضعف، لكن له شواهد يقوي بها. نقله ميرك عن التصحيح.

٤٩٨١ ـ (**وعن أسماء بنت يزيد**) أي ابن السكن (**قالت: قال رسول الله ﷺ: «من ذب»**) أي دفع (**«عن لحم أخيه»**) كناية عن غيبته على طبق الآية، والمعنى من دفع أو من منع مغتاباً عن غيبة أخيه (**«بالمغيبة»**) أي في زمان كون أخيه غائباً، وهو مصدر أو اسم زمان أو مكان. قال الطيبي: كأنه قيل: «من ذب عن غيبة أخيه في غيبته»، وعلى هذا بالمغيبة ظرف، ويجوز أن يكون حالاً، وفي هذه الكناية من المبالغة أنه جعل الغيبة كأكل لحم الإنسان، ولم يقتصر عليه، بل جعلها كلحم أخيه لأنه أشد نفاراً من لحم الأجانب، وزاد في المبالغة حيث جعل الأخ ميتاً (**«كان حقاً على الله»**) أي ثابتاً عنده أو واجباً عليه بمقتضى وعده (**«أن يعتقه من النار»**)، وهو إما في أول وهلة قبل دخولها أو بعده قبل استيفاء العقوبة. (**رواه البيهقي في شعب الإيمان**). وفي التصحيح رواه الطبراني ومحيي السنة، وفي سنده ضعيف وقال الحافظ المنذري في الترغيب: رواه أحمد بسند حسن، وابن أبي الدنيا والطبراني وغيرهم. نقله ميرك، وفي الجامع الصغير بلفظ: «من ذب عن عرض أخيه بالمغيبة كان حقاً على الله أن يقيه من

الحديث رقم ٤٩٨٠: أخرجه البغوي في شرح السنة ١٣/ ١٠٧ الحديث رقم ٣٥٣٠.

الحديث رقم ٤٩٨١: أخرجه أحمد في المسند ٦/ ٤٦١، والبيهقي في الشعب الإيمان.

٤٩٨٢ ـ (٣٦) وعن أبي الدَّرداءِ، قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «ما مِنْ مسلمٍ يردّ عن عِرضِ أخيه إلا كان حقاً على الله أن يردّ عنه نارَ جهنم يوم القيامة». ثم تلا هذه الآية: ﴿وكان حقاً علينا نصر المؤمنين﴾. رواه في «شرح السنة».

النار». رواه أحمد والطبراني في الكبير عن أسماء بنت يزيد.

٤٩٨٢ ـ (وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما من مسلم يرد عن عرض أخيه») أي يمنع عن غيبة أخيه مثلاً، («إلا كان حقاً على الله أن يرد») أي يصرف («عنه») أي عن الراد («نار جهنم يوم القيامة»، ثم تلا) أي النبي ﷺ استشهاداً، ويحتمل أنه قرأ أبو الدرداء اعتضاداً (﴿وكان حقاً علينا نصر المؤمنين﴾[1]). قال الطيبي: قوله: «وكان حقاً علينا» الخ استشهاد لقوله: «إلا كان حقاً على الله أن يرد عنه»، والضمير في عنه راجع إلى المسلم الذاب عن عرض أخيه. أتى بالعام فيدخل فيه من سبق له الكلام دخولاً أولياً كما في قوله تعالى: ﴿فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين﴾ [البقرة ـ ٨٩] وهو أبلغ من لو قيل عليهم لموقع الكناية اهـ، ولا خفاء أن ما في صدر الحديث نافية ومن مزيدة لاستغراق النفي. فالحكم عام شامل، وليس في الحديث ما يدل على أن هناك من سبق له الكلام ليدخل دخولاً أولياً، وأما الآية فالظاهر أن حكمة العدول عن عليهم إلى على الكافرين ليخرج من سيؤمن منهم ويدخل فيهم غيرهم من سائر الكفار مع ما فيه من تنبيه نبيه على أن لعن الأحياء من الكفار غير جائز إذا كانوا قوماً محصورين، لأن المدار على الخاتمة. وأما قول الطيبي، وفيه أن مفهوم المسلم والمؤمن واحد كما في قوله تعالى: ﴿فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين﴾، ففيه أن الصواب كون مفهومها لغة وشريعة متغايرين على ما يشهد له قوله تعالى: ﴿قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا﴾ [الحجرات ـ ١٤] ويدل عليه حديث جبريل كما سبق في أول الكتاب من تغاير تعريف الإيمان والإسلام، نعم ما صدقهما واحد في اعتبار عرف الفقهاء والمتكلمين بحيث يطلق كل موضع الآخر لأن انقياد الظاهر بدون انقياد الباطن غير صحيح، وكذا العكس، فلا بد من تحققهما، ثم لا يلزم من ترك عمل من أعمال الإسلام عدم انقياد الظاهر للفرق بين تركه كسلاً وإعراضاً، فمن ترك صلاة متعمداً أو قتل نفساً غير معتقد وجوب الأول وحرمة الآخر كان كافراً، وهذا هو [المذهب] الفارق بين مذهب أهل الحق من أهل السنة والجماعة، وبين مشرب المعتزلة والخوارج وسائر أهل الضلالة والبدعة. (رواه في شرح السنة). وقال المنذري: أخرجه الترمذي بلفظ: «من رد عن عرض أخيه رد الله عن وجهه النار يوم القيامة». وقال: حديث حسن، ورواه ابن أبي الدنيا وأبو الشيخ في كتاب التوبيخ ولفظه قال: «من ذب عن أخيه رد الله عنه عذاب النار يوم القيامة»، وتلا رسول الله ﷺ: ﴿وكان حقاً علينا نصر المؤمنين﴾ [الروم ـ

الحديث رقم ٤٩٨٢: أخرجه البغوي في شرح السنة ١٣/١٠٦ الحديث رقم ٣٥٢٨، والترمذي في ٤/ ٣٢٧ الحديث رقم ١٩٣١، وأحمد في المسند ٦/٤٥٠.

(١) سورة الروم، الآية: ٤٧.

٤٩٨٣ ـ (٣٧) وعن جابر، أن النبي ﷺ قال: «ما منْ امرىء مسلم يخذل أمرأ مسلماً في موضع يُنتهك فيه حرمتهُ وينتقص فيه من عرضه إلاَّ خذله الله تعالى في موطنٍ يُحبّ فيه نصرته وما من امرىءٍ مسلم ينصر مسلماً في موضع يُنتقص فيه من عرضه ويُنتهك فيه من حرمته إلا نصره الله في موطن يحبُّ فيه نصرته». رواه أبو داود.

٤٩٨٤ ـ (٣٨) وعن عقبة بن عامر، قال: قال رسول الله ﷺ: «من رأى عورةً فسترها

٤٧] نقله ميرك. وفي الجامع الصغير بلفظ: «من رد عن عرض أخيه رد الله عن وجهه النار يوم القيامة». رواه أحمد والترمذي عن أبي الدرداء، وروى البيهقي عن أبي الدرداء أيضاً بلفظ: «من رد عن عرض أخيه كان له حجاباً من النار».

٤٩٨٣ ـ (وعن جابر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «ما من امرىء مسلم يخذل») بضم الذال («امرأ مسلماً في موضع ينتهك») بصيغة المجهول أي يتناول بما لا يحل («فيه») أي في ذلك الموضع («حرمته») أي احترامه وبعض إكرامه؛ ورواية الجامع الصغير «من حرمته»، ولعله هو الصواب في الرواية كما تقتضي الدراية من حسن المقابلة، إلا أن في الجامع «ينتقص فيه من عرضه وينتهك فيه من حرمته»، ولا يخفى أن ترتيبه أيضاً هو الأنسب ليكون تعميماً بعد تخصيص، وهو المطابق لما سيأتي في الفقرة الثانية فعكس في ترتيب المشكاة هنا بقوله: («وينتقص فيه عرضه») بصيغة المجهول من الانتقاص، وهو لازم ومتعد، والمعنى ليس أحد يترك نصرة مسلم مع وجود القدرة عليه بالقول أو الفعل عند حضور غيبته أو إهانته أو ضربه أو قتله ونحوها («إلا خذله الله تعالى في موطن يحب») أي ذلك الخاذل («فيه») أي في ذلك الموطن («نصرته») أي إعانته سبحانه، ويجوز أن تكون إضافته إلى المفعول، وذلك شامل لمواطن الدنيا ومواقف الآخرة («وما من امرىء مسلم ينصر مسلماً في موضع ينتقص من عرضه وينتهك») أي فيه. كما في نسخة مطابقة لرواية الجامع («من حرمته») أي من بعض احترامه من لوازم إكرامه («إلا نصره الله في موطن»)، فيه تفنن بالعبارة. ورواية الجامع في الموضعين بلفظ موطن («يحب فيه نصرته»)، ولعل هذا مقتبس من قوله تعالى: ﴿جزاء وفاقاً﴾ [النبأ ـ ٢١] وقوله عز وجل: ﴿ومن يعمل سوءاً يجز به﴾ [النساء ـ ١٢٣]. (رواه أبو داود). وكذا أحمد والضياء عن جابر وأبي طلحة بن سعد.

٤٩٨٤ ـ (وعن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من رأى عورة») وهي ما يكره الإنسان ظهوره، فالمعنى من علم عيباً أو أمراً قبيحاً في مسلم («فسترها») أو رأى عورة مسلم مكشوفة فسترها بثوبه أو من عنده وقال الطيبي: أي من رأى خللاً من هتك ستر أو

الحديث رقم ٤٩٨٣: أخرجه أبو داود في السنن ٥/ ١٩٧ الحديث رقم ٤٨٨٤، وأحمد في المسند ٤/ ٣٠.
الحديث رقم ٤٩٨٤: أخرجه أبو داود في السنن ٥/ ٢٠٠ الحديث رقم ٤٨٩١، والترمذي ٤/ ٢٨٧ الحديث رقم ١٩٣٠، وأحمد في المسند ٤/ ١٤٧.

كان كمن أحيا موؤدة» رواه أحمد، والترمذي وصححه.

وقع في عرض ونحوهما لأن الناس يختل حالهم عندها («كان كمن أحيا») أي كان ثوابه كثواب من أحيا («موؤدة») بأن رأى أحد أحداً يريد وأد بنت فمنع أو سعى في خلاصها ولو بحيلة. وقال المظهر: بأن رأى حياً مدفوناً في قبر، فأخرج ذلك المدفون من القبر كيلا يموت، ووجه تشبيه الستر على عيوب الناس بإحياء الموؤدة. «إن من انتهك ستره يكون من الخجالة كميت، إذ يحب الموت منها، فإذا ستر أحد على عيبه فقد دفع عنه الخجالة التي هي عنده بمنزلة الموت» اهـ. ويمكن أن يقال: وجه المشابهة هو المناسبة الضدية، فإن بالشيء يذكر ضده، والمعنى «من ستر ما شرع الله ستره كان كمن رفع الستر عما لم يشرع ستره»، أو وجه الشبه هو إصلاح الفساد في القرينتين فلا إشكال والله أعلم بالحال. وقال الطيبي: يمكن أن يقال: إن وجه الأمر الشبه العظيم يعني «من ستر على مسلم فقد ارتكب أمراً عظيماً كمن أحيا موؤدة فإنه أمر عظيم»، فيدل على فخامة تلك الشنعاء نحو قوله تعالى: ﴿ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً﴾ [المائدة ـ ٣٢] الكشاف فيه تعظيم قتل النفس وإحيائها في القلوب ليستمر الناس على الجسارة عليها ويتراغبوا في المحاماة على حرمتها لأن المتعرض لقتل النفس إذا تصوّر قتلها بصورة قتل جميع الناس عظم ذلك عليه فثبطه، وكذلك الذي أراد إحياءها، اهـ كلامه. فكذا من أراد أن يستر عيب مؤمن وعرضه إذا تصوّر أنه إحياء الموؤدة عظم عنده ستر عورة المؤمن، فيتحرى فيه ويبذل جهده قلت: وهذا المعنى لا ينافيه اعتبار وجه الشبه فيما سبق. نعم في الآية لما عظم على صاحب الكشاف وجه شبه «قتل نفس واحدة بقتل الأنفس جميعها»، وكذا «إحياؤها بأحيائها» اعتبر معنى العظمة المشتملة على المناسبة للمشابهة بين الكمية والكيفية مع أن في الآية معاني أخر أظهر من قول الكشاف، فقال بعضهم: أي «من استحل دم مسلم فكأنما استحل دماء الناس» لأنه لا فرق عنده بين نفس ونفس، وهذا قول ابن عباس، أو لأنه يقتل قصاصاً كما لو قتل جميع الناس وجزاؤه جهنم كما لو قتل الجميع، وهذا قول مجاهد، أو كما قتل الناس جميعاً وزراً وإثماً، وهذا قول قتادة، وهو تعظيم للقتل، ولا يصح إلا على طريق الوعيد والتهديد. وقال البيضاوي: فكأنما قتل الناس جميعاً من حيث إن قتل الواحد والجمع سواء في استجلاب غضب الله والعذاب العظيم أي في أصل الاستجلاب والله أعلم بالصواب. (رواه أحمد والترمذي، وصححه). ونقل ميرك عن التصحيح أنه رواه أحمد وأبو داود، وفيه قصة. وقد جاء من عدة طرق اهـ. وفي الجامع الصغير بلفظ «من رأى عورة فسترها كان كمن أحيا موؤدة من قبرها». رواه البخاري في الأدب المفرد، وأبو داود والحاكم عن عقبة بن عامر.

٤٩٨٥ ـ (٣٩) وعن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أحدكم مرآة أخيه، فإن رأى به أذىً فليمِطْ عنه». رواه الترمذي وضعفه. وفي رواية له ولأبي داود: «المؤمنُ مرآة المؤمن، والمؤمن أخو المؤمن، يكفُّ عنه ضيعته، ويحوطه من ورائه».

٤٩٨٥ ـ (وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أحدكم مرآة أخيه») بكسر ميم ومد همز أي آلة لإراءة محاسن أخيه ومعايبه، لكن بينه وبينه، فإن النصيحة في الملأ فضيحة، وأيضاً هو يرى من أخيه ما لا يراه من نفسه كما يرسم في المرآة ما هو مختف عن صاحبه، فيراه فيها أي إنما يعلم الشخص عيب نفسه بأعلام أخيه كما يعلم خلل وجهه بالنظر في المرآة («فإن رأى») أي أحدكم («به») أي بأخيه («أذى») أي عيباً مما يؤذيه أو يؤذي غيره («فليمط») أي فليمطه، كما في رواية الجامع الصغير من الإماطة، والمعنى فليزل ذلك الأذى («عنه») أي عن أخيه إما بإعلامه حتى يتركه أو بالدعاء له حتى يرفع عنه، وهذا وجه قول عمر رضي الله عنه «رحم الله امرأ أهدى إليّ بعيوب نفسي»، وفي إتيانه بصيغة الجمع إشارة إلى أن النفس معدن العيوب ومنبعها، ولذا قيل:

وجـــودك ذنـــب لا يـــقـــاس بـــه ذنـــب

وفي شرح الطيبي قيل: أي المؤمن في إراءة عيب أخيه كالمرآة المجلوة التي تحكي كل ما يرسم فيها من الصور ولو كان أدنى شيء، فالمؤمن إذا نظر إلى أخيه يستشف من وراء أقواله وأفعاله وأحواله تعريفات وتلويحات من الله الكريم، فأي وقت ظهر من أحد المؤمنين المجتمعين في عقد الأخوة عيب قادح في أخوته نافروه، لأن ذلك يظهر بظهور النفس من تضييع حق الوقت فعلموا منه خروجه بذلك عن دائرة الجمعية فتنافروه ليعود إلى دائرة الجمعية. قال رويم: لا يزال الصوفية بخير ما تنافروا، فإذا اصطلحوا هلكوا، وهذا إشارة منه إلى حسن تفقد بعضهم أحوال البعض إشفاقاً من ظهور النفس، يقول: إذا اصطلحوا ورفع التنافر بينهم يخاف أن يخامر البواطن المساهلة والمرآة ومسامحة البعض البعض في إهمال دقيق آدابهم، وبذلك تظهر النفوس وتتولى وتصدأ مرآة القلب، فلا يرى فيها الخلل والعيب. قال عمر رضي الله عنه في مجلس فيه المهاجرون والأنصار: «أرأيتم لو ترخصت في بعض الأمور ماذا كنتم فاعلين مرتين أو ثلاثاً فلم يجيبوا، قال: بشير بن سعد لو فعلت ذلك قوّمناك تقويم القدح، قال عمر: «أنتم إذاً أنتم» كذا في كتاب العوارف. (رواه الترمذي وضعفه وفي رواية له ولأبي داود). وكذا للبخاري في الأدب المفرد («المؤمن مرآة المؤمن والمؤمن أخو المؤمن يكف عنه ضيعته») أي يمنع عن أخيه تلفه وخسرانه، فهو مرة من الضياع. وقيل: ضيعة الرجل ما يكون منه معاشه أي يجمع عليه معيشته («ويحوطه») أي يحفظه وينصره ويضمه إليه («من ورائه») أي في غيبته نفساً ومالاً وعرضاً بأن لا يسكت إذا اغتيب عنده وقدر على دفعه هذا،

الحديث رقم ٤٩٨٥: أخرجه أبو داود في السنن ٥/ ٢١٧ الحديث رقم ٤٩١٨، والترمذي في ٤/ ٢٨٧ الحديث رقم ١٩٢٩.

وصدر الحديث وهو قوله: «المؤمن مرآة المؤمن» حديث مستقل أيضاً. ورواه الطبراني في الأوسط، والضياء عن أنس، وللطائفة الصوفية الصفية تعلق بهذا الحديث من حيث تصوير الجمع بين الكثرة والوحدة تارة بوجود مرآة واحدة ومراء متعددة، وتارة بالعكس في الانعكاس، وجعلوا أحد المؤمنين عبارة عن المؤمن المهيمن المتعال وهو تمثال على وجه الكمال ولله المثل الأعلى والصفة الأعلى من حجة دلالته على تنزيه الرائي والمرئي من المحب والمحبوب والطالب والمطلوب، ومن حيثية كون المرآة مظهر أو مظهر المتعالي عن الحلول والاتحاد والانفصال والاتصال خلاف ما تصوره أهل الضلال، وأيضاً فيه إشارة إلى أن تجليات الظهور الرباني وتجليات العوارف الصمداني إنما هو بقدر[1] صفاء المرآة عن صداء الذنوب وتخليات الشهوات وسائر العيوب مما يحجب القلوب عن مطالعة الغيوب: لكن إذا كان الرائي متوجهاً إلى مرآة القلب لا معرضاً عنها، وإلا فيكون وجه المرآة وقفاءها مستويين عنده، وكذا إذا تراكم الصدأ والرين وارتفع العين بسبب الغين فيكون محجوباً في البين، فانظر التفاوت بين الفريقين، فإنه بون بين، ولذا قال نديم الباري خواجه عبد الله الأنصاري صاحب منازل السائرين ومقامات الطائرين. آه آه من تفاوت سالكي طريق الإله مع أن الكل من حديد واحد في كير وارد فيصاغ من قطعة مرآة يرى بها وجه المحبوب ويصنع من أخرى نعل يوضع تحت رجل المركوب مشير إلى قوله تعالى: **﴿أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون﴾** [الأعراف ـ ١٧٩] أي الكافرون الكاملون في الغفلة بخلاف المؤمنين الكاملين في مرتبة الحضور دائماً كالأنبياء أو غالباً كالأولياء وتارة وتارة كسائر المؤمنين الذين خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً، فإن الغفلة كفر كما بينته في شرح حزب الفتح للشيخ أبي الحسن البكري قدس الله سره السري. هذا وكان صاحب المنازل أراد بأحدهما مثل آدم وموسى والخاتم وبالآخر إبليس وفرعون وأبا جهل، لكن عندي أن يقال: نبينا الرئيس بمقابلة إبليس، فإن سيدنا محمد أعظم مظاهر الجمال وإبليس أقوى مظاهر الجلال، وكذا ما يترتب على متابعتهما من الجنة والثواب والنار والعقاب، وأبو جهل يقابل بآدم الذي هو أبو العلم، ولكل فرعون موسى، وهنا يفتح أبواب بحث القضاء والقدر ويدخل أسباب التحير في أمر القوي والقدر، والجواب المحمدي لا يسأل عما يفعل، ثم هذان الأمران باقتضاء صفتي الجمال والجلال من صاحب الكمال وبسطهما يوجب كلال أرباب الملال مع أنه غاية ذوق أصحاب الحال فقد مزجت تلك الإشارة الصوفية الباطنية بالعبارة العملية الظاهرية لعلك تعترف بالجهل من هذا المذهب وتعترف بالعلم من هذا المشرب ولو كان ممزوجاً لعدم حصوله صرفاً. كما أشار إليه سبحانه ودل عليه كلامه وبرهانه حيث قال: **﴿إن كتاب الأبرار لفي عليين﴾** [المطففين ـ ١٨] إلى أن قال: **﴿يسقون من رحيق مختوم ختامه مسك وفي ذلك فليتنافس المتنافسون ومزاجه من تسنيم عيناً يشرب بها المقربون﴾** [المطففين ـ ٢٨] وقد قال العارف ابن الفارض:

---

(١) في المخطوطة «بمقدر».

٤٩٨٦ - (٤٠) وعن معاذ بن أنس، قال: قال رسول الله ﷺ: «من حمى مؤمناً من منافق بعث الله ملكاً يحمي لحمه يوم القيامة من نار جهنم ومن رمى مسلماً بشيء يريد به شينَه حبسه الله على جسر جهنم حتى يخرُجَ مما قال». رواه أبو داود.

٤٩٨٧ - (٤١) وعن عبد الله بن عمرو، قال: قال رسول الله ﷺ: «خير الأصحاب عند الله خيرهم لصاحبه، وخير الجيران عند الله خيرهم لجاره». [٣٧٣ - ب -] رواه الترمذي، والدارمي، وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب.

عليك بها صرفاً وإن شئت مزجها فعدلك عن ظلم الحبيب هو الظلم

أذاقنا الله من كأس مشربهم ورزقنا سلوك مذهبهم وحسن مطلبهم.

٤٩٨٦ - **(وعن معاذ بن أنس رضي الله عنه)** أي الجهني روى عنه ابنه سهل ذكره المؤلف في فصل الصحابة **(قال: قال رسول الله ﷺ: «من حمى»)** أي حرس **(«مؤمناً»)** أي عرضه **(«من منافق»)** أي مغتاب، وإنما سمي منافقاً لأنه لا يظهر عيب أخيه عنده ليتدارك، بل يظهر عنده خلاف ذلك أو لأنه يظهر النصيحة ويبطن الفضيحة **(«بعث الله ملكاً يحمي لحمه»)** أي لحم حامي المؤمن **(«يوم القيامة من نار جهنم، ومن رمى»)** أي قذف **(«مسلماً»)** فيه تفنن وإشعار بصحة إطلاق كل موضع الآخر **(«بشيء»)** أي من العيوب **(«يريد به شينه»)** أي عيبه، والجملة حال من الضمير للاحتراز عمن يريد به زجره أو احتراس غيره عنه ونحو ذلك من المجوّزات الشرعية **(«حبسه الله»)** أي وقفه **(«على جسر جهنم»)** وهو صراط ممدود بين ظهرانيها أدق من الشعر وأحد من السيف **(«حتى يخرج مما قال»)** أي من عهدته، والمعنى حتى ينقى من ذنبه ذلك بإرضاء خصمه أو بشفاعة أو بتعذيبه بقدر ذنبه. **(رواه أبو داود)** أي من طريق سهل بن معاذ بن أنس عن أبيه. ذكره ميرك.

٤٩٨٧ - **(وعن عبد الله بن عمرو)** [بالواو] **(قال: قال رسول الله ﷺ: «خير الأصحاب»)** أي أكثرهم ثواباً **(«عند الله»)** أي في حكمه الذي هو المعتبر عند الكل **(«خيرهم لصاحبه»)** أي أكثرهم إحساناً ولو بالنصيحة **(«وخير الجيران عند الله خيرهم لجاره»)** أي ولو برفع الأذى عنه. **(رواه الترمذي والدارمي)**، وكذا أحمد والحاكم في مستدركه[1]. **(وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب)**. قال ميرك: وإسناده جيد رجاله رجال الصحيح، وفي الجامع الصغير «خير الأصحاب صاحب إذا ذكرت الله أعانك وإن نسيت ذكرك»[2]. رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الأخوان عن الحسن مرسلاً.

الحديث رقم ٤٩٨٦: أخرجه أبو داود في السنن ٥/ ١٩٦ الحديث رقم ٤٨٨٣، وأحمد في المسند ٣/ ٤٤١.

الحديث رقم ٤٩٨٧: أخرجه الترمذي في السنن ٥/ ٢٩٤ الحديث رقم ١٩٤٤، والدارمي في ٢/ ٢٨٤ الحديث رقم ٢٤٣٧، وأحمد في المسند ٢/ ١٦٨.

(١) الحاكم في المستدرك ١/ ٤٤٣.

(٢) الجامع الصغير ٢/ ٢٤٤ الحديث رقم ٣٩٩٩.

٤٩٨٨ ـ (٤٢) وعن ابن مسعود، قال: قال رجل للنبي ﷺ: يا رسول الله! كيف لي أن أعلم إذا أحسنتُ أو إذا أسأتُ؟ فقال النبي ﷺ: «إذا سمعت جيرانك يقولون: قد أحسنت؛ فقد أحسنت. وإذا سمعتهم يقولون: قد أسأت؛ فقد أسأت». رواه ابن ماجه.

٤٩٨٩ ـ (٤٣) وعن عائشة، أن النبي ﷺ قال: «أنزِلوا الناس منازلهم». رواه أبو داود.

٤٩٨٨ ـ (وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رجل للنبي ﷺ: «كيف لي أن أعلم إذا أحسنت أو إذا أسأت»)، وفي نسخة بالواو بمعنى أو، والمعنى كيف يحصل لي العلم بإحساني أو إساءتي إذا صدر مني عمل غير معروف حسنه وقبحه شرعاً («فقال النبي ﷺ: «إذا سمعت جيرانك») أي جميعهم لعدم اجتماعهم على الضلالة غالباً («يقولون: قد أحسنت، فقد أحسنت وإذا سمعتهم يقولون: قد أسأت فقد أسأت»)، وفيه إشارة إلى أن ألسنة الخلق أقلام الحق. (رواه ابن ماجه)؛ وكذا ابن حبان في صحيحه، وأحمد في مسنده، والطبراني ورجال ابن ماجه رجال الصحيحين إلا شيخه محمد بن يحيى، قد أخرج له البخاري دون مسلم، كذا في التصحيح؛ وفي الجامع رواه أحمد وابن ماجه والطبراني عن ابن مسعود، وابن ماجه أيضاً عن كلثوم الخزاعي.

٤٩٨٩ ـ (وعن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: «أنزلوا الناس») أمر من الإنزال وقوله: («منازلهم») منصوب بنزع الخافض قيل: أي مقاماتهم المعينة المعلومة لهم، قال تعالى حكاية عن الملائكة، ﴿وما منا إلا له مقام معلوم﴾، ولكل أحد مرتبة ومنزلة لا يتخطاها إلى غيرها، فالوضيع لا يكون في موضع الشريف ولا الشريف في منزل الوضيع، فاحفظوا على كل أحد منزلته ولا تسوّوا بين الخادم والمخدوم والسائد والمسود، وأكرموا كلاً على حسب فضله وشرفه»، وقد قال تعالى: ﴿ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات﴾ [الزخرف ـ ٣٢] وقال عز من قال: ﴿يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات﴾ [المجادلة ـ ١١] وهذا الحديث مبدأ فهم أقوال العلماء في تفاضل الأنبياء وتفضيل البشر على الملك وتفضيل الخلفاء وأمثال ذلك من المباحث، كما أنه منشأهم الأغنياء والأغبياء والمتكبرين من الأمراء والوزراء على ما هو مشاهد في مجالس الحوادث «قد علم كل أناس مشربهم، وفهم كل فريق مذهبهم، يضل به كثيراً ويهدي به كثيراً»، (رواه أبو داود) أي من طريق ميمون بن أبي شعيب عن عائشة، وقال ميمون بن شعيب: لم يدرك عائشة اهـ. وسئل أبو بكر الرازي ميمون عن عائشة متصل قال: لا. نقله ميرك عن التصحيح، وفي الجامع الصغير رواه مسلم وأبو داود عن عائشة، فالاعتراض متوجه على صاحب المصابيح، وكذا على صاحب المشكاة في غفلة الأول بإيراده في الفصل الثاني، وفي تقصير الثاني بقصور التتبع، بل وعلى صاحب التصحيح إن كان نقل الجامع هو التصحيح. هذا ورواه الخرائطي في مكارم الأخلاق بلفظ: «أنزل الناس منازلهم من الخير والشر وأحسن أدبهم على الأخلاق الصالحة».

الحديث رقم ٤٩٨٨: أخرجه ابن ماجه في السنن ٢/ ١٤١١ الحديث رقم ٤٢٢٢، وأحمد في المسند ١/ ٤٠٢.

الحديث رقم ٤٩٨٩: أخرجه أبو داود في السنن ٥/ ١٧٣ الحديث رقم ٤٨٤٢.

الفصل الثالث

٤٩٩٠ ـ (٤٤) عن عبد الرحمن بن أبي قُراد، أن النبي ﷺ توضأ يوماً، فجعل أصحابُهُ يتمسّحون بوضوئه، فقال لهم النبي ﷺ: «ما يحمِلُكم على هذا؟» قالوا: حبُّ الله ورسولِهِ فقال النبي ﷺ: «من سرَّهُ أن يحبَّ اللَّهَ ورسولَه أو يحبَّهُ اللَّهُ ورسولُهُ فليصْدُقْ حديثَه إذا حدَّث، وليؤدِّ أمانته إذا أؤتمن، وليحسن جوار من جاوره».

(الفصل الثالث)

٤٩٩٠ ـ **(عن عبد الرحمن بن أبي قراد)** بضم القاف، قال المؤلف: صحابي أسلمي يعد في أهل الحجاز، روى عنه أبو جعفر الخطمي وغيره **(إن النبي ﷺ: «توضأ يوماً فجعل أصحابه يتمسحون بوضوئه»)** بفتح الواو، وأبعد من ضمها وقدر الماء **(«فقال لهم النبي ﷺ: ما يحملكم على هذا»)** أي التمسح، وكان هذا من المعلوم الواضح عنده أنه للتبرك الناشىء عن حسن الاعتقاد في الله ورسوله فالسؤال لإظهار ما يترتب على الجواب **(«قالوا: حب الله ورسوله»)** أي الحامل أو حملنا **(«فقال النبي ﷺ: «من سره أن يحب الله ورسوله»)** أي على وجه الكمال **(«أو يحبه الله ورسوله»)** أو للتنويع أو بمعنى بل، وهو الأظهر، ويحتمل شك الراوي **(«فليصدق»)** بضم الدال **(«حديثه»)** بالنصب أي في حديثه، ففي القاموس الصدق بالكسر والفتح ضد الكذب أو بالفتح مصدر وبالكسر الاسم، وصدق في الحديث وصدق فلاناً الحديث أو القتال وصدقه تصديقاً ضد كذبه **(«إذا حدث»)** أي متى تكلم وتحدث **(«وليؤد أمانته إذا اؤتمن»)** بسكون الهمز، ويبدل ألفاً حال الوصل، وهو على بناء المفعول، ويكتب بالواو لأن حالة الابتداء به بعد الوقف على ما قبله، يجب قلب الهمزة الثانية واواً، ولا يعزك كتابته في أكثر النسخ إذا ائتمن بالياء، فإنه نشأ من قلة الإطلاع على الرسم وآداب الوقف والوصل، وهو علم مستقل بل علمان غير ما يتعلق بالكلمة من القواعد الصرفية والنحوية وسائر علوم العربية، ومن هذا القبيل قوله تعالى: **﴿فليؤدِّ الذي اؤتمن أمانته﴾** [البقرة ـ ٢٨٣] **(«وليحسن»)** من الإحسان أي ليكرم **(«جوار من جاوره»)** بكسر الجيم أي مجاورة جيرانه ومعاشرة أصحابه وإخوانه، فإن هذه الأوصاف من أخلاق المؤمنين وأضدادها من علامات المنافقين، فالمدار على الأفعال الباطنة دون الأحوال الظاهرة، فكأنه ﷺ نبههم على أن جملة همنهم يجب أن تكون على أمثال هذه الأخلاق دون الاكتفاء بظواهر الأمور المشترك فيها المؤمن والمنافق والمخالف والموافق والله الموفق، وخلاصة معناه ما ذكره الطيبي من قوله: «يريد أن ادعاءكم محبة الله ومحبة رسوله لا

الحديث رقم ٤٩٩٠: أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ٢/ ٢٠١ الحديث رقم ١٥٣٣.

٤٩٩١ ـ (٤٥) وعن ابن عباس، قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «ليس المؤمن بالذي يشبع وجاره جائع إلى جنبه». رواهما البيهقي في «شعب الإيمان».

٤٩٩٢ ـ (٤٦) وعن أبي هريرة، قال: قال رجلٌ: يا رسول الله! إن فلانةَ تُذْكَرُ من كثرةِ صلاتها وصيامها وصدقتها، غير أنّها تؤذي جيرانها بلسانها. قال: «هي في النار» قال يا رسول الله! فإن فلانة تذكر قلة صيامها وصدقتها وصلاتها،

يتم ولا يستتب بمسح الوضوء فقط بل بالصدق في المقال وبأداء الأمانة وبالإحسان إلى الجار».

٤٩٩١ ـ (وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ليس المؤمن») أي الكامل («بالذي») الباء زائدة قد تدخل في خبر ليس، وفي نسخة صحيحة الذي («يشبع وجاره جائع إلى جنبه»)، الجملة حال من ضمير يشبع أي، وهو عالم بحال اضطراره وقلة اقتداره، وفي ذكر الجنب إشعار بكمال غفلته عن تعهد جاره. (رواهما) أي الحديثين (البيهقي في شعب الإيمان)، والأول رواه الطبراني بإسناد ضعيف. ذكره ميرك، والثاني رواه البخاري في الأدب المفرد والطبراني في الكبير بسند صحيح وابن حبان في صحيحه، والبيهقي في شعبه على ما في الجامع الصغير.

٤٩٩٢ ـ (وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رجل: يا رسول الله أن فلانة) بفتح آخرها، وهي كناية عن اسم امرأة («تذكر») بصيغة المجهول مسنداً إلى ضمير فلانة، والمعنى أنها تذكر فيما بين الناس بطريق الشهرة («من كثرة صلاتها وصيامها وصدقتها») أي من أجل هذه النوافل، ومن تعليلية متعلقة بتذكر («غير أنها») أي إلا أنها («تؤذي») قال الطيبي: الاستثناء منقطع يعني لكن تؤذي («جيرانها بلسانها»)، ولعل وجه التقييد باللسان أنه أغلب ما يؤذي به وأقوى ما يتأذى به الإنسان. كما قال الشاعر:

جراحات السنان لها التئام ولا يلتئم ما جرح اللسان

(«قال: هي في النار») أي لارتكاب النفل المباح تركه واكتساب الأذى المحرم في الشرع، وفي نظيره كثير من الناس واقعون حتى عند دخول البيت الشريف واستلام الركن المنيف، ومن هذا القبيل عمل الظلمة من جمع مال الحرام وصرفه في بناء المساجد والمدارس وإطعام الطعام («قال:») أي الرجل («يا رسول الله إن فلانة») أي غيرها («تذكر») أي على ألسنة الناس («قلة صيامها وصدقتها وصلاتها»)، وفي نسخة من قلة صيامها، قال الطيبي: القرينة الثانية ليست فيها من، وقلة نصب على نزع الخافض اهـ، وكأنه ثبت عنده رواية النصب كما

الحديث رقم ٤٩٩١: أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ٥/ ٣١ الحديث رقم ٥٦٦٠، وأحمد في المسند ١/ ٥٥.
الحديث رقم ٤٩٩٢: أخرجه أحمد في المسند ٢/ ٤٤٠، والبيهقي في شعب الإيمان ٧/ ٧٩ الحديث رقم ٥٩٤٦.

وإنها تصدّق بالأثوار من الإقط، ولا تؤذي بلسانها جيرانها. قال: «هي في الجنة». رواه أحمد، والبيهقي في «شعب الإيمان».

٤٩٩٣ ـ (٤٧) وعنه، قال: إن رسول الله ﷺ وقف على ناس جلوس فقال: «ألا أخبركم بخيركم من شركم؟» قال: فسكتوا فقال ذلك ثلاث مرات [٣٧٤ ـ أ ـ] فقال رجلٌ: بلى رسول الله! أخبرنا بخيرنا من

تقتضي مراعاة المناسبة بين القرينتين، وإلا فلو روي أو قرئ بالرفع، فوجهه ظاهر والله أعلم. (**«وأنها**) بالكسر (**«تصدق»**) بحذف إحدى التاءين وضم القاف، والجملة حال، وإن روي بفتح إن عطفاً على أنها معمول تذكر فله وجه، فتذكر، والمعنى أنها تتصدق (**«بالأثوار من الأقط»**) أي بقطع منه جمع ثور بالمثلثة وهو قطعة من الأقط. ذكره الجوهري، ففي الكلام تجريد أو توكيد، وفي ذكره إشارة إلى أن صدقتها بالنسبة لتلك المرأة قليلة جداً. ثم في القرينة الثانية توسطت العبادة المالية بين عبادتي البدنية لعلها بسبب طرفيها تنجبر قلتها (**«ولا تؤذي بلسانها جيرانها»**) عطف على تصدق أو حال من ضميره (**«قال: هي في الجنة»**) لأن مدار أمر الدين على اكتساب الفرائض واجتناب المعاصي، إذ لا فائدة في تحصيل الفضول وتضييع الأصول كما هو واقع فيه أكثر العلماء وكثير من الصلحاء حيث لم يقم الأولون بما يجب عليهم من العمل، ولم يحصل الآخرون ما يجب عليهم من العلم، وأما الصوفية المجامعون بين العلم والعمل المقرونين بالإخلاص فهم يقدمون رعاية الاحتماء إلى إعطاء الدواء سالكين سبيل الحكماء فيقولون: التخلية مقدمة على التحلية، ولذا جعلوا التوبة أول منازل السائرين ومقامات الطائرين، وفي كلمة التوحيد إشارة إلى هذا المعنى بطريق النفي والإثبات دائماً إلى أن الصفات السلبية مقدمة على النعوتية الثبوتية فكأنه يلزم من الأولى حصول الثانية بخلاف العكس والله أعلم. (**رواه أحمد والبيهقي في شعب الإيمان**)، وكذا البزار وابن حبان في صحيحه، والحاكم وقال: صحيح الإسناد وابن أبي شيبة بإسناد صحيح ذكره ميرك.

٤٩٩٣ ـ (**وعنه**) أي عن أبي هريرة رضي الله عنه (**قال: إن رسول الله ﷺ: «وقف على ناس جلوس»**) أي جالسين أو ذوي جلوس (**«فقال: ألا أخبركم بخيركم من شركم»**) أي مميزاً منه حال من المتكلم (**«قال:»**) أي الراوي (**«فسكتوا»**) أي متوقفين في أن السؤال أولى أو السكوت أحرى خوفاً من أن يكون من باب لا تسألوا عن أشياء أن تبدلكم تسوؤكم وعملاً بقوله ﷺ، وسكت عن أشياء رحمة لكم من غير نسيان فلا تبحثوا عنها (**«فقال ذلك:»**) أي الكلام السابق (**«ثلاث مرات»**)، فلما أفاد التكرار أنه لا بد من الاختيار أجاب بعضهم (**«فقال رجل:»**) أي كل الرجل شديد القلب، فتنوينه للتعظيم (**«بلى يا رسول الله، أخبرنا بخيرنا من**

الحديث رقم ٤٩٩٣: أخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٤٥٧ الحديث رقم ٢٢٦٣، وأحمد في المسند ٢/ ٣٦٨ والبيهقي في شعب الإيمان ٧/ ٥٤٠ الحديث رقم ١١٢٦٨.

شرنا فقال: «خيركم من يُرجى خيرُهُ ويؤمن شرّه، شرُّكم من لا يرجى خيرُه ولا يؤمن شرُّه». رواه الترمذي، والبيهقي في «شعب الإيمان»، قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

٤٩٩٤ ـ (٤٨) وعن ابن مسعود، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله تعالى قسم بينكم أخلاقكم كما قسم بينكم أرزاقكم، إن الله تعالى يعطي الدنيا من يحب

شرنا»)، وفيه بسط الكلام بمقتضى انبساط المقام («فقال:») أي بطريق الإبهام احترازاً من فضيحة الأنام (**خيركم من يرجى خيره»**)، فخير الأول بمعنى الأخير والثاني مفرد الخيور أي من يرجو الناس منه إحسانه إليهم (**«ويؤمن شره»**) أي من يأمنون عنه من إساءته عليهم (**«وشركم من لا يرجى خيره ولا يؤمن شره»**)، وترك ذكر من يأتي منه الخير والشر ونقيضه، فإنهما ساقطا الاعتبار حيث تعارضا تساقطاً، ونظيره ما أشار إليه ﷺ في حديث آخر ما معناه أن من الناس من هو سريع الغضب سريع الفيء، فهذا بذاك، ومنهم بطيء الغضب بطيء الفيء، فكذلك، وخيرهم من يكون بطيء الغضب سريع الرجوع، وشرهم عكس ذلك». هذا وقال الطيبي: ولما توهموا معنى التمييز وتخوفوا من الفضيحة سكتوا حتى كرر ثلاثاً ثم أبرز البيان في معرض العموم لئلا يفضحوا فقال: خيركم»، والتقسيم العقلي يقتضي أربعة أقسام ذكر منها اثنين ترغيباً وترهيباً وترك قسمين لأنه ليس فيهما ترغيب وترهيب. (**رواه الترمذي والبيهقي في شعب الإيمان، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح**). وفي الجامع الصغير «خيركم من يرجى خيره»[1] الحديث. رواه أبو يعلى في مسنده عن أنس، وأحمد والترمذي عن أبي هريرة، ورواه أحمد والترمذي وابن حبان عن أبي هريرة بلفظ «ألا أخبركم بخيرك من شركم، خيركم من يرجى خيره» الخ. وروى ابن عساكر عن معاذ بلفظ «ألا أنبئكم بشر الناس من أكل وحده ومنع رفده وسافر وحده وضرب عبده، ألا أنبئكم بشر من هذا، من يبغض الناس ويبغضونه، ألا أنبئكم بشر من هذا، من يخشى شره ولا يرجى خيره، ألا أنبئكم بشر من هذا من باع آخرته بدنيا غيره، ألا أنبئكم بشر من هذا من أكل الدنيا بالدين».

٤٩٩٤ ـ (**وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله تعالى قسم»**) بالتخفيف، ويجوز تشديده، ففي القاموس قسمه، وقسمه جزأه، والمعنى قدر بمقدار معين (**«بينكم أخلاقكم»**) أي أعمالكم وأحوالكم (**«كما قسم بينكم أرزاقكم»**) أي أموالكم سواء حرامكم وحلالكم كما قال تعالى: ﴿**نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا**﴾ [الزخرف ـ ٣٢] إلى أن قال: ﴿**ورحمة ربك خير مما يجمعون**﴾ [الزخرف ـ ٣٢] اللهم فحسن أخلاقنا وطيب أرزاقنا (**«إن الله يعطي الدنيا»**) أي الأرزاق الدنيوية الدنية (**«من يحب»**) أي من يحبه من

---

(١) الجامع الصغير ٢/ ٢٥٠ الحديث رقم ٤١٦٣.

الحديث رقم ٤٩٩٤: أخرجه البيهقي في كشف الإيمان ٤/ ٣٩٥ الحديث رقم ٥٥٢٤ وأحمد في المسند ١/ ٣٨٧.

ومن لا يحب، لا يعطي الدينَ إلا من أحب فمن أعطاه الله الدينَ فقد أحبَّه، والذي نفسي بيده لا يُسْلم عبدٌ حتى يسلم قلبُه ولسانه، ولا يؤمنُ حتى يأمنَ جارهُ بوائقَه».

الأنبياء والأولياء كسليمان وعثمان (**ومن لا يحب**) أي ويعطيها أيضاً من لا يحبه كفرعون وهامان قال تعالى: ﴿**كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظوراً**﴾ [الإسراء - ٢٠] أي ممنوعاً ﴿**انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلاً**﴾ [الإسراء - ٢١] (**«ولا يعطي الدين»**) أي الأخلاق الحسنة والآداب المستحسنة (**«إلا من أحب»**)، قال بعض العارفين: التصوّف هو الخلق، فمن زاد عليك بخلق حسن فقد زاد عليك في التصوّف (**«فمن أعطاه الله الدين فقد أحبه»**) أي سواء أعطاه الدنيا أم لا، ولا يتوهم أن من جمع له بين الأرزاق الدنيوية والأخلاق الدينية أنه أفضل ممن اقتصر له على الدين مع قدر كفايته من الدنيا كما يتبادر إلى فهم أرباب العقول الناقصة، فإنه ثبت عنه ﷺ أنه قال: «من أحب آخرته أضر بدنياه، ومن أحب دنياه أضر بآخرته، فآثروا ما يبقى على ما يفنى». وفي رواية قال: «أجوعكم في الدنيا أشبعكم في الآخرة». وورد أن سليمان عليه السلام يدخل الجنة بعد الأنبياء بخمسمائة عام، وعبد الرحمن بن عوف مع كونه من العشرة المبشرة يدخل الجنة حبواً، وحاصل المسألة يرجع إلى القول: «بأن الفقير الصابر أفضل أم الغني الشاكر» وإجماع الصوفية وأكثر العلماء على الأول، بل قال بعضهم: «الفقير الشاكر أفضل»، وقال بعضهم: التفويض والتسليم أكمل، وهو كذلك، لكن ليس له دخل في البحث، بل فيه إشارة إلى قوله تعالى: ﴿**إن ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر إنه كان بعباده خبيراً بصيراً**﴾ [الإسراء - ٣٠] قد بسطت في الجملة هذه المسألة في شرح حزب الفتح للشيخ أبي الحسن البكري، والعاقل يكفيه الإشارة ولا يحتاج إلى تطويل العبارة، ومن أراد الاستقصاء فعليه بكتاب الأحياء (**«والذي نفسي بيده لا يسلم عبد»**) أي إسلاماً كاملاً مطابقاً اسمه لمسماه من العبودية وموافقاً وصفه لما أخذه من الإسلام والسلامة، وحاصله أن مدار الخلق الحسن على ترك الإساءة وإحسان القلب واللسان إذ هما منبع الأخلاق، وأحدهما ترجمان الآخر، فإن الإناء يترشح بما فيه (**«حتى يسلم قلبه ولسانه»**). وفي نسخة يسلم بفتحتين بمعنى ينقاد (**«ولا يؤمن»**) أي عبد إيماناً تاماً (**«حتى يأمن جاره»**) أي خصوصاً أو مثلاً (**«بوائقه»**) أي شرور. قال الطيبي: قوله: إن الله تعالى يعطي الدنيا كالنشر لما لف قبله، وأشار بالدنيا إلى الأرزاق، وبالدين إلى الأخلاق ليشعر بأن الرزق الذي يقابل الخلق هو الدنيا وليس من الدين في شيء، وأن الأخلاق الحميدة ليست غير الدين. قال تعالى: ﴿**وإنك لعلى خلق عظيم**﴾ [القلم - ٤] ثم أتى بما يفصل الدين من الأعمال الخارجة والداخلة من الانقياد والتصديق كما في حديث جبريل عليه السلام «أتاكم يعلّمكم أمر دينكم بعد ذكر الإسلام والإيمان، وفسرهما بما ينبىء عن الأخلاق، وخص القلب واللسان بالذكر لأن مدار الإنسان عليهما كما ورد في المثل «المرء بأصغريه»، فإسلام اللسان كفه عما فيه آفاته، وهي لا تكاد تنحصر، وإسلام القلب تطهيره عن العقائد الباطلة والآراء الزائغة والأخلاق الذميمة ثم تحليتهما بما يخالفهما.

٤٩٩٥ ـ (٤٩) وعن أبي هريرة، أنّ رسول الله ﷺ قال: «المؤمن يَألفُ لا خيرَ فيمن لا يألف ولا يُؤلف» رواهما أحمد، والبيهقي في «شعب الإيمان».

٤٩٩٦ ـ (٥٠) وعن أنس، قال: قال رسول الله ﷺ: «من قضى لأحدٍ من أمّتي حاجةً يريد أن يَسرّه بها فقد سرّني، ومن سرّني فقد سرّ الله، ومن سرّ الله أدخلهُ اللّهُ الجنّةَ».

٤٩٩٧ ـ (٥١) وعنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «من أغاثَ ملهوفاً كتب الله له ثلاثاً وسبعين مغفرةً»

٤٩٩٥ ـ (**وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «المؤمن يألف»**) بفتح اللام مصدر ميمي استعمل في معنى الفاعل والمفعول أي يألف ويؤلف كما في رواية، ويؤيده آخر الحديث أيضاً. وقال الطيبي: يحتمل أن يكون مصدراً على سبيل المبالغة كرجل عدل يعني إذا لم يألف صاحبه ألف معه وإذا التلف التلف، أو اسم مكان أي يكون مكان الإلفة ومنشؤها ومنه إنشاؤها وإليه مرجعها، (**«ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف»**) لأن التألف سبب الاعتصام بالله وبحبله، وبه يحصل الاجتماع بين المسلمين، وبضده يحصل التفرقة بهم وهو بتوفيق الله وتأليفه. وإليه أشار تعالى بقوله: ﴿**واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً**﴾ [آل عمران ـ ١٠٢] (**رواهما**) أي الحديثين (**أحمد والبيهقي في شعب الإيمان**). وفي الجامع الصغير روى الحديث الثاني أحمد عن سهل بن سعد، ورواه الدارقطني في الأفراد، والضياء عن جابر ولفظه: «المؤمن يألف ويؤلف ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف وخير الناس أنفعهم للناس».

٤٩٩٦ ـ (**وعن أنس رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من قضى لأحد من أمتي»**) أي أمة الإجابة (**«حاجة»**) أي دينية أو دنيوية (**«يريد أن يسره»**) أي أحد أمتي (**«بها»**) أي بقضاء حاجته (**«فقد سرني»**) أي فإني أسر بسرور جميع أمتي (**«ومن سرني فقد سر الله»**) أي أرضاه (**«ومن سر الله أدخله الجنة»**) أي وأحسن مثواه، وفي الجامع الصغير «من قضى لأخيه المسلم حاجة كان له من الأجر كمن حج أو اعتمر». رواه الخطيب عن أنس. «ومن قضى لأخيه المسلم حاجة كان له من الأجر كمن خدم الله عمره». رواه أبو نعيم في الحلية عن أنس أيضاً[1].

٤٩٩٧ ـ (**وعنه**) أي عن أنس رضي الله تعالى عنه (**قال: قال رسول الله ﷺ: «من أغاث ملهوفاً»**) أي ضعيفاً متحيراً، وفي النهاية مكروباً (**«كتب الله له ثلاثاً وسبعين مغفرة»**) حكمة

الحديث رقم ٤٩٩٥: أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ٦/ ٢٧٠ الحديث رقم ٨١١٩، وأحمد في المسند ٢/ ٤٠٠.

الحديث رقم ٤٩٩٦: أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ٦/ ١١١ الحديث رقم ٧٦٣٥.

(١) الجامع الصغير ٢/ ٥٣٩ الحديث رقم ٨٩٦٠.

الحديث رقم ٤٩٩٧: أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ٦/ ١٢٠ الحديث رقم ٧٦٧٠.

واحدةٌ فيها صلاحُ أمره كلِّه، وثنتان وسبعون له درجاتٌ يوم القيامة».

٤٩٩٨ ـ (٥٢)، ٤٩٩٩ ـ (٥٣) وعنه، وعن عبد الله، قالا: قال رسول الله ﷺ: «الخلق عيالُ الله، فأحب الخلق إلى الله من أحسنَ إلى عياله». روى البيهقي الأحاديث الثلاثة في «شعب الإيمان».

العدد مفوض إلى صاحب الوحي، ولعل فيه إشارة إلى أن مثوبته مزيدة بوصف الجمعية على العدد المشهور في الكثرة، ويمكن أن يكون بالنظر إلى صاحب الحساب عدد الثلاث مأخوذ من الثلاثة الحروف في آخر الملهوف، وعدد السبعين من مجموع الميم واللام، وهذا من أنواع التعمية والإبهام والله أعلم بالمرام. («**واحدة فيها صلاح أمره كله**») أي في الدنيا («**وثنتان وسبعون له درجات يوم القيامة**»)، فيه إشارة خفية إلى بشارة جلية وهي أن المغفرة الواحدة تعم جميع ذنوبه في الدنيا، ويعوّض عن سائر أعداد المغفرة بالدرجات العلى في العقبى، ولعل هذا الحديث مأخذ ما قاله بعض العلماء كالنووي وغيره «أن المكفرات إذا اجتمعت، فتتوجه أوّلاً إلى محو الصغائر، ثم إلى تخفيف الكبائر من السيئات، ثم تكون سبباً لرفع الدرجات العاليات». وقال الطيبي: فيه «إن غفران الذنوب مقدمة على فتح باب رحمة الله تعالى في الدنيا والعقبى»، ومن ثم قدمها في قوله تعالى: ﴿**ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر**﴾ [الفتح ـ ٢] على قوله: ﴿**ويتم نعمته عليك ويهديك**﴾ [الفتح ـ ٢] لأن التحلية بعد التخلية اهـ، فتأمل يظهر لك ما لا يخفى.

٤٩٩٨ ـ ٤٩٩٩ ـ (**وعنه**) أي عن أنس رضي الله تعالى عنه (**وعن**) بالعاطف مع إعادة العامل ليصح العطف على الضمير المجرور على القول المشهور (**عبد الله**) أي ابن مسعود (**قالا:**) أي كلاهما (**قال رسول الله ﷺ**: «**الخلق عيال الله**») عيال المرء بكسر العين من يعوله ويقوم برزقه وإنفاقه، وهو بالنسبة إلى غيره مجاز صورة وإلا فهو الرزاق كما أنه هو الخلاق، وقد قال تعالى: ﴿**وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها**﴾ [هود ـ ٦] («**فأحب الخلق إلى الله من أحسن إلى عياله**») أي من هيىء ووفق إلى الإحسان إلى خلقه تعالى كما ورد «خير الناس أنفعهم للناس»، وفي الجامع الصغير «الخلق كلهم عيال الله فأحبهم إلى الله أنفعهم لعياله»، وقال: رواه أبو يعلى في مسنده، والبزار عن أنس، والطبراني عن ابن مسعود. (**روى البيهقي الأحاديث الثلاثة في شعب الإيمان**)، ولعله عدل عن الضمير بأن يقول: رواها إلى الاسم الظاهر تنصيصاً على العدد لئلا يلتبس بالتثنية لفظاً أو معنى، ثم الحديث الثاني منها أسنده في الجامع الصغير إلى البخاري في تاريخه عنه أيضاً.

الحديث رقم ٤٩٩٨: أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ٦/ ١٢٠ الحديث رقم ٧٦٧٠.

الحديث رقم ٤٩٩٩: أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ٦/ ٤٢ الحديث رقم ٧٤٤٧ و٧٤٤٨.

٥٠٠٠ ـ (٥٤) وعن عقبة بن عامر، قال: قال رسول الله ﷺ: «أولُ خصمين يوم القيامة جاران». رواه أحمد.

٥٠٠١ ـ (٥٥) وعن أبي هريرة، أن رجلاً شكا إلى النبي ﷺ قسوة قلبه فقال: «امسح رأس اليتيم، وأطعم المسكين». رواه أحمد.

٥٠٠٠ ـ (**وعن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أول خصمين»**) أي متخاصمين بعد خصام أهل الدار (**«يوم القيامة جاران»**) أي فيما حصل من الأذى أو وقع تقصير من حقوق واجب الأداء، وقال السيوطي ورد أوّل «ما يحاسب به العبد صلاته»، وورد «أوّل ما يقضى بين الناس الدم»، ولا تنافي لأن ذلك بالنسبة إلى المظالم كذا في الزجاجة حاشية على ابن ماجه، وحاصله أن «أوّل ما يحاسب العبد فيما بينه وبين ربه هو الصلاة لفضلها على سائر العبادات، وأوّل ما يقضي من حقوق العباد قتل النفس، فإنه أكبر الخطيئات»، وأما هذا الحديث فمقيد باختصام خصمين وقع الذنب من كل منهما نوع تقصير، وإن فرض أن التقصير من أحدهما، وإطلاق الخصمين على التغليب أو المشاكلة كقوله تعالى: **﴿وجزاء سيئة سيئة مثلها﴾** [الشورى ـ ٤٠] فالأول إضافية، ولعل المراد منه الصغائر دون الكبائر والله أعلم. (**رواه أحمد**)، وكذا الطبراني عنه.

٥٠٠١ ـ (**وعنه**) أي عن أبي هريرة رضي الله عنه (**«أن رجلاً شكا»**) ينبغي أن يكتب بالألف كدعا وعفا، ويجوز كتابتها بالياء أيضاً لأن شكيت لغة في شكوت (**«إلى النبي ﷺ قسوة قلبه»**) أي قساوته وشدته وقلة رقته وعدم إلفته ورحمته (**«فقال: امسح رأس اليتيم»**) لتتذكر الموت فيغتنم الحياة، فإن القسوة منشؤها الغفلة (**«وأطعم المسكين»**) لترى آثار نعمة الله عليك حيث أغناك وأحوج إليك سواك، فيرق قلبك ويزول قسوته؛ ولعل وجه تخصيصهما بالذكر أن الرحمة على الصغير والكبير موجبة لرحمة الله تعالى على عبده المتخلق ببعض صفاته، فينزل عليه الرحمة ويرتفع عنه القسوة، وحاصله أنه لا بد من ارتكاب أسباب تحصيل الأخلاق بالمعالجة العلمية أو بالعملية أو بالمعجون المركب منهما على ما بينه في الأحياء. وقال الطيبي: خصهما بالذكر تلميحاً إلى قوله تعالى: **﴿أو إطعام في يوم ذي مسغبة يتيماً ذا مقربة أو مسكيناً ذا متربة﴾** [البلد، ١٤ ـ ١٦] ومراعاتهما من اقتحام العقبة الشاقة لما في ذلك من معاناة المشقة ومجاهدة النفس، فمن اقتحم تلك العقبة يرق قلبه وتسمح نفسه في تعاطي كل خير، وفيه أن من ابتلي بداء من الأخلاق الذميمة يكون تداركه بما يضاده من الدواء، فالتكبر يداوى بالتواضع، والبخل بالسماحة وقاسي القلب بالتعطف والرقة. (**رواه أحمد**).

الحديث رقم ٥٠٠٠: أحمد في المسند ٤/١٥١.

الحديث رقم ٥٠٠١: أخرجه أحمد في المسند ٢/٢٦٣.

٥٠٠٢ ـ (٥٦) وعن سراقة بن مالك، أن النبي ﷺ قال: «ألا أدلكم على أفضل الصدقة؟ ابنتك مردودة إليك ليس لها كاسبٌ غيرك» [٣٧٤ ـ ب ـ] رواه ماجه.

(١٦) باب الحب في الله ومن الله

الفصل الأول

٥٠٠٣ ـ (١) عن عائشة، قالت: قال رسول الله ﷺ: «الأرواح جنودٌ

٥٠٠٢ ـ **(وعن سراقة)** بضم السين **(ابن مالك)** أي ابن جعشم المدلجي صحابي مشهور **(أن النبي ﷺ قال: ألا أدلكم على أفضل الصدقة ابنتك»)** بالرفع أي هو صدقتها **(«مردودة»)** بالنصب على الحالية أي مطلقة **(«راجعة إليك ليس لها كاسب»)** أي منفق عليها **(«غيرك»)** بالرفع على الوصفية، وفي نسخة بالنصب على الاستثناء لكنه ضعيف، لأن الصحيح في ذي الحال أن يكون معرفة. هذا وفي النهاية المردودة هي التي تطلق وترد إلى بيت أبيها، وأراد ألا أدلك على أفضل أهل الصدقة، فحذف المضاف. قال الطيبي: ويمكن أن تقدر صدقة تستحقها ابنتك في حال ردها إليك وليس لها كاسب غيرك، وهما حالان إما مترادفان أو متداخلتان والله أعلم. **(رواه ابن ماجه)**.

باب الحب في الله ومن الله

الحب في الله أي في ذات الله وجهته لا يشوبه الرياء والهوى، ومن الله أي من جهة الله أي إذا أحب عبداً أحبه لأجل الله وسببه، ومن ههنا كما في قوله تعالى: **﴿تفيض من الدمع﴾** [المائدة ـ ٨٣] وفي كما قوله تعالى: **﴿والذين جاهدوا فينا﴾** [العنكبوت ـ ٦٩] وهو أبلغ من حيث جعل المحبة مظروفاً كذا حققه الطيبي، وفيه أن مآلهما إلى معنى واحد، والظاهر أن مراده من عنوان الباب فضيلة الحب لله وما يترتب عليه من الحب من جانب الله كما سيصرح الأحاديث الآتية بهذا المعنى، فالصواب أن يقال: إن في تعليلية، ومن ابتدائية والمعنى حب العبد لعبد لأجل رضا الرب، والحب الكائن من الله للعبد، والثاني نتيجة الأول كما في الشريعة أو مقدمة له كما في الطريقة، أو هو محفوف بهما كما في الحقيقة على ما حقق في قوله تعالى: **﴿يحبهم ويحبونه﴾** [المائدة ـ ٥٤] وقوله تعالى: **﴿إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله﴾** [آل عمران ـ ٣١] والله أعلم.

(الفصل الأوّل)

٥٠٠٣ ـ **(عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: «الأرواح»)** أي أرواح الإنسان **(«جنود»)**

الحديث رقم ٥٠٠٢: أخرجه ابن ماجه في السنن ٢/ ١٢٠٩ الحديث رقم ٣٦٦٧، وأحمد في المسند ٤/ ١٧٥.

الحديث رقم ٥٠٠٣: أخرجه البخاري في صحيحه ٦/ ٣٦٩ الحديث رقم ٣٣٣٦، ومسلم في ٤/ ٢٠٣١.

مجندة، ما تعارف منها ائتلفَ، وما تناكر منها اختلفَ».

جمع جند أي جموع («مجندة») بفتح النون المشددة أي مجتمعة متقابلة أو مختلطة منها حزب الله ﴿ألا أن حزب الله هم المفلحون﴾ [المجادلة ـ ٢٢] ومنها حزب الشيطان ﴿ألا أن حزب الشيطان هم الخاسرون﴾ [المجادلة ـ ١٩] وفي قوله تعالى: ﴿ولله جنود السموات والأرض﴾ [الفتح ـ ٤] إشارة إلى أن الجندين أحدهما علوي الهمة والآخر سفلي النهمة («فما تعارف منها») التعارف جريان المعرفة بين اثنين والتناكر ضده أي فما تعرف بعضها من بعض قبل حلولها في الأبدان («ائتلف») بهمزة وصل ثم همزة ساكنة تبدل ألفاً في الوصل جوازاً وتبدل ياء حال الابتداء وجوباً أي حصل بينهما الإلفة والرأفة حال اجتماعهما بالأجساد في الدنيا («وما تناكر منها») أي في عالم الأرواح («اختلف») أي في عالم الأشباح، والأفراد والتذكير في الفعلين باعتبار لفظ ما، والمراد منه بطريق الإجمال والله أعلم بحقية الحال. إن الأرواح البشرية التي هي النفوس الناطقة مجبولة على مراتب مختلفة وشواكل متباينة، وكل ما شاكل منها في عالم الأمر في شاكلته تعارفت في عالم الخلق وائتلفت واجتمعت، وكل ما كان على غير ذلك في عالم الأمر تناكرت في عالم الخلق، فاختلفت وافترقت. فالمراد بالتعارف ما بينهما من التناسب والتشابه، وبالتناكر ما بينهما من التنافر والتباين، فتارة على وجه الكمال وتارة على وجه النقصان، إذ قد يوجد كل من التعارف والتناكر بأدنى مشاكلة بينهما إما ظاهراً وإما باطناً، وتحقيقه بطول وتخاف من أعراض الملول واعتراض الفضول. هذا وقيل: هذا الاجتماع كان يوم الميثاق فمن تقابل منهم اثنان يومئذ يأتلفان في الدنيا غاية المؤالفة ومن تدابر منهم شخصان يختلفان في نهاية المخالفة، ومن وقع في الاجتناب له مشاركة من مشاكلة كل باب كالمنافقين وأشباههم مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء ثم لا يمنع من هذا التعارف والتناكر وصلة الأجانب وشجنة الأقارب.

كانت مودة سلمان له نسباً ولم يكن بين نوح وابنه رحم

ولا يدفعه بعد الدار ولا يجمعه قرب المزار.

مناسبة الأرواح بيني وبينها وإلا فأين الترك من ساكني نجد

قال حكيم: أقرب القرب مودة القلب، وإن تباعد جسم أحدهما من الثاني، وأبعد البعد تنافر التداني، وفي النهاية قوله: «جنود مجندة» أي مجموعة، كما يقال ألوف مؤلفة وقناطير مقنطرة، ومعناه الاخبار عن مبدأ كون الأرواح وتقدمها الأجساد أي أنها خلقت أول خلقتها على قسمين من ائتلاف واختلاف كالجنود المجندة المجموعة إذا تقابلت وتواجهت، ومعنى تقابل الأرواح ما جعلها الله عليها من السعادة والشقاوة والأخلاق في مبدأ الخلق. يقول: «إن الأجساد التي فيها الأرواح تلتقي في الدنيا فتأتلف وتختلف على حسب ما خلقت عليه، ولهذا

= الحديث رقم (١٥٩ ـ ٢٦٣٨)، وأبو داود في السنن ٥/ ١٩٩ الحديث رقم ٤٨٣٤، وأحمد في المسند ٢/ ٢٩٥.

رواه البخاري.

٥٠٠٤ ـ (٢) ورواه مسلم عن أبي هريرة.

٥٠٠٥ ـ (٣) وعن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله إذا أحبَّ أحداً دعا جبريلَ فقال: إني أحب فلاناً فأحبَّهُ، قال: فيحبُّه جبريلُ، ثم ينادي في السماء

ترى الخير يحب الأخيار ويميل إليهم والشرير يحب الأشرار ويميل إليهم، اهـ، وفيه الإشارة إلى المناسبة بين الحديث وعنوان الباب لا سيما وهو صدر الخطاب، وفي شرح السنة فيه دليل على «أن الأرواح ليست بأعراض، وعلى أنها كانت موجودة قبل الأجساد في الخلقة». (رواه البخاري) أي عن عائشة.

٥٠٠٤ ـ (ورواه مسلم عن أبي هريرة). وفي الجامع الصغير: رواه البخاري عن عائشة، ورواه أحمد ومسلم وأبو داود عن أبي هريرة، والطبراني عن ابن مسعود، ورجاله رجال الصحيح وزاد فيه تلتقي فتشأم كما تشأم الخيل. قال البيهقي: سألت الحاكم عن معناه فقال: «المؤمن والكافر لا يسكن قلبه إلا إلى شكله»، ورواه مسلم عن أبي هريرة أيضاً بلفظ «الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها في الله ائتلف، وما تناكر منها في الله اختلف»[1].

٥٠٠٥ ـ (وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله إذا أحب عبداً») أي إذا أراد إظهار محبته لعبد من عباده وهي إما من صفات الذات، فمعناها إرادة الخير أو من صفات الأفعال، فهي بمعنى إكرامه له وإحسانه به وإنعامه عليه («دعا جبريل») يدل على جلالته من حيث خصه من بين أفراد الملائكة فيكون أفضل من إسرافيل وميكائيل وسائر حملة العرش والملائكة المقربين، ويحتمل أن يكون وجه تخصيصه لكونه سفيراً بين الله ورسله المبعوثين إلى المخلوقين («فقال:») أي الله («إني أحب فلاناً»)، وفي عدم ذكر سبب لمحبته من أوصاف عبده إشارة إلى أن أفعاله تعالى مبرأة عن الأغراض والعلل، بل يترتب على محبته تعالى محبة العبد إياه بسلوك سبيله واتباع رسله، ودوام اشتغاله بذكره، ودعائه وثنائه، والشوق إلى رضائه ولقائه، («فأحبه») أي أنت أيضاً زيادة لإكرام العبد وإلا فكفى بالله محباً ومحبوباً وطالباً ومطلوباً وحامداً ومحموداً («قال:») أي رسول الله ﷺ («فيحبه جبريل») أي ضرورة عدم عصيانه أمر ربه فيحبه لحبه، وهذا من المحبة في الله أي لا يحبه لغرض سوى مرضاة مولاه، ومحبة جبريل دعاؤه واستغفاره له والميل إلى الاجتماع به ونحو ذلك («ثم ينادي») أي جبريل بأمر الملك الجليل («في السماء») أي في أهل السماء كما في قرينته الآتية، والمعنى بحيث يصل بسماع

الحديث رقم ٥٠٠٤: أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ٢٠٣١ الحديث رقم (١٥٩ ـ ٢٦٣٨).

(١) الجامع الصغير ١/ ١٨٣ الحديث رقم ٣٠٥٠.

الحديث رقم ٥٠٠٥: أخرجه البخاري في صحيحه ٦/ ٣٠٣ الحديث رقم ٣٢٠٩، ومسلم في ٤/ ٢٠٣٠ الحديث رقم (١٥٧ ـ ٢٦٣٧)، ومالك في الموطأ ٢/ ٩٥٣ الحديث رقم ١٥ من باب ما جاء في المتحابين، وأحمد في المسند ٢/ ٢٦٧.

فيقولُ: إنَّ اللّهَ يُحبُّ فلاناً فأحبُّوه، فيحبُّه أهلُ السَّماءِ، ثمَّ يوضعُ له القَبُولُ في الأرضِ. وإذا أبغضَ عبداً دعا جبريلَ فيقولُ: إني أبغضُ فلاناً فأبغضه. قال: فيبغضُه جبريلُ، ثم يُنادي في أهلِ السماءِ: إنَّ اللّهَ يبغضُ فلاناً فأبغضوه. قال: فيبغضونه. يوضعُ له البغضاءُ في الأرضِ». رواه مسلم.

كلامه إلى أهلها كلهم («**فيقول: إن الله يحب فلاناً فأحبوه فيحبه أهل السماء**») أي جميعهم («**ثم يوضع له القبول**»)، وهو من آثار المحبة، ثم هذا الوضع ابتداء من جبريل أو غيره («**في الأرض**») أي في قلوب أهلها من أهل المحبة، فلا يرد أن كثيراً من الأولياء ليس لهم قبول عند أهل الدنيا لأن العبرة بخواص الأنام لا بالعوام كالأنعام، («**وإذا أبغض عبداً دعا جبريل فيقول: إني أبغض فلاناً فابغضه قال: فيبغضه جبريل**»). قال النووي: محبة الله العبد هي إرادة الخير له وهدايته وإنعامه عليه ورحمته، وبغضه إرادة عقوبته وشقاوته ونحو ذلك، وحب جبريل والملائكة يحتمل وجهين أحدهما استغفارهم له وثناؤهم عليه ودعاؤهم له، وثانيهما أن محبتهم على ظاهرها المعروفة من المخلوقين، وهو ميل القلب إليه واشتياقه إلى لقائه **قلت**: هذا هو الأظهر لأنه متى صح حمل اللفظ على معناه الحقيقي فلا وجه للعدول عنه إلى المجاز مع أن المعنى الأول متفرع على الثاني قال: وسبب حبهم إياه كونه مطيعاً لله محبوباً له قلت: كونه مطيعاً إما سابقاً أو لاحقاً كما حقق في مرتبتي السالك والمجذوب، والمريد والمراد. قال: ومعنى يوضع له القبول في الأرض الحب في قلوب الناس ورضاهم عنه فتميل إليه القلوب وترضى عنه. وقد جاء في رواية «فتوضع له المحبة». قال الطيبي: والكلام في المحبة وبيان اشتقاقها مضى مستوفى في أسماء الله الحسنى قلت: وبقي كثير محله كتاب الأحياء («**ثم ينادي**») أي جبريل («**في أهل السماء إن الله**») بالكسر على إضمار القول عند البصريين وعند الكوفيين على أن في النداء معنى القول. ذكره ابن الملك، ويحتمل أن يكون بالفتح كما في بعض النسخ على إضمار الباء كما ذكره المفسرون في قوله تعالى: ﴿**فنادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب أن الله**﴾ [آل عمران ـ ٣٩] فإن جمهور القراء فيه على الفتح وقد يفرق بينهما بأن إن إذا كان مكسورة تكون من جملة المنادي بخلاف ما إذا كانت مفتوحة، وحاصله أنه سبحانه («**يبغض فلاناً فابغضوه**») وفيه إشعار بأن الملأ الأعلى ليس لهم شعور بمحبوبه تعالى ومبغوضه إلا بإعلامه إياه، ثم مثل هذا المحبوب والمبغوض لا يتقلب حكمه لئلا يلزم خلف في أخباره تعالى («**قال: فيبغضونه ثم يوضع له البغضاء في الأرض**». **رواه مسلم**). وفي الدر المنثور عند قوله تعالى: ﴿**إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن وداً**﴾ [مريم ـ ٩٦] أخرج الحكيم الترمذي وابن مردويه عن علي قال: سألت رسول الله ﷺ عن قوله: سيجعل لهم الرحمن وداً ما هو؟ قال: المحبة في صدور المؤمنين والملائكة المقربين، يا علي إن الله أعطى المقت والمحبة والحلاوة والمهابة في صدور الصالحين». وأخرج ابن أبي شيبة وعبد بن حميد وهناد وابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عباس سيجعل لهم الرحمن وداً قال: يحبهم ويحببهم، وأخرج عبد بن حميد والبخاري ومسلم والترمذي وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي في الأسماء والصفات عن أبي هريرة إن رسول الله ﷺ قال: «إذا

٥٠٠٦ ـ (٤) وعنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إنَّ اللّهَ يقولُ يومَ القيامةِ: أينَ المتحابُّونَ بجلالي؟ اليومَ أُظلُّهم في ظِلِّي يومَ لا ظِلَّ إلاَّ ظِلِّي». رواه مسلم.

٥٠٠٧ ـ (٥) وعنه، عن النبيِّ ﷺ: «أنَّ رجلاً زارَ أخاً

أحب الله عبداً نادى جبريل عليه السلام إني قد أحببت فلاناً فأحبه، فينادي في السماء ثم تنزل له المحبة في أهل الأرض، فذلك قول الله تعالى: ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن وداً﴾ [مريم ـ ٩٦] وإذا أبغض الله عبداً نادى جبريل أني قد أبغضت فلاناً فينادي في أهل السماء، ثم ينزل له البغضاء[١] في الأرض» اهـ. فحديث المشكاة متفق عليه في المعنى.

٥٠٠٦ ـ (وعنه) أي عن أبي هريرة (قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله تعالى يقول يوم القيامة:) أي على رؤوس الأشهاد تعظيماً لبعض العباد من العباد («أين المتحابون بجلالي») أي بسبب عظمتي ولأجل تعظيمي، أو الذين يكون التحابب بينهم لأجل رضا جنابي وجزاء ثوابي، قال الطيبي: الباء فيه بمعنى في وفيه ما فيه، قال: وخص الجلال بالذكر لدلالته على الهيبة والسطوة أي المتنزهون عن شائبة الهوى والنفس والشيطان في المحبة فلا يتحابون إلا لأجلي ولوجهي قلت: ويمكن أن يكون من باب الاكتفاء والتقدير بجلالي وجمالي أي المتحابون لي أي في حالتي القبض والبسط والخوف والرجاء والمحنة والمنحة، فيفيد دوام تحاببهم («اليوم»). قال شارح: ظرف متعلق بأين. قلت: الأظهر أنه ظرف لقوله: («أظلهم في ظلي») أي أدخلهم في ظل حمايتي أو أريحهم من حرارة الموقف راحة من استظل، أو أظلهم في ظل عرشي وهو الأظهر فتدبر. ويؤيده ما رواه الطبراني في الكبير عن أيوب «المتحابون في الله على كراسي من ياقوت تحت العرش» وقوله: («يوم لا ظل إلا ظلي») بدل من اليوم المتقدم كما قاله الطيبي أو منصوب بتقدير أعني وهو الأظهر. وفي شرح مسلم للنووي قال القاضي: الظاهر أنه في ظل الله عن الحر ووهج الموقف، وقال عيسى بن دينار: هو كناية عن كونه في كنفه وستره، ومنه قولهم: السلطان ظل الله في الأرض، ويحتمل أن يكون عبارة عن الراحة والتنعم. يقال: هو في عيش ظليل أي طيب. ذكره الطيبي، وأوسط الأقوال إذ لا يصح إسناد الظل حقيقة إلى الله تعالى فيتعين تأويله بارتكاب المجاز أو بحذف المضاف وما أبعد الاحتمال الأخير إذ يصير التقدير أنعمهم في نعمتي، ولكن التقليد متغلب على الأمي وحب الشيء يصم ويعمي. (رواه مسلم)، وكذا أحمد.

٥٠٠٧ ـ (وعنه) أي عن أبي هريرة (عن النبي ﷺ: «إن رجلاً زار أخاً له») أي أراد زيارة

---

(١) في المخطوطة «البغض».

الحديث رقم ٥٠٠٦: أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ١٩٨٨ الحديث رقم (٣٧ ـ ٢٥٦٦)، والترمذي في السنن ٤/ ٥١٦ الحديث رقم ٢٣٩٠، والدارمي في ٢/ ٤٠٣ الحديث رقم ٢٧٥٧، ومالك في الموطأ ٢/ ٩٥٢ الحديث رقم ١٣ من باب جاء في المتحابين في الله، وأحمد في المسند ٢/ ٢٣٨.

الحديث رقم ٥٠٠٧: أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ١٩٨٨ الحديث رقم (٣٨ ـ ٢٥٦٧).

له في قريةٍ أخرى، فأرصدَ اللهُ له على مَدرجتِه ملَكاً قال: أين تُريدُ؟ قال: أريدُ أخاً لي في هذِه القريةِ. هلْ لكَ عليه من نعمةٍ تَرُبُّها؟ قال: لا، غيرَ أني أحببْتُه في اللهِ.

أخيه المسلم أو متؤاخيه في الله وهو أعم من أن يكون أخاه حقيقة أو مجازاً («في قرية أخرى») أي غير مكان الزائر («فأرصد الله له على مدرجته») أي أعد وهيأ أو أقعد في طريقه («ملكاً»)، وفي النهاية أي وكله بحفظ مدرجته. يقال: رصدته إذا قعدت له على طريقه تترقبه اهـ فقوله تعالى: ﴿إن ربك لبالمرصاد﴾ [الفجر ـ ١٤] فيه تجريد، والمعنى أنه مراقب للعباد. قال: المدرجة بفتح الميم والراء هي الطريق سمي بذلك لأن الناس يدرجون عليها أي يمضون ويمشون اهـ، والأظهر أن المدرجة من الطريق مكان مرتفع يمشي فيه درجة درجة في الطلوع والنزول، ومنه مدرجة منى التي هي وصلة إلى منى يعرفها من ذهب في طريق المعرفة إلى عرفات، الهنا من هنا («قال:») استئناف جواب لمن قال وما بعد ذلك قال: أي الملك للزائر («أين تريد»). الظاهر أن هذا من باب تجاهل العارف مع ما فيه من التورية حيث إن مقصوده الأصلي من تريد، ولما كان من القواعد المقررة أن من أحب شيئاً أكثر ذكره، والإناء يترشح بما فيه («قال:») أي الزائر (أريد أخاً) أي زيارة أخ («لي») أي مختصاً لي («في هذه القرية»)، ولعل تعيينها علم بالإشارة، وأطنب في الكلام ليتضمن المرام على نوع من أسلوب الحكيم فكأنه قال له: لا تسأل عن المحل واكتف بالسؤال عن الحال، فإن هذا طريق أرباب الحال بلا محال. قال الطيبي: فإن قلت: كيف طابق هذا سؤاله بقوله: أين تريد قلت: من حيث إن السؤال متضمن لقوله: أين تتوجه، ومن تقصد ولما كان قصده الأولى الزيارة ذكره وترك ما لا يهمه، قلت: هذا إنما يتم لو لم يقل: في هذه القرية، ونظيره قوله: ﴿وما أعجلك عن قومك يا موسى قال هم أولاء على أثري وعجلت إليك رب لترضى﴾ [طه ـ ٨٤] لما كان الغرض من السؤال في استعجاله إنكار تركه القوم وراءه وتقدمه عليهم قدمه في الجواب وأخر ما وقع السؤال عنه. قلت: في كونه نظيراً له نظر، بل مثال له بحسب المعنى، وتوضيحه ما ذكره البيضاوي من أن قوله تعالى: ﴿وما أعجلك عن قومك يا موسى﴾ سؤال عن سبب العجلة يتضمن إنكارها من حيث إنها نقيصة في نفسها انضم إليها إغفال القوم وإيهام التعظيم عليهم، فلذلك أجاب موسى عن الأمرين وقدم جواب الإنكار لأنه أهم. قال: هم أولاء على أثري أي ما تقدم عنهم إلا بخطا يسيرة لا يعتد بها إعادة وليس بيني وبينهم إلا مسافة قريبة يتقدم بها الرفقة بعضهم بعضاً، وعجلت إليك رب لترضى، فإن المسارعة إلى امتثال أمرك والوفاء بوعدك يوجب مرضاتك اهـ. («قال:») أي الملك للزائر («هل لك عليه») أي على المزور («من نعمة تربها») بضم الراء والموحدة المشددة أي تقوم بإصلاحها وإتمامها أي هل هو مملوكك أو ولدك أو غيرهما ممن هو في نفقتك وشفقتك لتحسن إليه، من رب فلان الضيعة أي أصلحها وأتمها، وفي بعض النسخ «هل له عليك من نعمة تربها؟» أي تقوم بشكرها، ثم قيل: نعمة مبتدأ ومن زائدة ولك خبره وعليه متعلق بحال محذوف أي هل لك نعمة داعية على زيارته تربها أي تحفظها أو تستزيدها بالقيام على شكرها، وقال الطيبي: أي هل أوجبت عليه شيئاً من النعم الدنيوية تذهب إليها فتربها أي تملكها منه وتستوفيها («قال: لا، غير أني أحببته في الله») أي

قال: فإني رسولُ الله إليكَ بأنَّ اللَّهَ قد أحبَّكَ كما أحببتَه فيه». رواه مسلم.

٥٠٠٨ ـ (٦) وعن ابنِ مسعودٍ، قال: جاء رجلٌ إلى النبيِّ ﷺ فقال: يا رسولَ الله! كيفَ تقولُ في رجلٍ أحبَّ قوماً ولم يلحقْ بهم؟ فقال: «المرءُ معَ مَنْ أحبَّ». متفق عليه.

٥٠٠٩ ـ (٧) وعن أنسٍ، أنَّ رجلاً قال: يا رسولَ الله! متى الساعةُ؟

ليس لي داعية إلى زيارته إلا محبتي إياه في طلب مرضاة الله (**«قال:»**) أي الملك (**«فإني رسول الله ﷺ إليك بأن الله قد أحبك كما أحببته فيه»**)، ولعل وجه التشبيه أنه كما أحبه من غير سبب دنيوي كذلك الحق أحبه من غير باعث آخر من عمل أخروي، ويمكن أن تكون الكاف للتعليل كقوله تعالى: ﴿**واذكروا كما هداكم**﴾ [البقرة ـ ١٩٨] قال النووي: فيه فضل المحبة في الله وأنها سبب لحب الله وفضيلة زيارة الصالحين، وأن الإنسان قد يرى الملائكة. قلت: رؤية غير الأنبياء والرسل من المؤمنين للملائكة على صور البشر أمر واضح ثبت في صدر الكتاب في حديث جبريل وغيره، وإنما يقال هنا: فيه دليل على إرسال الله الملائكة إلى الأولياء ومخاطبته إياهم بتبليغ المرام زيادة على مرتبة الإلهام؛ والظاهر أن هذا من خصائص الأمم السابقة تحقيقاً لختم النبوة والله سبحانه أعلم. (**رواه مسلم**).

٥٠٠٨ ـ (**وعن ابن مسعود قال: «جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله كيف تقول في رجل أحب قوماً»**) أي من العلماء أو الصلحاء (**«ولم يلحق بهم»**) أي بالصحبة أو العلم أو العمل أو بمجموعهما أي لم يصاحبهم ولم يعامل معاملتهم وقيل: أي لم يرهم (**«فقال المرء: مع من أحب»**) أي يحشر مع محبوبه ويكون رفيقاً لمطلوبه قال تعالى: ﴿**ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم**﴾ [النساء ـ ٦٩] الآية. وظاهر الحديث العموم الشامل للصالح والطالح، ويؤيده حديث «المرء على دين خليله» كما سيأتي، ففيه ترغيب وترهيب ووعد ووعيد. (**متفق عليه**). وفي الجامع الصغير «المرء مع من أحب»[1] رواه أحمد والشيخان وأبو داود والترمذي والنسائي عن أنس، والشيخان أيضاً عن ابن مسعود، وفي رواية للترمذي عن أنس «المرء مع من أحب وله ما اكتسب»[2].

٥٠٠٩ ـ (**وعن أنس أن رجلاً قال: يا رسول الله متى الساعة:**) أي وقت قيام القيامة ولما

الحديث رقم ٥٠٠٨: أخرجه البخاري في صحيحه ١٠/ ٥٥٧ الحديث رقم ٦١٦٩ ومسلم في ٤/ ٢٠٣٤ الحديث رقم (١٦٥ ـ ٢٦٤٠)، وأبو داود في السنن ٥/ ٣٤٤ الحديث رقم ٥١٢٦، والترمذي في السنن ٤/ ٥١٤ الحديث رقم ٢٣٨٧، والدارمي في ٢/ ٤١٤ الحديث رقم ٢٧٨٧، وأحمد في المسند ١/ ٣٩٢.

(١) الجامع الصغير ٢/ ٥٥٠ الحديث رقم ٩١٩٠. (٢) الجامع الصغير ٢/ ٥٥٠ الحديث رقم ٩١٩١.

الحديث رقم ٥٠٠٩: أخرجه البخاري في صحيحه ١٠/ ٥٥٣ الحديث رقم ٦١٦٧، ومسلم في ٤/ ٢٠٣٢، الحديث رقم (١٦١ ـ ٢٦٣٩)، والدارمي في السنن ٢/ ٤١٤ الحديث رقم ٢٧٨٧، وأحمد في المسند ٣/ ١٦٨.

قال: «ويلكَ! وما أعددْتَ لها؟». قال: ما أعددتُ لها إلاّ أني أحبُّ اللّهَ ورسولَه. قال: «أنتَ معَ مَنْ أحبَبْتَ». قال أنسٌ: فما رأيتُ المسلمين فرحوا بشيءٍ بعدَ الإسلامِ فرحَهم بها.

كان السؤال محتملاً لأن يكون تعنتاً وإنكاراً لها وأن يكون تصديقاً بها وإشفاقاً منها واشتياقها للقاء بها («قال:») امتحاناً له («ويلك وما أعددت لها») وإلا لو تحقق عنده ﷺ إيمانه بها وإيقانه لها لقال له: ويحك بدل ويلك («قال: ما أعددت لها إلا أني أحب الله ورسوله») ولم يذكر غيره من العبادات القلبية والبدنية والمالية لأنها كلها فروع للمحبة مترتبة عليها ولأن المحبة هي أعلى منازل السائرين وأعلى مقامات الطائرين، فإنها باعثة لمحبة الله أو نتيجة لها قال تعالى: ﴿يحبهم ويحبونه﴾ [المائدة ـ ٥٤] وقال: ﴿إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله﴾، فكان من المعلوم الواضح عندهم أن المحبة المجردة من غير المتابعة ليس لها كثير فائدة ولا كبير عائدة («قال: أنت مع من أحببت») أي ملحق بمن غلب محبته على محبة غيره من النفس والأهل. والمال ومدخل في زمرته ومن علامة المحبة الصادقة أن يختار أمر المحبوب ونهيه على مراد غيره، ولذا قالت رابعة العدوية:

تعصي الإله وأنت تظهر حبه	هذا لعمري في القياس بديع
لو كان حبك صادقاً لأطعته	إن المحب لمن يحب مطيع

وقال الطيبي: سلك مع السائل طريق الأسلوب الحكيم لأنه سأل عن وقت الساعة فقيل له: فيم أنت من ذكراها، وإنما يهمك أن تهتم بأهبتها وتعتني بما ينفعك عند إرسالها من العقائد الحقة والأعمال الصالحة، فأجاب بقوله: ما أعددت لها إلا أني أحب الله ورسوله اهـ. وبعده من المبني والمعنى لا يخفى (قال أنس: «فما رأيت المسلمين فرحوا بشيء بعد الإسلام») أي بعد فرحهم به أو دخولهم فيه («فرحهم») بفتحات أي كفرحهم («بها») أي بتلك الكلمة، وهي «أنت مع من أحببت». قال الخطابي: ألحقه عليه السلام بحسن النية من غير زيادة عمل بأصحاب الأعمال الصالحة اهـ، ولا يخلو عن إبهام وإيهام، والتحقيق أنهم حسبوا أن لا تحصل المعية بمجرد المحبة مع وجود المتابعة، بل تتوقف على كثرة العبادات وزيادة الرياضات والمجاهدات، ويدل عليه ما أورده عماد الدين ابن كثير في تفسيره بإسناده إلى عائشة قالت: «جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله إنك لأحب إلي من نفسي وأحب إلي من أهلي وأحب إلي من ولدي وإني لأكون في البيت فاذكرك فما أصبر حتى آتيك فانظر إليك وإذا ذكرت موتي وموتك عرفت أنك إذا دخلت الجنة رفعت مع النبيين وإن دخلت الجنة خشيت أن لا أراك» فلم يرد عليه النبي ﷺ حتى نزلت: ﴿ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً﴾ [النساء ـ ٦٩] فتبين بهذا أن المراد بالمعية هنا معية خاصة، وهي أن تحصل فيها الملاقاة بين المحب والمحبوب أنهما يكونان في درجة واحدة لأنه بديهي البطلان. وقد روى مالك عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «إن أهل الجنة ليتراؤون في الجنة كما تراؤون أو ترون الكوكب الدري الغارب في

متفق عليه.

٥٠١٠ - (٨) وعن أبي موسى، قال: قال رسولُ الله [٤٧٥ - أ -] ﷺ: «مثلُ الجليسِ الصالحِ والسَّوءِ، كحاملِ المسكِ ونافخِ الكيرِ؛ فحاملُ المسكِ إمَّا أن يُحذيك وإمَّا أن تبتاعَ منه، وإمَّا أن تجدَ منه ريحاً طيِّبةً؛ ونافخُ الكيرِ إمَّا أن يُحرِقَ ثيابَكَ، وإمَّا أن تجدَ منه ريحاً خبيثةً».

الأفق الطالع في تفاضل الدرجات، قالوا: يا رسول الله أولئك النبيون قال: بلى والذي نفسي بيده أقوام آمنوا بالله وصدقوا المرسلين»، يعني وأنهم عملوا بمقتضى إيمانهم وتصديقهم ما يدل على إيقانهم وتحقيقهم، ثم جاء في حديث بيان كيفية الملاقاة المذكورة وهو ما ذكره ابن كثير في تفسيره عن ابن جرير، حدثنا المثنى، حدثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع في قوله تعالى: ﴿ومن يطع الله ورسوله﴾ [النساء - ١٣] الآية. قال: إن أصحاب رسول الله ﷺ قالوا: قد علمنا أن النبي ﷺ له فضل على من آمن به في درجات الجنات وعلى من اتبعه وصدقه، وكيف لهم إذا اجتمعوا في الجنة أن يرى بعضهم بعضاً فأنزل الله في ذلك يعني هذه الآية فقال: يعني رسول الله ﷺ: «إن الأعلين ينحدرون إلى من هو أسفل منهم، فيجتمعون في رياضها فيذكرون ما أنعم الله عليهم، ويثنون عليه، وينزل لهم أهل الدرجات فيسعون عليهم بما يشتهون وما يدعون به، فهم في روضة يحبرون ويتنعمون»، ثم الظاهر أن هذه المعية والمواجهة والمجاملة تختلف باختلاف حسن المعاملة والله أعلم. (متفق عليه).

٥٠١٠ - (وعن أبي موسى قال: قال رسول الله ﷺ: «مثل الجليس») أي المجالس («الصالح والسوء») بفتح السين ويضم أي والجليس الصالح («كحامل المسك») ناظر إلى الأول («ونافخ الكير») بكسر الكاف زق ينفخ فيه الحداد، وأما المبني من الطين فكور كذا في القاموس («فحامل المسك أما أن يحذيك») من الأحذاء أي يعطيك مجاناً («وإما أن تبتاع منه») أي تشتري («وإما أن تجد منه رائحة طيبة»)، وهذا بيان أقل المنفعة («ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك») من الاحراق أي يكون سبباً للإحراق أو التقدير يحرق بناره ثيابك، ولعله وقع اختصاراً حيث لم يقل: إما أن يحرق أعضاءك أو ثيابك («وأما أن تجد منه ريحاً خبيثة») أي دخانه وهذا أقل المضرة، والمعنى فعليك بمحبة الأول ومصاحبته وإياك، ومودة الثاني ومرافقته، قيل: فيه إرشاد إلى الرغبة في صحبة الصلحاء والعلماء ومجالستهم فإنها تنفع في الدنيا والآخرة، وإلى الاجتناب عن صحبة الأشرار والفساق فإنها تضر ديناً ودنيا، قيل: «مصاحبة الأخيار تورث الخير ومصاحبة الأشرار تورث الشر كالريح إذا هبت على الطيب عبقت طيباً، وإن مرت على النتن حملت نتناً وقيل: إذا جالست الحمقى علق بك من حماقتهم ما لا يعلق بك من العقل إذا

الحديث رقم ٥٠١٠: أخرجه البخاري في صحيحه ٩/ ٦٦٠ الحديث رقم ٥٥٣٤، ومسلم في ٤/ ٢٠٢٦ الحديث رقم (١٤٦ - ٢٦٢٨)، وأبو داود في السنن ٥/ ١٦٦ الحديث رقم ٤٨٢٩، وأحمد في المسند ٤/ ٤٠٨.

متفق عليه.

الفصل الثاني

٥٠١١ ـ (٩) عن معاذِ بن جبلٍ، قال سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «قال اللَّهُ تعالى: وجَبَتْ محبَّتي للمتحابِّينَ فيَّ، والمتجالسينَ فيَّ، والمتزاورينَ فيَّ، والمتباذلينَ فيَّ». رواه مالك. وفي رواية الترمذيّ، قال: «يقولُ اللَّهُ تعالى: المتحابُّونَ في جلالي

جالست العقلاء لأن الفساد أسرع إلى الناس وأشد اقتحاماً في الطبائع». والحاصل أن الصحبة تؤثر، ولذا قال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين﴾ [التوبة ـ ١١٩] وقال بعض العارفين: «كونوا مع الله، فإن لم تقدروا أن تكونوا مع الله فكونوا مع من يكون مع الله». وتفصيل هذه المسألة وتفصيل الخلطة والعزلة في الأحياء بطريق الاستقصاء. (متفق عليه). وفي الجامع الصغير «مثل الجليس الصالح والجليس السوء كمثل صاحب المسك وكير الحداد لا يعدمك من صاحب المسك إما تشتريه أو تجد ريحه، وكير الحداد يحرق بيتك أو ثوبك أو تجد منه ريحاً خبيثة»(١). رواه البخاري عن أبي موسى «مثل الجليس الصالح مثل العطار إن لم يعطك من عطره أصابك من ريحه»(٢). رواه أبو داود والحاكم عن أنس «مثل المؤمن كمثل العطار إن جالسته نفعك وإن ماشيته نفعك وإن شاركته نفعك»(٣). رواه الطبراني عن ابن عمر والله أعلم.

(الفصل الثاني)

٥٠١١ ـ (**عن معاذ بن جبل قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «قال الله تعالى: وجبت**) أي ثبتت أو تقدمت (**«محبتي للمتحابين في»**) بتشديد التحتية أي لأجلي (**«والمتجالسين في»**) أي في حبي أو سبيلي (**«والمتزاورين في»**) بأن يزور بعضهم بعضاً لعيادة ونحوها (**«والمتباذلين»**) أي بأن يبذل بعضهم لبعض المال (**«في»**) أي في رضائي. (**رواه مالك»**). وفي الجامع الصغير رواه أحمد والطبراني والحاكم والبيهقي عن معاذ(٤). (**وفي رواية الترمذي**) بالإضافة (**«قال: يقول الله تعالى: المتحابون في جلالي»**) أي لأجل إجلالي وتعظيمي أو هو من

---

(١) الجامع الصغير ٢/ ٤٩٧ الحديث رقم ٨١٣٠.

(٢) الجامع الصغير ٢/ ٤٩٧ الحديث رقم ٨١٣١.

(٣) الجامع الصغير ٢/ ٤٩٨ الحديث رقم ٨١٤٤.

الحديث رقم ٥٠١١: أخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٥١٥ الحديث رقم ٢٣٩٠، ومالك في الموطأ ٢/ ٩٥٣ الحديث رقم ١٦ وأحمد في المسند ٥/ ٢٤٧.

(٤) الجامع الصغير ٢/ ٣٧٥ الحديث رقم ٦٠٣٨.

لهم منابرُ من نورٍ يغبِطهم النبيُّونَ والشهداءُ».

باب الاكتفاء كما سبق («لهم منابر من نور يغبطهم النبيون والشهداء») بكسر الموحدة من الغبطة بالكسر وهي تمني نعمة على أن لا تتحوّل عن صاحبها بخلاف الحسد، فإنه تمني زوالها عن صاحبها، فالغبطة في الحقيقة عبارة عن حسن الحال كذا قيل، وفي القاموس الغبطة حسن الحال والمسرة فمعناها الحقيقي مطابق للمعنى اللغوي، فمعنى الحديث يستحسن أحوالهم الأنبياء والشهداء وبهذا يزول الإشكال الذي تحير فيه العلماء. وفي الجامع الصغير «المتحابون في الله على كراسي من ياقوت حول العرش»[١]. رواه الطبراني عن أبي أيوب. وقال القاضي كل ما يتحلى به الإنسان أو يتعاطاه من علم وعمل فإن له عند الله منزلة لا يشاركه فيه صاحبه ممن لم يتصف بذلك، وإن كان له من نوع آخر ما هو أرفع قدراً وأعز ذخراً فيغبطه بأن يتمنى ويحب أن يكون له مثل ذلك مضموماً إلى ماله من المراتب الرفيعة والمنازل الشريفة، وذلك معنى قوله: ﴿يغبطهم النبيون والشهداء﴾ فإن الأنبياء قد استغرقوا فيما هو أعلى من ذلك من دعوة الخلق وإظهار الحق وإعلاء الدين وإرشاد العامة والخاصة إلى غير ذلك من كليات أشغلتهم عن العكوف على مثل هذه الجزئيات، والقيام بحقوقها والشهداء وإن نالوا رتبة الشهادة وفازوا بالفوز الأكبر، فلعلهم لم يعاملوا مع الله معاملة هؤلاء فإذا رأوهم يوم القيامة في منازلهم وشاهدوا قربهم وكرامتهم عند الله ودوا لو كانوا ضامين خصالهم، فيكونون جامعين بين الحسنتين فائزين بالمرتبتين، هذا والظاهر أنه لم يقصد في ذلك إلى إثبات الغبطة لهم على حال هؤلاء بل بيان فضلهم وعلو شأنهم وارتفاع مكانهم وتقريرها على آكد وجه وأبلغه، والمعنى أن حالهم عند الله يوم القيامة بمثابة لو غبط النبيون والشهداء يومئذ مع جلالة قدرهم ونباهة أمرهم حال غيرهم لغبطوهم، وقال الطيبي: يمكن أن تحمل الغبطة هنا على استحسان الأمر المرضي المحمود فعله لأنه لا يغبط إلا في الأمر المحبوب المرضي، كأن الأنبياء والشهداء يحمدون إليهم فعلهم ويرضون عنهم فيما اتجروا من المحبة في الله، ويعضده ما رويناه في صحيح مسلم عن المغيرة بن شعبة أنه غزا مع رسول الله ﷺ بتبوك قال: فتبرز رسول الله ﷺ قبل صلاة الفجر للوضوء وحملت معه أداوة ثم أقبلنا حتى نجد الناس قدموا عبد الرحمن بن عوف فصلى بهم، فأدرك رسول الله ﷺ إحدى الركعتين فصلى مع الناس الركعة الأخيرة، فلما سلم عبد الرحمن قام رسول الله ﷺ يتم صلاته فأفزع ذلك المسلمين فأكثروا التسبيح، فلما قضى رسول الله ﷺ أقبل عليهم ثم قال: «أحسنتم» أو قال: أصبتم يغبطهم أن صلوا الصلاة لوقتها[٢]، فقوله: يغبطهم الخ كلام الراوي تفسيراً وبياناً لقوله ﷺ: «أحسنتم أو أصبتم» قال: وأيضاً لا يبعد أن هذه الحالة في المحشر قبل دخول الناس في الجنة أو النار لقوله يعني في الحديث الآتي «لا يخافون إذا خاف الناس»، والتعريف للاستغراق فيحصل لهؤلاء الأمن والفراغ في بعض الأوقات ما لا يحصل لغيرهم لاشتغالهم بحال أنفسهم أو حال أمتهم فيغبطونهم لذلك

---

(١) الجامع الصغير ٢/٥٤٩ الحديث رقم ٩١٦٧.

(٢) مسلم في صحيحه ١/٣١٧ الحديث رقم (١٠٥ ـ ٢٧٤).

٥٠١٢ - (١٠) وعن عُمَرَ، قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ من عبادِ الله لأناساً ما هُم بأنبياء ولا شهداء يغبطُهم الأنبياءُ والشهداءُ يومَ القيامةِ بمكانهم من اللّهِ». قالوا: يا رسولَ الله! تخبِرُنا مَن هُم؟ قال: «هُم قومٌ تحابُّوا بروحِ الله،

اهـ. وقوله: فيحصل لهؤلاء الأمن ما لا يحصل لغيرهم غير صحيح لقوله تعالى: ﴿الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن﴾ [الأنعام - ٨٢] وأيضاً تصوّر أمن المتحابين وخوف الأنبياء على أنفسهم خطأ فاحش لأنه يلزم منه تفضيل الأولياء على الأنبياء كما يشعر به ظاهر الحديث، والعلماء عاملون في تأويله بوجه يزيل الإشكال والله أعلم بالحال. وكذا قول بعض الشراح: «يغبطهم وقت الحساب قبل دخولهم الجنة يعني هم على المنابر والخلق في الحساب» اهـ، وهو بظاهره عدول عن صوب الصواب.

٥٠١٢ - (وعن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «إن من عباد الله») أي الكاملين في الإيمان العاملين بالإحسان («لأناساً») أي جماعة عظيمة من الأولياء («ما هم بأنبياء ولا شهداء يغبطهم الأنبياء») أي ممن فاتهم التزاور، وإلا فالتحابب والتجالس لله بين كل نبي وأمته حاصل بلا شبهة اللهم إلا أن يراد بالتحابب ونحوه وجود الفعل بين المتماثلين («والشهداء») أي ممن فاتهم المجالسة ونحوها («يوم القيامة بمكانهم») أي بمنزلة الأولياء المتحابين ومكانتهم ومرتبتهم الزائدة على غيرهم («من الله») أي من قربه سبحانه («قالوا: يا رسول الله تخبرنا») بهمزة مقدرة وهو أقرب إلى الأدب أو خبر معناه الأمر بمعنى الالتماس أي أخبرنا («من هم قال: هم قوم تحابوا») اقتصر عليه لأن ما سبق من التجالس والتزاور والتبادل فرع التحابب، والمعنى تحابب بعضهم بعضاً («بروح الله») بضم الراء وهو ما يحيا به الخلق ويكون حياة لهم، وفي بعض النسخ بفتحها، ففي النهاية الروح بفتح الراء نسيم الريح، فالمعنى أنه بإذن الله أو بنفحة من نفحاته، ومنه ما روي «أني لأجد نفسي الرحمن من قبل اليمن»، وأن لله في أيام دهركم نفحات إلا فتعرضوا لها، ففيه إيماء إلى أن هذه النعمة لم تحصل لكل أحد، ولا توجد في كل وقت لأنها تتوقف على جذبة من جذبات الحق توازي عمل الثقلين، فالتحابب سبب التجاذب، وأما رواية الضم، فقال القاضي: الروح بضم الراء قيل: أراد به هنا القرآن لقوله تعالى: ﴿وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا﴾ [الشورى - ٥٢] سمي بذلك لأنه يحيا به القلب كما يحيا بالروح البدن، والمعنى أنهم يتحابون بداعية الإسلام، ومتابعة القرآن وما حثهم عليه من موالاة المسلمين ومصادقتهم اهـ. وخلاصته أن السبب الداعي إلى تحاببهم هو الوحي المنزل الهادي إلى سواء السبيل لا شيء آخر من الأغراض، وقيل: المراد من الروح المحبة، فإنه يقال: أنت روحي أي محبوبي كالروح أي تحابوا بما ألقى الله في قلوبهم من المحبة الخالصة لله عزّ وجلّ، وأما قول الطيبي ومنه قوله تعالى: ﴿فأرسلنا إليها روحنا﴾ [مريم - ١٧] فبعيد جداً، إذا المراد به جبريل باتفاق المفسرين وسمي روحاً لأن الدين يحيا به ووحيه

الحديث رقم ٥٠١٢: أخرجه أبو داود في السنن ٣/ ٧٩٩ الحديث رقم ٣٥٢٧، وأحمد في المسند ٥/ ٣٤٣.

على غيرِ أرحامٍ بينهم، ولا أموالٍ يتعاطَونَها، فوَالله إنَّ وُجوهَهم لنورٌ، وإنَّهم لعلى نورٍ، لا يخافونَ إذا خافَ النَّاسُ، ولا يحزنونَ إذا حزنَ النَّاسُ» وقرأ هذه الآية: ﴿**أَلاَ إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ**﴾. رواه أبو داود.

٥٠١٣ ـ (١١) ورواه في «شرح السنة» عن أبي مالك بلفظ «المصابيح» مع زوائد وكذا في «شعب الإيمان».

(**«على غير أرحام»**) أي حال كون تحابيهم على غير أرحام (**«بينهم»**) أي بغير سبب نسب صوري بل لأجل قرب معنوي (**«ولا أموال»**) أي ولا اشتراك أموال (**«يتعاطونها»**) أي بالمعاملة أو المجاملة، ولما كانت الأغراض الفاسدة في المحبة منحصرة في أنها إما أن تكون للقرابة على ما هو مركوز في الطبائع أو للمال من حيث إنه مطمح الأطماع اقتصر عليهما، والمقصود تحسين النية وتزيين الطوية (**«فوالله أن وجوههم لنور»**) أي منورة أو ذات نوراً وهي نفس النور مبالغة كرجل عدل (**«وإنهم لعلى نور»**) أي على منابر من نور كما جاء في حديث آخر قال القاضي: وهو تمثيل لمنزلتهم ومحلهم مثلها بما هو أعلى ما يجلس عليه في المجالس والمحافل على أعز الأوضاع وأشرفها من جنس ما هو أبهى وأحسن ما يشاهد ليدل على أن رتبتهم في الغاية القصوى من العلاء والشرف والبهاء اهـ. وعبر عنها بالنور مبالغة «فهم نور على نور في غاية من الظهور ولهم سرور على سرور» (**«لا يخافون إذا خاف الناس ولا يحزنون إذا حزن الناس»**) بكسر الزاي (**«وقرأ»**) أي النبي ﷺ استشهاداً للفقرة الأخيرة من الحديث أو قرأ الصحابي اعتضاداً (**«هذه الآية ألا»**) للتنبيه (﴿**إن أولياء الله**﴾) أي المتقون الأعم من المتحابين (﴿**لا خوف عليهم**﴾) أي يوم القيامة من لحوق عقاب (﴿**ولا هم يحزنون**﴾) من فوت ثواب. (**رواه أبو داود**) أي عن عمر بلفظ المشكاة.

٥٠١٣ ـ (**ورواه**) أي البغوي (**في شرح السنة**) أي بإسناده (**عن أبي مالك**). قال المؤلف في فصل الصحابة: هو كعب بن عاصم الأشعري، كذا قاله البخاري في التاريخ وغيره، روى عنه جماعة مات في خلافة عمر ـ (**بلفظ المصابيح مع زوائد**) أي مع كلمات زائدة أو مع زوائد فوائد على حديث أبي داود ـ (**وكذا**) أي مثل حديث المصابيح (**في شعب الإيمان**) أي للبيهقي ولفظ المصابيح هكذا عن أبي مالك الأشعري أنه قال: كنت عند النبي ﷺ إذ قال: «إن لله عزّ وجلّ عباد ليسوا بأنبياء ولا شهداء يغبطهم النبيون والشهداء بقربهم ومقعدهم من الله يوم القيامة» فقال أعرابي: حدثنا من هم؟ فقال: «هم عباد من عباد الله من بلدان شتى وقبائل شتى لم يكن بينهم أرحام يتواصلون ولا دنيا يتباذلون بها يتحابون بروح الله يجعل الله وجوههم نوراً

---

(١) سورة يونس، الآية: ٦٢.

الحديث رقم ٥٠١٣: أخرجه البغوي في شرح السنة ١٣/ ٥٣ الحديث رقم ٣٤٦٨، والبيهقي في شعب الإيمان ٦/ ٤٨٦ الحديث رقم ٨٩٩٨.

٥٠١٤ ـ (١٢) وعن ابن عبّاسٍ، قال: قال رسولُ الله ﷺ لأبي ذرٍّ: «يا أبا ذرّ! أيُّ عُرى الإيمانِ أوثقُ؟» قال: اللّهُ ورسولُه أعلمُ. قال: «الموالاةُ في اللّهِ، والحبُّ في اللّه، والبُغضُ في الله». رواه البيهقي في «شعب الإيمان».

٥٠١٥ ـ (١٣) وعن أبي هريرة، أنّ النبيَّ ﷺ قال: «إذا عادَ المسلمُ أخاهُ أوْ زارَه

ويجعل لهم منابر من نور قدام عرش الرحمن». قال ابن مالك في شرحه: هذا عبارة عن قرب المنزلة من الله عزّ وجلّ، وقال شارح آخر قوله: قدم الرحمن أي قدام عرش الرحمن يفزع الناس ولا يفزعون، ويخاف الناس ولا يخافون. قال ابن الملك: الفرق بين الفزع والخوف أن الفزع أشد أنواع الخوف وقيل: الفزع خوف مع جبن، والخوف غم يلحق الإنسان بسبب أمر مكروه سيقع اهـ، والأظهر في الفرق أن المراد بالفزع هنا الاستغاثة على ما في القاموس، وهي تنشأ من خوف العقوبة، وقد تكون من طمع تعلية الدرجة والله أعلم. هذا وكان حق المؤلف أن يصدر الحديث بقوله عن ابن مالك، ويأتي بالحديث على ما في المصابيح بمقتضى أصله فيقول: رواه البيهقي في الشعب، وكذا رواه في شرح السنة، ثم يقول: ورواه أبو داود ونحوه مع تغيير يسير، لكن من رواية عمر لأن التصنيف معهما أمكن حقه أن لا يغير.

٥٠١٤ ـ (وعن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ لأبي ذر: «يا أبا ذر أي عرى الإيمان») بضم عين وفتح راء جمع عروة، وهي في الأصل ما يتعلق به من طرف الدلو والكوز ونحوهما فاستعير لما يتمسك به في أمر الدين يتحلق به من شعب الإيمان وقوله: («أوثق») أي أحكم («قال: الله ورسوله أعلم»)، ولعل الحكمة في السؤال بأن يقع الجواب في حال التوجه إليه وإقبال الفكر عليه فهو بمنزلة التأكيد لديه («قال: الموالاة في الله») أي المعاونة والمحابة من الطرفين («والحب في الله») أي لأجله ولو من طرف واحد كحبنا لبعض أولياء الله ممن لم يرنا ولا نراه («والبغض في الله») أي في سبيله قال تعالى: ﴿لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه﴾ [المجادلة ـ ٢٢] الآية. (رواه البيهقي في شعب الإيمان)، ورواه الطبراني عن ابن عباس مرفوعاً بلفظ «أوثق عرى الإيمان الموالاة في الله، والمعاداة في الله، والحب في الله، والبغض في الله عزّ وجلّ». وروى أبو داود والضياء عن أبي أمامة مرفوعاً «من أحب لله وأبغض لله وأعطى لله ومنع لله فقد استكمل الإيمان»[1]، وفي رواية فقد استكمل إيمانه.

٥٠١٥ ـ (وعن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: إذا عاد المسلم أخاه) أي مريضاً (أو زاره)

الحديث رقم ٥٠١٤: أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ٧/ ٧٠ الحديث رقم ٩٥١٤.

(١) أبو داود في السنن ٥/ ٦٠ الحديث رقم ٤٦٨١.

الحديث رقم ٥٠١٥: أخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٣٢٠ الحديث رقم ٢٠٠٨، وابن ماجه في ١/ ٤٦٤، وأحمد في المسند ٢/ ٣٤٤.

قال اللهُ تعالى: طبتَ وطاب مَمشاكَ، وتبوأتَ منَ الجنَّةِ منزلاً». رواه الترمذي، وقال: هذا حديثٌ غريب.

٥٠١٦ ـ (١٤) وعن المقدامِ بن معد يكرب، عن النبيِّ ﷺ، قال [٣٧٥ ـ ب ـ]: «إذا أحبَّ الرجلُ أخاهُ فليُخبِرهُ أنَّه يحبُّه». رواه أبو داود، والترمذي.

أي صحيحاً. فأو للتنويع، ويحتمل أن تكون للشك بناء على تغليب أحدهما أو نظر الأصل المعنى اللغوي لأن العيادة والزيارة متقاربان في المعنى إلا أن العيادة تستعمل غالباً في المرض، والزيارة في الصحة، والأظهر أن الزيارة أعم في العيادة كما أن كلاً منهما أخص من العبادة (قال الله تعالى) أي بلا واسطة أو على ألسنة بعض الملائكة («طبت») بكسر الطاء أي صرت طيب العيش في الآخرة أو حصل لك طيب عيش فيها وهو إخبار، ويحتمل الدعاء («وطاب ممشاك») أي صار مشيك سبب طيب عيشك فيها، كذا ذكره بعض الشراح ولا بعد في تعميم طيب العيش ليشمل طيب الحياة في الدنيا بالقناعة والرضاء وبركة الرزق وسعة القلب وحسن الخلق وتوفيق العلم والعمل، ويمكن أن يكون الطيب كناية عن قبول نيته وشكر سعيه («وتبوأت من الجنة منزلاً») أي هيأت منها بهذه العبادة منزلة عظيمة ومرتبة جسيمة، فإن إدخال السرور في قلب المؤمن أفضل من عبادة الثقلين لا سيما والعيادة فرض كفاية، وفيها موعظة وعبرة وتذكرة وتنبيه على استغنام الصحة والحياة، ورفع الهموم الزائدة نسأل الله العفو والعافية وحسن الخاتمة، (رواه الترمذي وقال: هذا حديث غريب).

٥٠١٦ ـ (وعن المقدام بن معدي كرب) مر ذكره (عن النبي ﷺ قال: «إذا أحب الرجل أخاه فليخبره أنه يحبه») أي ليحبه أيضاً أو ليدعوه لمحبة الله له كما سيأتي فيكونا من المتحابين. قال الخطابي: معناه الحث على التودد والتألف، وذلك أنه إذا أخبر أنه يحبه استمال قلبه واجتلب به وده، وفيه أنه إذا علم أنه محب له قبل نصحه ولم يرد عليه قوله في عيب أن أخبره به نفسه. (رواه أبو داود والترمذي) وقال: حسن صحيح. قال ميرك: ورواه النسائي في اليوم والليلة اهـ. وفي الجامع الصغير «إذا أحب أحدكم أخاه فليعلمه أنه يحبه». رواه أحمد والبخاري في تاريخه وأبو داود الترمذي والحاكم وابن حبان عن المقدام وابن حبان أيضاً عن أنس[(١)]، وفي رواية لأحمد والضياء عن أبي ذر بلفظ «إذا أحب أحدكم صاحبه فليأته في منزله فليخبره أنه يحبه لله»[(٢)]. ورواه البيهقي وأبو نعيم في الحلية، إذا أحببت رجلاً فلا تماره ولا تشاره ولا تسأل عنه أحداً فعسى أن توافي له عدواً فيخبرك بما ليس فيه فيفرق ما بينك وبينه»[(٣)].

الحديث رقم ٥٠١٦: أخرجه أبو داود في السنن ٥/ ٣٤٣ الحديث رقم ٥١٢٤، والترمذي في ٤/ ٥١٧ الحديث رقم ٢٣٩٢، وأحمد في المسند ٤/ ١٣٠.

(١) الجامع الصغير ١/ ٢٨ الحديث رقم ٣٥٧.

(٢) المصدر السابق الحديث رقم ٣٥٨.

(٣) المصدر السابق الحديث رقم ٣٦١.

٥٠١٧ - (١٥) وعن أنس، قال: مرَّ رجلٌ بالنبيِّ ﷺ وعنده ناسٌ. فقال رجل ممَّن عنده: إني لأحبُّ هذا لله. فقال النبيُّ ﷺ: «أَعْلَمْتَه؟». قال لا. قال: «قم إليه فأعلمه». فقام إليه فأعلمَه فقال: أحبَّكَ الذي أحببتني له. قال: ثمَّ رجعَ فسأله النبيُّ ﷺ، فأخبره بما قال. فقال النبيُّ ﷺ: «أنتَ معَ من أحببتَ، ولك ما احتسبتَ». رواه البيهقي في «شعب الإيمان». وفي رواية الترمذي: «المرءُ معَ من أحبَّ وله ما اكتسبَ».

٥٠١٨ - (١٦) وعن أبي سعيد، أنه سمع النبي ﷺ يقول: «لا تصاحب إلا مؤمناً ولا يأكل طعامك

٥٠١٧ - (**وعن أنس قال: مر رجل بالنبي ﷺ وعنده ناس**) جملة حالية (**«فقال رجل ممن عنده: إني لأحب هذا لله فقال النبي ﷺ: أعلمته»**) بهمزة مقدرة محققة أو مسهلة، ويجوز أن يقرأ بهمزة ممدودة على أن الثانية منقلبة (**«قال: لا، قال: قم إليه»**) أي مبادرة (**«فاعلمه فقام إليه فأعلمه فقال:»**) أي الرجل الأول (**«أحبك»**) أي الله، كما في نسخة (**«الذي أحببتني له، قال:»**) أي الراوي (**«ثم رجع»**) أي الرجل الثاني (**«فسأله النبي ﷺ»**) أي عما جرى بينهما أو عما أجاب له (**«فأخبره بما قال: فقال النبي ﷺ: أنت مع من أحببت»**) أي دنيا وأخرى (**«ولك ما احتسبت»**) أي أجر ما احتسبت والاحتساب طلب الثواب، وأصل الاحتساب بالشيء الاعتداد به، ولعله مأخوذ من الحساب أو الحسب، واحتسب بالعمل إذا قصد به مرضاة ربه. (**رواه البيهقي في شعب الإيمان. وفي رواية الترمذي «المرء مع من أحب وله ما اكتسب»**). قال التوربشتي: وكلا اللفظين قريب من الآخر في المعنى المراد منه. قال الطيبي: وذلك لأن معنى ما اكتسب كسب كسباً يعتد به ولا يرد عليه مسبب الرياء والسمعة، وهذا هو معنى الاحتساب لأن الافتعال للاعتمال. في النهاية الاحتساب من الحسب كالاعتداد من العدد، وإنما قيل لمن ينوي، بعمله وجه الله احتسبه لأن له حينئذ أن يعتد عمله، فجعل في مباشرة الفعل كأنه معتد به. والحسبة اسم من الاحتساب كالعدة من الاعتداد. هذا وفي حصن الجزري: «وإذا قال له: إني أحبك»، وفي رواية «في الله»، قال: أحبك الذي أحببتني له». رواه النسائي وأبو داود ابن ماجه وابن السني في عمل اليوم والليلة.

٥٠١٨ - (**وعن أبي سعيد**) أي الخدري (**أنه سمع النبي ﷺ يقول: «لا تصاحب»**) أي لا تقصد في المصاحبة (**«إلا مؤمناً»**) أي كاملاً بل مكملاً، أو المراد منه النهي عن مصاحبة الكفار والمنافقين لأن مصاحبتهم مضرة في الدين، فالمراد بالمؤمن جنس المؤمنين (**«ولا يأكل طعامك**

الحديث رقم ٥٠١٧: أخرجه أبو داود في السنن ٥/ ٣٣٤ الحديث رقم ٥١٢٥، والترمذي في ٤/ ٥١٤ الحديث رقم ٢٣٨٦، وأحمد في المسند ٣/ ١٥٠.

وأخرجه البيهقي في شعب الإيمان ٦/ ٤٨٩ الحديث رقم ٩٠١١.

الحديث رقم ٥٠١٨: أخرجه أبو داود في السنن ٥/ ١٦٧ الحديث رقم ٤٨٣٢ والترمذي في ٤/ ٥١٩ الحديث رقم ٢٣٩٥، والدارمي في ٢/ ١٤٠ الحديث رقم ٢٠٥٧، وأحمد في المسند ٣/ ٣٨.

إلا تقيّ». رواه الترمذي، وأبو داود، والدارمي.

٥٠١٩ - (١٧) وعن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يُخالل».

إلا تقي») أي مؤمن أو متورع بصرف قوة الطعام إلى عبادة الله الملك العلام وأنهى، وإن نسب إلى التقي ففي الحقيقة مسند إلى صاحب الطعام فهو من قبيل لا أرينك ههنا، فالمعنى لا تطعم طعامك إلا تقياً، وفي رواية بزيادة «ولا تأكل طعام تقي فإن طعامه غالباً يكون حلالاً مؤثراً في تحصيل العبادة»، وقال الخطابي: هذا إنما جاء في طعام الدعوة دون طعام الحاجة وذلك أنه تعالى قال: ﴿ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيماً وأسيراً﴾ [الإنسان - ٨] ومعلوم أن إسراءهم كانوا كفاراً غير مؤمنين وإنما حذر من صحبة من ليس بتقي وزجر عن مخالطته ومؤاكلته لأن المطاعم توقع الإلفة والمودة في القلوب. قال الطيبي: فإن قلت: المؤمن يجوز أن يراد به العام، وأن يراد به الخاص الذي يقابله الفاسق كقوله تعالى: ﴿أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً﴾ [السجدة - ١٨] فيكون المعنى لا تصاحب إلا صالحاً قلت: المراد بالفاسق الكافر باتفاق المفسرين، ويدل عليه ما بعده من قوله تعالى: ﴿لا يستوون أما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم جنات المأوى نزلاً بما كانوا يعملون وأما الذين فسقوا فمأواهم النار كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها﴾ [السجدة، ١٨ - ٢٠] قال البيضاوي: هذا عبارة عن خلودهم، وفي تفسير السيد معين الدين الصفوي نزلت في علي رضي الله عنه والوليد بن عقبة بن أبي معيط وكان بينهما تنازع فقال لعلي أنك صبي وأنا والله أبسط لساناً واحد سناناً وأشجع منك جناناً، فقال له علي: اسكت، فإنك فاسق». هكذا قاله عطاء بن يسار والسدي وغيرهما، فالفاسق ههنا معناه الخارج عن الإيمان الثابت على الكفر فلا يشكل بأن الوليد أسلم آخر عمره، قال الطيبي: ولا يأكل نهي لغير التقي أن يأكل طعامه، والمراد نهيه عن أن يتعرض لما لا يأكل التقي طعامه من كسب الحرام وتعاطي ما ينفر عنه التقي، فالمعنى لا تصاحب إلا مطيعاً ولا تخالل الأتقياء» اهـ. وهو في غاية من البهاء غير أنه لا يستقيم به وجه الحصر، فالصواب ما قدمناه والله أعلم. (رواه الترمذي وأبو داود) والدارمي وكذا أحمد وابن حبان والحاكم عنه[1].

٥٠١٩ - (وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «المرء على دين خليله») أي غالباً، والخلة الحقيقية لا تتصور إلا في الموافقة الدينية، أو الخلة الظاهرة قد تقضي إلى حصول ما غلب على خليله من الخصلة الدينية ويؤيده قوله: («فلينظر أحدكم من يخالل») قال تعالى:

---

(١) أخرجه ابن حبان في ٢/ ٣١٤ الحديث رقم ٥٥٤، والحاكم في المستدرك ٤/ ١٢٨.

الحديث رقم ٥٠١٩: أخرجه أبو داود في السنن ٥/ ١٦٨ الحديث رقم ٤٨٣٣، والترمذي في السنن ٤/ ٥٠٩، وأحمد في المسند ٢/ ٣٠٣. والبيهقي في شعب الإيمان ٧/ ٥٥ الحديث رقم ٩٤٣٦.

رواه أحمد، والترمذي، وأبو داود، والبيهقي في «شعب الإيمان» وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب. وقال النووي: إسناده صحيح.

٥٠٢٠ ـ (١٨) وعن يزيد بن نَعامة، قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا آخى الرجلُ الرجلَ فليسأله عن اسمه واسم أبيه، وممَّن هو؟ فإنه أوصلُ للمودَّة». رواه الترمذي.

﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين﴾ [التوبة ـ ١١٩] وقال الغزالي: مجالسة الحريص ومخالطته تحرك الحرص ومجالسة الزاهد ومخالطته تزهد في الدنيا لأن الطباع مجبولة على التشبه والاقتداء، بل الطبع يسرق من الطبع من حيث لا يدري. هذا وفي النهاية الخليل الصديق فعيل بمعنى فاعل، وقد يكون بمعنى مفعول، والخلة بالضم الصداقة والمحبة التي تخللت القلب فصارت خلاله أي في باطنه اهـ واختلف في أن المحبة أولى أو[1] الخلة أعلى، والظاهر الأول وبسطه يطول فيتعين العدول (رواه أحمد والترمذي وأبو داود والبيهقي في شعب الإيمان. قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب، وقال النووي): وفي نسخة بزيادة ألف؛ (إسناده صحيح). قال الطيبي: ذكره في رياض الصالحين وغرض المؤلف من إيراده والإطناب فيه دفع الطعن في هذا الحديث ورفع توهم من توهم أنه موضوع قال السيوطي: هذا الحديث أحد الأحاديث التي انتقدها الحافظ سراج الدين القزويني على المصابيح وقال: إنه موضوع، وقال الحافظ ابن حجر يعني العسقلاني في رده عليه قد حسنه الترمذي وصححه الحاكم[2].

٥٠٢٠ ـ (وعن يزيد بن نعامة) بفتح النون والعين المهملة ضبي، روى عنه سعيد بن سلمان وكان قد شهد حنيناً مشركاً ثم أسلم بعد ذلك. قال الترمذي: لا يعرف له سماع من النبي ﷺ ذكره المؤلف في فصل الصحابة، وسيأتي في آخر الحديث أن صحبته مختلف فيها (قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا آخى الرجل الرجل») بمد الهمزة من المؤاخاة أي [إذا] اتخذه أخاً في الله («فليسأله») من باب المفاعلة، وفي نسخة فصبحة فليسأل (عن اسمه واسم أبيه وممن هو) أي ويسأله من أي قبيلة وقوم هو («فإنه») أي السؤال عما ذكر («أوصل») أي أكثر وصلة («للمودة») أي للمحبة في الأخوة، وفي شرح للمصابيح أوصل أي للمودة (رواه الترمذي). وكذا ابن سعد والبخاري في تاريخه عنه، وقال الترمذي: غريب لا نعرف ليزيد سماعاً عن النبي ﷺ اهـ، ورجال إسناده موثقون، ويزيد بن نعامة بفتح النون أبو مردود الضبي، ذكره ابن عبد البر في الصحابة، وحكي عن البخاري أنه قال: إن له صحبة، وقال ابن عبد البر: شهد حنيناً مشركاً ثم أسلم بعد اهـ، والجمهور على أنه تابعي ثقة، قال ابن أبي حاتم لا صحبة له وسئل أبي عنه فقال: صالح الحديث، وقال في تهذيب الكمال الصواب أنه يرسل وهو صدوق روى عن أنس، وروى عنه أبو خلدة وسلام بن مسكين نقله ميرك عن التصحيح

---

(١) في المخطوطة «و».

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك ٤/ ١٧١.

الحديث رقم ٥٠٢٠: أخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٥١٧ الحديث رقم ٢٣٩٢.

الفصل الثالث

٥٠٢١ ـ (١٩) عن أبي ذر، قال: خرج علينا رسول الله ﷺ قال: «أتدرون أي الأعمال أحبُّ إلى الله تعالى؟» قال قائل: الصَّلاةُ والزكاةُ. وقال قائل: الجهادُ. قال النبي ﷺ: «إن أحبَّ الأعمال إلى الله تعالى الحبُّ في الله والبغض في الله».

وخلاصة الخلاف أن الصحبة السابقة على الإسلام هل هي معتدة أم لا، والصحيح الثاني مع اتفاقهم على جواز تحمل الحديث في حال الكفر وتأديته حال الإسلام، فإن صحت له الصحبة والسماع فيها ونعمت، وأن ثبتت الصحبة ولم يصح سماعه، فالحديث من مراسيل الصحابة وهو حجة عند الكل وإلا فالحديث من مراسيل التابعي، وهو غير مضر لأنه حجة عند الجمهور وعليه مذهبنا المنصور. هذا وقد اعتضد الحديث برواية ابن عمر على ما أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ولفظه «إذا أحببت رجلاً فاسأله عن اسمه واسم أبيه فإن كان غائباً حفظته وإن كان مريضاً عدته وإن مات شهدته»[1]، وهذا الحديث كالتفسير للسابق والله أعلم بالحقائق.

(الفصل الثالث)

٥٠٢١ ـ (عن أبي ذر قال: خرج علينا رسول الله ﷺ) أي من الحجرة الشريفة (قال:) استئناف بيان جواباً لسؤال مقدر («أتدرون أي الأعمال») أي أي نوع من أنواعها («أحب إلى الله») أي أفضل، وأما ما قيل: من أن الأحبية لا تستلزم الأفضلية، ففي هذا المقام غير مستقيمة نعم يتصوّر بالنسبة إلى المخلوق لأن ولده أحب إليه، وليس يلزم منه أنه أفضل، وكذلك علي رضي الله عنه أحب إلى السيد السني مع أنه ليس أفضل من الشيخين، وكذا قد تكون مطالعة علم أو مباشرة عمل أحب عند أحد مع أنه ليس بأفضل عنده أيضاً («قال: قائل الصلاة والزكاة»). الظاهر أن الواو بمعنى أو، والتقدير وقال قائل: الزكاة (قال) وفي نسخة وقال (قائل: الجهاد، قال النبي ﷺ: «إن أحب الأعمال إلى الله الحب في الله والبغض في الله») ويؤيده غبطة الأنبياء والشهداء، ولعل وجه كونه أفضل من أركان الإسلام وعموده أن هذا أمر زائد بعد حصول الفرائض نعم يلزم منه أن يكون أفضل من نوافل العبادات وهو كذلك، ولا محذور فيه، وحاصله أن بعد ارتكاب المأمورات الشرعية، واجتناب المحظورات المنهية، «الحب في الله والبغض لله أفضل العبادات وأكمل الطاعات فعليكم بهما». ومن الواضح المعلوم أنه ليس المراد أنهما أفضل من نحو الصلاة والزكاة بمعنى أنهما يختاران عليهما أو

---

(١) البيهقي في شعب الإيمان ٦/ ٤٩٢ الحديث رقم ٩٠٢٣.

الحديث رقم ٥٠٢١: أخرجه أحمد في المسند ٥/ ١٤٦ وأخرج أبو داود الفصل الأخير في السنن ٥/ ٦ الحديث رقم ٤٥٩٩.

رواه أحمد، وروى أبو داود الفصل الأخير.

٥٠٢٢ ـ (٢٠) وعن أبي أُمامة، قال: قال رسول الله ﷺ: «ما أحبَّ عبدٌ عبد الله إلا أكرم ربَّه عزَّ وجلَّ». رواه أحمد.

٥٠٢٣ ـ (٢١) وعن أسماء بنت يزيد، أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ألا أنبئكم بخياركم؟» قالوا: بلى يا رسول الله! قال: [٣٧٦ ـ أ ـ] «خياركم الذين إذا رُؤوا ذُكِر الله» رواه ابن ماجه.

ثوابهما أكثر من ثوابهما مطلقاً، ويؤيده ما رواه الطبراني عن ابن عباس «أحب الأعمال إلى الله بعد الفرائض إدخال السرور في قلب المؤمن». ورواه أيضاً عن الحكيم بن عمير بلفظ «أحب الأعمال إلى الله من أطعم مسكيناً من جوع أو دفع عنه مغرماً أو كشف عنه كرباً اهـ». والكل من باب الحب في الله ولا شك أن العبادة المتعدية أفضل من النوافل القاصرة. وقال الطيبي: فإن قلت: «كيف يكون الحب في الله أحب إلى الله من الصلاة والزكاة والجهاد قلت: من أحب في الله يحب أنبياءه وأولياءه ومن شرط محبتهم أن يقفو أثرهم، وكذلك من أبغض في الله أبغض أعداءه وبذل جهده في المجاهدة معهم بالسنان واللسان» اهـ. وهو جواب غير شاف كما لا يخفى ولا مناسبة بينهما في المبنى والمعنى. (رواه) أي مجموع الحديث (أحمد، وروى أبو داود الفصل الأخير) أي قوله أحب الأعمال الخ، وفي الجامع الصغير رواه أحمد عن أبي ذر بلفظ «أحب الأعمال الحب في الله والبغض في الله»[1].

٥٠٢٢ ـ (وعن أبي أمامة) أي الباهلي (قال: قال رسول الله ﷺ: «ما أحب عبد عبد الله») أي لابتغاء مرضاته (إلا أكرم ربه) أي عظمه («عز») أي بهاؤه («وجل») أي ثناؤه أو ذاته وصفاته أو عزيز وجليل بغير إعزاز وإجلال وإكرام من مخلوق، كما قال في آية العلم ﴿وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل وكبره تكبيراً﴾ [الإسراء ـ ١١١] (رواه أحمد).

٥٠٢٣ ـ (وعن أسماء بنت يزيد) أي ابن السكن (أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ألا أنبئكم بخياركم») جمع خير بمعنى أخير أي أفاضلكم «(قالوا: بلى يا رسول الله قال: خياركم الذين إذا رؤوا)» بصيغة المفعول، وكذا قوله: (ذكر الله. رواه أحمد) وسبق الحديث مستوفي بطريق مبانيه وبيان معانيه في أواخر الفصل الثالث من باب حفظ اللسان، وفي الجامع الصغير بلفظ «ألا أنبئكم بخيارك، خياركم الذين إذا رؤوا ذكر الله». رواه أحمد وابن ماجه عنها[2].

---

(١) الجامع الصغير ١/ ١٩ الحديث رقم ٢٠٢.

الحديث رقم ٥٠٢٢: أحمد في المسند ٥/ ٢٥٩.

الحديث رقم ٥٠٢٣: أخرجه ابن ماجه في السنن ٢/ ١٣٧٩ الحديث رقم ٤١١٩.

(٢) الجامع الصغير ١/ ١٧٢ الحديث رقم ٢٨٨٥.

٥٠٢٤ ـ (٢٢) وعن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «لو إنَّ عبدينِ تحابَّا لله عزَّ وجلَّ، واحدٌ في المشرق وآخرُ في المغرب؛ لجمع الله بينهما يوم القيامة. يقول: هذا الذي كنت تحبُّه فيَّ».

٥٠٢٥ ـ (٢٣) وعن أبي رَزِينٍ، أنه قال له رسولُ الله ﷺ: «ألا أدُلُّك على ملاك هذا الأمر الذي تصيب به خير الدنيا والآخرة؟ عليك بمجالس أهل الذكر،

٥٠٢٤ ـ (وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «لو أن عبدين تحابا في الله») أي تحابيا لله («عز») أي عدله («وجل») أي فضله («واحد») بكسر الحاء ويجوز فتحها، وفي نسخة واحدهما («في المشرق وآخر في المغرب») أي مثلاً («لجمع الله بينهما يوم القيامة») أي لشفاعة أحدهما للآخر أو في الجنة على سبيل المصاحبة والمزاورة والمجاورة («يقول:») أي سيقول أو يقال: ليس عند الله صباح ولا مساء، والأظهر أنه حال من الفاعل، وهو يحتمل أن يقول على لسان ملك أو بغير واسطة لكل واحد منهما («هذا الذي كنت تحبه فيّ») أي لأجلي.

٥٠٢٥ ـ (وعن أبي رَزِين) بفتح الراء وكسر الزاي قال المؤلف: هو لقيط بن عامر بن صبرة العقيلي صحابي مشهور. روى عنه ابن عاصم وابن عمر وغيرهما (أنه قال له رسول الله ﷺ: ألا) (للتنبيه أو الهمزة للاستفهام الإنكاري ولا للنفي، ونفي النفي إثبات إلا أنه ما أتى ببلي في جوابه وهو غير لازم، وعلى كل ففي الكلام تنبيه على التنبه، فالمعنى تنبه لقولي: («ألا أدلك على ملاك هذا الأمر») الملاك بكسر الميم ما يتقوم به الشيء، والمشار إليه ما في الذهن وهو مبهم بينه وصفه بقوله: («الذي تصيب به خير الدنيا والآخرة، عليك بمجالس أهل الذكر») أي الزمها جميعها لأنها رياض الجنة على ما رواه الترمذي من حديث أنس مرفوعاً «إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا» قالوا: يا رسول الله وما رياض الجنة قال: «الذكر»[1]، والمعنى إذا مررتم بجماعة يذكرون الله تعالى فاذكروا الله أنتم أيضاً موافقة لهم فإنهم في رياض الجنة، وفي رواية له من حديث أبي هريرة مرفوعاً بلفظ «إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا قلت: وما رياض الجنة؟ قال: المساجد، قلت: وما الرتع يا رسول الله؟ قال: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر»[2]. قال بعض شراح الحديث، الحديث مطلق في المكان والذكر، فيحمل المطلق على المقيد. ذكره ميرك، والصحيح أن المساجد والأذكار المذكورة ذكرها على سبيل المثال، نعم المساجد خير المجالس، فيحمل على أنه خصها لكونها أفضل، والأذكار هن الباقيات الصالحات، وهن من القرآن، ولذا نص عليها وإلا فمجالس الذكر تشمل مجالس العلماء ومحافل الوعاظ والأولياء ممن يكون مجالسهم مشحونة بذكر الله، وما يتعلق به من

الحديث رقم ٥٠٢٤: أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ٦/ ٤٩٢ الحديث رقم ٩٠٢٢.

الحديث رقم ٥٠٢٥: أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ٦/ ٤٩٢ الحديث رقم ٩٠٢٤.

(١) أخرجه الترمذي في السنن ٥/ ٤٩٨ الحديث رقم ٣٥١٠.

(٢) الترمذي في السنن ٥/ ٤٩٧ الحديث رقم ٣٥٠٩.

وإذا خلوتَ فحرِّكْ لسانك ما استطعت بذكر الله، وأحِبَّ في الله وأبغضْ في الله، يا أبا رزين! هل شعرت أن الرجل إذا خرج من بيته زائراً أخاه، شيَّعه سبعون ألف ملك، كلهم يصلون عليه ويقولون: ربَّنا إنَّه وصل فيك، فصِلْهُ؟ فإن استطعت أن تُعمِلَ جسدك في ذلك

معرفة العقائد الحقية والشرائع الدينية من العبادات البدنية والمالية، وما يتعلق بالحلال والحرام والترغيب والترهيب وأمثال ذلك، والله أعلم. («**وإذا خلوت فحرك لسانك ما استطعت بذكر الله**»)، ومجمله أنه لا تغفل عن ذكر الله لا في الملأ ولا في الخلاء، فقد روى البزار بإسناد صحيح من حديث ابن عباس مرفوعاً قال: قال الله تبارك وتعالى: «يا ابن آدم إذا ذكرتني خالياً ذكرتك خالياً، وإذا ذكرتني في ملأ ذكرتك في ملأ خير من الذي ذكرتني فيهم»[١]، وفي حديث رواه الجماعة ألا أبا داود يقول الله: «أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم»[٢] فقوله في نفسه ظاهر أن المراد به الذكر القلبي لمقابلته بالذكر النفسي الذي هو من جملة الكلام النفسي، ففيه إشارة إلى بيان الأفضل من نوعي الذكر الخفي، وقوله: فحرك لسانك محمول على المبتدىء حيث احتاج إلى أنه يذكر الله بجنانه باستعانة لسانه كما حقق في بحث النية أو إشارة إلى أن الجمع بينهما أكمل وإن كان أحدهما أفضل لما روى أبو يعلى عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: «الفضل الذكر الخفي الذي لا يسمعه الحفظة سبعون ضعفاً، إذا كان يوم القيامة وجمع الله الخلائق لحسابهم وجاءت الحفظة بما حفظوا وكتبوا، قال لهم: انظروا أهل بقي له من شيء؟ فيقولون: ما تركنا شيئاً مما علمناه وحفظناه إلا وقد أحصيناه وكتبناه، فيقول الله: إن لك عندي حسناً لا تعلمه وأنا أجزيك به وهو الذكر الخفي» اهـ؛ وفي قوله: «لا تعلمه» إشارة خفية إلى ما قالت الصوفية: من فناء الذاكر في الذكر، وبقائه بالمذكور، كما في قوله تعالى: ﴿**واذكر ربك إذا نسيت**﴾ [الكهف ـ ٢٤] أي نسيت نفسك أو ذكرها أيضاً، بل الشعور عنها والشعور عن عدم الشعور، هو المقام المعبر عنه بفناء الفناء رزقنا الله البقاء واللقاء («**وأحب في الله**») أي من [لا] يعينك على ذكر الله («**وأبغض في الله**») أي من يشغلك عن الله («**يا أبا رزين**») تكرار النداء المستطاب لزيادة الاقتراب ورفع الحجاب («**هل شعرت**») بفتح العين، ويجوز ضمه، ففي القاموس شعر به كنصر وكرم علمه به وفطن، والمعنى هل علمت («**أن الرجل إذا خرج من بيته زائراً أخاه**») أي حال كونه مريداً زيارة أخيه في الله («**شيعه سبعون ألف ملك كلهم يصلون عليه**») أي يدعون له ويستغفرون له أو يثنون عليه («**ويقولون: ربنا أنه وصل**») أي أخاه («**فيك**») أي لأجلك («**فصله**») أي بوصلك المعبر عن قربك جزاء ووفاقاً أوصله بصلة من عندك («**فإن استطعت**») أي دائماً («**أن تعمل جسدك**») من الأعمال أي أن قدرت أن تبذل جهدك وتستفرغ طاقتك («**في ذلك**») أي في مجموع ما ذكر أو في الحب في الله والبغض فيه أو في

(١) كشف الأستار ٤/ ٦ الحديث رقم ٣٠٦٥.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ١٣/ ٣٨٤ الحديث رقم ٧٤٠٥، ومسلم في ٤/ ٢٠٦٧ الحديث رقم (٢٠ ـ ٢٦٧٥).

فافعل».

٥٠٢٦ ـ (٢٤) وعن أبي هريرة، قال: كنتُ مع رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ: «إن في الجنة لعُمُداً من ياقوتٍ عليها غُرفٌ من زبرجد، لها أبواب مفتحة تضيء كما يضيء الكوكب الدريُّ». فقالوا: يا رسول الله! من يسكنها؟ قال: «المتحابُّون في الله، والمتجالسون في الله، والمتلاقون في الله» روى البيهقي الأحاديث الثلاثة في «شعب الإيمان».

(١٧) باب

ما ينهى عنه من التهاجر والتقاطع واتباع العورات

زيارة الأخ لله («فافعل») أي ولا تمل في حصول العمل رجاء لوصول الأمل.

٥٠٢٦ ـ (**وعن أبي هريرة قال: كنت مع رسول الله ﷺ**) أي وحدي ليترتب فائدة على ذكر الجملة الكونية (**فقال رسول الله ﷺ: «إن في الجنة لعمداً»**) بضمتين جمع عمود بمعنى الأسطوانة، وفي نسخة بفتحهما، وقرىء بالوجهين في عمد ممددة، وفي القاموس العمود معروف والجمع أعمدة وعمد وعمد (**«من ياقوت، عليها»**) أي على العمد (**غرف**) بضم ففتح جمع غرفة (**«من زبرجد»**) بفتحتين فسكون ففتح (**«لها»**) أي للغرف (**«أبواب مفتحة»**) إشارة إلى كمال الأمن أو إيماء إلى انتظار مقدم صاحبها (**«تضيء»**) أي الأبواب أو الغرف بما فيها، وأضاء لازم ومتعد (**«كما يضيء الكوكب الدري»**) بضم الدال وبكسر وتشديد الراء والتحتية، وفي القاموس يثلث قال البيضاوي: في قوله تعالى: ﴿**كأنها كوكب دري**﴾ [النور ـ ٣٥] أي مضيء متلألىء كالزهرة في صفائه وزهرته منسوب إلى الدر، أو فعيل كمريق أي العصفر من الدرء، فإنه يدفع الظلام بضوئه أو بعض ضوئه بعضاً من لمعانه إلا أنه قلب همزته ياء، ويدل عليه قراءة حمزة وأبي بكر على الأصل، وقراءة أبي عمرو الكسائي دري كشريب أي كثير الشرب، وقد قرىء به مقلوباً أي بكسر الدال وقلب همزته ياء لكنه شاذ قرأ به الزهري (**فقالوا: يا رسول الله من يسكنها**) أي هذه الغرف (**«قال: المتحابون في الله والمتجالسون في الله والمتلاقون»**) أي المتزاورون أو المتصافحون (**«في الله». روى البيهقي الأحاديث الثلاثة في شعب الإيمان**)، وروى الحديث الأخير ابن أبي الدنيا في كتاب الإخوان.

باب ما ينهى عنه من التهاجر والتقاطع واتباع العورات

الهجر ضد الوصل، والتهاجر أخص من التقاطع، والاتباع بمعنى التتبع والتجسس، والعورة ما في المرء عيب وخلل.

الحديث رقم ٥٠٢٦: أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ٦/٤٨٧ الحديث رقم ٩٠٠٢.

الفصل الأول

٥٠٢٧ ـ (١) عن أبي أيوب الأنصاري، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يحل للرجل أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليالٍ،

(الفصل الأول)

٥٠٢٧ ـ **(عن أبي أيوب الأنصاري قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يحل لرجل أن يهجر»)** بضم الجيم **(«أخاه»)** أي المسلم، وهو أعم من أخوة القرابة والصحابة. قال الطيبي: وتخصيصه بالذكر إشعار بالعلية، والمراد به أخوة الإسلام، ويفهم منه أنه إن خالف هذه الشريطة وقطع هذه الرابطة جاز هجرانه فوق ثلاثة اهـ. وفيه أنه [حينئذ] يجب هجرانه وقوله: **(«فوق ثلاث ليال»)** أي بأيامها، وإنما جاز الهجر في ثلاث وما دونه لما جبل عليه الآدمي من الغضب فسومح بذلك القدر ليرجع فيها ويزول[١] ذلك العرض ذكره السيوطي وقال: أكمل الدين من أئمتنا في الحديث دلالة على حرمة هجران الأخ المسلم فوق ثلاثة أيام، وأما جواز هجرانه في ثلاثة أيام فمفهوم منه لا منطوق، فمن قال بحجية المفهوم كالشافعية جاز له أن يقول بإباحته ومن لا فلا اهـ. وفيه أن الأصل في الأشياء الإباحة، والشارع إنما حرم المهاجرة المقيدة لا المطلقة مع أن في إطلاقها حرجاً عظيماً حيث يلزم منه أن مطلق الغضب المؤدي إلى مطلق الهجران يكون حراماً. قال الخطابي: رخص للمسلم أن يغضب على أخيه ثلاث ليال لقلته، ولا يجوز فوقها إلا إذا كان الهجران في حق من حقوق الله تعالى، فيجوز فوق ذلك. وفي حاشية السيوطي على الموطأ قال ابن عبد البر: هذا مخصوص بحديث كعب بن مالك ورفيقيه حيث أمر ﷺ أصحابه بهجرهم يعني زيادة على ثلاث إلى أن بلغ خمسين يوماً، قال: وأجمع العلماء على أن من خاف من مكالمة أحد وصلته ما يفسد عليه دينه أو يدخل مضرة في دنياه يجوز له مجانبته وبعده، «ورب صرم جميل خير من مخالطة تؤذيه». وفي النهاية يريد به الهجر ضد الوصل يعني فيما يكون بين المسلمين من عتب وموجدة أو تقصير يقع في حقوق العشرة والصحبة دون ما كان من ذلك في جانب الدين، فإن هجرة أهل الأهواء والبدع واجبة

الحديث رقم ٥٠٢٧: أخرجه البخاري في صحيحه ١٠/ ٤٩٢ الحديث رقم ٦٠٧٧، ومسلم في ٤/ ١٩٨٤ الحديث رقم (٢٥ ـ ٢٥٦٠)، وأبو داود في السنن ٥/ ٢١٤ الحديث رقم ٤٩١١، والترمذي في ٤/ ٢٨٨ الحديث رقم ١٩٣٢، ومالك في الموطأ ٢/ ٩٠٦ الحديث رقم ١٣ من كتاب حسن الخلق، وأحمد في المسند ١/ ١٧٦.

(١) في المخطوطة «زوال».

يلتقيان فيُعرض هذا ويعرض هذا وخيرهما الذي يبدأ بالسلام». متفق عليه.

٥٠٢٨ ـ (٢) وعن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «إياكم والظنَّ، فإنَّ الظنَّ أكذبُ الحديث»

على مر الأوقات ما لم يظهر منه التوبة والرجوع إلى الحق، فإنه ﷺ لما خاف على كعب بن مالك وأصحابه النفاق حين تخلفوا عن غزوة تبوك أمر بهجرانهم خمسين يوماً، وقد هجر نساءه شهراً، وهجرت عائشة ابن الزبير مدة، وهجر جماعة من الصحابة جماعة منهم وماتوا متهاجرين، ولعل أحد الأمرين منسوخ بالآخر قلت: الأظهر أن يحمل نحو هذا الحديث على المتواخيين أو المتساويين بخلاف الوالد مع الولد والأستاذ مع تلميذه، وعليه يحمل ما وقع من السلف والخلف لبعض الخلف، ويمكن أن يقال: الهجرة المحرمة إنما تكون مع العداوة والشحناء كما يدل عليه الحديث الذي يليه، فغيرها إما مباح أو خلاف الأولى («يلتقيان») أي يتلاقيان، وهو مع ما عطف عليه من قوله: («فيعرض هذا») أي وجهه عنه (ويعرض هذا) استئناف لبيان كيفية الهجران أو حال من فاعل يهجر ومفعوله فيفيد أنه إذا لم يحصل التلاقي والإعراض فلا بأس بالهجران المطلق، وهل يعتبر التثليث أم لا محل بحث أو توقف («وخيرهما») عطف على لا يحل، وقال الطيبي: عطف على يلتقيان من حيث المعنى لما يفهم منها أن ذلك الفعل ليس بخير اهـ؛ وتكلفه بل تعسفه لا يخفى، والمعنى أفضلهما في طريق الأخلاق وحسن المعاشرة («الذي يبدأ بالسلام») أي ثم الذي يرده، وفيه إيماء إلى أن من لم يرده ليس فيه خير أصلاً، فيجوز هجرانه بل يجب، لأنه بترك رد السلام صار فاسقاً، وإنما يكون البادىء خيرهما لدلالة فعله على أنه أقرب إلى التواضع، وأنسب إلى الصفاء وحسن الخلق، وللإشعار بأنه معترف بالتقصير، وللإيماء إلى حسن العهد وحفظ المودة القديمة أو كأنه بادىء في المحبة والصحبة والله أعلم. قال الأكمل: وفيه حث على إزالة الهجران وأنه يزول بمجرد السلام اهـ. وفيه إيماء بأنه لا ينبغي لمسلم أن يبدأ بالكلام قبل السلام كما ورد فيما سبق. (متفق عليه).

٥٠٢٨ ـ (وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إياكم والظن») أي احذروا اتباع الظن في أمر الدين الذي مبناه على اليقين. قال تعالى: ﴿وما يتبع أكثرهم إلا ظناً إن الظن لا يغني من الحق شيئاً﴾ [يونس ـ ٣٦] قال القاضي: التحذير عن الظن فيما يجب فيه القطع أو التحدث به عند الاستغناء عنه أو عما يظن كذبه اهـ، أو اجتنبوا الظن في التحديث والأخبار، ويزيده قوله: («فإن الظن») في موضع الظاهر زيادة تمكين في ذهن السامع حثاً على الاجتناب («أكذب الحديث»). ويقويه حديث «كفى بالمرء كذباً أن يحدث بكل ما سمع»[1]، وقيل: أي

الحديث رقم ٥٠٢٨: أخرجه البخاري في صحيحه ١٠/ ٤٨٤ الحديث رقم ٦٠٦٦، ومسلم في ٤/ ١٩٨٥ الحديث رقم (٢٨ ـ ٢٥٦٣)، وأبو داود في السنن ٥/ ٢١٣ الحديث رقم ٤٩١٠ في الحديث ٤٩١٧، ومالك في الموطأ ٢/ ٩٠٧ الحديث رقم ١٤ من كتاب حسن الخلق وأحمد في المسند ٣/ ١١٠.

(١) مسلم في مقدمة صحيحه ١/ ١٠ الحديث رقم (٥ ـ ٥).

ولا تحسّسوا ولا تجسّسوا ولا تناجشوا ولا تحاسدوا، ولا تباغضوا،

أكذب حديث النفس لأنه يكون بإلقاء الشيطان أو «اتقوا سوء الظن بالمسلمين». قال تعالى: **﴿يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن﴾** [الحجرات - ١٢] وهو ما يستقر عليه صاحبه دون ما يخطر بقلبه أن بعض الظن وهو أن يظن ويتكلم إثم فلا تجسسوا وهو الملائم لقوله (**«ولا تحسسوا ولا تجسسوا»**) بحاء مهملة في الأوّل، وبالجيم في الثاني، فقال ابن الملك: أي لا تطلبوا التطلع على خير أحد ولا على شره وكلاهما منهي عنه لأنه لو اطلعت على خير أحَدٍ رُبما يحصل لك حَسَدٌ بأن لا يكون ذلك الخير فيك، ولو اطلعت على شره تعيبه، وتفضحه. وقد ورد طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس، وفي شرح مسلم للنووي قال بعض العلماء: التحسس بالحاء الاستماع لحديث القوم عن بواطن الأمور، وأكثر ما يقال في الشر، وقيل: بالجيم التفتيش عن بواطن الأمور، وقيل: هما بمعنى، وهو طلب معرفة الأخبار الغائبة والأحوال قلت: وهذا أقرب الأقوال لكن الأنسب أن يقيد بالأخبار التي تفضي إلى سوء الظن كما تقيده الآية الشريفة، وقد قرىء فيها بالحرفين، لكن الحاء شاذ قال البيضاوي: أي لا تبحثوا عن عورات المسلمين تفعل من الجس باعتبار ما فيه من معنى الطلب كالتلمس، وقرىء بالحاء من الحس الذي هو أثر الجس وغايته ولذلك قيل للحواس الجوّاس اهـ. وقيل: بالجيم التفتيش عن بواطن الأمور بتلطف، ومنه الجاسوس، وبالحاء تطلب الشيء بالحاسة كاستراق السمع وإبصار الشيء خفية. وقيل: الأوّل التفحص عن عورات الناس وبواطن أمورهم بنفسه أو غيره، والثاني بنفسه. وقيل: الأول مخصوص بالشر والثاني [أعم] (**«ولا تناجشوا»**) من النجش بالجيم والمعجمة. قيل: المراد [به] طلب الترفع والعلو على الناس وهو المناسب لسابقه ولاحقه؛ وقيل: أن يغري بعض بعضاً على الشر والخصومة وهو من نتائج التجسس؛ وقيل: هو الزيادة في الثمن بغير رغبة في السلعة بل ليخدع[1] المشتري بالترغيب من النجش رفع الثمن، وهذا المعنى هو المشهور عند الفقهاء؛ وقيل: النجش بمعنى التنفير أي لا ينفر بعضكم بعضاً بأن يسمعه كلاماً أو يعمل شيئاً يكون سبب نفرته (**«ولا تحاسدوا»**) أي لا يتمنى بعضكم زوال نعمة بعض سواء أرادها لنفسه أو لا. قال تعالى: **﴿ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض﴾** [النساء - ٣٢] إلى أن قال: **﴿واسألوا الله من فضله﴾** [النساء - ٣٢] أي مثل تلك النعمة أو أمثل منها، وهذا الحسد المحمود المسمى بالغبطة كما تقدم في حديث لا حسد إلا في اثنتين. الحديث (**«ولا تباغضوا»**) أي لا تختلفوا في الأهواء والمذاهب لأن البدعة في الدين والضلال عن الطريق المستقيم يوجب البغض. كذا قيل؛ والأظهر أن النهي عن التباغض تأكيد للأمر بالتحابب مطلقاً إلا ما يخل به الدين، فإنه لا يجوز حينئذ التحابب، ويجوز التباغض لأن غرض الشارع اجتماع كلمة الأمة لقوله تعالى: **﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا﴾** ولا شك أن التحابب سبب الاجتماع، والتباغض موجب الافتراق. فالمعنى لا يبغض بعضكم بعضاً، وقال بعض المحققين: أي لا تشتغلوا بأسباب العداوة [إذ العداوة]

---

(١) في المخطوطة «ليخدع».

ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخواناً». وفي رواية: «ولا تنافسوا». متفق عليه.

٥٠٢٩ ـ (٣) وعنه، قال: قال رسول الله ﷺ [٣٧٦ ـ ب ـ]: «تفتح

والمحبة مما لا اختيار فيه، فإن البغض من نفار النفس عما ما يرغب [عنه]، وأوله الكراهة، وأوسطه النفرة، وآخره العداوة، كما أن الحب من انجذاب النفس إلى ما يرغب فيه ومبدؤه الميل، ثم الإرادة، ثم المودة وهما من غرائز الطبع والله أعلم. وقيل: لا توقعوا بين المسلمين فيكون نهياً عن النميمة، لما فيه من تأسيس الفساد، وهذا إذا لم يكن لمصلحة، فإذا دعت كما لو أخبر أن إنساناً يريد الفتك به أو بأهله أو بماله فلا منع، بل قد يكون واجباً («ولا تدابروا») بحذف إحدى التاءين فيه وفيما قبله من الأفعال الخمسة، ويجوز تشديد التاء وصلاً كما قرأ به البزي، راوي ابن كثير في نحو لا تيمموا أي لا تقاطعوا ولا تولوا ظهوركم عن إخوانكم ولا تعرضوا عنه مأخوذ من الدبر، لأن كلاً من المتقاطعين يولي دبره صاحبه؛ وقيل: معناه لا تغتابوا («وكونوا عباد الله إخواناً») خبر آخر أو بدل أو هو الخبر، وعباد الله منصوب على الاختصاص بالنداء. قال الطيبي: وهذا الوجه أوقع؛ قلت: بل وقوعه خبراً واقعاً تحت الأمر أوجه لكون هذا الوجه مشعراً بالعلية من حيث العبودية، ويؤيده أن في رواية ضبط عباداً بالنصب، ولله باللام الأجلية، والمعنى أنتم مستوون في كونكم عبيد الله وملتكم واحدة، والتحاسد والتباغض والتقاطع منافية لحالكم، فالواجب أن تعاملوا معاملة الأخوة، والمعاشرة في المودة، والمعاونة على البر، والنصيحة بكل حسنة. قيل: الأخ النسبي يجمع على الأخوة، قال تعالى: ﴿فإن كان له إخوة﴾ [النساء ـ ١١] والمجازي على الإخوان، قال تعالى: ﴿إخواناً على سرر متقابلين﴾ [الحجر ـ ٤٧] فقوله تعالى: ﴿إنما المؤمنون إخوة﴾ [الحجرات ـ ١٠] للمبالغة، والمفهوم من القاموس عدم الفرق بينهما والله أعلم. وفي رواية «ولا تنافسوا» ظاهره أن محله بعد الكل، ويحتمل أن يكون بدلاً عن إحدى صيغ النهي، ويمكن أن يكون بعد لا تحاسدوا وهو الأظهر، ولذا قال الشراح: التنافس والتحاسد في المعنى واحد وإن اختلفا في الأصل، قلت: لكن التنافس يفيد المبالغة التي قد تفضي إلى المنازعة، فالمعنى «لا تحاسدوا ولا تنازعوا في الأمور الخسيسة الدينية والدنيوية، بل ينبغي أن يكون تنافسكم في الأشياء النفيسة المرضية الأخروية، كما قال تعالى: ﴿وفي ذلك فليتنافس المتنافسون﴾ [المطففين ـ ٢٦] وما أنفس نفس الشاطبي حيث ذكر مضمون هذا الكلام النفيس بقوله:

«عليك بها ما عشت فيها منافساً   وبع نفسك الدنيا بأنفاسها العلى»

(متفق عليه). وزاد في الجامع الصغير قوله: «ولا يخطب الرجل على خطبة أخيه حتى ينكح أو يترك، وقال: رواه مالك وأحمد والشيخان وأبو داود والترمذي عنه[1].

٥٠٢٩ ـ (وعنه) أي عن أبي هريرة (قال: قال رسول الله ﷺ: «يفتح») بالتذكير ويؤنث

---

(١) الجامع الصغير ١/١٧٣ الحديث رقم ٢٩٠١.

الحديث رقم ٥٠٢٩: أخرجه مسلم في صحيحه ٤/١٩٨٧ الحديث رقم (٣٥ ـ ٢٥٦٥)، وأبو داود في =

أبوابُ الجنة يوم الاثنين ويوم الخميس، فيُغفر لكلِّ عبد لا يشرك بالله شيئاً إلا رجلاً كانت بينه وبين أخيه شحناء فيقال: انظروا هذين حتى يصطلحا». رواه مسلم.

٥٠٣٠ ـ (٤) وعنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «تُعْرض

مخففاً مجهولاً («أبواب الجنة») أي أبواب طبقاتها أو غرفها ودرجاتها («يوم الاثنين ويوم الخميس») أي لكثرة الرحمة النازلة فيهما الباعثة على المغفرة، وفي شرح مسلم قال القاضي عياض: معنى وإن فتح أبواب الجنة كثرة الصفح والغفران، ورفع المنازل، وإعطاء الثواب الجزيل، ويحتمل أن يكون على ظاهره وإن فتح أبوابها علامة لذلك («فيغفر») أي فيهما كما في رواية الجامع الصغير («لكل عبد لا يشرك بالله») صفة عبد («شيئاً») أي من الإشراك أو من الأشياء أو شيئاً من شرك جلي أو خفي، وفي رواية لكل عبد مؤمن، ولعل المراد به مؤمن كامل («إلا رجل») بالرفع في جميع نسخ المشكاة أي إلا ذنب رجل، فالمضاف مقدر، وإلا فالظاهر النصب؛ كذا قاله السيد جمال[1] الدين، وفيه أن تقدير المضاف لا يجوز كونه رفعاً، نعم لو روي بالجر لكان له وجه بأن حذف المضاف المنصوب وأبقى المضاف إليه مجروراً على حال أصله. قال الطيبي: والظاهر فيه النصب لأنه[2] استثناء من كلام موجب، ويمكن أن يقال: إن الكلام محمول على المعنى أي لا يبقى ذنب أحد إلا ذنب رجل، ونحوه قوله تعالى: ﴿فشربوا منه إلا قليل﴾ [البقرة ـ ٢٤٩] أي فلم يطيعوه إلا قليل منهم اهـ؛ وقراءة الرفع شاذة والمتواترة بالنصب. وقيل: وجه رفعه أنه صفة لكل عبد فإن محله الرفع وإلا بمعنى غير أي غير رجل («كانت»)، وفي نسخة كان («بينه») أي بين الرجل («وبين أخيه المسلم شحناء») فعلاء من الشحن أي عداوة تملأ القلب («فيقال: انظروا») بقطع الهمزة وكسر الظاء أي امهلوا («هذين») أي الرجلين، وأخروا مغفرتهما من ذنوبهما مطلقاً زجراً لهما أو من ذنب الهجران فقط وهو الأظهر («حتى يصطلحا») أي يتصالحا ويزول عنهما الشحناء، فلا يفيد التصالح للسمعة والرياء، والظاهر أن مغفرة كل واحد متوقفة على صفائه وزوال عداوته سواء صفا صاحبه أم لا، والله أعلم. قال الطيبي: وأتى باسم الإشارة بدل الضمير لمزيد التمييز والتعيين [(رواه مسلم)، وكذا البخاري في الأدب المفرد، وأبو داود والترمذي عنه.

٥٠٣٠ ـ (وعنه) أي] عن أبي هريرة (قال: قال رسول الله ﷺ: «يعرض») بالتذكير ويؤنث

= السنن ٥/ ٢١٦ الحديث رقم ٤٩١٦، والترمذي في ٤/ ٣٢٧ الحديث رقم ٢٠٢٣ ومالك في الموطأ ٢/ ٩٠٨ الحديث رقم ١٧ من كتاب حسن الخلق، وأحمد في المسند ٢/ ٢٦٨.

(١) في المخطوطة «حلال». (٢) في المخطوطة «أي أنه».

الحديث رقم ٥٠٣٠: أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ١٩٨٧ الحديث رقم (٣٦ ـ ٢٥٦٥)، وأبو داود في السنن ٢/ ٨١٤ الحديث رقم ٢٤٣٦، والترمذي في السنن ٣/ ١٢٢ الحديث رقم ٧٤٧، والنسائي في ٤/ ٢٠٢ الحديث رقم ٢٣٥٩، والدارمي في ٢/ ٣٢ الحديث رقم ١٧٥٠ ومالك في الموطأ ٢/ ٩٠٩ الحديث رقم ١٨ من كتاب من حسن الخلق، وأحمد في المسند ٢/ ٢٦٨.

أعمال الناس في كل جمعة مرتين يوم الاثنين ويوم الخميس، فيُغفر لكلِّ عبد مؤمن إلا عبداً بينه وبين أخيه شحناء، فيقال: اتركوا هذين حتى يفيئا». رواه مسلم.

٥٠٣١ ـ (٥) وعن أم كلثوم بنت عقبة بن أبي مُعَيط، قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ليس الكذابُ الذي يُصلح بين الناس ويقول خيراً وينمي خيراً».

(«أعمال الناس»)، يحتمل اختصاصه بالمؤمنين، فإنهم الناس («في كل جمعة») بضمتين ويسكن الثاني أي أسبوع («مرتين») أي عرضتين («يوم الاثنين ويوم الخميس») نصب على الظرفية، والأظهر أنهما بدل من مرتين لئلا يتوهم أن العرض مرتين في كل من اليومين. قال القاضي: أراد بالجمعة الأسبوع، وعبر عن الشيء بآخره وما يتم به ويوجد عنده، والمعروض عليه هو الله تعالى أو مَلَك وكله الله على جميع صحف الأعمال وضبطها، والأول هو الصحيح لما سيأتي به التصريح («إلا عبداً»). قال التوربشتي: وجدناه في كتاب المصابيح إلا عبد على الرفع، وهو في كتاب مسلم بالنصب وهو الأوجه، فإنه استثناء من كلم موجب وبه وردت الرواية الصحيحة («بينه وبين أخيه شحناء، فيقال: اتركوا هذين») أو أوقفوا أمر مغفرتهما («حتى يفيئا») مضارع مثنى من فاء إذا رجع أي حتى يرجعا من العداوة إلى المحبة. (رواه مسلم)، ورواه الطبراني عن أسامة بن زيد بلفظ «تعرض الأعمال على الله يوم الاثنين والخميس، فيغفر الله إلا ما كان من متشاحنين أو قاطع رحم». وفي رواية الحكيم عن والد عبد العزيز ولفظه «تعرض الأعمال يوم الاثنين والخميس على الله تعالى وتعرض على الأنبياء وعلى الآباء والأمهات يوم الجمعة فيفرحون بحسناتهم وتزداد وجوههم بياضاً وإشراقاً، فاتقوا الله ولا تؤذوا موتاكم»، وبهذه الأحاديث يظهر وجه حكمة النهي عن المهاجرة فوق ثلاث كيلا يقع محروماً عن المغفرة في يومي عرض الأعمال والله أعلم بالأحوال.

٥٠٣١ ـ (وعن أم كلثوم) بضم الكاف ويفتح، ففي المغني بضم كاف وسكون لام وضم مثلثة، وفي القاموس الكلثوم كزنبور الكثير لحم الخدين، وأطلق الزنبور في بابه، فمقتضاه الفتح. قال: وأم كلثوم بنت رسول الله ﷺ: ولذا ميزها[1] المؤلف بقوله مبدلاً: («بنت عقبة ابن أبي معيط») بالتصغير أسلمت بمكة وهاجرت ماشية وبايعت، وسبق بقية ترجمتها («قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ليس الكذاب») أي ذو الكذب («الذي»)، وفي رواية الجامع بالذي («يصلح بين الناس») أي بكذبه ويقول خيراً أي لكل من المتخاصمين ما يفيد النصيحة المقتضية إلى الخير، والتقدير كلام خير أو قول خير أي حسناً أو يقول كلام خير الذي ربما سمعه منه ويدع شره عنه («وينمي خيراً») بفتح الياء وكسر الميم أي ويبلغه لهما ما لم يسمعه منهما من الخير بأن يقول: «فلان يسلم عليك ويحبك وما يقول فيك إلا خيراً، ونحو ذلك»،

الحديث رقم ٥٠٣١: أخرجه البخاري في صحيحه ٥/ ٢٩٩ الحديث رقم ٢٦٩٢، ومسلم في صحيحه ٤/ ٢٠١١ الحديث رقم (١٠١ ـ ٢٦٠٥)، وأحمد في المسند ٦/ ٤٠٣.

(١) في المخطوطة «أبرزها».

متفق عليه. وزاد مسلم قالت: ولم أسمعه - تعني النبي ﷺ - يرخص في شيء ممّا يقول النّاسُ كذبٌ إلا في ثلاث: الحرب،

وظاهر الحديث. وقال القاضي: أي يبلغ خير ما سمعه ويدع شره قلت: فلا يظهر وجه نفي الكذب عنه مع أن الكلام في معنى استثناء الكذب، وسيأتي صريح الاستثناء قال: يقال: نميت الحديث مخففاً في الإصلاح، ونميته مثقلاً في الإفساد، وكان الأوّل من النماء لأنه رفع لما يبلغه، والثاني من النميمة قلت: مراده أن أصل الثاني نممته بالميمين وإبدال الثانية كما في تقضي البازي، ولكنه خلاف الظاهر ففي القاموس ذكرهما في مادة واحد. فقال: إنما ينمو زاد كنمى ينمي وأنمى ونمى، والحديث ارتفع ونميته ونميته رفعته، وأنماه أذاعه على وجه النميمة اهـ؛ ومفهومه أن المخفف والمثقل منهما لا فرق بينهما، وإنما الإنماء يستعمل في الإفساد؛ وعبر عنه بالنميمة لا مشتق منها وعلى كل تقدير فينمي المخفف في الحديث متعين لمعنى الإصلاح، فقوله: خير الإفادة التأكيد أو على قاعدة التجريد أو على أنه بالمعنى الأعم، فيحتاج إلى التقييد وهو الأظهر، فتدبر. ثم قال: وإنما نفى عن المصلح كونه كذاباً باعتبار قصده دون قوله، قلت: (متفق عليه)؛ وفي الجامع [الصغير] بلفظ فينمي خيراً رواه أحمد والشيخان وأبو داود والترمذي عنها، والطبراني عن شداد بن أوس[1]، وفي رواية لأبي داود عنها بلفظ «لم يكذب من ينم بين اثنين ليصلح»[2]، (وزاد مسلم) أي على البخاري في المرخص للكذب حيث («قالت:») أي الراوية («ولم أسمعه») لعل الواو عاطفة على كلام سبق لها غير حديث البخاري وإلا فيلزم التكرار كما لا يخفى، وضمير المفعول راجع إليه ﷺ، ولذا قال الراوي عنها: («تعني») أي تريد بضمير اسمعه («النبي ﷺ يرخص في شيء»). قال ميرك: هذه الزيادة في البخاري أيضاً، لكن قال ابن شهاب: ولم يرخص في شيء («مما يقول الناس: كذب») بالرفع، وفي نسخة بالنصب، وفي أخرى بالجر وهو بفتح الكاف وكسر الذال، ويجوز الكسر والسكون. قال الطيبي: كذب مرفوع على أنه خبر مبتدأ محذوف مقول للقول، ومما يقول بيان لقوله في شيء أي في شيء من أقوال الناس هو كذب، أقول: الأظهر أنه مبتدأ خبره محذوف ومن تبعيضية، والمعنى لم أسمعه يرخص في شيء من جملة ما يقول الناس فيه أي في حقه كذب («إلا في ثلاث») أي كذبات استثناء من شيء بإعادة العامل. قال: وإن روي منصوباً كان مفعولاً مطلقاً أي قولاً كذباً، أقول: ويمكن أن يكون حالاً من مفعول، يقول: المقدر العائد إلى الموصول. قال: وإن روي مجروراً كان صفة أخرى لشيء، أقول: الأظهر أنه بدل من شيء أو من الموصول («الحرب») بالجر بدل من ثلاث، وسبق تحقيقه. وفي نسخة بالرفع على تقدير أحدها أو أولها أو منها، ويجوز نصبه بأعني، والرواية في جامع الأصول. وفي أكثر نسخ المصابيح هي الأولى فهي الأولى. قيل: الكذب في الحرب كأن يقول في جيش المسلمين

---

(١) الجامع الصغير ٢/ ٤٦٤ الحديث رقم ٧٥٨١.

(٢) أخرجه أبو داود في السنن ٥/ ٢١٨ الحديث رقم ٤٩٢٠، وفي المخطوطة ذكر من «ينمي» وفي الحديث عند أبي داود من «نمى».

والإصلاح بين الناس، وحديث الرجل امرأته وحديث المرأة زوجها.

٥٠٣٢ ـ (٦) وذكر حديث جابر: «إن الشيطان قد أيس» في «باب الوسوسة».

الفصل الثاني

٥٠٣٣ ـ (٧) عن أسماء بنت يزيد، قالت: قال رسول الله ﷺ: «لا يحلُّ الكذبُ إلا في ثلاث: كذب الرجلِ

كثرة وجاءهم مدد كثير، أو يقول: انظر إلى خلفك فإن فلاناً قد أتاك من ورائك ليضربك. ذكره ابن الملك (**«والإصلاح بين الناس»**) أي ثانيتها وثالثتها مجموع قوله: (**«وحديث الرجل امرأته وحديث المرأة زوجها»**) أي فيما يتعلق بأمر المعاشرة وحصول الإلفة بينهما قالوا: والأخيرة عاطفة على ما قبلها وما قبلها مع ما عطف عليه عطف على السابق؛ قال ابن الملك: كأن يقول: لا أحد أحب إليّ منك، ومثله حديث المرأة زوجها وهما في قوة حديث الزوجين ليكون الثالث. قال الخطابي: هذه أمور قد يضطر الإنسان فيها إلى زيادة القول ومجاوزة الصديق طالباً للسلامة ودفعاً للضرر، وقد رخص في بعض الأحوال في اليسير من الإفساد لما يؤمل فيه الكثير من الإصلاح، فالكذب في الإصلاح بين اثنين هو أن ينمي من أحدهما إلى صاحبه خيراً ويبلغه جميلاً وإن لم يكن سمعه منه يريد بذلك الإصلاح والكذب في الحرب أن يظهر من نفسه قوة ويتحدث بما يقوي به أصحابه ويكيد به عدوه؛ وقد روي عن النبي ﷺ أنه قال: «الحرب خدعة، وأما كذب الرجل زوجته هو أن يعدها ويمنيها ويظهر لها من المحبة أكثر مما في نفسه يستديم بذلك صحبتها، ويصلح به خلقها». قال سفيان بن عيينة: لو أن رجلاً اعتذر إلى رجل بحرف الكلام ولحنه ليرضيه بذلك لم يكن كاذباً، وقوله: وحديث الرجل امرأته، وحديث المرأة زوجها في معنى حديث أحد الزوجين الآخر ليستقيم مع إلا في ثلاث.

٥٠٣٢ ـ (**«وذكر حديث جابر: «إن الشيطان قد أيس»**) أي من أن يعبده المصلون في جزيرة العرب، ولكن في التحريش بينهم (**«في باب الوسوسة»**) أي لكونه أنسب به في حاصل المعنى لا سيما صدر الحديث وإن كان التحريش مفسراً بالمعاصي التي من جملتها ما عنون بها هذا الباب والله أعلم بالصواب.

(الفصل الثاني)

٥٠٣٣ ـ (**عن أسماء بنت يزيد قالت: قال رسول الله ﷺ: «لا يحل الكذب إلا في ثلاث»**) أي ثلاث كذبات (**«كذب الرجل»**) بالجر على البدلية، ويجوز وجهان آخران باعتبار

الحديث رقم ٥٠٣٢: مسلم في صحيحه ٤/ ٢١٦٦ الحديث رقم (٦٥ ـ ٢٨١٢).

الحديث رقم ٥٠٣٣: أخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٢٩٢ الحديث رقم ١٩٣٩، وأحمد في المسند ٦/ ٤٦١.

امرأته ليُرضيها، والكذب في الحرب، والكذب ليصلح بين الناس». رواه أحمد، والترمذي.

٥٠٣٤ ـ (٨) وعن عائشة، أن رسول الله ﷺ قال: «لا يكون لمسلم أن يهجر مسلماً فوق ثلاثة؛ فإذا لقيه سلَّم عليه ثلاث مرّات كل ذلك لا يردُّ عليه فقد باء بإثمه». رواه أبو داود.

٥٠٣٥ ـ (٩) وعن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ قال: «لا يحلّ لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث، فمن هجر فوق ثلاث فمات دخل النار». رواه أحمد، وأبو داود.

قواعد العربية (**«امرأته»**) أي لها (**«ليرضيها»**) أي في المباشرة أو المعاشرة، وحذف قرينته للاكتفاء أو للمقايسة أو وقع اختصاراً من الراوي (**«والكذب في الحرب»**) أي مع الكفرة (**«والكذب ليصلح بين الناس»**) أي فيما بينهم من المخاصمة المالية وغيرها. (**رواه أحمد والترمذي**).

٥٠٣٤ ـ (**وعن عائشة أن رسول الله ﷺ قال: «لا يكون»**) أي لا ينبغي ولا يصح أو لا يوجد مبالغة في النفي لتأكيد النهي أو لا يكون حلالاً (**«لمسلم أن أيهجر مسلماً فوق ثلاثة»**) أي ثلاثة أيام، (**«فإذا لقيه»**) أي المسلم المسلم بعد ثلاثة (**«سلم عليه»**) حال من فاعل لقيه أو بدل من لقيه، ويؤيد الأول قوله في حديث أبي خراش «فلقيه فليسلم عليه» (**«ثلاث مرات»**) أي إن لم يرد عليه في الأولى والثانية أو ثلاث دفعات من الملاقاة وهو الأظهر (**«كل ذلك»**) بالرفع مبتدأ خبره (**«لا يرد عليه»**)، والجملة صفة ثلاث مرات والعائد محذوف أي لا يرد فيها أي في المرات، وفي نسخة بالنصب على أنه ظرف لا يرد (**«فقد باء بإثمه»**). قال الطيبي: هو جواب إذا أي إذا سلم عليه ثلاث مرات غير مردود فيها جوابه فقد رجع بإثمه، والضمير فيه يحتمل أن يكون للثاني أي لمن لم يرد، فالمعنى أن المسلم خرج من اثم الهجران وبقي الإثم على الذي لم يرد السلام أي فهو قد باء بإثم هجرانه، ويحتمل أن يكون للمسلم، والمعنى أنه ضم إثم هجران المسلم إلى اثم هجرانه وباء بهما لأن التهاجر يعد منه وبسببه. (**رواه أبو داود**).

٥٠٣٥ ـ (**وعن أبي هريرة إن رسول الله ﷺ قال: «لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث»**) أي ثلاث ليال، ففيه تفنن، ويتحصل من مجموعهما أن المراد ثلاثة أيام ولياليها كما في قضية زكريا عليه الصلاة والسلام (**«فمن هجر فوق ثلاث»**) ظاهره ولو ساعة، ويحتمل أن يكون المراد بما فوق الثلاث الأربع لأنه به يتم زيادة عدد المعدود فتأمل. (**«فمات»**) أي على تلك الحالة من غير توبة (**«دخل النار»**). قال التوربشتي: أي استوجب دخول النار، فالواقع في الإثم كالواقع في العقوبة إن شاء عذبه وإن شاء غفر له. (**رواه أحمد وأبو داود**)، وكذا النسائي بإسناد على شرط الشيخين. ذكره ميرك.

الحديث رقم ٥٠٣٤: أخرجه أبو داود في السنن ٥/ ٢١٥ الحديث رقم ٤٩١٣.

الحديث رقم ٥٠٣٥: أخرجه أبو داود في السنن ٥/ ٢١٥ الحديث رقم ٤٩١٥، وأحمد في المسند ٤/ ٢٠٠.

٥٠٣٦ ـ (١٠) وعن أبي خراش السُّلَمي، أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «مَن هَجَر أخاه سنةً [٣٧٧ ـ أ ـ] فهو كسَفْك دمه». رواه أبو داود.

٥٠٣٧ ـ (١١) وعن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يحلُّ لمؤمن أن يهجر مؤمناً فوق ثلاث، فإن مرَّت به ثلاثٌ فَلْيلقَهُ فليسلم عليه، فإن ردَّ عليه السلام فقد اشتركا في الأجر،

٥٠٣٦ ـ (وعن أبي خراش) بكسر الخاء المعجمة وتخفيف الراء وبالشين المعجمة واسمه حدرد بفتح الحاء وسكون الدال المهملتين وفتح الراء صحابي أسلمي ذكره المؤلف فقوله: (السلمي) بضم ففتح من خطأ الكتاب[١]، وقد قال ميرك: صوابه الأسلمي، قال المنذري: أبو خراش حدرد بن أبي حدرد الأسلمي، قال العسقلاني في الكنى: أبو خراش الأسلمي اسمه حدرد بن أبي حدرد وقد تقدم، وقال في الأسماء حدرد بن حدرد الأسلمي صحابي له حديث واحد (سمع رسول الله ﷺ يقول: «من هجر أخاه سنة فهو») أي هجره سنة («كسفك دمه») السفك الإراقة والصب يعني مهاجرة الأخ المسلم سنة توجب العقوبة، كما أن سفك دمه يوجبها، فهي شبيهة بالسفك من حيث حصول العقوبة بسببها إلا أنها في العقوبة لأن القتل كبيرة عظيمة لا يكون بعد الشرك أعظم منه، فشبه الهجران به تأكيداً في المنع عنه، وفي المشابهة تكفي المساواة في بعض الصفات. كذا ذكره بعض شراح الحديث. قال الطيبي: التشبيه إنما يصار إليه للمبالغة كما يقال: زيد كالأسد. إلحاقاً له بالأسد في الجراءة وأنه نظيره فيها، ولم يقصد به أنه دونه كذلك [ههنا] لأن قوله ﷺ: «لا يحل لمؤمن أن يهجر مؤمناً فوق ثلاث» دل على أن التهاجر فوق الثلاث حرام، وراكبه راكب الإثم، فإذا امتد إلى مدة يهجر فيها الغائب والمسافر عن أهله غالباً بلغ التهاجر والتقاطع إلى الغاية، فيبلغ إثمه أيضاً إلى الغاية، وهذا معنى تخصيص ذكر السنة والله أعلم اهـ، ويمكن أن يكون تخصيص السنة بالذكر لاشتمالها على الفصول الأربعة، فإذا لم يعتدل مزاجه بمرور السنة عليه فلا يرجى رجوعه، ونظيره مسألة العنين المنقولة في الفروع المعلومة بما قلنا في الأصول. (رواه أبو داود). قال ميرك [وسكت عليه]: ورواه الحاكم[٢] وقال: صحيح، وأقره الذهبي، ورواه البيهقي أيضاً. وفي الجامع الصغير رواه أحمد والبخاري في تاريخه، وأبو داود الحاكم[٣].

٥٠٣٧ ـ (وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يحل لمؤمن أن يهجر مؤمناً فوق ثلاث، فإن مرت به ثلاث فليلقه فليسلم عليه، فإن رد عليه السلام فقد اشتركا في الأجر») أي

---

(١) في المخطوطة «خطاب الكتابة». (٢) الحاكم في المستدرك ٤/ ١٦٣.

(٣) الجامع الصغير ٢/ ٥٤٥ الحديث رقم ٩٠٦٩.

الحديث رقم ٥٠٣٦: أخرجه أبو داود في السنن ٥/ ٢١٥ الحديث رقم ٤٩١٥. وأحمد في المسند ٤/ ٢٢٠.

الحديث رقم ٥٠٣٧: أخرجه أبو داود في السنن ٥/ ٢١٤ الحديث رقم ٤٩١٢، ومالك في الموطأ ٢/ ٩٠٦ الحديث رقم ١٣ من كتاب حسن الخلق.

وإن لم يَرُدَّ عليه فقد باء بالإثم وخرج المُسلِّمُ من الهجرة». رواه أبو داود.

٥٠٣٨ ـ (١٢) وعن أبي الدرداء، قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا أخبركم بأفضل من درجةِ الصِّيامِ والصدقةِ والصلاةِ؟» قال: قلنا: بلى. قال: «إصلاح ذاتِ البينِ، وفسادُ ذات

في أجر السلام أو في أجر ترك الهجر أو فيهما (**«وإن لم يرد عليه»**) أي السلام (**«فقد باء بالإثم»**) أي رجع بإثم الهجران. كذا قاله شارح، والأظهر أنه بإثم الهجر وبإثم ترك السلام، فاللام للجنس أو عوض عن المضاف إليه أي بإثم الأمرين، ولا يبعد أن يقال: باء بإثم ترك السلام زيادة على إثم الهجران المستمر الذي يقارب سفك الدم، (**«وخرج المسلم»**) بتشديد اللام المكسورة (**«من الهجرة»**) أي من إثم الهجران. (**رواه أبو داود**)، أي من طريق هلال بن أبي هلال مولى بني كعب عن أبي هريرة. قال أحمد في هلال: لا أعرفه. وقال أبو حاتم: ليس بالمشهور، ووثقه بعضهم، ذكره ميرك.

٥٠٣٨ ـ (**وعن أبي الدرداء قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا أخبركم بأفضل»**) أي بعمل أفضل درجة وأكثر مثوبة (**«من درجة الصيام»**) أي نفلاً بقرينة قوله: (**«والصدقة»**)، فإنها للمندوبة غالباً (**«والصلاة»**)، لعل تأخيرها للترقي، وظاهر الواو أنه للجمع، فالمعنى أنه أفضل من فعل مجموعها، ويحتمل أن يكون بمعنى أو، فالمعنى أنه أفضل من كل منها، والأول أبلغ في مقام الترغيب كما لا يخفى. قال الأشرف: المراد بهذه المذكورات النوافل دون الفرائض، قلت والله أعلم بالمراد: إذ قد يتصوّر أن يكون الإصلاح في فساد يتفرع عليه سفك الدماء ونهب الأموال وهتك الحرم أفضل من فرائض هذه العبادات القاصرة مع إمكان قضائها على فرض تركها، فهي من حقوق الله التي هي أهون عنده سبحانه من حقوق العباد، فإذا كان كذلك فيصح أن يقال: هذا الجنس من العمل أفضل من هذا الجنس لكون بعض أفراده أفضل «كالبشر خير من الملك والرجل خير من المرأة» (**«قال:»**) أي أبو الدرداء[١] (**«قلنا: بلى»**) أي أخبرنا، وفي نسخة زيادة يا رسول الله (**«قال: إصلاح ذات البين»**) أي هو هذا. قيل: يريد بذات البين الخصلة التي تكون بين القوم من قرابة ومودّة ونحوهما وقيل: المراد بذات البين المخاصمة والمهاجرة بين اثنين بحيث يحصل بينهما بين أي فرقة، والبين من الأضداد الوصل والفرق، وقال الطيبي: إصلاح ذات البين أي أحوال بينكم يعني ما بينكم من الأحوال ألفة ومحبة واتفاق كقوله تعالى: ﴿**والله عليم بذات الصدور**﴾ [آل عمران ـ ١٥٤] وهي مضمراتها، ولما كانت الأحوال ملابسة للبين قيل لها: «ذات البين» كقولهم: «اسقني ذا إنائك»[٢] يريدون ما في الإناء من الشراب. كذا في الكشاف في قوله تعالى: ﴿**وأصلحوا ذات بينكم**﴾ [الأنفال ـ ١] اهـ، ولما

الحديث رقم ٥٠٣٨: أخرجه أبو داود في السنن ٥/ ٢١٨ الحديث رقم ٤٩١٩، والترمذي في ٤/ ٥٧٢ الحديث رقم ٢٥٠٩، ومالك في ٢/ ٩٠٢ الحديث رقم ٧ من كتاب حسن الخلق وأحمد في المسند ٦/ ٤٤٤.

(١) في المخطوطة «أبو داود». (٢) كشف الأستار ٢/ ٤٤١ الحديث رقم ٢٠٥٩.

البين هي الحالقة». رواه أبو داود، والترمذي وقال: هذا حديث صحيح.

٥٠٣٩ ـ (١٣) وعن الزُّبير، قال: قال رسول الله ﷺ: «دَبَّ إليكم داءُ الأمم قبلَكم الحسَدُ، والبغضاءُ هي الحالقةُ، لا أقولُ: تحلقُ الشَّعرَ،

كان الكلام السابق في قوة صلاح ذات البين هي الخصلة الصادقة قال: (**«وفساد ذات البين هي الحالقة»**) أي الماحية والمزيلة للمثوبات والخيرات، والمعنى يمنعه شؤم هذا الفعل عن تحصيل الطاعات والعبادات، وقيل: المهلكة من حلق بعضهم بعضاً أي قتل مأخوذ من حلق الشعر، وفي النهاية هي الخصلة التي من شأنها أن تحلق أي تهلك وتستأصل الدين كما يستأصل الموسى الشعر. وقيل: هي قطيعة الرحم والتظالم وقال الطيبي: فيه حث وترغيب في إصلاح ذات البين واجتناب عن الإفساد فيها لأن الإصلاح سبب للاعتصام بحبل الله وعدم التفرق بين المسلمين، وفساد ذات البين ثلمة في الدين، فمن تعاطى إصلاحها ورفع فسادها نال درجة فوق ما يناله [الصائم] القائم المشتغل بخويصة نفسه، فعلى هذا ينبغي أن يحمل الصلاة والصيام على الإطلاق والحالقة على ما يحتاج إليه أمر الدين. (**رواه أبو داود والترمذي**)؛ وكذا الإمام أحمد (**وقال:**) أي الترمذي (**هذا حديث صحيح**). قال: ويروى عن النبي ﷺ قال: «هي الحالقة» لا أقول: تحلق الشعر ولكن تحلق الدين» اهـ. وفي الباب أحاديث كثيرة منها ما نقله ميرك عن المنذري عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «ما عمل شيء أفضل من الصلاة وإصلاح ذات البين». رواه الأصبهاني. وعن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: «أفضل الصدقة إصلاح ذات البين». رواه الطبراني والبزار وفي سنده عبد الرحمن بن زياد بن أنعم وحديثه [هذا] حسن لحديث أبي داود والترمذي عن أبي الدرداء وعن أبي أيوب قال: قال رسول الله ﷺ: «يا أبا أيوب ألا أدلك على صدقة يحب الله موضعها قلت: بلى يا رسول الله بأبي أنت وأمي قال: تصلح بين الناس، فإنها صدقة يحب الله موضعها». رواه الأصبهاني، وفي رواية له والطبراني أيضاً «ألا أدلك على صدقة يحبها الله ورسوله تصلح بين الناس إذا تغاضبوا وتفاسدوا». وفي رواية للطبراني والبزار «ألا أدلك على عمل يرضاه الله ورسوله قال: من أصلح بين الناس أصلح الله أمره وأعطاه بكل كلمة تكلم بها عتق رقبة ورجع مغفوراً له ما تقدم من ذنبه». رواه الأصبهاني، وهو حديث غريب جداً.

٥٠٣٩ ـ (**وعن الزبير**) أي ابن العوام أحد العشرة المبشرة (**قال: قال رسول الله ﷺ: «دب»**) بفتح الدال المهملة وتشديد الموحدة أي نقل وسرى ومشى بخفية (**«إليكم داء الأمم قبلكم الحسد»**) [أي في الباطن (**«والبغضاء»**) أي العداوة في الظاهر، ورفعهما على أنهما بيان للداء أو بدل، وسميا داء لأنهما داء القلب (**«هي»**) أي البغضاء، وهو أقرب مبنى ومعنى أو كل واحدة منهما (**«الحالقة»**) أي القاطعة للمحبة والإلفة والصلة والجمعية، والخصلة الأولى هي المؤدية إلى الثانية، ولذا قدمت (**«لا أقول: تحلق الشعر»**) أي تقطع ظاهر البدن فإنه أمر سهل

الحديث رقم ٥٠٣٩: أخرجه الترمذي في السنن ٥٧٣/٤ الحديث رقم ٢٥١٠، وأحمد في المسند ١٦٧/١.

ولكن تحلق الدين» رواه أحمد، والترمذي.

٥٠٤٠ ـ (١٤) وعن أبي هريرة، عن النبيِّ ﷺ، قال: «إيَّاكم والحسد؛ فإنَّ الحسد يأكلُ الحسناتِ كما تأكلُ النارُ الحطبَ»

(«ولكن تحلق الدين») وضرره عظيم في الدنيا والآخرة. قال الطيبي: أي البغضاء تذهب بالدين كالموسى تذهب بالشعر، وضمير المؤنث راجع إلى البغضاء كقوله تعالى: ﴿**والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها**﴾ [التوبة ـ ٣٤] وقوله تعالى: ﴿**واستعينوا بالصبر والصلاة وأنها لكبيرة**﴾ [البقرة ـ ٤٥] أي في بعض أقوال المفسرين في كل منهما. قال: ولأن البغضاء أكثر تأثيراً في ثلمة الدين وإن كانت نتيجة الحسد أي في بعض أفرادها. (**رواه أحمد والترمذي**). وقال المنذري: رواه أحمد والبزار بإسناد صحيح جيد، والبيهقي وغيرهما نقله ميرك. وفي الجامع الصغير رواه أحمد والترمذي والضياء عن الزبير بن العوّام ولفظه: «دب إليكم داء الأمم قبلكم الحسد والبغضاء والبغضاء هي الحالقة حالقة الدين لا حالقة الشعر والذي نفس محمد بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أفلا أنبئكم بشيء إذا فعلتموه وتحاببتم، افشوا السلام بينكم»[1].

٥٠٤٠ ـ (**وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «إياكم والحسد»**) أي في مال أو جاه دنيوي فإنه مذموم بخلاف الغبطة في الأمر الأخروي (**«فإن الحسد»**) أي باعتبار ما ينتج في حق المحسود من ارتكاب السيئات (**«يأكل الحسنات»**) أي يفني ويذهب طاعات الحاسد (**«كما تأكل النار الحطب»**) لأن الحسد يفضي بصاحبه إلى اغتياب المحسود ونحوه، فيذهب حسناته في عرض ذلك المحسود فيزيد المحسود نعمة على نعمة، والحاسد حسرة على حسرة، فهو كما قال تعالى: ﴿**خسر الدنيا والآخرة**﴾ [الحج ـ ١١] قال القاضي: تمسك به من يرى إحباط الطاعات بالمعاصي كالمعتزلة وأجيب عنه بأن المعنى أن الحسد يذهب حسنات الحاسد ويتلفه عليه بأن يحمله على أن يفعل بالمحسود من إتلاف مال وهتك عرض وقصد نفس ما يقتضي صرف تلك الحسنات بأسرها في عرضه. كما روي في صحاح باب الظلم عن أبي هريرة أنه ﷺ قال: «إن المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وزكاة وصيام وقيام، ويأتي قد شتم هذا وقذف هذا، وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا، فيعطي هذا من حسناته وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار لإحباط الطاعات بالمعاصي وإلا لم يكن يبقى لهذا الآتي المتعاطي لتلك الكبائر حسنة يقضي بها حتى خصمه»[2]، اهـ. كلامه. وهذا أحد الوجهين مما ذكره التوربشتي، والوجه الآخر له إن يقال: إن التضعيف في الحسنات يوجد على حسب استعداد العبد وصلاحه [في

---

(١) الجامع الصغير ٢/ ٢٥٤ الحديث رقم ٤١٧٠.

الحديث رقم ٥٠٤٠: أخرجه أبو داود في السنن ٥/ ٢٠٨ الحديث رقم ٤٩٠٣.

(٢) وهو الحديث رقم (٥١٢٧).

رواه أبو داود.

٥٠٤١ ـ (١٥) وعنه، عن النبيِّ ﷺ، قال: «إياكم وسوءَ ذاتِ البَينِ؛ فإنَّها الحالقةُ».

رواه الترمذي.

دينه]، فمهما كان مرتكباً للخطايا نقص من ثواب عمله فيما يتعلق بالتضعيف ما يوازي انحطاطه في المرتبة بما اجترحه من الخطايا مثل أن يقدر أن ذا رهق عمل حسنة فأثيب عليها عشراً ولو لم يكن رهقه لأثيب أضعاف ذلك؛ فهذا الذي نقص من التضعيف بسبب ما ارتكبه من الذنب هو المراد من الإحباط. وقال الطيبي ما خلاصته: «إن الحسنات لا تقبل بواسطة الحسد لأنها تحبط به»، قلت: المعنيان متقاربان مع أن الأحاديث الواردة في نفي القبول محمولة على نفي الكمال، وكذا قوله تعالى: ﴿إنما يتقبل الله من المتقين﴾ [المائدة ـ ٢٧] عند أهل السنة. فقوله: إن تلك الحسنات الصادرة عنده مردوده عليه وليست بثابتة في ديوان أعماله الصالحة حتى تحبط كمن صلى في دار مغصوبة. أنت تعلم أن العبادة الصحيحة في الشريعة لا يصح أن يقال فيها: إنها ليست ثابتة في ديوان الأعمال، بل أظن أنه خلاف الإجماع. هذا وظاهر التشبيه أنه يذهب بالشيء الموجود لا المعدوم [ولا] المفقود، وقد ورد عن معاوية بن حيدة مرفوعاً على ما رواه الديلمي في الفردوس «الحسد يفسد الإيمان كما يفسد الصبر العسل»، فهذا الحديث صريح في المعنى الذي قلنا من أنه يفسد ويبطل كمال الإيمان وسائر الحسنات لا أنه يذهبها بالمرة ويفنيها، فتأويل الحديث يتم بتقدير المضاف، وكذا يوافقه التشبيه من حيث إن النار تأخذ نور الحطب وتخلي أصله الذي هو الرماد، فلا يعارض الحديث حينئذ قوله تعالى: ﴿إن الحسنات يذهبن السيئات﴾ [هود ـ ١١٤] وقد سنح بالبال والله أعلم بالحال أنه يحتمل أن يكون معنى الحديث «إن الحسد يأكل حسنات المحسود إلى صاحب الحسد»، بمعنى أنها لا تؤثر فيه ولا تغيره ولا يوجد لها قدر عنده كما تأكل النار الحطب، ففيه تنبيه نبيه على أن الإحسان إلى الحاسد غير نافع، وأن التقرب التردد إليه ضائع، وأن الحسد أقوى من كل عداوة لقوله تعالى: ﴿ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم﴾ [فصلت ـ ٣٤] وأنشد:

كل العداوة قد يرجى إزالتها ... إلا عداوة من عاداك من حسد

(رواه أبو داود)، أي من طريق إبراهيم بن أسيد عن جده عن أبي هريرة، وجد إبراهيم لم يسم، وذكر البخاري إبراهيم هذا في التاريخ الكبير وذكر له هذا الحديث وقال: لا يصح. كذا ذكره الشيخ الجزري، وقال ميرك: لكن له شاهد من حديث أنس مرفوعاً «الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب». رواه ابن ماجه[١] والبيهقي.

٥٠٤١ ـ (وعنه عن النبي ﷺ إياكم وسوء ذات البين فإنها الحالقة رواه الترمذي)[٢].

---

(١) أخرجه ابن ماجه في السنن ٢/١٤٠٨ الحديث رقم ٤٢١٠.

الحديث رقم ٥٠٤١: أخرجه الترمذي في السنن ٤/٥٧٢ الحديث رقم ٢٥٠٨.

(٢) هذا الحديث ناقص من المخطوطة والمطبوعة إلا أنه مثبت في «مشكاة المصابيح» ٣/١٤٠١ الحديث ـ

٥٠٤٢ ـ (١٦) وعن أبي صِرمةَ، أنَّ النبيَّ ﷺ: «مَنْ ضارَّ ضارَّ اللَّهُ به ومَن شاقَّ شاقَّ اللَّهُ عليه». رواه ابنُ ماجه، والترمذي وقال: هذا حديث غريب.

٥٠٤٣ ـ (١٧) وعن أبي بكرٍ الصديقِ [رضي الله عنه]، قال: قال رسول الله ﷺ:

٥٠٤٢ ـ (وعن أبي صرمة) بكسر الصاد وسكون الراء المهملتين قال المؤلف: هو مالك ابن قيس المازني شهد [بدراً و]ما بعدها من المشاهد (أن النبي ﷺ قال: «من ضار») أي مؤمناً كما في الرواية الآتية بأن أوصل الضرر إليه ابتداء («ضار الله به») أي جازاه بعمله وعامله معاملته، ففيه نوع من المشاكلة والمقابلة («ومن شاق») أي خالفه وعاداه («شاق الله عليه») أي عاقبه، قال تعالى: ﴿ومن يشاق الله فإن الله شديد العقاب﴾ [الحشر ـ ٤] وفي وضع المؤمن موضع ذاته اغتناه بعلو درجاته كما قال عزّ وجلّ في آية أخرى ﴿ومن يشاقق الله ورسوله﴾ [الأنفال ـ ١٣] وفي أخرى ﴿ومن يشاقق الرسول من بعدما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم﴾ [النساء ـ ١١٥] والمشاقة بين المتنازعين أن أحدهما يأخذ بشق دون شق الآخر أو يبعد عنه في شق أو يريد كل منهما مشقة الآخر، فهو إما مأخوذ من الشق بالكسر، وهو المشقة ومنه قوله تعالى: ﴿إلا بشق الأنفس﴾ [النحل ـ ٧] أو من الشق بمعنى نصف الشيء، ومنه ما ورد «اتقوا النار ولو بشق تمرة»[(١)]، فكأن المتنازعين بعد أن كانا مجتمعين صارا نصفين، أو من الشق بالفتح الفصل في الشيء وهو الفرق. قيل: إن الضرر والمشقة متقاربان لكن الضرر يستعمل في إتلاف المال، والمشقة في إيصال الأذية إلى البدن كتكليف عمل شاق اهـ. والأظهر أن الضرر يشمل البدني والمالي والدنيوي والأخروي، وأما المشاقة فهي المخالفة التي تؤدي إلى المنازعة والمحاربة وأمثال ذلك. هذا وفي جامع الأصول المضارة المضرة، والمشقة النزاع، فمن أضر غيره تعدياً أو شاقه ظلماً بغير حق فإن الله يجازيه على فعله بمثله اهـ. وحاصله أن معناهما واحد، والثاني تأكيد، وما قدمناه أولى لأنه يفيد التأسيس والتقييد، وأما قول الطيبي: ويجوز أن يحمل على المشقة أيضاً بأن كلف صاحبه فوق طاقته فيقع في التعب والمشقة فداخل أيضاً في المضرة. (رواه ابن ماجه والترمذي وقال: وهذا حديث غريب). وفي التصحيح رواه ابن ماجه والترمذي وأبو داود والنسائي أيضاً. وقال الترمذي: حديث حسن غريب، ذكره ميرك. وفي الجامع الصغير بلفظ: «من ضار ضر الله به ومن شاق شق الله عليه»[(٢)]. رواه أحمد والأربعة عن أبي صرمة.

٥٠٤٣ ـ (وعن أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

= رقم ٥٠٤١، وفي هامش مرقاة المفاتيح ٤/ ٧٢٣، وفي «مصابيح السنة» ٣/ ٣٨٧ الحديث رقم ٣٩١٩.

الحديث رقم ٥٠٤٢: أخرجه أبو داود في السنن ٤/ ٤٩ الحديث رقم ٣٦٣٥، والترمذي في السنن ٤/ ٢٩٣ الحديث رقم ١٩٤٠، وابن ماجه في ٢/ ٧٨٥ الحديث رقم ٢٣٤٢، وأحمد في المسند ٣/ ٤٥٣.

(١) متفق عليه. (٢) الجامع الصغير ٢/ ٥٣٣ الحديث رقم ٨٨٢٤.

الحديث رقم ٥٠٤٣: أخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٢٩٣ الحديث رقم ١٩٤١.

«ملعونٌ مَنْ ضارَّ مؤمناً أو مكرَ به». رواه الترمذيُّ وقال: هذا حديثٌ غريب.

٥٠٤٤ ـ (١٨) وعن ابنِ عمَرَ، قال: صعِدَ رسولُ الله ﷺ المنبرَ، فنادى بصوتٍ رفيعٍ فقال: «يا معشرَ مَنْ أسلمَ بلسانِه ولم يُفضِ الإيمانُ إلى قلبِه! لا تُؤذُوا المسلمين ولا تُعيِّروهُم، ولا تتَّبعوا عَوراتِهم؛ فإنَّه مَن يتَّبعْ عَورةَ أخيهِ المسلمِ يتَّبعِ اللهُ عورتَه، ومَنْ يتَّبعِ اللهُ عورتَه يَفضحْه ولو في جَوفِ رَحْلِه».

«ملعون» أي مبعود، عن الخير (**«من ضار مؤمناً»**) أي ضرراً ظاهراً أو مكر به أي بإيصال الضرر إليه خفية. (**رواه الترمذي وقال: هذا حديث غريب**). قال صاحب التصحيح: وفي سنده أبو سلمة الكندي لا يعرف عن فرقد السنجي، وثقه ابن معين وضعفه غيره، ذكره ميرك.

٥٠٤٤ ـ (**وعن ابن عمر قال: «صعد»**) بكسر العين أي طلع (**«رسول الله ﷺ المنبر فنادى بصوت رفيع»**) أي عال (**«فقال:»**) بيان لقوله فنادى (**«يا معشر من أسلم بلسانه»**) يشترك فيه المؤمن والمنافق (**«ولم يفض»**) من الإفضاء أي لم يصل الإيمان أي أصله وكماله (**«إلى قلبه»**)، فيشمل الفاسق، وهو الأظهر لما سيأتي من قوله: «تتبع عورة أخيه»، «ولا أخوة بين المنافق والمسلم»، فما اختاره الطيبي من حصر حكم الحديث على المنافق خلاف الظاهر الموافق، والحكم بالأعم هو الوجه الأتم والله أعلم. (**«ولا تؤذوا المسلمين»**) أي الكاملين في الإسلام، وهم الذين أسلموا بلسانهم وآمنوا بقلوبهم (**«ولا تعيروهم»**) من التعيير، وهو التوبيخ والتعييب على ذنب سبق لهم من قديم العهد سواء علم توبتهم منه أم لا، وأما التعيير في حال المباشرة أو بعيده قبل ظهور التوبة، فواجب لمن قدر عليه، وربما يجب الحد أو التعزير، فهو من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (**«ولا تتبعوا»**) من باب الافتعال أي لا تجسسوا (**«عوراتهم»**) فيما تجهلونها ولا تكشفوها فيما تعرفونها[1] (**«فإنه»**) أي الشأن (**«من يتبع»**) بتشديد التاء مجزوماً وقيل: مرفوعاً، وفي بعض النسخ المقروء على المشايخ ضبط بصيغة الماضي المعلوم من باب التفعل [هنا وفيما بعد من الموضعين أي من يطلب (**«عورة أخيه»**) أي ظهور عيب أخيه (**«المسلم»**) أي الكامل بخلاف الفاسق، فإنه يجب الحذر والتحذير عنه] (**«يتبع الله عورته»**). ذكره على سبيل المشاكلة أي يكشف عيوبه، ومن أقبحها تتبع عورة الأخ المسلم وهذا في الآخرة (**«ومن تتبع الله عورته يفضحه»**) من فضح كمنع أي يكشف مساويه (**«ولو في جوف رحله»**) أي ولو كان في وسط منزله مخفياً من الناس. قال تعالى: ﴿**إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة والله يعلم وأنتم لا تعلمون**﴾ [النور ـ ١٩] قال الغزالي: التجسس والتتبع ثمرة سوء الظن بالمسلم، والقلب لا يقنع بالظن ويطلب التحقيق، فيؤدي إلى هتك الستر وحد الاستتار أن يغلق باب داره ويستتر

الحديث رقم ٥٠٤٤: أخرجه أبو داود في السنن ٥/ ١٩٤ الحديث رقم ٤٨٨٠، والترمذي في السنن ٤/ ٣٣١ الحديث رقم ٢٠٣٢، وأحمد في المسند ٤/ ٤٢١.

(١) في المخطوطة «تعرفوها».

رواه الترمذي.

٥٠٤٥ - (١٩) وعن سعيدِ بن زيدٍ، عن النبيِّ ﷺ، [٣٧٧ - ب -] قال: «إنَّ من أرْبى الرِّبا الاستطالةُ في عرضِ المسلمِ

بحيطانه، فلا يجوز استراق السمع على داره ليسمع صوت الأوتار ولا الدخول عليه لرؤية المعصية إلا أن يظهر بحيث يعرفه من هو خارج الدار كأصوات المزامير والسكارى بالكلمات المألوفة بينهم، وكذلك إذا ستروا أواني الخمر وظروفها وآلات الملاهي في الكم وتحت الذيل، فإذا رأى ذلك لم يجز أن يكشف عنه وكذلك لا يجوز أن يستنشق ليدرك رائحة الخمر ولا أن يستخبر من جيرانه ليخبروه بما يجري في داره، وأنشد في معناه شعر:

لا تلتمس من مساوي الناس ما ستروا فيهتك الله ستراً عن مساويكا
واذكر محاسن ما فيهم إذا ذكروا ولا تعب أحداً منهم بما فيكا

وفي قوله: «ولم يفض الإيمان إلى قلبه» إشارة إلى أنه ما لم يصل الإيمان إلى القلب لم يحصل له المعرفة بالله ولم يؤد حقوقه، فإذا علاج جميع أمراض القلب المعرفة بالله تعالى لتؤدي إلى أداء حقوق الله وحقوق المسلمين، فلا يؤذي ولا يضر ولا يعير ولا يتجسس أحوالهم. اهـ. كلام الإمام وحصل تمام المرام. (رواه الترمذي)، وقال: حسن غريب، نقله ميرك.

٥٠٤٥ - (وعن سعيد بن زيد)، قال المؤلف: عدوي أحد العشرة المبشرة بالجنة أسلم قديماً، وكانت فاطمة أخت عمر تحته وبسببها كان إسلام عمر، مات بالعقيق فحمل إلى المدينة ودفن بالبقيع. روى عنه جماعة. (عن النبي ﷺ [قال]: «إن من أربى الربا») أي من أكثر أنواعها وبالاً وأزيد آثام أفرادها مآلاً («الاستطالة») أي إطالة اللسان («في عرض المسلم»)، وأصل التطاول استحقار الناس والترفع عليهم، وأصل الربا الزيادة والكثرة لغة، وأما شرعاً فهو معروف بأنواعه المحرمة في كتب الفقه وإنما يكون هذا أشدها تحريماً لأن العرض عند أرباب الكمال أعز على النفس من المال. وأنشد:

أصون عرضي بمالي لا أدنسه لابارك الله بعد العرض في المال

وإنما عبر عنه بلفظ الربا لأن المتعدي يضع عرضه ثم يستزيد عليه، فكأنه قال: أزيد الزيادات التي تتجاوز عن الحد الاستطالة في عرض المسلم الذي هو أقوى من ماله. وقال الطيبي: أدخل العرض في جنس المال على سبيل المبالغة وجعل الربا نوعين، متعارف وهو ما يؤخذ من الزيادة على ماله من المديون، وغير متعارف وهو استطالة الرجل اللسان في عرض أخيه، ثم فضل أحد النوعين على الآخر وقال القاضي: الاستطالة في عرض المسلم أن يتناول

الحديث رقم ٥٠٤٥: أخرجه أبو داود في السنن ٥/ ١٩٣ الحديث رقم ٤٨٧٦، وأحمد في المسند ١/ ١٩٠، والبيهقي في شعب الإيمان ٤/ ٣٩٥ الحديث رقم ٥٥٢١ أخرجه عن أبي هريرة وعن أنس.

بغيرِ حقٍّ». رواه أبو داود، والبيهقي في «شعب الإيمان».

٥٠٤٦ ـ (٢٠) وعن أنسٍ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «لما عرجَ بي ربِّي مررتُ بقومٍ لهم أظفارٌ من نحاسٍ يخمشونَ وجوهَهم وصدورهم، فقلتُ: مَن هؤلاءِ يا جبريلُ؟ قال: هؤلاءِ الذينَ يأكلونَ لُحومَ الناسِ ويقعونَ في أعراضِهم». رواه أبو داود.

٥٠٤٧ ـ (٢١) وعن المستوردِ، عن النبيِّ ﷺ، قال: «مَن أكلَ برجُلٍ مسلمٍ أُكْلةً؛ فإنَّ اللَّهَ يُطعِمُه مثلَها من جهنَّمَ،

منه أكثر مما يستحقه على ما قيل له أو أكثر مما رخصوا له، فيه، ولذلك مثله بالربا وعده من عداده، ثم فضله على سائر أفراده لأنه أكثر مضرة وأشد فساداً، فإن العرض شرعاً وعقلاً أعز على النفس من المال وأعظم منه خطراً، ولذلك أوجب الشارع بالمجاهرة بهتك الأعراض ما لم يوجب بنهب الأموال اهـ ويعني به أن هتك بعض الأعراض يوجب الرجم، ونهب المال فقط لم يوجب القتل. قال التوربشتي: وقوله: («بغير حق»)، فيه تنبيه على أن العرض ربما تجوز استباحته في بعض الأحوال وذلك مثل قوله ﷺ ليّ «الواجد يحل عرضه، فيجوز لصاحب الحق أن يقول فيه: إنه ظالم وأنه متعد» ونحو ذلك، ومثله الكلام في جرح الشاهد ونحو ذلك أي من ذكر مساوىء الخاطب والمبتدعة والفسقة على قصد التحذير. (**رواه أبو داود والبيهقي في شعب الإيمان**)، وكذا الإمام أحمد في مسنده.

٥٠٤٦ ـ (**وعن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «لما عرج بي»**) أي أسري بي (**«مررت بأقوام لهم أظفار من نحاس يخمشون»**) بكسر الميم أي يخدشون (**«وجوههم وصدورهم»**)، ففي المصباح خمشت المرأة كضرب وجهها بظفر جرحت ظاهر البشرة (**«فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس»**) أي يغتابون المسلمين (**«ويقعون في أعراضهم»**). قال الطيبي: لما كان خمش الوجه والصدر من صفات النساء النائحات جعلهما جزاء من يغتاب ويفري في أعراض المسلمين إشعاراً بأنهما ليستا من صفات الرجال، بل هما من صفات النساء في أقبح حالة وأشوه صورة. (**رواه أبو داود**)، وهو حديث حسن سكت عليه هو والمنذري، وقد روي عن سعيد بن جبير مرسلاً. ذكره ميرك، وفي الجامع الصغير رواه أحمد وأبو داود والضياء عن أنس.

٥٠٤٧ ـ (**وعن المستورد**) أي ابن شداد يقال: إنه كان غلاماً يوم قبض النبي ﷺ ولكنه سمع منه وروى عنه جماعة، (**عن النبي ﷺ قال: «من أكل برجل مسلم»**) أي بسبب غيبته أو قذفه أو وقوعه في عرضه أو بتعرضه له بالأذية عند من يعاديه (**«أكلة»**) بالضم أي لقمة، وفي نسخة بالفتح أي مرة من الأكل (**«فإن الله [تعالى] يطعمه مثلها»**) أي قليلاً أو كثيراً (**«من جهنم»**)

الحديث رقم ٥٠٤٦: أخرجه أبو داود في السنن ٥/ ١٩٤ الحديث رقم ٤٨٧٨، وأحمد في المسند ٣/ ٢٢٤.

الحديث رقم ٥٠٤٧: أخرجه أبو داود في السنن ٥/ ١٩٥ الحديث رقم ٤٨٨١، وأحمد في المسند ٤/ ٢٢٩.

ومَن كَسا ثوباً برجُلٍ مسلم؛ فإنَّ اللَّهَ يكسوه مثلَه من جهنمَ، ومَن قامَ برجلٍ مقامَ سُمعَةٍ ورياءٍ؛ فإنَّ اللَّهَ يقومُ له مقامَ سمعَةٍ ورياءٍ يومَ القيامة». رواه أبو داود.

٥٠٤٨ ـ (٢٢) وعن أبي هريرة، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «حسنُ الظنِّ من حسنِ

أي من نارها أو من عذابها («ومن كسا») بصيغة الفاعل أي ألبس شخصاً («ثوباً برجل مسلم») أي بسبب إهانته، وفي نسخة بصيغة المفعول وهو المناسب للقرينة السابقة، وقيل: معنى الأول كسا نفسه ثوباً، ومعنى الثاني، اكتسى ثوباً فصار مآلهما واحد، أو في النهاية معناه الرجل يكون صديقاً ثم يذهب إلى عدوّه فيتكلم فيه بغير الجميل ليجيزه عليه بجائزة فلا يبارك الله له فيها. قال الطيبي: فعلى هذا، فالباء في برجل للسببية، والجائزة عامة في المطعوم والملبوس، وعليه كلام أكثر الشارحين («فإن الله يكسوه مثله من جهنم، ومن قام برجل») الباء للتعدية، والمراد بالرجل نفسه أو غيره («مقام سمعة ورياء فإن الله يقوم») أي منتصراً ومنتقماً («له») أي لأجل إفضاح القائم به («مقام سمعة ورياء يوم القيامة»)، وهو كناية عن إفضاحه إياه الناشىء عن مقت الله. وقد جاء في رواية الطبراني عن عبد الله الخزاعي مرفوعاً «من قام مقام رياء وسمعة فإنه في مقت الله حتى يجلس». قال التوربشتي: أي من قام ينسبه إلى ذلك ويشهره به فيما بين الناس فضحه الله وشهره بذلك على رؤوس الإشهاد يوم القيامة وعذبه عذاب المرائين. وقال المظهر: الباء في برجل يحتمل أن تكون للتعدية وللسببية، فإن كانت للتعدية يكون معناه «من أقام رجلاً مقام سمعة ورياء» يعني من أظهر رجلاً بالصلاح والتقوى ليعتقد الناس فيه اعتقاداً حسناً ويعزونه ويخدمونه ويجعله حبالاً ومصيدة كما يرى في زماننا لينال بسببه المال والجاه، فإن الله تعالى يقوم له مقام سمعة ورياء بأن يأمر ملائكته بأن يفعلوا معه مثل فعله، ويظهروا أنه كذاب، وإن كانت للسببية فمعناه إن من قام وأظهر من نفسه الصلاح والتقوى لأجل أن يعتقد فيه رجل عظيم القدر كثير المال ليحصل له مال وجاه كما يقول الناس في العرف: هذا زاهد الأمير، قال الطيبي: ومعنى الكناية عن التهديد في قوله: «فإن الله يقوم له» كما في قوله تعالى: ﴿سنفرغ إليكم أيها الثقلان﴾ [الرحمن ـ ٣١]. الكشاف: سنفرغ مستعار من قول الرجل لمن يهدده سأفرغ لك أي سأتجرد للإيقاع بك من كل ما يشغلني عنه حتى لا يكون لي شغل سواه، والمراد التوفر على الكتابة فيه والانتقام منه، وقال الأشرف: معنى السببية لا يستقيم في قوله: «ومن كسا ثوباً برجل مسلم»، فالباء فيه صلة قلت: وهذا لا يستقيم أيضاً إذ يصير التقدير «ومن كسا ثوباً رجلاً مسلماً وهو فاسد»، المعنى. فالوجه ما قدمناه كما لا يخفى، ثم رأيت الطيبي قال: ولعله أراد أن كسا متعد إلى مفعولين وليس هنا إلا مفعول واحد، فيجب أن يكون برجل ثاني مفعوليه، وفيه نظر لما يؤدي إلى فساد المعنى كما لا يخفى، فالواجب أن يقدر «من كسا نفسه ثوباً برجل» (رواه أبو داود).

٥٠٤٨ ـ (وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «حسن الظن») أي بالله («من حسن

الحديث رقم ٥٠٤٨: أخرجه أبو داود في السنن ٥/ ٢٦٦ الحديث رقم ٤٩٩٣، وأحمد في المسند ٢/ ٤٠٧.

العبادةِ». رواه أحمد، وأبو داود.

٥٠٤٩ ـ (٢٣) وعن عائشةَ، قالت: اعتلَّ بعيرٌ لصفيَّةَ وعند زينبَ فضلُ ظهرٍ، فقال رسولُ الله ﷺ لزينبَ: «أعطيها بعيراً». فقالتْ: أنا أعطي تلك

العبادة») أي الله، والمعنى أن حسن الظن به تعالى من جملة العبادات الحسنة، فلا ينبغي أن تظن ما يظنه العامة من أن حسن الظن هو أن تترك العمل وتعتمد على الله وتقول: إنه كريم غفور رحيم، ويمكن أن يكون المعنى بعض حسن العبادة حسن الظن، وقدم الخبر اهتماماً، فإن السالك إذا حسن الظن بالله على سبيل الرجاء حسن العبادة في الخلا والملا، فيستحسن مأموله ويرجى قبوله. قال الله تعالى: ﴿**إن الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله**﴾ [البقرة ـ ٢١٨] وأما من يترك العبادة ويدعي حسن الظن بالمعبود فهو مغرور ومخدوع ومردو، ومثلهما الغزالي بمن زرع ومن لم يزرع راجيين للحصاد، ولا شك أن الثاني ظاهر الفساد والله رؤوف بالعباد. قال المظهر: يعني اعتقاد الخير والصلاح في حق المسلمين عبادة. قال الطيبي: فعلى هذا من للتبعيض أي من جملة عبادة الله، والإخلاص فيها حسن المعاشرة مع عباده، ويجوز أن تكون للابتداء أي حسن الظن بعباد الله [تعالى]، ناشيء من حسن عبادة الله وينصره قوله: «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده»، اهـ. فإن قلت: قد ورد احترسوا من الناس بسوء الظن على ما رواه ابن عدي والطبراني في الأوسط عن أنس مرفوعاً قلت: التقدير من بعضهم، ولذا قال تعالى: ﴿**اجتنبوا كثيراً من الظن إن بعض الظن إثم**﴾ [الحجرات ـ ١٢] أو يقال: يحترس منهم بسوء الظن في الباطن على ما أشار إليه ﷺ [بقوله]: أخبره نقله على ما رواه جماعة عن أبي الدرداء، ودل عليه ما ورد في حديث [ثابت من] أن الناس كإبل مائة لا تجد فيها راحلة أو يعاملهم في الظاهر بحسن الظن بناء على الأمر المبهم والله أعلم. (**رواه أحمد وأبو داود**)، وكذا الحاكم في مستدركه[1].

٥٠٤٩ ـ (**وعن عائشة قالت: «اعتل»**) بتشديد اللام أي مرض (**«بعير لصفية»**)، المراد بها هنا بنت حيي بن أخطب من بني إسرائيل سبط هارون، كانت تحت كنانة بن أبي الحقيق، فقتل يوم خيبر في محرم سنة سبع ووقعت في السبي، فاصطفاها رسول الله ﷺ، فأسلمت وأعتقها وتزوّجها، وماتت سنة خمسين ودفنت بالبقيع، وروى عنها أنس وابن عمر وغيرهما. (**«وعند زينب فضل ظهر»**) أي مركب فاضل عن حاجتها، وهي أم المؤمنين أيضاً بنت جحش، وأمها أمية بنت عبد المطلب عمة النبي ﷺ، وكانت تحت زيد بن حارثة مولى رسول الله ﷺ، فطلقها ثم تزوّجها النبي ﷺ سنة خمس، مناقبها جمة، روت عنها عائشة وأم حبيبة وغيرهما. (**فقال رسول الله ﷺ لزينب: «أعطيها»**) أي صفية (**«بعيراً، فقالت: أنا أعطي»**) بتقدير الاستفهام الإنكاري، ولعل حذف المفعول لإفادة العموم، مبالغة في النفي أي أنا ما أعطي شيئاً (**«تلك**

---

(١) الحاكم في المستدرك ٤/ ٢٥٦.

الحديث رقم ٥٠٤٩: أخرجه أبو داود في السنن ٥/ ٨ الحديث رقم ٤٦٠٢، وأحمد في المسند ٦/ ٢٦١.

اليهوديَّة؟! فغضبَ رسولُ الله ﷺ، فهجرها ذا الحجةِ والمحرمَ وبعضَ صفر. رواه أبو داود.

وذُكر حديثُ معاذ بن أنسٍ: «مَنْ حَمى مؤمناً» في «باب الشفقة والرحمة».

الفصل الثالث

٥٠٥٠ ـ (٢٤) عن أبي هريرة، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «رأى عيسى ابنُ مريمَ رجلاً يسرقُ، فقال له عيسى: سرقتَ؟ قال: كلا، والذي لا إلهَ إلا هوَ. فقال عيسى: آمنتُ باللهِ وكذبتُ نفسي». رواه مسلم.

٥٠٥١ ـ (٢٥) وعن أنسٍ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «كادَ الفقرُ أنْ يكونَ كفراً،

اليهودية») أي باعتبار ما كانت، وإنما حملها على هذا القول الغيرة المنضمة إلى كونها من أكابر قريش، لكنها خالفت من حيث المخالفة وسوء المخالفة (**«فغضب رسول الله ﷺ فهجرها ذا الحجة والمحرم»**) بالنصب (**«وبعض صفر»**)، قال ابن الملك: فيه جواز الهجران فوق ثلاث لفعل القبيح يعني على قصد الزجر والتأديب لا على إرادة العداوة والبغضاء والشحناء، وبه يحصل الجمع بين الأحاديث كما سبق. (**رواه أبو داود**). قال صاحب التصحيح: رجاله رجال مسلم إلا سمية البصرية الراوية عن عائشة فلم يخرج لها مسلم اهـ. وقال المنذري: سمية لم تثبت، وقال العسقلاني: مقبولة من الثالثة، نقله ميرك، (**وذكر حديث معاذ بن أنس: «من حمى مؤمناً»**) أي من منافق. الحديث بطوله (**في باب الشفقة والرحمة**).

(الفصل الثالث)

٥٠٥٠ ـ (**عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «رأى عيسى ابن مريم رجلاً يسرق فقال له عيسى: سرقت»**) أي أسرقت، والظاهر أتسرق، ولعل العدول عنه إيماء إلى تحققه (**«قال: كلا»**) أي حاشا (**«والذي لا إله إلا هو»**)، ويمكن أن يكون في الكلام تورية أي ارتدع عن هذا الظن أو عن هذا السؤال «والذي لا إله إلا هو» (**«فقال عيسى: آمنت بالله»**) أي بوحدانيته المفهومة من الجملة المقسمية، أو التقدير صدقت قسمك بالله (**«وكذبت نفسي»**) أي فيما قلت بناء على الظاهر لاحتمال أن ذلك الأخذ بخفية لا يكون سرقة لفقدان أحد الشروط المعتبرة في حدها الشرعية. وقال الطيبي: أي صدقتك في حلفك بقولك: «والذي لا إله إلا هو»، «وبرأتك ورجعت عما ظننت بك وكذبت نفسي». قال تعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن إن بعض الظن إثم**﴾ [الحجرات ـ ١٢] اهـ، وفيه ما لا يخفى. (**رواه مسلم**).

٥٠٥١ ـ (**وعن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «كاد الفقر أن يكون كفراً»**) أي كاد أن

الحديث رقم ٥٠٥٠: أخرجه مسلم في صحيحه ١٨٣٨/٤ الحديث رقم (١٤٩ ـ ٢٣٦٨)، وأحمد في المسند ٢/ ٣١٤.

الحديث رقم ٥٠٥١: أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ٥/ ٢٦٧ الحديث رقم ٦٦١٢.

وكادَ الحسدُ أنْ يغلِبَ القَدَرَ».

يكون الفقر القلبي سبباً للكفر، إما بالاعتراض على الله [تعالى] وإما بعدم الرضا بقضاء الله تعالى، أو بالشكوى إلى ما سواه، أو بالميل إلى الكفر لما رأى أن غالب الكفار أغنياء متنعمون وأكثر المسلمين فقراء ممتحنون بمقتضى ما ورد عنه ﷺ: «الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر»، وقد قال [تعالى] تسلية للعباد ﴿لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد متاع قليل ثم مأواهم جهنم وبئس المهاد لكن الذين اتقوا ربهم لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها نزلا من عند الله وما عند الله خير للأبرار﴾ [آل عمران - ١٩٦] وقال البيضاوي: وسبب نزول هذه الآية «إن بعض المؤمنين كانوا يرون المشركين في رخاء ولين عيش فيقولون: «إن أعداء الله فيما نرى من الخير، وقد هلكنا من الجوع والجهد»، وفي معالم التنزيل بإسناده المتصل إلى البخاري والمنتهى إلى ابن عباس قال: قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «جئت فإذا رسول الله في مشربة أي غرفة، وأنه لعلى حصير ما بينه وبينه شيء وتحت رأسه وسادة من أدم حشوها ليف، وإن عند رجليه قرظاً مصبوباً، وهو ما يدبغ به وعند رأسه أهب معلقة، فرأيت أثر الحصير في جنبه فبكيت فقال: ما يبكيك فقلت: يا رسول الله إن كسرى وقيصر فيما هما فيه وأنت رسول الله فقال: «أما ترضى أن تكون لهما الدنيا ولنا الآخرة»[1]. قال الطيبي: أي الفقر يحمل الإنسان على ركوب كل صعب وذلول فيما لا ينبغي طالباً إزالته عنه بالقتل والنهب في السرقة وغير ذلك، وربما يؤديه إلى الاعتراض على الله، والتصرف في ملكه كما فعل ابن الراوندي في قوله:

كم عاقل عاقل أعيت مذاهبه ... وكم جاهل جاهل تلقاه مرزوقاً

هذا الذي ترك الأوهام حائرة ... وصير العالم النحرير زنديقاً

(وكاد الحسد أن يغلب القدر». سبق معناه اهـ. ومجمل المعنى أنه لو فرض شيء يسبق القدر ويغلبه لكان الحسد في زعم الحاسد أن يقلب القدر، وفي الجامع الصغير بلفظ: «وكاد الحسد أن يكون سبق القدر» على ما رواه أبو نعيم في الحلية[2]؛ والمناسبة بين القرينتين أن الحسد غالباً ينشأ من الفقر وقد يكون من أنواع الكفر، فإنه يريد زوال نعمة الله عن عبده، فهو معارضة بالقضاء أو منازعة بالقدر في حق نفسه وفي حق غيره، فالحسد أقرب إلى الكفر من الفقر المجردة، فالترتيب الذكري للترقي أو لكون الأول سبباً لحصول الثاني مع أن الحسد مرض مزمن لا يرجى برؤه، والفقر قد يبدل بالغنى أو بالصبر والرضا، وهو الذي عليه أكثر الأنبياء أو غالب الأولياء حتى اجتمعت الصوفية على أن الفقير الصابر أفضل من الغني الشاكر، وعليه أيضاً أكثر العلماء والله أعلم. وأما حديث: «الفقر فخري وبه افتخر» فباطل موضوع، كما قاله الحافظ العسقلاني وغيره.

(١) البخاري في ٨/ ٦٥٧ الحديث رقم ٤٩١٣.

(٢) أبو نعيم في الحلية ٣/ ١٠٩.

٥٠٥٢ ـ (٢٦) وعن جابرٍ، عن رسول الله ﷺ قال: «مَن اعتذَرَ إلى أخيهِ فلمْ يعذُرْه، أو لم يقبلْ عذرَه؛ كانَ عليه مثلُ خطيئةِ صاحبِ مَكْسٍ». رواهُما البيهقيُّ في «شعب الإيمان» [٣٧٨ ـ أ ـ]، وقال: المَكَّاسُ: العشَّارُ.

٥٠٥٢ ـ **(وعن جابر عن رسول الله ﷺ قال: «من اعتذر إلى أخيه»)** أي المسلم **(«فلم يعذره»)** بفتح الياء وبضم وكسر الذال **(«أو لم يقبل عذره»)** شك من الراوي، وهو تفسير لما قبله **(«كان عليه مثل خطيئة صاحب مكس»)** بفتح الميم أي صاحب عشر، ولما كان الغالب عليه الظلم وعدم العمل بالعلم أطلق ذمه، أو المراد بالمكس أخذ مال الناس بالظلم، ثم رأيت القاموس فقال: المكس النقص والظلم. **(رواه البيهقي في شعب الإيمان)**. وفي الجامع رواه ابن ماجه والضياء عن جودان ولفظه: «من اعتذر إليه أخوه بمعذرة فلم يقبلها كان عليه من الخطيئة مثل صاحب مكس»[1]. **(قال:)** أي البيهقي في تفسير حديثه: **(«المكاس العشار»)** وفي بعض الأصول الماكس العشار، ولعل المناسبة التشبيهية إن صاحب المكس أيضاً لم يقبل اعتذار التاجر في قوله: «إن ماله مال أمانة أو أخذ منه في بندر آخر أو أنه مديون»، ونحو ذلك، وكون المشبه به أقوى هو أنه مع هذا يظلم عليه بأخذ ماله مع التعدي إلى الزائد؛ ونقل ميرك عن المنذري إن حديث جابر رواه الطبراني أيضاً في الأوسط، وروي عن عائشة مرفوعاً «من اعتذر إلى أخيه المسلم فلم يقبل عذره لم يرد علي الحوض». رواه الطبراني في الأوسط، وروي عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا أنبئكم بشراركم قالوا: بلى إن شئت يا رسول الله. قال: إن شراركم الذي ينزل وحده ويجلد عبده ويمنع رفده، ألا أنبئكم بشر من ذلك قالوا: بلى إن شئت يا رسول الله، قال: من يبغض الناس ويبغضونه، قال: أفلا أنبئكم بشر من ذلك قالوا: بلى إن شئت يا رسول الله، قال: الذين لا يقيلون عثرة ولا يقبلون معذرة ولا يغفرون ذنباً، قال: أفلا أنبئكم بشر من ذلك قالوا: بلى يا رسول الله، قال: من لا يرجى خيره ولا يؤمن شره». رواه الطبراني وغيره، وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «عفوا عن نساء الناس تعف نساؤكم، وبروا آباءكم يبركم أبناؤكم، ومن أتاه أخوه متنصلاً فليقبل ذلك محقاً كان أو مبطلاً فإن لم يفعل لم يرد علي الحوض». رواه الحاكم وقال: صحيح الإسناد. والتنصل الاعتذار.

الحديث رقم ٥٠٥٢: أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ٦/ ٣٢١ الحديث رقم ٨٣٣٨.

(١) أخرجه ابن ماجه في السنن ٢/ ١٢٢٥ الحديث رقم ٣٧١٨.

(١٨) باب الحذر والتأني في الأمور

الفصل الأول

٥٠٥٣ ـ (١) عن أبي هريرة، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «لا يُلدَغُ المؤمنُ من جُحْرٍ واحدٍ مرَّتين»⁽¹⁾.

باب الحذر والتأني في الأمور

الحذر الاحتراس من الضرر، والتأني ضد العجلة من تأنى في الأمر إذا توقف فيه.

(الفصل الأول)

٥٠٥٣ ـ (عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يلدغ المؤمن») برفع الغين على النفي، ويروى بكسر الغين على النهي، والمراد بالمؤمن الكامل في عقله («من جحر») بضم جيم وسكون حاء أي ثقب وخرق («واحد مرتين») أي كرتين أو مرة بعد أخرى. قال الخطابي: هذا يروى على وجهين أحدهما على الخبر، وهو أن المؤمن الممدوح هو المتيقظ الحازم الذي لا يؤتى من ناحية الغفلة فيخدع مرة بعد أخرى ولا يفطن هو به، وقد قيل: إنه الخداع في أمر الآخرة دون أمر الدنيا، وثانيهما على النهي أي لا يخدعن المؤمن ولا يؤتين من ناحية الغفلة فيقع في مكروه، وهذا يصلح أن يكون في أمر الدنيا والآخرة. قال التوربشتي: وأرى أن الحديث لم يبلغ الخطابي على ما كان عليه، وهو مشهور عند أهل السير، وذلك أن النبي ﷺ: «منّ على بعض أهل مكة، وهو أبو غرة الشاعر الجمحي، وشرط عليه أن لا يحرض عليه، فلما بلغ ما منه عاد إلى ما كان عليه، فأسر تارة أخرى، فأمر بضرب عنقه، فكلمه بعض الناس في المنّ عليه فقال: «لا يلدغ المؤمن». الحديث. وروى النووي عن القاضي عياض هذه القصة وقال: سبب هذا الحديث معروف، وهو أن النبي ﷺ أسر أبا غرة الشاعر يوم بدر فمنّ عليه وعاهده أن لا يحرض عليه ولا يهجوه فأطلقه، فلحق بقومه ثم رجع إلى التحريض والهجاء، ثم أسر يوم أحد فسأله المنّ فقال النبي ﷺ: «لا يلدغ المؤمن» الحديث. وهذا السبب يضعف الوجه الثاني. ذكره الطيبي ولم يظهر لي وجه ضعفه على أنه قد يقال: العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب وإلا لكان المؤمن مختصاً به عليه السلام لكونه أخبر عن

---

(١) الحاكم في المستدرك ٤/ ١٥٤.

الحديث رقم ٥٠٥٣: أخرجه البخاري في صحيحه ١٠/ ٥٢٩ الحديث رقم ٦١٣٣، ومسلم في ٤/ ٢٢٩٥ الحديث رقم (٦٣ ـ ٢٩٩٨)، وأبو داود في السنن ٥/ ١٨٥ الحديث رقم ٤٨٦٢، وابن ماجه في ٢/ ١٤٠١ الحديث رقم ٤١٨٩، وأحمد في المسند ٢/ ٣٧٩.

متفق عليه.

٥٠٥٤ ـ (٢) وعن ابنِ عبّاسٍ، أنَّ النبيَّ ﷺ قال لأشجِّ عبدِ القيس: «إنَّ فيكَ لخصلتَينِ يُحبُّهما اللهُ: الحلمُ والأناةُ». رواه مسلم.

الفصل الثاني

٥٠٥٥ ـ (٣) عن سهلِ بن سعدٍ الساعديِّ، أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «الأناةُ منَ اللهِ

نفسه، وقد أطنب الطيبي في نصرة الخطابي إلى أن قال: فظهر أن القول بالنهي أولى والمقام له أدعى اهـ، وبعده لا يخفى. (متفق عليه). ورواه أحمد وأبو داود والترمذي عنه وأحمد أيضاً وابن ماجه عن ابن عمر.

٥٠٥٤ ـ (وعن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ)، وفي نسخة أن النبي (ﷺ قال: «لأشج عبد القيس»)، بالإضافة، وهو كان رئيس عبد القيس، وهي قبيلة، وفي نسخة بالفتح على أنه غير منصرف، وأن عبد القيس بدل منه أو عطف بيان له على حذف مضاف أي رئيس عبد القيس واسمه المنذر بن عائذ، ولم يذكره المؤلف. («إن فيك لخصلتين يحبهما الله») أي فيك وفي غيرك («الحلم») وهو بكسر الحاء تأخير مكافأة الظالم في الأصل، ثم يستعمل في العفو عن الذنب. قيل: والمراد به هنا عدم استعجاله وتراخيه حتى ينظر في مصالحه، قلت: فيبقى مكرراً مع قوله: («والأناة») بفتح الهمزة على وزن نواة، وهي اسم من التأني فقيل: معناه الوقار والتثبت، وقيل: الثبات في الطاعات، وقيل: المراد جودة نظره في العواقب، وضبطا في أصل السيد بالرفع فيهما وجوز نصبهما، لكن الأظهر هو النصب على البدلية من الخصلتين كما حقق في قوله تعالى: ﴿الحمد لله رب العالمين﴾ وفي حديث «بني الإسلام على خمس»[١]. هذا وفي شرح السنة روي عن المنذر الأشج أنه قال: «يا رسول الله أنا أتخلق بهما أم الله جبلني عليهما؟ قال: الله جبلك عليهما قال: الحمد لله الذي جبلني على خلقين يحبهما الله ورسوله» اهـ وإنما عطف رسوله عليه لأن محبته ﷺ تابعة لمحبته تعالى لا تنفك عنها. (رواه مسلم) وكذا الترمذي.

(الفصل الثاني)

٥٠٥٥ ـ (عن سهل بن سعد الساعدي) صحابيان (أن النبي ﷺ قال: «الأناة من الله») أي

الحديث رقم ٥٠٥٤: أخرجه مسلم في صحيحه ١/ ٤٩ الحديث رقم (٢٥ ـ ١٧)، والترمذي في السنن ٤/ ٣٢٢ الحديث رقم ٢٠١١، وابن ماجه ٢/ ٤٠١ الحديث رقم ٤١٨٧، وأحمد في المسند ٣/ ٢٣.

(١) متفق عليه.

الحديث رقم ٥٠٥٥: أخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٣٢٢ الحديث رقم ٢٠١٢.

والعَجلةُ منَ الشيطان». رواه الترمذيّ، وقال: هذا حديثٌ غريبٌ. وقد تكلَّمَ بعضُ أهلِ الحديث في عبدِ المهيمن بن عبّاسٍ الرّاوي من قِبَلِ حفظِه.

٥٠٥٦ ـ (٤) وعن أبي سعيدٍ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «لا حليمَ إلا ذو عثرةٍ، ولا حكيمَ إلا ذو تجربةٍ». رواه أحمد، والترمذي، وقال: هذا حديثٌ حسن غريب.

٥٠٥٧ ـ (٥) وعن أنسٍ، أنَّ رجلاً قال للنبيِّ ﷺ: أوْصِني. فقال: «خُذِ الأمرَ بالتَّدبيرِ،

من إلهامه («والعجلة») أي في أمور الدنيا («من الشيطان») أي وسوسته، قيل: ويستثنى من ذلك ما لا شبهة في خيريته، قال تعالى: ﴿إنهم كانوا يسارعون في الخيرات﴾ [الأنبياء ـ ٩] قلت: بون بين المسارعة والمبادرة إلى الطاعات وبين العجلة في نفس العبادات، فالأول محمود والثاني مذموم. (رواه الترمذي وقال: هذا حديث غريب). قال ميرك: وفي بعض النسخ: حسن غريب. (وقد تكلم بعض أهل الحديث) أي من العارفين بأحوال رجال الإسناد (في عبد المهيمن بن عباس الراوي) بسكون الياء أي أحد رواة هذا الحديث («من قبل حفظه») أي وقع طعن البعض فيه من جهة حفظه، فإنه عدل ثقة فأمره سهل، وقد رواه البيهقي في شعب الإيمان عن أنس مرفوعاً ولفظه: «التأني من الله والعجلة من الشيطان»[١].

٥٠٥٦ ـ (وعن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: «لا حليم إلا ذو عثرة») بفتح العين وسكون المثلثة أي صاحب زلة قدم أو لغزة قلم في تقريره أو تحريره. قال الشارح: أي «لا حليم كاملاً إلا من وقع في زلة وحصل منه الخطأ والتخجل». فعفى عنه فعرف به رتبة العفو فيحلم عند عثرة غيره لأنه عند ذلك يصير ثابت القدم، («ولا حكيم إلا ذو تجربة») أي صاحب امتحان في نفسه وفي غيره، قال الشارح: أي لا حكيم كاملاً إلا من جرب الأمور وعلم المصالح والمفاسد فإنه لا يفعل فعلاً إلا عن حكمة إذ الحكمة أحكام الشيء وإصلاحه عن الخلل اهـ، وهو موافق لما في النهاية وشرح المظهر، لكن ينبغي أن يقال: لا حليم ولا حكيم من المخلوقين إلا كذا ليصح الحصر، وقد عرفت وصفه تعالى بهما في الأسماء الحسنى ويمكن أن يقال: المعنى لا حليم إلا وقد يعثر، كما قيل: «نعوذ بالله من غضب الحليم»، ولا حكيم من الحكماء الطبية إلا صاحب التجربة في الأمور الدنيئة والذاتية والله أعلم. (رواه أحمد والترمذي وقال: هذا حديث حسن غريب) وكذا ابن حبان في صحيحه والحاكم في مستدركه[٢].

٥٠٥٧ ـ (وعن أنس أن رجلاً قال للنبي ﷺ: «أوصني») أي بشيء يزيل تحيري في أمري («فقال: خذ الأمر») أي الذي تريد أن تفعله («بالتدبير») من باب التفعيل أي بالتفكر في دبره

---

(١) البيهقي في الشعب ٤/ ٨٩ الحديث رقم ٤٣٦٧.

الحديث رقم ٥٠٥٦: أخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٣٣٢ الحديث رقم ٢٠٣٣، وأحمد في المسند ٣/ ٦٩.

(٢) أخرجه ابن حبان في ١/ ٤٢١ الحديث رقم ١٩٣، والحاكم في المستدرك ٤/ ٢٩٣.

الحديث رقم ٥٠٥٧: أخرجه البغوي في شرح السنة ١٣/ ١٧٥ الحديث رقم ٣٦٠٠.

فإنْ رأيتَ في عاقبتِه خيراً فأمضِه، وإنْ خِفْتَ غيّاً فأمسِكْ» رواه في «شرح السنة».

٥٠٥٨ ـ (٦) وعن مصعب بن سعدٍ، عن أبيهِ، قال الأعمشُ: لا أعلمُه إلا النبيَّ ﷺ قال: «التُّؤَدَةُ في كلِّ شيءٍ خيرٌ إلاَّ في عملِ الآخرةِ».

والتأمل في مصالحه ومفاسده والنظر في عاقبة أمره («فإن رأيت في عاقبته خيراً») أي نفعاً دنيوياً أو أخروياً («فامضه») بقطع الهمزة أي فافعله («وإن خفت») أي رأيت بقرينة القرينة، ففيه تفنن، وما أحسن موقعه في الشر المعبر عنه بقوله: («غياً») أي ضلالة، وإنما ترك مراعاة المقابلة ليفيد زيادة إفادة المشاكلة، فكأنه قال: في الأول خير وهداية، وفي الثاني شر وضلالة، وهذا بعض الصنيع من صنائع البديع ثم قوله: رأيت بمعنى علمت أو ظننت، والثاني أظهر لأن مبنى الأمور الشرعية غالبها، والمطالب العرفية كلها إنما هو على الظن لا سيما بالنسبة إلى المخاطب، فإن أرباب اليقين في كل قضية لا يوجد إلا من الأنبياء، وكمل العارفين مع أن حكم العلم يعلم بالأولى كما لا يخفى، وقال الطيبي: الخوف هنا بمعنى الظن كما في قوله تعالى: ﴿إلا أن يخافا أن لا يقيما حدود الله﴾ [البقرة ـ ٢٢٩]، ويجوز أن يكون بمعنى العلم واليقين لأن من خاف من شيء احترز عنه وتحرى حقيقته اهـ. وفيه بحث ليحقق حقيقته، قال: وهذا أنسب بالمقام لأنه وقع في مقابلة رأيت وهو بمعنى العلم وهما نتيجة التفكر والتدبير قلت: بل هما المتفرعان عليهما المنتجان للفعل المعبر عنه بالإمضاء، والترك المعبر عنه بقوله: («فامسك») أي كف عنه واتركه. (رواه في شرح السنة)، وذكر السيوطي المرفوع في الجامع الصغير وقال: رواه عبد الرزاق في الجامع وابن عدي في الكامل والبيهقي في شعب الإيمان[1].

٥٠٥٨ ـ (وعن مصعب) بصيغة المفعول أبو زارة (بن سعد) أي ابن أبي وقاص (عن أبيه) أي سعد، وهو أحد العشرة المبشرة، وأما مصعب فسمع أباه وعلياً وابن عمر، وروى عنه سماك بن حرب وغيره (قال الأعمش:) أي أحد الرواة، وهو تابعي جليل، قال المؤلف: اسمه سليمان بن مهران الكاهلي الأسدي مولى بني كاهل بطن من بني أسد خزيمة ولد سنة ستين بأرض الري، فجيء به حميلاً إلى الكوفة، فاشتراه رجل من بني كاهل فأعتقه، وهو أحد الأعلام المشهورين بعلم الحديث والقراءة، وعليه مدار أكثر الكوفيين، روى عنه خلق كثير مات سنة ثمان وأربعين ومائة («لا أعلمه») أي قول سعد هذا («إلا عن النبي ﷺ») أي نقلاً ورواية عنه، أو لا أعلم الحديث إلا مرفوعاً إليه عليه السلام («قال التؤدة») بضم التاء وفتح الهمزة أي التأني («في كل شيء») أي من الأعمال («خير») أي مستحسن («إلا في عمل الآخرة») أي لأن في تأخير الخيرات آفات، وروي أن أكثر صياح أهل النار من تسويف العمل. قال الطيبي: وذلك لأن الأمور الدنيوية لا يعلم عواقبها في ابتدائها أنها محمودة العواقب حتى

---

(١) الجامع الصغير ٢/ ٢٣٦ الحديث رقم ٣٨٨٥.

الحديث رقم ٥٠٥٨: أخرجه أبو داود في السنن ٥/ ١٧٥ الحديث رقم ٤٨١٠.

رواه أبو داود.

٥٠٥٩ ـ (٧) وعن عبد الله بن سَرجِس، أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «السَّمْتُ الحسَنُ والتُّؤَدَةُ والاقتصادُ جزءٌ من أربعٍ وعشرين جزءاً

يتعجل فيها، أو مذمومة فيتأخر عنها بخلاف الأمور الأخروية لقوله تعالى: ﴿**فاستبقوا الخيرات وسارعوا إلى مغفرة من ربكم**﴾ [آل عمران ـ ١٣٣] قال الغزالي: في قوله تعالى: ﴿**الشيطان يعدكم الفقر**﴾ [البقرة ـ ٢٦٨] ينبغي للمؤمن إذا تحركت له داعية البذل أن لا يتوقف لأن الشيطان يعده الفقر ويخوفه ويصده عنه، كأن أبو الحسن الفرشخي في الخلاء فدعا تلميذاً له فقال: «انزع عني القميص وادفعه إلى فلان فقال: هلا صبرت حتى تخرج قال: خطر لي بذله ولا آمن على نفسي أن تتغير». (**رواه أبو داود**)، وكذا الحاكم في مستدركه، والبيهقي في شعب الإيمان عن سعد مرفوعاً[١].

٥٠٥٩ ـ (**وعن عبد الله بن سرجس**) كنرجس بكسر الجيم وفتح السين، وفي نسخة بفتح الجيم وكسر السين وسبق تحقيقه (**أن النبي ﷺ قال: «السمت الحسن»**) أي السيرة المرضية والطريقة المستحسنة. قال شارح: السمت الطريق، ويستعار لهيئة أهل الخير، وفي الفائق السمت أخذ المنهج ولزوم المحجة (**«والتؤدة»**) أي التأني في جميع الأمور (**«والاقتصاد»**) أي التوسط في الأحوال والتحرز عن طرفي الإفراط والتفريط. قال التوربشتي: الاقتصاد على ضربين أحدهما ما كان متوسطاً بين محمود ومذموم كالمتوسط بين الجور والعدل والبخل والجود وهذا الضرب أريد بقوله تعالى: ﴿**ومنهم مقتصد**﴾ [فاطر ـ ٣٢] والثاني محمود على الإطلاق وذلك فيما له طرفان إفراط وتفريط كالجود، فإنه بين الإسراف والبخل والشجاعة، فإنها بين التهوّر والجبن، وهذا الذي في الحديث هو الاقتصاد المحمود على الإطلاق قلت: ومن هذا القبيل الاقتصاد في الاعتقاد، فإنه بين التعطيل والتشبيه وبين الجبر والقدر والاقتصاد في المعيشة ومنه قوله تعالى: ﴿**والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً**﴾ [الفرقان ـ ٦٧] منه حديث: «الاقتصاد في النفقة نصف المعيشة»، وحديث: «ما عال من اقتصد»[٢] وكذا حكم الاقتصاد في سائر الأفعال، ومنه قوله تعالى: ﴿**واقصد في مشيك واغضض من صوتك**﴾ [لقمان ـ ١٩] وقوله عزَّ وجلَّ: ﴿**كلوا واشربوا ولا تسرفوا**﴾ [الأعراف ـ ٣١] وقال بعض العارفين: «اطلب العلم بحيث لم يمنعك عن العمل واعمل بحيث لم يشغلك عن العلم». (**«جزء»**) أي كلها أو كل منها (**«من أربع وعشرين جزءاً»**)، ويؤيد الأخير ما رواه الضياء عن أنس مرفوعاً: «السمت الحسن جزء من خمسة وسبعين جزءاً من النبوّة» مع

---

(١) الحاكم في المستدرك ١/ ٦٤.

الحديث رقم ٥٠٥٩: أخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٣٢٢ الحديث رقم ٢٠١٠، ومالك في الموطأ ٢/ ٩٥٤ الحديث رقم ١٧ من كتاب الشعر.

(٢) شعب الإيمان ٥/ ٢٥٥ الحديث رقم ٦٥٦٩.

من النُّبوة». رواه الترمذي.

٥٠٦٠ ـ (٨) وعن ابنِ عبّاسٍ، أنَّ نبيَّ الله ﷺ قال: «إنَّ الهَدْيَ الصالحَ والسَّمتَ الصالحَ والاقتصادَ جزءٌ مِنْ خمسٍ وعشرينَ جزءاً مِنَ النبوَّة». رواه أبو داود.

٥٠٦١ ـ (٩) وعن جابرِ بن عبدِ الله، عن النبيِّ ﷺ، قال: «حدَّثَ الرجلُ

زيادة إفادة أن المراد بالعدد المذكور التكثير لا التحديد، وينصره الحديث الآتي حيث قال: جزء من خمس وعشرين على أنه يمكن الاختلاف بحسب اختلاف الكمية والكيفية الحاصلة في المتصف به، وأما ما قال شارح من أن التفاوت بين العددين من خمس وأربع يحتمل أن يكون من غلط الرواة، فهو احتمال غلط منه، وسببه الغفلة عما ذكرناه نقلاً وعقلاً والله أعلم. قال القاضي: كان الصواب أن يقول: أربعة على التذكير، فلعله أنث على تأويل الخصلة أو القطعة أو لإجراء الجزء مجرى الكل في التذكير والتأنيث، قلت: التأويلات كلها مستحسنة، وأما قوله: وكان الصواب فخطأ ظاهر لا يخفى («من النبوة») أي من أجزائها. قال الخطابي: الهدى والسمت حالة الرجل ومذهبه، والاقتصاد سلوك القصد في الأمور والدخول فيها برفق على سبيل تمكن الدوام عليها، يريد أن هذه الخصال من شمائل الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وأنها جزء من أجزاء فضائلهم فاقتدوا بهم فيها وتابعوهم عليها وليس معناه أن النبوّة تتجزأ ولا أن من جمع هذه الخصال كان نبياً فإن النبوّة غير مكتسبة، وإنما هي كرامة يخص الله بها من يشاء من عباده والله أعلم حيث يجعل رسالته، ويحتمل أن يكون معناه أن هذه الخلال مما جاءت به النبوّة ودعا إليها الأنبياء، وقيل: معناه أن من جمع هذه الخصال[1] لقيه الناس بالتوقير والتعظيم، وألبسه الله لباس التقوى الذي ألبس أنبياءه عليهم الصلاة والسلام، فكأنها جزء من النبوّة. قال التوربشتي: والطريق إلى معرفة ذلك العدد ووجهه بالاختصاص من قبل الرأي والاستنباط مسدود، فإنه من علوم النبوّة، وقد سبق القول في هذا المعنى في كتاب الرؤيا. (رواه الترمذي).

٥٠٦٠ ـ (وعن ابن عباس أن نبي الله ﷺ قال: «إن الهدى») بفتح فسكون («الصالح») أي السيرة الحسنة («والسمت الصالح») أي الطريقة المستحسنة من زي الصالحين، وحاصل الفرق بينهما أن الهدى متعلق بالأحوال الباطنة والسمت بالأخلاق الظاهرة فهما في الطريقة بمنزلة الإيمان والإسلام في الشريعة، والجمع بينهما نور على نور وبه تتم الحقيقة («والاقتصاد») أي التوسط في أمر المعيشة والمعاد («جزء من خمس»). وفي رواية الجامع خمسة بالتاء وهو الظاهر («وعشرين جزءاً من النبوّة». رواه أبو داود)، وكذا الحاكم.

٥٠٦١ ـ (وعن جابر بن عبد الله عن النبي ﷺ قال: «إذا حدث الرجل») أي عندك أو عند

---

(١) في المخطوطة «الخلال».

الحديث رقم ٥٠٦٠: أخرجه أبو داود في السنن ٥/ ١٣٦ الحديث رقم ٤٧٧٦، وأحمد في المسند ١/ ٢٩٦.

الحديث رقم ٥٠٦١: أخرجه أبو داود في السنن ٥/ ١٨٨ الحديث رقم ٤٨٦٨، والترمذي في السنن ٤/ ٣٠٦ الحديث رقم ١٩٥٩، وأحمد في المسند ٣/ ٣٧٩.

الحديثَ ثم التفتَ؛ فهي أمانةٌ». رواه الترمذي وأبو داود.

٥٠٦٢ ـ (١٠) وعن أبي هريرةَ، أنَّ النبيَّ ﷺ قال لأبي الهيثم بن التَّيِّهان: «هلْ لكَ خادمٌ؟» [٣٧٨ ـ ب ـ] فقال: لا. قال: «فإذا أتانا سَبيٌ فأتِنا» فأُتِيَ النبيُّ ﷺ برأسَين، فأتاهُ أبو الهيثم، فقال النبيُّ ﷺ: «اخترْ منهما». فقال: يا نبيَّ الله اخترْ لي منها فقال النبيُّ ﷺ: «إنَّ المستَشارَ مُؤتَمَنٌ. خُذْ هذا فإني رأيتُه يُصلي واستَوْصِ به معروفاً». رواه الترمذي.

أحد، وهو الأظهر («الحديث») أي الذي يريد إخفاءه («ثم التفت») أي غاب عنك أو عنه بمفارقة المجلس («فهي») أي ذلك الحديث، وأنث باعتبار خبره، وهو قوله: («أمانة»)، وقيل: لأن الحديث بمعنى الحكاية، والمعنى أن حكمة حكم الأمانة فلا يجوز إضاعتها بإشاعتها، وقد فسر المظهر قوله: «التفت» بغاب، وحينئذ ثم على بابه من التراخي المستفاد منه حكم التعقيب بالأولى؛ وقال الطيبي: والظاهر أن التفت هنا عبارة عن التفات خاطره إلى ما تكلم، فالتفت يميناً وشمالاً احتياطاً، ثم هنا للتراخي في الرتبة ويدل على هذا ترتب الفاء، وأن الثاني مسبب عن الأول، قلت: هذا تكلف ظاهر مستغنى عنه، فإن الحكم عام غير مخصوص بما يفهم منه، والفاء لازمة للجزاء فليس فيها دلالة على ما ادعاه أصلاً، وحاصله إجمالاً معنى الحديث الآتي المجالس بالأمانة ويستثنى منها ما سيأتي والله أعلم. (رواه الترمذي وأبو داود). وكذا أحمد والضياء عن جابر وأبو يعلى في مسنده عن أنس.

٥٠٦٢ ـ (وعن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال لأبي الهيثم بن التيهان) بفتح التاء المثناة الفوقية وكسر المثناة التحتية المشددة وبالنون، ذكره في جامع الأصول، وقد تقدم ترجمته في باب الضيافة، وهذا الحديث ذيل لذلك الحديث وقد بيناه هناك («هل لك خادم») أي عبد («قال: لا. قال: فإذا أتانا سبي») أي أسارى («فأتنا فأتي») أي جيء، («النبي ﷺ برأسين») أي من العبيد («فأتاه أبو الهيثم فقال النبي ﷺ اختر منهما») أي واحداً منهما أو بعضهما («فقال: يا نبي الله اختر لي») أي أنت أولى بالاختيار فإنك المصطفى المختار وعلى اختيارك المدار («فقال النبي ﷺ:») توطئة وتمهيد («إن المستشار») من استشاره طلب رأيه فيما فيه المصلحة («مؤتمن») اسم مفعول من الأمن أو الأمانة، ومعناه أن المستشار أمين فيما يسأل من الأمور فلا ينبغي أن يخون المستشير بكتمان مصلحته («خذ هذا») أي مشاراً إلى أحدهما («فإني رأيته يصلي»)، فيه أنه يستدل على خيرية الرجل بما يظهر عليه من آثار الصلاح لا سيما الصلاة، فإنها تنهى عن الفحشاء والمنكر («واستوص به معروفاً») أي استيصاء معروف، قيل: معناه لا تأمره إلا بالمعروف والنصح له، وقيل: وص في حقه بمعروف. كذا ذكره زين العرب. وقال الطيبي: أي اقبل وصيتي في حقه وأحسن ملكته بالمعروف. (رواه الترمذي) أي في جامعه،

الحديث رقم ٥٠٦٢: أخرجه أبو داود في السنن ٥/ ٣٤٥ الحديث رقم ٥١٢٨ مختصراً، وأخرجه الترمذي في ٤/ ٥٠٤ الحديث رقم ٢٣٦٩، وابن ماجه في ٢/ ١٢٣٣ الحديث رقم ٣٧٤٥ وأحمد في المسند ٤/ ١٧٢.

٥٠٦٣ ـ (١١) وعن جابرٍ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «المجالسُ بالأمانةِ إلا ثلاثةَ مجالسَ: سفكُ دمٍ حرامٍ، أو فرجٍ حرامٍ، أو اقتطاعُ مالٍ بغيرِ حقٍّ». رواه أبو داود.

وذُكر حديثُ أبي سعيدٍ: «إنَّ أعظمَ الأمانةِ» في باب «المباشرة» في «الفصل الأول».

الفصل الثالث

٥٠٦٤ ـ (١٢) عن أبي هريرةَ، عن النبيِّ ﷺ قال: «لمَّا خلقَ اللَّهُ العقلَ قال له: قُمْ،

وكذا في الشمائل مطولاً كما أوردناه في باب الضيافة، وفيه أنه أعتق العبد لأجل وصيته عليه السلام. وأما حديث «المستشار مؤتمن»، فقد رواه الأربعة عن أبي هريرة والترمذي عن أم سلمة وابن ماجه عن ابن مسعود، وفي رواية الطبراني في الكبير عن سمرة بلفظ «المستشار مؤتمن إن شاء أشار وإن شاء لم يشر»، وفي رواية له في الأوسط عن علي بلفظ: «المستشار مؤتمن فإذا استشير فليشر بما هو صانع لنفسه».

٥٠٦٣ ـ (**وعن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «المجالس بالأمانة إلا ثلاثة مجالس»**) أي إحدى الثلاثة من المجالس، والمعنى ينبغي للمؤمن إذا رأى أهل مجلس على منكر أن لا يشيع ما رأى منهم إلا ثلاثة مجالس (**«سفك دم»**) بالرفع بتقدير هي مجلس إراقة دم (**«حرام»**) بالجر صفة دم أي دم حرام سفكه أو دم محترم في الشرع (**«أو فرج حرام أو اقتطاع مال بغير حق»**) قيد للأخير فقط، ولعل العدول عن حرام هنا لأجل مفهومه من الحلال، فإن اقتطاع مال الناس ظلماً حرام سواء يكون المال حلالاً أو حراماً، فالجار متعلق بالاقتطاع كما لا يخفى. قال المظهر: كما إذا سمع من قال في مجلس أريد قتل فلان أو الزنا بفلانة أو أخذ مال فلان، فإنه لا يجوز ستر ذلك حتى يكونوا على حذر منه. (**رواه أبو داود**). وأما صدر الحديث وهو قوله: «المجالس بالأمانة»، فقد رواه الخطيب عن علي رضي الله عنه. (**ذكر حديث أبي سعيد: «إن أعظم الأمانة»**) أي «عند الله يوم القيامة الرجل يفضي إلى امرأته وتفضي إليه ثم ينشر سرها». رواه مسلم (**في باب المباشرة في الفصل الأول**). قال الطيبي: تنبيه على أن هذا الحديث جاء مكرراً في المصابيح وعلى أن إيراده في الصحاح أولى منه في الحسان، أقول: الظاهر أن المؤلف حول الحديث من هنا إلى ذلك الباب لأنه أنسب به، فهو اعتراض واعتذار لئلا يتوهم إسقاطه والله أعلم.

(الفصل الثالث)

٥٠٦٤ ـ (**عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «لما خلق الله العقل قال له: قم،**

الحديث رقم ٥٠٦٣: أخرجه أبو داود في السنن ٥/ ١٨٩ الحديث رقم ٤٨٦٩، والترمذي في ٤/ ٣٠١ الحديث رقم ١٩٥٩، وأحمد في المسند ٣/ ٣٤٢.

الحديث رقم ٥٠٦٤: أخرجه البيهقي في الشعب ٤/ ١٥٤ الحديث رقم ٤٦٣٣.

فقامَ، ثمَّ قال له: أدبِرْ، فأدبَرَ، ثمَّ قال له: أقبِلْ، فأقبلَ، ثمَّ قال له: أقعُدْ، فقعدَ، ثمَّ قال له: ما خلقتُ خلقاً هوَ خيرٌ منكَ ولا أفضلُ منكَ ولا أحسنُ منكَ، بكَ آخذُ، وبكَ أعطي، وبكَ أُعرفُ، وبكَ أعاتبُ، وبكَ الثَّوابُ، وعليكَ العقابُ».

فقام، ثم قال له: أدبر فأدبر، ثم قال له: أقبل فأقبل، ثم قال له: اقعد فقعد») ظاهر الحديث أنه خلق مجسداً مجسماً كما يخلق الموت على صورة كبش يذبح بين الجنة والنار، أو المراد بالقيام والقعود والإقبال والإدبار أمور معنوية حاصلة منه ناشئة عنه باعتبار اختلاف أرباب العقول، ولعل القيام كناية عن الظهور والقعود عن خفائه، والإقبال عن توجهه إلى شيء، والإدبار عن إعراضه عنه بحسب ما تعلق به المشيئة والإرادة الأزلية. قال الطيبي: المجموع كناية عن أن العقل هو محل التكليف، وإليه ينتهي الأوامر والنواهي، وبه يتم غرض خلق المكلفين من العبادة التي ما خلقت السموات والأرض إلا لأجلها، ويدل عليه ما بعده، قلت: الصواب وضع الحكمة موضع الغرض لأن أفعاله تعالى لا تعلل بالأغراض، **(ثم قال له: ما خلقت خلقاً هو خير منك»)** أي في حد ذاته، فإنه جوهر شريف يحتاج إليه الوضيع والشريف، ومن جملة الدلالة على كماله أن كل أحد يغضب من نسبة فقده أو نقصانه إليه **(«ولا أفضل منك»)** لحصول الفضائل والفواضل وزيادة العبادات والدرجات به **(«ولا أحسن منك»)** أي في حسن المعاشرة وتحسين المعاملة **(«بك»)** أي بسببك أو بقدرك **(«آخذ»)** أي العبادات من عبادي **(«وبك أعطي»)** أي الثواب والدرجات **(«وبك أعرف»)** بصيغة المجهول أي ذاتاً وصفة وحكماً **(«وبك أعاتب»)** أي على من أعاتب، فإن المجنون ونحوه لا عتب عليه **(«وبك الثواب»)** أي وصوله حال الإقبال، **(«وعليك العقاب»)** أي حصوله وقت الإدبار، واعلم أن شرف العقل إنما هو لكونه سبباً للعلم المنتج للعمل المؤدي إلى السعادة الأبدية، وسمي عقلاً لأنه يعقل صاحبه عما لا ينبغي كما يسمى نهية لأنه ينهى عن الفحشاء والمنكر، وقال الراغب: العقل يقال: للقوّة المتهيئة لقبول العلم، ويقال: للعلم الذي يستفيده الإنسان بتلك القوّة عقل. ولهذا قيل:

فإن العقل عقلان	فمطبوع ومسموع
ولا ينفع مسموع	إذا لم يك مطبوع
كما لا تنفع الشمس	وضوء العين ممنوع

وإلى الأوّل أشار بقوله عليه السلام: «ما خلق الله خلقاً أكرم عليه من العقل» وإلى الثاني أشار بقوله ﷺ: «ما كسب أحد شيئاً أفضل من عقل يهديه إلى هدى أو يرده عن ردي»[1]، وهذا العقل هو المعنى بقوله تعالى: **﴿وما يعقلها إلا العالمون﴾** [العنكبوت ـ ٤٣] قلت: الظاهر أنه كما لا ينفع مسموع بلا مطبوع كذلك لا ينفع مطبوع بلا مسموع. ألا ترى أن الحكماء مع زعمهم أنهم أكبر العقلاء ما نفعهم مجرد عقولهم المطبوعة من غير متابعتهم للأنبياء، وأقوالهم المسموعة. وقال تعالى: **﴿أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم﴾**

---

(١) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ٤/ ١٦١ الحديث رقم ٤٦٦٠.

وقد تكلم فيه بعض العلماء.

٥٠٦٥ ـ (١٣) وعن ابن عمر، قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ الرجلَ ليكونُ منْ أهل الصلاة والصوم والزكاة والحج والعمرة». حتى ذكر سهامَ الخير كلها: وما يُجزي يوم القيامة إلا بقدرِ عقله».

[الجاثية ـ ٢٣] ونظيره المشاهد لكل أحد، الأصم الخلقي فإنه ينتفع بعقله المطبوع وليس له حظ من العقل المسموع، ثم هذا الحديث رواه البيهقي في شعب الإيمان، كما أجمله المؤلف في آخر الفصل وقال هنا («وقد تكلم فيه») أي في ضعف هذا الحديث أو وقد طعن في ثبوته («بعض العلماء»)، ففيه تنبيه نبيه على اختلاف العلماء في حقه، لكن قال السخاوي في المقاصد: أنه كذب موضوع اتفاقاً[1] ثم رأيت في مختصر الشيخ محمد بن يعقوب الفيروز آبادي أنه قال: «أوّل ما خلق الله العقل»، الخ ضعيف «وما خلق الله خلقاً أكرم من العقل». للحكيم ضعيف، وفي شرح الطيبي قال الشيخ تقي الدين ابن تيمية: الحديث الذي ذكروه كذب موضوع عند أهل المعرفة بالحديث، كما ذكر ذلك أبو جعفر العقيلي وأبو حاتم السبتي وأبو الحسن الدارقطني وابن الجوزي وغيرهم اهـ. ووجه ذكر هذا الحديث في باب الحذر والتأني في الأمور ظاهر من نتائج العقل والله أعلم.

٥٠٦٥ ـ (وعن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الرجل ليكون من أهل الصلاة والصوم والزكاة والحج والعمرة حتى ذكر سهام الخير») أي أبوابه وأنواعه («كلها») أي جميعها («وما يجزي») بصيغة المجهول أي ما يثاب («يوم القيامة إلا بقدر عقله») أي بمقدار استعماله في هذه العبادات، ويحتمل أن يكون المراد بالعقل هنا المستفاد بالعقل فيفيد أن زيادة المثوبات والدرجات في العبادات باختلاف مراتب علوم أصحابها وعقول أربابها. قال الطيبي: إشارة إلى أن العقل المسموع لا ينفع كل النفع إلا بالعقل المطبوع لأنه هو المميز الذي يضع كل شيء في موضعه وبه تتفاوت صلاة عن صلاة وصدقة عن صدقة وصوم عن صوم، لأنه ربما يركع ركعة في مقام تفضل ألف ركعة في غيره، وكذلك الصدقة وغير ذلك من أعمال البرور بما يعمل ويظن به خيراً فيرجع عليه وبالاً. قلت: لا خفاء أن العقل المطبوع ليس له التمييز في الأمر المشروع، ولهذا لا يعتبر التحسين والتقبيح العقليان، فالمدار هنا على العقل المسموع لكن بمساعدة العقل المطبوع بأن يصلي على ما ينبغي من المعلوم في الشريعة، وفي مقام يليق به من المسموع في الطريقة، وكذا سائر العبادات والله أعلم بالنيات. فمدار كمال الصلاة مثلاً بعد مراعاة الشروط والأركان وواجباتها وسننها وآدابها المسموعة المعروفة على حضور القلب مع الله وقطع النظر عما سواه. فقد روى أحمد وأبو داود وابن حبان عن عمار بن ياسر مرفوعاً أن الرجل لينصرف وما كتب له إلا عشر صلاته تسعها ثمنها سبعها سدسها خمسها وربعها ثلثها

---

(١) المقاصد الحسنة ص١٣٤.

الحديث رقم ٥٠٦٥: أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ٤/ ١٥٥ الحديث رقم ٤٦٣٧.

٥٠٦٦ ـ (١٤) وعن أبي ذر، قال: قال لي رسول الله ﷺ: «يا أبا ذر! لا عقل كالتدبير، ولا ورع كالكفّ، ولا حسَب كحسن الخلق».

٥٠٦٧ ـ (١٥) وعن ابن عمر، قال: قال رسول الله ﷺ: «الاقتصاد في النفقة نصفُ المعيشة، والتودُّد إلى الناس نصفُ العقل، نصفها»[1]

٥٠٦٦ ـ (**وعن أبي ذر قال: قال لي:**) أي مخاطباً (**رسول الله ﷺ: «يا أبا ذر لا عقل كالتدبير»**). قال الطيبي: أراد بالتدبير العقل المطبوع لما سبق من أن العقل المسموع لا يعتد به ولا يحتسب لصاحبه إلا بالعقل المطبوع، قلت: وقد تقدم أن العقل المطبوع لا نفع له بدون العقل المسموع بل ربما ينفع المسموع بدون المطبوع كمن آمن بمجرد التقليد، فالمعنى لا عقل كعقل التدبير أي كالعقل الذي يصحبه التدبير وهو الذي ينظر في دبر الأمر وعاقبته، ويميز ما يحمد ويذم في الآخرة، ولا شك أن مداره على العقل المسموع (**«ولا ورع كالكف»**) أي ولا تورع عن المحرمات والشبهات مثل الكف عن المعاملات وترك المباحات إلا الضروريات (**«ولا حسب»**) أي لا مكرمة ولا شرف (**«كحسن الخلق»**) أي كمداراة الخلق مع مراعاة الحق. هذا وفي النهاية الورع في الأصل الكف عن المحارم والتحرج فيه ثم استعير للكف عن المباح والحلال، قلت: فالمراد بالورع في الحديث معناه الأصلي، وبالكف معناه العرفي على ما قررناه، ولما غفل الطيبي عما حررناه قال بعد كلام صاحب النهاية: فإن قلت: فعلى هذا الورع هو الكف فكيف قيل: ولا ورع كالكف قلت: الكف إذا أطلق فهم منه كف الأذى أو كف اللسان كما قال ﷺ: «كف هذا وأخذ بلسانه» كما قيل: ولا ورع كالصمت أو الكف عن أذى المسلمين ولا حسب كحسن الخلق أي لا مكارم مكتسبة كحسن الخلق مع الخلق، فالأول عام والثاني خاص. قلت: الصواب أن الأول خاص والثاني عام، لأن حسن الخلق شامل لجميع أنواع المستحسنات، ولذا ورد «الخلق الحسن أحسن الحسن». وقال تعالى: **﴿وإنك لعلى خلق عظيم﴾** [القلم ـ ٤] فكل الصيد في جوف الفرا والله أعلم.

٥٠٦٧ ـ (**وعن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «الاقتصاد في النفقة»**) أي في صرفها أو في الإنفاق (**«نصف المعيشة»**) وهو مقتبس من قوله تعالى: **﴿والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً﴾** [الفرقان ـ ٦٧] (**«والتودد إلى الناس»**) أي التحبب إلى المؤمنين الصالحين (**«نصف العقل»**) أي استعمال نصفه أو سبب تحصيل نصفه، فإنه

---

(١) أخرجه ابن حبان في صحيحه ٥/ ٢١٠ الحديث رقم ١٨٨٩، وأبو داود في السنن ١/ ٥٠٣ الحديث رقم ٧٩٦، وأحمد في المسند ٤/ ٣١٩.

الحديث رقم ٥٠٦٦: أخرجه ابن ماجه في السنن ٢/ ١٤١٠ الحديث رقم ٤٢١٨، والبيهقي في شعب الإيمان ٥/ ٢٧ الحديث رقم ٥٦٤٧.

الحديث رقم ٥٠٦٧: أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ٥/ ٢٥٤ الحديث رقم ٦٥٦٨.

وحسنُ السؤال نصفُ العلم» روى البيهقيُ الأحاديث الأربعة في «شعب الإيمان».

بالاستصحاب يحصل للعقل الاكتساب، فكان عقل المنفرد نصف العقل، فيكمل بعقل صاحبه، ولذا قيل: «علمان خير من علم واحد»، وكان بعض العارفين يقول لبعض تلاميذه: «أنا وأنت إنسان كامل لأنك حافظ القرآن وأنا مفسره»، ولعل هذا معنى ما رواه ابن أبي الدنيا في الإخوان عن سهل بن سعد مرفوعاً «المرء كثير بأخيه»، ولا شك أن مصاحبة أرباب الكمال تورث كمال العقل في جميع الأحوال (**«وحسن السؤال نصف العلم»**)، فإن السائل الفطن يسأل عما يهمه وما هو بشأنه أعني، وهذا يحتاج إلى فضل تميز بين مسؤول ومسؤول، فإذا ظفر بمبتغاه وفاز به كمل علمه، وعلى هذا يمكن أن يحمل قوله: «لا أدري نصف العلم» اهـ. والأظهر أن يقال: يفهم من حسن سؤال الطالب أن له مشاركة في العلم وأنه يريد أن يضيف إليه بقية العلم، وعلى هذا يمكن أن يحمل قوله: لا أدري نصف العلم بخلاف من يسأل من غير تأمل وحسن مقال، فإنه يكون نصاً على نقصان عقله وكمال جهله. حكي أن تلميذاً كان لأبي يوسف ساكتاً في المجلس فقال له: إذا أشكل عليك شيء فسل ولا تستح، فإن الحياء يمنع العلم، وكان الإمام يتكلم في تعريف الصوم أنه من الصبح إلى الغروب فقال: فإذا لم تغرب فإلى متى؟ فقال له: اسكت فإن سكوتك خير من كلامك. وما أحسن ما قال بعض أرباب الحال: «إن الجاهل إذا تكلم فهو كالحمار، وإذا سكت فهو كالجدار». هذا والصحيح في معنى قوله: «لا أدري نصف العلم» بيان أن العالم ولو بلغ مبلغ الكمال في العلم فإنه لا بد له من الجهل ببعضه، ففي ذلك جوابه لا أدري، وروى أنه ﷺ قال: «لا أدري أعزير نبي أم لا» وفي القرآن: ﴿**لا أدري ما يفعل بي ولا بكم**﴾ [الأحقاف - ٩] ﴿**وقل الروح من أمر ربي**﴾ [الإسراء - ٨٥] ﴿**وما أوتيتم من العلم إلا قليلا**﴾ [الإسراء - ٨٥] وقد حكي أن علياً كرم الله وجهه سئل عن شيء وهو على المنبر فقال: لا أدري، فقيل له: فإذا كنت لا تدري فلم صعدت المنبر؟ قال: إنما طلعت بقدر علمي، ولو صعدت بقدر جهلي لو صلت: السماء». وفي قول الملائكة ﴿**سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا**﴾ [البقرة - ٣٢] تنبيه على ذلك والله أعلم. (**روى البيهقي الأحاديث الأربعة في شعب الإيمان**). قلت: والحديث الأخير رواه الطبراني في مكارم الأخلاق عن ابن عمر أيضاً، وروى الخطيب عن أنس مرفوعاً «الاقتصاد نصف العيش وحسن الخلق نصف الدين» وروى أحمد عن ابن مسعود مرفوعاً «ما عال من اقتصد».

(١٩) باب الرفق والحياء وحسن الخلق

الفصل الأول

٥٠٦٨ ـ (١) عن عائشة [رضي الله عنها] أنَّ رسول الله ﷺ قال: «إنَّ الله تعالى رفيق يُحبُّ الرِّفق، ويعطي على الرفق

باب الرفق والحياء وحسن الخلق

الرفق بالكسر ضد العنف وهو المداراة مع الرفقاء ولين الجانب، واللطف في أخذ الأمر بأحسن الوجوه وأيسرها، وأما الحياء فقال الحكماء: هو تغير وانكسار يعتري الإنسان من خوف ما يلام به. وقال الجنيد: حالة تتولد من رؤية الآلاء والتقصير في شكل النعماء. وقال ذو النون: الحياء وجود الهيبة في القلب مع وحشة ما سبق منك إلى ربك. وقال الدقاق: هو ترك الدعوى بين يدي المولى، وأما حسن الخلق فقالوا: هو الانصاف في المعاملة وبذل الإحسان والعدل في الأحكام. والأظهر أنه هو الاتباع بما أتى به محمد ﷺ من أحكام الشريعة وآداب الطريقة وأحوال الحقيقة، ولذا لما سئلت عائشة رضي الله عنها عن خلقه ﷺ الوارد في حقه ﴿وإنك لعلى خلق عظيم﴾ [القلم ـ ٤] فقالت: كان خلقه القرآن[١] تعني أن كل ما فيه من خصله محمودة كان يتصف بها، وكل فعلة مذمومة فيه يجتنب عنها، ثم الاتباع بقدر المحبة وتوفيق المتابعة يأخذ كل سهمه ونصيبه، وقد أشار إلى ذلك الشاطبي [رحمه الله] في وصفه للقراء:

أولو البر والإحسان والصبر والتقى   حلاهم بها جاء القرآن مفصلاً

(الفصل الأوّل)

٥٠٦٨ ـ (عن عائشة أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله رفيق») أي لطيف بعباده يريد بهم اليسر ولا يريد بهم العسر فيسامحهم ولا يكلف فوق وسعهم، أو يحب أن يرفق العباد بعضهم بعضاً كما بينه بقوله («يحب الرفق») أي يرضى [به] ويثني عليه («ويعطي على الرفق») ي

---

(١) مسلم في صحيحه ١/ ٥١٢ الحديث رقم (١٣٩ ـ ٧٤٦).

الحديث رقم ٥٠٦٨: أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ٢٠٠١ الحديث رقم (٧٧ ـ ٢٥٩٣)، والرواية الثانية في ٤/ ٢٠٠٤ الحديث رقم (٧٨ ـ ٢٥٩٤)، وأبو داود في السنن ٥/ ١٥٥ الحديث رقم ٤٨٠٧ و٤٨٠٨، والترمذي في ٥/ ٥٨ الحديث رقم ٢٧٠١، وابن ماجه في ٢/ ١٢١٦ الحديث رقم ٣٦٨٨، والدارمي في ٢/ ٤١٦ الحديث رقم ٢٧٩٣، ومالك في الموطأ ٢/ ٩٧٩ الحديث رقم ٣٨ من كتاب الاستئذان، وأحمد في المسند ٦/ ١٧١.

ما لا يعطي على العُنْف، وما لا يعطي على ما سواه رواه مسلم.

المثوبات والمآرب أو من الأغراض والمطالب («وما لا يعطي على العنف») بالضم، وفي القاموس هي مثلثة العين ضد الرفق («وما لا يعطي على ما سواه») أي سوى الرفق وهو العنف، ففي الكلام زيادة مبالغة وتأكيد للحكم، والأظهر أن التقدير ما سوى الرفق من الخصال الحسنة. قال القاضي: والظاهر أنه لا يجوز إطلاق الرفيق على الله تعالى اسماً لأنه لم يتواتر، ولم يستعمل أيضاً على قصد الاسمية وإنما أخبر به عن تمهيداً للحكم الذي بعده فكأنه قال: هو الذي يرفق عباده في أمورهم فيعطيهم بالرفق ما لا يعطيهم على ما سواه، وإنما ذكر قوله: وما لا يعطي على ما سواه بعد قوله: ما لا يعطي على العنف ليدل على أن الرفق أنجح الأسباب كلها وأنفعها بأسرها. قال الطيبي: وفي معناه قول الشاعر:

يا طالب الرزق الهنيّ بقوة ... هيهات أنت بباطل مشغوف

أكل العقاب بقوة جيف الفلا ... ورعى الذباب الشهد وهو ضعيف

المعنى ينبغي للمرء أن لا يحرص في رزقه بل يكل أمره إلى الله تعالى الذي تولى القسمة في خلقه، فالنسر يأكل الجيفة بعنفه، والنحل يرعى العسل برفقه. قال التوربشتي: فإن قيل: فما معنى قوله عليه الصلاة والسلام: «أنت رفيق والله الطبيب»[١]، قلنا: الطبيب الحاذق بالشيء الموصوف، ولم يرد بهذا القول نفي هذا الاسم عمن[٢] يتعاطى ذلك وإنما حوّل المعنى من الطبيعة إلى الشريعة وبين لهم أن الذي يرجون من الطبيب فالله فاعله والمنان به على عباده، وهذا كقوله: فإن الله هو الدهر وليس الطبيب بموجود في أسماء الله سبحانه ولا الرفيق، فلا يجوز أن يقال في الدعاء: يا طبيب ولا يا رفيق اهـ. وفيه إيماء إلى أنه يجوز أن يقال: هو الطبيب وهو رفيق على منوال ما ورد. وأما قوله ﷺ في آخر كلامه عند خروجه من الدنيا: الرفيق الأعلى فيحتمل أن يراد به الله، وأن يراد به الملأ الأعلى، فمع الاحتمال لا يصح الاستدلال، وفي شرح مسلم للنووي قال المازري: لا يوصف الله سبحانه وتعالى إلا بما سمى به نفسه، أو سماه به رسوله ﷺ، أو أجمعت الأمة عليه، وأما لم يرد به أذن في إطلاقه ولا ورد منع فيه خلاف. منهم من قال: يبقى على ما كان قبل ورود الشرع، فلا يوصف به ولا يمنع منه، ومنهم من منعه؛ وبين الأصوليين خلاف في تسمية الله تعالى بما ثبت بخبر الآحاد فقال بعضهم: يجوز لأن الخبر الواحد عنه يقتضي العمل به، وبعضهم لا يجوز ذلك لأنه من باب العمليات فلا يثبت بالأقيسة وإن كانت يعمل بها في المسائل الفقهية العملية. قال النووي: والصحيح جواز تسمية الله تعالى رفيقاً وغيره مما يثبت بخبر الواحد. (رواه مسلم). وفي الجامع الصغير «إن الله رفيق يحب الرفق، ويعطي عليه ما لا يعطي على العنف». رواه البخاري في الأدب المفرد وأبو داود في جامعه عن عبد الله بن مغفل وابن ماجه وابن حبان عن أبي هريرة وأحمد في مسنده، والبيهقي في شعب الإيمان عن علي والطبراني عن أبي أمامة والبزار

---

(١) أخرجه أحمد في المسند ٤/ ١٦٣. (٢) في المخطوطة «من».

[٣٧٩ ـ أ ـ] وفي رواية له: قال لعائشة: «عليك بالرفق، وإيّاكِ والعُنْفَ والفحش إنّ الرِّفْقَ لا يكونُ في شيءٍ إلاّ زانه، ولا يُنزَع من شيءٍ إلا شانه».

٥٠٦٩ ـ (٢) وعن جرير، عن النبي ﷺ قال: «من يُحْرَمِ الرفقَ يُحرمِ الخير» رواه مسلم.

٥٠٧٠ ـ (٣) وعن ابن عمر، أنّ رسول الله ﷺ مرّ على رجلٍ من الأنصار وهو يَعِظ أخاه في الحياء،

عن أنس فكاد الحديث أن يكون متواتراً عند بعضهم[١]. (وفي رواية له) [أي] لمسلم («قال لعائشة: عليك بالرفق وإياك والعنف والفحش») أي المتولد منه («إن الرفق») استئناف بيان («لا يكون») أي لا يوجد («في شيء») أي من الذوات والأعراض («إلا زانه») أي زينه وكمله («ولا ينزع») بصيغة المجهول أي لا يفقد ولا يعدم («من شيء إلا شانه») أي عيبه ونقصه قال الطيبي: قوله: يكون يحتمل أن تكون تامة وفي شيء متعلق بها، وأن تكون ناقصة وفي [شيء] خبر كان، فالاستثناء مفرغ من أعم عام وصف الشيء أي لا يكون الرفق مستقراً في شيء يتصف بوصف من الأوصاف إلا بصفة الزينة، وفي الجامع الصغير «عليك بالرفق وإياك والعنف والفحش». رواه البخاري في الأدب المفرد عن عائشة[٢]. وروى مسلم عن عائشة «عليك بالرفق إن الرفق لا يكون في شيء». الحديث والله أعلم.

٥٠٦٩ ـ (وعن جرير عن النبي ﷺ قال: «من يحرم») بصيغة المجهول مجزوماً وقيل مرفوعاً («الرفق») بالنصب على أنه مفعول ثان أي من يصير محروماً منه («يحرم الخير») أي كله كما في الجامع الصغير ففيه فضل الرفق. والحث على التخلق به وذم العنف، وإن الرفق سبب كل خير. (رواه مسلم)، وكذا أحمد وأبو داود وابن ماجه.

٥٠٧٠ ـ (وعن ابن عمر أن رسول الله ﷺ مر على رجل من الأنصار وهو يعظ أخاه) أي ينصحه (في الحياء) بأن لا يكثر منه، فإن الحياء يمنع الرزق ويمنع العلم على ما روى. قال الطيبي: أي ينذره. قال الراغب: الوعظ زجر مقترن بتخويفه؛ وقال الخليل: هو التذكير بالخير فيما يرق له القلب اهـ. كلامه. والوعظ هنا بمعنى العتاب لما جاء في شرح السنة، مر رسول

---

(١) الجامع الصغير ١/ ١٠٩ الحديث رقم ١٧٤٣.

(٢) الجامع الصغير ٢/ ٣٤٠ الحديث رقم ٥٥٠٤.

الحديث رقم ٥٠٦٩: أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ٢٠٠٣ الحديث رقم (٧٤ ـ ٢٥٩٢)، وأبو داود في السنن ٥/ ١٥٧ الحديث رقم ٤٨٠٩، وابن ماجه في ٢/ ١٢١٦ الحديث رقم ٣٦٨٧، وأحمد في المسند ٤/ ٣٦٢.

الحديث رقم ٥٠٧٠: أخرجه البخاري في صحيحه ١/ ٧٤ الحديث رقم ٢٤، ومسلم في ١/ ٦٣ الحديث رقم (٥٩/ ٣٦) وأبو داود في السنن ٥/ ١٤٧ الحديث رقم ٤٧٩٥، والترمذي في ٤/ ٣٢٩ الحديث رقم ٢٠٢٧ والنسائي في ٨/ ١٢١ الحديث رقم ٥٠٣٣، وابن ماجه في ١/ ٢٢ الحديث رقم ٥٨ ومالك في الموطأ ٢/ ٩٠٥ الحديث رقم ١٠ من كتاب حسن الخلق، وأحمد في المسند ٢/ ١٤٧.

فقال رسول الله ﷺ: «دَعْهُ فإنَّ الحياء من الإيمان» متفق عليه.

٥٠٧١ ـ (٤) وعن عمران بن حصين، قال: قال رسول الله ﷺ: «الحياء لا يأتي إلاّ بخير». وفي روايةٍ: «الحياءُ خيرٌ كلُّه». متفق عليه.

الله ﷺ برجل وهو يعاتب أخاه في الحياء ويقول: إنه ليستحي [يعني] كأنه يقول: قد أضربك (فقال رسول الله ﷺ: «دعه») أي اتركه («على حاله») من كثرة الحياء («فإن الحياء من الإيمان») أي بعضه أو من شعبه قال النووي: يعظه في الحياء أي ينهاه عنه ويقبح له فعله ويزجره عن كثرته، فنهاه النبي ﷺ عن ذلك أي دعْه على فعل الحياء وكف عن نهيه، ووقعت لفظة دعه في البخاري ولم تقع في مسلم. (متفق عليه). قلت: أما قوله: الحياء من الإيمان، فقد رواه الترمذي أيضاً عن ابن عمر وكذا الترمذي والحاكم والبيهقي عن أبي هريرة والبخاري في الأدب المفرد، وابن ماجه والحاكم والبيهقي عن أبي بكرة الثقفي والطبراني والبيهقي عن عمران بن حصين وابن عساكر عن أبي هريرة.

٥٠٧١ ـ (وعن عمران بن حصين قال: قال رسول الله ﷺ: «الحياء لا يأتي إلا بخير») أي لا يغري الإنسان إلا بخير، والحياء تغير وانكسار يعتري الإنسان من خوف ما يعاب به ويذم. ذكره الطيبي. وقال النووي قد يشكل[1] على بعض الناس هذا الحديث من حيث إن صاحب الحياء قد يستحيي أن يواجه بالحق من يجله ويعظمه فيترك أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر، وقد يحمله الحياء على الإخلال ببعض الحقوق وغير ذلك مما هو معروف في العادة. والجواب ما أجاب عنه جماعة من العلماء منهم الشيخ أبو عمرو بن الصلاح إن هذا المانع الذي ذكرناه ليس بحياء حقيقة، بل هو عجز وجور وتسميته حياء بحسب اللغة، وإنما حقيقة الحياء في اصطلاح أهل الشرع خلق يبعث على ترك القبيح، ويمنع من التقصير في حق ذي الحق. يدل عليه ما روى الإمام أبو القاسم القشيري عن السيد الجليل أبي القاسم الجنيد قال: الحياء رؤية الآلاء ورؤية التقصير، فيتولد بينهما حالة تسمى الحياء. قال القاضي عياض وغيره: إنما جعل الحياء من الإيمان لأنه قد يكون تخلقاً واكتساباً كسائر أعمال البر وقد يكون غريزة، ولكن استعماله على قانون الشرع يحتاج إلى اكتساب ونية وعلم، وهذا المعنى بقوله ﷺ: «الحياء من الإيمان». قال الطيبي: ويمكن أن يحمل التعريف فيه على العهد ويكون إشارة إلى ما ورد في قوله ﷺ: «الاستحياء من الله أن يحفظ الرأس وما وعى والبطن ما حوى» الحديث اهـ. وهو معنى حسن وقيد مستحسن يزول به الإشكال السابق، وبيانه أن الحياء من الله هو الذي خير كله، وهو الذي لا يأتي إلا بخير، وهو الذي لا ينفك عن الإيمان، وأما الحياء من الخلق، فالغالب فيه أيضاً أن يكون محموداً، فالحصر ادعائي أو كله محمود إلا إذا عارضه ترك

الحديث رقم ٥٠٧١: أخرجه البخاري في صحيحه ١٠/١٥٢١ الحديث رقم ٦١١٧ ومسلم في صحيحه ١/٦٤ الحديث رقم (٦٠ ـ ٣٧)، وأحمد في المسند ٤/٤٢٧.

(١) في المخطوط «أشكل».

٥٠٧٢ ـ (٥) وعن ابن مسعود قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إنَّ مما أدركَ الناس منْ كلامِ النبوةِ الأولى: إذا لم تَسْتَحِي فَاصنعْ ما شئتَ».

الحياء من الله، فيترك جانبه من أداء الحقوق ويراعي جانب المخلوق، فحينئذ يستحق ذلك الحياء أن لا يسمى حياء، فالحياء كله خير والله أعلم. (وفي رواية) أي لهما على ما هو ظاهر، لكن في الجامع أسندها إلى مسلم وأبي داود («الحياء خير كله») قيل: عام أريد به الخاص أي الحياء عن فعل ما لا يرضاه الله سبحانه. (متفق عليه). وفي رواية الطبراني عن قرة الحياء هو الدين كله.

٥٠٧٢ ـ (وعن أبي مسعود) هو عقبة بن عمر الأنصاري شهد العقبة، روى عنه ابنه بشير وخلق سواه. قال ميرك: وفي نسخة ابن مسعود وهو غلط (قال: قال رسول الله ﷺ: «إن مما أدرك الناس») بالرفع نص الكازروني على أنه الرواية، وفي بعض النسخ بالنصب أي مما وصل إليهم وظفروا به ولحقوه (من كلام النبوة)، من تبعيضية، والمعنى أن من جملة أخبار أصحاب النبوّة (الأولى) أي السابقة من الأنبياء والمرسلين أضافه إليهم إعلاماً بأنه من نتائج الوحي («إذا لم تستحي») بسكون الحاء وكسر الياء وحذف الثانية للجزم («فاصنع ما شئت») أي الرادع عما لا ينبغي هو الحياء، فإذا لم يكن صدر كل ما لا ينبغي، فالأمر بمعنى الخبر أو الأمر للتهديد وأنشد:

إذا لم تخش عاقبة الليالي ولم تستحي فاصنع ما تشاء

فلا والله ما في العيش خير وفي الدنيا إذا ذهب الحياء

قال الطيبي: من في مما ابتدائية، وهو خبر إن واسمه قوله: «إذا لم تستحي» على تأويل أن هذا القول حاصل مما أدرك الناس، والراجع إلى ما محذوف، والناس فاعل أدرك. وعليه كلام الشيخ التوربشتي حيث قال: المعنى أن مما بقي بين الناس وأدركوه من كلام الأنبياء، ويجوز أن يكون فاعل أدرك الضمير الراجع إلى ما، والناس مفعوله، وعليه كلام القاضي أي مما بلغ الناس من كلام الأنبياء المتقدمين «إن الحياء هو المانع من اقتراف القبائح والاشتغال بمنهيات الشرع ومستحبات العقل». وقوله: «إذا لم تستحي»، الجملة الشرطية اسم إن على الحكاية قال الخطابي: قوله: من كلام النبوّة الأولى معناه اتفاق كلام الأنبياء عليهم السلام على استحسان الحياء، فما من نبي إلا وقد ندب إليه وبعث عليه، ولم ينسخ فيما نسخ من شرائعه، ولم يبدل فيما بدل منها وذلك أنه أمر قد علم صوابه وبأن فضله واتفقت العقول على حسنه، وما كان هذا صفة له لم يجر عليه النسخ والتبديل، وقيد النبوّة بالأولى للإرشاد إلى اتفاق كلمة الأنبياء عليهم السلام من أولهم إلى آخرهم؛ وفي شرح السنة قوله: «فاصنع ما شئت» فيه أقاويل أحدها أن معناه الخبر وإن كان لفظه لفظ الأمر كأنه يقول: «إذا لم يمنعك الحياء فعلت

الحديث رقم ٥٠٧٢: أخرجه البخاري في صحيحه ١٠/ ٥٢٣ الحديث رقم ٦١٢٠، وأبو داود في السنن ٥/ ١٤٨ الحديث رقم ٤٧٩٧، وابن ماجه في ٢/ ١٤٠٠ الحديث رقم ٤١٨٣، وأحمد في المسند ٤/ ١٢١.

رواه البخاري.

٥٠٧٣ ـ (٦) وعن النّواس بن سمعان، قال: سألتُ رسول الله ﷺ عن البر والإثم فقال:

ما شئت مما تدعوك إليه نفسك من القبيح»، وإلى هذا المعنى ذهب أبو عبيد، وثانيها أن معناه الوعيد كقوله تعالى: ﴿اعملوا ما شئتم﴾ [فصلت ـ ٤٠] أي اصنع ما شئت فإن الله يجازيك، وإليه ذهب أبو العباس، وثالثها معناه «ينبغي أن تنظر إلى ما تريد أن تفعله فإن كان ذلك مما لا يستحي منه فافعله وإن كان مما يستحيي منه فدعه»، وإليه ذهب أبو إسحاق المروزي، وروى هذا الحديث جرير عن منصور بإسناده، ثم قال جرير: معناه أن يريد الرجل أن يعمل الخير فيدعه حياء من الناس كأنه يخاف مذهب الرياء يقول: فلا يمنعك الحياء من مضي ما أردت. قال أبو عبيد: وهو شبيه بالحديث الآخر «إذا جاءك الشيطان وأنت تصلي فقال: إنك مراء، فزدها طولاً». قلت: ويؤيده كلام الفضيل بن عياض «ترك العمل لأجل الناس رياء، والعمل لأجلهم شرك، والإخلاص أن يخلصك الله منهما». واختار النووي إن صيغة الأمر للإباحة أي إذا أردت أن تفعل شيئاً فإن كان بحيث لا يستحيي من الله ومن الناس في فعله فافعله وإلا فلا؛ وزبدة كلامه إنك إذا لم تستحي من صنع أمر فذلك دليل على جواز ارتكابه، ثم قال: وعلى هذا مدار الإسلام وتوجيهه إن أفعال الإنسان إما أن يستحيي منها أم لا، فالأول يشمل الحرام والمكروه وتركهما هو المشروع، والثاني يشمل الواجب والمندوب والمباح، وفعلها مشروع في الأولين جائز في الثالث، فعلى هذا يتضمن الحديث الأحكام الخمسة. وقال بعض العارفين التحقيق إن الحياء ينشأ عن علم القلب بأن الله رقيب عليه فيحافظ ظاهره وباطنه من مخالفة أحكامه، ويستقبح ما صدر من هفواته، ويتحمل أنواع البلاء في نظره نشيطاً، ولا يشتكي إلى غيره، فإذا ترقى عن ذلك وتحقق أن الله [تعالى جل جلاله ولا إله غيره] أقرب الأشياء إليه بلا ريب استحيا من قربه فوق ما يستحي من رؤيته، فيدعوه ذلك إلى محبته والخلوة معه مستوحشاً من الأغيار مستلذاً بروح أنس الملك الغفار حتى تطلع عليه طوالع أنوار التوحيد وتلمع في سره بوارق أسرار التفريد، فيستحي من شهود مشهوده فانياً عن الخلق باقياً مع الحق. قال العارف السهروردي: الحياء إطراق الروح إجلالاً لعظم الجلال، ومن هذا القبيل حياء إسرافيل كما ورد أنه يستتر بجناحه حياء من الله عزّ وجلّ، وحياء عثمان رضي الله عنه كما قال: «إني لاغتسل في البيت المظلم فأنطوي حياء من الله عزّ وجلّ». قلت: روى ابن عساكر عن أبي هريرة مرفوعاً «الحياء من الإيمان وأحيى أمتي عثمان». (رواه البخاري)، وكذا رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه عن أبي مسعود وأحمد أيضاً عن حذيفة.

٥٠٧٣ ـ (وعن النوّاس) بتشديد الواو (ابن سمعان) بكسر السين ويفتح كان من أصحاب الصفة («قال: سألت رسول الله ﷺ عن البر») أي الطاعة («والإثم») أي المعصية («فقال: البر»)

الحديث رقم ٥٠٧٣: أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ١٩٨٠ الحديث رقم (١٤ ـ ٢٥٥٣)، والترمذي في ٤/ ٥١٥ الحديث رقم ٢٣٨٩، والدارمي في ٢/ ٤١٥ الحديث رقم ٢٧٩٩، وأحمد في المسند ٤/ ١٨٢.

«البِرُّ حُسْنُ الخلقِ، والإثمُ ما حاكَ في صدرِكَ وكرهتَ أن يطَّلع عليهِ الناسُ». رواه مسلم.

أي أعظم خصاله أو البر كله مجملاً («حسن الخلق») أي مع الخلق بأمر الحق أو مداراة الخلق ومراعاة الحق قيل: فسر البر في الحديث بمعان شتى ففسره في موضع بما اطمأنت إليه النفس واطمأن إليه القلب، وفسره في موضع بالإيمان، وفي موضع بما يقربك إلى الله وهنا بحسن الخلق، وفسر حسن الخلق باحتمال الأذى وقلة الغضب وبسط الوجه وطيب الكلام وكلها متقاربة في المعنى. ذكره الطيبي وقال الترمذي: «البر هنا الصلة والتصدق والطاعة ويجمعها حسن الخلق». وقال بعض المحققين. تلخيص الكلام في هذا المقام أن يقال: «البر اسم جامع لأنواع الطاعات والأعمال المقربات». ومنه بر الوالدين وهو استرضاؤهما بكل ما أمكن، وقد قيل: إن البر من خواص الأنبياء عليهم السلام أي كمال البر إذ لا يستبعد أن يوجد في الأمة من يوصف به، وقد أشار إليهما من أوتي جوامع الكلم ﷺ بقوله: حسن الخلق لأنه عبارة عن حسن العشرة والصحبة مع الخلق بأن يعرف أنهم اسراء الأقدار وإن كل مالهم من الخلق والخلق والرزق والأجل بمقدار، فيحسن إليهم حسب الاقتدار فيأمنون منه ويحبونه بالاختيار قلت: وقد أشار الشاطبي إلى هذا المعنى بقوله:

يعد جميع الناس مولى لأنهم　　على ما قضاه الله يجرون أفعلا

هذا مع الخلق، وأما مع الخالق فبأن يشتغل بجميع الفرائض والنوافل ويأتي بأنواع الفضائل عالماً بأن كل ما أتى منه ناقص يحتاج إلى العذر، وكل ما صدر من الحق كامل يوجب الشكر. قلت: وإليه الإيماء في قول الشاطبي:

يرى نفسه بالذم أولى لأنها　　على المجد لم تلعق من الصبر والإلا لا

ثم يتخلق بأخلاق الله بدوام الأعراض عما سواه والإقبال عليه ودوام ذكره حتى يكتحل القلب بنور ذكر الذات، فصار بحراً مواجاً من نسمات القرب، وجرى في جداول[1] أخلاق النفس صفاء النعوت والصفات، وحينئذ يحصل نهاية التحقيق بعناية التوفيق («والإثم ما حاك») أي تردد وتحرك وأثر في صدرك، ورواية الأربعين في نفسك بأن لم تنشرح له وحل في القلب منه الشك والخوف من كونه ذنباً وأقلقه ولم يطمئن إليه. قال التوربشتي: يريد أن الإثم ما كان في القلب منه شيء فلا ينشرح له الصدر، والأقرب أن ذلك أمر يتهيأ لمن شرح الله صدره للإسلام دون عموم المؤمنين. وقال شارح: يعني الإثم ما أثر قبحه في قلبك أو تردد في قلبك ولم ترد أن تظهره لكونه قبيحاً وهو المعنى بقوله: («وكرهت أن يطلع عليه الناس») أي أعيانهم وأماثلهم إذ الجنس ينصرف إلى الكامل، وذلك لأن النفس بطبعها تحب إطلاع الناس على خيرها، فإذا كرهت الإطلاع على بعض أفعالها فهو غير ما تقرب به إلى الله أو غير ما أذن الشرع فيه [وعلم أنه لا خير فيه] ولا بر فهو إذاً إثم وشر. («رواه مسلم»). وفي الجامع الصغير «البر حسن الخلق» الحديث رواه البخاري في الأدب المفرد ومسلم والترمذي عن النواس[2]،

---

(١) في المخطوط «جدال».　(٢) الجامع الصغير ١/ ١٩٢ الحديث رقم ٣١٩٧.

٥٠٧٤ - (٧) وعن عبد الله بن عمرو، قال: رسول الله ﷺ: «إن من أحبكم إلي أحسنكم أخلاقاً».

ورواه أحمد عن أبي ثعلبة ولفظه: «البر ما سكنت إليه النفس واطمأن إليه القلب، والإثم ما لم تسكن إليه النفس ولم يطمئن له القلب. وإن أفتاك المفتون»[١]. هذا وفي الأربعين للإمام النووي عن وابصة بن معبد الأسدي قال: أتيت رسول الله ﷺ فقال: جئت تسأل عن البر فقلت: نعم فقال: استفت قلبك البر ما اطمأنت إليه النفس واطمأن إليه القلب، والإثم ما حاك في النفس وتردد في الصدر وإن أفتاك الناس وأفتوك[٢]. حديث حسن رويناه في مسندي الإمامين أحمد بن حنبل والدارمي بإسناد حسن. قال الطيبي: في شرح حديث المشكاة مراعاة المطابقة تقتضي أن نفس حسن الخلق بما يقابل ما حاك في الصدر وهو ما اطمأنت إليه النفس والقلب كما في حديث وابصة، فوضع موضعه حسن الخلق ليؤذن أن حسن الخلق هو ما اطمأنت إليه النفس الشريفة الطاهرة من أوضار الذنوب الباطنة والظاهرة، وتبديل مساوي الأخلاق من الصدق في المقال، واللطف في الأحوال والأفعال أحسن معاملته مع الرحمن ومعاشرته مع الأخوان وصلة الرحم [والسخاء] والشجاعة أقول: الأحسن في تحسين المقابلة بين القرينتين الحسنتين أن يقال: المراد بحسن الخلق مستحسن الطبع الجبلي الجيلي الفطري العاري عن التعلقات التقليدية والتقييدات العرفية، فإن الإنسان إذا خلي وطبعه الأصلي اختار الأحسن من العقائد والأخلاق والأفعال وسائر الأحوال كما حقق في حديث كل مولود يولد على الفطرة، وحاصل الجواب على طريق الاستيعاب أن الأمر لا يخلو إما أن يجزم العقل باستحسانه أو باستقباحه أو يتردد فيما بينهما، فالأول هو البر وما عداه هو الإثم وهذا تمهيد قاعدة كلية تحتها مسائل جزئية فيما لم يعرف من الشرع حسنه وقبحه على طريق اليقين في العلميات، وعلى سبيل الظن أيضاً في العمليات والله أعلم.

٥٠٧٤ - **(وعن عبد الله بن عمرو)** بالواو **(قال: قال رسول الله ﷺ: «إن من أحبكم إلي»)** أي أكثركم محبة لي أو أعظمكم محبوبية عندي **(«أحسنكم أخلاقاً»)** أي شمائل مرضية مراعي فيها حقوق الربوبية والعبودية، وقد رواه الحكيم عن العلاء بن كثير مرسلاً «أن محاسن الأخلاق مخزونة عند الله تعالى، فإذا أحب الله عبداً منحه خلقاً حسناً»، وفي رواية الطبراني في الأوسط عن أبي هريرة إن هذه الأخلاق من الله، فمن أراد الله به خيراً منحه خلقاً حسناً؛ ومن أراد الله به سوءاً منحه سيأتم الظاهر أن من زائدة على مذهب من يجوز زيادتها في الكلام المثبت أو المراد أحسنكم أخلاقاً مع الخلق، ويؤيده ما رواه الترمذي والحاكم عن عائشة «إن من أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً وألطفهم بأهله»[٣]، ويؤيد الأول ما في الجامع الصغير

---

(١) أحمد في المسند ٤/ ١٩٤. (٢) وهو الحديث رقم ٢٧.

الحديث رقم ٥٠٧٤: أخرجه البخاري في صحيحه ٧/ ١٠٢ الحديث رقم ٣٧٥٩، والترمذي في ٤/ ٣٢٥ الحديث رقم ٢٠١٨، وأحمد في المسند ٢/ ١٨٩.

(٣) أخرجه الترمذي في السنن ٥/ ١٠ الحديث رقم ٢٦١٢، والحاكم في المستدرك ١/ ٣.

رواه البخاري.

٥٠٧٥ ـ (٨) وعنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ مِن خيارِكم أحسنَكم أخلاقاً». متفق عليه.

الفصل الثاني

٥٠٧٦ ـ (٩) عن عائشة [رضي الله عنها] قالت: قال النبي ﷺ: «مَنْ أُعطِي حَظَّهُ من الرفق أُعطي حظَّه من خيرِ الدنيا والآخرةِ، ومَنْ حُرِم حظَّه من الرفق حُرِم حظَّهُ من خير الدنيا والآخرة». رواه في «شرح السنة».

٥٠٧٧ ـ (١٠) وعن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «الحياءُ من الإيمانِ، والإيمان في الجنة.

على ما رواه أحمد والشيخان والترمذي عن ابن عمر بلفظ «خياركم أحسنكم أخلاقاً». (رواه البخاري).

٥٠٧٥ ـ (وعنه) أي عن ابن عمرو (قال: قال رسول الله ﷺ: «إن من خياركم أحسنكم»)، وفي نسخة صحيحة أحسنكم (أخلاقاً. متفق عليه).

(الفصل الثاني)

٥٠٧٦ ـ (عن عائشة قالت: قال النبي ﷺ: «من أعطي») بصيغة المجهول («حظه») أي نصيبه («من الرفق») أي اللطف («أعطي حظه من خير الدنيا والآخرة، ومن حرم») على بناء المفعول («حظه») بالنصب أي نصيبه («من الرفق حرم حظه من خير الدنيا والآخرة») وهذا تصريح بما علم ضمناً للمبالغة والتأكيد في الحكم. (رواه في شرح السنة)، ورواه أحمد والترمذي عن أبي الدرداء لكن لفظه من الخير بدل من خير الدنيا والآخرة[١]. والحديثان متفقان في المعنى لأن المراد بالخير جنسه الشامل لنوعيه.

٥٠٧٧ ـ (وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «الحياء من الإيمان والإيمان») أي أهله («في الجنة»). قال الطيبي: جعل أهل الإيمان عين الإيمان دلالة على أنهم تمحضوا منه

الحديث رقم ٥٠٧٥: أخرجه البخاري في صحيحه ٦/ ٥٦٦ الحديث رقم ٣٥٥٩، ومسلم في ٤/ ١٨١٠ الحديث رقم (٦٨ ـ ٢٣٢١) والترمذي في السنن ٤/ ٣٠٨ الحديث رقم ١٩٧٥، وأحمد في المسند ٢/ ١٩٣.

الحديث رقم ٥٠٧٦: أخرجه البغوي في شرح السنة ١٣/ ٧٤ الحديث رقم ٣٤٩١، وأحمد في المسند ٦/ ١٥٩.

(١) أخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٣٢٣ الحديث رقم ٢٠١٣.

الحديث رقم ٥٠٧٧: أخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٣٢١ الحديث رقم ٢٠٠٩، وأحمد في المسند ٢/ ٥٠١.

والبَذاء مِنَ الجفاء، والجفاء في النار». رواه أحمد، والترمذي.

٥٠٧٨ ـ (١١) وعن رجلٍ من مزينة، قال: قالوا: يا رسول الله! ما خيرُ ما أُعطي الإنسانُ؟ قال: «الخلق الحَسَنُ». رواه البيهقيُّ في «شعب الإيمان».

٥٠٧٩ ـ (١٢) وفي «شرح السنة» عن أُسامة بن شريك.

وتمكنوا من بعض شعبه الذي هو أعلى فرع منه كما جعل الإيمان مقراً ومبوأً لأهله في قوله تعالى: ﴿والذين تبوّؤا الدار والإيمان﴾ لتمكنهم من الإيمان واستقامتهم عليه («والبذاء») بفتح الباء خلاف الحياء الناشيء منه الفحش في القول والسوء في الخلق («من الجفاء»)، وهو خلاف البر الصادر منه الوفاء («والجفاء») أي أهله التاركون للوفاء الثابتون على[1] غلاظة الطبع وقساوة القلب («في النار») أما مدة أو أبداً لأنه في مقابل الإيمان الكامل أو مطلقه، فصاحبه أما من أهل الكفران أو الكفر. (رواه أحمد والترمذي). وكذا الحاكم[2] والبيهقي عنه والبخاري في الأدب وابن ماجه والحاكم والبيهقي عن أبي بكرة الثقفي والطبراني[3]، والبيهقي عن عمران بن حصين، وفي رواية لأحمد والترمذي والحاكم عن أبي أمامة «الحياء والعي شعبتان من الإيمان، والبذاء والبيان شعبتان من النفاق»[4].

٥٠٧٨ ـ (وعن رجل من مزينة) بالتصغير قبيلة معروفة وجهالة الصحابي لا تضر لأنهم كلهم عدول ومرسلهم عند الكل مقبول («قال: قالوا:») أي بعض الأصحاب (يا رسول الله ما خير ما أعطي الإنسان») بالرفع أي أعطيه الإنسان، فالمفعول الثاني محذوف من الصلة، وفي نسخة بالنصب، فنائب الفاعل ضمير راجع إلى ما («قال: الخلق الحسن») أي هو هذا (رواه البيهقي في شعب الإيمان).

٥٠٧٩ ـ (وفي شرح السنة عن أسامة بن شريك). قال ميرك: وظاهره أن البيهقي لم يرو الحديث عن أسامة لكن قال الشيخ الجزري: رواه البيهقي في الشعب من حديث أسامة قلت: وفي الجامع «خير ما أعطي الناس خلق حسن». رواه أحمد والنسائي وابن ماجه والحاكم عن أسامة بن شريك[5]، وروى ابن أبي شيبة عن رجل من جهينة ولفظه: «خير ما أعطي الرجل المؤمن خلق حسن وشر ما أعطي الرجل قلب سوء في صورة حسنة»[6]، وقد روى البيهقي عن

---

(١) في المخطوطة «عليه». (٢) الحاكم في المستدرك ١/ ٥٢.

(٣) الحاكم في المستدرك ١/ ٥٣ وابن ماجه في السنن ٢/ ١٤٠٠ الحديث رقم ٤١٨٤.

(٤) الحاكم في المستدرك ١/ ٩، وأحمد في المسند ٥/ ٢٦٩، والترمذي في السنن ٤/ ٣٢٩ الحديث رقم ٢٠٢٧.

الحديث رقم ٥٠٧٨: أخرجه أحمد في المسند ٤/ ٢٧٨، والبيهقي في شعب الإيمان ٦/ ٢٣٥ الحديث رقم ٧٩٩٢.

الحديث رقم ٥٠٧٩: أحمد في المسند ٤/ ٢٧٨.

(٥) الجامع الصغير ٢/ ٢٤٨ الحديث رقم ٤٠٧٨.

(٦) الجامع الصغير المصدر السابق الحديث رقم ٤٠٧٩.

٥٠٨٠ ـ (١٣) وعن حارثة بن وهب، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يدخلُ الجنّةَ الجوّاظ ولا الجَعْظرِيُّ» قال: والجواظُ: الغليظُ الفظُّ رواه أبو داود في «سننه». والبيهقي في «شعب الإيمان» وصاحب «جامع الأصول» فيه عن حارثة وكذا في «شرح السنة» عنه، ولفظه: «لا يدخل الجنّة الجوّاظُ الجعظريُّ يقال: الجعظريُّ: الفظ الغليظ.

الحسن مرسلاً «ثلاث خلال من لم تكن فيه واحدة منهن كان الكلب خيراً منه، ورع يحجزه عن محارم الله عزّ وجلّ، أو حلم يرد به جهل جاهل، أو حسن خلق يعيش به في الناس». وقد ذكر السيوطي عن الحسن، عن أبي الحسن، عن جد الحسن: «إن أحسن الحسن الخلق الحسن»[١].

٥٠٨٠ ـ (وعن حارثة بن وهب) قال المؤلف في فصل الصحابة: خزاعي أخو عبيد الله ابن عمر بن الخطاب لأمه، روى عنه أبو إسحاق السبيعي (قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يدخل الجنة الجواظ») بفتح جيم وتشديد واو وظاء معجمة («ولا الجعظري») بفتح جيم وسكون عين مهملة وفتح ظاء معجمة فراء فتحتية مشددة («قال:») أي الراوي («الجواظ الغليظ الفظ») بتشديد الظاء أي سيىء الخلق، قال تعالى: ﴿ولو كنت فظاً غليظ القلب﴾ [آل عمران ـ ١٥٩] فاللائق أن يفسر الجعظري بغليظ القلب، وكأن غلظ القلب إيماء إلى سوء باطنه من الأحوال، والفظ إشارة إلى قبح ظاهره من الأفعال، وقدم الجواظ ما لظهوره وأما لأن مداراً لحكم عليه، وإنما أتى بلا المزيدة إشارة إلى «أن الموصوف بكل من الخصلتين لا يدخل الجنة مطلقاً إن كان من المنافقين أو لا يدخلها مع الفائزين إن كان من المؤمنين». (رواه أبو داود والبيهقي في شعب الإيمان). قال الطيبي: قوله: الجواظ الغليظ الفظ كذا في سنن أبي داود والبيهقي، وفي النهاية وشرح التوربشتي وكلام القاضي الجواظ: المختال، وقيل: الجموع المنوع، وقيل: هو السمين، وقيل: الصياح المهذار والجعظري: الفظ الغليظ، وقيل: القصير المتنفخ بما ليس عنده، وقيل: «العظيم الجسم الأكول والمانع لمن شأنه هذا أن يدخل الجنة حيث يدخلها الآخرون عجبهم وسوء خلقهم وشرههم على الطعام وإفراطهم في الكلام». اهـ. والأظهر ما قدمناه من أن المراد غليظ القلب سيىء الخلق، وسببه ما روى الخطيب عن عائشة مرفوعاً «إن لكل شيء توبة إلا صاحب سوء الخلق فإنه لا يتوب من ذنب إلا وقع في شر منه». (وصاحب جامع الأصول) أي ورواه أيضاً (فيه) أي في الجامع (عن حارثة، وكذا في شرح السنة عنه) أي روى عن حارثة (ولفظه) أي ولفظ ما في شرح السنة أو لفظ صاحب شرح أو لفظ حارثة في الشرح (قال: «لا يدخل الجنة الجواظ الجعظري») أي من غير عاطفة وزيادة لا ولعله عد الموصوفان واحد الكمال الاتحاد بين الوصفين، أو المراد الجامع بينهما فهو الفرد الكامل في

---

(١) الجامع الصغير ١/ ١٣٣ الحديث رقم ٢١٨٣.

الحديث رقم ٥٠٨٠: أخرجه أبو داود في السنن ٥/ ١٥١ الحديث رقم ٤٨٠١، والبغوي في شرح السنة ١٣/ ١٦٩ الحديث رقم ٣٥٩٣، وأخرجه البيهقي في شعب الإيمان ٦/ ٢٨٥ الحديث رقم ٨١٧٣.

وفي نسخ «المصابيح» عن عكرمة بن وهب ولفظه قال: والجوَّاظ: جَمَعَ ومَنَعَ. والجعظريُّ: الغليظ الفظُّ.

٥٠٨١ ـ (١٤) وعن أبي الدرداء، عن النبي ﷺ قال: «إن أثقلَ شيءٍ يوضَعُ في ميزانِ المؤمن يومَ القيامة خُلُقٌ حسنٌ، وإنَّ اللّٰهَ يُبغضُ الفاحِشَ البذيء». رواه الترمذي وقال: هذا حديث حسن صحيح.

القبح، (وفي نسخ المصابيح عن عكرمة بن وهب) أي في بعضها، وإلا ففي أكثرها عن حارثة ابن وهب، (ولفظه) أي لفظ المصابيح، وفيه تجوز (والجواظ الذي جمع) أي مالاً مما لا يجوز (ومنع) أي منعه من الصرف فيما يجب عليه (والجعظري الغليظ الفظ). قال الطيبي: أشار المؤلف بهذا أن راوي الحديث في الأصول المذكورة هو حارثة بن وهب وهو صحابي، وفي نسخ المصابيح عن عكرمة بن وهب وقد قال الشيخ التوربشتي: لم يذكره أحد في الصحابة، فالحديث مرسل حينئذ أي إن صح كونه تابعياً وكذا قوله الذي جمع ومنع ليس في الأصول، وقد أثبت في حواشي المصابيح، فالحق بالمتن. وكذا قوله: «الغليظ الفظ» في المصابيح تفسير للجعظري، وفي الأصول تفسير للجواظ تم كلامه. وفي الجامع برواية الطبراني عن أبي الدرداء «ألا أخبرك بأهل النار كل جعظري جواظ مستكبر جماع منوع ألا أخبرك بأهل الجنة كل مسكين لو أقسم على الله لأبره».

٥٠٨١ ـ (وعن أبي الدرداء عن النبي ﷺ قال: «إن أثقل شيء يوضع») أي ثوابه وصحيفته أو عينه المجسد («في ميزان المؤمن يوم القيامة خلق حسن») فإنه تعالى يحبه ويرضى عن صاحبه («وإن الله يبغض الفاحش») أي لفحشه أي والفحش أيضاً («البذيء») فعيل من البذاء، وهو ضد الحي ذكره شارح وهو المناسب للمقام، وفي الغريبين رجل بذيء أي فاحش سيىء الخلق اهـ. ومن المقرر أن كل ما يكون مبغوضاً لله ليس له وزن وقدر كما أن كل ما يكون محبوباً له يكون عنده عظيماً قال تعالى في حق الكفار: ﴿فلا نقيم لهم يوم القيامة وزناً﴾ [الكهف ـ ١٠٥] وفي الحديث المشهور «كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان إلى الرحمن سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم»[1]. وبهذا تمت المقابلة بين القرينتين. هذا وقال الطيبي: أوقع قوله: وإن الله يبغض الفاحش البذيء مقابلاً لقوله: إن أثقل شيء يوضع في الميزان دلالة على أن أخف ما يوضع في الميزان هو سوء الخلق وإن حسن الخلق أحب الأشياء عند الله والخلق السيىء أبغضها، وإن الفحش والبذاءة أسوأ شيء في مساوىء الأخلاق. (رواه) أي الحديث بكماله (الترمذي وقال: هذا حديث حسن صحيح.

---

(١) الجامع الصغير ١/ ١٧٠ الحديث رقم ٢٨٥٣.

الحديث رقم ٥٠٨١: أخرجه أبو داود والفصل الأول في السنن ١٤٩/٥ الحديث رقم ٤٧٩٩، والترمذي في السنن بأكمله ٣١٨/٤ الحديث رقم ٢٠٠٢، وأحمد في المسند ٦/ ٤٤٢.

(٢) متفق عليه.

وروى أبو داود الفصلَ الأول.

٥٠٨٢ - (١٥) وعن عائشة [رضي الله عنها] قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إِنَّ المؤمن ليدرك بِحُسْنِ خُلقه درجة قائمِ اللَّيل وصائم النهار». رواه أبو داود.

٥٠٨٣ - (١٦) وعن أبي ذر، قال: قال لي رسول الله ﷺ: «اتق اللَّهَ حيثُما كنت،

(وروى أبو داود الفصل الأول) أي القرينة الأولى دون الثانية، وقد روى أحمد عن أسامة بن زيد «إن الله يبغض الفاحش المتفحش»، وروى الديلمي في مسند الفردوس عن علي رضي الله عنه «إن الله يبغض المعبس في وجوه إخوانه».

٥٠٨٢ - (وعن عائشة قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن المؤمن») أي الكامل، وهو العالم العامل («ليدرك بحسن خلقه درجة قائم الليل») أي في الطاعة («وصائم النهار»). قال: الحسن: «حسن الخلق بسط الوجه بذل الندى وكف الأذى»، وقال الواسطي: «هو أن لا يخاصم ولا يخاصم من شدة معرفته بالله تعالى» وقال أيضاً: «هو إرضاء الخلق في السراء والضراء»، وقال سهل: «أدنى حسن الخلق الاحتمال وترك المكافأة والرحمة للظالم والاستغفار له والشفقة عليه». (رواه أبو داود). وفي الجامع بلفظ «درجة القائم الصائم». رواه أبو داود وابن حبان في صحيحه [عنها].

٥٠٨٣ - (وعن أبي ذر) أي الغفاري رابع الإسلام أو خامسه، زاد النووي في أربعينه ومعاذ بن جبل (قال: قال رسول الله ﷺ:) أي مختصاً لي بخطابه وهو لا ينافي في التعدد لاحتمال اختلاف المجلس مع أنه غير مذكور في الأربعين («اتق الله») أي بالإتيان بجميع الواجبات والانتهاء عن سائر المنكرات، فإن التقوى أساس الدين وبه يرتقي إلى مراتب اليقين، ثم التحقيق «إن التقوى أدناها التبري عن الشرك بالله وأعلاها الإعراض عما سواه، وما بينهما مراتب بعضهما فوق بعض من ترك المحظور ثم المكروه ثم المباح مما لا يعني»، ولله در من قال من أهل الحال:

من عرف الله فلم تغنه ... معرفة الله فذاك الشقي
ما يصنع العبد بعز الغنى ... فالعز كل العز للمتقي

(«حيثما كنت») أي في الخلاء والملأ وفي النعماء والبلاء فإن الله عالم بسر أمرك كما أنه مطلع على ظواهرك، فعليك برعاية دقائق الأدب في حفظ أوامره ومراضيه، والاحتراز عن

الحديث رقم ٥٠٨٢: أخرجه أبو داود في السنن ٥/ ١٤٩ الحديث رقم ٤٧٩٨، ومالك في الموطأ ٢/ ٩٠٤ الحديث رقم ٦ من كتاب حسن الخلق، وأحمد في المسند ٦/ ٩٠.

الحديث رقم ٥٠٨٣: أخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٣١٢ الحديث رقم ١٩٨٧، والدارمي في ٢/ ٤١٥. الحديث رقم ٢٧٩١ وأحمد في المسند ٥/ ١٥٣.

وأتبع السّيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن». رواه أحمد، والترمذي والدارمي.

مساخطه ومساويه، وعن داود الطائي أنه سمع صوتاً من قبر ألم أزك ألم أصل ألم أصم ألم أفعل كذا، فأجيب بلى يا عبد الله، ولكن إذا خلوت بارزته بالمعاصي ولم تراقبه («وأتبع») أمر من باب الأفعال وهو متعد إلى مفعولين («السيئة الحسنة») أي التوبة والطاعة [مطلقاً] أو بأن تباشر حسنات تضاد آثارها تلك السيئات. قال الطيبي: فسماع الملاهي يكفر بسماع القرآن وبمجالس الذكر والوعظ عن المناهي وشرب الخمر يكفر بالتصدق بكل شراب حلال، وعلى هذا فقس، لأن المرض يعالج بضده والمتضادات هي المناسبات، فلذلك ينبغي أن يمحو كل سيئة بحسنة من جنسها لكن تضادها، فالبياض يزال بالسواد لا بغيره وحب الدنيا لأن أثر السرور بها في القلب، فلا جرم كفارته كل أذى يصيب المسلم من الهم والغم اهـ. ولا خفاء أنه لا يظهر حسن المقابلة بين حب الدنيا وما ذكره من المشاكلة لأن الهم والغم ليسا من الأمور الاختيارية المراد بها في الحديث على ما هو ظاهر من قوله: «اتبع»، فالصواب أن مقابلة حب الدنيا بضدها وهو بغضها بأن يتصدق ولو ببعضها على أن هذه المناسبات غير لازمة في محو السيئات لقوله تعالى: ﴿إن الحسنات يذهبن السيئات﴾ [هود ـ ١١٤] وقد وردت الآية فيمن قبل امرأة ثم صلى معه ﷺ والله أعلم («تمحها») أي تدفع الحسنة السيئة وترفعها، والإسناد مجازي، والمراد يمحو الله بها آثارها من القلب أو من ديوان الحفظة هذا إذا كانت بينه وبين الله تعالى، فإن تعلقت بالعبد فتدفع الحسنة إلى خصمه عوضاً عن المظلمة أو يرضيه الله من فضله. حكي عن بعضهم أنه رئي في المنام فقيل له: «ما فعل الله بك قال: غفر لي وأحسن إلي إلا أنه حاسبني حتى طالبني بيوم كنت صائماً. فلما كان وقت الإفطار أخذت حنطة من حانوت صديق لي فكسرتها فذكرت أنها ليست لي فألقيتها على حنطته، فأخذ من حسناتي مقدار أرش كسرها». قال البيضاوي: صغائر الذنوب تقع مكفرة بالحسنات وكذا ما خفي من الكبائر لعموم قوله تعالى: ﴿نكفر عنكم سيئاتكم﴾ [النساء ـ ٣١] والحديث إما ما ظهر منها وتحقق عند الحاكم فلا يسقط حدها ولا بالتوبة، ولما وصاه بما يتعلق بحقوق الله تعالى وإصلاح نفسه ذكر ما يتعلق بحقوق العباد فقال («وخالق الناس») أمر من المخالقة مأخوذ من الخلق مع الخلق أي خالطهم وعاملهم («بخلق حسن»)، وهو بسط المحيا وبذل الندى وتحمل الأذى، (رواه أحمد والترمذي والدارمي). وفي الأربعين رواه [أحمد] والترمذي وقال: حديث حسن، وفي بعض النسخ حسن صحيح[١] اهـ كلامه. وفي الجامع [الصغير] رواه أحمد والترمذي والحاكم والبيهقي عن أبي ذر وأحمد والترمذي والبيهقي عن معاذ وابن عساكر عن أنس[٢].

---

(١) وهو الحديث رقم ١٨.

(٢) الجامع الصغير ١/ ١٤ الحديث رقم ١١٥.

٥٠٨٤ ـ (١٧) وعن عبد الله بن مسعود، قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا أخبرُكم بمن يَحْرُمُ عَلَى النار وبمن تحرمُ النارُ عليه؟ على كلِّ هينٍ لينٍ قريبٍ سهلٍ». رواه أحمد، والترمذي وقال: هذا حديث حسن غريب.

٥٠٨٥ ـ (١٨) وعن أبي هريرة، عن النبيّ ﷺ، قال: «المؤمنُ غِرٌّ كريمٌ

٥٠٨٤ ـ (وعن عبد الله بن مسعود قال: ألا أخبركم بمن يحرم» بضم الراء («على النار») أي بمنع عنها («وبمن تحرم النار عليه») زيادة تأكيد، وإلا فالمعنيان متلازمان، ولما كان مآلهما واحداً اكتفى بالجواب عن الأول لأنه المعول، والثاني مؤكد محمل مجمل، فقال: قبل قولهم: بلى («على كل هين لين») بتشديد التحتية فيهما أي تحرم على كل سهل طلق حليم لين الجانب، قيل: هما يطلقان على الإنسان بالتثقيل والتخفيف وعلى غيره بالتشديد، وعن ابن الأعرابي بالتخفيف للمدح وبالتشديد للذم. ذكره ابن الملك. ثم قوله: هين فعيل من الهون وهو السكون والوقار والسهولة فعينه واو فأبدلت وأدغمت، وأما اللين فيأتي («قريب») أي من الناس بمجالستهم في محافل الطاعة وملاطفتهم بقدر الطاعة («سهل») أي في قضاء حوائجهم أو معناه أنه سمح القضاء، سمح الاقتضاء، سمح البيع، سمح الشراء على ما ورد في فضل المؤمن الكامل. هذا وقال الطيبي: قوله: على كل هين لين هذا جواب عن السؤالين والجواب الظاهر عنهما كل هين لين، ثم في الدرجة الثانية أن يقال عن الأول: يحرم على النار كل هين لين، وعلى الثاني تحرم النار على كل هين لين، فأتى بجواب موجز يدل عليهما بالتفصيل، ولو أتى به كما يقتضيه الظاهر وهو قوله: كل هين لين لم يدل على التفصيل اهـ، وهو غريب منه. فإن دلالة ما يقتضيه الظاهر على التفصيل أظهر من دلالة الجواب الموجز عنده عليه كما يظهر بأدنى تأمل، فإن تقديره حينئذ [هو] كل هين لين ويكون مرجع الضمير ما ذكر من الوصفين وهو «من يحرم على النار ومن تحرم عليه النار» بل لو حققت النظر ودققت التأمل لوجدت أن جوابه الموجز على زعمه لا دلالة له على التفصيل أصلاً، بل دلالته إجمالية كما قدمناه، وقد يقال: إنه من باب الاكتفاء كقوله تعالى: ﴿سرابيل تقيكم الحر﴾ [النحل ـ ٨١] أي والبرد، فكذلك هنا يقدر وعلى كل هين لين مع احتمال أن القرينة الثانية زائدة من بعض الرواة لأجل المبالغة، ويؤيده ما في الجامع بلفظ: «ألا أخبركم بمن تحرم عليه النار غداً على كل هين لين قريب سهل» والله أعلم. (رواه أحمد والترمذي وقال: هذا حديث حسن غريب). وفي الجامع رواه أبو يعلى في مسنده عن جابر والترمذي والطبراني عن ابن مسعود.

٥٠٨٥ ـ (وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ، قال: «المؤمن») أي البار («غر») بكسر الغين المعجمة وتشديد الراء («كريم») أي موصوف بالوصفين أي له الاغترار لكرمه، وله المسامحة

الحديث رقم ٥٠٨٤: أخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٥٦٤ الحديث رقم ٢٤٨٨. وأحمد في المسند ١/ ٤١٥.

الحديث رقم ٥٠٨٥: أخرجه أبو داود في السنن ٥/ ١٤٤ الحديث رقم ٤٧٩٠، والترمذي في ٤/ ٣٠٣ الحديث رقم ١٩٦٤، وأحمد في المسند ٢/ ٣٩٤.

والفاجرُ خَبٌّ لئيمٌ». رواه أحمد، والترمذي، وأبو داود.

٥٠٨٦ ـ (١٩) وعن مكحولٍ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «المؤمنونَ هيِّنونَ ليِّنونَ كالجملِ الآنِفِ [٣٨٠ ـ أ ـ]

في حظوظ الدنيا لا لجهلة، («والفاجر خب») بفتح خاء معجمة وتكسر وتشديد موحدة أي خداع («لئيم») أي بخيل لجوج سيء الخلق، وفي كل منهما الوصف الثاني سبب للأول، وهو نتيجة الثاني فتأمل، فكلاهما من باب التذييل والتكميل، وفي النهاية أي ليس بذي مكر فهو ينخدع لانقياده ولينه وهو ضد الخب يريد «أن المؤمن المحمود من طبعه الغرارة، وقلة الفطنة للشر وترك البحث عنه وليس ذلك فيه جهلاً، ولكنه كرم وحسن خلق، والفاجر من عادته البحث لا على أنه عقل منه بل خبث ولؤم». اهـ. قال الفرزدق:

إن الكريم إذا خادعته انخدعا

وقيل: هم الذين لم يجربوا الأمور فهو قليلو الشر منقادون، فإن من آثر الخمول وإصلاح نفسه والمتزوّد لمعاده ونبذ أمور الدنيا فليس غراً فيما قصده ولا مذموماً بنوع من الذم. قال الطيبي: والأول هو الوجه لما سبق في قوله ﷺ: «لا يلدغ المؤمن من حجر مرتين»، ولأن المؤمن قد ينخدع في مقام اللين والتعطف مع الأغيار. روي أن ابن عمر رضي الله عنهما كلما صلى عبد له أعتقه، فقيل له، فقال: «من خادعنا بالله ننخدع»، قلت: ومن ذلك انخداع آدم وحوّاء بكلام إبليس حيث قاسمهما **﴿إني لكما لمن الناصحين﴾** [الأعراف ـ ٢١] قال: ولفظ الحديث أيضاً يساعده لأنه ﷺ لما وصفه بالغرور أي بوصف غير كامل كمله بقوله: «كريم» لئلا يتوهم فيه ذلك نقصاً، والخب بالفتح الخداع وهو الحريز الذي يسعى بين الناس بالفساد. يقال: رجل خب، وقد تسكر خاؤه، وأما المصدر فبالكسر لا غير اهـ. فالكسر يحتمل وجهين فتأمل. (**رواه أحمد والترمذي وأبو داود**)، وكذا الحاكم[(١)]، ورواه البيهقي عن أبي هريرة بلفظ: «المؤمن هين لين حتى تخاله من اللين أحمق».

٥٠٨٦ ـ (**ومن مكحول**) تابعي جليل (**قال: قال رسول الله ﷺ: «المؤمنون هينون لينون»**) بالتشديد ويخففان، ففي النهاية هما تخفيف الهين واللين اهـ، وكأنه اعتمد على كلام ابن الأعرابي وقد سبق أنه ضعيف خلاف الأصل، فلا يثبت إلا بثبت، فالجزم به غير تثبت، وفي الفائق والمحذوفة من ياءي هين ولين الأولى، وقيل: الثانية، قلت: الثانية أولى من الأولى للاحتياج عندها للتخفيف ولئلا يحتاج إلى تخفيف آخر فتدبر. (**«كالجمل الأنف»**) بفتح الهمزة ويمد وكسر النون، ففي القاموس أنف البعير كفرح اشتكى أنفه من البرة فهو أنف ككتف وصاحب، والأول أصح وأفصح، وقال شارح: المد فيه خطأ، وهو يحتمل أنه أراد رواية أو

---

(١) الحاكم في المستدرك ١/ ٤٤.

الحديث رقم ٥٠٨٦: أخرجه أبو نعيم في الحلية ٥/ ١٨٠.

إنْ قِيدَ انْقادَ، وإنْ أُنيخَ على صخرةٍ استناخَ». رواه الترمذي مرسلاً.

٥٠٨٧ - (٢٠) وعن ابنِ عمرَ، عن النبي ﷺ قال: «المسلمُ الذي يُخالطُ النَّاسَ ويصبرُ على أذاهُم أفضلُ منَ الذي لا يُخالطهُم ولا يصبرُ على أذاهُم».

دراية، وفي النهاية الأنف بمعنى المأنوف وهو الذي عقر الخشاش أنفه فهو لا يمتنع على قائده للوجع الذي به، وقيل: الأنف الذلول، يقال: أنف البعير فهو أنف إذا اشتكى أنفه من الخشاش، وكان الأصل أن يقال: مأنوف لأنه مفعول به كما يقال مصدور ومبطون للذي يشتكي صدره وبطنه، وإنما جاء هذا شاذاً، ويروى كالجمل الآنف بالمد وهو بمعناه الجوهري الخشاش بالكسر خشب يدخل في أنف البعير ثم الكاف مرفوعة المحل على أنها خبر ثالث، والمعنى أن كل واحد منهم كالجمل الأنف، ويجوز أن ينتصب محلها على أنها صفة لمصدر محذوف تقديره ليِنون ليناً مثل الجمل الأنف. ذكره الطيبي، والثاني أظهر والأول أدق، وبالاعتماد أحق، ولا يحتاج إلى تقدير كل واحد بل المعنى «أن المؤمنون كلهم من كمال انقيادهم واجتماعهم في سبيل رضاء مولاهم مثل الجمل الواحد المأنوف»، فالجمل صحيح مع إفادة المبالغة كما ورد «المؤمنون كرجل واحد إن اشتكى رأسه اشتكى كله، وإن اشتكى عينه اشتكى كله»[1] على ما رواه أحمد ومسلم عن النعمان بن بشير، أو المراد بالجمل الجنس فيستفاد منه معنى الجمعية فلا إشكال («إن قيد») مجهول قاده وجره وقوله: («انقاد») ومطاوع له أي طاوعه وانسحب معه («وإن أنيخ») مجهول أناخ البعير إذا بركه، ومنه حديث منى مناخ من سبق («على صخرة») أي فرضاً أو مثلاً («استناخ»). في شرح السنة معنى الحديث أن المؤمن شديد الانقياد للشارع في أوامره ونواهيه، وفي قوله: إن أنيخ [على صخرة] استناخ إيذان بكثرة تحمل المشاق لأن الإناخة على الصخرة شاقة. (رواه الترمذي مرسلاً). وفي الجامع رواه ابن المبارك عن مكحول مرسلاً والبيهقي عن ابن عمر أي متصلاً مرفوعاً[2].

٥٠٨٧ - **(وعن ابن عمر أن النبي ﷺ قال: «المسلم الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم أفضل من الذي لا يخالطهم ولا يصبر على أذاهم»)**، فيه فضيلة الخلطة على العزلة، وذلك مما يختلف باختلاف الأزمنة والأمكنة وأهلهما مع الشروط المعتبرة في آداب الصحبة. ففي الأحياء اختلفوا في المخالطة والعزلة وتفضيل أحدهما على الآخر، فقال أكثر التابعين: باستحباب المخالطة واستكثار المعارف والأحوال للتألف والتحبب إلى المؤمنين والاستعانة بهم في الدين تعاونا على البر والتقوى؛ روي عن علي رضي الله عنه أنه قال: «عليكم بالإخوان فإنهم عدة

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ٢٠٠٠ الحديث رقم (٦٧ - ٢٥٨٦)، وأحمد في المسند ٤/ ٢٧١.

(٢) لم أقف عليه عند الترمذي كما لم يعزه في الجامع الصغير ٢/ ٥٤٩ الحديث رقم ٩١٦٣ وأخرجه البيهقي في الشعب ٦/ ٢٧٢ الحديث رقم ٨١٢٨.

الحديث رقم ٥٠٨٧: أخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٥٧٢ الحديث رقم ٢٥٠٧، وابن ماجه في ٢/ ١٣٣٨ الحديث رقم ٤٠٣٢، وأحمد في المسند ٢/ ٤٣.

رواه الترمذيُّ، وابنُ ماجه.

٥٠٨٨ ـ (٢١) وعن سهلِ بن معاذٍ، عن أبيه، أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «مَن كظَمَ غيظاً وهوَ يقدِرُ على أن يُنفِّذَه دعاهُ اللّهُ على رؤوسِ الخلائقِ يومَ القيامةِ

لكم في الدنيا والآخرة، ألا تسمع إلى قول أهل النار، فما لنا من شافعين ولا صديق حميم» وهذا الحديث أوّل شيء على استحباب المخالطة ومال أكثر العباد والزهاد إلى اختيار العزلة وتفضيلها على المخالطة، وعليه الفضيل وأحمد بن حنبل وغيرهم. قال عمر رضي الله عنه. «خذوا بحظكم من العزلة»، وقال فضيل: «كفى بالله محباً وبالقرآن مؤنساً وبالموت واعظاً اتخذ الله صاحباً ودع الناس جانباً». وأوصى داود الطائي. أبا الربيع فقال: «صم من الدنيا واجعل فطرك الآخرة وفر من الناس فرارك من الأسد». وقال وهب بن الورد: «بلغنا أن الحكمة عشرة أجزاء تسعة منها في الصمت والعاشر في عزلة الناس». ودخل على حاتم الأصم بعض الأمراء فقال: «ألك حاجة» قال: نعم. قال: ما هي؟ قال: أن لا تراني». وقال ابن عباس: «أفضل المجالس مجلس في قعر بيتك [أن] لا ترى ولا ترى». وقيل: «آداب العزلة أربعة أن ينوي بها كف شره أولاً، ثم السلامة من الشر ثانياً، ثم الخلاص من الإخلال بالحقوق، ثالثاً ثم التجرد بكنه الهمة للعبادة رابعاً» اهـ. والمختار هو التوسط بين العزلة عن أكثر الناس وعوامهم، والخلطة بالصالحين منهم وخواصهم، والاجتماع مع عامتهم في نحو جمعتهم وجماعتهم بعد حصول العلم المحتاج إلى العمل ووصول الزهد الموجب لقطع الطمع عن الخلق؛ ولذا قال بعض العارفين: «العزلة بغير عين العلم زلة؛ وبغير زاي الزهد علة، وهذا طريق الكمل من الصوفية كالنقشبندية والشاذلية والبكرية فهم كائنون بائنون قريبون غريبون فرشيون عرشيون. كما قيل: «كن وسطاً وامش جانباً». **(رواه الترمذي وابن ماجه)**. وفي الجامع بلفظ «المؤمن الذي يخالطه الناس ويصبر على أذاهم أفضل من المؤمن الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم»[1] رواه أحمد والبخاري في الأدب المفرد، والترمذي وابن ماجه عن ابن عمر.

٥٠٨٨ ـ **(وعن سهل بن معاذ)** أي ابن أنس كما في المعالم **(عن أبيه)**، المتبادران المراد بمعاذ هو ابن جبل لأنه المشهور بين الصحابة إلا أنه في هذا المقام معاذ بن أنس بقرينة قوله: سهل بن معاذ، فإنه ولد معاذ بن أنس، فقد قال المؤلف في أسماء رجاله: هو معاذ بن أنس الجهني معدود في أهل مصر وحديثه عندهم، روى عنه ابنه سهل **(أن النبي ﷺ قال: «من كظم غيظاً)** أي اجترع غضباً كامناً فيه **(وهو يقدر على أن ينفذه»)** بتشديد الفاء أي يمضيه، وفي رواية على إنفاذه، فيجوز تخفيف الفاء، والجملة حالية وجواب الشرط **(ادعاه الله على رؤوس الخلائق يوم القيامة»)** أي شهره بين الناس وأثنى عليه وتباهى به ويقال في حقه: هذا الذي

---

(١) الجامع الصغير في ٢/ ٥٤٩ الحديث رقم ٩١٥٤.

الحديث رقم ٥٠٨٨: أخرجه أبو داود في السنن ٥/ ١٣٧ الحديث رقم ٤٧٧٧، والترمذي في السنن ٤/ ٣٢٦ الحديث رقم ٢٠٢١، وابن ماجه ٢/ ١٤٠٠ الحديث رقم ٤١٨٦ وأحمد في المسند ٣/ ٤٤٠.

حتى يُخيِّرَه في أيِّ الحُورِ شاءَ». رواه الترمذيُّ، وأبو داود، وقال الترمذي: هذا حديثٌ غريب.

٥٠٨٩ ـ (٢٢) وفي رواية لأبي داود، عن سُوَيدِ بن وهبٍ، عن رجلٍ من أبناءِ أصحاب النبيِّ ﷺ، عن أبيه، قال: «ملأ اللهُ قلبَه أمناً وإيماناً».

وذُكِرَ حديثُ سوَيدٍ: «مَن تركَ لُبسَ ثوبِ جمالٍ» في «كتاب اللباس».

صدرت منه هذه الخصلة العظيمة (**«حتى يخيره»**) أي يجعله مخيراً (**«في أي الحور شاء»**) أي في أخذ أيهن شاء، وهو كناية عن إدخاله الجنة المنيعة وإيصاله الدرجة الرفيعة. وفي النهاية كظم الغيظ تجرعه، واحتمال سببه والصبر عليه. قال الطيبي: وإنما حمد الكظم لأنه قهر للنفس الأمارة بالسوء ولذلك مدحهم الله تعالى بقوله: ﴿**والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس**﴾ [آل عمران ـ ١٣٤]، ومن نهي النفس عن هواه فإن الجنة ما واه والحور العين جزاه، قلت: وهذا الثناء الجميل والجزاء الجزيل إذا ترتب على مجرد كظم الغيظ، فكيف إذا انضم العفو إليه أو زاد بالإحسان عليه. قال النووي: «الإحسان أن تحسن إلى المسيء، فإن الإحسان إلى المحسن متاجرة»، وفي البيضاوي عن النبي ﷺ: «إن هؤلاء في أمتي قليل إلا من عصمه الله وقد كانوا كثيراً من الأمم التي مضت» اهـ. وهو قد ذكره التغلبي عن مقاتل بن حبان قال: بلغنا أن رسول الله ﷺ قال: «إن هؤلاء الخ» ولعله مأخوذ من قوله تعالى: ﴿**والسابقون السابقون أولئك المقربون في جنات النعيم ثلة من الأولين وقليل من الآخرين**﴾ [الواقعة ـ ١٠ ـ ١٤] (**رواه الترمذي وأبو داود وقال الترمذي: هذا حديث غريب**)، وكذا رواه أحمد في مسنده.

٥٠٨٩ ـ (**وفي رواية لأبي داود عن سويد بن وهب**) ذكره المؤلف في التابعين وقال: هو شيخ لابن عجلان (**«عن رجل من أبناء أصحاب النبي ﷺ عن أبيه»**) أي الصحابي، ويحتمل أن يكون الابن أيضاً صحابياً وأن يكون تابعياً (**قال:**) أي بدل الجزاء السابق مع محافظة الإبقاء على شرطه إلا قول: أن ينفذه، فإن أصول هذا الحديث اتفقت على تبديله على إنفاذه (**«ملأ الله قلبه أمناً وإيماناً»**). وفي الجامع رواه ابن أبي الدنيا في ذم الغضب عن أبي هريرة (**وذكر حديث سويد**) أي ابن وهب بإسناده المذكور (**«ومن ترك لبس ثوب جمال»**) أي وهو يقدر عليه كساه الله حلة الكرامة (**«في كتاب اللباس»**)، وهو محتمل أن يكون عن تكرير أسقطه وأن يكون حوّله من هنا إلى ذلك الباب لمناسبته إلى ذلك الكتاب والله أعلم بالصواب.

الحديث رقم ٥٠٨٩: أخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٥٦١ الحديث رقم ٢٤٨١.

الفصل الثالث

٥٠٩٠ ـ (٢٣) عن زيدِ بن طلحةَ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إنَّ لكلِّ دِينٍ خُلُقاً وخُلُقُ الإسلامِ الحَياءُ». رواه مالك مرسلاً.

٥٠٩١ ـ (٢٤) و٥٠٩٢ ـ (٢٥) ورواه ابنُ ماجه، والبيهقي في «شعب الإيمان» عن أنسٍ، وابنِ عبّاسٍ.

(الفصل الثالث)

٥٠٩٠ ـ (عن زيد بن طلحة) تابعي روى عنه سلمة بن صفوان الزرقي أخرج حديثه مالك في الحياء ذكره المؤلف (قال: قال رسول الله ﷺ: «إن لكل دين خلقاً») أي مختصاً به أو غالباً فيه، («وخلق الإسلام الحياء») أي فيما شرع فيه الحياء بخلاف ما لم يشرع فيه كتعلم العلم والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والحكم بالحق والقيام به وأداء الشهادات على وجهها. كذا ذكره السيوطي، وفيه أن ارتكاب المذكورات لا يخلو عن الحياء، عن الحق وعدم الالتفات إلى الخلق على ما سبق تحقيقه وحقق طريقه، فالحكم على عمومه من استعمال الحياء من الله في جميع الأحكام بأن يستحيي من فعل الآثام، ومن ترك شعبة من شعب الإسلام بل ولا عبرة بالحياء من الأنام لا فعلاً ولا تركاً عند علماء الأعلام «وفي النهاية الخلق الدين والطبع والسجية قلت: المراد هنا السجية أي بمعنى الخصلة أي لكل دين سجية شرعت فيه، وحض أهل ذلك الدين عليها قال الطيبي: والمعنى أن الغالب على أهل كل دين سجية سوى الحياء، والغالب على أهل ديننا الحياء لأنه متمم لمكارم الأخلاق، وإنما بعث ﷺ لإتمامها وقال يوماً لأصحابه: «استحيوا من الله تعالى حق الحياء»[1]. الحديث قلت: الظاهر أن المعنى أن الغالب على أهل كل دين سجية سوى الحياء فإنه مختصة بالغلبة لنا مع اشتراكنا لجميع الملل في سائر السجيات لقوله عليه الصلاة والسلام: «بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»، بل الأظهر أن الأخلاق كلها كانت ناقصة فيمن قبلنا، وإنما كملت في ديننا ببركة نبينا ﷺ، ولذا قال تعالى: ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس﴾ [آل عمران ـ ١١٠] الآية. (رواه مالك) أي عن زيد بن طلحة (مرسلاً) لأنه تابعي.

٥٠٩١ ـ ٥٠٩٢ ـ (ورواه ابن ماجه والبيهقي في شعب الإيمان عن أنس وابن عباس) أي

الحديث رقم ٥٠٩٠: أخرجه مالك في الموطأ ٢/ ٩٠٥ الحديث رقم ٩، من كتاب حسن الخلق.

(١) أخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٥٥٠ الحديث رقم ٢٤٥٨.

الحديث رقم ٥٠٩١ و٥٠٩٢: أخرجه ابن ماجه في ٢/ ١٣٩٩ الحديث رقم ٤١٨١، وعن ابن عباس الحديث رقم ٤١٨٢، والبيهقي في الشعب ٦/ ١٣٦ الحديث رقم ٧٧١٦.

٥٠٩٣ ـ (٢٦) وعن ابنِ عمَرَ، أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «إنَّ الحَياءَ والإيمانَ قرناء جميعاً، فإذا رُفِعَ أحدُهما رُفِعَ الآخرُ».

٥٠٩٤ ـ (٢٧) وفي رواية ابنِ عبَّاسٍ: «فإذا سُلِبَ أحدُهما تبِعَه الآخرُ» رواه البيهقي في «شعب الإيمان».

٥٠٩٥ ـ (٢٨) وعن مُعاذٍ، قال: كانَ آخرُ ما وصَّاني به رسولُ الله ﷺ: وضعتُ رِجلي في الغَرْزِ أن قال: «يا معاذُ! أحسِنْ خُلُقَكَ للنَّاسِ».

مرفوعاً لا موقوفاً كما يتوهم من الإطلاق، ثم ظاهره أن كلاً منهما يروي عن كليهما، ويحتمل أن يكون على طريق اللف والنشر والله أعلم، ثم رأيت في الجامع الصغير أسند الحديث إلى ابن ماجه بروايته عنهما فدل على أن البيهقي كذلك.

٥٠٩٣ ـ (**وعن ابن عمر أن النبي ﷺ قال: «إن الحياء والإيمان**) أي الكامل (**«قرناء»**) جمع قرين. قال الطيبي: فيه دليل لمن يقول: أقل الجمع اثنان اهـ. وفي نسخة قرناً بالماضي المثنى المجهول أي جعلاً مقرونين (**«جميعاً»**) أي مجتمعين وهو تأكيد في المعنى، (**فإذا رفع أحدهما رفع الآخر**).

٥٠٩٤ ـ (**وفي رواية ابن عباس فإذا سلب أحدهما تبعه الآخر، رواه البيهقي في شعب الإيمان**)، ووافقه الحاكم وأبو نعيم في الحلية عن ابن عمر[1] ووافقه الطبراني في الأوسط عن ابن عباس لكن لفظه: «الحياء والإيمان في قرن، فإذا سلب أحدهما تبعه الآخر». وفي رواية له أيضاً عن أبي موسى بلفظ «الحياء والإيمان مقرونان لا يفترقان إلا جميعاً».

٥٠٩٥ ـ (**وعن معاذ**) أي ابن جبل (**قال: كان آخر ما وصاني به رسول الله ﷺ**) أي حالة توجهي إلى اليمن بأمره (**«حين وضعت رجلي في الغرز»**) بغين معجمة مفتوحة فسكون راء فزاي أي في موضع ركاب من رحل البعير كالركاب للسرج، قاله الباجي. وفي النهاية الغرز ركاب كور الجمل إذا كان من جلد أو خشب، وقيل: هو الكور مطلقاً كالركاب للسرج، (**«إن قال: يا معاذ أحسن خلقك للناس»**). قال الطيبي: إن قال: خبر كان وحين وضعت ظرف، قاله: حين بعثه إلى اليمن للقضاء أوصاه ليجامل الناس بحسن الخلق. قال السيوطي، تحسين خلقه أن يظهر لمن يجالسه أو ورد عليه البشر والحلم والإشفاق والصبر على التعليم والتودد إلى الصغير والكبير، والمراد بالناس من يستحق ذلك فأما أهل الكفر والإصرار على الكبائر والتمادي على الظلم فلم يؤمر بتحسين الخلق لهم، بل يؤمر بأن يغلظ عليهم قلت: قد يقال:

الحديث رقم ٥٠٩٣: أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ٦/ ١٤٠ الحديث رقم ٧٧٢٧.

الحديث رقم ٥٠٩٤: أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ٦/ ١٤٠ الحديث رقم ٧٧٢٦.

(١) الحاكم في المستدرك ١/ ٢٢، وأبو نعيم في الحلية ٤/ ٢٩٧.

الحديث رقم ٥٠٩٥: أخرجه مالك في الموطأ ٢/ ٩٠٢ الحديث رقم ١ من كتاب حسن الخلق.

رواه مالك.

٥٠٩٦ ـ (٢٩) وعن مالك، بلَغه أنّ رسولَ الله ﷺ قال: «بُعثتُ لأتمِّمَ حُسنَ الأخلاقِ». رواه في «الموطأ».

٥٠٩٧ ـ (٣٠) ورواه أحمد عن أبي هريرة.

إن الرفق من جملة حسن الخلق، فيمكن أن يعم جميع الخلق، قال الله تعالى: ﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة﴾ [النحل ـ ١٢٥] الآية. (رواه مالك).

٥٠٩٦ ـ (وعن مالك بلغه) بتخفيف اللام وضمير المفعول إليه والفاعل قوله: («إن رسول الله ﷺ)، وهو يحتمل أن يكون متصلاً عند مالك، لكنه لم يذكر التابعي ولا الصحابي، وأن يكون منقطعاً بأن ترك فيه روايات، وهذا هو الظاهر وإلا لذكر الصحابي فكان مرفوعاً أو ذكر التابعي فكان مرسلاً. وقال الطيبي: هذا يحتمل أن يكون متصلاً، وراوي مالك لم يذكر الاتصال وأن يكون مرسلاً وإن لم يذكر مالك التابعي ولا الصحابي وقيل: إنه منقطع، قلت: هذا كله احتمالات عقلية وكونه منقطعاً هو الموافق للقواعد الحديثية إذ لا يقال في غيره: إنه بلغه بل التحقيق أنه من قبيل المعلق، وفيه بحث طويل بينته في شرح النخبة في أصول الحديث (قال: بعثت) بصيغة المفعول أي أرسلت إلى الخلق («لأتمم حسن الأخلاق») بضم حاء وسكون سين أي الأخلاق الحسنة والأفعال المستحسنة، وفي نسخة بفتحتين أي لأن أجعل حسنها أحسنها. قال البيضاوي: «وكانت العرب أحسن أخلاقاً بما بقي عندهم من شريعة إبراهيم عليه السلام، وكانوا ضلوا بالكفر عن كثير منها، فبعث ﷺ ليتمم محاسن الأخلاق». ذكره السيوطي، والتحقيق ما قدمناه فيما سبق، وقال الطيبي: قوله: «لأتمم» الخ يحتمل أن يراد به أنه كملها بعد النقصان وأنه جمعها بعد التفرقة، وعليه قوله تعالى: ﴿أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده﴾ [الأنعام ـ ٩٠] قال الإمام فخر الدين: الآية دالة على فضله صلوات الله وسلامه عليه لأنه تعالى أمره بالاقتداء بهداهم، ولا بد له من امتثاله لذلك الأمر، فوجب أن يجتمع فيه جميع خصالهم وأخلاقهم المتفرقة، وإلى معنى الأول أشار ﷺ بقوله: «مثلي ومثل الأنبياء كمثل قصر أحسن بنيانه وترك موضع لبنة منه» إلى أن قال: «فكنت أنا سددت موضع تلك اللبنة حتى تم بي البنيان» اهـ. ولا منع من الجمع بين القولين لأنه ﷺ كان في مرتبة جمع الجمع الله يجمع بيننا في المسير وإليه المصير. (رواه) أي مالك (في الموطأ) وتقدم ما فيه من المناقشة أو يصير التقدير رواه مالك عن مالك فكان حق المؤلف أن يقول: كذا في الموطأ.

٥٠٩٧ ـ (رواه أحمد عن أبي هريرة) أي مرفوعاً. وفي الجامع «إنما بعثت لأتمم صالح

الحديث رقم ٥٠٩٦: أخرجه مالك في الموطأ ٢/ ٩٠٤ الحديث رقم ٢ من كتاب حسن الخلق.

الحديث رقم ٥٠٩٧: أخرجه أحمد في المسند ٢/ ٣٨١.

٥٠٩٨ - (٣١) وعن جعفر بن محمدٍ، عن أبيه، قال: كانَ رسولُ الله ﷺ نظرَ في المرآةِ قال: «الحمدُ للهِ الذي حسَّنَ خَلقي وخُلقي، وزانَ [٣٨٠ - ب] مني ما شانَ من غيري» رواه البيهقي في «شعب الإيمان مرسلاً».

٥٠٩٩ - (٣٢) وعن عائشةَ، قالتْ: كانَ رسولُ الله ﷺ يقولُ: «اللهم كما حسَّنتَ

الأخلاق». رواه ابن سعد والبخاري في الأدب المفرد والحاكم والبيهقي في شعبه عن أبي هريرة(١).

٥٠٩٨ - (وعن جعفر) أي الصادق («ابن محمد») أي الباقر («عن أبيه») تابعي أدرك جابراً وبلغه السلام من النبي ﷺ («قال: كان رسول الله ﷺ إذا نظر») أي إلى وجهه الشريف («في المرآة») بكسر الميم («قال: الحمد لله الذي حسن») بتشديد السين أي أحسن («خلقي وخلقي») بفتح الأول وضم الثاني، وقدم الأول لظهوره أولا ونظراً إلى الترقي («وزان») أي زين («مني») أي من خلقي وخلقي («ما شان») أي عابه وقبحه («من غيري») سواء في خلقه أو خلقه وفيه دلالة صريحة على أن صورته وسيرته على أتم الحسن بالنسبة إلى غيره. قال الطيبي: فيه معنى قوله: «بعثت لأتمم حسن الأخلاق»، فجعل النقصان شيناً. كما قال أبو الطيب: ولم أر في عيوب الناس عيباً، كنقص القادرين على التمام، وعلى نحو هذا الحمد حمد داود وسليمان عليهما الصلاة والسلام في قوله تعالى: ﴿ولقد آتينا داود وسليمان علماً وقالا الحمد لله الذي فضلنا على كثير من عباده المؤمنين﴾ [النمل - ١٥] وفيه استحباب النظر في المرآة والحمد على حسن الخلقة والخلق لأنهما نعمتان موهوبتان من الله تعالى يجب الشكر عليهما اهـ بقي أن معرفة حسن الظاهر من المرآة ظاهرة باعتبار المظاهر، فما معنى ذكر الخلق والسيرة، فإنه أمر باطن ويمكن أن يقال: إن الظاهر عنوان الباطن أو أنه من باب الشيء بالشيء يذكر، فإن قلت: فهل لغيره أن يقتدي به ويقول هذا الحمد، أو هذا مختص به ﷺ ويكون لغيره أن يدعو بما سيأتي في الحديث الذي يليه قلت: ويجوز لكل مؤمن أن يقول: ذلك القول لأن الإنسان من حيث هو خلق على أحسن تقويم، وصاحب الإيمان لا شك أنه على خلق مستقيم ودين قويم وفوق كل ذي علم عليم. (رواه البيهقي في شعب الإيمان مرسلا)، وكذا رواه البزار عن أنس مرفوعاً ولفظه «الحمد لله الذي سوى خلقي وأحسن صورتي وزان مني ما شان من غيري»(٢). وفي رواية للطبراني وابن السني عن أنس أيضاً «الحمد لله الذي سوّى خلقي فعدله، وصوّر صورة وجهي فأحسنها، وجعلني من المسلمين».

٥٠٩٩ - (وعن عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ يقول:) أي مطلقاً أو عند نظره إلى المرآة على ما صرح به الجزري في الحصن، وهو اللائق للحديث السابق («اللهم كما حسنت

---

(١) الحاكم في المستدرك ٢/ ٦١٣.

الحديث رقم ٥٠٩٨: أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ٤/ ١١١ الحديث رقم ٤٤٥٩.

(٢) كشف الأستار ٤/ ٣٢ الحديث رقم ٣١٢٤.

الحديث رقم ٥٠٩٩: أخرجه أحمد في المسند ٦/ ٦٨.

خَلقي فأحسِنْ خُلقي». رواه أحمد.

٥١٠٠ ـ (٣٣) وعن أبي هريرةَ، قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «ألا أُنَبِّئُكم بخيارِكم؟» قالوا: بلَى قال: «خِيارُكم أطولُكم أعماراً، وأحسنُكم أخلاقاً» رواه أحمد.

٥١٠١ ـ (٣٤) وعنه، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «أكملُ المؤمنين إيماناً أحسنُهم خُلقاً». رواه أبو داود، والدارمي.

خلقي فأحسن خلقي)، يحتمل أن يريد به طلب الكمال وإتمام النعمة عليه بإكمال دينه قال تعالى: **﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي﴾** [المائدة ـ ٣] وفيه إشارة إلى قول عائشة رضي الله عنها: «كان خلقه القرآن»، وأن يكون قد طلب المزيد والثبات على ما كان قلت: طلب الثبات على ما كان بالنسبة إليه ﷺ كتحصيل الحاصل الذي لا يرضى به الكامل، فالتحقيق أنه لطلب المزيد كما يفيده قوله تعالى: **﴿وقل رب زدني علماً﴾** [طه ـ ١١٤] وقد صرح بعض العارفين بأن الترقيات الباطنية لا تتناهى حتى في الجنة لأنها حاصلة من التجليات الإلهية وهي لا تحصى. ولعل في قوله سبحانه: **﴿للذين أحسنوا الحسنى﴾** [يونس ـ ٢٦] وزيادة إيماء إلى هذه الإفادة. (**رواه أحمد**) وكذا رواه الدارمي عن عائشة وابن حبان عن ابن مسعود ولفظهما «اللهم أنت حسنت خلقي فحسن خلقي». ورواه البزار عن عائشة وأبي هريرة أيضاً بلفظ «اللهم كما حسنت خلقي فأحسن خلقي وحرم وجهي على النار»[١].

٥١٠٠ ـ (**وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا أنبئكم بخياركم قالوا: بلى. قال: خياركم أطولكم أعماراً**) أي في الكمية أو الكيفية (**«وأحسنكم أخلاقاً»**) أي الهية وإنسانية أو عبر عن الأعمال بالأخلاق لأنها منبعها ومعدنها ولأن مدارها في الحسن والقبح عليها لقوله عليه السلام على ما رواه الطبراني وأبو نعيم في الحلية عن عبد الله بن بسر مرفوعاً: «طوبى لمن طال عمره وحسن عمله»[٢]. قال الطيبي: فيه إشارة إلى ما قال ﷺ في جواب من سأله أي الناس خير قال: «من طال عمره وحسن عمله»، فقوله: وأحسنكم أخلاقاً كقوله: وحسن عمله، في إرادة الجمع بين طول العمر وحسن الخلق. (**رواه أحمد**).

٥١٠١ ـ (**وعنه**) أي عن أبي هريرة (**قال: قال رسول الله ﷺ: «أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً. رواه أبو داود والدارمي**)، وكذا أحمد وابن حبان والحاكم[٣]، وزاد الترمذي

---

(١) أخرجه ابن حبان في ٣/ ٢٣٩ الحديث رقم ٩٥٩.

الحديث رقم ٥١٠٠: أخرجه أحمد في المسند ٢/ ٣٦٨.

(٢) أبو نعيم في الحلية ٦/ ١١١.

الحديث رقم ٥١٠١: أخرجه أبو داود في السنن ٥/ ٦٠ الحديث رقم ٤٦٨٢، والدارمي في ٢/ ٤١٥ الحديث رقم ٢٧٩٢، وأحمد في المسند ٢/ ٢٥٠.

(٣) أخرجه ابن حبان في صحيحه ٢/ ٢٢٧ الحديث رقم ٤٧٩، والحاكم في المستدرك ١/ ٣ والترمذي في السنن الحديث رقم ١١٦٢.

٥١٠٢ ـ (٣٥) وعنه، أنَّ رجلاً شتَمَ أبا بكرٍ، والنبيُّ ﷺ جالسٌ يتعجَّب ويتبسَّمُ، فلمَّا أكثرَ ردَّ عليه بعضَ قولِه، فغضبَ النبيُّ ﷺ، وقامَ، فلحقَه أبو بكرٍ، وقال: يا رسولَ الله! كانَ يشتمُني وأنت جالسٌ، فلمَّا ردَدْتُ عليه بعضَ قولِهِ غضبتَ وقمتَ. قال: «كانَ معكَ ملَكٌ يرُدُّ عليه، فلمَّا رددتَ عليهِ وقعَ الشَّيطانُ». ثمَّ قال: «يا أبا بكرٍ! ثلاثٌ كلُّهنَّ حقٌّ: ما منْ عبدٍ ظُلِم بمظلَمةٍ

وابن حبان في رواية «وخياركم لنسائهم».

٥١٠٢ ـ (وعنه) أي عن أبي هريرة («إن رجلاً شتم أبا بكر والنبي ﷺ جالس») جملة حالية («يتعجب») أي من شتم الرجل وقلة حيائه أو من صبر أبي بكر وكثرة وفائه («ويتبسم») لما يرى من الفرق بين الشخصين، وما يترتب على فعلهما من العقوبة الكاملة والرحمة النازلة، ولما ظهر له من مظاهر الجلال والجمال على ما هو مشهود أهل الكمال («فلما أكثر») أي الرجل في مقاله («رد») أي أجاب («أبو بكر عليه») أي على الرجل («بعض قوله:») عملاً بالرخصة المجوّزة للعوام وتركاً للعزيمة المناسبة لمرتبة الخواص قال تعالى: ﴿والذين إذا أصابهم البغي هم ينتصرون وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا وأصلح فأجره على الله﴾ [الشورى ـ ٣٩] وقال عز وجل: ﴿وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين﴾ [النحل ـ ١٢٦] وهو رضي الله عنه وإن كان جمع بين الانتقام عن بعض حقه وبين الصبر عن بعضه لكن لما كان المطلوب منه الكمال المناسب لمرتبته من الصديقية ما استحسنه ﷺ، وهذا معنى قوله: («فغضب النبي ﷺ») أي تغير منه تغير الغضبان («وقام») أي من ذلك المجلس وخلاهما عملاً بقوله تعالى: ﴿وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه﴾ [القصص ـ ٥٥] («فلحقه أبو بكر») أي معتذراً ومستفهماً («وقال: يا رسول الله كان») أي الرجل («يشتمني») بضم التاء ويكسر، («وأنت جالس، فلما رددت عليه بعض قوله») أي من الشتم بعينه أو بما يناسبه («غضبت قمت») يعني فما الحكمة في ذلك («قال: كان معك ملك يرد عليه») أي بدلك ويدلك على الصبر («فلما رددت عليه») أي بذاتك ودخل فيه حظاً لنفس («وقع الشيطان») أي وطلع الملك «والشيطان إنما يأمر بالفحشاء والمنكر، فخفت عليك أن تتعدى على خصمك وترجع ظالماً بعد أن كنت مظلوماً». وقد روي «كن عبد الله المظلوم ولا تكن عبد الله الظالم». وفي رواية «كن خيراً بني آدم». قال تعالى حكاية عن هابيل جواباً لقابيل ﴿لئن بسطت إلي يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك﴾ [المائدة ـ ٢٨] مع أنه يجوز له قتله دفعاً عن نفسه، وكان أقوى منه لكن اختار الطريق الأكمل ليكون من الفريق الكمل («ثم قال: يا أبا بكر ثلاث») أي خصال («كلهن حق») أي ثابت وصدق («ما من عبد ظلم») بصيغة المجهول («بمظلمة») بكسر اللام على المشهور وقيل: بفتحها أيضاً وأنكره بعض، وحكى الفراء الضم أيضاً، وفي المغرب: المظلمة الظلم واسم المأخوذ، وفي القاموس الظلم وضع الشيء في غير موضعه

الحديث رقم ٥١٠٢: أخرجه أحمد في المسند ٢/ ٤٣٦.

فيُغضي عنها للّهِ عزّ وجلّ إلا أعز الله بها نصرَه، وما فتحَ رجلٌ بابَ عطيّةٍ يريدُ بها صلةً إلا زادَ اللّهُ بها كثرة، وما فتحَ رجلٌ بابَ مسألة يريدُ بها كثرةً إلا زادَ اللّهُ بها قلّةً». رواه أحمد.

٥١٠٣ ـ (٣٦) وعن عائشة، قالتْ: قال رسولُ الله ﷺ: «لا يُريدُ اللّهُ بأهلِ بيتٍ رِفقاً إلاّ نَفَعَهم، ولا يَحْرِمُهم إيّاه إلاّ ضرَّهم». رواه البيهقيُّ في «شعب الإيمان».

والمظلمة بكسر اللام ما يظلمه الرجل («فيغضي») من الاغضاء بالغين والضاد المعجمتين وهو أدناء الجفون بمعنى الإغماض، والمراد منه هنا الأعراض، وفي نسخة فيعفى بالعين المهملة من الإعفاء وهو لغة في العفو والمعنى فيسامح («عنها») أي عن تلك المظلمة ويترك جوابها أو المطالبة بها في الدنيا أو مطلقاً («لله عزّ وجلّ») أي لا لفخر ولا سمعة ورياء («إلا أعز الله بها») أي بمقابلة تلك المظلمة والإهانة أو بسبب تلك الخصلة المعانة («نصره») أي إعانته في الدنيا والآخرة («وما فتح رجل باب عطية») أي صدقة («يريد بها صلة») أي صلة للرحم والقرابة أو وصلة للقربة، وفي رواية باب عطية بصدقة أو صلة («إلا زاد الله بها كثرة») أي بركة صورية ومعنوية («وما فتح رجل باب مسألة») أي سؤال من مخلوق («يريد بها كثرة») أي لأدفع حاجة ضرورية تلجئه («إلا زاد الله بها قلة») أي حسية أو حقيقية. وفي رواية إلا زاده الله تعالى في الموضعين. (رواه أحمد)، ورواه ابن أبي الدنيا في ذم الغضب عن عبد الرحمن بن عوف ولفظه «ثلاث أقسم عليهن ما نقص مال قط من صدقة فتصدقوا، ولا عفا رجل عن مظلمة ظلمها إلا زاده الله بها عزاً فاعفوا يزدكم الله عزاً، ولا فتح رجل على نفسه باب مسألة يسأل الناس إلا فتح الله عليه باب فقر». ورواه أحمد والترمذي عن أبي كبشة الأنماري ولفظه: «ثلاث أقسم عليهن ما نقص مال عبد من صدقة، ولا ظلم عبد مظلمة صبر عليها إلا زاده الله عزّ وجلّ عزاً، ولا فتح عبد باب مسألة إلا فتح الله عليه باب فقر، وأحدثكم حديثاً فاحفظوه، إنما الدنيا الأربعة، نفر عبد رزقه الله مالاً وعلماً فهو يتقي فيه ربه ويصل فيه رحمه ويعلم لله فيه حقاً فهذا بأفضل المنازل، وعبد رزقه الله علماً ولم يرزقه مالاً فهو صادق النية يقول: لو أن لي مالاً لعملت بعمل فلان فهو بنيته فأجرهما سواء، وعبد رزقه الله مالاً ولم يرزقه علماً يخبط في ماله بغير علم لا يتقي فيه ربه ولا يصل فيه رحمه ولا يعلم لله فيه حقاً فهذا بأخبث المنازل، وعبد لم يرزقه الله مالاً ولا علماً فهو يقول: لو أن لي مالاً لعملت فيه بعمل فلان فهو بنيته فوزرهما سواء»[1].

٥١٠٣ ـ (وعن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: «لا يريد الله بأهل بيت رفقاً إلا نفعهم») أي الله به («ولا يحرمهم») بفتح أوله، وقيل: بضمه أي ولا يمنع أهل بيت («إياه») أي الرفق («إلا ضرهم») أي أضرهم الله به. (رواه البيهقي في شعب الإيمان).

---

(١) أخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٤٨٧ الحديث رقم ٢٣٢٥، وأحمد في المسند ٤/ ٢٣١.

الحديث رقم ٥١٠٣: أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ٦/ ٣٣٧ الحديث رقم ٨٤١٨.

(٢٠) باب الغضب والكبر

الفصل الأول

٥١٠٤ ـ (١) عن أبي هريرةَ، أنّ رجلاً قال للنبيِّ ﷺ: أوْصِني.

باب الغضب والكبر

قال بعض المحققين: الغضب فوران دم القلب أو عرض يتبعه ذلك لدفع المؤذيات وللانتقام بعد وقوعها، فإطلاقه على الله كما في حديث رواه الترمذي وغيره «من لم يسأل الله يغضب عليه»[1] مجاز أي يفعل به ما يفعل الملك إذا غضب على من تحت يده من الانتقام وإنزال العقوبة، وأما الكبر فقال الراغب: هو الحالة التي يتخصص بها الإنسان من إعجاب نفسه بأن يرى نفسه أكبر من غيره وأعظمه الامتناع عن قبول الحق عن الله تعالى والإذعان للعبادة والاستكبار على وجهين، أحدهما أن يتحرى الإنسان أن يصير كبيراً وذلك متى كان على ما يجب فهو المحمود، والثاني أن يتشبع فيظهر من نفسه ما ليس له فهو المذموم كقوله: ﴿أبى واستكبر﴾ [البقرة ـ ٣٤] والمتكبر أيضاً على وجهين إما محمود وهو أن تكون أفعاله الحسنة كثيرة زائدة في الحقيقة على محاسن غيره وعلى هذا وصفه الله تعالى بالمتكبر في قوله تعالى: ﴿العزيز الجبار المتكبر﴾ [الحشر ـ ٢٣] أو مذموم وذلك إذا كان متكلفاً متشبعاً لذلك، وهذا وصف عامة الناس نحو قوله تعالى: ﴿فبئس مثوى المتكبرين﴾ [الزمر ـ ٧٢] وقال الغزالي: الكبر ينقسم إلى ظاهر وباطن، فإذا ظهر على الجوارح يقال: تكبر وإذا لم يظهر يقال: في نفسه كبر، فالأصل هو الخلق في النفس وهو الاسترواح والركون إلى رؤية النفس فوق المتكبر عليه، فإن الكبر يستدعي متكبراً عليه ليرى نفسه فوقه في صفات الكمال، ومتكبراً به، وبه يفصل الكبر عن العجب، فإن العجب لا يستدعي غير المعجب به بل لو لم يخلق إلا وحده تصوّر أن يكون معجباً ولا يتصوّر أن يكون متكبراً.

(الفصل الأوّل)

٥١٠٤ ـ (عن أبي هريرة: «أن رجلاً») هو ابن عمر، أو حارثة بن قدامة، أو سفيان بن عبد الله («قال للنبي ﷺ: أوصني») أي أرشدني بخصوصي إلى عموم ما ينفعني ديناً ودنيا،

---

(١) أخرجه الترمذي في السنن ٥/ ٤٢٦ الحديث رقم ٣٣٧٣.

الحديث رقم ٥١٠٤: أخرجه البخاري في صحيحه ١٠/ ٥١٩ الحديث رقم ٦١١٦، والترمذي في السنن ٤/ ٣٢٦ الحديث رقم ٢٠٢٠، ومالك في الموطأ ٢/ ٩٠٥ الحديث رقم ١١ من باب الغضب وأحمد في المسند ٢/ ١٧٥.

قال تغضب». فردَّ ذلكَ مراراً قال: «لا تغضب». رواه البخاري.

٥١٠٥ ـ (٢) وعنه، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «ليسَ الشديدُ

ويقربني إلى الله زلفى («قال: لا تغضب فردد») أي الرجل السؤال، وهو المشار إليه بذلك على ما في بعض النسخ («مراراً») أي ثلاثاً أو مرة بعد أخرى رجاء أن يضم معه إيصاء آخر («قال: لا تغضب»)، قال بعض المحققين: الغضب من نزغات الشيطان يخرج به الإنسان عن حد الاعتدال صورة وسيرة حتى يتكلم بالباطل، ويفعل المذموم شرعاً وعرفاً، وينوي الحقد والبغض وغير ذلك من القبائح التي كلها من أثر سوء الخلق، بل قد يكفر؛ ولهذا قال: لا تغضب وأصر عليه مع إلحاح السائل مريداً للزيادة أو التبديل فكأنه قال له: «حسن خلقك»، وهو من جوامع الكلم[١]، فالحديث من بدائع الكلم، ثم علاجه معجون مركب من العلم والعمل بأن يرى الكل من الله، ويذكر نفسه إن غضب الله أعظم وفضله أكثر، وكم خالف أمره ولم يغضب عليه، ويتعوّذ ويتوضأ ويشغل نفسه بشيء. قال التوربشتي: قد كان ﷺ مكاشفاً بأوضاع الخلق عارفاً بأدوائهم يضع الهنا موضع النقب[٢]، يأمرهم بما هو أولى بهم فلما استوصاه الرجل وقد رآه مملوءاً بالقوّة الغضبية لم ير له خيراً من أن يتجنب عن دواعي الغضب ويزحزح نفسه عنه. وقال القاضي: لعله ﷺ لما رأى أن جميع المفاسد التي تعرض للإنسان وتعتريه إنما تعرض له من فرط شهوته واستيلاء غضبه، والشهوة مكثورة [بالنسبة] إلى ما يقتضيه الغضب غير ملتفت إليها، فلما سأله الرجل أن يشير إليه ما يتوسل به إلى التجنب عن القبائح والتحرز عن مظانها نهاه عن الغضب الداعي إلى ما هو أعظم ضرراً وأكثر وزراً، فإن ارتفاع السبب يوجب ارتفاع مسبباته لا محالة، قلت: هو كلام حسن وبيان مستحسن، إلا أن التحقيق أن مدار الغضب على شهوة النفس، فإن الإنسان لا يغضب غضباً مذموماً إلا بتوهم فوت شهوة له أو بعد تحقق فوتها، ولهذا ترى كل من كان شهوته أكثر كالملوك والأمراء يكون غضبه أكبر ويجب عنه الحذر، ويؤيده الحديث الذي يليه. (رواه البخاري)، وكذا أحمد والترمذي عن أبي هريرة وأحمد والحاكم عن حارثة بن قدامة[٣]، ورواه ابن أبي الدنيا في ذم الغضب عن رجل ولفظه: «لا تغضب فإن الغضب مفسدة». وفي رواية لابن أبي الدنيا والطبراني عن أبي الدرداء: «لا تغضب ولك الجنة».

٥١٠٥ ـ (وعنه) أي عن أبي هريرة (قال: قال رسول الله ﷺ: «ليس الشديد») أي القوي

(١) في المخطوطة «الحكم». (٢) في المخطوطة «المنام موضع التعب».

(٣) أحمد في المسند ٥/ ٣٤ والحاكم في المستدرك ٣/ ٦١٥ وهو عن جارية بن قدامة وليس «حارثة بن قدامة».

الحديث رقم ٥١٠٥: أخرجه البخاري في صحيحه ١٠/ ٥١٨ الحديث رقم ٦١١٤، ومسلم في ٤/ ٢٠١٤ الحديث رقم (١٠٧ ـ ٢٦٠٩)، وأبو داود في السنن ٥/ ١٣٨ الحديث رقم ٤٧٧٩، ومالك في الموطأ ٢/ ٩٠٦ الحديث رقم ١٢ من كتاب البر والصلة، وأحمد في المسند ٢/ ٢٣٦.

بالصُّرَعةِ الشديدُ الذي يملِكُ نفسَه عندَ [٣٨١ ـ أ ـ] الغضبِ». متفق عليه.

٥١٠٦ ـ (٣) وعن حارثةَ بن وهبٍ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «ألا أُخبركم بأهلِ الجنّةِ؟ كلُّ ضعيفٍ متضعِّفٍ لو أقسَمَ على اللهِ لأبرَّه. ألا أُخبرُكم بأهل

كامل القوّة («بالصرعة») بضم ففتح كهمزة من يكثر الصرع، وهو إسقاط المصارع له لأنه قوّة بدنية صورية نفسية فانية («إنما الشديد») أي الكامل («الذي يملك نفسه عند الغضب»)، فإنه قوّة دينية معنوية إلهية باقية، فحوّل النبي ﷺ معنى هذا الاسم من القوّة الظاهرة إلى الباطنة ومن أمر الدنيا إلى الدين. وفي النهاية الصرعة بضم الصاد وفتح الراء المبالغ في الصراع الذي لا يغلب فنقله إلى الذي يملك نفسه عند الغضب، فإنه إذا ملكها كان قد قهر أقوى أعدائه وشر خصومه، ولذلك قال: «أعدى عدوّك نفسك التي بين جنبيك»، وهذا من الألفاظ التي نقلها عن وضعها اللغوي بضرب من التوسع والمجاز، وهو من فصيح الكلام، لأنه لما لكان الغضبان بحالة شديدة من الغيظ وقد ثارت عليه شهوة الغضب فقهرها بحلمه وصرعها بثباته، كان كالصرعة الذي يصرع الرجال ولا يصرعونه. (متفق عليه). ورواه الإمام أحمد في مسنده.

٥١٠٦ ـ (وعن حارثة بن وهب) ذكره المؤلف في الصحابة (قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا أخبركم بأهل الجنة، كل ضعيف») بالرفع على تقدير هو؛ وفي نسخة بالجر على البدلية. قال شارح: معناه أنه لا يسقط الناس، والأظهر أن معناه أنه ليس بمتكبر جبار ويدل عليه قرينته الآتية، فالحكم كلي لا غالبي على ما سيجيء، وقوله: («متضعف») بفتح العين ويكسر من باب التأكيد كجنود مجندة والقناطير المقنطرة وظل ظليل، وفائدة التاء الموضوع للطلب أن الضعف الحاصل فيه كأنه مطلوب منه التذلل والتواضع مع إخوانه وإن كان قوياً مترجلاً مع أعدائه، قال تعالى: ﴿أشداء على الكفار رحماء بينهم﴾ [الفتح ـ ٢٩] ﴿أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين﴾ [المائدة ـ ٥٤] ففيه إشارة إلى أن [كل] من كثر تواضعه مع المؤمنين يكون أعلى مراتب المقربين كما أن من يكون أكثر تكبراً وتجبراً يكون في أسفل السافلين، وقال النووي: ضبطوه بفتح العين وكسرها، والمشهور الفتح، ومعناه يستضعفه الناس ويحتقرونه ويتجرؤون عليه لضعف حاله في الدنيا. يقال: تضعفه واستضعفه، وإما على الكسر فمعناه متواضع متذلل خامل واضع من نفسه، والمراد أن أغلب أهل الجنة هؤلاء، كما أن معظم أهل النار القسم الأخير («لو أقسم على الله») أي في فعل أو ترك («لأبره») أي لأمضاه على الصدق وجعله باراً غير حانث في طلبه من الحق. وقال الطيبي: أي لو حلف يميناً طمعاً في كرم الله بإبراره لأبره («ألا أخبركم بأهل

الحديث رقم ٥١٠٦: أخرجه البخاري في صحيحه ٨/ ٦٦٣ الحديث رقم ٤٩١٨، ومسلم في ٤/ ٢١٩٠ الحديث رقم (٤٦/ ٢٨٥٣)، والرواية الثانية في (٢٧ ـ ٢٨٥٣)، والترمذي في السنن ٤/ ٦١٨ الحديث رقم ٢٦٠٥، وابن ماجه في ٢/ ١٣٧٨ الحديث رقم ٤١١٦، وأحمد في المسند ٤/ ٣٠٦.

النَّارِ؟ كلُّ عُتُلٍّ جوَّاظٍ مستكبرٍ». متفق عليه. وفي رواية لمسلم: «كلُّ جواظٍ زنيمٍ متكبِّرٍ».

٥١٠٧ ـ (٤) وعن ابنِ مسعودٍ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «لا يدخلُ النار أحدٌ في قلبِه مثقالُ حبَّةٍ منْ خردلٍ منْ إيمانٍ. ولا يدخلُ الجنة أحدٌ في قلبه مثقالُ حبةٍ من خردلٍ من كِبرٍ».

النار كل عتل») بضمتين فتشديد أي جاف شديد الخصومة بالباطل. وقيل: الجافي الفظ الغليظ («جواظ») بتشديد الواو أي جموع منوع أو مختال، وقيل: السمين من التنعم، وقيل: الفاجر بالجيم، وقيل: بالخاء («مستكبر») أي متكبر عن الحق أو على أهله. (متفق عليه). ورواه ابن ماجه عن معاذ ولفظه «ألا أخبركم عن ملوك الجنة» رجل ضعيف مستضعف ذو طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره»، ورواه الطبراني عن أبي الدرداء بلفظ: «ألا أخبركم بأهل النار، كل جعظري جوّاظ مستكبر جماع منوع، ألا أخبركم بأهل الجنة، كل مسكين لو أقسم على الله لأبره». (وفي رواية لمسلم «كل جواظ زنيم متكبر»)، والزنيم: الدعي في النسب الملصق بالقوم وليس منهم تشبيهاً له بالزنمة، وهي شيء يقطع من أذن الشاة ويترك معلقاً بها. ذكره الطيبي، وهو المناسب للآية الواردة في حق الوليد ابن المغيرة وأضرابه، وأما الحديث فينبغي أن يفسر بالمعنى الأعم، وهو اللئيم المعروف بلؤمه أو شره على ما في القاموس، ويمكن أن يكون الزنيم كناية عن هذا الوصف، فإنه لازمه غالباً، وقد ورد في حديث رواه أحمد وغيره عن أبي هريرة «ولد الزنا شر الثلاثة»، وفي رواية «إذا عمل بعمل أبويه»، وأما حديث «ولد الزنا لا يدخل الجنة فلا أصل له أصلاً» والله أعلم.

٥١٠٧ ـ (وعن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يدخل النار») أي دخول خلود («أحد في قلبه مثقال حبة») أي مقدار وزن حبة («من خردل»)، قيل: إنه الحبة السوداء وهو تمثيل للقلة كما جاء مثقال ذرة («من إيمان») أي من ثمرته وهي أخلاقه المتعلقة بالباطن أو الظاهر الصادر من نور الإيمان وظهور الإيقان، فإن حقيقة الإيمان، وهو التصديق، ليس قابلاً للزيادة والنقصان. فقول الطيبي فيه إشعار بأن الإيمان قابل للزيادة، والنقصان صدر من غير شعور بحقيقة الإيقان والاتقان، فإن الإيمان لا يتجزأ إلا باعتبار تعدد المؤمن به، ولا شك أن الإيمان ببعض ما يجب الإيمان به كلا إيمان نعم، له شعب كثيرة خارجة عن حقيقته وماهيته كالصلاة والزكاة وسائر أحكام الإسلام الظاهرة، وكالتواضع والترحم وسائر الأخلاق الباطنة الباهرة، ومنه الحديث «الإيمان بضع وسبعون شعبة»، ويدل على ما ذكرناه قوله: «والحياء شعبة من الإيمان»، فإن الإجماع على أنه غير داخل في مفهوم الإيمان ويدل عليه مقابلته بقوله: («ولا يدخل الجنة») أي مع السابقين («أحد في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر»)،

الحديث رقم ٥١٠٧: أخرجه مسلم في صحيحه ١/ ٩٣ الحديث رقم (١٤٨ ـ ٩١)، وأبو داود في السنن ٤/ ٣٥١ الحديث رقم ٤٠٩١، والترمذي في ٤/ ٣١٧ الحديث رقم ١٩٩٨، وابن ماجه في ٢/ ١٣٩٧ الحديث رقم ٤١٧٣، وأحمد في المسند ١/ ٤١٢.

رواه مسلم.

٥١٠٨ ـ (٥) وعنه، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «لا يدخلُ الجنَّةَ مَن كان في قلبِه مثقالُ ذرَّةٍ من كِبْرٍ». فقال رجلٌ: إنَّ الرجلَ يُحبُّ أنْ يكونَ ثوبُه حسناً ونعلُه حسَناً. قال: «إنَّ اللَّهَ تعالى جميلٌ يحبُّ الجمالَ».

فإنه «لا نزاع أن الكبر المجرد ليس بكفر، كما أن الكبر عن قبول الحق كفر إجماعاً. نعم، الكفر قابل للزيادة والنقصان على ما لا يخفى، ولذا قال تعالى: **﴿الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور﴾** [البقرة ـ ٢٥٧] أي من أنواع ظلمات الكفر والكفران إلى النور أي نور التوحيد، والإيمان، فمعنى الحديث، أنه لا يدخل الجنة مع الكبر، بل يصفى منه ومن كل خصلة مذمومة إما بالتعذيب أو بعفو الله ثم يدخل الجنة». قال الخطابي: للحديث تأويلان أحدهما أن يراد بالكبر الكفر والشرك، ألا ترى أنه قد قابله في نقيضه بالإيمان، وثانيهما أن الله تعالى إذا أراد أن يدخله الجنة نزع من قلبه ما كان في قلبه من الكبر حتى يدخلها بلا كبر وعلى في قلبه، وقوله: لا يدخل النار يعني دخول تأبيد وتخليد اهـ. وأراد في المعنى الثاني بالكبر التكبر على الناس. قال الطيبي: الوجه الأوّل من باب المقابلة المعنوية وهو من أنفسها، فإنه أشار بالإيمان إلى أن الكبر من صفات الكافرين، فيجب أن يجتنب عنه، وبالكبر تلميح إلى أن التواضع من سمات المؤمنين، فينبغي أن يرغب فيه، وهو الوجه، لأن القصد الأولي في سياق الكلام، وإيراده إلى معنى الوصفين للترغيب في أحدهما، والتنفير عن الآخر لا إلى حكم الموصوفين وإن لزمه تبعاً اهـ وهو غاية التحقيق ونهاية التدقيق. **(رواه مسلم)**.

٥١٠٨ ـ **(أي عن ابن مسعود (قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر فقال رجل:)** هو معاذ بن جبل أو عبد الله بن عمرو بن العاص أو ربيعة بن عامر أقوال **(«أن الرجل»)** أي جنسه، والمراد به الشخص **(«يحب أن يكون ثوبه حسناً ونعله حسناً»)** أي من غير أن يراعي نظر الخلق وما يترتب عليه من الكبر والخيلاء والسمعة والرياء، وعلامة صدقه أن يحب ذلك أيضاً في الخلاء ثم النعل ما وقيت به القدم، وهي مؤنثة سماعية. ذكرها ابن الحاجب في رسالته فيما يجب تأنيثه، وفي المشارق ونعله حسنة، فالتذكير هنا باعتبار معناها، وهو ما وقيت به القدم. كذا ذكره بعضهم، ويمكن أن يقال: التقدير: ونعله ذات حسن أو عدل عن فعلاء إلى فعل للمشاكلة مع قابلية اللفظ أن يقرأ كذلك، ولعل سبب السؤال ما ذكره الطيبي أنه لما رأى الرجل العادة في المتكبرين لبس الثياب الفاخرة ونحو ذلك سأل ما سأل **(«قال:»)** أي مجيباً له **(«إن الله جميل»)** أي في ذاته وصفاته وفعاله، وكل جمال صوري أو جميل معنوي فهو أثر جماله، فلا جمال ولا جلال ولا كمال إلا له سبحانه **(«يحب الجمال»)** أي ظهوره في مخلوقاته، ولذلك أظهرهم وجعلهم مظاهره، ويؤيده حديث «إن الله

الحديث رقم ٥١٠٨: أخرجه مسلم في صحيحه ١/ ٩٣ الحديث رقم (١٤٧ ـ ٩١)، وأبو داود في السنن ٤/ ٣٥١ الحديث رقم ٤٠٩١، والترمذي في ٤/ ٣١٧ الحديث رقم ١٩٩٩ وأحمد في المسند ١/ ٣٩٩.

الكِبْرُ بطرُ وغمط الحقِّ الناس». رواه مسلم.

٥١٠٩ ـ (٦) وعن أبي هريرة، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «ثلاثةٌ لا يكلِّمُهم اللَّهُ يومَ القيامةِ ولا يُزكّيهم». وفي رواية: «ولا ينظرُ إليهم ولهم عذابٌ أليمٌ: شيخٌ زانٍ، ومِلِكٌ كذَّابٌ، وعائلٌ مستكبِرٌ».

يحب أن يرى أثر نعمته على عبده» («الكبر بطر الحق») بفتح الموحدة والمهملة أي الكبر المذموم بطلان جمال الحق («وغمط الناس») أي استحقار الخلق، وأصل البطر شدة الفرح والنشاط، والمراد هنا قيل: سوء احتمال الغنى، وقيل: الطغيان عند النعمة، والمعنيان متقاربان. وفي النهاية بطر الحق هو أن يجعل ما يجعله الله حقاً من توحيده وعبادته باطلاً، وقيل: هو أن يتجبر عند الحق فلا يراه حقاً، وقيل: هو أن يتكبر عن الحق فلا يقبله. قال التوربشتي: وتفسيره على الباطل أشبه لما ورد في غير هذه الرواية إنما ذلك من سفه الحق وغمص الناس أي رأى الحق سفهاً. (رواه مسلم). وكذا الترمذي عن ابن مسعود والطبراني عن أبي أمامة، والحاكم عن ابن عمرو[1]، وابن عساكر عن جابر وعن ابن عمر، ورواه البيهقي عن أبي سعيد بزيادة «ويحب أن يرى أثر نعمته على عبده ويبغض البؤس والتباؤس». ورواه ابن عدي بزيادة «سخي يحب السخاء نظيف يحب النظافة».

٥١٠٩ ـ (وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاثة») أي أشخاص («لا يكلمهم الله») أي كلام رضا أو مطلقاً («يوم القيامة») أي وقت ظهور عدله وفضله وغضبه ورضاه («ولا يزكيهم») أي لا يثني عليهم بخلاف سائر المؤمنين أو لا يطهرهم من دنس الذنوب بالعفو عنهم. (وفي رواية) بدلاً عما قبله أو زيادة عليه وهو الظاهر («ولا ينظر إليهم») أي نظر لطف وعناية ورحمة ورعاية («ولهم عذاب أليم»)، يحتمل أن يكون من تتمة الرواية وأن يكون عوداً إلى أصل الحديث وهو المعتمد كقوله: («شيخ زان») لأن الزنا إذا كان قبيحاً من الشاب كونه معذوراً طبعاً، فمن الشيخ المنطفيء شهوته المنتفي غلمته يكون أقبح وفي نظر العقل أسمج («وملك كذاب») أي كثير كذب أو ذو كذب بناء على أن الصيغة للمبالغة أو النسبة، والثاني أبلغ («وعائل مستكبر») أي فقير متكبر لأن كبره مع انعدام سببه فيه من الجاه والمال يدل على كونه بالطبع ذميماً في الشرع. وقيل: المراد بالعائل ذو العيال، فتكبره عن أخذ الصدقة قدر ما يسد خلته وخلة عياله لم يكن إلا لاستيلاء هذه الرذيلة عليه بحيث يلحقه وعياله الضرر الشديد من تكبره. قال الطيبي: يعني الزنا قبيح، ومن الشيخ أقبح، والكذب سمج، ومن الملك أسمج، والتكبر مذموم ومن الفقير أذم اهـ. ويمكن أن يقال: المراد بالشيخ المحصن سواء

---

(١) الحاكم في المستدرك ٣/ ٤١٦.

الحديث رقم ٥١٠٩: أخرجه مسلم في ١/ ١٠٢ الحديث رقم (١٧٢ ـ ١٠٧)، وأبو داود في السنن ٣/ ٧٤٩ الحديث رقم ٣٤٧٥ والترمذي في ٤/ ١٢٨ الحديث رقم ١٥٩٥، والنسائي في ٧/ ٢٤٥ الحديث رقم ٤٤٥٨، وابن ماجه في ٢/ ٧٤٤ الحديث رقم ٢٢٠٧، وأحمد في المسند ٢/ ٤٨٠.

رواه مسلم.

٥١١٠ ـ (٧) وعنه، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «يقولُ اللّهُ تعالى: الكبرياءُ ردائي، والعظمةُ إزاري؛ فمن نازعَني واحداً منهما أدخلتُه النَّارَ».

يكون شاباً أو لا، ولكون الزنا أقبح منه شرعاً وعرفاً وجب فيه الرجم كما في الآية المنسوخة «الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة نكالاً من الله والله عزيز حكيم»، والمراد بالملك الغني، فإن الفقير قد يكذب لغرض فاسد من منفعة دنيوية ضرورية، والغني لا يحتاج إليه مطلقاً، فالكذب منه أقبح، والمراد بالفقير الذي يتكبر على الفقراء لأن التكبر على المتكبرين من الأغنياء صدقة والأظهر أن المراد به الفقير المتكبر عن الكسب والكد لنفسه وعياله مع القدرة عليه كما هو مشاهد في أهل زماننا، ولا شك أن هذا التكبر المتضمن للرعونة والرياء والسمعة مع إضرار النفس وارتكاب السؤال وأخذ المال من غير وجه حلال أقبح من تكبر الأغنياء لا سيما إذا كان يتكلف ويتزيا بزي الأكابر كبعض الفقهاء القائلين: «بأن الحلال ما حل بنا وأن الحرام ما حرمنا»، فإن العلل المركبة داء عضال يعجز عنه الحكماء وإن بلغوا مبلغ الكمال. **(رواه مسلم)**، وفي الجامع بلفظ: «ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم: شيخ زان، وملك كذاب، وعائل مستكبر».

٥١١٠ ـ **(وعنه)** أي عن أبي هريرة **(قال: قال رسول الله ﷺ: يقول الله تعالى: «الكبرياء)** أي الذاتي **(«ردائي»)** أي بمنزلته عندكم **(«والعظمة»)** أي الصفاتي **(«إزاري»)** أي في مرتبته لديكم، فإن رتبة الصفة دون رتبة الذات ولذا خص التكبير بكونه تحريمة للصلاة في القيام لله تعالى والتعظيم بالركوع المندوب فيه «سبحان ربي العظيم»، ومنه التعظيم لأمر الله، وحقيقته ترك الاشتغال بما سواه، فالتركيب نوع من التشبيه البليغ، والمعنى أنهما مختصان بي اختصاصاً ظاهراً كنسبة الثوبين إليكم حيث لا يمكن المنازعة في واحد منهما لأحد عليكم. فإذا عرفتم ذلك وعلمتم ما هنالك **(«فمن نازعني واحد منهما»)** أي من الوصفين بأن تكبر باعتبار ذاته، أو تعظم من حيثية صفاته وأراد نوعاً من المشاركة معي في نعوت ذاتي وصفاتي **(«أدخلته النار»)** أي نار العذاب وعقاب الحجاب، فإنه جزاء الكافرين وبئس مثوى المتكبرين. **(وفي رواية «قذفته»)** أي رميته من غير مبالاة به **(«في النار»)**. هذا مجمل المرام في هذا المقام، وأما تفصيله، ففي النهاية الكبرياء والعظمة الملك؛ وقيل: هي عبارة عن كمال الذات وكمال الوجود ولا يوصف بها إلا الله تعالى، وهو من الكبر بالكسر، وهو العظمة. ويقال: كبر بالضم يكبر أي عظم، فهو كبير اهـ. وقيل: إن الكبرياء والكبر والعظمة ألفاظ مترادفة متحدة المعنى. ولم يتعرض معظمهم للفرق، ولا بد من الفرق، إذ الأصل عدم الترادف ولما يقتضيه المقام من الفرق في مرتبة الجمع، قال الإمام فخر الدين الرازي: جعل الكبرياء قائماً. مقام الرداء،

الحديث رقم ٥١١٠: أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ٢٠٢٣ الحديث رقم (١٣٦ ـ ٢٦٢٠)، وابن ماجه في السنن ٢/ ١٣٩٧ الحديث رقم ٤١٧٤، وأحمد في المسند ٢/ ٤١٤.

وفي رواية: «قذفتُه في النار». رواه مسلم.

الفصل الثاني

٥١١١ ـ (٨) عن سلَمةَ بن الأكوَع، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «لا يزالُ الرجلُ يذهبُ بنفسه حتى يكتب في الجبارين، فيصيبهُ ما أصابه». رواه الترمذي.

والعظمة قائمة مقام الإزار، ومعلوم أن الرداء أرفع درجة من الإزار فوجب أن يكون صفة الكبرياء أرفع حالاً من صفة العظمة، ثم قال: يشبه أن يكون متكبراً في ذاته سواء استكبره غيره أم لا، وسواء عرف هذه الصفة أحد أم لا، وأما العظمة فهي عبارة عن كونه بحيث يستعظمه غيره، وإذا كان كذلك كانت الصفة الأولى ذاتية، والثانية إضافية، والذاتي أعلى من الإضافي اهـ. وأطنب الطيبي في توجيه قول الفخر وتوضيحه، ثم قال: وقد عرفت ما قيل: إن الكبر هو الإعراض عن الحق وتحقير الناس، فالتواضع هو الإذعان للحق وتوقير الناس، وهو المعني بقوله: التعظيم لأمر الله والشفقة على خلق الله. فالمعنى «من تكبر على الله وعلى الخلق ابتلاه الله تعالى في الدنيا بالذل والهوان وفي الآخرة يقذفه في أقصى دركات النيران، ومن تواضع لله مع الخلق رفع الله درجته في الدنيا والآخرة». (رواه مسلم)، وكذا أحمد وأبو داود وابن ماجه عن أبي هريرة، وابن ماجه أيضاً عن ابن عباس[1]، ورواه الحاكم عن أبي هريرة مختصراً بلفظ: «الكبرياء ردائي، فمن نازعني ردائي قصمته»، ورواه سمويه عن أبي سعيد وأبي هريرة بلفظ: «الكبرياء ردائي والعز إزاري، من نازعني في شيء منهما عذبته».

(الفصل الثاني)

٥١١١ ـ **(عن سلمة بن الأكوع)** صحابي مشهور **(قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يزال الرجل يذهب بنفسه»)**، قال المظهر وغيره الباء للتعدية أي يعلي نفسه ويرفعها ويبعدها عن الناس في المرتبة، ويعتقدها عظيمة القدر، أو للمصاحبة أي يرافق نفسه في ذهابها إلى الكبر ويعززها ويكرمها كما يكرم الخليل الخليل حتى تصير متكبرة؛ وفي أساس البلاغة يقال: ذهب به مر به مع نفسه قلت: ومن قبيل الأول قوله تعالى: ﴿**ذهب الله بنورهم**﴾ [البقرة ـ ١٧] أي أذهب نورهم. وخلاصة المعنى أنه لا يزال يذهبها عن درجتها ومرتبتها إلى مرتبة أعلى وهكذا **(«حتى يكتب»)** أي اسمه أو يثبت رسمه **(«في الجبارين»)** أي في ديوان الظالمين والمتكبرين أو معهم في أسفل السافلين **(«فيصيبه»)** بالنصب، وقيل: بالرفع أي فينال الرجل من بليات الدنيا وعقوبات العقبى **(«ما أصابهم»)** أي الجبارين كفرعون وهامان وقارون. **(رواه الترمذي)**.

---

(١) ابن ماجه في السنن ٢/ ١٣٩٧ ـ ٤١٧٥.

الحديث رقم ٥١١١: أخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٣١٨ الحديث رقم ٢٠٠٠.

٥١١٢ ـ (٩) وعن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جدّه، عن رسول الله ﷺ قال: «يُحشر المتكبّرون أمثالَ الذَّرِ يومَ القيامةِ، في صورِ الرجال يغشاهم الذلُّ من كل مكان،

٥١١٢ ـ (وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن رسول الله ﷺ قال: «يحشر المتكبرون أمثال الذر») أي في الصغر والحقارة («يوم القيامة في صور الرجال») أي من جهة وجوههم، أو من حيثية هيئتهم من انتصاب القامة («يغشاهم») أي يأتيهم («الذل من كل مكان») أي من كل جانب، والمعنى أنهم يكونون في غاية من المذلة والنقيصة يطؤهم أهل المحشر بأرجلهم من هوانهم على الله كما سيأتي في رواية الجامع. هذا وفي النهاية: الذر النمل الأحمر الصغير واحدها ذرة وقيل: الذرة يراد بها ما يرى في شعاع الشمس الداخل في النافذة قلت: نعم، قد يراد بها، بل الظاهر أنه المراد في قوله: ﴿ومن يعمل مثقال ذرة﴾ [الزلزلة ـ ٨] كما أنه المراد جزماً في قوله تعالى: ﴿إن الله لا يظلم مثقال ذرة﴾ [النساء ـ ٤٠] وأما إرادة هذا المعنى في هذا المقام فغير صحيح لقوله: في صور الرجال، وما فيه من المقال، قال التوربشتي: يحمل ذلك على المجاز دون الحقيقة أي أذلاء مهانين يطؤهم الناس بأرجلهم، وإنما منعنا عن القول بظاهره ما أخبرنا به الصادق المصدوق ﷺ: «إن الأجساد تعاد على ما كانت عليه من الإجزاء، حتى أنهم يحشرون غرلاً يعاد منهم ما انفصل عنهم من القلفة»، وإلى هذا المعنى أشار بقوله: «يغشاهم الذل من كل مكان». قال الأشرف: إنما قال في صور الرجال بعد قوله: «أمثال الذر» قطعاً منه حمل قوله: «أمثال الذر على الحقيقة ودفعاً لوهم من يتوهم أن المتكبر لا يحشر في صورة الإنسان، وتحقيقاً لإعادة الأجساد المعدومة على ما كانت عليه من الأجزاء». وقال المظهر: يعني صورهم صور الإنسان وجثتهم كجثة الذر في الصغر. قال الطيبي: لفظ الحديث يساعد هذا المعنى لأن قوله: «أمثال الذر» تشبيه لهم بالذر، ولا بد من بيان وجه الشبه لأنه يحتمل أن يكون وجه الشبه الصغر، في الجثة، وأن يكون الحقارة والصغار، فقوله: «في صور الرجال» بيان للوجه ودفع وهم من يتوهم خلافه، وأما قوله: «إن الأجساد تعاد على ما كانت عليه من الأجزاء»، فليس فيه أن لا تعاد تلك الأجزاء الأصلية في مثل الذر لأنه تعالى قادر عليه، وفيه الخلاف المشهور بين الأصوليين، وعلى هذا الحقارة ملزوم هذا التركيب، فلا ينافي إرادة الجثة مع الحقارة اهـ، وفيه أنه لا كلام في قدرته تعالى على كل شيء، وإنما الكلام في أنه هل تعلق القدرة به أم لا؛ وإذا صح في الخبر «إن الخلق كلهم يحشرون غرلاً»، فلا شك أنه لا بد من تحقق إعادة جميع الأجزاء الأصلية من المتصلة والمنفصلة كالأظفار المقلوعة والشعور المحلوقة، وأمثال ذلك تصديقاً لكلام الشارع وتحقيقاً لما أخبره به وحصول هذا كله في ذرة من المجالات العقلية، ونفيه يعتبر في القواعد النقلية منها قوله تعالى: ﴿ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط﴾ [الأعراف ـ ٤٠] فإن المراد به أن دخول الكفار الجنة من المحال الذي لا يقع أبداً كوجود الجمل في سم الخياط، إذا عرفت هذا علمت أن الشيخ التوربشتي عدل عن الحقيقة إلى المجاز للضرورة الملجئة له

الحديث رقم ٥١١٢: أخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٥٦٥ الحديث رقم ٢/ ١٧٩، وأحمد في المسند ٢/ ١٧٩.

يُساقونَ إلى سجنٍ في جهنَّم يسمّى: بَوْلَسَ، تعلوهم نار الأنيار، يسقون من عُصارة أهل النار

إليه لكن يأباه ما في سياق الحديث على ما حققه بقية الشراح، فالتحقيق أن الله يعيدهم عند إخراجهم من قبورهم على أكمل صورهم وجمع أجزائهم المعدومة تحقيقاً لوصف الإعادة على وجه الكمال، ثم يجعلهم في موقف الجزاء على الصورة المذكورة إهانة وتذليلاً لهم جزاء وفاقاً أو يتصاغرون من الهيبة الإلهية عند مجيئهم إلى موضع الحساب وظهور أثر العقوبة السلطانية التي لو وضعت على الجبال لصارت هباء منثوراً، وقد ثبت تبديل صور أهل جهنم على أشكال مختلفة وصور متباينة كصور الكلاب والخنازير والحمير بحسب ما يليق بصفاتهم وحالاتهم، وقد تكبر جثتهم حتى يكون ضرس الكافر كجبل أحد على ما ورد في الحديث، وكذا تغيير صور أهل الجنة من السواد إلى البياض ومن القصر إلى الطول المعتدل ومن الكبر إلى السن المتوسط، وجعلهم جرداً مرداً مكحلين وأمثال ذلك، وبه يزول الإشكال، والله أعلم بحقيقة الحال. ويدل على ما قررنا أن تبديلهم إنما هو في آخر أمرهم قوله بطريق الاستئناف البياني أو على الحال التباني («يساقون») بضم القاف أي يسحبون ويجرون («إلى سجن») أي مكان حبس مظلم مضيق منقطع فيه عن غيره («يسمى») أي ذلك السجن («بولس») بفتح موحدة وسكون واو وفتح لام وسين مهملة، وفي بعض النسخ بضم أوله، ففي القاموس بولس بضم الباء وفتح اللام سجن جهنم، وقال المنذري: هو بضم الموحدة وسكون الواو وفتح اللام، ذكره ميرك وقال شارح: بفتح الموحدة وفتح اللام وكسرها فوعل من الإبلاس بمعنى اليأس سمي به ليأس داخله من الخلاص. وفي النهاية هكذا جاء في الحديث مسمى، ذكره الطيبي من غير تعرض لضبطه، فالاعتماد على ما ذكره المنذري؛ وصاحب القاموس أولى من كلام غيرهما لجلالتهما في علم الحديث والله أعلم. («تعلوهم») أي تحيط بهم وتغشاهم كالماء يعلو الغريق («نار الأنيار») أي نار النيران. قال شارح: أنيار جمع نار كأنياب جمع ناب، وفيه أن الناب يائي والنار واوي، ولذا لم يذكر أنيار في القاموس لكونه شاذاً، والقياس الأنوار؛ إلا أنه قيل: الأنيار لئلا يشتبه بجمع النور. قال القاضي: وإضافة النار إليها للمبالغة كأن هذه النار لفرط إحراقها وشدة حرها تفعل بسائر النيران ما تفعل النار بغيرها أقول: أو لأنها أصل نيران العالم لقوله تعالى: ﴿الذي يصلى النار الكبرى﴾ [الأعلى - ١٢] ولقوله ﷺ: «ناركم هذه جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم»[١] على ما ذكره البيضاوي. وفي النهاية قوله: «نار الأنيار» ولم أجده مشروحاً ولكن هكذا يروى، فإن صحت الرواية فيحتمل أن يكون معناه «نار النيران» فجمع النار على أنيار وأصلها أنوار لأنها من الواو، وكما جاء في ريح وعيد أرياح وأعياد وهما من الواو. ذكره الطيبي ولم يبين وجههما، وتوجيهه ما قدمناه من مخافة الالتباس، فإن الأعواد بمعنى الأخشاب، والأرواح جمع الروح («يسقون») بصيغة المجهول، وفيه إشارة إلى الإكراه، وإيماء إلى زيادة الإحراق المؤثر إلى بطونهم أيضاً («من عصارة أهل النار») أي صديدهم المنتن

(١) أخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٦١٢ الحديث رقم ٢٥٩٠.

طينة الخَبَالِ». رواه الترمذي.

٥١١٣ ـ (١٠) وعن عطية بن عروة السعدي، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إنَّ الغضبَ [٣٨١ ـ ب ـ] من الشيطان، وإن الشيطانَ خُلق من النَّار، وإنما يُطفأ النارُ بالماءِ، فإذا غضب أحدكم فليتوضأ».

المحمى غاية الحرارة المعبر عنه بحميم («طينة الخبال») تفسير لما قبله، وهو بفتح الخاء بمعنى الفساد. قال شارح: هو اسم عصارة أهل النار، وهو ما يسيل منهم من الصديد والقيح والدم، (رواه الترمذي) وأخرج عبد الله بن أحمد في زوائد الزهد عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «يجاء بالجبارين والمتكبرين رجال في صور الذر يطؤهم الناس من هوانهم على الله حتى يقضي بين الناس، ثم يذهب بهم إلى نار الأنيار، قيل: يا رسول الله وما نار الأنيار؟ قال: عصارة أهل النار». ذكره السيوطي في البدور السافرة في أحوال الآخرة.

٥١١٣ ـ (وعن عطية بن عروة) السعدي منسوب إلى سعد ولم يذكره المؤلف في أسمائه (قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الغضب من الشيطان») أي من أثر وسوسته («وإن الشيطان خلق من النار»)، قال تعالى: ﴿والجان خلقناه من قبل من نار السموم﴾ [الحجر ـ ٢٧] وقال: ﴿خلقتني من نار﴾ [الأعراف ـ ١٢] وهذا دليل على أنه من الجن لأن الملائكة خلقوا من النور، ومعنى خلقه منها أن عنصره الناري غالب على سائر أجزائه بخلاف الإنسان («وإنما يطفأ») بصيغة المجهول مهموزاً أي يدفع («النار») أي الحسية («بالماء») أي الحقيقي («فإذا غضب أحدكم») أي واشتعلت نار غضبه من جوفه، ويريد إحراق المغضوب عليه بنوع من عذابه («فليتوضأ»)، فإن الوضوء مركب معجون من الماء الحسي والمطهر المعنوي المؤثر في الظاهر والباطن، وهذا من طب الأنبياء الذي غفلوا عنه الحكماء؛ وأغرب الطيبي حيث أخرج الحديث عن حقيقته الأصلية من غير باعث من الأمور النقلية والعقلية فقال: أراد أن يقول: «إذا غضب أحدكم فليستعذ بالله من الشيطان الرجيم، فإن الغضب من الشيطان»، فصوّر حالة الغضب ومنشأه، ثم الإرشاد إلى تسكينه، فأخرج الكلام هذا المخرج ليكون أجمع وأنفع وللموانع أزجر، وهذا التصوير لا يمنع من إجرائه على الحقيقة لأنه من باب الكناية اهـ. والصواب أن الاستعاذة علاج آخر مستقل كما ورد به الأثر على ما ذكره الجزري في الحصن حيث قال: «ومن غضب» فقال: «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ذهب عنه ما يجد»، ونسبه إلى البخاري ومسلم وأبي داود والنسائي عن سليمان بن صرد، وهو مقتبس من قوله تعالى: ﴿وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله﴾ [الأعراف ـ ٢٠٠]، ورواه ابن عدي في الكامل عن أبي هريرة بلفظ: «إذا غضب الرجل فقال: «أعوذ بالله سكن غضبه». وجملة الأمر أن هذا علاج قولي سهل التناول، والحصول والوضوء معالجة فعلية صعب الوصول، لا سيما والوضوء مقدمة للصلاة، فهو بمنزلة المعجون المسهل المخرج للمواد الفاسدة من أصلها، وأما مجرد

الحديث رقم ٥١١٣: أخرجه أبو داود في السنن ٥/ ١٤١ الحديث رقم ٤٧٨٤. وأحمد في المسند ٤/ ٢٢٦.

رواه أبو داود.

٥١١٤ ـ (١١) وعن أبي ذر [رضي الله عنه] أنَّ رسول الله ﷺ قال: «إذا غضب أحدُكم وهو قائمٌ فليجلس، فإن ذهب عنهُ الغضب وإلا فليضطجع». رواه أحمد، والترمذي.

٥١١٥ ـ (١٢) وعن أسماء بنت عميس،

الاستعاذة فهو بمنزلة الاستفراغ لتخلية المعدة من آثار التخمة؛ وحاصله أن الحكيم الكامل يدرج في المعالجة ويعلم مزاج كل صاحب علة بما يوافقه ويناسبه من خواص الأشياء المفردة والمركبة وأنواع الغضب، كالأمراض المختلفة، فعلى العليل أن يسلم تسليماً ويجعل نفسه بين يدي الطبيب الحبيب الكامل كالميت بين يدي الغاسل، وخلاصة الكلام أنه: «إذا أحس بالغضب فليتعوّذ بالله أوّلاً، ثم إذا رأى أنه ما يزول به يقوم ويتوضأ ويصلي ركعتين لله تعالى فإنه دواء صبر كريه على الطبع الشيطاني والمزاج النفساني، بل هو كعروق السوس يخرج كل مرض مدسوس. قال تعالى: ﴿**استعينوا بالصبر والصلاة وأنها الكبيرة إلا على الخاشعين**﴾ [البقرة ـ ٤٥] (**رواه أبو داود**) وكذا أحمد.

٥١١٤ ـ (**وعن أبي ذر أن رسول الله ﷺ قال: «إذا غضب أحدكم»**) أي ظهر أثر غضبه على أحد (**«وهو قائم. فليجلس»**) لأن المعالجة بالأضداد، والقوة الغضبية الناشئة من الوسوسة الشيطانية تقتضي الخفة والتعلية التي من خواص النار، والقيام لأجل الانتقام، فمخالفته بالجلوس المشير إلى القعود عن الفتنة نافعة جداً (**«فإن ذهب عند الغضب»**) أي أثر حرارته وقوّة مرارته بالجلوس فيها ونعمت (**«وإلا»**) أي وإن لم يذهب به (**«فليضطجع»**) مبالغة في المعالجة المذكورة ما فيه من الإشارة إلى رجوع الإنسان إلى مأخذه من التربة المناسبة للتواضع في مقابلة عمل الشيطان بمقتضى جبليته من الشعلة النارية المقتضية للتكبر، وكل شيء يرجع إلى أصله. هذا وفي شرح السنة: «إنما أمره بالقعود والاضطجاع لئلا يحصل منه في حال غضبه ما يندم عليه، فإن المضطجع أبعد من الحركة والبطش من القاعد، والقاعد من القائم». وقال الطيبي: لعله أراد به التواضع والخفض، لأن الغضب منشؤه التكبر والترفع قلت: لا منع من الجمع، فإن كلامه ﷺ منبع الحكم والله أعلم. ثم يحتمل أن يكون هذا الصنيع منه قبل الوضوء، وهو الظاهر، وأن يكون بعده إن لم يذهب الغضب والله أعلم بالسرائر. (**رواه أحمد والترمذي**)؛ وكذا أبو داود وابن حبان في صحيحه[1].

٥١١٥ ـ (**وعن أسماء بنت عميس**) بالسين المهملة مصغراً، وقد تقدمت ترجمتها

الحديث رقم ٥١١٤: أخرجه أبو داود في السنن ٥/ ١٤١ الحديث رقم ٤٧٨٢، وأحمد في المسند ٤/ ١٥٢.

(١) هذا الحديث غير موجود عند الترمذي، ولعل هذا وهم من المؤلف رحمه الله تعالى، وأخرجه ابن حبان في ١٢/ ٥٠١ الحديث رقم ٥٦٨٨.

الحديث رقم ٥١١٥: أخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٥٤٥ الحديث رقم ٢٤٤٨، والبيهقي في شعب الإيمان ٦/ ٢٧٨ الحديث رقم ٨١٨١.

قالت: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «بئس العبد عبدٌ تخيَّل واختال، ونسي الكبير المتعال، بئس العبد عبدٌ تجبَّر واعتدى، ونسي الجبَّارَ الأعلى، بئس العبد عبدٌ سهى ولهى ونسي المقابرَ والبلى، بئس العبد عبدٌ عتَى وطغَى، ونسي المبتدأ والمُنتهى، بئس العبدُ عبدٌ يختل الدنيا بالدين

(«قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «بئس العبد»)، لم يقل: بئس الرجل أو المرء تنبيهاً على أن الأوصاف الآتية ليست من مقتضيات العبدية ولا من نعوت العبودية («عبد تخيل») أي تكبر وتجبر («واختال») أي تمايل وتبختر من الخيلاء، وهو الكبر والعجب بالجاه والمال والجمال والعلوم والأعمال والأحوال، وتوهم الكمال حيث يخيل له أنه وصل إلى الكمال. قال التوربشتي: أي تخيل له أنه خير من غيره، واختال أي تكبر («ونسي الكبير المتعال») بحذف الياء مراعاة للفاصلة، وهو لغة في المنقوص المعرف، وعليه قراءة الجمهور في قوله تعالى: ﴿عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال﴾ [الرعد - ٩] وأثبته ابن كثير في الحالين، ومعنى الكبير على الشأن جلي البرهان، والمتعالي أي عن الأشباه والأضداد والأنداد أي نسي أن الكبرياء والتعالي ليس إلا لله تعالى، أو نسي محاسبته ومعاتبته ومعاقبته في العقبى حيث لم يراع مراقبته في الدنيا بالتقوى («بئس العبد عبد تجبر») أي قهر على المظلومين («واعتدى») أي تجاوز على المساكين أو تجاوز قدره، وما راعى حكم ربه وأمره («ونسي الجبار الأعلى») أي القهار الذي فوق عباده الغالب على أمره («بئس العبد عبد سهى ولهى»)[1] حقهما أن يكتبا بالألف لأنهما واويان مأخوذان من السهو واللهو، وفي كثير من النسخ بالياء. فلعله للمشاكلة اللفظية في الفواصل السجعية، ومعنى سها أي صار غافلاً عن الحق والطاعة، وإلا فسائر الأنبياء وعامة الصلحاء قد سهوا، ومنه قوله تعالى: ﴿فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون﴾ [الماعون - ٤ - ٥] قال بعض العارفين: «الحمد لله لم يقل في صلاتهم، وإلا كان الويل كل الويل على الكل في اليوم والليل»، ولها أي اشتغل باللهو واللعب، ومنه قوله تعالى: ﴿ألهاكم التكاثر﴾ [التكاثر - ١] وخلاصتهما أنه سها عن أمور الدين المرضية ولها بأمر الدنيا الدنية («ونسي المقابر») أي أهلها بالتذكر والعبرة بهم أو يذكرهم على سبيل الرحمة عليهم وزيارتهم، وذكر المقابر كناية عن الموت أي نسي الموت بعدم الاستعداد له وكفى بالموت واعظاً، أو نسي مرجع الأحياء من أماكن الأموات وما يحصل لهم فيها من الوحشة والظلمة والغربة والضيق وغيرها مما يعسر ضبطها وحصرها («والبلى») بكسر الموحدة. وهو تفتت الأعضاء وتشتت الأجزاء إلى أن تصير رميمها ورفاتاً، («بئس العبد عبد عتا») من العتو أي أفسد («وطغى») من الطغيان أي تجاوز عن الحد، وقيل: معناهما واحد وأتى بهما تأكيداً، أو الثاني تفسيراً، وأتى به للفاصلة («ونسي المبتدأ والمنتهى») بصيغة المفعول. قال الأشرف: أي نسي ابتداء خلقه، وهو كونه نطفة، وانتهاء حاله الذي يؤول إليه، وهو صيرورته تراباً أي من كان

(١) في المخطوطة «سها» و«لها» وهو الصواب.

بئس العبد عبدٌ يختل الدين بالشبهات، بئس العبدُ عبدٌ طمع يقوده، بئس العبد عبدٌ هوًى يُضلُّه، بئس العبد عبدٌ رغب يذلُّه».

ذلك ابتداءه ويكون انتهاؤه هذا جدير بأن يطيع الله تعالى فيما بينهما. وقيل: المراد بهما الله أي نسي الذي صدر ابتداء وجوده منه ولا بد من انتهاء رجوعه إليه، فترك مراعاة أمره أولاً ومحافظة نهيه آخراً («بئس العبد عبد يختل») بكسر التاء أي يطلب («الدنيا بالدين») أي بعمل الآخرة من ختله إذا خدعه كذا في النهاية، والمعنى يخدع أهل الدنيا بعمل الصلحاء ليعتقد وافيه، وينال منهم مالاً أو جاهاً، من ختل الذئب الصيد خدعه وخفي له. قال القاضي: ختل الصائد إذا مشى للصيد قليلاً قليلاً لئلا يحس به شبه فعل من يرى ورعاً وديناً ليتوسل به إلى المطالب الدينوية بختل الذئب الصائد («بئس العبد عبد يختل الدين») أي يفسده («بالشبهات») بضمتين وبفتح الثانية («بئس العبد عبد طمع») أي له طمع أو ذو طمع، أو وصف بالمصدر مبالغة ولو قرىء بإضافة العبد لاستقام من غير تكلف وقوله: («يقوده») أي يسحبه الطمع عن وجهة المولى إلى جهة السوي، ومن الغرائب ما حكي عن السيد الشاذلي قدس سره أنه سئل عن علم الكيمياء فقال: «هو كلمتان اطرح الخلق عن نظرك واقطع طمعك عن الحق، أن يعطيك غير ما قسم لك». ومن هذا القبيل حديث: «القناعة مال لا ينفد» على ما رواه القضاعي عن أنس («بئس العبد عبد هوى يضله»). قال الأشرف: كأنه من كثرة الطمع والهوى اللازمين للعبد وشدة اتصالهما به أطلق نفس الطمع والهوى عليه، وإن كانا قائمين به، وتقديره ذو طمع يقوده وذو هوى يضله، ويمكن أن يجعل قوله: طمع فاعل يقوده، وهوى فاعل يضله مقدمين على فعلهما على مذهب الكوفيين. وقال الشاعر:

صددت فأطولت الصدود وقلما وصال على طول الصدود يدوم

أي قلما يدوم وصال على الصدود. وقال الطيبي: الوجه الثاني أقرب من الأول لما يلزم منه وصف الوصف لأن قوله: يقوده على هذا صفة طمع، وهو صفة عبد، والأشبه أن يكون طمع مبتدأ ويقوده خبره أي طمع عظيم يقوده نحو شر أهر ذا ناب، والجملة صفة عبد، قلت: هذا مراعاة للمبنى وغفلة عن المعنى، فإن الذم مترتب على مطلق الطمع الذي يقوده إلى الهوى، وكذا حكم الهوى على ما لا يخفى («بئس العبد عبد رغب») بضم الراء وفتحها وبفتحات، ففي القاموس رغب فيه كسمع رغباً ويضم ورغبة أراده، وإليه رغبة محركة، وفي المشارق الرغب بسكون الغين وفتحها، وبضم الراء وفتحها، وفي نسخة بالإضافة، واقتصر عليها القاضي كما سيأتي وهو يؤيد جواز كونها فيما قبلها من الوصفين أيضاً. وقال ابن الملك: هو بضم الراء وسكون الغين المعجمة الشره والحرص على الدنيا، وقيل: الرغب سعة الأمر وطلب الكثير، ويروى بفتح الراء بمعنى الرغبة في الدنيا وقوله: («يذله») أي يجعله ذليلاً، قال الإمام التوربشتي: الرواية عندي بفتح الغين أي مذلة الرغبة في الدنيا، ومن الناس من يقوم الرغب بضم الراء وهو الشره. يقال: الرغب شؤم، ولعل الأصل فيه السعة، يقال: جوف رغيب أي واسع، فكنى به على الحرص والشره. كذا ذكره شارح، وفي القاموس الرغب بضم وبضمتين كثرة الأكل وشدة النهم، وفعله ككرم فهو رغيب ككريم. قال القاضي:

رواه الترمذي، والبيهقي في «شعب الإيمان». وقالا: ليس إسناده بالقوي، وقال الترمذي أيضاً: هذا حديث غريب.

الفصل الثالث

٥١١٦ - (١٣) عن ابن عمر، قال: قال رسول الله ﷺ: «ما تجرَّعَ عبدٌ أفضل عند الله عزَّ وجلَّ من جرعَةِ غيظٍ يكظمها ابتغاء وجهِ الله تعالى». رواه أحمد.

٥١١٧ - (١٤) وعن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿ادفع بالتي هي أحسن﴾

وإضافة العبد للإهانة كقولهم: عبد البطن، لأن مجامع همته واجتهاده صورة عليه عائدة إليه اهـ. ولا يخفى أن تكرار جملة الذم في صدر الجمل المذكورة والنعوت المسطورة للإشعار بأن كل واحدة من الصفات مستقلة في استحقاق ذم فاعلها، وأن مراعاة السجع من غير تكلف الطبع غير مكروهة في الشرع. (**رواه الترمذي والبيهقي في شعب الإيمان وقالا**:) أي كلاهما (**ليس إسناده بالقوي**)، قال التوربشتي: رواه الترمذي بإسناد له عن هاشم بن سعيد الكوفي، وقد ذكره ابن عدي في كتابه وقال: عامة ما يرويه لا يتابع عليه، قلت: قد وجد لهذا الحديث متابع، فإنه رواه الطبراني والبيهقي عن نعيم بن هماز، ورواه الحاكم أيضاً في مستدركه عن أسماء بنت عميس، ولا شك أن كثرة الطرق تقوّي الضعيف وتجعله حسناً لغيره وبه يتم المقصود والله أعلم. (**وقال الترمذي أيضاً**:) أي مع قوله: إنه ليس بقوي (**هذا حديث غريب**)، وأنت تعرف أن الغرابة لا تنافي الصحة والحسن غايته. إن الحديث ضعيف، وهو يعمل به في فضائل الأعمال اتفاقاً، ففي المواعظ ينبغي أن يكون بالأولى.

(الفصل الثالث)

٥١١٦ - (**عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «ما تجرع عبد أفضل»**) أي تجرعاً أفضل (**«عند الله من جرعة غيظ يكظمها»**) بكسر الظاء أي يبلعها ويمنعها من إظهارها مع كثرتها، وملء باطنه منها من كظم القربة ملأها وشد فمها على ما في أساس البلاغة، وفي رواية الجامع كظمها بصيغة الماضي (**«ابتغاء وجه الله تعالى»**) أي طلبا مرضاته لا لغرض آخر ولا لعجز عن إمضائها. (**رواه أحمد**)، وكذا الطبراني.

٥١١٧ - (**وعن ابن عباس في قوله تعالى: «﴿ادفع﴾»**) أي السيئة لدلالة ما قبله عليه وهو قوله سبحانه: ﴿ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع﴾ [فصلت - ٣٤] (**﴿بالتي﴾**) أي بالخصلة (**«﴿هي أحسن﴾»**)[1]، فيه مبالغة عظيمة حيث عدل عن الحسنة إلى الأحسن مع الرخصة المفهومة من قوله عزّ وجلّ: ﴿وجزاء سيئة سيئة مثلها﴾ [الشورى - ٤٠] أو المراد أنها أحسن

الحديث رقم ٥١١٦: أخرجه ابن ماجه في السنن ٢/ ١٤٠١ الحديث رقم ٤١٨٩، وأحمد في المسند ٢/ ١٢٨.

الحديث رقم ٥١١٧: البخاري تعليق من حديث طويل ٨/ ٥٥٥ سورة السجدة.

(١) سورة فصلت، الآية: ٣٤.

قال الصبرُ عند الغضب، والعفو عند الإساءة، فإذا فعلوا عصمهم الله وخضع لهم عدوهم كأنه وليٌّ حميم قريب. رواه البخاري تعليقاً.

من مجازاة السيئة بالسيئة، فإنها حسن، وإنما سميت سيئة في الآية للمشاكلة أو بالنسبة والإضافة إلى الأحسن والله أعلم. وما بعدها **﴿فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم﴾** [فصلت، ٣٤ ـ ٣٥] **﴿وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله أنه هو السميع العليم﴾** [الأعراف ـ ٢٠٠] ففي الآية إشارة إلى أن العمل بها أكمل الأخلاق الإنسانية التي يعجز عنها أكثر الأفراد البشرية (**«قال:»**) أي ابن عباس بياناً للخصلة (**«الصبر عند الغضب»**)، قيل: المراد به غضب الغير، فإنه سيئة منه، فيقابله بالصبر الذي هو أحسن من مجازاته بالغضب، ويمكن أن يكون المعنى أنه يصبر عند أثر [ظهور] الغضب، فإن كظم الغيظ أحسن من إمضائه (**«والعفو»**) أي عن المسيء (**«عند الإساءة»**) أي وقت تحققها، والواو بمعنى أو فإن كلاً منهما من أفراد الخصلة التي هي أحسن، وكأنه رضي الله عنه مثل بأقل المطلوب من السالك، وإلا فالسادة الصوفية على المجازاة بأحسن ما يتصوّر له من أنواع الإحسان إليه من التواضع وتقبيل اليد والرجل وأمثال ذلك، وبإعطاء البر المالي من قليل أو كثير، وأقل المراتب أن يحلله ويدعو له بالتوبة والهداية، وزاد بعضهم الوعد له بالشفاعة يوم القيامة، وهذه كلها خوارق عادات تطوي بساط كرامات ربما يكون تحتها غرور في بدايات أو نهايات، ولذا قالوا: «الاستقامة خير من ألف كرامة»، وقد ورد: «شيبتني سورة هود»، فقيل: لما فيها من آية **﴿فاستقم كما أمرت﴾** [هود ـ ١١٢]، وقيل: لما فيها من وقائع الأمم» والله أعلم. (**«فإذا فعلوا»**) أي ما ذكر من المثالين وأمثالهما (**«عصمهم الله»**) أي حفظهم من الزيغ والتعدي على أحبابهم (**«وخضع لهم عدوهم»**) أي حياء منهم ورجعوا عن إساءتهم إليهم والغضب عليهم (**«كأنه»**) أي العدوّ، ويستوي فيه المفرد والجمع، (**«ولي»**) أي ناصرهم (**«حميم»**) صديق يهتم لأمرهم وحاجتهم ويحمم بحرارتهم وحرقتهم (**«قريب»**) أي ذو قرابة منهم. والحاصل أن هذه الخصلة التي هي أحسن تقلب العداوة محبة، وترفع الأخلاق الذميمة من الحقد والحسد والغيبة ونحوها. قال الطيبي: هذا التفسير على أن تكون لا في قوله تعالى: **﴿ولا السيئة﴾** [فصلت ـ ٣٤] مزيدة، والمعنى لا تستوي الحسنة والسيئة، فعلى هذا يراد بالتي هي أحسن التي هي حسنة، فوضع الأحسن ليكون أبلغ في الدفع بالحسنة، وإذا لم تجعل «لا مزيدة بكون المعنى والسيئة متفاوتتان في أنفسهما فخذ بالحسنة التي هي أحسن من أختها فإذا اعترضتك حسنات فادفع بها السيئة التي ترد عليك من بعض أعدائك ومثله: «رجل أساء إليك إساءة فالحسنة أن تعفو عنه، والتي هي أحسن أن تحسن إليه مكان إساءته إليك» مثل: «أن يذمك فتمدحه، فإنك إذا فعلت ذلك انقلب عدوك المشاق مثل الولي الحميم مصافاة لك». (**«رواه البخاري تعليقاً»**) أي بلا إسناد، وتقدم أن ما علقه بصيغة المجهول ضعيف وما رواه بصيغة المعلوم صحيح والله أعلم.

٥١١٨ ـ (١٥) وعن بَهزِ بنِ حكيم، عن أبيه، عن جدِّه، قال: قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إن الغضبَ لَيُفْسِدُ الإيمانَ كما يُفسدُ الصبرُ العسلَ».

٥١١٩ ـ (١٦) وعن عمر، قال وهو على المنبر: يا أيُّها الناسُ! تواضَعُوا فإنِّي سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من تواضعَ للهِ رَفَعهُ اللهُ، فهو في نفسه صغيرٌ، وفي أعين الناس عظيم، ومن تكبَّر وضعه الله، فهو في أعين الناس صغير، وفي نفسه كبير، حتى [٣٨٢ ـ أ ـ] لهوَ أهونُ عليهم من كلبٍ أو خنزيرٍ».

٥١١٨ ـ (وعن بهز) بفتح موحدة وسكون هاء فزاي تابعي (ابن حكيم عن أبيه) تابعي حسن الحديث، (عن جده) أي معاوية بن حيدة القشيري ولم يذكره المؤلف (قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الغضب ليفسد الإيمان») أي كماله أو نوره وبهاءه، وقد يجر إلى بطلانه نعوذ بالله من ذلك، ولما كان بعض أفراده كذلك صح التشبيه بقوله: («كما يفسد الصبر العسل»)، وهو بفتح الصاد وكسر الباء ويسكن على ما في نسخة، لكن قال صاحب القاموس: الصبر ككتف ولا يسكن إلا في ضرورة الشعر عصارة شجر مر اهـ، وأما كسر الصاد وسكون الباء على ما اشتهر على الألسنة فلعله مأخوذ من قوله: ككتف، فإن الكتف فيه لغتان والله أعلم.

٥١١٩ ـ (وعن عمر رضي الله تعالى عنه قال وهو) أي عمر (على المنبر:) فيه إشارة إلى حفظ القضية وإيماء إلى أنه كالمسألة الإجماعية لكونه في محضر من الصحابة («يا أيها الناس»)، ولعل العدول عن المؤمنين إليه لإفادة العموم ونفي توهم الخصوص («تواضعوا») أي ليتواضع بعضكم لبعض ويترك التكبر على إخوانه المؤمنين لقوله تعالى: ﴿أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين﴾ [المائدة ـ ٥٤] والتعبير بالأذلة للإشعار بكمال التواضع على سبيل المبالغة («فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: من تواضع لله رفعه الله»). هذه الجملة فقط رواها أبو نعيم في الحلية عن أبي هريرة («فهو») الفاء تفريعية أي فالمتواضع المرفوع نتيجته أو علامته أنه («في نفسه صغير») أو جزائية، وتقديره: وإذا رفعه الله فهو في نفسه صغير حقير خال عن العجب والكبر («وفي أعين الناس عظيم») أي عظيم القدر جليل الشأن لرفعه تعالى إياه بهذه الخصلة الحميدة، وقد جاء في بعض الدعوات المأثورة «اللهم اجعلني في نفسي صغيراً وفي أعين الناس كبيراً («ومن تكبر وضعه الله، فهو في أعين الناس صغير وفي نفسه كبير» حتى) متعلق بقوله: صغير، أو بحاصل المجموع، ثم الظاهر أن «حتى» هذه ابتدائية، ففي المغني إن «حتى» قد تكون حرف ابتداء أي حرفاً يبتدأ بعده الجمل أي تستأنف فيدخل على الجملة الاسمية كقول جرير:

فما زالت القتلى تمج دماءها ... بدجلة حتى ماء دجلة أشكل

الحديث رقم ٥١١٨: أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ٦/ ٣١١، الحديث رقم ٨٢٩٤.

الحديث رقم ٥١١٩: أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ٦/ ٢٧٦ الحديث رقم ٨١٤٠.

٥١٢٠ ـ (١٧) وعن أبي هريرةَ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «قال موسى بن عمران عليه السلام: يا ربِّ! من أعزُّ عبادِك عندكَ؟ قال: من إذا قَدَر غَفَر».

٥١٢١ ـ (١٨) وعن أنس، أنَّ رسول الله ﷺ قال: «من خَزَنَ لسانَهُ سَتَر الله عورَته،

ويؤيد هذا المعنى دخولاً لام الابتدائية في قوله: («لهو») أي المتكبر الموضوع («أهون عليهم») أي أذل وأحقر على الناس («من كلب أو خنزير») والتنويع إما باختلاف حال المتكبر أو باعتبار أحوال الناس. قال الطيبي: الفاء في قوله: «فهو» جزائية لشرط محذوف يعني من تواضع لله هضم حقه من نفسه فجعل نفسه دون منزلته، وهو المراد بقوله: «في نفسه صغير، ثم إن الله يرفعه من تلك المنزلة التي هي حقه إلى ما هي أرفع منها، ويعظمه عند الناس، ويعكسه في القرينة الأخرى»، وفي شرح السنة قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «إن الرجل إذا تواضع رفع الله حكمته»، قال: «انتفش نفسك، فهو في نفسه صغير وفي أعين الناس كبير، وإذا بطر وعدا طوره وهضه الله إلى الأرض». وقال: «اخسأ أخساك الله فهو في نفسه كبير وفي أعين الناس صغير حتى يكون أهون على الله من الخنزير».

٥١٢٠ ـ (وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: قال موسى بن عمران:) عليه السلام («يا رب من أعز عبادك عندك قال: من إذا قدر غفر»)، والمراد أن الأعز في المرتبة الجمعية الربوبية العندية هو الذي اختار كونه أذل في طريق العبودية العبدية، فإن العبد والعبادة مأخوذان من طريق معبد أي مذلل، وقد قالوا: «العبادة هي أقصى غاية الخضوع والتذلل»، ولذلك لا تستعمل إلا لله تعالى مع أن الغفران مع القدرة إنما هو من باب التخلق بأخلاق الله تعالى سبحانه، وأشار إلى هذا المعنى في قوله: ﴿إن تبدوا خيراً أو تخفوه أو تعفوا عن سوء فإن الله كان عفواً قديراً﴾ [النساء ـ ١٤٩] وفيه تنبيه له عليه السلام على العفو لما كان الغالب عليه الحدة الجلالية ليصحل له الاعتدال كما يقتضيه الكمال، بل ينبغي غلبة نعت الجمال كما أشار إليه الحديث القدسي: «غلبت رحمتي غضبي»، ولكون الرحمة غالبة على نبينا ﷺ وصف «بكونه رحمة للعالمين، وأمته أمة مرحومة، فإن الراحمين يرحمهم الرحمن» على ما سبق فيه البيان، وفي الجامع الصغير «من عفا عند القدرة عفا الله عنه يوم العسرة». رواه الطبراني عن أبي أمامة.

٥١٢١ ـ (وعن أنس أن رسول الله ﷺ قال: «من خزن») بفتح زاي أي حفظ («لسانه»). قال امرؤ القيس:

إذا المرء لم يخزن عليه لسانه ... فليس على شيء سواه بخزان

قال الطيبي: أي من ستر عيوب الناس وكتمها («ستر الله عورته») أي عيبه عن الناس أو

الحديث رقم ٥١٢٠: أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ٦/ ٣١٩ الحديث رقم ٨٣٢٧.

الحديث رقم ٥١٢١: أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ٦/ ٣١٥ الحديث رقم ٨٣١١.

ومن كَفَّ غضبَهُ كَفَّ الله عنه عذابَهُ يومَ القيامةِ، ومن اعتذَر إلى الله قَبِلَ اللَّهُ عذرَه».

٥١٢٢ - (١٩) وعن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ قال: «ثلاثٌ مُنجياتٌ، وثلاثٌ مُهلكاتٌ؛ فأمّا المنجياتُ: فتقوى الله في السرّ والعلانيةِ، والقولُ بالحقّ في الرضى والسخطِ، والقصدُ في الغنى والفقرِ. وأمّا المُهلكات: فهوىً مُتَّبَعٌ، وشُحٌّ مطاعٌ، وإعجابُ المرءِ بنفسِه، وهي أشدُّهن». روى البيهقي الأحاديث الخمسة في «شعب الإيمان».

عن الحفظة، ولا منع من الجمع («ومن كف») أي منع («غضبه») أي عن الناس («كف الله عنه عذابه») أي الذي أثر غضبه («يوم القيامة») جزاء وفاقاً، وفي الجامع برواية ابن أبي الدنيا عن ابن عمر. «من كف غضبه ستر الله عورته» أي بأن لم يمديه، فتوافق الحديثان («ومن اعتذر») فيما وقع له من التقصير («إلى الله») أي بالرجوع إليه وإظهار العجز لديه («قبل الله عذره»)، ظاهر نظائره أن يقال: «من قبل عذر أخيه قبل الله عذره»، ولعله من تصرفات الرواة أو لحكمة اقتضت ذلك والله أعلم بما هنالك.

٥١٢٢ - (وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «ثلاث») أي من الخصال («منجيات») أي أسباب نجاة وخلاص («وثلاث مهلكات، فأما المنجيات فتقوى الله») أي خوفه («في السر والعلانية، والقول بالحق في الرضا والسخط») أي لا يبدل القول الحق لأجل محبته ورضاه عن أحد أو سخطه وغضبه على أحد («والقصد») أي التوسط في التفقه («في الغنى والفقر») أي في الحالين بالاجتناب عن طرفي الإفراط والتفريط («وأما المهلكات فهوى») أي للنفس («متبع») احتراز عن متروك، فإن مخالفة النفس من أكبر المنجيات كما أن متابعتها من أكبر المهلكات («وشح») أي بخل («مطاع») أي مطاوع له معمول بمقتضاه، فقيل: الشح منع الواجب، وقيل: أكل مال الغير، وقيل: العمل بمعاصي الله، وقيل: الشح مما في يد غيرك، والبخل مما في يدك. والأظهر أن الشح هو البخل المقرون بالحرص («وإعجاب المرء بنفسه») أي باستحسان أعمالها وأحوالها أو مالها وجمالها وسائر ما يتوهم أنه من كمالها («وهي») أي الخصلة الأخيرة («أشدهن») أي أعظمهن وزراً وأكثرهن ضرراً لأنه يتصور أن يتوب من متابعة الهوى ومن رذيلة البخل، والمعجب مغرور ومزين فهو محجوب لا يرجى زواله كالمبتدع، فإنه قل أن يتوب من بدعته. وقال الطيبي: لأن المعجب بنفسه متبع هواه، ومن هوى النفس الشح المطاع، قال تعالى: ﴿ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون﴾ [الحشر - ٩] حيث أضاف الشح إلى النفس. (روى البيهقي الأحاديث الخمسة في شعب الإيمان).

الحديث رقم ٥١٢٢: أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ٥/ ٤٥٢ الحديث رقم ٧٢٥٢.

(٢١) باب الظلم

الفصل الأول

٥١٢٣ ـ (١) عن ابن عمر، أنّ النبيّ ﷺ قال: «الظلم ظُلماتٌ يوم القيامة» متفق عليه.

باب الظلم

قال الراغب: الظلم عند أهل اللغة وضع الشيء في غير موضعه المختص به إما بنقصان أو بزيادة وإما بعدول عن وقته أو مكان. . وقال القطب الرباني الشيخ عبد الكبير اليماني: إن الله سبحانه وتعالى خلق قلب عبده لذكره وفكره فمن وضع فيه غيره فهو ظالم لنفسه. وقال العارف ابن الفارض موميا إلى الاشتغال بالوحدة والنبوّة أو الذكر والصلاة أو الكتاب والسنة:

عليك بها صرفاً وإن شئت مزجها فعدلك عن ظلم الحبيب هو الظلم

(الفصل الأوّل)

٥١٢٣ ـ **(عن ابن عمر أن النبي ﷺ قال: الظلم)** أي جنسه الشامل للمتعدي، والقاصر الصادر من الكافر والفاجر **(ظلمات)** أي أسباب ظلمة لمرتكبه أو موجبات شدة لصاحبه يوم القيامة، ومفهومه أن العدل بأنواعه أنوار **(يوم القيامة)** «لأن الدنيا مزرعة الآخرة»، وفي شرح مسلم للنووي قال القاضي: هو على ظاهره فيكون ظلمات على صاحبه لا يهتدي يوم القيامة بسبب ظلمه في الدنيا، كما أن المؤمن يسعى بنور هو مسبب عن إيمانه في الدنيا، قال تعالى: **﴿يسعى نورهم بين أيديهم وبإيمانهم﴾** [الحديد ـ ١٢]، ويحتمل أن يراد بالظلمات هنا الشدائد وبه فسروا قوله تعالى: **﴿قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر﴾** [الأنعام ـ ٦٣] أي شدائدهما، ويحتمل أنها عبارة عن الأنكال والعقوبات. قال الطيبي: قوله: على ظاهره يوهم أن قوله: ظلمات هنا ليس مجازاً بل حقيقة، لكنه مجاز لأنه حمل المسبب على السبب، فالمراد ظلمات حقيقية مسببة عن الظلم قلت: إنما أراد القاضي بالحقيقة المقابلة للمجاز المفسر بالشدة نظراً إلى جوهر المعنى مع قطع النظر عن حمل اللفظ بالأعراب والمبنى، ثم قال: والفرق بين الشدائد والأنكال إن الشدائد كائنة في العرصات قبل دخول النار، والأنكال بعد الدخول قلت: فالمراد بيوم القيامة الدار الآخرة. **(متفق عليه)**.

الحديث رقم ٥١٢٣: أخرجه البخاري في صحيحه ٥/ ١٠٠ الحديث رقم ٢٤٤٧، ومسلم في ٤/ ١٩٩٦ الحديث رقم (٥٧ ـ ٢٥٧٩)، والترمذي في السنن ٤/ ٣٣٠ الحديث رقم ٢٠٣٠، والدارمي في ٢/ ٣١٣ الحديث رقم ٢٥١٦، وأحمد في المسند ٢/ ١٣٧.

٥١٢٤ ـ (٢) وعن أبي موسى، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته» ثم قرأ ﴿وكذلك أخذُ ربِّك إذا أخذَ القرى وهي ظالمةٌ﴾ متفق عليه.

٥١٢٥ ـ (٣) وعن ابن عمر، أنَّ النبي ﷺ لمَّا مرَّ بالحِجْرِ قال: «لا تدخلوا مساكنَ الذين ظلموا أنفسهم إلا أن تكونوا باكين، أن يصيبكم ما أصابهم» ثم قنع رأسه وأسرع السَّير حتى اجتاز الوادي.

٥١٢٤ ـ (وعن أبي موسى قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله ليملي للظالم») من الإملاء أي يمهله ويؤخره ويطوّل عمره حتى يكثر منه الظلم («حتى إذا أخذه لم يفلته») من الإفلات، وهو الخروج من ضيق مع فرار. ذكره شارح، والمعنى لم يتركه بل أخذه أخذاً شديداً. ذكره ابن الملك. قيل: أفلت الشيء وتفلت وانفلت بمعنى وأفلته غيره. ففي النهاية أي لم ينفلت منه، ويجوز أن يكون المعنى لم يفلته منه أحد أي لم يخلصه قلت: هذا المعنى هو الظاهر على ما يدل عليه الضمير، والقول الأول إما حاصل المعنى أو يقال بالحذف والإيصال، وفيه تسلية للمظلوم في الحال، ووعيد للظالم لئلا يغتر بالإمهال كما قال تعالى: ﴿ولا تحسبن الله غافلاً عما يعمل الظالمون إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار﴾ [هود ـ ١٠٢] («ثم قرأ») أي النبي ﷺ اعتضاداً أو أبو موسى استشهاداً («وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى») أي أهلها («﴿وهي ظالمة﴾»)[1]. الآية) أي أن أخذه أليم شديد كما في نسخة بدل الآية. (متفق عليه). وفي الجامع إلى قوله: ثم قرأ رواه الشيخان والترمذي وابن ماجه.

٥١٢٥ ـ (وعن ابن عمر أن النبي ﷺ: «لما مر») أي أراد المرور («بالحجر») بكسر الحاء أي ديار ثمود وقوم صالح («قال: لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم») أي بالكفر («إلا أن تكونوا باكين أن يصيبكم») أي لئلا يصيبكم أو مخافة أن يصيبكم («ما أصابهم») أي نوع من العذاب أي مثل ما أصابهم من العقاب إذ لا يخلو أحد منكم من الذنوب إذا شدد عليه الحساب، ويمكن أن يكون المراد أن يصيب منافقيكم عين ما أصابهم فعمم الحكم بالتخويف تستراً عليهم. («ثم قنع رأسه») بتشديد النون مبالغة من الإقناع أي أطرق رأسه ولم يلتفت يميناً وشمالاً كالخائف لئلا يقع نظره على مساكنهم أو جعل قناعة على رأسه شبه الطيلسان («وأسرع السير حتى اجتاز الوادي») أي تجاوزه أي قطع عرضه وخرج عن حده، وإنما فعل ذلك تعليماً للأمة ليقتدوا به، وجمع بين القول والفعل تأكيداً في القضية، أو لأنه ﷺ كان في غاية من الخشية لأنها إنما تكون على قدر المعرفة قال تعالى: ﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾

الحديث رقم ٥١٢٤: أخرجه البخاري في صحيحه ٨/ ٣٥٤ الحديث رقم ٤٦٨٦، ومسلم في ٤/ ١٩٩٧ الحديث رقم (٦١ ـ ٢٥٨٣)، وابن ماجه في السنن ٢/ ١٣٣٢ الحديث رقم ٤٠١٨.

(١) سورة هود، الآية: ١٠٣.

الحديث رقم ٥١٢٥: أخرجه البخاري في صحيحه ٨/ ١٢٥ الحديث رقم ٤٤١٩، ومسلم في ٤/ ٢٢٨٦ الحديث رقم (٣٩ ـ ٢٩٨٠)، وأحمد في المسند ٢/ ٦٦.

متفق عليه.

٥١٢٦ ـ (٤) وعن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «من كانت له مظلمة لأخيه من عرضه أو شيء فليتحلله منه بعد اليوم قبل أن لا يكون دينارٌ ولا درهم،

[فاطر ـ ٢٨] وقد قال: «أنا أعلمكم بالله وأخشاكم له». هذا مجمل معنى الحديث، وأما تفصيله فقال التوربشتي: الحجر منازل ثمود، وذلك في سيره إلى تبوك خشي على أصحابه أن يجتازوا على تلك الديار ساهين غير متعظين بما أصاب أهل تلك الديار، وقد أمرهم الله تعالى بالانتباه والاعتبار في مثل تلك المواطن. قال القاضي: ولذلك استثنى عن النهي وأن يصيبكم نصب على المفعول له أي مخافة أن يصيبكم. قال الطيبي: والمعنى لا تدخلوا مساكنهم في حال من الأحوال لا حال كونكم باكين. قال الخطابي: معناه الداخل في دار قوم أهلكوا بخسف أو عذاب إذا لم يكن باكياً إما شفقة عليهم وإما خوفاً من حلول مثلها به كان قاسي القلب قليل الخشوع، فلا يأمن إذا كان هكذا أن يصيبه ما أصابهم اهـ. وما أصاب في قوله: «إما شفقة عليهم» لقوله تعالى: ﴿ولا تحزن عليهم﴾ [الحجر ـ ٨٨] وقوله عز وجل: ﴿فلا تأس على القوم الفاسقين﴾ [المائدة ـ ٢٦] قال التوربشتي: وفي الحديث: «إنه نهاهم أن يشربوا ماءها وكانوا قد خمروا به عجينهم فأمرهم أن يعلفوها دوابهم[1]، ولم يرخص لهم في الأكل منها.» وفي شرح السنة فيه دليل على أن منازل هؤلاء لا تتخذ مسكناً ووطن، لأنه ﷺ: «قد نهى عن دخولها إلا مع البكاء»، فالمتوطن يكون دهره باكياً قلت: ويلائمه ظاهر قوله تعالى تقريعاً وتوبيخاً: ﴿وسكنتم في مساكن الذين ظلموا أنفسهم﴾ [إبراهيم ـ ٤٥] وتبين لكم كيف فعلنا بهم. وفيه تنبيه نبيه على أن الأماكن لها تأثير من عند الله تعالى بالنسبة إلى سكانها محنة ومنحة كما في الأزمنة من موسم الطاعات وساعات الإجابة، ومنه ما روي «إن لله في أيام دهركم نفحات، ألا فتعرضوا لها»، وقد تقدم «إن أحب البلاد إلى الله المساجد وأبغضها إليه الأسواق»، ونظير ذلك تأثير صحبة الأخيار والأشرار على ما ورد به الأخبار وآثار الأبرار. **(متفق عليه)**.

٥١٢٦ ـ **(وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «من كانت له مظلمة»)** بكسر اللام ويفتح اسم ما أخذه الظالم أو تعرض له **(«لأخيه»)** أي في الدين **(«من عرضه»)** بيان للمظلمة، وهو بكسر العين جانبه الذي يصونه من نفسه ونسبه وحسبه ويتحامى أن ينتقص **(«أو شيء»)** أي أمر آخر كأخذ ماله أو المنع من الانتفاع به أو هو تعميم بعد تخصيص **(«فليتحلله»)** أي فليطلب الظالم حل ما ذكر **(«منه»)** أي من المظلوم. في النهاية يقال: تحللته واستحللته إذا سألته أن يجعلك في حل **(«اليوم»)** أي في أيام الدنيا لمقابلته بقوله: **(«قبل أن لا يكون»)** أي لا يوجد **(«دينار ولا درهم»)** وهو تعبير عن يوم القيامة، وفي التعبير به تنبيه على أنه يجب عليه أن

---

(١) في المخطوطة «وراهم».

الحديث رقم ٥١٢٦: أخرجه البخاري في صحيحه ٥/ ١٠١ الحديث رقم ٢٤٤٩، وأحمد في المسند ٢/ ٥٠٦.

إن عملٌ صالحٌ أُخِذَ منه بقدرِ مظلمته، وإن لم يكن له حسنات أُخِذَ من سيئات صاحبِه فحمل عليه». رواه البخاري.

٥١٢٧ ـ (٥) وعنه، أنَّ رسول الله ﷺ قال: «أتدرون ما المفلس؟». قالوا: المفلسُ فينا من لا درهمَ له ولا متاع. فقال: «إنَّ المفلس من أُمتي

يتحلل منه ولو يبذل الدينار والدرهم في بذل مظلمته لأن أخذ الدينار والدرهم اليوم على التحلل أهون من أخذ الحسنات أو وضع السيئات على تقدير عدم التحلل كما أشار إليه بقوله: («إن كان له عمل صالح») أي بأن يكون مؤمناً ظالماً غير معفو عن مظلومه («أخذ») بصيغة المجهول أي عمله الصالح («منه») أي من صاحبه الظالم على غيره («بقدر مظلمته»)، ومعرفة مقدار الطاعة والمعصية كمية وكيفية مفوض علمها إلى الله سبحانه. هذا، وقال الطيبي: قوله: إن كان استئناف كأنه لما قيل: «فليتحلله منه اليوم قبل أن لا يكون دينار ولا درهم يؤخذ منه بدل مظلمته» توجه لسائل أن يسأل، فما يؤخذ منه بدل مظلمته بعد أن كان الخ اهـ. («وإن لم يكن») أي لم توجد («له حسنات») أي باقية أو مطلقة («أخذ من سيئات صاحبه») أي المظلوم («فحمل عليه») بصيغة المجهول مخففاً أي فوضع على الظالم. قال ابن الملك: يحتمل أن يكون المأخوذ نفس الأعمال بأن تتجسم فتصير كالجواهر وأن يكون ما أعدلهما من النعم والنقم إطلاقاً فالسبب على المسبب، وهذا لا ينافي قوله تعالى: ﴿ولا تزر وازرة وزر أخرى﴾ [الأنعام ـ ١٦٤] لأن الظالم في الحقيقة مجزي بوزر ظلمه، وإنما أخذ من سيئات المظلوم تخفيفاً له وتحقيقاً للعدل. (رواه البخاري).

٥١٢٧ ـ (وعنه) أي عن أبي هريرة (أن رسول الله ﷺ قال: «أتدرون») أي أتعلمون («ما المفلس؟»)، كذا في صحيح مسلم وجامع الترمذي وكتاب الحميدي وجامع الأصول وشرح السنة، فعلى هذا السؤال عن وصف المفلس لا عن حقيقته ومن ثم أجاب ﷺ بوصفه في قوله: شتم وأكل وقذف، وفي مشارق الأنوار وفي بعض نسخ المصابيح من الفلس، وهذا سؤال إرشاد لا استعلام، ولذلك قال: إن المفلس كذا وكذا قلت: الظاهر أن المراد بقوله: «ما المفلس»، من المفلس بدليل ما بعده في جواب الصحابة وفي كلامه ﷺ أيضاً من التعبير بمن («قالوا:») أي بعض أصحابه («المفلس فينا») أي فيما بيننا («من لا درهم») أي من نقد («له») أي ملكاً («ولا متاع») أي مما يحصل به النقد ويتمتع به من الأقمشة والعقار والجواهر والمواشي والعبيد وأمثال ذلك. والحاصل أنهم أجابوا بما عندهم من العلم بحسب عرف أهل الدنيا كما يدل عليه قولهم: «فينا»، وغفلوا عن أمر الآخرة، وكان حقهم أن يقولوا: «الله ورسوله أعلم» لأن المعنى الذي ذكروه كان واضحاً عنده ﷺ، فلما أجابوا بما أجابوه («فقال: إن المفلس») أي الحقيقي أو المفلس في الآخرة («من أمتي») أي أمة الإجابة، ولو كان غنياً في

الحديث رقم ٥١٢٧: أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ١٩٩٧ الحديث رقم (٥٩ ـ ٢٥٨١)، والترمذي في ٤/ ٥٢٩ الحديث رقم ٢٤١٨. وأحمد في المسند ٢/ ٣٠٣.

من يأتي يوم القيامة بصلاةٍ وصيام وزكاةٍ ويأتي قد شتمَ هذا، وقذفَ هذا، وأكلَ مالَ هذا، وسفكَ دم هذا، وضرب هذا، فيعطى هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناتُه قبل أن يُقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطُرحت عليه، ثم طُرح في النّار». رواه مسلم.

الدنيا بالدرهم والمتاع (**«من يأتي يوم القيامة بصيام وصلاة وزكاة»**)، أي مقبولات، والباء للتعدية أي مصحوباً بها (**«أو يأتي»**) أي ويحضر أيضاً حال كونه (**«قد شتم هذا»**) أي وقع له شتم لأحد (**«وقذف هذا»**) أي بالزنا ونحوه (**«وأكل مال هذا»**) أي بالباطل (**«وسفك»**) أي أراق (**«دم هذا»**) أي بغير حق (**«وضرب هذا»**) أي من غير استحقاق أو زيادة على ما يستحقه، والمعنى من جمع بين تلك العبادات وهذه السيئات، ولا يبعد أن تكون الواو بمعنى أو، ولكن لفظ المفلس يلائم كثرة المعاصي الموجبة لإفلاسه والله أعلم. (**«فيعطي»**) بصيغة المجهول (**«هذا»**) أي المظلوم (**«من حسناته»**) أي بعض حسنات الظالم (**«وهذا»**) أي ويعطي المظلوم الآخر (**«من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى»**) بصيغة المفعول أي يؤدي (**«ما عليه»**) أي من الحقوق (**«أخذ من خطاياهم»**) أي من سيئات أصحاب الحقوق (**«فطرحت عليه»**) أي وضعت على الظالم (**«ثم طرح»**) أي ألقي ورمي (**«في النار»**)، وفيه إشعار بأنه لا عفو ولا شفاعة في حقوق العباد إلا إن شاء الله يرضي خصمه بما أراد. قال النووي: يعني حقيقة المفلس. هذا الذي ذكرت، وأما من ليس له مال ومن قل ماله، فالناس يسمونه مفلساً، وليس هذا حقيقة المفلس لأن هذا أمر يزول وينقطع بموته وربما انقطع بيسار يحصل له بعد ذلك في حياته بخلاف ذلك المفلس، فإنه يهلك الهلاك التام. قال المازري: زعم بعض المبتدعة أن هذا الحديث معارض بقوله تعالى: **﴿ولا تزر وازرة وزر أخرى﴾** [الأنعام ـ ١٦٤] وهو باطل، وجهالة بينة لأنه إنما عوقب بفعله ووزره، فتوجهت عليه حقوق لغرمائه فدفعت إليه من حسناته، فلما فرغت حسناته أخذ من سيئات خصومه فوضعت عليه، فحقيقة العقوبة مسببة عن ظلمه ولم يعاقب بغير جناية منه قلت: وهذا من ضرورة قضية العدل الثابت له تعالى بالنقل والعقل، فإن الظالم إذا أكثر من الحسنات وثقلت موازينه منها وغلبت على سيئاته، فإن أدخل الجنة يبقى حق المظلوم ضائعاً، وأن أدخل النار ينافي قوله تعالى: **﴿فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون﴾** [الأعراف ـ ٨] وسيأتي أن حقوق العباد مما لا يترك الله تعالى فلا بد من أحد الأمرين، إما أخذ الحسنات وإما وضع السيئات حتى يتحقق خفة ميزان عمله، فيدخل النار فيعذب بقدر استحقاقه ثم يخرج ويدخل الجنة بسبب الحسنات الباقية إن كانت هناك، وإلا ببركة الإيمان، **﴿فإن الله لا يضيع أجر من أحسن عملاً﴾**، وهذا من البراهين الواضحة المؤيدة بالشواهد والأدلة اللائحة. (**رواه مسلم**).

٥١٢٨ ـ (٦) وعنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «لتؤدُّنَّ الحقوق إلى أهلها يوم القيامة، حتى يُقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء».

٥١٢٨ ـ (وعنه) أي عن أبي هريرة (قال: قال رسول الله ﷺ: «لتؤدن) بفتح الدال المشددة، وفي بعض النسخ، بضمها فقوله: («الحقوق») بالرفع على الأول وبالنصب على الثاني («إلى أهلها يوم القيامة»)، وجزم شارح. وقال: هو بفتح الدال على بناء المجهول، والحقوق أقيم مقام فاعله. وقال ابن الملك: اللام فيه جواب قسم مقدر، والدال فيه مضمومة، والفعل مسند إلى الجماعة الذين خوطبوا به، والحقوق مفعوله، وقيل: الدال فيه مفتوحة على بناء المجهول، والحقوق نائب الفاعل لكن هذا غير مستقيم لأنه لو كان كذلك لظهر الياء وقال: لتؤدين اهـ. وأراد أنه حينئذ صيغة الواحدة فيكون حكمه حكم اخشين واغزون وارمين برد اللامات وفتحها على طبق التثنية كما تقول: اخشيا وارميا واغزوا على ما حقق في محله. قال التوربشتي: هو على بناء المجهول، والحقوق مرفوع، هذه هي الرواية المعتد بها، ويزعم بعضهم ضم الدال ونصب الحقوق، والفعل مسند إلى الجماعة الذين خوطبوا به، والصحيح ما قدمناه اهـ. والظاهر أنه أراد صحة الرواية، وإلا فقد تقدم صحة الدراية باعتبار الصيغة التصريفية، ويؤيد كلام الشيخ ضبط الكلمة بفتح الدال في أصل السيد وسائر الأصول المعتمدة والنسخ المصححة، ولعل وجهه أنه عومل معاملة الفعل الصحيح حيث يقال في المفرد المجهول: «ليضربن» بفتح الموحدة، وقد غفل الطيبي عن هذا المبنى وذهب إلى رعاية المعنى حيث قال: إن كان الرد لأجل الرواية فلا مقال، وإن كان بحسب الدراية فإن باب التغليب واسع، فيكون قد غلب العقلاء على غيرهم وجعل قوله: («حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء») غاية بحسب التغليب كما في قوله تعالى: ﴿جعل لكم من أنفسكم أزواجاً ومن الأنعام أزواجاً يذرؤكم فيه﴾ [الشورى ـ ١١] فالضمير في يذرؤكم راجع إلى الأناسي والأنعام على التغليب اهـ. والمعنى يكثركم من الذرء، وهو البث، وقوله: فيه أي في هذا التدبير، وهو جعل الناس والأنعام أزواجاً يكون بينهم توالد، فإنه كان كالمنبع للبث والتكثير. ذكره البيضاوي وجعل في للظرفية المعنوية، وشبه التدبير بالمنبع، وفي الاتقان أن في بمعنى الباء أي بسببه، وهو ظاهر جداً، وهذا إذا أريد بالجلحاء والقرناء الشاتان المعروفتان، وأما إذا أريد بالجلحاء الفقير أو المظلوم، وبالقرناء الغني أو الظالم على ما قيل، فلا يحتاج إلى ارتكاب التغليب والأمر قريب، ثم الجلحاء بجيم فلام فحاء مهملة، قال النووي: الجلحاء بالمد هي الجماء التي لا قرن لها، والقرناء ضدها؛ وهذا تصريح. بحشر البهائم يوم القيامة وإعادتها كما يعاد أهل التكليف من الآدميين والأطفال والمجانين، ومن لم تبلغه دعوة، وعلى هذا تظاهرت دلائل القرآن والسنة، قال تعالى جل جلاله ولا إله غيره ﴿وإذا الوحوش حشرت﴾ [التكوير ـ ٥] وإذا ورد لفظ الشرع ولم يمنع من إجرائه على ظاهره مشرع، ولا عقل وجب حمله على

الحديث رقم ٥١٢٨: أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ١٩٩٧ الحديث رقم (٦٠/ ٢٥٨٢)، والترمذي في السنن ٤/ ٥٣٠ الحديث رقم ٢٤٢٠، وأحمد في المسند ٢/ ٤١١.

رواه مسلم.

وذُكِرَ حديثُ جابرٍ: «اتَّقوا الظلم». في «باب الإنفاق».

الفصل الثاني

٥١٢٩ ـ (٧) عن حُذَيْفَةَ، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تكونوا إِمَّعَةً،

ظاهره قالوا: وليس من شرط الحشر والإعادة في القيامة المجازاة والعقاب والثواب، وأما القصاص من القرناء للجلحاء فليس من قصاص التكليف، بل هو قصاص مقابلة اهـ. وفي كونه قصاص مقابلة نظر لا يخفى من أن قصاص المقابلة نحن مكلفون به أيضاً، قال ابن الملك: أي لو نطح شاة قرناء شاة جلحاء في الدنيا فإذا كان يوم القيامة يؤخذ القرن من القرناء ويعطي الجلحاء حتى تقتص لنفسها من الشاة القرناء، فإن قيل: الشاة غير مكلفة فكيف يقتص منها قلنا: إن الله تعالى فعال لما يريد ولا يسأل عما يفعل، والغرض منه إعلام العباد بأن الحقوق لا تضيع بل يقتص حق المظلوم من الظالم اهـ، وهو وجه حسن وتوجيه مستحسن إلا أن التعبير عن الحكمة بالغرض وقع في غير موضعه، وجملة الأمر أن القضية دالة بطريق المبالغة على كمال العدالة بين كافة المكلفين، فإنه إذا كان هذا حال الحيوانات الخارجة عن التكليف فكيف بذوي العقول من الوضيع والشريف والقوي والضعيف. **(رواه مسلم)**. وفي الجامع بزيادة «تنطحها» رواه أحمد ومسلم والبخاري في الأدب والترمذي **(وذكر حديث جابر: «اتقوا الظلم»)**، تمامه، «فإن الظلم ظلمات يوم القيامة، واتقوا الشح فإن الشح أهلك من كان قبلكم حملهم على أن يسفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم». **(في باب الإنفاق)** أي من كتاب الزكاة، وهذا من المؤلف إن كان عن تكرار أسقطه فهو اعتذار حسن، وأما إن كان من باب تحويل الحديث إلى باب أنسب منه فهو اعتراض لكن في غير المحل، فتأمل.

(الفصل الثاني)

٥١٢٩ ـ **(عن حذيفة قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تكونوا إمعة»)** بكسر الهمزة وتشديد الميم والهاء للمبالغة، وهمزته أصلية، ولا يستعمل ذلك في النساء، فلا يقال: «امرأة إمعة»، كذا في النهاية وقال صاحب الفائق: هو الذي يتابع كل ناعق ويقول لكل أحد: «أنا معك» لأنه لا رأي له يرجع إليه، ووزنه فعلة كديمة، ولا يجوز الحكم عليه بزيادة الهمزة لأنه ليس في الصفات أفعلة، وهي في الأسماء أيضاً قليلة، ومعناه المقلد الذي يجعل دينه تابعاً لدين غيره بلا روية ولا تحصيل برهان اهـ. كلامه. وفيه إشعاراً بالنهي عن التقليد المجرد حتى في الأخلاق فضلاً عن الاعتقادات والعبادات، الأظهر أن الكلمة غير موضوعة لصفة أو اسم، بل

الحديث رقم ٥١٢٩: أخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٣٢٠ الحديث رقم ٢٠٠٧.

تقولون: إن أحسن الناس أحسنّا، وإن ظلموا ظلمنا، ولكن وطّنوا أنفسكم إن أحسنَ النّاسُ أن تُحسنوا، وإن أساؤوا فلا تظلموا». رواه الترمذي.

٥١٣٠ ـ (٨) وعن معاوية، أنّه كتبَ إلى عائشة [رضي الله عنها] أن اكتبي إليَّ كتاباً توصيني فيه ولا تكْثري. فكتبتْ: سلامٌ عليكَ؛

موضوعة مركبة من الكلمتين المعبر عنهما «بأنا معك»، ونظيرها البسملة والحيعلة» ونحوهما. وفي القاموس الأمع كهلع وهلعة ويفتحان الرجل يتابع كل واحد على رأيه لا يثبت على شيء، ومتبع الناس إلى الطعام من غير أن يدعى، والمحقب الناس دينه والمتردد في غير صنعة، ومن يقول: «أنا مع الناس» ولا يقال: «امرأة إمعة»، أو قد يقال: وتأمع واستأمع صار إمعة. وقال شارح: الأمع والأمعة عند أهل اللغة الرجل الذي يكون لضعف رأيه مع كل أحد، والمراد هنا من يكون مع ما يوافق هواه ويلائم أرب نفسه وما يتمناه؛ وقيل: المراد هنا الذي يقول: «أنا أكون مع الناس كما يكونون معي إن خيراً فخير وإن شراً فشر» قلت: وهذا المعنى هو المتعين كما يدل عليه قوله: («يقولون:») الظاهر أن الأمعة يستوي فيه المفرد وغيره، أو المعنى أن الموصوفين بهذا الوصف يقولون («إن أحسن الناس») أي إلينا أو إلى غيرنا («أحسنا») أي جزاء أو تبعاً لهم («وإن ظلموا») أي ظلمونا أو ظلموا غيرنا فكذلك («نحن ظلمنا») على وفق أعمالهم. قال الطيبي: قوله: يقولون الخ بيان وتفسير للأمعة لأن معنى قوله: «إن أحسن الناس وإن ظلموا أنا مقلد الناس في إحسانهم وظلمهم ومقتفي أثرهم». («ولكن وطنوا أنفسكم») أمر من التوطين، وهو العزم والجزم على الفعل أي عزموا أنفسكم على («أن أحسن الناس أن تحسنوا») أي فعليكم أن تحسنوا («وإن أساؤوا فلا تظلموا»)، قال في أساس البلاغة: أوطن الأرض ووطنها واستوطنها، ومن المجاز وطنت نفسي على كذا فتوطنت. قال:

ولا خير فيمن لا يوطن نفسه ... على نائبات الدهر حين تنوب

ومعنى الحديث، «أوجبوا على أنفسكم الإحسان بأن تجعلوها وطناً للإحسان». قال الطيبي: فعلى هذا «أن تحسنوا» متعلق بقوله: «وطنوا»، وجواب الشرط محذوف يدل عليه «أن تحسنوا»، والتقدير: «وطنوا أنفسكم على الإحسان إن أحسن الناس فأحسنوا وإن أساؤوا فلا تظلموا»، لأن عدم الظلم إحسان. (رواه الترمذي).

٥١٣٠ ـ (وعن معاوية) أي ابن أبي سفيان صحابيان مشهوران («أنه كتب إلى عائشة») أي أم المؤمنين («أن اكتبي») أن مصدرية أو مفسرة لما في الكتابة من معنى القول («إلي») أي مرسلاً أو موصولاً حال أو متعلق بقوله: («كتاباً توصيني فيه») أي في ذلك الكتاب من كل باب («ولا تكثري») أي بالإطناب، بل أوجزي بكلام جامع يكون فصل الخطاب لأنها من أهل بيت من أوتي جوامع الحكم وبدائع الكلم («فكتبت: سلام عليك»)، واقتصرت على غنيمة السلامة

الحديث رقم ٥١٣٠: أخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٥٢٧ الحديث رقم ٢٤١٤.

أما بعد: فإني سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «من التمس رضى الله بسخط الناس كفاهُ اللّهُ مؤونة الناس، ومن التمس رضى الناس بسخط الله وكلهُ الله إلى الناس» والسلام عليك. رواه الترمذي.

الفصل الثالث

٥١٣١ ـ (٩) عن ابن مسعود، قال لما نزلت: ﴿**الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم**﴾. شق ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ وقالوا: يا رسول الله: أيُّنا لم يظلم نفسه فقال رسول الله ﷺ: «ليس ذاك؛ إنما هو الشركُ،

خوف السآمة (**«أما بعد»**) أي بعد السلام، أو ما بعد ما سبق من الكلام (**«فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: من التمس رضا الله بسخط الناس»**) أي من طلب رضاه في شيء بسخط الناس عليه بسببه (**«كفاه الله مؤنة الناس»**) أي مؤنة شرهم من الظلم عليه والإساءة إليه (**«ومن التمس رضا الناس بسخط الله وكله الله»**) بتخفيف الكاف أي خلاه وترك نصره ودفعه (**إلى الناس**) وهذا وصية جامعة لجميع الناس قال المظهر يعني إذا عرض له أمر في فعله رضا الله وغضب الناس أو عكسه فإن فعل الأول رضي الله عنه ودفع عنه شر الناس وإن فعل الثاني وكله إلى الناس يعني سلط الناس عليه حتى يؤذوه ويظلموا عليه ولم يدفع عنه شرهم في النهاية وكلت أمري إلى فلان أي ألجأته إليه واعتمدت فيه عليه (**والسلام عليك**) فالأول بمنزلة سلام الملاقاة والثاني في مركبة المودعة أو كأنها قالت السلام عليك أولاً وآخراً أو في الدنيا والآخرة وفي تكرار السلام إشارة خفية إلى تأكيد طلب السلامة وترك ما يؤدي إلى الملامة (**رواه الترمذي**).

(الفصل الثالث)

٥١٣١ ـ (**عن ابن مسعود قال لما نزلت**) بالتأنيث لكون ما بعده من فاعله آية والتقدير لما نزلت آية: (﴿**الذين آمنوا ولم يلبسوا**﴾) بكسر الموحدة أي لم يخلطوا (﴿**إيمانهم بظلم**﴾[1]) تمامه (﴿**أولئك لهم الأمن**﴾) أي في الآخرة ﴿**وهم مهتدون**﴾ [الأنعام ـ ٨٢] أي في الدنيا (**شق ذلك**) أي صعب ذلك الكلام أو الحكم (**على أصحاب رسول الله ﷺ**) أي ظناً منهم أن المراد بالظلم مطلق المعاصي كما يتبادر إلى الفهم لا سيما من التنكير الذي يفيد العموم (**وقالوا يا رسول الله أينا لم يظلم نفسه**) أي ظلماً قاصراً أو متعدياً مع أن الثاني أيضاً يرجع إلى ظلم النفس لقوله تعالى: ﴿**إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها**﴾ (**فقال رسول الله ﷺ ليس ذاك**) أي ليس معناه كما فهمتم (**إنما هو**) أي الظلم (**الشرك**) ففي التنكير إشارة إلى أن المراد

الحديث رقم ٥١٣١: أخرجه البخاري في صحيحه ٨/ ٢٩٤ الحديث رقم ٤٦٢٩، وأخرجه مسلم في ١/ ١١٤ الحديث رقم (١٩٧ ـ ١٢٤).

(١) سورة الأنعام، الآية: ٨٢.

ألم تسمعوا قولَ لقمان لابنه: ﴿يا لقمان لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم﴾؟. وفي روايةٍ: «ليس هو كما تظنُّونَ، إنما هو كما قال لقمان لابنه». متفق عليه.

٥١٣٢ ـ (١٠) وعن أبي أُمامةَ، أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «مِنْ شرِّ النَّاسِ منزلة عندَ اللَّهِ يومَ القيامةِ، عبدٌ أذهبَ آخرتَه بدُنيا غيره». رواه ابن ماجه.

أي نوع من الكفر أو أريد به التعظيم أي بظلم عظيم كما يدل عليه قوله: **(ألم تسمعوا قول لقمان لابنه)** أي وهو مؤمن (**﴿يا بني﴾**) بفتح الياء وكسرها (**﴿لا تشرك بالله﴾**) أي لا تخلط الإشراك بالإيمان بالله وسائر ما يجب الإيمان به (**﴿إن الشرك لظلم عظيم﴾**)[1] استئناف تعليل أي فإنه يبطل الإيمان ويستأصله ولا يجتمع معه أصلاً فضلاً عن غيره من الأعمال قال تعالى: **﴿ومن يكفر بالإيمان فقد حبط عمله﴾** بخلاف سائر المعاصي فإنه لا ينافي الإيمان على مذهب الحق الذي عليه أهل السنة والجماعة خلافاً للخوارج والمعتزلة وسائر المبتدعة فالصحابة رضي الله تعالى عنهم فهموا خلط المعصية بالإيمان لأن الشرك لا يتصوّر خلطه به فأجاب بأن خلطه ممكن بأن يؤمن بالله ويشرك في عبادته غيره فيكون إيماناً لغوياً لا شرعياً إلا فالإيمان بالله إنما يكون معتبراً إذا اشتمل على إثبات صفات الكمال له وتنزيهه عن نعوت النقص وإلا فيلزم أن يكون جميع الكفار مؤمنين بالله حقيقة قال تعالى **﴿ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله﴾** ولكن الله تعالى لم يرض بالإشراك الصوري أيضاً كما ورد في الحديث القدسي أنا أغنى الشركاء عن الشرك وإذا تأملت ظهر لك أنه لا يتصوّر وجود الشرك الحقيقي بالله سبحانه إذ الممكن بجنب واجب الوجود كالمعدوم **(وفي رواية ليس هو)** أي الأمر أو الظلم أو الحكم **(كما تظنون إنما هو كما قال لقمان لابنه)** أي الخ قال الطيبي فهم من معنى اللبس أن المراد من الظلم المعصية لأن لفظ اللبس يأبى أن يراد به الشرك فالمعنى لم يلخطوا إيمانهم بمعصية تفسقهم كذا في الكشاف وقول رسول الله ﷺ ليس ذلك معناه ليس كما تعتقدون أن اللبس يقتضي الخلط ولا يتصوّر خلط الشرك بالإيمان بل هو واقع لمن يؤمن بالله ويشرك في عبادته غيره وإليه الإشارة بقوله تعالى: **﴿وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون﴾** قال: الحسن هم أهل الكتاب معهم شرك وإيمان به وقيل النفاق ليس الإيمان الظاهر بالكفر الباطن وفي الآية لشاهد على أن المراد بالظلم فيها الشرك ومن أراد زيادة اطلاع عليه فلينظر في فتوح الغيب **(متفق عليه)**.

٥١٣٢ ـ **(وعن أبي أمامة)** أي الباهلي **(أن رسول الله ﷺ قال: من شر الناس)** وفي الجامع بزيادة أن للتأكيد **(منزلة)** أي عند الله كما في نسخة **(يوم القيامة)** قيد به لظهور الأمر فيه **(عبد أذهب آخرته)** أي ضيعها **(بدنيا غيره رواه ابن ماجه)** وكذا الطبراني.

---

(١) سورة لقمان، الآية: ١٣.

الحديث رقم ٥١٣٢: أخرجه ابن ماجه في السنن ٢/ ١٣١٢ الحديث رقم ٣٩٦٦.

٥١٣٣ ـ (١١) وعن عائشة، قالت: قال رسولُ الله ﷺ: «الدَّواوينُ ثلاثة ديوانٌ لا يغفرُهُ اللهُ: الإشراكُ بالله. يقولُ الله عزَّ وجلَّ: ﴿إنَّ اللهَ لا يغفرُ أنْ يشركَ به﴾، وديوانٌ لا يتركه اللهُ: ظلمُ العباد فيما بينهم حتى يقتصَّ بعضُهم من بعض وديوان لا يعبأ الله به ظلم العباد فيما بينهم وبينَ الله، فذاكَ إلى الله: إنْ شاءَ عذَّبه وإن شاءَ تجاوزَ عنه».

٥١٣٤ ـ (١٢) وعن عليّ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إياكَ ودعوةَ المظلوم، فإنما يسألُ اللهَ تعالى حقَّه، وإنَّ اللهَ لا يمنعُ ذا حقٍّ حقَّه».

٥١٣٣ ـ (وعن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: الدواوين) أي صحائف الأعمال (ثلاثة:) أي ثلاثة أنواع من الدواوين وفي المغرب الديوان الجريدة من دون الكتب إذا جمعها لأنها قطع من القراطيس مجموعة (ديوان لا يغفر الله) أي لا يغفره ولا يعفو عنه البتة (الإشراك بالله) والمراد منه الكفر بأنواعه (يقول الله: ﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به﴾)[1] أي بلا توبة أو لا يغفر الإشراك به يوم القيامة (وديوان لا يتركه الله) أي بلا محاسبة ولا مطالبة لا محالة (ظلم العباد فيما بينهم حتى يقص) متعلق بلا يتركه وفي نسخة صحيحة حتى يقتص[2] (بعضهم من بعض) أي يتفضل الله على بعضهم بإرضاء خصومهم فإنه بمنزلة الاقتصاص قائم مقام الدية في الدنيا (وديوان لا يعبأ الله) بفتح الموحدة وضم الهمزة أي لا يبالي (به) ولا يرى موزناً من العبء وهو الثقل (ظلم العبادة فيما بينهم وبين الله) وهذا يتعلق به حق الله أيضاً لأنه لا يوجد حق عبد إلا ويتعلق به حق الله أيضاً فحقوق العباد مركبة من الجهتين والجهة المتعلقة بالعبد مقدمة على الأخرى لفقر العبد واستغنائه سبحانه (فذاك) بالألف دون اللام في الأصول المعتمدة والمراد به الإشارة إلى القريب من حق العبد (إلى الله) أي مفوض إلى مشيئته (إن شاء عذبه) أي بقدر ذنبه أو بأقل منه (وإن شاء تجاوز عنه) أي غفره مجاناً وبتقدير أنا هذا يندفع ما يرد فيه من الإشكال حيث ظاهر الحديث من التقسيم قد ينافيه آية ﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾ [النساء ـ ٤٨] قال الطيبي وإنما قال في القرينة الأولى لا يغفر ليدل على أن الشرك لا يغفر أصلاً في الثانية لا يترك فيؤذن بأن حق الغير لا يهمل قطعاً إما بأن يقتص من خصمه أو يرضيه الله تعالى وفي الثالثة لا يعبأ ليشعر بأن حق الله تعالى على المساهلة فيترك حقه كرماً ولطفاً.

٥١٣٤ ـ (وعن علي [رضي الله عنه] قال: قال رسول الله ﷺ: «إياك ودعوة المظلوم») أي ولو ذمياً (فإنما يسأل الله حقه) أي سؤال محاسبة ومطالبة (وإن الله لا يمنع ذا حق حقه) أي بل يعطي كل ذي حق حقه فإن قوله: «حق وعده صدق وفعله عدل ثم بعده فضل».

الحديث رقم ٥١٣٣: أخرجه أحمد في المسند ٦/ ٢٤٠، والبيهقي في شعب الإيمان ٦/ ٥٢ الحديث رقم ٧٤٧٣.

(١) سورة النساء، الآية: ٤٨. (٢) وهي نسخة المتن.

الحديث رقم ٥١٣٤: أخرجه أحمد في المسند ٢/ ٣٤٣، والبيهقي في شعب الإيمان ٦/ ٤٩ الحديث رقم ٧٤٦٤.

٥١٣٥ ـ (١٣) وعن أوسِ بن شَرحبيل، أنّه سمعَ رسولَ اللّهِ ﷺ يقول: «مَن مشَى معَ ظالمٍ ليُقوِّيه وهو يعلمُ أنه ظالمٌ، فقدْ خرجَ منَ الإسلامِ».

٥١٣٦ ـ (١٤) وعن أبي هريرةَ، أنّه سمعَ رجلاً يقولُ: إنَّ الظالمَ لا يضرُّ إلا نفسَه. فقال أبو هريرةَ: بَلى واللهِ، حتى الحبارى لتَموتُ في وكْرِها هُزلاً لظلمِ الظالمِ. روى البيهقيُّ الأحاديثَ الأربعةَ في «شعب الإيمان».

٥١٣٥ ـ (وعن أوس بن شرحبيل) بضم معجمة وفتح راء وسكون مهملة أو كسر موحدة وترك صرف كذا في المغني ولم يذكره المؤلف (أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «من مشى مع ظالم ليقويه») وفي الجامع ليعينه («وهو يعلم أنه ظالم») أي فيه («فقد خرج من الإسلام») أي من كمال الإيمان أو من حقيقة الإسلام المقتضي أن يسلم المسلمون من لسانه ويده.

٥١٣٦ ـ (وعن أبي هريرة أنه سمع رجلاً يقول: إن الظالم لا يضر إلا نفسه) وهذا الكلام حق لقوله تعالى: ﴿ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾ وقوله: ﴿من عمل صالحاً فلنفسه﴾ ومن أساء فعليها وكان أبا هريرة فهم أنه أراد بهذا أنه لا يسري أثر ظلمه إلا إلى نفسه كما يدل عليه الحصر (فقال بلى) أي بلى قد يضر غيره أيضاً وليس بنحصر أثر ضرره على نفسه (والله حتى) أي حتى يتعدى إلى غيره من الإنسان والحيوان المستأنس وغيره حتى (الحبارى) بضم الحاء طير مشهور (لتموت في وكرها) أي بيتها وعشها (هزلاً) بضم هاء وسكون زاي نقيض السمن (لظلم الظالم) أي لأجل ظلمه ولكن الله يعفو عن كثير ويمهل عن بعض ولا يهمل حق المظلوم وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ما ترك عليها من دابة﴾ [النحل ـ ٦١] الآية وفي النهاية يعني أن الله تعالى يحبس القطر عن الحبارى بشؤم ذنوب الظالم وإنما خصها بالذكر لأنها أبعد الطير نجعة أي طبعاً للكلأ الناشىء من الغيث فربما تذبح بالبصرة ويوجد في حوصلتها الحبة الخضراء وبين البصرة ومنبتها مسيرة أيام قال الطيبي: قوله بلى الحجاب لما نفى قبله وههنا وقعت جواباً للسيئات فالوجه أن يقال أن مفهوم قوله لا يضر إلا نفسه لا يضر غيره فقال بلى يضر غيره حتى يضر الحبارى (روى البيهقي الأحاديث الأربعة في شعب الإيمان) أما الحديث الأخير فهو موقوف على أبي هريرة وأما الأول فقد رواه أحمد والحاكم في مستدركه[1] أيضاً على ما في الجامع ولفظه الدواوين ثلاثة فديوان لا يغفر الله منه شيئاً وديوان لا يعبأ الله به شيئاً وديوان لا يترك الله منه شيئاً أما الديوان الذي لا يغفر الله منه شيئاً فالإشراك بالله وأما الديوان الذي لا يعبأ الله به شيئاً فظلم العبد نفسه فيما بينه وبين ربه من صوم يوم تركه أو صلاة تركها فإن الله يغفر ذلك إن شاء ويتجاوز وأما الديوان الذي لا يترك الله منه شيئاً فظالم العباد بينهم القصاص لا محالة. وأما الحديث الثاني: فقد أخرجه سمويه عن أنس ولفظه إياك

الحديث رقم ٥١٣٥: أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ٦/ ١٢٢ الحديث رقم ٧٦٧٥.

الحديث رقم ٥١٣٦: أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ٦/ ٥٤ الحديث رقم ٧٦٧٩.

(١) الحاكم في المستدرك ٤/ ٥٧٥.

. . . .

المظلوم وإن كانت من كافر فإنه ليس لها حجاب دون الله عزّ وجلّ رواه أحمد وأبو ليلى في مسنديهما والضياء عن أنس اتقوا دعوة المظلوم وإن كان كافراً فإنه ليس ما دون دعائه حجاب ورواه الحاكم عن ابن عمر ولفظه «اتقوا دعوة المظلوم فإنها تصعد إلى السماء كأنها شرارة»[١] ورواه الطبراني والضياء عن خزيمة بن ثابت ولفظه اتقوا دعوة المظلوم فإنها تحمل على الغمام ثم يقول الله وعزتي وجلالي لأنصرنك ولو بعد حين وأما الثالث فقد أخرجه الطبراني والضياء عن أوس بن شرحبيل أيضاً.

(١) الحاكم في المستدرك ٢/ ٢٩.

(٢٢) باب الأمر بالمعروف

الفصل الأول

٥١٣٧ ـ (١) عن أبي سعيدٍ الخدريِّ، عن رسول الله ﷺ، قال: «مَنْ رأى منكم مُنكراً

(باب الأمر بالمعروف)

في النهاية: المعروف اسم جامع لكل ما عرف من طاعات الله تعالى والتقرب إليه والإحسان إلى الناس، وكل ما ندب إليه الشرع ونهى عنه من المحسنات والمقبحات، وهو من الصفات الغالبة، أي أمر معروف بين الناس إذا رأوه لا ينكرونه. والمعروف النصفة[1] وحسن الصحبة مع الأهل وغيرهم من الناس، والمنكر ضد ذلك جميعه. اهـ. وكان حق المؤلف أن يقول: والنهي عن المنكر، ولعله تركه لأن الأمر بالمعروف يعم النهي عن المنكر أو [هو] من باب الاكتفاء بذكر أحد الضدين عن الآخر كقوله تعالى: ﴿سرابيل تقيكم الحر﴾ [النحل ـ ٨١]، أي والبرد.

(الفصل الأوّل)

٥١٣٧ ـ **(عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال: من رأى)** أي علم **(منكم منكراً)** أي في غيره من المؤمنين. والخطاب للصحابة أصالة ولغيرهم من الأمة تبعاً. وفي الإتيان بمن التبعيضية إشعار بأنه من فروض الكفاية وإيماء إلى أنه لا يباشره إلا من يعرف مراتب الإحسان وتفاوت المنكرات، ويميز بين المتفق عليه والمختلف فيه منها. وهذا المعنى مقتبس من قوله تعالى: **﴿ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر﴾** [آل عمران: ١٠٤] **﴿ويسارعون في الخيرات﴾** [آل عمران: ١١٤]. وخلاصة الكلام: من أبصر

---

(١) في المخطوطة «الصفة».

الحديث رقم ٥١٣٧: أخرجه مسلم في صحيحه ١/ ٦٩ حديث رقم (٧٨. ٤٩). وأبو داود في السنن ٤/ ٥١١ حديث رقم ٤٣٤٠. والترمذي في السنن ٤/ ٤٠٨ حديث رقم ٢١٧٢. والنسائي في السنن ٨/ ١١١ حديث رقم ٥٠٠٨. وأحمد في المسند [illegible]

فليُغيّره بيده، فإنْ لم يستطعْ فبلسانه، فإنْ لم يستطعْ فبقلبه، وذلكَ أضعفُ الإيمانِ».

ما أنكره الشرع. ﴿فليغيره بيده﴾ أي بأن يمنعه بالفعل بأن يكسر الآلات ويريق الخمر ويرد المغصوب إلى مالكه. (فإن لم يستطع) أي التغيير باليد وإزالته بالفعل لكون فاعله أقوى منه. (فبلسانه) أي فليغيره بالقول وتلاوة ما أنزل الله من الوعيد عليه وذكر الوعظ والتخويف والنصيحة. (فإن لم يستطع) أي التغيير باللسان أيضاً (فبقلبه) بأن لا يرضى به وينكر في باطنه على متعاطيه فيكون تغييراً معنوياً، إذ ليس في وسعه إلا هذا القدر من التغيير. وقيل: التقدير: فلينكره بقلبه لأن التغيير لا يتصوّر بالقلب فيكون التركيب من باب: علفتها تبناً وماء بارداً. ومنه قوله تعالى: ﴿والذين تبوؤوا الدار والإيمان﴾ [الحشر: ٩]. (وذلك) أي الإنكار بالقلب وهو الكراهية (أضعف الإيمان) أي شعبه أو خصال أهله. والمعنى أنه أقلها ثمرة، فمن غير المراتب مع القدرة كان عاصياً ومن تركها بلا قدرة أو يرى المفسدة أكثر ويكون منكراً بقلبه فهو من المؤمنين. وقيل: معناه وذلك أضعف زمن الإيمان. إذ لو كان إيمان أهل زمانه قوياً لقدر على الإنكار القولي أو الفعلي ولما احتاج إلى الاقتصار على الإنكار القلبي، أو ذلك الشخص المنكر بالقلب فقط أضعف أهل الإيمان فإنه لو كان قوياً صلباً في الدين لما اكتفى به، ويؤيده الحديث المشهور: أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر[(١)]. وقد قال تعالى: ﴿ولا يخافون لومة لائم﴾ [المائدة: ٥٤]. هذا وقد قال بعض علمائنا: الأمر الأوّل للأمراء والثاني للعلماء والثالث لعامة المؤمنين. وقيل: المعنى إنكار المعصية بالقلب أضعف مراتب الإيمان لأنه إذا رأى منكراً معلوماً من الدين بالضرورة فلم ينكره ولم يكرهه ورضي به واستحسنه كان كافراً. ولعل الإطلاق الدال على العموم لإفادة التهديد والوعيد الشديد. قال ابن الملك رحمه الله: فإن قلت: هذا الحديث يدل على أن الإيمان يزيد وينقص كما ذهب إليه الشافعي رحمه الله فما تأويله عند الحنفية. قلنا: معناه أضعف ثمرات الإيمان، والإنكار بالقلب منها. فإن قلت: لو كان كذلك لزم أن لا يخرج من الإيمان لانتفائه، وليس كذلك لما جاء في بعض الروايات: وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل. قلت: أراد به أن الثمرات القوية والضعيفة إذا انتفت كان الإيمان كالمعدوم. اهـ. وفيه أنه حينئذ يرجع الحديث دليلاً للخصم. فالصواب أن يقال التقدير: وليس وراء ذلك من كمال الإيمان أو من الإيمان الكامل حبة خردل. لا يقال هذا أيضاً يدل على تحقق الكمال والنقصان بالنسبة إلى الإيمان. فإنا نقول الخلاف إنما هو في حقيق الإيمان وهو التصديق القلبي هل هو قابل للزيادة والنقصان أم لا. بل المحققون من الشافعية أيضاً على أن النزاع لفظي، فإن نفس الإيمان وجوهره لا يتجزأ وإنما كماله أن ينضم إليه وجود الأعمال الصالحة، لأن الله تعالى حيث مدح المؤمنين الكاملين عطف الأعمال على الإيمان وقال: ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ [البروج: ١١]. ومن المعلوم أن الأصل في العطف التغاير. وأما كون الأعمال جزء الإيمان حقيقة فإنما هو مذهب الخوارج والمعتزلة. وأما

---

(١) ابن ماجه في السنن ٢/ ١٣٢٩ حديث رقم ٤٠١١.

....

الآيات والأحاديث الدالة على الزيادة والنقصان فإمّا محمولة على ما ذكرنا وإمّا بالنظر إلى تعدد المؤمن به، وهذا بحث طويل الذيل محله كتب العقائد ومباحث الكلام والله تعالى أعلم بحقيقة المرام[1]. ثم اعلم أنه إذا كان المنكر حراماً وجب الزجر عنه وإذا كان مكروهاً

---

(١) اختلف العلماء رحمهم الله تعالى في مسألة ازدياد الإيمان ونقصانه.

ذهب الإمام أحمد إلى أن الإيمان يزيد وينقص بالطاعة والمعصية. فقد روى ابن الجوزي بسنده عن سليمان بن الأشعث قال: سمعت أحمد بن حنبل يقول: «الإيمان قول وعمل يزيد وينقص، والبر كله من الإيمان، والمعاصي تنقص من الإيمان».

وقد روى أبو الفضل عبد الواحد بن عبد العزيز التميمي فيما أملاه من عقيدة الإمام أحمد «وكان أحمد بن حنبل رحمه الله يذهب إلى أن الإيمان قول باللسان، وعمل بالأركان واعتقاد بالقلب، يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية. ويقوى بالعلم ويضعف بالجهل، وبالتوفيق يقع، وأن الإيمان مسميات كثيرة من أفعال وأقوال. وذكر الحديث «الإيمان بضع وسبعون شعبة...» واستدل الإمام أحمد رحمه الله تعالى بقول الله سبحانه وتعالى ﴿**ويزداد الذين آمنوا إيماناً**﴾ [سورة المدثر - آية رقم ٣١] وغيرها من الآيات. [من كتاب **العقيدة** للإمام أحمد بن حنبل في رواية أبي بكر الخلال ص ٤٩ - ٥٠].

وروى الإمام البيهقي رحمه الله في كتابه المعتقد قول الإمام الشافعي رحمه الله تعالى في الإيمان. نعن الربيع بن سليمان قال سمعت الشافعي يقول: «الإيمان قول وعمل يزد وينقص». واستدل بذلك: قال الله تعالى ﴿**إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً وعلى ربهم يتوكلون الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون أولئك هم المؤمنون حقاً**﴾ [الأنفال الآيات ٢ و٤] فأخبر الله تعالى بزيادة إيمانهم بتلاوة آياته عليه. وفي كل ذلك دلالة على أن هذه الأعمال وما فيه بها عليه من جوامع الإيمان، وأن الإيمان يزيد وينقص. وذهب أكثر أهل الحديث إلى أن اسم الإيمان يجمع الطاعات فرضها ونفلها. والأحاديث في ذلك كثيرة. منها: «الطهور شطر الإيمان» و «الإيمان بضع وستون أو سبعون شعبة».

ما أخرجه البخاري ومسلم «أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً».

ما أخبر أبو داود قال الرسول ﷺ: «من أحب لله وأبغض لله، وأعطى لله، ومنع لله، فقد استكمل الإيمان».

حديث رسول الله ﷺ: «يخرج من النار من قال: لا إله إلا الله وفي قلبه من الإيمان ما يزن برة».

وروي عن سفيان الثوري قوله: «خالفنا المرجئة في ثلاث: نحن نقول الإيمان قول وعمل، وهم يقولون قول بلا عمل. ونحن نقول: الإيمان يزيد وينقص، وهم يقولون: لا يزيد ولا ينقص. ونحن نقول أهل القبلة عندنا مؤمنون أما عند الله فالله أعلم، وهم يقولون: نحن عند الله مؤمنون».

والأحاديث في تسمية شرائع الإسلام إيماناً وأن الإيمان والإسلام عبارتان عن دين واحد، إذا كان الإسلام حقيقة ولم يكن بمعنى الاستسلام وأن الإيمان يزيد وينقص، كثيرة، غير التي ذكرت هنا.

قال البيهقي رحمة الله: «وقد روينا في ذلك عن الخلفاء الراشدين أبي بكر وعمر وعثمان وعلي، ثم عن عبد الله بن رواحة ومعاذ بن جبل وعبد الله بن مسعود وعمار بن ياسر وأبي الدرداء وعبد الله بن عباس وأبي هريرة وعثمان بن حنيف وعمير بن حبيبة وجندب وعقبة بن عامر رضي الله عنهم».

ندب. والأمر بالمعروف أيضاً تبع لما يؤمر به، فإن وجب فواجب وإن ندب فمندوب. ولم يتعرض له في الحديث لأن النهي عن المنكر شامل له، إذ النهي عن الشيء أمر بضده، وضد المنهي إما واجب أو مندوب أو مباح والكل معروف. وشرطهما أن لا يؤدي إلى الفتنة كما علم من الحديث وأن يظن قبوله، فإن ظن أنه لا يقبل فيستحسن إظهاراً لشعار الإسلام. ولفظ من لعمومه شمل كل أحد رجلاً أو امرأة، عبداً أو فاسقاً أو صبياً مميزاً إذا كان وإن كان يستقبح ذلك من الفاسق. قال تعالى: ﴿أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم﴾ [البقرة: ٤٤]. وقال عز وجل: ﴿لم تقولون ما لا تفعلون﴾ [الصف: ٢]. وأنشد:

وغير تقيّ يأمر الناس بالتقى ❊ طبيب يداوي الناس وهو مريض

قال النووي رحمه الله في شرح مسلم: قوله: فليغيره بيده، هو أمر إيجاب وقد تطابق على وجوبه الكتاب والسنة وإجماع الأمة، وهي أيضاً من النصيحة التي هي الدين. ولم يخالف في ذلك إلا بعض الروافض ولا يعتد بخلافهم. قال إمام الحرمين أبو المعالي: لا تكترث بخلافهم ووجوبه بالشرع لا بالعقل خلافاً للمعتزلة، فمن وجب عليه وفعله ولم يمتثل المخاطب فلا عتب بعد ذلك عليه لكونه أدى ما عليه، وما عليه أن يقبل منه. وهو فرض كفاية ومن تمكن منه وتركه بلا عذر أثم، وقد يتعين كما إذا كان في موضع لا يعلم به إلا هو[1] أو

= وعن التابعين وأتباعهم عن جماعة يكثر تعدادهم. وهو قول [زيادة الإيمان ونقصانه] فقهاء الأمصار رحمهم الله [تعالى]: مالك بن أنس والأوزاعي وسفيان بن سعيد الثوري وسفيان بن عيينة وحماد بن زيد وحماد بن سلمة ومحمد بن إدريس الشافعي وأحمد بن حنبل وإسحاق بن إبراهيم الحنظلي... وغيرهم من أهل الحديث...» [كتاب الاعتقاد ١٤١ ـ ١٤٥].

ومن الفقهاء الذين قالوا بعدم زيادة الإيمان ونقصانه الإمام أبو حنيفة رحمه الله: فقد قال في كتابه «الفقه الأكبر»:

.. وإيمان أهل السماء والأرض لا يزيد ولا ينقص من جهة المؤمن به ويزيد وينقص من جهة اليقين والتصديق.

وذكر الملا علي القاري في شرحه للفقه الأكبر قول الإمام الرازي: «إن الإيمان لا يقبل الزيادة والنقصان». والمراد بزيادة الإيمان ونقصانه القوة والضعف. فإن التصديق بطلوع الشمس أقوى من التصديق بحدوث العالم. وإن كانا متساويين في أصل تصديق المؤمن به. وقال: «ونحن نعلم قطعاً أن إيمان آحاد الأمة ليس كإيمان النبي ﷺ. ولا كإيمان أبي بكر الصديق رضي الله عنه باعتبار هذا التحقيق. وهذا معنى ما ورد: «لو وزن إيمان أبي بكر الصديق رضي الله عنه بإيمان جميع المؤمنين لرجح إيمانه». يعني لرجحان ايقانه ووقار جنانه وثبات اتقانه وتحقيق عرفانه لا من جهة ثمرات الإيمان من زيادات الإحسان لتفاوت أفراد الإنسان من أهل الإيمان في كثرة الطاعات. وقلة العصيان وعكسه في مرتبة النقصان مع بقاء أصل وصف الإيمان في حق كل منهما بنعت الإيقان فالخلاف لفظي بين أرباب العرفان». [شرح الفقه الأكبر ١٢٦ ـ ١٢٧] والله تعالى أعلم.

(١) في المخطوطة «إذ».

رواه مسلم.

٥١٣٨ ـ (٢) وعن النعمانِ بن بشيرٍ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «مثلُ المداهنِ في حدودِ الله والواقعِ فيها، مثلُ قومٍ استهموا سفينةً،

لا يتمكن من إزالته إلا هو، وكمن يرى زوجته أو ولده أو غلامه على منكر. قالوا: ولا يسقط عن المكلف لظنه أن لا يفيد، بل يجب عليه فعله. فإن الذكرى تنفع المؤمنين. وما على الرسول إلا البلاغ المبين. ولا يشترط في الآمر والناهي أن يكون كامل الحال ممتثلاً ما يأمر به مجتنباً ما ينهى عنه، بل يجب عليه مطلقاً لأن الواجب عليه شيئان أن يأمر نفسه وينهاها ويأمر غيره وينهاه، فإذا أخل بأحدهما كيف يباح له الإخلال بالآخر. قالوا: ولا يختص ذلك بأصحاب الولايات بل هو ثابت على آحاد المسلمين، فإن السلف الصالح كانوا يأمرون الولاة بالمعروف وينهونهم عن المنكر مع تقرير المسلمين إياهم وترك توبيخهم على التشاغل به. ثم إنه إنما يأمر وينهي من كان عالماً بما يأمر به وينهي عنه وذلك يختلف باختلاف الشيء. فإن كان من الواجبات الظاهرة أو المحرمات المشهورة كالصلاة والصيام والزكاة والزنا والخمر ونحوهما فكل المسلمين عالم بها، وإن كان من دقائق الأفعال والأقوال وما يتعلق بالاجتهاد لم يكن للعوام مدخل فيه لأن إنكاره على ذلك للعلماء. ثم العلماء إنما ينكرون ما أجمع عليه الأئمة، وأما المختلف فيه فلا إنكار فيه لأن على أحد المذهبين كل مجتهد مصيب. وينبغي للآمر والناهي أن يرفق ليكون أقرب إلى تحصيل المطلوب، فقد قال الإمام الشافعي: من وعظ أخاه سراً فقد نصحه وزانه ومن وعظه علانية فقد فضحه وشانه. قال القاضي عياض رحمه الله: إن هذا الباب باب عظيم في الدين به قوام الأمر وملاكه، فإذا فسد عم العقاب الصالح والطالح، قال تعالى: ﴿واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة﴾ [الأنفال: ٢٥]. (رواه مسلم) وكذا أحمد والأربعة.

٥١٣٨ ـ (وعن النعمان بن بشير قال: قال رسول الله ﷺ: مثل المداهن) أي المداهن المتساهل (في حدود الله) أي ترك القيام لإقامتها أو بالنهي عن ارتكاب المعاصي التي توجب الحدود. ولعل التخصيص للاعتناء بها، أو لأن ضررها قد يتعدى إلى غير فاعلها. ويمكن أن يراد بالحدود مطلق المعاصي، فذكر الحدود لتغليب الأقوى أو لأن حد كل معصية معروف مقرر. (والواقع فيها) أي ومثل الفاعل للمناهي. وفي التعبير بالواقع فيها إشارة إلى أنه بسبب المعصية، كأنه طارح من علو منزلته في هوي بئر عميق ومكان سحيق. (مثل قوم) بالرفع، أي كمثل جمع مجتمع من الصالحين وغيرهم (استهموا سفينة) أي اقتسموا محالها ومنازلها بالقرعة. وهذا قيد اتفاقي، وإنما يتصوّر في جمع خاص ملكوها بالشركة المتساوية، وإلا فقد يكون الاقتسام بحسب أمر صاحب السفينة على مقتضى الإجارة وغيرها. وقال بعضهم: فيه

الحديث رقم ٥١٣٨: أخرجه البخاري في صحيحه ٥/ ٢٩٢. حديث رقم ٢٦٨٦. والترمذي في السنن ٤/ ٤٠٨ حديث رقم ٢١٧٣. وأحمد في المسند ٤/ ٢٧٣.

فصارَ بعضُهم في أسفلِها، وصارَ بعضُهم في أعْلاها، فكانَ الذي في أسفلِها يمرُّ بالماءِ على الذينَ في أعلاها، فتأذَّوا به، فأخذَ فأساً، فجعلَ ينقرُ أسفلَ السفينة، فأتوهُ فقالوا: ما لكَ؟ قال: تأذَّيتُم بي ولا بُدَّ لي منَ الماءِ. فإنْ أخذوا على يديه أنجوهُ ونَجَّوا أنفسَهم، وإن تركوه أهلكُوه وأهلكوا أنفسَهم».

ندب القرعة إذا تشاجروا، أي تنازعوا على الجلوس في الأعلى والأسفل وذلك إذا نزلوا فيها جملة. أما إذا نزلوا متفرقين فمن سبق منهم إلى مكان فهو أحق به من غيره. قلت: وهذا لا يصح إلا إذا كانت السفينة موقوفة على الفقراء أو على الحجاج والغزاة، بخلاف ما إذا كانت مملوكة لأحد أو لجماعة على سبيل الاشتراك. **(فصار بعضهم في أسفلها)** أي من المنازل **(وصار بعضهم في أعلاها)** أي في المجلس **(فكان الذي)** أي ولو كان واحداً **(في أسفلها)** أي البعض الذي مستقر في أسفلها، فأفرد الموصول نظراً إلى لفظة البعض وإيماء إلى أنه ولو كان واحداً فالأمر كذلك، وإشعاراً بأن الصلحاء في الأمة كثيرون وأن الطلحاء قليلون مغلوبون مقهورون. أو إيماء إلى أن الصالح وإن كان واحداً فهو كثير كبير عال بعلو الدين، والفسقة وإن كانوا جماعة فهم في مرتبة القلة ومنزلة الذلة ومقام أسفل السافلين. **(يمر بالماء)** أي بسببه **(على الذين في أعلاها فتأذوا به)** أي فتأذى من بالأعلى بمروره عليهم. وحاصله أنه يجيء من أسفلها إلى أعلاها ليأخذ الماء ويذهب إلى موضعه، ففي ذهابه وإيابه وإمراره بالماء عليهم تأذوا به بحيث ظهر له أو أظهروا له بالقول الغليظ أو الفعل الشنيع، لا سيما إذا كان الماء كناية عن البول والغائط وإمراره لطرحه في البحر، فإنه حينئذ يوجد التأذي أكثر ووجه المضايقة والمخالفة أظهر، خصوصاً إذا كان أهل السفل فقراء على ما هو الغالب على مقتضى طالعهم ونازلهم في الحظ عن منازلهم. ثم الأظهر أنه صور محل الأولين أعلى لخلوهم بأنفسهم عن المعاصي وجعل مقابلهم أسفل لارتكابه المنهي. **(فأخذ فأساً)** بسكون الهمزة ويبدل ألفاً **(فجعل)** أي شرع **(ينقر)** بضم القاف أي يدق ويخرق ويقطع **(أسفل السفينة)** أي من ألواحها **(فأتوه)** أي فجاءه أهل العوالي **(فقالوا: ما لك)** أي أي شيء باعث لك على ذلك **(قال: تأذيتم بي ولا بد لي من الماء)** أي من استعماله أو طرحه **(فإن أخذوا على يديه)** أي منعوه، يقال: أخذت على يد فلان إذا منعته عما يريد أن يفعله كأنك أمسكت يده، كذا في النهاية. **(أنجوه)** أي خلصوه **(ونجوا)** بالتشديد، أي وخلصوا **(أنفسهم)** أيضاً فخلصوا من الهلاك جميعاً. وفي الجمع بين اللغتين تفنن في العبارتين **(وإن تركوه)** أي على فعله **(أهلكوه وأهلكوا أنفسهم)** والمعنى أنه كذلك إن منع الناس الفاسق عن الفسق نجا ونجوا من عذاب الله تعالى، وإن تركوه على فعل المعصية ولم يقيموا عليه الحد حل بهم العذاب وهلكوا بشؤمه وهذا معنى قوله تعالى: ﴿**واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة**﴾ [الأنفال: ٢٥]. أي بل تصيبكم عامة بسبب مداهنتكم. والفرق بين المداهنة المنهية والمداراة المأمورة، أن المداهنة في الشريعة أن يرى منكراً ويقدر على دفعه ولم يدفعه حفظاً لجانب مرتكبه أو جانب غيره لخوف أو طمع أو لاستحياء منه أو قلة مبالاة في الدين، والمداراة موافقته بترك حظ نفسه وحق يتعلق بماله وعرضه فيسكت عنه دفعاً للشر ووقوع الضرر. ومنه قول الشاعر:

رواه البخاري.

٥١٣٩ ـ (٣) وعن أسامة بن زيد، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «يُجاءُ بالرجل يومَ القيامةِ، فيُلقى في النارِ، فتندلقُ أقتابُه في النار. فيطحنُ فيها كطحنِ الحمارِ برحاه، فيجتمعُ أهلُ النارِ عليه فيقولون: أيْ فلانُ! ما شأنُكَ؟ أليسَ كنتَ تأمرُ بالمعروف وتنهانا عن المنكرِ؟ قال: كنتُ آمرُكم بالمعروف ولا آتيه، وأنهاكم عن المنكرِ وآتيه». متفق عليه.

---

* فدارهم ما دمت في دارهم *

وحاصل المعنى تحمل الأذى من الخلق رضاً بما قضى له الحق. ومجمله أن المداهنة إنما تكون في الباطل مع الأعداء، والمداراة في أمر حق مع الأحياء. قال الأشرف: شبه النبي ﷺ المداهن في حدود الله بالذي في أعلى السفينة وشبه الواقع في تلك الحدود بالذي في أسفلها، وشبه انهماكهم في تلك الحدود وعدم تركه إياها بنقره أسفل السفينة. وعبر عن نهي الناهي الواقع في تلك الحدود بالأخذ على يديه وبمنعه إياه عن النقر، وعبر عن فائدة ذلك المنع بنجاة الناهي والمنهي، وعبر عن عدم نهي النهاة بالترك، وعبر عن الذنب الخاص للمداهنين الذين ما نهوا الواقع في حدود الله بإهلاكهم إياه وأنفسهم. وكأن السفينة عبارة عن الإسلام المحيط بالفريقين؛ وإنما جمع فرقة النهاة إرشاداً إلى أن المسلمين لا بد وأن يتعاونوا على أمثال هذا النهي، أو إلى أن من يصدر عنه هذا النهي فهو كالجمع قال تعالى: ﴿**إن إبراهيم كان أمة**﴾ [النحل: ١٢٠]. وأفرد الواقع في حدود الله لأدائه إلى ضد الكمال. (**رواه البخاري**).

٥١٣٩ ـ (**وعن أسامة بن زيد**) صحابيان جليلان (**قال: قال رسول الله ﷺ: يجاء**) أي يؤتى (**بالرجل**) أي المقصر في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (**يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق**) أي تخرج سريعاً (**أقتابه**) أي أمعاؤه (**فيطحن**) بصيغة الفاعل على الصحيح أي يدور (**فيها**) أي في أقتابه وأقصابه (**كطحن الحمار برحاه**) أي كدورانه حول رحاه. قال الطيبي رحمه الله: قوله: فيطحن فيها هو على بناء الفاعل، والضمير للرجل وفي فيها للأمعاء. وفي بعض نسخ المصابيح هو على بناء المفعول، وهو خطأ لما ورد في رواية أخرى: «فيدور كما يدور الحمار برحاه»[1]. قال المظهر: أي يدور ويتردد في أقتابه، يعني يدور حول أقتابه ويضربها برجله. ويمكن أن يكون المعنى: فيدور في النار وما حولها كما يدور الحمار برحاه أي في رحاه. (**فيجتمع أهل النار عليه**) أي من الفسقة (**فيقولون: أي فلان**) كناية عن اسمه ووصفه بالعلم أو المشيخة (**ما شأنك**) أي حالك الغريب ومآلك العجيب (**أليس كنت تأمرنا بالمعروف وتنهانا عن المنكر قال: كنت آمركم**) بصيغة المتكلم (**بالمعروف ولا آتيه**) أي لا أفعله (**وأنهاكم عن المنكر وآتيه. متفق عليه**).

الحديث رقم ٥١٣٩: أخرجه البخاري في صحيحه ٦/ ٣٣١. حديث رقم ٣٢٦٧. ومسلم في صحيحه ٤/ ٢٢٩٠ حديث رقم (٥١ ـ ٢٩٨٩) وأحمد في المسند ٥/ ٢٠٥.

(١) وهي رواية مسلم.

الفصل الثاني

٥١٤٠ ـ (٤) عن حُذيفة، أنّ النبيّ ﷺ قال: «والذي نفسي بيده لتأمُرُنَّ بالمعروف ولتنهوُنَّ عن المنكرِ أو ليُوشكَنَّ اللّهُ أن يبعث عليكم عذاباً منْ عنده ثمّ لتدْعُنّه ولا يُستجابُ لكم». رواه الترمذي.

٥١٤١ ـ (٥) وعن العُرسِ بن عميرةَ، عن النبيّ ﷺ قال: «إذا عُمِلتِ الخطيئةُ في الأرضِ مَن شهِدَها فكرهَها كانَ كمن غابَ عنها، ومَن غابَ عنها فرضِيَها كان كمنْ شهدَها». رواه أبو داود.

(الفصل الثاني)

٥١٤٠ ـ **(عن حذيفة أن النبي ﷺ قال: والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليوشكن)** أي ليسرعن **(الله أن يبعث عليكم عذاباً من عنده ثم لتدعنه)** أي لتسألنه **(ولا يستجاب لكم)** والمعنى والله إن أحد الأمرين واقع إمّا الأمر والنهي منكم وإمّا إنزال العذاب من ربكم، ثم عدم استجابة الدعاء له في دفعه عنكم **(رواه الترمذي)** ورواه البزار والطبراني في الأوسط عن أبي هريرة ولفظه: لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليسلطن الله عليكم شراركم فيدعو خياركم فلا يستجاب لهم.

٥١٤١ ـ **(وعن العرس)** بضم العين المهملة وسكون الراء وسين مهملة. **(ابن عميرة)** بفتح عين وكسر ميم وبراء، ولا يعرف في الرجال عميرة بالضم بل كله بالفتح كذا في المغني. وقال المؤلف في فصل الصحابة: هو كندي روى عنه عدي بن عدي ابن أخيه وغيره. **(عن النبي ﷺ قال: إذا عملت الخطيئة)** بصيغة المجهول، أي إذا فعلت السيئة. **(في الأرض)** أي على وجه الأرض جميعاً **(من شهدها)** جواب الشرط والفاء محذوفة كما في قوله تعالى: **﴿وإن أطعتموهم إنكم لمشركون﴾** [الأنعام - ١٢١]. ذكره الطيبي رحمه الله. وإنما حسن حذف الفاء فيه لأن الشرط بلفظ الماضي. ذكره القاضي رحمه الله. والمعنى من حضرها. **(فكرهها)** أي فأنكرها ولو بقلبه **(كان كمن غاب عنها)** أي ولم يعلم بها **(ومن غاب عنها)** أي وعلم بها **(فرضيها)** أي فرضي بها واستحسنها **(كان كمن شهدها)** أي ولم ينكرها **(رواه أبو داود)**، ولفظ الجامع مسنداً إليه: إذا عملت الخطيئة في الأرض كان من شهدها فكرهها كمن غاب عنها الحديث.

الحديث رقم ٥١٤٠: أخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٤٠٦ حديث رقم ٢١٦٩. وابن ماجه ٢/ ١٣٢٧ حديث رقم ٤٠٠٤. وأحمد في المسند ٥/ ٣٨٨.

الحديث رقم ٥١٤١: أخرجه أبو داود في السنن ٤/ ٥١٠٥ حديث رقم ٤٣٤٥.

٥١٤٢ . (٦) وعن أبي بكرٍ الصديق رضي اللهُ عنه، قال: يا أيُّها النَّاسُ! إنكم تقرؤون هذه الآية: ﴿يا أيُّها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضُرُّكم من ضلَّ إذا اهتديتم﴾. فإني سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «إن النَّاسَ إذا رأَوْا منكراً فلم يُغيِّروه يوشِكُ أن يعمَّهم الله بعقابه».

٥١٤٢ ـ (وعن أبي بكر الصديق) رضي الله عنه (قال: يا أيها الناس إنكم تقرؤون هذه الآية: ﴿يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم﴾[1] أي الزموا حفظ أنفسكم عن المعاصي فإذا حفظتم أنفسكم لم يضركم إذا عجزتم عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ضلال من ضل بارتكاب المناهي إذا اهتديتم إلى اجتنابها (فإني) قال الطيبي: الفاء فصيحة تدل على محذوف، كأنه قال: إنكم تقرؤون هذه الآية وتجرون على عمومها وتمتنعون عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وليس كذلك فإني (سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن الناس إذا رأوا منكراً فلم يغيروه) أي مع القدرة على إنكاره (يوشك أن يعمهم الله بعقابه) قال الطيبي رحمه الله: وإنما قلت ليس كذلك لأن الآية نزلت في أقوام أمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر فأبوا القبول كل الإباء، فذهبت أنفس المؤمنين حسرة عليهم فقيل لهم: عليكم أنفسكم وما كلفتم من إصلاحها والمشي بها في طرق الهدى، لا يضركم الضلال في دينكم إذا كنتم مهتدين. ويشهد لذلك ما قبل هذه الآية: وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول. وهذا تخصيص بحسب الأشخاص. وأما بحسب الزمان فيدل عليه الحديث الآتي لأبي ثعلبة، فإن العام قد يخص مرة أخرى. اهـ. ولا يخفى أنه غير صحيح المبنى وصريح المعنى من وجهين. أما أولاً فقوله: نزلت الآية في قوم أمروا بالمعروف فأبوا كل الإباء، فلا يعرف له أصل أصلاً، بل ولا يتصور له وجود أبداً، لأن من المعلوم أنه لا يؤمر بالمعروف إلا المؤمنون ولا يمكن أنهم يأبون كل الإباء، ولم يثبت أن قوماً ارتدوا بسبب هذا الأمر حتى يصح قوله: فذهبت أنفس المؤمنين حسرة عليهم الخ. وأما ثانياً فقوله: ويشهد لذلك ما قبل هذه الآية لا تعلق له بباب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مطلقاً، بل المطلوب منهم أن يؤمنوا بما أنزل الله إلى الرسول ويتركوا تقليد آبائهم في ضلالتهم وإبائهم فأصروا على بطلانهم وقالوا: حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا. فقال تعالى: ﴿أو لو كان آباؤهم لا يعلمون شيئاً ولا يهتدون﴾ [المائدة. ١٠٤]. نعم ورد ما يناسب بين اقتران الآيتين على ما أخرجه ابن أبي حاتم أنه إنما أنزلت هذه الآية لأن الرجل كان يسلم ويكفر أبوه ويسلم الرجل ويكفر أخوه، فلما دخل قلوبهم حلاوة الإيمان دعوا آباءهم وإخوانهم فقالوا: ﴿حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا﴾ [المائدة. ١٠٤]. فأنزل الله: ﴿يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم﴾ [المائدة. ١٠٥] الآية. وهذا معنى قول البيضاوي: والآية نزلت لما كان المؤمنون يتحسرون على الكفرة ويتمنون إيمانهم. وفي تفسير

الحديث رقم ٥١٤٢: أخرجه أبو داود في السنن ٤/ ٥٠٩ حديث رقم ٤٣٣٨. والترمذي في السنن ٤/ ٤٠٦ حديث رقم ٢١٦٨. وأخرجه ابن ماجه في السنن ٢/ ١٣٢٧ حديث رقم ٤٠٠٥. وأحمد في المسند ١/ ٢.

(١) سورة المائدة. آية رقم ١٠٥.

رواه ابن ماجه، والترمذي وصححه. وفي رواية أبي داود: «إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب». وفي أخرى له: «ما من قوم يُعمل فيهم بالمعاصي ثم يقدرون على أن يُغيّروا ثم لا يُغيّرون إلا يوشك أن يعمهم الله بعقاب». وفي أخرى له: «ما من قوم يُعمل فيهم بالمعاصي هم أكثر ممّن يعمله».

المعين الصفوي: في هذه الآية رخصة في ترك الحسبة[1] إذا علم عدم قبولها أو فيها مفسدة أو إضرار له، منها اتفقت عليه كلمة السلف على ذلك والأحاديث تدل عليه. أو معنى إذا اهتديتم: إذا ائتمرتم بالمعروف وأمرتم به وانتهيتم عن المنكر ونهيتم عنه؛ كذا رواه ابن جرير عن سعيد بن المسيب. وروي عن غير واحد من السلف. فإن الاهتداء لا يحصل إلا بإتيان ما يجب عليه ومنه الأمر بالمعروف، أو المراد المنع عن إهلاك النفس أسفاً على ما عليه الكفرة والفسقة كقوله تعالى: ﴿فلا تذهب نفسك عليهم حسرات﴾ [فاطر: ٨]. وقال النووي: وأما قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ الآية[2]. فليست مخالفة لوجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ لأن المذهب الصحيح عند المحققين في معنى الآية أنكم إذا فعلتم ما كلفتم به فلا يضركم تقصير غيركم، مثل قوله تعالى: ﴿ولا تزر وازرة وزر أخرى﴾ [الأنعام: ١٦٤، الإسراء: ١٥، فاطر: ١٨، الزمر: ٧]. فإذا كان كذلك فمما كلف به الأمر بالمعروف إذا فعله ولم يمتثل المخاطب فلا عتب بعد ذلك عليه لكونه أدى ما عليه. (**رواه ابن ماجه والترمذي وصححه**).

(**وفي رواية أبي داود: إذا رأوا**) أي الناس (**الظالم**) أي الفاسق (**فلم يأخذوا على يديه**) أي لم يمنعوه عن ظلمه (**أوشك أن يعمهم الله بعقاب**) أي بنوع من العذاب فإنه أشد الحجاب (**وفي أخرى له:**) أي لأبي داود (**ما من قوم يعمل فيهم**) بصيغة المجهول والجار والمجرور وهو النائب، أو التقدير يعمل أحد فيما بينهم. (**بالمعاصي ثم يقدرون على أن يغيروا ثم لا يغيرون إلا يوشك أن يعمهم الله بعقاب**).

(**وفي أخرى له: ما من قوم يعمل فيهم بالمعاصي هم أكثر ممن يعمله**) هم صفة قوم، أي إذا كان الذين لا يعملون المعاصي أكثر من الذين يعملونها فلم يمنعوهم عنها عمهم العذاب. قال الطيبي رحمه الله: يراد بعده ثم لا يغيرون إلا يوشك أن يعمهم الله بعقاب. وهم صفة قوم. وإلا يوشك خبر ما. قلت: هذه التقادير مستفادة مما قبله، وإنما أراد المصنف اختلاف الرواية في صدر الحديث. وقال البغوي رحمه الله: وفي رواية: لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليستعملن الله عليكم شراركم فليسومنكم سوء العذاب ثم ليدعن الله خياركم فلا يستجاب لهم. قال أبو عبيد: خاف الصديق أن يتأول الناس الآية غير تأولها فيدعوهم إلى ترك الأمر بالمعروف، فأعلمهم أنها ليست كذلك وأن الذي أذن في الإمساك عن تغييره من المنكر هو الشرك الذي ينطق به المعاهدون [من أجل] أنهم يتدينون[3] به وقد

---

(١) في المخطوطة «السنة».
(٢) أي قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم﴾.
(٣) في المخطوطة «يتزينون».

٥١٤٣ ـ (٧) وعن جَرير بن عبد الله، قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «ما من رجلٍ يكونُ في قومٍ يُعملُ فيهم بالمعاصي، يَقدرونَ على أن يُغَيِّروا عليه ولا يغيِّرون، إلا أصابَهم اللّهُ منه بعقابٍ قبلَ أن يموتوا». رواه أبو داود، وابن ماجه.

صولحوا عليه. فأما الفسوق والعصيان والريب من أهل الإسلام فلا يدخل فيه. وقال مجاهد وسعيد بن جبير: الآية في اليهود والنصارى، يعني: عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل من أهل الكتاب فخذوا منهم الجزية واتركوهم. وعن ابن مسعود قال في هذه الآية: مروا بالمعروف وانهوا عن المنكر ما قبل منكم، فإن رد عليكم فعليكم أنفسكم. ثم قال: إن القرآن نزل منه، أي قد مضى تأويلهن قبل أن ينزلن، ومنه أي وقع تأويلهن على عهد رسول الله ﷺ، ومنه أي وقع تأويلهن بعد رسول الله ﷺ بيسير، ومنه أي ويقع تأويلهن في آخر الزمان، ومنه أي يقع تأويلهن يوم القيامة وهو ما ذكر من الحساب والجنة والنار، فما دامت قلوبكم وأهواؤكم واحدة ولم تلبسوا شيعاً ولم يذق بعضكم بأس بعض فامروا وانهوا، فإذا اختلفت القلوب والأهواء وألبستم شيعاً وذاق بعضكم بأس بعض فامرؤ ونفسه فعند ذلك جاء تأويل هذه الآية. اهـ. وهو مطابق لما في حديث أبي ثعلبة الآتي.

٥١٤٣ ـ **(وعن جرير بن عبد الله)** أي البجلي **(قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ما من رجل يكون في قوم يعمل)** بفتح الياء صفة ثانية لرجل أو حال منه وسوّغه وصفه، أي يفعل **(فيهم بالمعاصي)** أي بهذا الجنس من العمل **(يقدرون)** أي القوم **(على أن يغيروا عليه)** أي على الرجل باليد أو اللسان. فإنه لا مانع من إنكار الجنان. **(ولا يغيرون إلا أصابهم الله منه)** أي من عنده تعالى **(بعقاب قبل أن يموتوا)** قال الطيبي رحمه الله: الضمير المجرور إما عائد إلى الرجل أو إلى عدم التغيير، وتكون من ابتدائية. أي بسبب شؤمه وأن يعود إلى الله تعالى، أي عذاباً من عنده وهذا أبلغ كقوله تعالى: ﴿**إني أخاف أن يمسك عذاب من الرحمٰن**﴾ [مريم ـ ٤٥]. **(رواه أبو داود وابن ماجه)** وأخرجه عبد الرزاق وعبد بن حميد عن جرير البجلي ولفظه: سمعت النبي ﷺ يقول: ما من قوم يكون بين أظهرهم رجل يعمل بالمعاصي هم أمنع منه وأعز ثم لا يغيرون عليه إلا أوشك أن يعمهم الله منه بعقاب[1]. قال الطيبي رحمه الله: وهذا الحديث مخالف للحديث الذي في المصابيح بحسب اللفظ وكان موضعه الفصل الثالث، إلا أنه ذكره هنا تنبيهاً على أن المؤلف ما وجد في الأصول كما في المصابيح. قلت: هذا التنبيه موجه نبيه متضمن للاعتراض الفعلي. وأما كون موضعه الفصل الثالث فليس في موضعه.

الحديث رقم ٥١٤٣: أخرجه أبو داود في السنن ٤/ ٥١٠ حديث رقم ٤٣٣٩. وابن ماجه في السنن ٢/ ١٣٢٨ حديث رقم ٤٠٠٩. وأحمد في المسند ٤/ ٣٦٤.

(١) عبد الرزاق في مصنفه ١١/ ٣٤٨ حديث رقم ٢٠٧٢٣.

٥١٤٤ ـ (٨) وعن أبي ثعلبة في قوله تعالى: ﴿عليكم أنفسكم لا يضرُّكم من ضلَّ إذا اهتديتُم﴾. فقال: أما والله لقدْ سألتُ عنها رسول الله ﷺ فقال: «بل ائتمِروا بالمعروف، وتناهَوا عن المنكر، حتى إذا رأيتَ شُحّاً مُطاعاً، وهوًى مُتَّبعاً، ودنياً مُؤْثَرةً، وإعجابَ كلِّ ذي رأيٍ برأيه،

٥١٤٤ ـ (وعن أبي ثعلبة) أي ابن جرهم بن ثابت الخشني بايع النبي ﷺ بيعة الرضوان وأرسله إلى قومه فأسلموا. ونزل بالشام ومات بها سنة خمس وخمسين. (في قوله تعالى: ﴿عليكم أنفسكم﴾) قال البيضاوي رحمه الله: أي احفظوها والزموا إصلاحها. والجار مع المجرور جعل اسماً لألزموا ولذلك نصب أنفسكم. وقرىء بالرفع على الابتداء. (﴿لا يضركم من ضل إذا اهتديتم﴾)[1] أي لا يضركم الضلال إذا كنتم مهتدين. ومن الاهتداء أن ينكر المنكر حسب طاقته على ما سبق من الحديث. ولا يضركم يحتمل الرفع على أنه مستأنف، ويؤيده أن قرىء: لا يضركم، بالجزم على الجواب أي للأمر أو على النهي لكنه ضمت الراء اتباعاً لضمة الضاد المنقولة إليها من الراء المدغمة. ويؤيده قراءة من قرأ: لا يضركم، بالفتح، ولا يضركم بكسر الضاد وضمها، أي مع سكون الراء من ضاره يضيره ويضوره. قال الطيبي رحمه الله: يقول الراوي: سئل أبو ثعلبة في شأن قوله تعالى: ﴿عليكم أنفسكم﴾ (فقال:) أي أبو ثعلبة (إما) بتخفيف الميم للتنبيه (والله لقد سألت عنها) أي عن الآية (رسول الله ﷺ فقال: بل ائتمروا) أي امتثلوا (بالمعروف) أي ومنه الأمر به (وتناهوا) أي انتهوا واجتنبوا (المنكر) ومنه الامتناع عن نهيه. أو الائتمار بمعنى التآمر كالاختصام بمعنى التخاصم. ويؤيده التناهي. والمعنى: ليأمر بعضكم بعضاً بالمعروف وتنه طائفة منكم طائفة عن المنكر. وقال الطيبي رحمه الله: قوله: بل ائتمروا، إضراب عن مقدر أي سألت عنها رسول الله ﷺ وقلت: أما نترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بناء على ظاهر الآية. فقال عليه الصلاة والسلام: لا تتركوا بل ائتمروا بالمعروف الخ. اهـ. والمعنى: كونوا قائمين بهما على وجه كمالهما. (حتى إذا رأيت) أي أيها المخاطب، خطاباً عاماً ونكتة الأفراد انفراد المستقيم واجتماع العامة على العدول عن الطريق القويم. والمعنى: إذا عملت الغالب على الناس. (شحاً مطاعاً) أو إذا عرفت شحاً، أي بخلاً مطاعاً بأن أطاعته نفسك وطاوعه غيرك. (وهوى متبعاً) بصيغة المفعول أي وهوى للنفس متبوعاً وطريق الهدى مدفوعاً. وحاصله أن كلاً يتبع هواه وما تأمره نفسه الأمارة وما تتمناه. (ودنيا) بالقصر وفي نسخة بالتنوين، وهي عبارة عن المال والجاه في الدار الدنيا (مؤثرة) أي مختارة على أمور الدين ودرجات الآخرة (وإعجاب كل ذي رأي برأيه) أي من غير نظر إلى الكتاب والسنة وإجماع الأمة والقياس على أقوى الأدلة وترك الاقتداء بنحو الأئمة الأربعة، والإعجاب بكسر الهمزة، وهو وجدان الشيء حسناً ورؤيته مستحسناً بحيث يصير صاحبه به

الحديث رقم ٥١٤٤: أخرجه أبو داود في السنن ٤/ ٥١٢ حديث رقم ٤٣٤١. والترمذي في السنن ٥/ ٢٤٠ حديث رقم ٣٠٥٨. وابن ماجه ٢/ ١٣٣١ حديث رقم ٤٠١٥.

(١) سورة المائدة. آية رقم ١٠٥.

ورأيتَ أمراً لا بدَّ لك منه؛ فعليك نفسَك، ودعْ أمرَ العوامِّ، فإنَّ وراءكم أيامَ الصَّبرِ، فمن صبرَ فيهنَّ قَبضَ على الجمرِ، للعاملِ فيهنَّ أجرُ خمسينَ رجلاً يعملونَ مثلَ عملِه». قالوا: يا رسولَ الله! أجرُ خمسينَ منهم؟ قال: «أجرُ خمسينَ منكم». رواه الترمذي، وابنُ ماجه

معجباً، وعن قبول كلام الغير مجتنباً وإن كان قبيحاً في نفس الأمر. **(ورأيت أمراً لا بد لك منه)** بضم الموحدة وتشديد المهملة في جميع النسخ المصححة والأصول المعتمدة. وقال الطيبي رحمه الله: يحتمل أن يكون بالباء الموحدة بمعنى لا فراق لك منه. والمعنى: رأيت أمراً يميل إليه هواك ونفسك من الصفات الذميمة حتى إذا قمت بين الناس لا محالة أن تقع فيها **(فعليك نفسك)** واعتزل عن الناس حذراً من الوقوع. وأن يكون بالياء المثناة كما في بعض نسخ المصابيح. والمعنى: فإن رأيت أمراً لا طاقة لك من دفعه فعليك نفسك. اهـ. ونفسك منصوب، وقيل مرفوع. أي فالواجب أو فيجب عليكم حفظها من المعاصي، لكن يؤيد الأول وهو أن يكون للإغراء بمعنى الزم خاصة نفسك قوله: **(ودع أمر العوام)** أي واترك أمر عامة الناس الخارجين عن طريق الخواص. وحاصله أنه إذا رأيت بعض الناس يعملون المعاصي ولا بد لك من السكوت لعجزك فاحفظ نفسك عن المعاصي واترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واشتغل بنفسك ودع أمر الناس إلى الله، فإنه تعالى: **﴿لا يكلف نفساً إلا وسعها﴾**. **(فإن وراءكم)** أي قدامكم من [الأزمان الآتية، أو خلفكم من الأمور الهاوية][1]. **(أيام الصبر)** أي أياماً لا طريق لكم فيها إلا الصبر أو أياماً يحمد فيها الصبر، وهو الحبس على خلاف النفس من اختيار العزلة وترك الخلطة والجلوة. **(فمن صبر فيهن)** أي في تلك الأيام **(قبض على الجمر)** يعني يلحقه المشقة بالصبر كمشقة الصابر على قبض الجمر بيده. وقد أشار إليه الشاطبي بقوله:

وهذا زمان الصبر من لك بالتي ✽ كقبض على جمر فتنجو من البلاء

(للعامل فيهن) أي الكامل ولو لم يكن مكملاً لغيره **(أجر خمسين رجلاً يعملون مثل عمله)** أي في غير زمانه **(قالوا: يا رسول الله أجر خمسين)** بتقدير الاستفهام **(منهم)** فيه تأويلان: أحدهما أن يكون أجر كل واحد منهم على تقدير أنه غير مبتلى ولم يضاعف أجره. وثانيهما أن يراد أجر خمسين منهم أجمعين لم يبتلوا ببلائه. **(قال: أجر خمسين منكم. رواه الترمذي وابن ماجه)** وقد صححه الترمذي ورواه ابن جرير والبغوي في معجمه وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني وأبو الشيخ وابن مردويه والحاكم وصححه. والبيهقي [في الشعب] عن أبي أمية الشعباني قال: أتيت أبا ثعلبة الخشني فقلت له: كيف تصنع في هذه الآية، قال: أي آية، قلت: قوله تعالى: **﴿يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم﴾** [المائدة. ١٠٥]. قال: أما والله لقد سألت عنها خبيراً. سألت عنها رسول الله ﷺ الحديث إلى أن قال: فإن من ورائكم أيام الصبر، الصابر فيهن مثل القابض على الجمر للعامل فيهن مثل أجر خمسين رجلاً يعملون مثل عملكم. وقد ذكر البغوي في تفسيره بإسناده إلى ابن المبارك عن عتبة بن أبي حكيم كما

---

(١) في المخطوطة بدل ما بين المعكوفتين «الزمان».

٥١٤٥ - (٩) وعن أبي سعيد الخدري، قال: قام فينا رسولُ الله ﷺ خطيباً بعد العصرِ، فلم يدعْ شيئاً يكونُ إلى قيامِ السَّاعةِ إلاَّ ذكرَه، حفِظه مَن حفِظه، ونسِيَه مَن نسِيَه، وكانَ فيما قال: «إنَّ الدُّنيا حُلوةٌ خَضِرةٌ، وإنَّ اللّٰهَ مُستخلِفُكم فيها، فناظِرٌ كيفَ تعملونَ، ألا فاتقوا الدنيا واتقوا النساءَ» وذكرَ: «إنَّ لكلِّ غادرٍ لواءً يومَ القيامة بقدرِ غَدرتِه في الدنيا،

في أصل المشكاة إلى قوله: مثل عمله، ثم قال: وزاد في غيره قال: يا رسول الله [أجر خمسين منهم]. قال: أجر خمسين منكم.

٥١٤٥ - **(وعن أبي سعيد الخدري قال: قام فينا)** أي فيما بيننا أو في حقنا أو لأجلنا **(رسول الله ﷺ خطيباً)** أي واعظاً لقوله: **(بعد العصر فلم يدع)** أي لم يترك **(شيئاً)** أي مما يتعلق بأمر الدين مما لا بد منه **(يكون)** أي يقع ذلك الشيء **(إلى قيام الساعة)** أي ساعة القيامة **(إلا ذكره)** أي عينه وبينه **(حفظه من حفظه)** أي ممن وفقه الله وحفظه **(ونسيه من نسيه)** أي ممن أنساه الله وترك نصره **(وكان فيما قال:)** أي من خطبته وموعظته **(إن الدنيا)** وفي الجامع: أما بعد فإن الدنيا **(حُلوة)** بضم أوله أي لذيذة حسنة **(خضرة)** بفتح فكسر أي ناعمة طرية. وفي الجامع تقديم خضرة. وإنما وصفها بالخضرة لأن العرب تسمي الشيء الناعم خضراً، أو لتشبهها بالخضراوات في ظهور كمالها وسرعة زوالها. وفيه بيان أنها غدارة مكارة سحارة تفتن الناس بلونها وطعمها. وتوضيحه أن الدنيا طيبة مليحة في عيون أربابها وقلوب أصحابها لا يشبعون من جمع المال ولا من سعة الجاه وكثرة الإقبال وطول الآمال. وفيه إيذان بشدة انجذاب النفوس إليها لأن كلاً من هذين الوصفين تميل إليه النفوس الناقصة، فإن[١] اجتمعا كانت إليها أميل وعليها أقبل. **(وإن الله مستخلفكم فيها)** أي جاعلكم خلفاء في الدنيا. ومعناه أن أموالكم ليست في الحقيقة لكم وإنما هي لله جعلكم في التصرف فيها بمنزلة الوكلاء، أو جاعلكم خلفاء فيمن كان قبلكم وأعطى ما كان في أيديهم إياكم. **(فناظر كيف تعملون)** أي تعتبرون بحالهم وتتفكرون في مآلهم وتتصرفون في دنياكم وتراعون في دينكم لعقباكم. وحاصله أنه يتعلق به العلم التنجيزي على طبق العلم الأزلي التقديري. **(ألا)** للتنبيه **(فاتقوا الدنيا)** أي احذروا زيادتها على قدر الحاجة المعينة للدين النافعة في الأخرى. **(واتقوا النساء)** أي مكرهن وغدرهن وحبهن البالغ الباعث على جمع المال المانع من تحصيل العلم والعمل من أسباب الكمال. وفي الجامع زيادة: فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء. **(وذكر)** أي النبي ﷺ في جملة ما ذكر **(أن)** بفتح الهمزة وتكسر **(لكل غادر)** من الغدر، وهو ترك الوفاء. **(لواء)** بكسر اللام، أي علما إعلاماً بسوء حاله وقبح مآله. **(يوم القيامة)** أي يوم الفضيحة **(بقدر غدرته)** مصدر بمعنى الغدر. ولعل وجه الإتيان بصيغة المرة أن يجازى بغدره في العقبى ولو كان مرة. **(في الدنيا)** ولا شك أن الغدر فيها له مراتب مختلفة، فلهذا قال:

الحديث رقم ٥١٤٥: أخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٤١٩ حديث رقم ٢١٩١. وابن ماجه في السنن ٢/ ١٣٢٥ حديث رقم ٤٠٠٠. وأحمد في المسند ٣/ ٦١.

(١) ابن ماجه في السنن ٢/ ٣٢٩ حديث رقم ٤٠١١.

ولا غَدْرَ أكبرُ من غدْرِ أميرِ العامَّةِ، يُغرَزُ لواؤه عندَ أستِه». قال: «ولا يمنعنَّ أحداً منكم هيبةُ الناسِ أنْ يقولَ بحقٍ إذا علمَه» وفي رواية: «إن رأى مُنكراً أنْ يُغيّرَه» فبكى أبو سعيدٍ وقال: قدْ رأيناهُ فمنعتْنا هيبةُ النّاسِ أنْ نتكلمَ فيهِ. ثمّ قال: «ألا إنَّ بني آدمَ

(ولا غدر أكبر من غدر أمير العامة) قال التوربشتي رحمه الله: أراد به المتغلب الذي يستولي على أمور المسلمين وبلادهم بتأمير العامة ومعاضدتهم إياه من غير مؤامرة من الخاصة وأهل العقد من أولي العلم، ومن ينضم إليهم من ذوي السابقة ووجوه الناس. وقوله: (يغرز لواؤه عند استه) من شأن الأمراء أن يكون لواؤهم خلفهم ليعرفوا به. فيوم القيامة يكون لكل من دعا إلى حق أو باطل لواء يعرف به. وذكر عند استه استهانة وتنبيهاً على أنه يلصق به ويدنى منه دنوّاً لا يكون معه اشتباه. اهـ. فقوله: يغرز، بصيغة المجهول، أي ينتصب لواؤه عند استه تحقيراً له. وهو بهمزة الوصل، مكسورة العجز أو حلقة الدبر. (قال:) أي النبي ﷺ (ولا يمنعن) بالتذكير ويؤنث (أحداً منكم هيبة الناس) أي عظمتهم وشوكتهم ومخالفتهم ومهابتهم (أن يقول بحق) أي من أن يتكلم به أو يأمر به (إذا علمه) وفي النهاية: يجعل العربي القول عبارة عن جميع الأفعال ويطلقه على غير الكلام فيقول: قال بيده، أي أخذ، وقال برجله أي مشى (وفي رواية:) أي بدلاً من قوله: أن يقول بحق (إن رأى منكراً) بأن الشرطية (أن يغيره) مفعول لا يمنعن، أي من تغيير المنكر (فبكى أبو سعيد وقال: قد رأيناه) أي المنكر (فمنعتنا هيبة الناس أن نتكلم فيه) أي عملاً بما في بعض الأحاديث من رخصة السكوت عند المخافة على نفسه أو عرضه أو ماله عند العجز وضعف زمن الإيمان. وأما العزيمة فأن لا يبالي بشيء مما ذكر، ولذا ورد: «أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر». على ما رواه ابن ماجه عن أبي سعيد وجماعة عن أبي أمامة وغيره. وقد قال تعالى: ﴿ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله﴾ [البقرة ـ ٢٠٧]. أي يبيعها ببذلها في الجهاد أو يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر حتى يقتل طلباً لرضاه لا لغرض سواه. فإن[1] أكابر الصحابة في الصدر الأول عجزوا مع كمال قوتهم في الدين واليقين والمعرفة ولم يقدروا على إظهار الحق لأهل البطلان كيزيد والحجاج وأمثالهما من الظلمة والفسقة، فكيف حالنا اليوم والحال أن بعد الألف أيام تقهقر الإسلام وتسلط السلاطين على جميع الأنام من غير تحققهم بشروط الإمامة والخلافة وقلة العلماء العاملين وكثرة الفضلاء الجاهلين والقضاة الظالمين والمشايخ المرائين فإنا لله وإنا إليه راجعون. فهذا لا شك أنه زمان الصبر المقرون بالشكر المنضم إلى الرضا بالقضاء المتعين فيه السكوت وملازمة البيوت والقناعة بالقوت إلى أن يموت. (ثم قال:) أي النبي ﷺ (ألا) للتنبيه (إن بني آدم) خصوا بالذكر لأن الملائكة خُلِقُوا للخير فقط، والشياطين خلقوا للشر فقط. فالأولون مظاهر الجمال والآخرون مظاهر الجلال وبنو آدم خلقوا على وصف[2] الكمالي. ولعل هذا معنى قوله ﷺ: «إن الله خلق آدم على صورته»[3]، أي على صفة الكمال الجامعة

---

(١) في المخطوطة «كان».
(٢) في المخطوطة «وجه».
(٣) من حديث متفق عليه. راجع الحديث رقم (٤٦٢٨).

خُلقوا على طبقاتٍ شتَّى، فمنهم من يولدُ مؤمناً، ويحيى مؤمناً، ويموت مؤمناً، ومنهم مَن يولدُ كافِراً، ويحيى كافِراً، ويموتُ كافراً؛ ومنهم مَن يولدُ مؤمناً، ويحيى مؤمناً، ويموتُ كافراً؛ ومنهم مَن يولدُ كافِراً، ويحيى كافراً، ويموتُ مؤمناً» قال: وذكر الغضب «فمنهم مَن يكون سريعَ الغضبِ

لنعوت الجلال والجمال. ولما خلق فيهم هذه القابلية الكاملة قدروا على حمل الأمانة الشاملة التي عرضت على السموات والأرض والجبال، أي على أهلها من العلويات والسفليات، فأبين أن يحملنها أي امتنعن لعدم استعدادهن وأشفقن منها لعدم استطاعتهن، وحملها الإنسان. [فالإنسان] معجون مركب من النعوت الملكية الموجبة لعناية الجمال الرباني، والصفات الشيطانية المقتضية لغضب الجلال الصمداني. فإن مال السالك إلى الملك صار خيراً منه، وإن مال إلى الشيطان صار شراً منه. وهم مع هذا الوصف الإجمالي والنعت الإكمالي كما قال ﷺ **(خلقوا)** أي جبلوا على ما خلق الله فيهم من اختيار الخير والشر **(على طبقات شتى)** أي مراتب مختلفة باعتبار اختلاف أحوال الإيمان والكفر وأوقاتهما. **(فمنهم من يولد مؤمناً)** أي من أبويه المؤمنين أو في بلاد المؤمنين. فإنه حين يولد قبل التمييز لا ينسب إليه الإيمان إلا باعتبار ما علم الله فيه من الأزل أو باعتبار ما يؤول إليه أمره في الاستقبال. **(ويحيا)** أي يعيش في جميع عمره من حين تمييزه إلى انتهاء عمره **(مؤمناً)** أي كاملاً أو ناقصاً **(ويموت مؤمناً)** أي كذلك جعلنا الله منهم **(ومنهم من يولد كافراً)** أي بخلاف ما سبق. وهو لا ينافي [ما ورد: «كل مولود يولد على الفطرة»[1]. فإن المراد بها قابلية قبول الهداية لولا مانع من بواعث الضلالة، كما يشهد له] قوله: فأبواه يهودانه الحديث. **(ويحيا كافراً ويموت كافراً)** نعوذ بالله من ذلك **(ومنهم من يولد مؤمناً ويحيا مؤمناً ويموت كافراً)** [نسأل الله العافية من خاتمة الهاوية **(ومنهم من يولد كافراً ويحيا كافراً ويموت مؤمناً)**] فالعبرة بالخواتيم اللاحقة المطابقة للكتابة السابقة من السعادة الكاملة والشقاوة الشاملة. وكأن التقسيم[2] غالبي، وإلا فمنهم من يولد مؤمناً ويحيا كافراً ويموت مؤمناً، ومنهم من يولد كافراً ويحيا مؤمناً ويموت كافراً. ولعل عدم ذكرهما لأن المقصود منه أن العبرة بالخاتمة وقد علمت مما ذكر إجمالاً. **(قال:)** أي أبو سعيد **(وذكر)** أي النبي ﷺ **(الغضب)** وهو فرد من أنواع الأخلاق إشارة إلى أنها أيضاً كالإيمان مجبولة مجعولة في أفراد الإنسان وأن أصحابه على طبقات شتى. ويقاس عليه سائر الشمائل المرضية[3] والأخلاق الدنية **(فمنهم)** أي من بني آدم مع أنهم كلهم من نسل نبي الله وصفيه. ولكنه لما كانت طينته معجونة بوصف: خلقته[4] بيدي. اقتضت هذه القضية المختلفة التي وقعت له أولاً من الصعود والهبوط والاجتباء آخراً أن يكون على طبقها طبقات أولاده من الإيمان والكفر على ما سبق ومن الأخلاق الناشئة عنهما بقوله: فمنهم: **(من يكون سريع الغضب)** أي بمقتضى

---

(١) البخاري في صحيحه ٣/ ٢٤٥ حديث رقم ١٣٨٥.

(٢) في المخطوطة «القلم».

(٣) في المخطوطة «الرضية».

(٤) في المخطوطة «خلقته».

سريعَ الفيْءِ فإحداهُما بالأخرى؛ ومنهم مَن يكونُ بطيءَ الغضب بطيءَ الفيءِ فإحداهُما بالأخرى، وخيارُكم مَن يكونُ بطيءَ الغضبِ سريعَ الفيءِ، وشرارُكم مَن يكونُ سريعَ الغضبِ بطيءَ الفيءِ». قال: «اتقوا الغضبَ؛ فإنّه جمرةٌ على قلبِ ابن آدم، ألا ترونَ إلى انتِفاخِ أوْداجِه؟ وحُمرةِ عينَيه؟ فمنْ أحسَّ بشيءٍ منْ ذلكَ فليضطجعْ وليَتلبَّدْ بالأرضِ» قال: وذكرَ الدَّينَ فقال: «منكم مَن يكونُ حسَنَ القضاءِ،

الخلق النفساني (**سريع الفيء**) أي الرجوع من الغضب (**فإحداهما بالأخرى**) أي إحدى الخصلتين مقابلة بالأخرى، ولا يستحق المدح والذم فأعلهما لاستواء الحالتين فيه [بمقتضى العقل]، فلا يقال في حقه أنه خير الناس ولا شرهم. (**ومنهم من يكون بطيء الغضب**) فعيل من الإبطاء مهموز، وقد يدل ويدغم. وهو ضد السريع (**بطيء الفيء فإحداهما بالأخرى**) كما سبق بيانه في الأولى (**وخياركم من يكون بطيء الغضب سريع الفيء وشراركم من يكون سريع الغضب بطيء الفيء**) والتقسيم [بمقتضى] العقل رباعي لا خامس له. وفيه إشارة إلى أن الإنسان خلق فيه جميع الأخلاق المرضية والدنية وأن كماله أن تغلب له الصفات الحميدة على الذميمة، لا أنها تكون معدومة فيه بالكلية. وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿**والكاظمين الغيظ**﴾ [آل عمران: ١٣٤]. حيث لم يقل: والعادمين. إذ أصل الخلق لا يتغير ولا يتبدل ولذا ورد: ولو سمعتم أن جبلاً زال عن مكانه فصدقوه وإن سمعتم أن رجلاً تغير عن خلقه أي الأصلي فلا تصدقوه. ومما يدل على جواز تبديل الأخلاق في الجملة دعاؤه ﷺ: «اللهم اهدني لصالح [الأخلاق] لا يهدي لصالحها إلا أنت واصرف عني سيئها لا يصرف عني سيئها إلا أنت»[1].

(**قال:**) أي النبي عليه الصلاة والسلام في إعادة قال إشارة إلى أنه لم يحفظ الحديث بكماله لطوله. (**اتقوا الغضب**) أي ما يؤدي إليه من السبب أو بالتعوذ منه إلى الرب (**فإنه جمرة**) أي حرارة غريزية وحدة جبلية مشعلة جمرة نار مكمونة في كانون النفس (**على قلب ابن آدم**) أي متعالية عليه عند غلبته بحيث لا تخلي للقلب والعقل معها مجال تصرف وتعقل (**ألا ترون**) أي ألا تنظرون (**إلى انتفاخ أوداجه**) أي عروق حلق الغضبان (**وحمرة عينيه**) كما يوجد مثل هذا عند حرارة الطبيعة في أثر الحمى، فإن الظاهر عنوان الباطن، وكل إناء يترشح بما فيه. (**فمن أحس بشيء من ذلك**) أي أدرك ظهور أثر منه، أو من علم في باطنه شيئاً منه. (**فليضطجع**) أي تواضعاً لله وإظهاراً لعجزة عنه (**وليتلبد بالأرض**) أي ليلتصق ويلتزق بها حال اضطجاعه، أو يزيد عليه بالتمرغ في ترابها حتى يسكن غضبه. وإنما أمر به لما فيه من الضعة عن الاستعلاء وتذكار أن من كان أصله من التراب لا يستحق أن يتكبر ويتجبر على الأصحاب، وأن الأنانية الناشئة عن غلبة العنصر النارية من صفة الشيطان وما يترتب عليها من الإفساد، وأن الإنسان خلق من تراب بقتضي التواضع والتحمل وسائر ما يقتضي صلاح العباد والمعاد (**قال:**) أي أبو سعيد (**وذكر**) أي النبي ﷺ (**الدين**) أي أنواع قضائه (**فقال: منكم من يكون حسن القضاء**) أي

---

(١) البزار.

وإذا كانَ له أفحشَ في الطلبِ، فإحداهُما بالأخرى؛ ومنهم مَن يكونُ سَيِّءَ القضاءِ، وإنْ كانَ له أجملَ في الطلب، فإحداهُما بالأخرى. وخيارُكم مَن إذا كانَ عليه الدَّينُ أحسَنَ القضاءَ، وإن كانَ له أجملَ في الطلبِ؛ وشرارُكم مَن إذا كانَ عليهِ الدَّينُ أساءَ القضاء وإنْ كانَ له أفحشَ في الطلبِ». حتى إذا كانتِ الشمسُ على رؤوسِ النَّخلِ وأطرافِ الحيطانِ فقال: «أما إنَّه لم يبقَ من الدنيا فيما مضى منها إلاَّ كما بقيَ من يومِكم هذا فيما مضى منه». رواه الترمذي.

٥١٤٦ ـ (١٠) وعن أبي البختري، عن رجلٍ من أصحابِ رسولِ الله ﷺ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «لنْ يَهلِكَ النَّاسُ

مستحسن الأداء إذا كان عليه الدين (وإذا كان) أي الدين (له) أي على أحد (أفحش في الطلب) بأن لم يراع الأدب وآذى في تقاضيه وعسر على صاحبه في الطالب (فإحداهما بالأخرى) أي فالخصلتان متعارضتان متساقطتان متساويتان (ومنهم من يكون سيىء القضاء وإن كان له) أي الدين (أجمل) أي أسهل وأيسر (في الطلب) أي في طلب دينه (فإحداهما بالأخرى) إذ لا خير في اجتماعها (وخياركم من إذا كان عليه الدين أحسن القضاء وإن كان له) أي الدين (أجمل في الطلب، وشراركم من إذا كان عليه الدين أساء القضاء وإن كان له) أي الدين (أفحش في الطلب) فالتقسيم عقلي رباعي (حتى إذا كانت الشمس) قال الطيبي رحمه الله: غاية قوله: قام فينا خطيباً، أي قام فلم يدع شيئاً إلا ذكره حتى إذا كانت الشمس، أي وقعت (على رؤوس النخيل وأطراف الحيطان) جمع حائط بمعنى الجدار. ثم قوله: إذاً، للمستقبل وكانت ماض. وفائدته استحضار الحال الماضية في مشاهدة السامع كقوله تعالى: ﴿وقالوا لإخوانهم إذا ضربوا في الأرض﴾ [آل عمران: ١٥٦]. الكشاف هو على حكاية الحال الماضية كقوله: حين يضربون في الأرض. (فقال: أما) للتنبيه (إنه) أي الشأن (لم يبق من الدنيا فيما مضى منها) أي في جملة ما مضى منها. وفي حديث: ما سبق منها. (إلا كما بقي من يومكم هذا فيما مضى منه) يعني نسبة ما بقي من أيام الدنيا إلى جملة ما مضى، كنسبة ما بقي من يومكم هذا إلى ما مضى منه. وقوله: إلا كما بقي، مستثنى من فاعل لم يبق، أي لم يبق شيء من الدنيا إلا مثل ما بقي من يومكم هذا. (رواه الترمذي) وفي الجامع رواه أحمد والترمذي والحاكم والبيهقي عن أبي سعيد، لكن مع نوع تغيير وزيادة يسير[١].

٥١٤٦ ـ (وعن أبي البختري) بفتح موحدة وسكون معجمة فمثناة فوقية مفتوحة فراء فتحتية مشددة. اسمه سعيد بن فيروز[٢]، ذكره المؤلف في التابعين وقال: حديثه في رؤية الهلال. (عن رجل من أصحاب النبي ﷺ) وكلهم عدول فلا تضر جهالته ولا توهم إرساله (قال: قال رسول الله ﷺ: لن يهلك) بفتح ثم كسر، أي لن يفسد ولن يتلف. (الناس) أي

---

(١) الجامع الصغير ١/١٠١ حديث رقم ١٦١٠.

الحديث رقم ٥١٤٦: أخرجه أبو داود في السنن ٤/٥١٥ حديث رقم ٤٣٤٧. وأحمد في المسند ٤/٢٦٠.

(٢) في المخطوطة «فيرد».

حتى يُعذِروا من أنفسِهم» رواه أبو داود.

٥١٤٧ - (١١) وعن عديِّ بنِ عديِّ الكنديِّ، قال: حدَّثنا مولىً لنا أنَّه سمعَ جدِّي [رضي الله عنه]، يقول: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «إنَّ اللّهَ تعالى لا يعذِّبُ العامَّةَ بعملِ الخاصَّةِ حتى يروا المنكرَ بينَ ظَهرانَيهم وهُم قادرونَ على أنْ ينكِروه فلا ينكِروا؛ فإذا فعلوا ذلكَ عذَّبَ اللّهُ العامَّةَ والخاصَّة». رواه في «شرح السنّة».

دينهم وكمالهم. أو معناه: لن يعذبوا في الدنيا (حتى يعذروا) بضم الياء وكسر الذال وبفتح. وفي نسخة بالفتح والكسر (من أنفسهم) قال القاضي رحمه الله: قيل: إنه من أعذر فلان إذا كثر ذنبه، فكأنه سلب عذره بكثرة اقتراف الذنوب، أو من أعذر غيره إذا جعله معذوراً، فكأنهم أعذروا من يعاقبهم بكثرة ذنوبهم. أو من أعذر، أي صار ذا عذر. والمعنى: حتى يذنبون فيعذرون أنفسهم بتأويلات زائغة وأعذار فاسدة من قبلها. ويحسبون أنهم يحسنون صنعاً. قال الطيبي رحمه الله: الوجه الثالث أنسب بباب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كأن الناهي ينكر عليه ذنبه وهو يتبرأ من الذنب ويعذر لنفسه ولإقدامه عليه. وقال ابن الملك رحمه الله: هو من أعذر الرجل إذا صار ذا ذنب كثير، أي حتى تكثر ذنوبهم وعيوبهم فيستوجبوا العقوبة ويقيموا لمن عاقبهم العذر في ذلك. ومن للتبيين، أي تكثر ذنوب أنفسهم لا ذنوب غيرهم. ويروى بناء المجهول من أعذره إذا سلب عذره، أي حتى يجعلهم الله بحيث لا يقدرون على العذر بأن يبعث إليهم الرسل حتى يبينوا لهم الرشاد من الضلال والحلال من الحرام والحق من الباطل. ويروى بفتح الياء، أي حتى يعذروا أنفسهم بتأويلات زائغة وأعذار باطلة. (رواه أبو داود) وكذا الإمام أحمد في مسنده بإسناد حسن.

٥١٤٧ - (**وعن عدي بن عدي الكندي**) بكسر الكاف، تابعي. روى عن أبيه وعن جابر ابن حيوة، وعنه عيسى بن عاصم وغيره. ذكره المؤلف ولم يذكر أباه. (**قال: حدثنا مولى**) أي معتوق (**لنا أنه سمع جدي**) وهو عميرة الكندي الحضرمي، بفتح العين وكسر الميم. سكن الكوفة ثم انتقل إلى الجزيرة وسكنها ومات بها. روى عنه قيس بن أبي حاتم وغيره (**يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن الله تعالى لا يعذب العامة**) أي الأكثر من الناس (**بعمل الخاصة**) أي بعصيان الأقل منهم (**حتى يروا**) أي الأكثرون (**المنكر بين ظهرانيهم**) أي فيما بينهم ظاهراً فاشياً (**وهم قادرون على أن ينكروه**) جملة حالية معترضة احترازاً عن حال عجز الأكثر أيضاً كما في زماننا. (**فلا ينكروا**) عطف على قوله: يروا المنكر (**فإذا فعلوا ذلك**) أي ما ذكر من سكوتهم عن المنكر مع قدرة الأكثر (**عذب الله العامة والخاصة**) كما قال تعالى: ﴿**واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة**﴾ [الأنفال. ٢٥]. (**رواه في شرح السنة**).

الحديث رقم ٥١٤٧: أخرجه البغوي في شرح السنة ٣٤٦/١٤. حديث رقم ٤١٥٥. ومسالك في الموطأ ٢/ ٩٩١ حديث رقم ٢٣. من باب ما جاء في عذاب العامة بعمل الخاصة. وأحمد في المسند ٤/ ١٩٤.

٥١٤٨ ـ (١٢) وعن عبدِ الله بن مسعودٍ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «لما وقعتْ بنو إسرائيلَ في المعاصي نهتهم علماؤهم فلم ينتهوا، فجالسوهم في مجالسهم، وآكلوهم وشاربوهم، فضربَ اللهُ قلوبَ بعضهم ببعضٍ، فلعنهم على لسانِ داود وعيسى ابن مريمَ ذلكَ بما عصَوْا وكانوا يعتدونَ». قال: فجلسَ رسولُ الله ﷺ وكانَ متكئاً فقال: «لا والذي نفسي بيده حتى تأطِرُوهم أطْراً».

٥١٤٨ ـ (وعن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: لما وقعت بنو إسرائيل في المعاصي) أي من الزنا وصيد يوم السبت وغيرهما (نهتهم علماؤهم) أي أوّلاً (فلم ينتهوا) أي فلم يقبلوا النهي ولم يتركوا المنهي (فجالسوهم) أي العلماء (في مجالسهم) أي مجالس بني إسرائيل العصاة ومساكنهم (وآكلوهم) بمد الهمزة، من المؤاكلة مفاعلة للمشاركة في الأكل. وكذا قوله: (وشاربوهم فضرب الله) أي خلط (قلوب بعضهم ببعض) يقال: ضرب اللبن بعضه ببعض أي خلطه، ذكره الراغب. وقال ابن الملك رحمه الله: الباء للسببية، أي سود الله قلب من لم يعص بشؤم من عصى فصارت قلوب جميعهم قاسية بعيدة عن قبول الحق والخير، أو الرحمة بسبب المعاصي ومخالطة بعضهم بعضاً. اهـ. وقوله: قلب من لم يعص، ليس على إطلاقه لأن مؤاكلتهم ومشاربتهم من غير إكراه وإلجاء بعد عدم انتهائهم عن معاصيهم معصية ظاهرة لأن مقتضى البغض في الله أن يبعدوا عنهم ويهاجروهم ويقاطعوهم ولا يواصلوهم. ولذا قال: (فلعنهم) أي العاصين والساكتين المصاحبين، ففيه تغليب كما في قوله تعالى: ﴿لعن الذين كفروا من بني إسرائيل﴾. (على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك) أي لعنهم (بما عصوا) أي بسبب عصيانهم مباشرة ومعاشرة (وكانوا يعتدون) أي يتجاوزون عن الحد بأن جر المعاصي إلى الكفر بالاستحلال ونحوه، وبالرضا للمعاصي واستحسانهم من أهلها. (قال) أي ابن مسعود (فجلس رسول الله ﷺ) أي من كمال إعراضه وقوّة اعتراضه. (وكان متكئاً) أي على أحد شقيه أو مستنداً إلى ظهره قبل ذلك، فجلس مستوياً للاهتمام بإتمام الكلام. (فقال: لا) [أي لا تعذرون أو لا تنجون من العذاب أنتم أيها الأمة خلف أهل تلك الأمة] (والذي نفسي بيده حتى تأطروهم) بهمزة ساكنة ويبدل بكسر الطاء (أطراً) بفتح الهمزة مفعول مطلق للتأكيد، أي حتى تمنعوا أمثالهم من أهل المعصية، وإن لم ينتهوا عن أفعالهم فتمتنعوا أنتم عن مواصلتهم ومكالمتهم ومؤاكلتهم ومجالستهم. وقال شارح: الأطر الامالة والتحريف من جانب إلى جانب، أي حتى تمنعوا الظلمة والفسقة عن الظلم والفسق وتميلوهم عن الباطل إلى الحق وفي الفائق حتى متعلقة بلا، كأن قائلاً قال له عند ذكره مظالم بني إسرائيل: هل يعذر في تخلية الظالمين وشأنهم فقال: لا حتى تأطروهم وتأخذوا على أيديهم. والمعنى: لا تعذرون حتى تجبروا الظالم على الإذعان للحق وإعطاء النصفة للمظلوم، واليمين معترضة بين لا

الحديث رقم ٥١٤٨: أخرجه أبو داود في ٤/ ٥١٩ حديث رقم ٤٣٣٧. والترمذي في السنن ٥/ ٢٣٥ حديث رقم ٣٠٤٧. وابن ماجه في السنن ٢/ ١٣٢٧ حديث رقم ٤٠٠٦. وأحمد في المسند ١/ ٣٩١.

رواه الترمذي، وأبو داود وفي روايته قال: «كلاَّ والله لتأمُرُنَّ بالمعروف ولتنهوُنَّ عن المنكرِ، ولتأخذُنَّ على يدي الظالم، ولتأطرُنّه على الحقِّ أطْراً، ولتُقصرنّه على الحق قصراً، أو ليضربَنّ اللّهُ بقُلوبِ بعضكم على بعضٍ ثمّ ليلعننّكم كما لعنهم».

٥١٤٩ ـ (١٣) وعن أنسٍ، أنّ رسولَ الله ﷺ قال: «رأيتُ ليلةَ أُسريَ بي رجالاً تُقرضُ شفاهُهم بمقاريضَ من نارٍ، قلتُ: مَنْ هؤلاء يا جبريلُ؟ قال: هؤلاءِ خُطباءُ أُمّتك يأمرونَ النّاسَ بالبِرِّ وينسَونَ أنفسَهم».

وحتى. وليست هذه بتلك التي يجيء بها المقسم تأكيد القسمة. (**رواه الترمذي وأبو داود. وفي روايته**) الضمير لأبي داود. وفي نسخة وفي رواية، أي لأبي داود على ما هو الظاهر، ويحتمل للترمذي أولهما أو لغيرهما. (**قال:**) أي النبي ﷺ (**كلا**) أي حقاً أو ارتدعوا عن حسبان ما لا ينبغي من جواز السكوت عن المنكر. (**والله لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر**) أي بطريق فرض الكفاية ومراتب الاحتساب على الغاية والنهاية (**ولتأخذن على يدي الظالم**) بالتثنية مبالغة. وفي نسخة بالافراد إما على إرادة الجنس أو على قصد الاكتفاء بالواحدة. (**ولتأطرنه**) أي لتمنعن الظالم باللسان عند العجز عن أخذ اليد باليد. (**على الحق**) أي على إجباره على الحق وإنكاره على الباطل (**أطرا**) أي منعا ظاهراً ليس فيه لومة لائم (**ولتقصرنه**) بضم الصاد، أي ولتحبسنه (**على الحق**) أي على قبوله (**قصراً**) أي بالهجرة عنه إذا عجزتم عما سبق حتى تضيق عليه الأرض بما رحبت، فإنه حبس معنوي أقوى من سجن صوري[1]. (**أو ليضربن الله**) أي ليخلطن (**بقلوب بعضكم بعضاً**) الباء زائدة لتأكيد التعدية لما سبق أنه متعد بنفسه (**ثم ليلعننكم**) أي الله (**كما لعنهم**) أي بني إسرائيل على كفرهم ومعاصيهم. والمعنى أن أحد الأمرين واقع قطعاً.

٥١٤٩ ـ (**وعن أنس أن رسول الله ﷺ قال: رأيت ليلة أسري بي**) بالإضافة إلى الفعل المجهول، وفي نسخة بالتنوين نصباً على الظرفية، أي أبصرت ليلة أسري بي فيها (**رجالاً تقرض**) بصيغة المفعول أي تقطع (**شفاههم**) بكسر الفاء جمع شفة بالفتح ويكسر ولامها هاء كما يدل عليه جمعها[2]. (**بمقاريض**) جمع مقراض بكسر الميم آلة القطع المعروفة (**من نار**) أي مخلوقة منها (**قلت: من هؤلاء**) أي هؤلاء الرجال بهذا الحال (**يا جبريل. قال: هؤلاء خطباء من أمتك**) من بيانية. وفي نسخة: خطباء أمتك، أي علماؤهم ووعاظهم ومشايخهم. (**يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم**) محط الإنكار الجملة الثانية. وإنما ذكر الجملة الأولى تقبيحاً لسوء أفعالهم وأقوالهم وتوبيخاً على علومهم المقرونة بترك أعمالهم، كما قال تعالى: ﴿**أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون**﴾ [البقرة ـ ٤٤]. أي

---

(١) في المخطوطة «صفدي».

الحديث رقم ٥١٤٩: أخرجه البغوي في شرح السنة ١٤/ ٣٥٣ حديث رقم ٤١٥٩. والبيهقي في شعب الإيمان ٢/ ٢٨٣ حديث رقم ١٧٧٣. وأحمد في المسند ٣/ ١٢٠.

(٢) في المخطوطة «جميعاً».

رواه في «شرح السنة»، والبيهقي في «شعب الإيمان» وفي روايته قال: «خُطباء من أُمتك الذينَ يقولونَ ما لا يفعلونَ، ويقرؤونَ كتابَ اللهِ ولا يعملونَ».

٥١٥٠ ـ (١٤) وعن عمّارِ بن ياسرٍ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «أُنزلتِ المائدةُ من السَّماءِ خُبزاً ولحماً، وأُمِروا أن لا يخونوا ولا يدَّخروا لغدٍ، فخانوا وادَّخروا ورفعوا لغدٍ، فمُسِخوا قِردة

سوء صنيعكم. وقال عزّ وجلّ: ﴿كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون﴾ [الصف ـ ٣]. وكما قال ﷺ: ويل للجاهل مرة وويل للعالم سبع مرات[1]. وكما ورد في الحديث المشهور: «أشد الناس عذاباً يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه»[2] **(رواه)** أي البغوي **(في شرح السنة والبيهقي)** عطف على الفاعل المقدر **(في شعب الإيمان. وفي روايته)** أي رواية البيهقي **(قال: خطباء من أمتك)** بمن البيانية **(الذين يقولون ما لا يفعلون)** بدل من قوله خطباء، ويجوز أن يكون صفة له لأنه لا توقيت فيه على عكس قوله:

* ولقد أمر على اللئيم يسبني *

ويجوز أن يكون منصوباً على الذم وهو الأوجه، يتفطن لذلك من رزق الذهن السليم والطبع المستقيم ذكره الطيبي رحمه الله. وفيه أن أهل العربية أطبقوا في مثل هذا التركيب على أن البدل أوجه الوجوه المحتملة، كما حقق في الاستعاذة والبسملة، ذكره الطيبي رحمه الله. وفي قوله تعالى: ﴿**الحمد لله رب العالمين**﴾ [الفاتحة ـ ٢، غافر ـ ٦٥]. وقوله سبحانه: ﴿**فيه هدى للمتقين الذين يؤمنون**﴾ [البقرة ـ ٢، ٣]. وقوله عزّ وجلّ: ﴿**وما يضل به إلا الفاسقين الذين ينقضون**﴾ [البقرة ـ ٢٦، ٢٧]. وفي قوله ﷺ: بني الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله[3]. **(ويقرؤون كتاب الله ولا يعملون)** وفيه اقتباس من الآيتين الشريفتين اللتين ذكرناهما أوّلاً.

٥١٥٠ ـ **(وعن عمار بن ياسر قال: قال رسول الله ﷺ: أنزلت المائدة من السماء)** قال الراغب: المائدة الطبق الذي عليه الطعام، ويقال لكل منهما مائدة، أي على الحقيقة المشتركة، أو على أحدهما مجازاً باعتبار المجاورة، أو بذكر المحل وإرادة الحال. وقوله: **(خبزاً ولحماً)** تمييز بخوارق دخلا. **(وأمروا أن لا يخونوا)** أي بقصد أكل الأحسن أو الأكثر من غيرهم **(ولا يدخروا)** بتشديد الدال المهملة المبدلة من الذال المعجمة من باب الافتعال من الذخيرة، وهو التخبية. **(لغد)** أي ليوم عقب يوم نزول المائدة أو لوقت مستقبل بعده **(فخانوا وادخروا ورفعوا لغد)** تفسير لما قبله **(فمسخوا)** أي فغير الله صورهم الإنسانية بعد تغيير سيرتهم الإنسية. **(قردة**

---

(١) أخرجه سعيد بن منصور في سننه.

(٢) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ٢/ ٢٨٤ حديث رقم ١٧٧٨.

(٣) راجع الحديث رقم (٤).

الحديث رقم ٥١٥٠: أخرجه الترمذي في السنن ٥/ ٢٤٣ حديث رقم ٣٠٦١.

وخَنازيرَ». رواه الترمذي.

الفصل الثالث

٥١٥١ - (١٥) عن عُمَرَ بن الخطابِ رضي الله عنه، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إنَّهُ تصيبُ أُمتي في آخرِ الزمانِ من سلطانِهم شدائدُ، لا ينجو منه إلا رجلٌ عرفَ دينَ الله، فجاهدَ عليه بلسانه ويدِه وقلبِه، فذلكَ الذي سبقتْ له السَّوابقُ؛

وخنازير) منصوبان على أنهما مفعول ثان على ما يستفاد من القاموس حيث قال: مسخه كمنعه حول صورته إلى أخرى أقبح، ومسخه الله قرداً فهو مسخ ومسيخ. وقال الطيبي رحمه الله: حالان مقدرتان كقوله تعالى: ﴿وتنحتون من الجبال بيوتاً﴾ [الشعراء - ١٤٩]. اهـ. والظاهر أن شبابهم مسخوا قردة وشيوخهم خنازير. (رواه الترمذي).

(الفصل الثالث)

٥١٥١ - (عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: إنه) أي الشأن (تصيب أمتي في آخر الزمان من سلطانهم) يحتمل الجنس والشخص كيزيد والحجاج وأمثالهما. (شدائد) أي محن دنيوية أو دينية أو مركبة منهما (لا ينجو) استئناف بيان أو حال أي لا يخلص (منه) أي من السلطان وشدائده الناشئة من ظلمه فهما في حكم واحد، فيجوز أن يعبر عنه بضمير مفرد. (إلا رجل عرف دين الله) قال الطيبي رحمه الله: الضمير في منه يجوز أن يعود إلى السلطان أو يحمل على أنه واقع موقع اسم الإشارة، أو يعود إلى شدائد باعتبار المذكور أو المنكر وهو الشدائد. وقوله: لا ينجو، على الأول استئناف، وعلى الثاني صفة قوله: شدائد. اهـ. والحاصل أنه لا يتخلص في زمان ذلك السلطان المشابه بالشيطان إلا من جمع بين العلم والعمل والكمال والتكميل فعرف دين الله أوّلاً بتفصيله من الأصول والفروع، وعمل لنفسه على ما يقتضيه الأمر المشروع (فجاهد عليه) أي على تحصيل إعلاء دين الله (بلسانه) أي بطريق النصيحة والبيان (ويده) أي إن كان له قدرة وقوّة (وقلبه) أي بإنكاره عند العجز عملاً بقوله تعالى: ﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن﴾ [النحل - ١٢٥]. وقياماً بقوله عزّ وجلّ: ﴿ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون﴾ [آل عمران - ١٠٤]. وهذا معنى قوله: (فذلك الذي سبقت له السوابق) أي السعادات السابقة حيث جمع بين الأحوال الثلاث اللاحقة، وفيه إشارة إلى قوله تعالى: ﴿والسابقون السابقون﴾ [الواقعة - ١٠]. أي الجامعون بين مراتب الكمال والتكميل ودرجات العلم والعمل والتعليم. أولئك المقربون. ففي

الحديث رقم ٥١٥١: أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ٦/ ٩٥ حديث رقم ٧٥٨٧.

ورجلٌ عرفَ دينَ اللهِ، فصدَّقَ به، ورجلٌ عرفَ دينَ اللهِ فسكتَ عليه، فإنْ رأى مَن يعملُ الخيرَ أحبَّه عليه، وإنْ رأى من يعملُ بباطلٍ أبغضَه عليه، فذلكَ ينجو على إبطانِهِ كلِّه».

٥١٥٢ ـ (١٦) وعن جابرٍ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «أوحى اللهُ عزَّ وجلَّ إلى جبريلَ عليه السلام: أن اقلِبْ مدينةَ كذا وكذا بأهلِها قال: يا ربِّ! إنَّ فيهم عبدكَ فلاناً لم يعصِكَ طرفةَ عينٍ». قال: «فقال: اقلِبْها عليه وعليهم، فإنَّ وجهَه لم يتمعَّرْ

كلام عيسى عليه الصلاة والسلام: من عمل وعلم وعلم يدعى في الملكوت عظيماً. (ورجل عرف دين الله فصدق به) أي فتكلم بلسانه ما يجب تصديقه من الأمر بالحق والنهي عن الباطل، واكتفى به عن الإنكار باليد لعجزه أو ضعف قلبه وقوّة خصمه (ورجل عرف دين الله فسكت عليه) أي تاركاً للأمر والنهي لغيره مكتفياً بإنكار قلبه لضعف إيمانه أو ضعف أهل زمانه، ويدل على تحقق إنكار قلبه قوله: (فإن رأى من يعمل الخير) أي يعمل حق (أحبه) أي بقلبه (عليه) أي على ذلك العمل أو لأجله (وإن رأى من يعمل بباطل) أي من يعمل الشر (أبغضه عليه) أي وترك مصاحبته ومجالسته ولو كان من كان (فذلك ينجو على إبطانه) أي إبطان ما ذكر في قلبه من محبة الخير وبغض الباطل. (كله) تأكيد مفيد لأن يكون جامعاً للأمرين لا مقتصراً على أحدهما فتأمل هذا. وقد قال الطيبي رحمه الله: السوابق جمع سابقة وهي الخصلة المفضلة، إما السعادة وإما البشرى بالثواب من عند الله، وأما التوفيق للطاعة كقوله تعالى: ﴿إن الذين سبقت لهم منا الحسنى﴾ [الأنبياء: ١٠١]. وقوله: عرف دين الله فجاهد عليه إلى آخر الحديث. هو من باب التقسيم الحاصر لأن الناهي عن المنكر إما سابق أو مقتصد أو دونهما. فالفاآت في قوله: فجاهد فصدق فسكت مسببات عن العرفان، فمعنى الأول: من عرفه دين الله تعالى حق معرفته وتصلب في دينه فبذل جهده في المجاهدة بلسانه ويده وقلبه. ومعنى الثالث: من عرف دين الله أدنى معرفة وسكت فلم يجهد فيه إلا على قدر إيمانه وذلك بالكراهة بالقلب، وهو المراد من قوله في الحديث الآخر: وذلك أضعف الإيمان. فيبقى قوله: فصدق به في درجة المقتصد فينبغي أن يفسر بما هو دون الأولى. وفوق الثالثة: وهو أن يجاهد بلسانه وقلبه، والتصديق يستعمل حقيقة في اللسان مجازاً في العمل، فتصديقه هنا معبر به عن دفع المنكر بلسانه وقلبه.

٥١٥٢ ـ (وعن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: أوحى الله عزَّ وجلَّ إلى جبريل عليه الصلاة والسلام أن اقلب) بهمزة وصل ولام مكسورة (مدينة كذا وكذا بأهلها) أي مصحوبة معهم. قال الطيبي رحمه الله: إن مفسرة لما في أوحى من معنى القول. اهـ. ويجوز أن تكون مصدرية والباء مقدرة. (فقال: يا رب إن فيهم عبدك فلاناً لم يعصك طرفة عين) فيه دلالة على حفظ الأولياء (قال:) أي النبي ﷺ، أو قال جبريل عليه الصلاة والسلام. (فقال:) أي الله تعالى (اقلبها عليه وعليهم) في تقديمه عليهم إيذان بوعيد شديد (فإن وجهه لم يتمعر) أي لم

الحديث رقم ٥١٥٢: أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ٦/ ٩٧ حديث رقم ٧٥٩٥.

فيَّ ساعةً قطُّ».

٥١٥٣ ـ (١٧) وعن أبي سعيدٍ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إنَّ اللّهَ عزَّ وجلَّ يسألُ العبدَ يومَ القيامةِ، فيقول: ما لَكَ إذا رأيتَ المنكرَ فلم تنكرْه؟ قال رسولُ الله ﷺ: «فيُلقَّى حجَّتَه، فيقول: يا ربِّ! خِفتُ النَّاسَ ورجَوتُكَ». روى البيهقي الأحاديثَ الثلاثةَ في «شعب الإيمان».

٥١٥٤ ـ (١٨) وعن أبي موسى الأشعري، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «والذي نفسُ محمَّدٍ بيدِه إنَّ المعروفَ والمنكرَ خليقتانِ، تُنصبانِ للنَّاسِ يومَ القيامةِ، فأمَّا المعروفُ فيبشِّرُ أصحابَه ويوعِدهم الخيرَ، وأمَّا المنكرُ فيقول: إليكم إليكم؛

يتغير (فيَّ) بكسر الفاء وتشديد الياء، أي في حقي ولأجلي. والحاصل أنه لم يظهر أثر غضب إنكار القلب على مرتكب المنكر. (ساعة) أي واحدة (قط) أي أبداً. وفيه توسعة للإشعار بأنه لو غضب عليه مرة لله لسومح في بقية أوقات عمره.

٥١٥٣ ـ (وعن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: إن الله عزّ وجلّ يسأل العبد يوم القيامة فيقول: ما لك إذا رأيت المنكر فلم تنكره) أي بلسانك أو يدك (قال رسول الله ﷺ: فيلقى) بتشديد القاف المفتوحة (حجته) بالنصب، أي بينته عليها ويلقى بها إذا كان الله يريد إنجاءه. (فيقول: يا رب خفت الناس ورجوتك) فيه اعتراف بالذنب وإظهار للعجز واعتماد على كرم الرب. قال البيهقي: يحتمل أن يكون هذا فيمن يخاف سطوتهم وهو لا يستطيع دفعها عن نفسه ذكره الطيبي رحمه الله. وفيه أن مثل هذا معذور في الشرع فلا يعاتب عليه فيحاج إلى تلقي الحجة، بل إنما هو فيمن قصر في الجملة فيلهمه الله العذرة. (روى البيهقي الأحاديث الثلاثة في شعب الإيمان).

٥١٥٤ ـ (وعن أبي موسى الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ: والذي نفس محمد بيده إن المعروف والمنكر خليقتان) أي مخلوقتان ذكره الطيبي رحمه الله: والظاهر أن المعنى سيخلقان خلقاً آخر كسائر المعاني من الأعمال والموت ونحو ذلك فيجسدان ويجسمان لقوله: (تنصبان) بصيغة التأنيث على بناء المجهول، وفي نسخة بالتذكير وهو الأظهر، لأن التاء في الخليقة ليست للتأنيث بل للمبالغة. والمعنى: أنهما نوعان من المخلوقات يظهران. (للناس يوم القيامة فأما المعروف فيبشر أصحابه) أي أهل المعروف بالفعل أو الأمر (ويوعدهم الخير) أي ويوعدهم ابتغاء الجميل والجزاء الجزيل وبالمواصلة بينه وبينهم. (وأما المنكر فيقول:) أي لأصحاب المنكر بلسان القال، أو ببيان الحال (إليكم إليكم) أي ابعدوا عني وتنحوا من قربي.

الحديث رقم ٥١٥٣: أخرجه ابن ماجه في السنن ٢/ ١٣٣٢. حديث رقم ٤٠١٧. والبيهقي في شعب الإيمان ٦/ ٩١ حديث رقم ٧٥٧٥.

الحديث رقم ٥١٥٤: أخرجه أحمد في المسند ٤/ ٣٩١. والبيهقي في شعب الإيمان ٧/ ٥١٧ حديث رقم ١١١٨.

وما يستطيعون له إلاّ لزوماً». رواه أحمد، والبيهقي في «شعب الإيمان».

(وما يستطيعون له إلا لزوما) أي لصوقاً وقرباً من نتيجة المنكر وما يترتب عليه من عتابه. والحاصل أن العمل الصالح يظهر في أحسن صورة وأطيب ريح في القبر وكذا يوم القيامة، والعمل الطالح بخلاف ذلك ويؤيده ما ورد في حديث قدسي: «يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها عليكم ثم أوفيكم إياها. فمن وجد خيراً فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه»[1]. وتحقيق المرام في هذا المقام أن أفعال العباد وإن كانت غير موجبة للثواب والعقاب بذواتها إلا أنه تعالى أجرى عادته بربطهما ربط المسببات بالأسباب. وأنشد بعض أرباب الألباب:

أخاف وأرجو عفوه وعقابه وأعلم حقاً أنه حكم عدل
فإن يك عفواً فهو منه تفضل وإن يك تعذيباً فإني له أهل

والتدقيق والله ولي التوفيق أن السبب الفاعلي للخير والشر ليس إلا الله وحده بمقتضى فضله وعدله، وبموجب جماله وجلاله. وأما السبب القابلي فهو وإن كان أيضاً منه في الحقيقة إلا أن قابلية الخير من الاستعداد الأصلي الذي من الفيض الأقدس الذي لا دخل للاختيار فيه، وقابلية الشر من الاستعداد الحادث بسبب ظهور النفس بالصفات والأفعال الحاجبة للقلب المكدرة لجوهر الروح، حتى احتاج إلى الصقل بالرزايا والبلايا ونحوهما ولذا قال تعالى: ﴿وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير﴾ [الشورى - ٣٠]. وههنا يتموج أمواج بحر القضاء والقدر لتقسم العباد فيما يفعلون، وسفينة النجاة قوله تعالى: ﴿لا يسأل عما يفعل وهم يسألون﴾ [الأنبياء - ٢٣]. (رواه أحمد والبيهقي في شعب الإيمان).

---

(١) مسلم في صحيحه ٤/ ١٩٩٤ حديث رقم ٢٥٧٧.

كتاب الرقاق

الفصل الأول

٥١٥٥ ـ (١) عن ابن عبّاسٍ، قال: قال رسول الله ﷺ: «نعمتانِ مَغبونٌ فيهما كثيرٌ من النّاسِ: الصِّحةُ والفَراغُ».

(كتاب الرقاق)

الرقاق بالكسر جمع رقيق وهو الذي له رقة أي لطافة، قاله شارح. والظاهر ما قاله السيوطي من أن المراد بها الكلمات التي ترق بها القلوب إذا سمعت وترغب عن الدنيا بسببها وتزهد فيها. سميت هذه الأحاديث بذلك لأنها تحدث رقة ورحمة.

(الفصل الأول)

٥١٥٥ ـ (عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: نعمتان) مبتدأ (مغبون فيهما كثير من الناس) صفة له أو خبره (الصحة والفراغ) أي صحة البدن والقوة الكسبية وفراغ الخاطر بحصول الأمن ووصول كفاية الأمنية. والمعنى لا يعرف قدر هاتين النعمتين كثير من الناس حيث لا يكسبون فيهما من الأعمال كفاية ما يحتاجون إليه في معادهم فيندمون على تضييع أعمارهم عند زوالها ولا ينفعهم الندم. قال تعالى: ﴿ذلك يوم التغابن﴾ [التغابن ــ ٩]. وقال ﷺ: ليس يتحسر أهل الجنة إلا على ساعة مرت بهم ولم يذكروا الله فيها. وفي حاشية السيوطي رحمه الله، قال العلماء: معناه أن الإنسان لا يتفرغ للطاعة إلا إذا كان مكفياً صحيح البدن، فقد يكون مستغنياً ولا يكون صحيحاً وقد يكون صحيحاً ولا يكون مستغنياً فلا يكون متفرغاً للعلم والعمل لشغله بالكسب، فمن حصل له الأمران وكسل عن الطاعة فهو المغبون أي الخاسر في التجارة. مأخوذ من الغبن في البيع. اهـ. ويمكن أن يكون الغبن كناية عن فساد حاله وضياع ماله. كما قال بعضهم: إن الشباب والفراغ والجدة * مفسدة للمرء، أي مفسدة. وقال العارف بالله ابن الفارض:

الحديث رقم ٥١٥٥: أخرجه البخاري في صحيحه ١١/ ٢٢٩. حديث رقم ٦٤١٢. والترمذي في السنن ٤/ ٤٧٧ حديث رقم ٢٣٠٤. وابن ماجه في السنن ٢/ ١٣٩٦ حديث رقم ٤١٧٠ والدارمي في السنن ٢/ ٣٨٥ حديث رقم ٢٧٠٧. وأحمد في المسند ١/ ٣٤٤.

رواه البخاري.

٥١٥٦ - (٢) وعن المستورِدِ بن شدّادٍ، قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «واللّٰهِ ما الدُّنيا في الآخرة إلاّ مثلُ ما يجعلُ أحدُكم إصبعه في اليمِّ، فلْينظُرْ بِمَ يرجع». رواه مسلم.

٥١٥٧ - (٣) وعن جابرٍ، أنّ رسولَ الله ﷺ مرّ بجَدْيٍ أسكّ

على نفسه فليبك من ضاع عمره وليس له فيها نصيب ولا سهم

(رواه البخاري) وفي الجامع الصغير رواه البخاري في تاريخه والترمذي وابن ماجه عنه[1].

٥١٥٦ - (وعن المستورد بن شداد قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: والله) قسم للمبالغة في تحقق الحكم (ما الدنيا) ما نافية، أي ما مثل الدنيا من نعيمها وزمانها (في الآخرة) أي في جنبها ومقابلة نعيمها وأيامها (إلا مثل) بكسر الميم ورفع اللام. وفي نسخة بنصبها. وما في قوله: (ما يجعل أحدكم) مصدرية، أي مثل جعل أحدكم (أصبعه) وفي الجامع بزيادة هذه. والظاهر أن المراد بها أصغر الأصابع. (في اليم) أي مغموساً في البحر المفسر بالماء الكثير (فلينظر) أي فليتأمل أحدكم (بم يرجع) أي بأي شيء يرجع أصبع أحدكم من ذلك الماء. واعلم أن قوله: يرجع، ضبط بالتذكير في أكثر الأصول. وفي بعض النسخ بالتأنيث وهو الأظهر، لأن ضميره يرجع إلى الأصبع وهو مؤنث، وقد يذكر على ما في القاموس. والمعنى: فليتفكر بأي مقدار من البلة الملتصقة من اليم يرجع أصبعه إلى صاحبه، اللهم إلا أن يقال المعنى بم يرجع الحال وينتقل المآل. وحاصله أن منح الدنيا ومحنها في كسب الجاه والمال من الأمور الفانية السريعة الزوال، فلا ينبغي لأحد أن يفرح ويغتر بسعتها ولا يجزع ويشكو من ضيقها بل يقول في الحالتين: لا عيش إلا عيش الآخرة، فإنه قاله ﷺ مرة في يوم الأحزاب وأخرى في حجة الوداع وجمعية الأصحاب. ثم يعلم أن الدنيا مزرعة الآخرة وأن الدنيا ساعة فيصرفها في الطاعة. قال الطيبي رحمه الله: وضع موضع قوله: فلا يرجع بشيء، كأنه ﷺ يستحضر تلك الحالة في مشاهدة السامع ثم يأمره بالتأمل والتفكر، هل يرجع بشيء أم لا. وهذا تمثيل على سبيل التقريب، وإلا فأين المناسبة بين المتناهي وغير المتناهي. (رواه مسلم) وكذا أحمد وابن ماجه.

٥١٥٧ - (وعن جابر أن رسول الله ﷺ مر بجدي) أي ولد معز (أسك) بتشديد الكاف،

---

(١) الجامع الصغير ٢/ ٥٥٥ حديث رقم ٩٢٨٠. وفيه عن البخاري وليس البخاري في تاريخه.

الحديث رقم ٥١٥٦: أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ٢١٩٣ حديث رقم (٥٥ - ٢٨٥٨). والترمذي في السنن ٤/ ٤٨٦ حديث رقم ٢٣٢٣. وابن ماجه ٢/ ١٣٧٦ حديث رقم ٤١٠٨. وأحمد في المسند ٤/ ٢٢٩.

الحديث رقم ٥١٥٧: أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ٢٢٧٢ حديث رقم (٢ - ٢٩٥٧). والترمذي في السنن ٤/ ٤٨٥ حديث رقم ٢٣٢١. وابن ماجه في السنن ٢/ ١٣٧٧ حديث رقم [illegible]

ميتٍ. قال: «أيّكم يُحبُّ أنَّ هذا له بدرهم؟» فقالوا: ما نحبُّ أنّه لنا بشيءٍ. قال: «فواللهِ للدُّنيا أهونُ على اللهِ من هذا عليكم». رواه مسلم.

٥١٥٨ ـ (٤) وعن أبي هريرةَ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «الدنيا سجنُ المؤمنِ وجنّةُ الكافرِ».

أي صغير الأذن أو عديمها أو مقطوعها. (ميت قال: أيكم يحب أنّ هذا له بدرهم) أي مثلاً (فقالوا: ما نحب أنه لنا بشيء) أي بشيء مّا مما يطلق عليه اسم الشيء من تراب وغيره. والمراد أنا لا نحبه بلا شيء أيضاً. (قال: فوالله للدنيا) أي لجميع أنواع لذاتها (أهون) أي أسهل وأحقر وأذل (على الله) أي عنده تعالى (من هذا) أي من هوان هذا الجدي (عليكم) ويؤيده ما سيأتي: إن الدنيا لو كانت تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى كافراً منها شربة ماء. والمقصود منه التزهيد في الدنيا والترغيب في العقبى، فإن حب الدنيا رأس كل خطيئة على ما رواه البيهقي عن الحسن مرسلاً. كما أن ترك الدنيا رأس كل عبادة. والسبب في ذلك أن محب الدنيا ولو اشتغل بأمور الدين تكون أعماله مدخولة بأغراض فاسدة، وتارك الدنيا ولو اشتغل بأمر دنيوي يكون له مطمح أخروي ولذا قال بعض العارفين من أرباب اليقين: من أحب الدنيا لم يقدر على هدايته جميع المرشدين، ومن ترك الدنيا لم يقدر على ضلالته جميع المفسدين. (رواه مسلم).

٥١٥٨ ـ (وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر) أي كالسجن للمؤمن في جنب ما أعد له في الآخرة من الثواب والنعيم المقيم، وكالجنة للكافر في جنب ما أعد له في الآخرة من العقوبة والعذاب الأليم. وقيل: إن المؤمن عرض نفسه عن الملاذ وأخذها بالشدائد فكأنه في السجن، والكافر فرّجها بالشهوات فهي له كالجنة، كذا ذكر في الفائق. ويؤيد القول الأخير ما قاله فضيل بن عياض: من ترك لذات الدنيا وشهواتها فهو في سجن، فأما الذي لا يترك لذاتها وتمتعاتها فأي سجن عليه. وأقول: الظاهر أن مراتب السجن ومنازله[1] مختلفة باختلاف أحوال أهله مع أنه لا يخلو أحد من ضيق التكاليف الشرعية من ارتكاب الواجبات الفعلية واجتناب الأمور المنهية، وكذا من مشقات الأحوال الكونية من البرد والحر في الصيف والشتاء والبلاء والغلاء وموت الأحباء وغلبة الأعداء وأمثال ذلك من ابتداء خلق النطفة وأطوارها في مشيمة البطن إلى الظهور في المهد والبطون في اللحد وما بينهما من أنواع الكد والكبد. ولذا قال تعالى: ﴿لقد خلقنا الإنسان في كبد﴾ [البلد ـ ٤]. أي لا يزال في تعب عظيم مبدؤه[2] ظلمة الرحم ومضيقه ومنتهاه الموت وما بعده إلى أن يكون

الحديث رقم ٥١٥٨: أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ٢٢٧٢ حديث رقم (١ ـ ٢٩٥٦). والترمذي في السنن ٤/ ٤٨٦ حديث رقم ٢٣٢٤. وابن ماجه في السنن ٢/ ١٣٧٨. حديث رقم ٤١١٣ وأحمد في المسند ٢/ ٣٢٣.

(١) في المخطوطة «مغازلها». (٢) في المخطوطة «مدة».

رواه مسلم.

٥١٥٩ ـ (٥) وعن أنس، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إنَّ اللّهَ لا يظلِم مؤمناً حسنةً،

ما بعد هذا السجن إما إلباس الخلع السلطانية والقرار في المناصب العلية، وإما تسليط الزبانية بموجب الغضب الإلهي عليه، ونقله من السجن السهل الفاني إلى الحبس الصعب الباقي نعوذ بالله من ذلك. ولما مات داود الطائي سمع هاتفاً يهتف: أطلق داود من السجن. قال أبو حفص السهروردي: إن السجن والخروج منه يتعاقبان على قلب العبد المؤمن على[1] الساعات ومرور الأوقات، لأن النفس كلما ظهرت بصفاتها أظلم الوقت على القلب حتى ضاق وانكمد. وهل السجن إلا تضييق وحجز من الخروج والولوج، فكلما هم القلب بالتبرز عن مشائم الأهواء الدنيوية والتخلص عن قيود الشهوات العاجلة تسبباً إلى الآجلة وتنزهاً في فضاء الملكوت ومشاهدة للجمال الأزلي، حجزه الشيطان المردود من هذا الباب المطرود بالاحتجاب، فيدلي بحسب النفس الأمارة إليه، فكدر صفو العيش عليه وحال بينه وبين محبوب طبعه، وهذا من أعظم السجون وأضيقها. فإن من حيل بينه وبين محبوبه ضاقت عليه الأرض بما رحبت وضاقت عليه نفسه. ولهذا المعنى أخبر الله تعالى عن جماعة [من الصحابة] حيث تخلفوا عن رسول الله ﷺ في بعض الغزوات، قال تعالى: **﴿وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت﴾** [التوبة ـ ١١٨] الآية. **(رواه مسلم)** وكذا أحمد والترمذي وابن ماجه عن أبي هريرة، والطبراني والحاكم[2] عن سلمان، والبزار عن ابن عمرو رواه أحمد والطبراني وأبو نعيم في الحلية، والحاكم عن ابن عمرو بن العاص ولفظه: الدنيا سجن المؤمن وسنته، فإذا فارق الدنيا فارق السجن والسنة[3]. والسنة بفتح أوله القحط والجدب. وأخرج ابن المبارك عن ابن عمر قال: إن الدنيا جنة الكافر وسجن المؤمن، وإنما مثل المؤمن حين تخرج نفسه كمثل رجل كان في سجن فأخرج منه فجعل يتقلب في الأرض ويتفسح فيها. وأخرجه ابن أبي شيبة عنه نحوه. وأخرج أبو نعيم عن ابن عمر أن النبي ﷺ قال لأبي ذر: يا أبا ذر إن الدنيا سجن المؤمن والقبر أمنه والجنة مصيره. يا أبا ذر الدنيا جنة الكافر والقبر عذابه والنار مصيره[4]. وروى ابن لال عن عائشة: الدنيا لا تصفو لمؤمن، كيف وهي سجنه وبلاؤه[5].

٥١٥٩ ـ **(وعن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: إن الله لا يظلم مؤمناً حسنة)** قال شارح:

---

(١) في المخطوطة «من». (٢) الحاكم في المستدرك ٣/ ٦٠٤.

(٣) الحاكم في المستدرك ٤/ ٣١٥ وأحمد في المسند ٢/ ١٩٧.

(٤) حلية الأولياء ٦/ ٣٥٣.

(٥) ذكره السيوطي في الجامع الصغير ٢/ ٢٦٠ حديث رقم ٤٢٨٥.

الحديث رقم ٥١٥٩: أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ٢١٦٢. حديث رقم (٥٦ . ٢٨٠٨). وأحمد في المسند ٣/ ١٢٣.

يُعْطَى بها في الدنيا ويُجزى بها في الآخرة، وأما الكافر فيُطْعَمُ بحسناتٍ ما عمل بها لله في الدنيا، حتى إذا أفضى إلى الآخرة لم يكنْ له حسنةٌ يُجزى بها». رواه مسلم.

أي لا يضيع أجر حسنة المؤمن. ولا يخفى أنه حاصل المعنى. وأما بحسب التركيب والمعنى، فالظلم يتعدى إلى مفعولين. قال تعالى: ﴿إن الله لا يظلم الناس شيئاً﴾ [يونس - ٤٤]. وفي القاموس: ظلمه حقه، أي منعه إياه. فالحديث تفسير لما في القرآن وتبيين لما فيه من نوعي جنس الإنسان، وبيان أن الله يجازي عبادة المؤمن والكافر على النقير والقطمير والقليل والكثير من الخير والشر، إما في الدنيا وإما في العقبى كما قال: ﴿فمن يعمل مثال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره﴾ [الزلزلة - ٧]. وقال عزّ وجلّ: ﴿إن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجراً عظيماً﴾ [النساء - ٤٠]. ولذا قال عمر رضي الله عنه: لو كانت لي حسنة واحدة لكفتني. بناء على المضاعفة المذكورة والمثوبة العظيمة المسطورة. (يعطى) استئناف بيان بصيغة المجهول، أي يعطى المؤمن كل خير (بها) أي بسبب تلك الحسنة (في الدنيا) من رفع البلاء وتوسعة الرزق وغير ذلك من النعماء. وفي نسخة بصيغة الفاعل، أي يعطي الله إياه بتلك الحسنة أجراً في الدنيا. (ويجزى بها في الآخرة) على بناء المفعول أو الفاعل طبق ما قبله. (وأما الكافر فيطعم) بصيغة المجهول لا غير، أي يعطى. وفي العدول إشارة إلى أن مطمح نظر الكافر في العطاء إنما هو بطنه، والمعنى أنه يجزى. (بحسنات ما عمل بها لله) أي من إطعام فقير وإحسان ليتيم وإغاثة ملهوف ونحوها من طاعات لا يشترط في صحتها الإسلام. (في الدنيا) ظرف ليطعم (حتى إذا أفضى) أي وصل (إلى الآخرة لم تكن) بالتأنيث وتذكر، أي لم يبق ولم يوجد له[1]. (حسنة يجزى بها) فإن الله لا يضيع أجر من أحسن عملاً. وفي شرح السنة قوله: لا يظلم، لا ينقص وهو معدى إلى مفعولين، أحدهما مؤمناً والآخر حسنة. ومعناه: أن المؤمن إذا اكتسب حسنة يكافئه الله تعالى [بأن يوسع عليه رزقه ويرغد عيشه في الدنيا، وبأن يجزى ويثاب في الآخرة. والكافر إذا اكتسب حسنة في الدنيا بأن يفك أسيراً أو ينقذ غريقاً يكافئه الله تعالى] في الدنيا ولا يجزى بها في الآخرة. اهـ. وحاصلة أن الله يقابل عبده المؤمن بالفضل والكافر بالعدل، ولا يسأل عما يفعل. ولعل الحديث مقتبس من قوله تعالى: ﴿من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له في الآخرة من نصيب﴾ [الشورى - ٢٠]. (رواه مسلم) وفي الجامع رواه أحمد ومسلم عن أنس بلفظ: إن الله لا يظلم المؤمن حسنة يعطى عليها في الدنيا ويثاب عليها في الآخرة، وأما الكافر فيطعم بحسناته في الدنيا حتى إذا أفضى إلى الآخرة لم تكن له حسنة يعطى بها خيراً[2]. اهـ. ومقتضى المقابلة ما ورد في حديث آخر: إن المؤمن يجزى بسيئاته في الدنيا من أنواع المحنة والمشقة والبلايا والرزايا حتى إذا أفضى إلى الآخرة لم يكن له سيئة يعاقب عليها. ويؤيده ما روى أحمد وابن حبان أنه لما نزل قوله تعالى: ﴿من يعمل سوءاً يجز به﴾ [النساء - ١٢٣]. قال أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه: فمن ينجو

---

(١) في المخطوطة «ولم تبق ولم توجد».

(٢) الجامع الصغير ١/١١٣ حديث رقم ١٨٢٣.

٥١٦٠ ـ (٦) وعن أبي هُريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «حُجِبَتِ النارُ بالشهواتِ، وحجبتِ الجنّةُ بالمكارهِ». متفق عليه. إلاّ أنّ عند مسلم: «حُفّتْ» بدل: «حجبت».

٥١٦١ ـ (٧) وعنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «تعسَ

من هذا يا رسول الله. فقال عليه الصلاة والسلام: غفر الله لك يا أبا بكر ألست تحزن ألست تنصب ألست تمرض ألست تصيبك اللاواء. قال: بلى يا رسول الله. قال: هو مما تجزون به[1]. وقد صح على ما رواه الترمذي وابن جرير: المصائب والأمراض في الدنيا جزاء[2]. وروى الحاكم في مستدركه عن أبي بكر رضي الله تعالى عنه مرفوعاً: من يعمل سوءاً يجز به في الدنيا.

٥١٦٠ ـ **(وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: حجبت النار)** أي أحيطت **(بالشهوات)** كالخمر والزنا **(وحجبت الجنة بالمكاره)** كالصلاة والزكاة **(متفق عليه. إلا عند مسلم: حفت، بدل حجبت)**. يعني لفظ حجبت للبخاري ولفظ حفت لمسلم، فالحديث متفق عليه عن أبي هريرة معنى. وقد وافق مسلماً أحمد والترمذي عن أنس، لكن حديثهم فيه تقديم وتأخير مخالف للبخاري في ترتيبه على ما ذكره في الجامع بلفظ: حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات. والله [تعالى] أعلم. قال النووي رحمه الله: معناه لا يوصل إلى الجنة إلا بارتكاب المكاره ولا يوصل إلى النار إلا بارتكاب الشهوات، وكذلك هما محجوبتان بهما. فمن هتك الحجاب وصل إلى المحجوب، فهتك حجاب الجنة باقتحام المكاره وهتك حجب النار بارتكاب الشهوات. وأما المكاره فيدخل فيها الاجتهاد في العبادات والمواظبة على الطاعات والصبر عن الشهوات ونحو ذلك، وأما الشهوات التي النار محفوفة بها فالظاهر أنها الشهوات المحرمة كالخمر والزنا والغيبة ونحو ذلك، وأما الشهوات المباحة فلا تدخل في هذا. اهـ. ويناسب هذا الحديث ما ذكره السيوطي في الجامع الكبير أنه ﷺ قال: إن الله بنى مكة على المكروهات والدرجات. أي لا تحصل درجاتها إلا بالتحمل على مكروهاتها والله [تعالى] أعلم.

٥١٦١ ـ **(وعنه)** أي عن أبي هريرة **(قال: قال رسول الله ﷺ: تعس)** بكسر العين ويفتح،

---

(١) أحمد في المسند ١/ ١١.

(٢) ذكره السيوطي في الجامع الصغير ٢/ ٥٥١ حديث رقم ٩٢١٧ وقال رواه سعيد بن منصور وأبو نعيم في الحلية.

الحديث رقم ٥١٦٠: أخرجه البخاري في صحيحه ١١/ ٣٢٠. حديث رقم ٦٤٨٧. ومسلم في صحيحه ٤/ ٢١٧٤ حديث رقم ١/ ٢٨٢٢. والترمذي في السنن ٤/ ٥٩٨ حديث رقم ٢٥٥٩. والنسائي في السنن ٧/ ٣ حديث رقم ٣٧٦٣. والدارمي في السنن ٢/ ٤٣٧ حديث رقم ٢٨٤٣. وأحمد في المسند ٢/ ٣٨٠.

الحديث رقم ٥١٦١: أخرجه البخاري في صحيحه ٦/ ٨١. حديث رقم ٢٨٨٧. وابن ماجه في السنن ٢/ ١٣٨٦ حديث رقم ٤١٣٥.

عبدُ الدينارِ وعبدُ الدرهمِ وعبدُ الخميصةِ، إن أُعطي رضي، وإن لم يُعْطَ سخط، تَعِسَ وانتكسَ،

أي خاب وخسر. (عبد الدينار) أي الذي اختاره على رضا معبوده الجبار بأن يأخذه من غير حله وأن لا يصرفه في محله. وكذا قوله: (وعبد الدرهم) وهذان مثالان وخصا بالذكر لأنهما النقدان الحاصل بهما جميع مقاصد النفس والشيطان. (وعبد الخميصة) وهي ثوب خز أو صوف معلم. وخصت بالذكر لأن الغالب في لبسها الخيلاء والرعونة والرياء والسمعة ومن كمال ميل النفس إليها وعدم الطاقة على مفارقتها، فكأنه عبد لها. وقيل: هي كساء أسود مربع له علمان. أراد به محب كثرة الثياب النفيسة والحريص على التجمل فوق الطاقة. وحاصله ذم التقيد بالزينة الظاهرة مما يتعلق بالثياب الجميلة لا سيما إذا كانت محرمة أو مكروهة. وعدم التعلق بتخلية الباطن عن الأوصاف الدنية وتحليتها بالنعوت الرضية. فإن من لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الآخرة، ومن رق ثوبه رق دينه. ثم تطويل الأكمام وجر الأذيال حرام على وجه التكبر والخيلاء، ومكروه إذا كان بخلافه. وأما إذا كان اللبس على الوجه المباح في الشريعة فيختلف باختلاف النية في اختيار التكلف والتقشف[1]، فقد قال تعالى: **﴿قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق﴾** [الأعراف - ٣٢] الآية. واختلف السادة الصوفية في أيهما أفضل، ومختار الشاذلية والنقشبندية والبكرية التلبس بلباس الأغنياء كما عليه بعض السلف من الأولياء، كما روي أن فرقد السنجي دخل على[2] الحسن وعليه كساء وعلى الحسن حلة فجعل يلمسها فقال له الحسن: ما لك تنظر إلى ثيابي. [ثيابي] ثياب أهل الجنة وثيابك ثياب أهل النار، بلغني أن أكثر أهل النار أصحاب الأكسية. ثم قال الحسن: جعلوا الزهد في ثيابهم والكبر في صدورهم، والذي يحلف به لأحدهم بكسائه أعظم كبراً من صاحب المطرف بمطرفه. ثم الجملة أنها خبر أو دعاء على من استعبده حب الدنيا واسترقه الهوى وأعرض عن عبودية المولى. ولذا قال بعض العارفين:

أتمنى على الزمان محالاً   أن ترى مقلتاي طلعة حر

ولم يقل صاحبها إيذاناً بأن [المذموم] من يكون أسيراً لجمع المال بحيث لا يؤدي حق الملك المتعال. (إن أعطي) أي هذا التعيس (رضي وإن لم يعط سخط) بكسر الخاء أي غضب. والجملة بيان لشدة حرصه وانقلاب حاله كما أخبر الله تعالى عن حال المنافقين بقوله: **﴿ومنهم من يلمزك في الصدقات فإن أعطوا منها رضوا وإن لم يعطوا منها إذا هم يسخطون﴾** [التوبة - ٥٨] الآية. وكما قال عزّ وجلّ: **﴿ومن الناس من يعبد الله على حرف فإن أصابه خير اطمأن به وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين﴾** [الحج - ١١] (تعس) كرر للتأكيد وليعطف عليه التشديد

---

(١) في المخطوطة «التعسف». (٢) في المخطوطة «عليه».

وإذا شيكَ فلا انْتُقِشَ. طوبى لعبدٍ آخذٍ بعنان فرسه في سبيل الله، أشعث رأسُه، مغبرةٍ قدماه، إن كان في الحراسة كان في الحراسة، وإن كان في السَّاقة

[قوله]: (وانتكس) أي [صار] ذليلاً (وإذا شيك) بكسر أوله، أي دخل[١] شوك في عضوه (فلا انتقش) بصيغة المجهول. وفي نسخة على بناء المعلوم أي فلا يقدر على إخراجه أو لا يجد من يخرجه. والمعنى أنه إذا وقع في البلاء لا يرحم عليه ولا يقدر على دفعه بنفسه أيضاً. هذا وفي النهاية تعس إذا عثر وانكب على وجهه، وقد تفتح العين وهو دعاء عليه بالهلاك. وانتكس أي انقلب على رأسه وهو دعاء عليه بالخيبة لأن من انتكس في أمره فقد خاب وخسر، وإذا شيك أي [إذا] شاكته شوكة فلا يقدر على انتقاشها وهو إخراجها بالمنقاش. والخميصة ثوب خز أو صوف معلم. وقيل: لا تسمى خميصة إلا إذا كانت سوداء معلمة، وكانت من لباس الناس قديماً. قال الطيبي رحمه الله: قيل: خص العبد بالذكر ليؤذن بانغماسه في محبة الدنيا وشهواتها كالأسير الذي لا خلاص له عن أسره. ولم يقل: مالك الدينار ولا جامع الدينار، لأن المذموم من الدنيا الزيادة على قدر الحاجة لا قدر الحاجة. وقوله: إن أعطي رضي وإن لم يعط سخط، يؤذن إلى شدة حرصه في جمع الدنيا وطمعه فيما في أيدي الناس. وفي قوله: تعس وانتكس صيغة الترديد مع الترقي. أعاد تعس الذي هو الانكباب على الوجه ليضم معه الانتكاس الذي هو الانقلاب على الرأس ليترقى في الدعاء عليه من الأهون إلى الأغلظ. ثم ترقى منه إلى قوله: وإذا شيك فلا انتقش، على معنى أنه إذا وقع في البلاء فلا يترحم عليه، فإن من وقع في البلاء إذا ترحم له الناس ربما هان الخطب عليه وتسلى بعض التسلي، وهؤلاء بخلافه بل يزيد غيظهم بفرح الأعداء وشماتتهم. وإنما خص انتقاش الشوك بالذكر لأن الانتقاش أسهل ما يتصور من المعاونة لمن[٢] أصابه مكروه، فإذا نفى ذلك الأهون فيكون ما فوق ذلك منفياً بالطريق الأولى. (طوبى) أي حالة طيبة، أو شجرة في الجنة. (لعبد) أي خالص لله تعالى. (آخذ) بصيغة الفاعل، أي ماسك. (بعنان فرسه) بكسر العين، أي بلجامه. (في سبيل الله) أي طريق الجهاد (أشعث) بالنصب على أنه صفة عبد أو حال منه. وقوله: (رأسه) مرفوع على الفاعلية لأشعث وهو مغبر الرأس. وفي نسخة برفعه على أنه خبر مبتدأ محذوف والجملة صفة عبد. وقوله: (مغبرة) بالنصب. وفي نسخة بالرفع وفي أخرى بالجر على أنها صفة عبد. وقوله: (قدماه) فاعلها، وقال الطيبي رحمه الله: أشعث ومغبرة حالان من الضمير في آخذ لاعتماده على الموصوف، ويجوز أن يكونا حالين من العبد لأنه موصوف. (إن كان) أي ذلك العبد (في الحراسة) بكسر الحاء أي حماية الجيش ومحافظتهم عن أن يتهجم عليهم عدوّهم (كان) أي كاملاً (في الحراسة) غير مقصر فيها بالنوم والغفلة ونحوهما. والحراسة وإن كانت في اللغة أعم لكنها في العرف مختصة بمقدمة العسكر، ولذا قال: (وإن كان في الساقة) أي في مؤخرة الجيش منها الحراسة

---

(١) في المخطوطة «أدخل». (٢) في المخطوطة «بأن».

كان في السَّاقة، إن استأذنَ لم يُؤذنْ [له]، وإن شَفَعَ لم يُشَفَّع». رواه البخاري.

٥١٦٢ ـ (٨) وعن أبي سعيد الخدري، أنَّ رسول الله ﷺ قال: «إنَّ مما أخافُ عليكم من بعدي ما يفتحُ عليكم من زَهْرةِ الدنيا وزينتها». فقال رجلٌ: يا رسول الله! أوَ يأتي الخيرُ بالشرِّ؟

أيضاً. (كان) أي كاملاً (في الساقة) في تلك الحالة أيضاً بأن لا يخاف من الانقطاع ولا يهتم إلى السبق، بل يلازم ما هو لأجله. وقد تقرر في علم المعاني أن الشرط والجزاء إذا اتحدا يراد بالجزاء الكمال. فالمعنى إن كان في الحراسة أو الساقة يبذل جهده فيها ولا يغفل عنها على وجه الكمال. قال التوربشتي رحمه الله: أراد بالحراسة حراسته من العدو أن يهجم عليهم وذلك أن يكون في مقدمة الجيش، والساقة مؤخرة الجيش. فالمعنى ائتماره لما أمر وإقامته حيث أقيم لا يفقد من مكانه بحال، وإنما ذكر الحراسة والساقة لأنهما أشد مشقة وأكثر آفة، الأول عند دخولهم دار الحرب والآخر عند خروجهم. (إن استأذن) أي طلب الإذن في دخول محفل. وفي نسخة إذا استأذن. (لم يؤذن [له]) أي لعدم ماله وجاهه (وإن شفع) أي لأحد (لم يشفع) بتشديد الفاء المفتوحة، أي لم تقبل شفاعته. وتوضيحه ما قيل إن فيه إشارة إلى عدم التفاته إلى الدنيا وأربابها بحيث يفنى بكليته في نفسه لا يبتغي مالاً ولا جاهاً عند الناس، بل يكون عند الله وجيهاً، ولم يقبل الناس شفاعته وعند الله يكون شفيعاً مشفعاً. (رواه البخاري) وروى الترمذي صدر الحديث بلفظ: لعن عبد الدينار لعن عبد الدرهم. مختصراً[١].

٥١٦٢ ـ (وعن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال: إن مما أخاف عليكم) أي من جملة ما أخشى عليكم أيها الصحابة أو أيها الأمة (من بعدي) أي بعد وفاتي وفقد حياتي (ما يفتح عليكم من زهرة الدنيا) بفتح الزاي وسكون الهاء، ويفتح. ففي القاموس: الزهرة ويحرك النبات أو نوره أو الأصفر منه، والمراد حسنها وبهجتها، فقوله: (وزينتها) عطف تفسير. وإنما عبر بالزهرة إشارة إلى حدوثها خضرة وحلوة وسرعة فنائها. والمعنى أني أخاف عليكم أن كثرة أموالكم عند فتح بلادكم تمنعكم من الأعمال الصالحة وتشغلكم عن العلوم النافعة وتحدث فيكم الأخلاق الدنية من التكبر والعجب والغرور ومحبة المال والجاه، وما يتعلق بهما من لوازم الأمور الدنيوية والإعراض عن الاستعداد للموت وما بعده من الأحوال الأخروية. (فقال رجل: يا رسول الله، أو يأتي الخير بالشر) بفتح الواو، والاستفهام للاسترشاد. والمعنى: أيفتح علينا ويأتي الخير من الغنائم والمال والحلال وتوسيع الرزق مصحوباً بالشر المترتب[٢] عليه ترك الخير من الطاعة والعبادة مما يخاف علينا. وقيل: الباء صلة يأتي وهي للتعدية، أي هل يستجلب الخير الشر. وتوضيحه أن حصول الغنيمة لنا خير، وهل يكون ذلك الخير سبباً للشر.

---

(١) الترمذي في السنن الحديث رقم ٢٣٧٥.

الحديث رقم ٥١٦٢: أخرجه البخاري في صحيحه ٣/ ٣٢٧. حديث رقم ١٤٦٥. ومسلم في صحيحه ٢/ ٧٢٨ حديث رقم (١٢٣/ ١٠٥٢). والترمذي في السنن ٤/ ٥٥٣ حديث رقم ٢٤٦٣.

(٢) في المخطوطة «مرتب».

فسكت، حتى ظننا أنه يُنْزَلُ عليه قال: فمسح عنه الرُّحَضاء وقال: «أين السائلُ؟». وكأنه حمده فقال: «إنه لا يأتي الخيرُ بالشر وإنَّ مما ينبتُ الربيعُ ما يقتُلُ حَبَطاً أو يُلِمُّ، إلا آكلةَ الخَضِرِ أكلت حتى امتدت خاصرتاها، استقبلت عينَ الشمس فثلَطَت وبالت ثم عادت فأكلت.

(فسكت) أي متأملاً أو مستغرقاً أو منتظراً للوحي [سكوتاً ممتداً (حتى ظننا أنه ينزل) بصيغة المجهول، أي نزل الوحي. (عليه) أي بواسطة جبريل. وإلا ﴿فهو ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى﴾ إما وحياً جلياً أو خفياً، (قال:) أي الراوي (فمسح عنه) [أي] عن وجهه الشريف (الرحضاء) بضم الراء وفتح الحاء المهملة وبالضاد المعجمة وبالمد، عرق الحمى على ما في المقدمة. والمراد هنا[1] عرق يظهر عليه ﷺ عند نزول الوحي عليه، فالتركيب من باب التشبيه البليغ. والمعنى: أنه مسح عنه عرقاً كعرق أثر الحمى ترحض الجسد، أي تغسله من كثرته. (وقال: أين السائل وكأنه) أي النبي ﷺ. (حمده) أي حمد السائل واستحسنه في سؤاله لكونه سؤال استرشاد لنفع[2] العباد والعُبّاد. (فقال: إنه) أي الشأن (لا يأتي الخير بالشر) أي حقيقة لتنافيهما، لكن قد يكون الخير سبباً للشر، فضرب لذلك مثلاً بقوله المناسب لتعبير الخير بالزهرة حيث قال: (وإن مما ينبت الربيع) أي بقدرته تعالى وإرادته وخلق أسبابه وآلته. (ما يقتل) أي نباتاً أو شيئاً يهلك الدواب (حبطاً) بفتحتين أي انتفاخ بطن من الامتلاء وهو تمييز. والمراد أنه قد يقتل حقيقة. (أو يلم) بضم ياء وتشديد ميم، أي يكاد أن يقتل ويقرب أن يهلك، فأو للتنويع. والمعنى أن الربيع ينبت خيار العشب فتستكثر منه الماشية لاستطابتها إياه حتى تنتفخ بطونها عند مجاوزتها حد الاعتدال، فتنفتق أمعاؤها من ذلك فتموت أو تقرب الموت. ومن المعلوم أن الربيع ينبت أضراب العشب فهي كلها خير في نفسها، وإنما يأتي الشر من قبل إفراط الأكل، فكذلك المفرط في جمع المال من غير حله أو من الحلال المشغل عن حاله، يكثر في التنعيم بماله من غير تأمل في مآله فيقسو قلبه من كثرة الأكل فيورث الأخلاق الدنية فيتكبر ويتجبر ويحقر الناس ويمنع ذا الحق الحق منها، فحيث آل مآل المال لهلاكه في الدنيا ولعذابه في العقبى يصير سبباً للوبال وشدة النكال وسوء الحال. (إلا آكلة الخضر) بفتح الخاء وكسر الضاد المعجمتين وهو الطري الغض من النبات. وفي نسخة بضم ففتح على أنه جمع خضرة، وروي بزيادة الهاء. والمعنى يقتل أو يلم كل آكلة إلا آكلة الخضر على الوجه المذكور والبيان المسطور بقوله: (أكلت) أي الماشية الآكلة المفرطة في أكلها. (حتى امتدت) أي امتلأت وشبعت (خاصرتاها) أي جنباها. وعبر عن الشبع بامتدادهما لأنهما يمتدان عند امتلاء البطن. (استقبلت عين الشمس) أي ذاتها وقرصها. والمعنى: إنها بركت مستقبلة إليها تستمري بذلك ما أكلت. وقال شارح: أي تركت الأكل ولم تأكل ما فوق طاقة كرشها حتى تقتلها كثرة الأكل، وتوجهت إلى مسقط ضوئها واستراحت فيه. (فثلطت) أي ألقت روثها رقيقاً سهلاً (وبالت) أي فزال عنها الحبط (ثم عادت فأكلت) أي ثم إذا حصل لها

---

(١) في المخطوطة «منها».

(٢) في المخطوطة «بمنع».

....

خفة واحتاجت إلى الأكل عادت فأكلت. كذلك من أخرج ما في المال من الحقوق وعالج نفسه بالاحتماء عن مساوي الأغنياء وعرف الداء والدواء بتتبع كلام الحكماء من الأنبياء والأولياء، فيكون المال حينئذ خيراً له لأنه معونة له في تحصيل الخير ودفع الشر. لكن لما كان الخطر فيه كثيراً بحيث يضر السالكين بحسب الأغلب، اختار الله لأكثر الأنبياء والأولياء طريق الفقر والفاقة. وذهب الصوفية أجمعهم والعلماء أكثرهم إلى أن الفقير الصابر أفضل من الغني الشاكر والله سبحانه [وتعالى] أعلم، هذا مجمل الكلام في مرام المقام. وأما تفصيله لغة وحلاً من جهة المبنى والمعنى ففي النهاية: الحبط بالتحريك الهلاك. يقال: حبطت الدابة تحبط حبطاً بالتحريك إذا أصابت مرعى طيباً فأفرطت في الأكل حتى تنتفخ فتموت. وذلك أن الربيع ينبت أحرار العشب فتستكثر منه الماشية ويلم، أي يقرب ويدنو من الهلاك. والخضر بكسر الضاد نوع من البقول ليس من أحرارها وجيدها وإنما ترعاها المواشي إذا لم تجد غيرها فلا تكثر من أكلها ولا تستمرئها. قال القاضي: أكله نصب على أنه مفعول يقتل والاستثناء مفرغ. والأصل أن مما ينبت الربيع ما يقتل أكله إلا أكل الخضر على هذا الوجه، وإنما صح الاستثناء المفرغ من المثبت لقصد التعميم فيه ونظيره: قرأت إلا يوم كذا. قال الطيبي [رحمه الله تعالى]، وعليه ظاهر كلام المظهر: والأظهر أن الاستثناء منقطع لوقوعه في الكلام المثبت، وهو غير جائز عند الكشاف في أكثر النسخ إلا بالتأويل فيه، لأن ما يقتل حبطاً بعض[1] ما ينبت الربيع للدلالة من التبعيضية عليه والتقسيم في قوله: إلا آكلة الخضر، لأن الخضر غير ما يقتل حبطاً، يشهد له ما في شرح السنة. قال الأزهري: فيه مثلان، ضرب أحدهما للمفرط في جمع الدنيا ومنعها من حقها، وضرب الآخر للمقتصد في أخذها والانتفاع بها. وأما قوله: وإن مما[2] ينبت الربيع ما يقتل حبطاً. فهو مثل للمفرط الذي يأخذها بغير حق، وذلك أن الربيع ينبت أحرار العشب فتستكثر[3] منها الماشية حتى تنتفخ بطونها لما قد جاوزت حد الاحتمال فتنفتق أمعاؤها فتهلك، كذلك الذي يجمع الدنيا من غير حلها ويمنع ذا الحق حقه يهلك في الآخرة بدخول النار. وأما مثل المقتصد فقوله ﷺ: إلا آكلة الخضر. وذلك أن الخضر ليست من أحرار البقول التي ينبتها الربيع فتستكثر[4] منها الماشية ولكنها من كلا الصيف التي ترعاها المواشي بعد هشيم البقول شيئاً فشيئاً من غير استكثار. فضرب مثلاً لمن يقتصد في أخذ الدنيا ولا يحمله الحرص على أخذها فهو ينجو من وبالها. قال الأشرف في قوله: حتى امتدت خاصرتاها استقبلت عين الشمس. أن المقتصد المحمود العاقبة وإن جاوز حد الاقتصاد في بعض الأحيان وقرب من السرف المذموم لغلبة الشهوة المركوزة في الإنسان، وهو المعني بقوله: أكلت حتى امتدت خاصرتاها. لكنه يرجع عن قريب عن ذلك الحد المذموم ولا يلبث عليه، بل يلتجيء إلى الدلائل النيرة والبراهين الواضحة الدافعة

---

(١) في المخطوطة زيادة «الربيع».
(٢) في المخطوطة «بما».
(٣) في المخطوطة «فتكثر».
(٤) في المخطوطة «فتكثر».

وإن هذا المالَ خَضِرةٌ حُلوةٌ، فمن أخذه بحقه، ووضعه في حقِّه فنعم المعونة هو، ومن أخذه بغير حقِّه كان كالذي يأكلُ ولا يشبَعُ، ويكون شهيداً عليه يومَ القيامة»

للحرص المهلك القامعة له، وهو المدلول عليه بقوله: استقبلت عين الشمس وثلطت وبالت. فحذف ما حذف في المرة الثانية لدلالة ما قبلها عليه. وفيه إرشاد إلى أن المحمود العاقبة وإن تكرر منه الخروج عن حد الاقتصاد والقرب من حد الإسراف مرة بعد أولى وثانية بعد أخرى لغلبة الشهوة عليه وقوتها فيه، لكنه يمكن أن يبعد بمشيئة الله تعالى عن الحد المذموم الذي هو الإسراف ويقرب من الاقتصاد الذي هو الحد المحمود. قال الطيبي [رحمه الله]: فعلى هذا الاستثناء متصل، لكن يجب التأويل في المستثنى منه. والمعنى أن من جملة ما ينبت الربيع شيئاً يقتل آكله إلا الخضر منه إذا اقتصد فيه آكله وتحرى دفع[١] ما يؤديه إلى الهلاك. (وإن هذا المال) أي المحسوس في البال (خضرة) بفتح فكسر (حلوة) بضم الحاء أي حسنة المنظر لزيادة المذاق. والتأنيث باعتبار أن هذا المال عبارة عن الدنيا وزينتها، إذ التقدير أن زهرة هذا المال خضرة حلوة. قال التوربشتي رحمه الله: كذلك نرويه من كتاب البخاري على التأنيث. وقد روي أيضاً: خضر حلو. والوجه فيه أن يقال: إنما أنث على معنى تأنيث المشبه به أي أن هذا المال شيء كالخضرة. وقيل: معناه كالبقلة الخضرة أو يكون على معنى فائدة المال، أي إن الحياة أو المعيشة خضرة. قال الطيبي [رحمه الله]: ويمكن أن يعبر عن المال بالدنيا لأنه أعظم زينتي الحياة الدنيا لقوله تعالى: ﴿**المال والبنون زينة الحياة الدنيا**﴾ [الكهف ـ ٤٦]. فيوافق حديث أبي سعيد الخدري: الدنيا حلوة خضرة وإن الله مستخلفكم. على ما مر في الباب السابق. اهـ. والمعنى أن هذا المال[٢] جنسه أو نوع مشبه بالمرعى المشتهاة للأنعام[٣]. (**فمن أخذه بحقه**) أي بقدر احتياجه من طريق حله أي في محله الواجب أو ندبه (**فنعم المعونة**) أي ما يعان به على [الـ] طاعة ويدفع به ضرورات المؤنة. إذ المراد بالمعونة الوصف مبالغة، أي فنعم المعين على الدين. (**هو**) أي المال. ونظيره ما ورد: نعم المال الصالح للرجل الصالح. (**ومن أخذه بغير حقه**) أي من غير احتياج إليه وجمعه من حرام ولم يصرفه في مرضاة ربه (**كان كالذي يأكل ولا يشبع**) فيقع في الداء العضال والورطة المهلكة لغلبة الحرص، كالذي به جوع البقر وكالمريض الذي به الاستسقاء حيث ما يروى: وكل ما يشرب يزيد عطشاً وانتفاخاً. (**ويكون**) أي المال (**شهيداً عليه يوم القيامة**) أي حجة عليه يوم يشهد على حرصه وإسرافه وإنه أنفقه فيما لا يرضاه الله [تعالى] ولم يؤد حقه من مال الله لعباد الله. قال الغزالي [رحمه الله]: مثال المال مثال الحية التي فيها ترياق نافع وسم ناقع، فإن أصابها المعزم الذي يعرف وجه الاحتراز عن شرها وطريق استخراج ترياقها كانت نعمة، وإن أصابها السوادي الغبي

---

(١) في المخطوطة «رفع».

(٢) في المخطوطة زيادة بعد كلمة المال: «جنسه أو نوع خاص منه من مال بيت المال ونحوه ناعم مستحسن لوناً وطعماً، مشتهى الأنفس أكثر الأنام».

(٣) في المخطوطة «المشتهية الأنعام».

متفق عليه.

٥١٦٣ ـ (٩) وعن عمرو بن عوفٍ، قال: قال رسول الله ﷺ: «فوالله لا الفقرَ أخشى عليكم، ولكن أخْشَى عليكم أن تبسط عليكم الدنيا كما بُسطت على من كان قبلكم، فتنافسوها كما تنافسوها، وتهلككم كما أهْلَكَتْهُمْ». متفق عليه.

فهي عليه بلاء مهلك. وتوضيحه ما قاله الخواجة عبيد الله النقشبندي [رحمه الله]: أن الدنيا كالحية فكل من يعرف رقيتها يجوز له أخذها وإلا فلا. فقيل: وما رقيتها. فقال: أن يعرف من أين يأخذها وفي أين يصرفها. (متفق عليه).

٥١٦٣ ـ (**وعن عمرو بن عوف قال: قال رسول الله ﷺ: فوالله لا الفقر**) بالنصب مفعول مقدم للاهتمام على عامله. وهو قوله: (**أخشى عليكم**) والمعنى: ما أخشى عليكم الفقر لأن الغالب عليه السلامة وأنه أنفع لكم، ولذا قيل: إن من العصمة أن لا تقدر وإن كان كاد الفقر أن يكون كفراً. (**ولكن أخشى عليكم أن تبسط**) أي توسع (**عليكم الدنيا**) أي فتعملوا معاملة الأغنياء الأغبياء فتهلكوا بأنواع البلاء (**كما بسطت على من كان قبلكم**) أي فهلكوا بسبب عدم ترحمهم على الفقراء لأجل كمال الميل إلى المال (**فتنافسوها**) بحذف إحدى التاءين عطف على تبسط من نافست في الشيء، أي رغبت فيه. وبحقيقة أن المنافسة والتنافس ميل النفس إلى الشيء النفيس، ولذا قال تعالى: ﴿**وفي ذلك فليتنافس المتنافسون**﴾. والمعنى: فتختاروها أنتم وترغبوا فيها غاية الرغبة (**كما تنافسوها**) بصيغة الماضي، أي كما رغب فيها من قبلكم (**وتهلككم**) أي الدنيا (**كما أهلكتهم**) قال الطيبي [رحمه الله]: فإن قلت: ما الفائدة في تقديم المفعول في القرينة الأولى دون الثانية، قلت: فائدته الاهتمام بشأن الفقر لأن الأب المشفق إذا احتضر إنما يكون اهتمامه بشأنه الولد وضياعه وإعدامه المال، كأنه ﷺ يقول: حالي معكم خلاف حال الوالد، فإني لا أخشى الفقر كما يخشاه الوالد ولكن خوفي من الغنى الذي هو مطلوب الوالد للولد. ثم التعريف في الفقر إما أن يكون للعهد فهو الفقر الذي كانت الصحابة عليه من الإعدام والقلة، والبسط [هو ما بسط] الله عليهم من فتح البلاد. وإما للجنس وهو الفقر الذي يعرفه كل أحد كما هو، والبسط الذي يعرفه كل أحد؛ ونظيره ما فسر به قوله تعالى: ﴿**فإن مع العسر يسراً إن مع العسر يسراً**﴾ [الشرح ـ ٥ ـ ٦]. اهـ. والظاهر أن المراد بالفقر ما لم يكن عنده جميع ما يحتاج إليه من ضروريات الدين والبدن، وبالغنى الزيادة على مقدار الكفاية الموجبة للطغيان وشغل الإنسان عن عبادة الرحمٰن. فالمعنى كما قال الطيبي [رحمه الله]: ترغبون فيها فتشتغلون بجمعها وتحرصون على إمساكها فتطغون بها فتهلكون بها. قال تعالى: ﴿**كلا إن الإنسان ليطغى إن رآه استغنى**﴾. ويحتمل أن يكون هلاكهم من أجل أن

الحديث رقم ٥١٦٣: أخرجه البخاري في صحيحه ٧/ ٣١٩. حديث رقم ٤٠١٥. ومسلم في صحيحه ٤/ ٢٢٧٣ حديث رقم ٦/ ٢٩٦١. والترمذي في السنن ٢٤٦٢. وأخرجه ابن ماجه ٢/ ١٣٢٤ حديث رقم ٣٩٩٧.

٥١٦٤ ـ (١٠) وعن أبي هريرة، أنّ رسولَ الله ﷺ قال: «اللهمَّ اجعل رزق آلِ محمدٍ قوتاً» وفي روايةٍ: «كفافاً».

المال مرغوب فيه فيطمع الناس ويتوقعون منه فمنعه منهم فتقع العداوة بينهم فيفضي ذلك إلى الهلاك. اهـ. وهذا الاحتمال بعيد عن أن يكون مراد الحديث بل محال [بلا مجال]. (متفق عليه) وروى الطبراني في الصغير عن أنس مرفوعاً قال: من أصبح حزيناً على الدنيا أصبح ساخطاً على ربه تعالى، ومن أصبح يشكو مصيبة نزلت به فإنما يشكو الله تعالى، ومن تضعضع لغني لينال مما في يديه أسخط الله تعالى، ومن أعطي القرآن فدخل النار فأبعده الله تعالى. ورواه أبو الشيخ في الثواب من حديث أبي الدرداء إلا أنه قال في آخره: ومن قعد أو جلس إلى غني فتضعضع له لدنيا تصيبه ذهب ثلثا دينه ودخل النار.

٥١٦٤ ـ (وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: اللهم اجعل رزق آل محمد) أي ذريته وأهل بيته أو أتباع محمد وأحبابه على وجه الكمال (قوتاً) أي ما يكسب قوّة[1] على الطاعة ويسد رمقاً في المعيشة. (وفي رواية: كفافاً) بفتح الكاف، وهو من القوت ما يكف الرجل من الجوع أو عن السؤال. والظاهر أن هذه الرواية تفسير للأولى وبيان أن الاكتفاء بأدنى المعيشة هو الطريق الأولى. وقد استجاب الله دعاءه في حق من شاءه ممن أراد اصطفاءه واجتباءه. ويؤيد القول الثاني وهو أن يكون المراد بالآل خواص أمته من أرباب الكمال ما ورد في دعائه عليه الصلاة والسلامُ على ما رواه ابن ماجه عن عمرو بن غيلان الثقفي، والطبراني عن معاذ بن جبل: اللهم من آمن بي وصدقني وعلم أن ما جئت به هو الحق من عندك فأقلل ماله وولده وحبب إليه لقاءك وعجل له القضاء. ومن لم يؤمن بي ولم يصدقني ولم يعلم أن ما جئت به الحق من عندك فأكثر ماله وولده وأطل عمره[2]. ولعل السبب في ذلك ما ورد عنه ﷺ: قليل يكفيك خير من كثير يطغيك. وفي رواية قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه. ونعم ما قال بعض أرباب الحال:

زيادة المرء في دنياه نقصان ... وربحه غير محض الخير خسران

هذا وفي النهاية: الكفاف هو الذي لا يفضل عن الشيء ويكون بقدر الحاجة إليه. قال الطيبي رحمه الله: هذه الرواية مفسرة للرواية الأولى لأن القوت ما يسد به الرمق. وقيل: سمي قوتاً لحصول القوّة منه، سلك ﷺ طريق الاقتصاد المحمود. فإن كثرة المال تلهي وقلته تنسي فما قلّ وكفى خير مما كثر وألهى. وفي دعاء النبي ﷺ إرشاد لأمته كل الإرشاد إلى أن الزيادة

الحديث رقم ٥١٦٤: أخرجه البخاري في صحيحه ١١/ ٢٨١. حديث رقم ٦٤٦٠. ومسلم في صحيحه ٤/ ٢٢٨١ حديث رقم (١٨ ـ ١٠٥٥). والترمذي في السنن ٤/ ٥٠١ حديث رقم ٢٣٦١. وابن ماجه في السنن ٢/ ١٣٨٧. حديث رقم ٤١٣٩. وأحمد في المسند ٢/ ٤٤٦.

(١) في المخطوطة «يكتسب قوتاً».

(٢) أخرجه ابن ماجه في السنن ٢/ ١٣٨٥ حديث رقم ٤١٣٣.

متفق عليه.

٥١٦٥ - (١١) وعن عبد الله بن عمرو، قال: قال رسول الله ﷺ: «قد أفلح من أسلم، ورزق كفافاً، وقنّعه الله بما آتاه». رواه مسلم.

٥١٦٦ - (١٢) وعن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «يقول العبد: مالي مالي.

على الكفاف لا ينبغي أن يتعب الرجل في طلبه لأنه لا خير فيه. وحكم الكفاف يختلف باختلاف الأشخاص والأحوال، فمنهم من يعتاد قلة الأكل حتى أنه يأكل في كل أسبوع مرة فكفافه وقوته تلك المرة في أسبوع، ومنهم من يعتاد الأكل في كل يوم مرة أو مرتين فكفافه ذلك أيضاً لأنه إن تركه أضره ذلك ولم يقو على الطاعة. ومنهم من يكون كثير العيال فكفافه ما يسد رمق عياله، ومنهم من يقل عياله فلا يحتاج إلى طلب الزيادة وكثرة الاشغال. فإذا قدر[١] الكفاية[٢] غير مقدر ومقداره غير معين، إلا أن المحمود ما به من القوة على الطاعة والاشتغال به على قدر الحاجة. (متفق عليه) وفي الجامع: اللهم ارزق آل محمد في الدنيا قوتاً. رواه مسلم والترمذي وابن ماجه عن أبي هريرة[٣].

٥١٦٥ - (وعن عبد الله بن عمرو) بالواو (قال: قال رسول الله ﷺ: قد أفلح) أي فاز وظفر بالمقصود (من أسلم) أي انقاد لربه المعبود (ورزق) أي من الحلال (كفافاً) أي ما كفاه في أمر دنياه وكفه عما سواه. (وقنعه الله) أي جعله قانعاً (بما آتاه) أي بما أعطاه إياه، بل جعله شاكراً لما[٤] أعطاه راضياً بكل ما قدره وقضاه. (رواه مسلم) وكذا أحمد والترمذي وابن ماجه. وفي رواية لأحمد عن أبي ذر مرفوعاً: قد أفلح من أخلص قلبه للإيمان وجعل قلبه [سليماً] ولسانه صادقاً ونفسه مطمئنة وخليقته مستقيمة [وأذنه مستمعة] وعينه ناظرة. وجاء في رواية مختصراً: قد أفلح من رزق لباً. رواه البيهقي عن قرة بن هبيرة[٥]. وقد قال تعالى: ﴿**قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون**﴾ [المؤمنون - ١ - ٢] الآيات. والله [تعالى] أعلم بحقيقة النيات.

٥١٦٦ - (وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: يقول العبد:) أي مع أن العبد وما في يده لمولاه ولا ينبغي له أن ينسب إلى نفسه شيئاً، كما قاله الصوفية الصفية. (مالي مالي.)

---

(١) في المخطوطة «فإذن». (٢) في المخطوطة «الكفاف».

(٣) الجامع الصغير ١/٨٩ حديث رقم ١٤٤٩ وفيه: «اللهم اجعل رزق آل محمد في الدنيا قوتاً».

الحديث رقم ٥١٦٥: أخرجه مسلم في صحيحه ٢/٧٣٠ حديث رقم (١٢٥ - ١٠٥٤) والترمذي في السنن ٤/٤٩٧ حديث رقم ٢٣٤٨. وابن ماجه في السنن ٢/١٣٨٦ حديث رقم ٤١٣٨ وأحمد في المسند ٢/١٦٨.

(٤) في المخطوطة «ما». (٥) البيهقي في شعب الإيمان حديث رقم ٤٦٥٥.

الحديث رقم ٥١٦٦: أخرجه مسلم في صحيحه ٤/٢٢٧٣ حديث رقم (٤ - ٢٩٥٩). والترمذي في السنن ٤/٤٩٤ حديث رقم ٢٣٤٢. والنسائي في السنن ٦/٢٣٨ حديث رقم ٣٦١٣ وأحمد في المسند ٢/٣٦٨.

وإنَّ ما له من ماله ثلاثٌ: ما أكل فأفنى، أو لبس فأبلى، أو أعطى فاقتنى. وما سوى ذلك فهو ذاهبٌ وتاركهُ للناس». رواه مسلم.

٥١٦٧ ـ (١٣) وعن أنس، قال: قال رسول الله ﷺ: «يتبعُ الميِّتَ ثلاثةٌ: فيرجع اثنان، ويبقى معه واحد، يتبعه أهله ومالهُ وعملُه، فيرجعُ أهلُه ومالهُ، ويبقى عمله». متفق عليه.

٥١٦٨ ـ (١٤) وعن عبد الله بن مسعود، قال: قال رسول الله ﷺ: «أيُّكم مالُ وارثِهِ أحبُّ إليه

أي مالي كذا مالي كذا. والمعنى يعده افتخاراً أو يذكره احتقاراً، أو لم يعرف المقصود من المال ولا ما يترتب عليه في المآل من الوبال. (وإن ما له من ماله ثلاث) ما الأولى موصولة وله صلته، ومن ماله متعلق بالصلة وثلاث خبر. وإنما أنثه على تأويل المنافع ذكره الطيبي [رحمه الله]. والمعنى أن الذي يحصل له من ماله ثلاث منافع في الجملة، لكن منفعة واحدة منها حقيقة باقية والباقي منها صورية فانية. (ما أكل) أي ما استعمل من جنس المأكولات والمشروبات، بغية تغليب أو اكتفاء. (فأفنى) أي فأعدمها (أو لبس) أي من الثياب (فأبلى) أي فأخلقها (أو أعطى) أي لله تعالى (فاقتنى) أي جعله قنية وذخير للعقبى (وما سوى ذلك) أي وما عدا ما ذكر من سائر أنواع المال من المواشي والعقار والخدم والنقود والجواهر ونحو ذلك (فهو) أي العبد (ذاهب) أي عنه (وتاركه للناس) أي من الورثة أو غيرهم بلا فائدة راجعة إليه، مع أن مطالبة المحاسبة والمعاقبة عليه (رواه مسلم).

٥١٦٧ ـ (وعن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: يتبع الميت) أي إلى قبره (ثلاثة) أي من أنواع الأشياء (فيرجع اثنان) أي إلى مكانهما ويتركانه وحده (ويبقى معه واحد) أي لا ينفك عنه (يتبعه أهله) أي أولاده وأقاربه وأهل صحبته ومعرفته (وماله) كالعبيد والإماء والدابة والخيمة ونحوها. قال المظهر: أراد بعض ماله وهو مماليكه. وقال الطيبي [رحمه الله]: اتباع الأهل على الحقيقة واتباع المال على الاتساع، فإن المال حينئذ له نوع تعلق بالميت من التجهيز والتكفين ومؤونة الغسل والحمل والدفن، فإذا دفن انقطع تعلقه بالكلية. (وعمله) أي من الصلاح وغيره (فيرجع أهله وماله) أي كما تشاهد حاله ومآله[1] (ويبقى) أي معه (عمله) أي ما يترتب عليه من ثواب وعقاب. ولذا قيل: القبر صندوق العمل. وفي الحديث: القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النيران. (متفق عليه).

٥١٦٨ ـ (وعن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: أيكم مال وارثه أحب إليه

الحديث رقم ٥١٦٧: أخرجه البخاري في صحيحه ١١/ ٣٦٢. حديث رقم ٦٥١٤. وأخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ٢٢٧٣ حديث رقم ٥/ ٢٩٦٠. والنسائي في السنن ٦/ ٥٣ حديث ١٩٣٧ والترمذي في السنن ٤/ ٥٠٩ حديث رقم ٢٣٧٩. وأحمد في المسند ٣/ ١١٠.

(١) في المخطوطة «ماله وماله».

الحديث رقم ٥١٦٨: أخرجه البخاري في صحيحه ١١/ ٢٦٠. حديث رقم ٦٤٤٢. وأحمد في المسند ١/ ٣٨٢.

من ماله؟» قالوا: يا رسول الله! ما منّا أحدٌ إلا مالهُ أحبُّ إليه من مال وارثه. قال: «فإن ماله ما قدّم، ومالَ وارثِه ما أخّر». رواه البخاري.

٥١٦٩ ـ (١٥) وعن مُطرِّف، عن أبيه قال: أتيتُ النبيَّ ﷺ وهو يقرأ: ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ﴾ قال: «يقول ابنُ آدم: مالي مالي». قال: «وهل لك يا ابن آدم إلا ما أكلت فأفنيت، أو لبست فأبليت، أو تصدّقت فأمضيت؟». رواه مسلم.

٥١٧٠ ـ (١٦) وعن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «ليس الغنى عن كثرة العرَض، ولكنَّ

من ماله) أي من مال نفسه **(قالوا: يا رسول الله ما منا أحد إلا ماله أحب إليه من مال وارثه. قال: فإن ماله)** أي حقيقة **(ما قدم)** أي ما قدمه على موته بإرساله إلى الدار الآخرة فإنه النافع الباقي له فيها. قال تعالى: ﴿**وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله**﴾ [البقرة ـ ١١٠]. **(ومال وارثه ما أخر)** أي ما خلفه لهم حيث يفعلون فيه ما قدره الله عليهم من الخير والشر. قال تعالى: ﴿**علمت نفس ما قدمت وأخرت**﴾ [الانفطار ـ ٥]. **(رواه البخاري)**.

٥١٦٩ ـ **(وعن مطرف)** بضم الميم وكسر الراء المشددة **(عن أبيه)** أي عبد الله بن الشخير، بكسر فتشديد ومر ذكره. **(قال: أتيت النبي ﷺ وهو يقرأ: ﴿ألهاكم التكاثر﴾)**[1] أي أشغلكم [طلب] كثرة المال **(قال: يقول ابن آدم)** أي لكونه ظلوماً جهولاً في حمل الأمانة المانعة عن الخيانة: **(مالي مالي)** أي يغتر بنسبة المال تارة ويفتخر به أخرى. **(قال:)** أعيد للتأكيد ودفعاً لتوهم أن يكون من قول الراوي. **(وهل لك)** أي وهل يحصل لك من المال وينفعك في المآل **(يا ابن آدم إلا ما أكلت فأفنيت أو لبست فأبليت أو تصدقت فأمضيت)** أي فأمضيته من الإفناء والإبلاء وأبقيته لنفسك يوم الجزاء. قال تعالى: ﴿**ما عندكم ينفد وما عند الله باق**﴾ [النحل ـ ٩٦]. وقال عزّ وجلّ: ﴿**من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له وله أجر كريم**﴾ [البقرة ـ ٢٤٥]. **(رواه مسلم)**.

٥١٧٠ ـ **(وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: ليس الغنى)** أي المعتبر عند أرباب الحقيقة غنى صادراً **(عن كثرة العرض)** وهو غنى اليد من الأمور العارضة والأحوال الحادثة. وهو بفتح العين والراء، متاع الدنيا وحطامها على ما في النهاية. وقال شارح: العرض بالتحريك يتناول النقود وغيرها من الأموال، وبالسكون لا يتناول النقود. وقال الطيبي [رحمه الله]: وعن هذه مثلها في قوله تعالى: ﴿**فأزلهما الشيطان عنها**﴾ [البقرة ـ ٣٦]. الكشاف: أي فحملهما الشيطان على الزلة بسببها وتحقيقه فأصدر الشيطان زلتهما عنه. **(ولكن)** بتشديد

الحديث رقم ٥١٦٩: مسلم في صحيحه ٤/ ٢٢٧٣ حديث رقم (٣ ـ ٢٩٥٨). وأحمد في المسند ٤/ ٢٤.

(١) سورة التكاثر آية رقم ١.

الحديث رقم ٥١٧٠: أخرجه البخاري في صحيحه ٢١/ ٢٧١. حديث رقم ٦٤٤٦. ومسلم في صحيحه ٢/ ٧٢٦ حديث رقم (١٢٠ ـ ١٠٥١) والترمذي في السنن ٤/ ٥٠٦ حديث رقم ٢٣٧٣. وابن ماجه ٢/ ١٣٨٦ حديث رقم ٤١٣٧. وأحمد في المسند ٢/ ٢٦١.

الغنى غنى النفس» متفق عليه.

الفصل الثاني

٥١٧١ ـ (١٧) عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «من يأخذُ عني هؤلاءِ الكلمات

النون ويجوز تخفيفه (الغنى) أي الغنى الحقيقي (غنى النفس) أي عن المخلوق لاستغناء القلب بإغناء الرب. والمعنى: إن الغنى الحقيقي هو قناعة النفس بما أعطاه المولى والتجنب عن الحرص في طلب الدنيا. فمن كان قلبه حريصاً على جمع المال فهو فقير في حقيقة الحال ونتيجة المآل، وإن كان له كثير من الأموال لأنه محتاج إلى طلب الزيادة بموجب طول الآمال. ومن كان له قلب قانع بالقوت وراض بعطية مالك الملك والملكوت فهو غني بقلبه مستغن عن الغير بربه سواء يكون في يده مال أو لا، إذ لا يطلب الزيادة على القوت ولا يتعب نفسه في طلب الدنيا إلى أن يموت، بل يستعين بالقليل من الدنيا لتحصيل الثواب الجميل في العقبى والثناء الجزيل من المولى، رزقنا الله المقام الأعلى. وفي الحديث: القناعة كنز لا يفنى، وفي رواية: لا ينفد[1]. وما أحسن من قال من أرباب الحال:

عزيز النفس من لزم القناعة ولم يكشف لمخلوق قناعه

قال الأشرف: المراد بغنى النفس القناعة. ويمكن أن يراد به ما يسد الحاجة. قال الشاعر:

غنى النفس ما يكفيك من سد حاجة فإن زاد شيئاً عاد ذاك الغنى فقرا

قال الطيبي [رحمه الله]: ويمكن أن يراد بغنى النفس حصول الكمالات العملية والعلمية. وأنشد أبو الطيب معناه:

ومن ينفق الساعات في جمع ماله مخافة فقر فالذي فعل الفقر

يعني ينبغي أن ينفق ساعاته وأوقاته في الغنى الحقيقي، وهو طلب الكمالات ليزيد غنى بعد غنى لا في المال لأنه فقر بعد فقر. اهـ. وقد قال بعض أرباب الكمال:

رضينا قسمة الجبار فينا لنا علم وللأعداء مال

فإن المال يفنى عن قريب وإن العلم يبقى لا يزال

ومن المعلوم أن المال إرث فرعون وقارون وسائر الكفار والفجار، وأن العلم إرث الأنبياء والأولياء والعلماء الأبرار. (متفق عليه) رواه أحمد والترمذي وابن ماجه.

(الفصل الثاني)

٥١٧١ ـ (عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: من يأخذ عني هؤلاء الكلمات) أي

---

(١) القضاعي كذا ذكره السيوطي في الجامع الصغير ٢/ ٣٨٥ حديث رقم ٦١٩٣.

الحديث رقم ٥١٧١: أخرجه الترمذي ٤/ ٤٧٨ حديث رقم ٢٣٠٥. وابن ماجه في السنن ٢/ ١٤١٠ حديث رقم ٤٢١٧. وأحمد في المسند ٢/ ٣١٠.

فيعمل بهنَّ أو يُعلِمُ من يعمل بهنّ؟» قلت: أنا يا رسول الله! فأخذ بيدي فعَدَّ خمساً، فقال: «اتَّقِ المحارم تكن أعبد الناس، وأرض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس، وأحسن إلى جارك تكنْ مؤمناً، وأحِبَّ للناسِ ما تُحبُّ لنفسك تكن مسلماً، ولا تكثر الضحك، فإنَّ كثرة

الأحكام الآتية للسامع المصوّرة في ذهن المتكلم. ومن للاستفهام. (**فيعمل بهن أو يعلم من يعمل بهن**) أو بمعنى الواو كما في قوله تعالى: ﴿عذراً أو نذراً﴾ [المرسلات ـ ٦]. ذكره الطيبي [رحمه الله] وتبعه غيره. والظاهر أن أو في الآية للتنويع كما أشار إليه البيضاوي بقوله: عذراً للمحققين أو نذر للمبطلين. ويمكن أن تكون أو في الحديث بمعنى بل، إشارة إلى الترقي من مرتبة الكمال إلى منصة التكميل على أن كونها للتنويع له وجه وجيه وتنبيه نبيه على أن العاجز عن فعله قد يكون باعثاً لغيره على مثله كقوله: فرب حامل فقه إلى من هو أفقه منه. (**قلت: أنا**) أي آخذها عنك (**يا رسول الله**) وهذه مبايعة خاصة ومعاهدة خالصة [و] نظيره ما عاهد بعض أصحابه بأنه لا يسأل مخلوقاً، أو كان إذا وقع سوطه من يده وهو راكب نزل وأخذه من غير أن يستعين بأحد من أصحابه. (**فأخذ بيدي**) أي تحقيقاً للقضية وتقريباً للخصوصية (**فعد خمساً**) أي من الخصائل أو من الأصابع على ما هو المتعارف، واحدة بعد واحدة. (**فقال: اتق المحارم**) وهي شاملة لجميع المحرمات من فعل المنهيات وترك المأمورات (**تكن أعبد الناس**) إذ لا عبادة أفضل من الخروج عن عهدة الفرائض. وعوام الناس يتركونها ويعتنون بكثرة النوافل فيضيعون الأصول ويقومون بالفضائل. فربما يكون على شخص قضاء صلوات ويغفل عن أدائها ويطلب علماً أو يجتهد عملاً في طواف وعبادات نفل، أو يكون على أحد من الزكاة أو حقوق الناس فيطعم الفقراء أو يبني المساجد والمدارس ونحوها. ولعل التعبير بالإتقاء اعتناء لجانب الاحتماء على قاعدة الحكماء في معالجة الداء بالدواء. (**وارض بما قسم الله لك**) أي سواء يقع لك بواسطة مخلوق أو بغيرها (**تكن أغنى الناس**) سأل شخص السيد أبا الحسن الشاذلي [رحمة الله] عن الكيمياء فقال: هي كلمتان، اطرح الخلق عن نظرك واقطع طمعك عن الله أن يعطيك غير ما قسم لك. وقال السيد عبد القادر الجيلي [عليه رحمة الباري]: اعلم أن القسم لا يفوتك بترك الطلب وما ليس يقسم لا تناله بحرصك في الطلب والجد والاجتهاد، فاصبر والزم الحال وأرض به ليرضى عنك ذو الجلال. (**وأحسن إلى جارك**) أي ولو أساء إليك (**تكن مؤمناً**) أي كاملاً أو معطياً له الأمن لقوله ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى يأمن جاره بوائقه»(١). أي شروره وغوائله (**وأحب للناس**) أي عموماً (**ما تحب لنفسك**) أي مثل ما تحبه لك خاصة حتى تحب الإيمان للكافر والتوبة للفاجر ونحو ذلك. (**تكن مسلماً**) أي كاملاً. وهذا الحديث أعم من حديث: المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده. وقد استشهد الطيبي [رحمه الله] به. فالأظهر فيما اعتضده حديث: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»(٢). (**ولا تكثر الضحك**) أي تكن طيب القلب وحياً بذكر الرب (**فإن كثرة**

---

(١) البخاري في صحيحه ١٠/٤٤٣ حديث رقم ٦٠١٦.

(٢) مسلم في صحيحه ١/٦٧ حديث رقم ٤٥.

الضحك تميت القلب». رواه أحمد، والترمذي وقال: هذا حديث غريب.

٥١٧٢ ـ (١٨) وعنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ الله تعالى يقول: ابنَ آدم! تَفَرَّغْ لعبادتي أملأْ صدرك غِنًى وأسُدَّ فقرك، وإن لا تفعلْ ملأتُ يدك شغلاً ولم أسُدَّ فقرك». رواه أحمد، وابن ماجه.

الضحك) أي المورثة للغفلة عن الاستعداد للموت وما بعده من الزاد للمعاد **(تميت القلب)** أي إن كان حياً ويزيد اسوداداً إن كان ميتاً **(رواه أحمد والترمذي وقال: هذا حديث غريب)**. وفي التصحيح للجزري رواه الترمذي من حديث الحسن عن أبي هريرة، والحسن لم يسمع من أبي هريرة. قال: وروى أبو عبيدة الباجي عن الحسن هذا الحديث قوله: ولم يذكر عن أبي هريرة عن النبي ﷺ. وقال المنذري بعد نقل قول الترمذي: الحسن لم يسمع من أبي هريرة. [و] رواه البزار والبيهقي بنحوه في كتاب الزهد له عن مكحول عن واثلة، لكن بقية إسناده فيه ضعف ذكره ميرك. وفيه أن حديث الحسن اعتضد بحديث مكحول فترقى عن درجة الضعف، مع أنه معتبر في فضائل الأعمال إجماعاً.

٥١٧٢ ـ **(وعنه)** أي عن أبي هريرة **(قال: قال رسول الله ﷺ: إن الله تعالى يقول: ابن آدم)** خص بالنداء لأنه عمدة العابدين، وأضيف إلى آدم إشعاراً بأنه يتبعه في مرتبة التائبين. **(تفرغ لعبادتي)** أي بالغ في فراغ قلبك لعبادة ربك. **(أملأ صدرك غنى)** أي أحسن قلبك علوماً ومعارف تورث الغنى عن غير المولى. **(وأسد فقرك)** أي وأسد باب حاجتك إلى الناس. وهو بفتح الدال المشددة في النسخ المصححة لعطفه على المجزوم من جواب الأمر. وفي نسخة بضمها لمتابعة عينها. وقد جوّز في لم يمد الحركات الثلاث مع الإدغام. **(وإن لا تفعل)** أي ما أمرتك من الإعراض عن الدنيا والإقبال على عبادة المولى النافعة في الدنيا والأخرى **(ملأت يدك)** أي جوارحك كما يدل عليه رواية يديك[1]. وفي الجامع يديك بصيغة التثنية. وإنما خصت اليد لمزاولة أكثر الأفعال بها. **(شغلاً)** بضم فسكون، ويجوز ضمهما وفتحهما. وفتح فسكون على ما في القاموس، أي اشتغالاً من غير منفعة. **(ولم أسد فقرك)** أي لا من شغلك[2] ولا من غيره. وحاصله أنك تتعب نفسك بكثرة التردد في طلب المال ولا تنال إلا ما قدرت لك من المال في الأزل، وتحرم عن غنى القلب لترك عبادة الرب. **(رواه أحمد وابن ماجه)** وكذا الترمذي والحاكم على ما ذكر في الجامع[3]. وفي التصحيح رواه الترمذي وابن ماجه من طريق أبي خالد الوالبي واسمه هريرة[4]، ويقال: هرم عن أبي هريرة. قال ابن عدي في حديث

الحديث رقم ٥١٧٢: أخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٥٥٤ حديث رقم ٢٤٦٦ حديث رقم ٢/ ٣٥٦ وابن ماجه ٢/ ١٣٧٦ حديث رقم ٤١٠٧.

(١) في المخطوطة «يدك». (٢) في المخطوطة «بشغلك».

(٣) الجامع الصغير ١/ ١١٨ حديث رقم ١٩٢٥.

(٤) في المخطوطة «هرم».

٥١٧٣ ـ (١٩) وعن جابرٍ، قال: ذُكر رجلٌ عند رسول الله ﷺ بعبادةٍ واجتهادٍ، وذُكِرَ آخرُ بِرِعَةٍ فقال النبي ﷺ: «لا تعدِلْ بالرِّعةِ». يعني الورع. رواه الترمذيُّ.

أبي خالد لين. وقال الحافظ المنذري في الترغيب: رواه ابن ماجه والترمذي واللفظ له وقال: حديث حسن. وابن حبان في صحيحه باختصار إلا أنه قال: يديك شغلاً. والحاكم وقال: صحيح الإسناد. والبيهقي في كتاب الزهد. قال ميرك: وله شاهد من حديث معقل بن يسار قال: قال رسول الله ﷺ: يقول ربكم: يا ابن آدم تفرغ لعبادتي املأ قلبك غنى واملأ يديك رزقاً. يا ابن آدم لا تباعد عني املأ قلبك فقراً وأملأ بدنك شغلاً[1]. رواه الحاكم وقال: صحيح الإسناد. وروى ابن عساكر والديلمي في مسند الفردوس عن ابن عباس مرفوعاً: خير سليمان بين المال والملك والعلم فاختار العلم فأعطي الملك والمال لاختياره العلم[2]. وروى البيهقي عن عمران بن حصين مرفوعاً: من انقطع إلى الله عزَّ وجلَّ كفاه كل مؤونة ورزقه من حيث لا يحتسب. ومن انقطع إلى الدنيا وكله الله تعالى إليها. وروى الديلمي في مسند الفردوس عن أبي هريرة، والبيهقي عن علي مرفوعاً: آلى الله أن يرزق عبده المؤمن إلا من حيث لا يحتسب[3].

٥١٧٣ ـ (وعن جابر قال: ذكر رجل عند رسول الله ﷺ بعبادة واجتهاد) أي في طاعة مع قلة ورع عن معصية. والتنوين فيهما للتعظيم أو للتنكير (وذكر) أي عنده (آخر برعة) بكسر الراء على وزن عدة أي بورع عن حرام مع قلة عبادة. والمعنى أنه طلب منه ﷺ بيان الأفضل منهما. (فقال النبي ﷺ: لا تعدل) بصيغة الفاعل مجزوماً، وقيل بصيغة المفعول مرفوعاً. أي لا تزن ولا تقابل العبادة. (بالرعة يعني الورع) تفسيره من الراوي. والمراد بالورع التقوى عن المحرمات، فإنه قد يفضي إلى امتثال الواجبات من العبادات. قال المظهر: لا تعدل يجوز أن يكون نهي المخاطب المذكر[4] مجزوم اللام، يعني لا تقابل شيئاً بالرعة وهي بكسر الراء وتخفيف العين الورع، فإن الورع أفضل من كل خصلة. ويجوز أن يكون خبراً منفياً بضم التاء وفتح الدال، أي لا تقابل خصلة بالورع فإنه أفضل الخصال. قال الراغب: الورع في عرف الشرع عبارة عن ترك التسرع إلى تناول أعراض الدنيا، وذلك ثلاثة أضرب: واجب، وهو الإحجام عن المحارم وذلك للناس كافة. وندب، وهو الوقوف عند الشبهات وذلك للأوسط. وفضيلة، وهو الكف عن كثير من المباحات والاقتصار[5] على أقل الضرورات، وذلك للنبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين. (رواه الترمذي). قال الطيبي رحمه الله: وقد ألحق في بعض

---

(١) الحاكم في المستدرك ٤/ ٣٢٦.

(٢) مسند الفردوس ٢/ ١٩٢ حديث رقم ٢٩٥٧.

(٣) مسند الفردوس ١/ ٤٢١ حديث رقم ١٧١٤.

الحديث رقم ٥١٧٣: أخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٥٧٧ حديث رقم ٢٥١٩.

(٤) في المخطوطة الجملة بهذا اللفظ: «نهي عن المخاطب المذكور».

(٥) في المخطوطة «الاقتصاد».

٥١٧٤ ـ (٢٠) وعن عمرو بن ميمون الأودي، قال: قال رسول الله ﷺ لرجلٍ وهو يعظه: «اغتنمْ خمساً قبل خمسٍ: شبابَك قبل هَرَمِك، وصحَّتك قبل سَقَمِك، وغِناك قبل فقرِك، وفراغَك قبل شغلِك، وحياتَك قبل موتِك». رواه الترمذي مرسلاً.

٥١٧٥ ـ (٢١) وعن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «ما ينتظرُ أحدُكم

نسخ المصابيح بعد قوله: لا تعدل بالرعة، قوله: شيئاً. وليس في جامع الترمذي وأكثر نسخ المصابيح منه أثر. قلت: وفي الجامع ضبط لا يعدل بصيغة المذكر المجهول، على أن الجار والمجرور نائب الفاعل وهو ظاهر جداً حيث لا يحتاج إلى تقدير شيء مطلقاً.

٥١٧٤ ـ (**وعن عمرو بن ميمون الأودي**) بفتح فسكون فمهملة، نسبة إلى أود بن صعب ذكره السيوطي [رحمه الله]. وقال المؤلف: أدرك الجاهلية وأسلم في حياة النبي ﷺ ولم يلقه. وهو معدود في كبار التابعين من أهل الكوفة. روي عن عمر بن الخطاب ومعاذ بن جبل وابن مسعود: (**قال: قال رسول الله ﷺ لرجل وهو يعظه:**) حال (**اغتنم**) من الاغتنام، وهو أخذ الغنيمة. (**خمساً**) أي من الأحوال الموجودة في الحال. (**قبل خمس**) أي من العوارض المتوقعة في الاستقبال. (**شبابك**) أي زمان قوّتك على العبادة (**قبل هرمك**) بفتحتين أي قبل كبرك وضعفك عن الطاعة (**وصحتك**) أي ولو في هرمك (**قبل سقمك**) بفتحتين وبضم فسكون، أي مرضك. (**وغناك**) أي قدرتك على العبادات المالية والخيرات والمبرات الأخروية في مطلق الأحوال ومن أعم الأموال. (**قبل فقرك**) أي فقدك إياه بالحياة أو الممات، فإن المال في صدد الزوال. (**وفراغك قبل شغلك**) سبق بيان مبناه ومعناه (**وحياتك**) ولو في الكبر المقرون بالمرض والفقر الممكن فيه الإتيان بذكر الله (**قبل موتك**) أي وقت إتيان أجلك وانقطاع عملك. (**رواه الترمذي مرسلاً**) قال الجزري [رحمه الله] في التصحيح: حديث عمرو بن ميمون رواه النسائي هكذا مرسلاً، وعمرو بن ميمون تابعي كبير من المخضرمين أدرك الجاهلية وأسلم في حياة النبي ﷺ ولم يلقه. قال ميرك: وله شاهد مرفوع من حديث ابن عباس. الحديث بهذا اللفظ أخرجه الحاكم[١] وقال: صحيح على شرطهما. قلت: وفي الجامع بلفظ: اغتنم خمساً قبل خمس حياتك قبل موتك وصحتك قبل سقمك وفراغك قبل شغلك وشبابك قبل هرمك وغناك قبل فقرك. رواه الحاكم والبيهقي عن ابن عباس مرفوعاً. ورواه أحمد في الزهد وأبو نعيم في الحلية، والبيهقي عن عمرو بن ميمون مرسلاً[٢].

٥١٧٥ ـ (**وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: ما ينتظر أحدكم**) خرج مخرج التوبيخ على تقصير المكلفين في أمر دينهم، أي متى تعبدون ربكم فإنكم إن لم تعبدوه مع قلة الشواغل

الحديث رقم ٥١٧٤: أخرجه البغوي في شرح السنة ١٤/ ٢٢٤ حديث رقم ٤٠٢١.

(١) الحاكم في المستدرك ٤/ ٣٠٦. (٢) الجامع الصغير ١/ ٧٧ حديث رقم ١٢١٠.

الحديث رقم ٥١٧٥: أخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٤٧٨ حديث رقم ٢٣٠٦.

إلا غنى مُطْغياً، أو فقراً مُنسياً، أو مرضاً مفسداً، أو هرماً مفنِداً، أو موتاً مُجهزاً، أو الدجالَ، فالدجالُ شرُّ غائبٍ ينتظر، أو السَّاعةَ، والساعةُ أدهى وأمرُّ»

وقوة البدن فكيف تعبدونه مع كثرة الشواغل وضعفت القوى، لعل أحدكم ما ينتظر. (إلا غنى مطغياً) أي جاعلك طاغياً عاصياً مجاوزاً للحد (أو فقراً منسياً) من باب الافعال. ويجوز أن يكون من باب التفعيل، ولكن الأول أولى لمشاكلة الأولى، أي جاعلاً صاحبه مدهوشاً ينسيه الطاعة من الجوع والعري والتردد في طلب القوت. (أو مرضاً مفسداً) أي للبدن لشدته أو للدين لأجل الكسل الحاصل به (أو هرماً مفنداً) بالتخفيف، أي مبلغاً صاحبه إلى الفند وهو ضعف الرأي. يقال: أفنده إذا جعل رأيه ضعيفاً. وقال شارح يقال: فند الرجل إذا كثر كلامه من الخرف، وأفنده الكبر يعني الذي لا يدري ما يقول من غاية كبره. اهـ. والأظهر أن التفنيد للنسبة إلى الخرف ومنه قوله تعالى حكاية عن يعقوب عليه الصلاة والسلام: ﴿إني لأجد ريح يوسف لولا أن تفندون﴾ [يوسف ـ ٩٤]. قال البيضاوي [رحمه الله]: أي تنسبوني إلى الفند وهو نقصان عقل يحدث من هرم. وفي القاموس: الفند بالتحريك الخرف وإنكار العقل لهرم أو مرض، والخطأ في القول والرأي والكذب كالإفناد. وفنده تفنيداً كذبه وعجزه وخطأ رأيه كأفنده ولا تقل عجوز مفندة لأنها لم تكن ذات رأي أبداً. اهـ. وكذا قال البيضاوي [رحمه الله] معللاً: يكون نقصان عقلها ذاتي. أقول: ولا شك أن نقصان عقلها إضافي، ومع هذا لا ينافي صحة إطلاقه عليها لنقصان عرضي. [هذا] وفي النهاية: الفند في الأصل الكذب، وأفند تكلم بالفند. وفي الفائق قالوا للشيخ إذا هرم: قد أفند لأنه يتكلم بالمحرف من الكلام عن سنن الصحة، فشبه بالكاذب في تحريفه والهرم المفند من أخوات قولهم نهاره صائم جعل الفند للهرم وهو للهرم. ويقال أيضاً: أفنده الهرم. وفي كتاب العين: شيخ مفند، يعني منسوب إلى الفند، ولا يقال: امرأة مفندة لأنها لا تكون في شبيبتها ذات رأي فتفند في كبرتها. قال التوربشتي [رحمه الله]: قوله: مفند، الرواية فيه بالتخفيف ومن شدده[1] فليس بمصيب. (أو موتاً مجهزاً) بالتخفيف، أي قاتلاً بغتة من غير أن يقدر على توبة ووصية. ففي النهاية: المجهز هو السريع. يقال: أجهز على الجريح إذا أسرع قتله. قال القاضي [رحمه الله]: الموت المجهز المسرع، يريد به الفجاءة ونحوها مما لم يكن بسبب مرض أو كبر سن، كقتل وغرق وهدم. (أو الدجال فالدجال) وفي نسخة والدجال (شر غائب ينتظر) أي أسواه (أو الساعة) أي القيامة (والساعة أدهى) أي أشد الدواهي وأفظعها واصعبها (وأمر) أي أكثر مرارة من جميع ما يكابده الإنسان في الدنيا من الشدائد لمن غفل عن أمرها ولم يعد لها قبل حلولها. قال الطيبي [رحمه الله]: الفاء في قوله: فالدجال، تفسيرية لأنه فسر ما أبهم مما سبق، والواو في والساعة نائبة مناب الفاء الملابسة للعطف. قلت: الظاهر أن الواو للحال والله [تعالى] أعلمُ وحاصل مجمل الحديث أنه استبطاء لمن تفرغ لأمر وهو لا يغتنم

---

(١) في المخطوطة «شدده».

رواه الترمذي، والنسائي.

٥١٧٦ ـ (٢٢) وعنه، أنّ رسول الله ﷺ قال: «ألا إنّ الدنيا ملعونة، ملعونٌ ما فيها، إلا ذكرَ الله وما والاه، وعالم أو متعلم».

الفرصة فيه، فالمعنى أن الرجل في الدنيا ينتظر إحدى الحالات المذكورة[1]، فالسعيد من انتهز الفرصة واغتنم المكنة واشتغل بأداء مفترضه ومسنونه قبل حلول رمسه. وهذه موعظة بليغة وتذكرة بالغة. **(رواه الترمذي والنسائي)**.

٥١٧٦ ـ **(وعنه)** أي عن أبي هريرة **(أن رسول الله ﷺ قال: ألا)** للتنبيه **(إن الدنيا ملعونة)** أي مبعودة من الله لكونها مبعدة[2] عن الله **(ملعون ما فيها)** أي مما يشغل عن الله **(إلا ذكر الله)** بالرفع، وفي نسخة بالنصب وهو استثناء منقطع. **(وما والاه)** أي أحبه الله من أعمال البر وأفعال القرب. أو معناه ما والى ذكر الله، أي قاربه من ذكر خير أو تابعه من اتباع أمره ونهيه، لأن ذكره يوجب ذلك. قال المظهر: أي ما يحبه الله في الدنيا. والموالاة المحبة بين اثنين، وقد تكون من واحد وهو المراد هنا. يعني: ملعون ما في الدنيا إلا ذكر الله وما أحبه الله مما يجري في الدنيا، وما سواه ملعون. وقال الأشرف: هو من الموالاة وهي المتابعة. ويجوز أن يراد بما يوالي ذكر الله تعالى طاعته واتباع أمره واجتناب نهيه. **(وعالم أو متعلم)** أو بمعنى الواو أو للتنويع، فيكون الواوان بمعنى أو. قال الأشرف: قوله: وعالم أو متعلم في أكثر النسخ مرفوع، واللغة العربية تقتضي أن يكون عطفاً على ذكر الله فإنه منصوب مستثنى من الموجب. قال الطيبي [رحمه الله]: هو في جامع الترمذي هكذا، وما والاه وعالم أو متعلم بالرفع، وكذا في جامع الأصول إلا أن بدل أو فيه الواو. وفي سنن ابن ماجه: أو عالماً أو متعلماً، بالنصب مع أو مكرراً. والنصب في القرائن الثلاث هو الظاهر، والرفع فيها على التأويل، كأنه قيل: الدنيا مذمومة لا يحمد ما فيها إلا ذكر الله وعالم ومتعلم. قال في مختصر الإحياء: الدنيا أدنى المنزلتين، ولذلك سميت دنيا وهي معبرة إلى الآخرة، والمهد هو الميل الأول واللحد هو الميل الثاني[3] وبينهما مسافة هي القنطرة، وهي عبارة عن أعيان موجودة للإنسان فيها حظ وله في إصلاحها شغل. ويعني بالأعيان: الأرض وما عليها من النبات والحيوان والمعادن، ويعني بالحظ: حبها فيندرج فيها جميع المهلكات الباطنة كالرياء والحقد وغيرهما. ونعني بقولنا: له في إصلاحها شغل أنه يصلحها بحظ له أو لغيره دنيوي أو أخروي فيندرج فيه الحرف والصناعات. وإذا عرفت حقيقة الدنيا فدنياك ما لك فيه لذة في العاجل وهي مذمومة فليست وسائل العبادات من الدنيا كأكل الخبز مثلاً للتقوى عليها. وإليه الإشارة بقوله: الدنيا مزرعة

---

(١) في المخطوطة «المشهورة».

الحديث رقم ٥١٧٦: أخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٤٨٥ حديث رقم ٢٣٢٢. وابن ماجه في السنن ٢/ ١٣٧٧ حديث رقم ٤١١٢.

(٢) في المخطوطة «مبعودة». (٣) في المخطوطة أبدل كلمتي «الميل» «اليوم».

رواه الترمذي، وابن ماجه.

٥١٧٧ - (٢٣) وعن سهل بن سعد، قال: قال

الآخرة. وبقوله ﷺ: الدنيا ملعونة وملعون ما فيها إلا ما كان لله منها. وقال ابن عباس [رضي الله تعالى عنهما]: إن الله تعالى جعل الدنيا ثلاثة أجزاء، جزء للمؤمن وجزء للمنافق وجزء للكافر. فالمؤمن يتزوّد والمنافق يتزين والكافر يتمتع. قال الطيبي [رحمه الله]: وكان من حق الظاهر أن يكتفي بقوله: وما والاه لاحتوائه على جميع الخيرات والفاضلات ومستحسنات الشرع. ثم بيّنه في المرتبة الثانية بقوله: والعلم. تخصيصاً بعد التعميم دلالة على فضله، فعدل إلى قوله: وعالم ومتعلم. تفخيماً لشأنهما صريحاً بخلاف ذلك التركيب، فإن دلالته عليه بالالتزام، وليؤذن أن جميع الناس سوى العالم والمتعلم همج ولينبه على أن المعني بالعالم والمتعلم العلماء بالله الجامعون بين العلم والعمل، فيخرج منها الجهلاء والعالم الذي لم يعمل بعلمه ومن تعلم علم الفضول وما لا يتعلق بالدين. وفي الحديث: [إن] ذكر الله رأس كل عبادة و [رأس كل سعادة]. بل هو كالحياة للأبدان والروح للإنسان، وهل للإنسان عن الحياة غنى وهل له عن الروح معدل، وإن شئت قلت به بقاء الدنيا وقيام السموات والأرض. روينا عن مسلم: قال ﷺ: لا تقوم الساعة على أحد يقول: الله الله[1]. فالحديث إذاً من بدائع الحكم وجوامع الكلم التي خص بها هذا النبي المكرم ﷺ، لأنه دل بالمنطوق على جميع الأخلاق[2] الحميدة وبالمفهوم على رذائلها. (رواه الترمذي) أي وقال: حسن. (وابن ماجه) وكذا البيهقي، وفي الجامع نسب إليهما بدون لفظ: إلا، وبالنصب ولفظ: أو، في قوله: عالماً أو متعلماً[3]. وهذا في باب الهمزة. وأما في باب الدال فقال: الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ما كان منها لله عزّ وجلّ. رواه أبو نعيم في الحلية والضياء عن جابر[4]، وأيضاً: الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكر الله وما والاه وعالماً أو متعلماً[5]. رواه ابن ماجه عن أبي هريرة، والطبراني في الأوسط عن أبي سعيد. وأيضاً: الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا أمراً بمعروف أو نهياً عن منكر أو ذكر الله. رواه البزار عن أبي مسعود[6]. وأيضاً: الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ما ابتغي به وجه الله عزّ وجلّ. رواه الطبراني عن أبي الدرداء[7].

٥١٧٧ - **(وعن سهل بن سعد)** أي الساعدي الأنصاري صحابيان جليلان. **(قال: قال**

---

(١) راجع الحديث رقم (٥٥١٦). (٢) في المخطوطة «النحلال».
(٣) الجامع الصغير ١/ ١٢١ حديث رقم ١٩٦٧.
(٤) الجامع الصغير ٢/ ٢٦٠ حديث رقم ٤٢٩٠.
(٥) ابن ماجه في السنن ٢/ ١٣٧٧ حديث رقم ٤١١٢.
(٦) الجامع الصغير ٢/ ٢٦٠ حديث رقم ٤٢٨٢.
(٧) الجامع الصغير ٢/ ٢٦٠ حديث رقم ٤٢٨٣.
الحديث رقم ٥١٧٧: أخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٤٨٥ حديث رقم ٢٣٢٠. وابن ماجه في السنن ٢/ ١٣٧٧ حديث رقم ٤١١٠.

رسولُ اللهِ ﷺ: «لو كانتِ الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة، ما سقى كافراً منها شربة». رواه أحمد، والترمذي، وابن ماجه.

٥١٧٨ ـ (٢٤) وعن ابن مسعود، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تتَّخذوا الضيعة فترغبوا في الدنيا». رواه الترمذي، والبيهقي في «شعب الإيمان».

رسول الله ﷺ: لو كانت الدنيا تعدل) بفتح التاء وكسر الدال، أي تزن وتساوي. (عند الله جناح بعوضة) أي ريشة ناموسة، وهو مثل للقلة والحقارة. والمعنى أنه لو كان لها أدنى قدر. (ما سقى كافراً منها) أي من مياه الدنيا (شربة ماء) أي يمنع[1] الكافر منها أدنى تمتع. فإن الكافر عدو الله والعدو لا يعطى شيئاً مما له قدر عند المعطي، فمن حقارتها عنده لا يعطيها لأوليائه كما أشار إليه حديث[2]: إن الله يحمي عبده المؤمن عن الدنيا كما يحمي أحدكم المريض عن الماء. وحديث: ما زويت الدنيا عن أحد إلا كانت خيرة له[3]. ومن كلام الصوفية أن من العصمة أن لا يقدر. وفي دعائه ﷺ الجامع المانع القائم في مقام الرضا القانع بما جرى عليه من القضاء: اللهم ما رزقتني مما أحب فاجعله قوّة لي فيما تحب، اللهم وما زويت عني مما أحب فاجعله فراغاً لي فيما تحب[4]. ومن دناءتها لديه أن يكثرها على الكفار والفجار، بل قال تعالى: ﴿ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمٰن لبيوتهم سقفاً من فضة﴾ [الزخرف ـ ٣٣] الآية. وقال ﷺ لعمر: أما ترضى أن يكون لهم الدنيا ولنا الآخرة. قال تعالى: ﴿وما عند الله خير للأبرار﴾ [آل عمران ـ ١٩٨]. ﴿ورزق ربك خير وأبقى﴾ [طه ـ ١٣١]. (رواه أحمد والترمذي وابن ماجه) وكذا الضياء. وقال الترمذي: حديث صحيح.

٥١٧٨ ـ (وعن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: لا تتخذوا الضيعة) وهي البستان والقرية والمزرعة. وفي النهاية: الضيعة في الأصل المرة من الضياع، وضيعة الرجل ما يكون منه معاشه كالضيعة والتجارة والزراعة وغير ذلك. (فترغبوا في الدنيا) أي فتميلوا إليها عن الأخرى. والمراد النهي عن الاشتغال بها وبأمثالها مما يكون مانعاً عن القيام بعبادة المولى وعن التوجه كما ينبغي إلى أمور العقبى. وقال الطيبي [رحمه الله]: المعنى: لا تتوغلوا في اتخاذ الضيعة فتلهوا بها عن ذكر الله، قال تعالى: ﴿رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله﴾ [النور ـ ٣٧] الآية. (رواه الترمذي والبيهقي في شعب الإيمان) وكذا أحمد والحاكم[5].

---

(١) في المخطوطة «يتمتع». (٢) أحمد في المسند. والحاكم في المستدرك.

(٣) مسند الفردوس ٤/ ٦٨ حديث رقم ٣٧٩٦.

(٤) الدارقطني.

الحديث رقم ٥١٧٨: أخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٤٨٨ حديث رقم ٢٣٢٨. وأحمد في المسند ١/ ٣٧٧. والبيهقي في شعب الإيمان ٧/ ٣٠٤ حديث رقم ١٠٣٩١.

(٥) الحاكم في المستدرك ٤/ ٣٢٢.

٥١٧٩ ـ (٢٥) وعن أبي موسى، قال: قال رسول الله ﷺ: «من أحبَّ دنياه أضرَّ بآخرته، ومن أحب آخرته أضرَّ بدنياه، فآثِرُوا ما يبقى على ما يفنى». رواه أحمد، والبيهقي في «شعب الإيمان».

٥١٨٠ ـ (٢٦) وعن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «لُعِنَ عبدُ الدينار، ولُعِنَ عبدُ الدرهم». رواه الترمذي.

٥١٧٩ ـ (وعن أبي موسى قال: قال رسول الله ﷺ: من أحب دنياه) أي حباً يغلب على حب مولاه (أضر بآخرته) الباء للتعدية وكذا في القرينة الآتية، أي نقص درجته في الآخرة لأنه يشغل ظاهره وباطنه بالدنيا فلا يكون له فراغ لأمر الأخرى ولطاعة المولى. (ومن أحب آخرته أضر بدنياه) أي لعدم توجه فكره وخاطره لأمرها لاشتغاله بأمر الآخرة ومهمها. (فآثروا) تفريع على ما قبله، أو جواب شرط مقدر. فكأنه قال: إذا عرفتم أنهما ضدان لا يجتمعان. ولذا قال ﷺ: أجوعكم في الدنيا أشبعكم في العقبى ورب كاسية في الدنيا عارية في الأخرى. وقال تعالى في حق الساعة: ﴿خافضة رافعة﴾ [الواقعة ـ ٣] فآثروا بالمد، أي فاختاروا. (ما يبقى على ما يفنى) فإن العاقل يختار الخزف الباقي على الذهب الفاني، فكيف والأمر بالعكس. ولذا قال الغزالي [رحمه الله]: أقل العلم بل أقل الإيمان بل أقل العقل أن يعرف صاحبه أن الدنيا فانية وأن الأخرى باقية. ونتيجة هذا العلم أن يعرض عن الفاني ويقبل على الباقي. وعلامة الإقبال على العقبى والإعراض عن الدنيا الاستعداد للموت قبل وقوع الميعاد وظهور المعاد. قال الطيبي [رحمه الله]: أي هما ككفتي ميزان فإذا رجحت إحدى الكفتين خفت الأخرى وبالعكس، وذلك أن محبة الدنيا سبب لاشتغاله بها والانهماك [فيها] وذلك للاشتغال عن الآخرة فيخلو عن الذكر والفكر والطاعة فيفوت الفوز بدرجاتها وثوابها، وهو عين المضرة سوى ما يقاسيه من الخوف والحزن والغم والهم والتعب في دفع الحساد وتجشم المصاعب[1] في حفظ الأموال وكسبها في البلاد. (رواه أحمد) ورواته ثقات (والبيهقي في شعب الإيمان) وكذا الحاكم في مستدركه[2]. وروى الخطيب في الجامع عن أنس مرفوعاً: خيركم من لم يترك آخرته لدنياه ولا دنياه لآخرته ولم يكن كلاً على الناس[3].

٥١٨٠ ـ (وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: لعن عبد الدينار ولعن عبد الدرهم) كذا بالعطف في الأصول المعتمدة والنسخ المصححة. ووقع في الجامع بغير الواو العاطفة والله [تعالى] أعلم ونظيره من حديث. تعس عبد الدينار. قد تقدم. (رواه الترمذي).

الحديث رقم ٥١٧٩: أخرجه أحمد في المسند ٤/ ٤١٢. والبيهقي في شعب الإيمان ٧/ ٢٨٨ حديث رقم ١٠٣٣٧.

(١) في المخطوطة «المصائب».
(٢) الحاكم في المستدرك ٤/ ٣٠٨.
(٣) ذكره السيوطي في الجامع الصغير ٢/ ٢٥٠ حديث رقم ٤١١٢.

الحديث رقم ٥١٨٠: أخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٥١٧ حديث رقم ٢٣٧٥.

٥١٨١ ـ (٢٧) وعن كعب بن مالك، عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما ذئبان جائعان أرسلا في غنم بأفسدَ لها من حرصِ المرء على المال والشرف لدينه»

٥١٨١ ـ (وعن كعب بن مالك) أنصاري خزرجي شهد العقبة الثانية. (عن أبيه) هكذا في النسخ الحاضرة جميعاً وهو سهو قلم وخطأ [قدم]، ولذا قال ميرك: صوابه عن ابن كعب بن مالك عن أبيه، أو عن كعب بن مالك بدون [عن][1] أبيه. وقال السيد جمال الدين: هكذا وقع في أكثر نسخ المشكاة التي رأيناها وكذلك وجدناه في غير واحد من نسخ المصابيح وهو سهو. والظاهر أنه كان واقعاً من كتاب المصابيح ووقع من صاحب المشكاة تقليداً. وصوابه عن ابن كعب بن مالك عن أبيه كما في أصل الترمذي. والابن المذكور هو عبد الله كما هو مصرح في جامع الأصول. (قال: قال رسول الله ﷺ: ما) نافية (ذئبان) بهمزة ساكنة ويبدل (جائعان) أتى به للمبالغة (أرسلا) أي خليا وتركا (في غنم) أي في قطيعة غنم (بأفسد) الباء زائدة، أي أكثر إفساداً. (لها) أي تلك [الغنم]. والتأنيث باعتبار الجنس أو القطعة. (من حرص المرء) المشبه بالذئبين لتعلقه بالشيئين ظاهراً وباطناً وهما قوله: (على المال) أي الكثير (والشرف) أي الجاه الوسيع. وقوله: (لدينه) متعلق بأفسد. والمعنى أن حرص المرء عليهما[2] أكثر فساداً لدينه المشبه بالغنم لضعفه بجنب حرصه من افساد الذئبين للغنم. قال الطيبي [رحمه الله تعالى]: ما بمعنى ليس، وذئبان اسمها وجائعان صفة له، وأرسلا في غنم الجملة في محل الرفع على أنها صفة بعد صفة. وقوله: بأفسد خبر لما والباء زائدة وهو أفعل تفضيل، أي بأشد إفساداً، والضمير في لها للغنم. واعتبر فيها الجنسية فلذا أنث. وقوله: من حرص المرء، هو المفضل عليه لاسم التفضيل. وقوله: على المال [والشرف] يتعلق بالحرص، والمراد [به] الجاه. وقوله: لدينه، اللام فيه بيان كما في قوله تعالى: ﴿لمن أراد أن يتم الرضاعة﴾ [البقرة ـ ٢٣٣]. كأنه قيل: بأفسد لأي شيء، قيل: لدينه. ومعناه ليس ذئبان جائعان أرسلا في جماعة من جنس الغنم، بأشد افساداً لتلك الغنم من حرص المرء على المال والجاه، فإن إفساده لدين المرء أشد من إفساد الذئبين الجائعين لجماعة من الغنم إذا أرسلا فيها. أما المال فإفساده أنه نوع من القدرة يحرك داعية الشهوات ويجر[3] إلى التنعم في المباحات فيصير التنعم مألوفاً، وربما يشتد أنسه بالمال ويعجز عن كسب الحلال فيقتحم في الشبهات مع أنها ملهية عن ذكر الله تعالى. وهذه لا ينفك عنها أحد. وأما الجاه فكفى به إفساداً أن المال يبذل للجاه ولا يبذل الجاه للمال، وهو الشرك الخفي فيخوض في المراءاة والمداهنة والنفاق وسائر الأخلاق الذميمة فهو أفسد وأفسد. اهـ. وقد قالت السادة الصوفية [رحمهم الله]: إن آخر ما يخرج من رأس الصديقين محبة الجاه، فإن الجاه وإن كان في الأمور العلمية والعملية والمشيخة والحالات الكشفية فمن حيث النظر إلى المخلوق والغفلة عن الغيرة الربوبية أو الرؤية

الحديث رقم ٥١٨١: أخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٥٠٨ حديث رقم ٢٣٧٦. وأحمد في المسند ٣/ ٤٦٠.

(١) كذا في المخطوطة والصواب مما ذكره ميرك راجع المرقاة.

(٢) في المخطوطة «عليها». (٣) في المخطوطة «يجير».

رواه الترمذي، والدارمي.

٥١٨٢ ـ (٢٨) وعن خباب، عن رسول الله ﷺ قال: «ما أنفق مؤمنٌ من نفقةٍ إلا أُجِر فيها، إلا نفقته في هذا التراب». رواه الترمذي، وابن ماجه.

٥١٨٣ ـ (٢٩) وعن أنس، قال: قال رسول الله ﷺ: «النفقة كلُّها في سبيل الله إلا البناء فلاَ خير فيه».

الإثنينية بعد ظهور أنوار الأحدية يحجب السالك عن الخلوة في الجلوة بوصف البقاء بالله والفناء عما سواه. هذا وقد روى صاحب الكشاف في ربيع الأبرار عن ابن مسعود رضي الله عنه: يكون الرجل مرائياً في حياته وبعد موته[1]. قيل: كيف ذاك. قال: يحب أن يكثر الناس في جنازته. (رواه الترمذي والدارمي) لعل لفظ الحديث للترمذي، وإلا فحق الترتيب أن يقدم الدارمي. فإنه روى عنه مسلم وأبو داود والترمذي وغيرهم. هذا وفي الجامع رواه أحمد والترمذي عن كعب بن مالك من غير ذكر عن أبيه.

٥١٨٢ ـ (وعن خباب) بفتح الخاء المعجمة وتشديد الموحدة الأولى، وهو ابن الأرت بفتحتين وتشديد الفوقية، يكنى أبا عبد الله التميمي لحقه سبي في الجاهلية فاشترته امرأة من خزاعة وأعتقته. أسلم قبل دخول النبي ﷺ دار الأرقم، وهو ممن عذب في الله على إسلامه فصبر. نزل الكوفة ومات بها سنة سبع وثلاثين وله ثلاث وسبعون سنة، روى عنه جماعة. (عن رسول الله ﷺ قال: ما أنفق مؤمن من نفقة إلا أجر) بصيغة المجهول، أي أثيب. (فيها) أي في تلك النفقة، أو إنفاقها. (إلا نفقته) بالنصب على الاستثناء من الموجب لأن النفي عاد إلى الإيجاب بالاستثناء الأول فتأمل. (في هذا التراب) أي البناء فوق الحاجة وهذا للتحقير. وقيل: التراب كناية عن البدن وما يحصل له من اللذة الزائدة على قدر الضرورة الدينية والدنيوية. قال الطيبي [رحمه الله]: نفقته منصوبة على الاستثناء من الكلام الموجب، إذ المستثنى منه مستثنى من كلام منفي فيكون موجباً. (رواه الترمذي وابن ماجه).

٥١٨٣ ـ (وعن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: النفقة كلها في سبيل الله) أي ثابت في طريق رضاه (إلا البناء) اللام للعهد، أي إلا البناء الزائد[2] على مقدار الحاجة. (فلا خير فيه) لوقوع الإسراف وإن الله لا يحب المسرفين. وأما النفقة فلا يتصوّر فيها السرف لأنها من باب الإطعام والإنعام وكل منها خير، سواء وقع لمستحق أو غيره من الأنام. والفاء في قوله: فلا

---

(١) في المخطوطة «حياة وبعد موت».

الحديث رقم ٥١٨٢: أخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٥٨٢ حديث رقم ٢٤٨٣ وابن ماجه في السنن ٢/ ١٣٩٣ وأحمد في المسند ٥/ ١١٠.

الحديث رقم ٥١٨٣: أخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٥٦١ حديث رقم ٢٤٨٢.

(٢) في المخطوطة «الزائدة».

رواه الترمذي، وقال: هذا حديث غريب.

٥١٨٤ - (٣٠) وعنه، أنَّ رسولَ الله ﷺ خرجَ يوماً ونحنُ معه، فرأى قُبَّةً مُشرِفةً، فقال: «ما هذه؟» قال أصحابُه: هذه لفلانٍ، رجلٍ منَ الأنصارِ، فسكتَ وحملَها في نفسِه، حتى [إذا][1] جاءَ صاحبُها، فسلَّمَ عليه في النَّاس، فأعرضَ عنه، صنعَ ذلكَ مراراً حتى عرفَ الرجلُ الغضبَ فيه والإعراضَ، فشكا ذلكَ إلى أصحابه وقال: واللهِ إني لأنكرُ رسول

خير فيه. تفريعية وهي ثابتة في جميع النسخ الحاضرة. وكأنه وقع في أصل الطيبي [رحمه الله] بالواو حيث قال في شرحه: قوله: ولا خير فيه. حال مؤكدة من الجملة. (رواه الترمذي وقال: هذا حديث غريب).

٥١٨٤ - (وعنه) أي عن أنس (أن رسول الله ﷺ خرج يوماً) أي وقتاً (ونحن معه) جملة حالية (فرأى قبة مشرفة) أي بناء عالياً (فقال: ما هذا) استفهام إنكار، أي ما هذه العمارة المنكرة ومن بانيها. (قال أصحابه: هذه لفلان رجل) بالجر، وفي نسخة بالرفع. (من الأنصار. فسكت وحملها) أي أضمر تلك الفعلة في نفسه غضباً على فاعلها في فعلها. ففي أساس البلاغة: حملت الحقد عليه إذا أضمرته. قال الشاعر:

ولا أحمل الحقد القديم عليهم وليس رئيس القوم من يحمل الحقدا

(حتى لما جاء صاحبها فسلم) أي صاحبها (عليه) أي على النبي عليه الصلاة والسلام. (في الناس) أي في محضر منهم أو فيما بينهم (فأعرض عنه) أي فلم يرد عليه السلام، أو رد وأعرض عن الالتفات كما هو دأبه من الملاطفة لديه ﷺ، تأديباً له وتنبيهاً لغيره. (صنع ذلك مراراً) لا يبعد أن يكون جواب لما. ويحتمل أن يكون مدخول حتى. ولما الحينية ظرف معترض بين العامل والمعمول [مسامحة. وكان الطيبي رحمه الله جعل قوله: صنع. استئناف بيان حيث قال: قوله: فأعرض. يجوز أن يكون جواب لما مع الفاء، وهو قليل: ويجوز]أن يقدر جواب لما، أي كرهه فأعرض عنه. وقوله: (حتى عرف الرجل الغضب فيه) أي عرف أن الغضب كان لأجله. (والإعراض عنه) أي بسببه (فشكا ذلك) أي ما رآه من أثر الغضب والإعراض. (إلى أصحابه) أي أصحابه الخلص، أو [إلى]أصحاب نبيه ﷺ. (وقال:) تفسير لما قبله. (والله [إني] لأنكر رسول الله ﷺ.) أي أرى منه ما لم أعهده من الغضب والكراهة ولا أعرف له سبباً. وفي نسخة إلى رسول الله، ولا يظهر لها وجه. (قالوا: خرج فرأى قبتك. فرجع الرجل إلى قبته فهدمها حتى سوّاها بالأرض) اختياراً لرضا الله تعالى[2] على نفسه وما تهواه. (فخرج رسول الله ﷺ ذات يوم فلم يرها) أي القبة (قال:) استئناف بيان (ما فعلت القبة)

الحديث رقم ٥١٨٤: أخرجه أبو داود في السنن ٥/ ٤٠٣ حديث رقم ٥٢٣٧. وأحمد في المسند ٣/ ٢٢٠.

(١) في المخطوطة «لما» وفي الحديث عند أبي داود «إذا».

(٢) في المخطوطة رسول الله ﷺ.

الله ﷺ. قالوا: خرجَ فرأى قُبَّتكَ. فرجعَ الرجلُ إلى قُبَّتِه فهدمَها حتى سوَّاها بالأرضِ فخرجَ رسولُ الله ﷺ ذاتَ يوم، فلم يرَها، قال: «ما فعلتِ القُبَّةُ؟» قالوا: شكا إلينا صاحبُها إعراضَك، فأخبرناه، فهدمَها. فقال: «أما إنَّ كلَّ بناءٍ وبالٌ عَلَى صاحبِه إلاَّ ما لا، إلاَّ ما لا» يعني ما لا بدَّ منه. رواه أبو داود.

٥١٨٥ - (٣١) وعن أبي هاشم بن عُتبةَ قال: عهِدَ إليَّ رسولُ الله ﷺ قال: «إنما يكفيكَ منْ جمعِ المالِ خادمٌ ومركبٌ في سبيلِ الله». رواه أحمد، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه.

بصيغة الفاعل، وفي نسخة على بناء المجهول. **(قالوا: شكا إلينا صاحبها إعراضك)** أي سببه **(فأخبرناه)** أي بأنه لأجل بنائك القبة **(فهدمها. فقال: أما)** بتخفيف الميم للتنبيه **(إن كل بناء)** بكسر الموحدة، وهو إما مصدر أو أريد به المبنى[1]. **(وبال على صاحبه إلا ما لا إلا ما لا)**. كرره للتأكيد **(يعني إلا ما لا بد منه)** أي [لا]فراق [عنه]. قيل: معنى الحديث أن كل بناء بناه صاحبه فهو وبال، أي عذاب في الآخرة. والوبال في الأصل الثقل والمكروه. أراد ما بناه للتفاخر والتنعم فوق الحاجة، لا أبنية الخير من المساجد والمدارس والرباطات فإنها من الآخرة. وكذا ما لا بد منه للرجل من القوت والملبس والمسكن. **(رواه أبو داود)** روى البيهقي عن أنس مرفوعاً: كل بناء وبال على صاحبه يوم القيامة إلا مسجداً[2]. وروى الطبراني عن واثلة مرفوعاً: كل بنيان وبال على صاحبه إلا ما كان هكذا، وأشار بكفه، وكل علم وبال على صاحبه يوم القيامة إلا ما عمل به.

٥١٨٥ - **(وعن أبي هاشم بن عتبة)** بضم عين فسكون فوقية فموحدة بعدها هاء. قال المؤلف: هو شيبة بن عتبة بن ربيعة القرشي، وهو خال معاوية بن أبي سفيان. أسلم يوم الفتح وسكن الشام وتوفي في خلافة عثمان وكان فاضلاً صالحاً رضي الله تعالى عنه. روى عنه أبو هريرة وغيره. **(قال: عهد إلي رسول الله ﷺ)** أي أوصاني **(قال:)** بدل من عهد، أو تفسير وبيان للعهد. واختار الطيبي [رحمه الله]الأول حيث قال: بدل منه بدل الفعل من الفعل، كما في قوله:

متى تأتنا تلمم بنا في ديارنا ... تجد حطباً جزلاً وناراً تأججا

أبدل تلمم بنا من قوله: تأتنا. **(إنما يكفيك من جمع المال)** أي للوسيلة بحسن المآل **(خادم)** أي في السفر لضرورة الحاجة إليه. **(ومركب)** أي مركوب يسار عليه **(في سبيل الله)** أي في الجهاد أو الحج أو طالب العلم. والمقصود منه القناعة والاكتفاء بقدر الكفاية مما يصح أن يكون زاداً للآخرة، كما رواه الطبراني والبيهقي عن خباب: إنما يكفي أحدكم ما كان في الدنيا مثل زاد الراكب[3]. **(رواه أحمد والترمذي والنسائي وابن ماجه)** وفي الجامع من قوله: إنما

---

(١) في المخطوطة «البناء».
(٢) البيهقي في شعب الإيمان حديث رقم ١٠٧٠٤.
الحديث رقم ٥١٨٥: أخرجه الترمذي في السنن ٤/٤٨٨. حديث رقم ٢٣٢٧. وابن ماجه في السنن ٢/١٤٣٢. حديث رقم ٤١٠٣. وأحمد في المسند ٥/٢٩٠.
(٣) ذكره السيوطي في الجامع الصغير ١/٢٦١٦. والحديث أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ١٠٤٠٠.

وفي بعض نسخ «المصابيح» عن أبي هاشم بن عُتَيدٍ، بالدالِ بدل التاءِ، وهو تصحيفٌ.

٥١٨٦ ـ (٣٢) وعن عثمانَ [بنِ عفان] رضي الله عنه، أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «ليسَ لابن آدمَ حقٌّ في سوى هذه الخصالِ: بيتٍ يسكنُه، وثوبٍ يُواري به عورتَه، وجلفِ الخبزِ والماءِ».

يكفيك الخ. نسبة إلى الثلاثة الأخيرة عن أبي هاشم بن عتبة. وللحديث تتمة قصة تأتي في الفصل الثالث. (وفي بعض نسخ المصابيح عن أبي هاشم بن عتبد) بضم فسكون فوقية ففتح موحدة (بالدال) أي المهملة. (بدل التاء) أي الفوقية الواقعة في آخر لفظ عتبة. (وهو تصحيف) إذ لم يوجد في الأسماء مع مخالفته لما سبق من الضبط الواقع في الأصول، وهنا تحريف في بعض النسخ وبعض الحواشي أيضاً فاحذر فإن الصواب ما تحرر.

٥١٨٦ ـ (وعن عثمان رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: ليس لابن آدم حق) أي حاجة (في سوى هذه الخصال) قال الطيبي [رحمه الله]: موصوف سوى محذوف، أي شيء سوى هذه. اهـ. وفي نسخة موافقة لما في الجامع، فيما سوى هذه الخصال. والمراد بها ضروريات بدنه المعين على دينه. (بيت) بالجر وروي بالرفع، وكذا فيما بعده من الخصال المبينة. (يسكنه) أي دفعاً للحر والبرد (وثوب يواري) أي يستر (به عورته) أي عن أعين الناس أو حال الصلاة لكونه شرطاً فيها. (وجلف الخبز) بكسر جيم وسكون لام ويفتح. ففي القاموس: الجلف بالكسر الغليظ اليابس من الخبز غير المأدوم، أو حرف الخبز والظرف والوعاء. وقال شارح: الجلف ظرفهما من جراب وركوة وأراد المظروف. والأظهر أنه أراد الظرف والمظروف واكتفى بذكر أحدهما عن الآخر لتلازمهما في الحاجة. (والماء) بالجر عطفاً على الجلف أو الخبز. وهو الظاهر المفهوم من كلام الشراح. وفي بعض النسخ بالرفع بناء على أنه إحدى الخصال. قال شارح: أراد بالحق ما وجب له من الله من غير تبعة في الآخرة وسؤال عنه، وإذا اكتفى بذلك من الحلال لم يسأل عنه لأنه من الحقوق التي لا بد للنفس منها، وأما ما سواه من الحظوظ يسأل عنه ويطالب بشكره. وقال القاضي [رحمه الله]: أراد بالحق ما يستحقه الإنسان لافتقاره إليه وتوقف تعيشه عليه وما هو المقصود الحقيقي من المال. وقيل: أراد به ما لم يكن له تبعة حساب إذا كان مكتسباً من وجه حلال. وفي النهاية: الجلف الخبز وحده لا أدم معه. وقيل: هو الخبز الغليظ اليابس. قال: ويروى بفتح اللام جمع جلفة وهي الكسرة من الخبز. وفي الغريبين قال شمر عن ابن الأعرابي: الجلف الظرف مثل الخرج والجوالق. قال القاضي [رحمه الله]: ذكره الظرف وأراد به المظروف، أي كسرة خبز وشربة ماء. اهـ. والمقصود غاية القناعة ونهاية الكفاية كما نقل عن ابن أدهم:

وما هي إلا جوعة قد سددتها وكل طعام بين جنبيّ واحد

الحديث رقم ٥١٨٦: أخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٤٩٤ حديث رقم ٢٣٤١. وأحمد في المسند ١/ ٦٢.

رواه الترمذي.

٥١٨٧ - (٣٣) وعن سهل بن سعد، قال: جاء رجلٌ، فقال: يا رسولَ الله! دُلّني على عمَلٍ إذا أنا عملته أحبَّني اللهُ وأحبَّني الناسُ. قال: «ازْهَد في الدنيا يُحبَّكَ اللهُ، وازْهَدْ فيما عندَ الناسِ يُحبكَ الناسُ»

وللشافعي رحمه الله تعالى:

أيا نفس يكفيك طول الحياة ... إذا ما قنعت ورب الغلق
رغيف بفودنج يابس ... وما روى ولبس خلق
وخفش تكفك جدرانه ... فماذا العنا وماذا القلق

(رواه الترمذي) وكذا الحاكم في مستدركه[١].

٥١٨٧ - (وعن سهل بن سعد قال: جاء رجل فقال: يا رسول الله دلني على عمل) أي جامع نافع [في] باب المحبة (إذا أنا) للتأكيد (عملته أحبني الله وأحبني الناس) بفتح باء المتكلم، ويسكن. (قال: ازهد في الدنيا) أي بترك حبها والإعراض عن زوائدها والإقبال على الآخرة وعوائدها (يحبك الله) أي لعدم محبتك عدوّ الله تعالى. وهو بفتح الموحدة المشددة للجزم على جواب الأمر. وقيل: مرفوع على الاستئناف. (وازهد فيما عند الناس) أي من المال والجاه (يحبك الناس) لتركك محبوبهم وعدم المزاحمة على مطلوبهم. وأنشد بعضهم:

وما الزهد إلا في انقطاع الخلائق ... وما الحق إلا في وجود الحقائق
وما الحب إلا حب من كان قلبه ... عن الخلق مشغولاً برب الخلائق

وقيل: الزهد عبارة عن عزوب النفس عن الدنيا مع القدرة عليها لأجل الآخرة خوفاً من النار أو طمعاً في الجنة أو ترفعاً عن الالتفات إلى ما سوى الحق. ولا يكون ذلك إلا بعد شرح الصدر بنور اليقين. ولا يتصوّر الزهد ممن ليس له مال ولا جاه. وقيل لابن المبارك [رحمه الله]: يا زاهد. قال: الزاهد عمر بن عبد العزيز إذ جاءته الدنيا راغمة فتركها، وأما أنا ففيم زهدت. قلت: هذا بيان كمال الزهد، وإلا فأصل الزهد هو عدم الميل إلى الشيء وهو في الحقيقة لا يحصل إلا بجذبة إلهية تصرف السالك عن الأمور الفانية وتشغله بالأحوال الباقية. وغايته أن النفس مدعية للزهد ولا يظهر صدقها من كذبها إلا عند القدرة على الدنيا ووجودها، وأما عند فقدها فالأمر دائر بين أحد الاحتمالين والله [تعالى]أعلم. وثمرته القناعة من الدنيا بقدر الضرورة من زاد الطريق، وهو مطعم يدفع الجوع وملبس يستر عورته ومسكن يصونه عن الحر والبرد وأثاث يحتاج إليه كما سبق في الحديث المتقدم. وفي المنازل ما حاصله أن الزهد إسقاط الرغبة في الشيء عنه بالكلفة وهو على ثلاث مراتب: الزهد في الشبهة[٢] بالحذر عن

---

(١) الحاكم في المستدرك ٤/ ٣٠٢.

الحديث رقم ٥١٨٧: أخرجه ابن ماجه في السنن ٢/ ١٣٧٣ حديث رقم ٤١٠٢.

(٢) في المخطوطة «الزهد لشبهة».

رواه الترمذي، وابن ماجه.

٥١٨٨ ـ (٣٤) وعن ابن مسعودٍ، أنَّ رسول الله ﷺ نامَ على حصيرٍ، فقامَ وقد

معتبة الحق عليه، ثم الزهد فيما زاد على البلاغ من القوت باغتنام التفرغ إلى عمارة الوقت بالاشتغال بالمراقبة، ثم الزهد في الزهد باستحقار ما زهدت فيه بالنسبة إلى عظمة الرب واستواء الزهد وعدمه عنده والذهاب عند اكتساب أجر بتركها ناظراً بعين الحقيقة إلى وحدانية الفاعل الحق، فيشاهد تصرف الله في العطاء والمنع والأخذ والترك. قال الطيبي [رحمه الله]: وفيه دليل على أن الزهد أعلى المقامات وأفضلها لأنه جعله سبباً لمحبة الله تعالى، وأن محب الدنيا متعرض لبغض الله سبحانه. (رواه الترمذي وابن ماجه) قال ميرك: أظن أن ذكر الترمذي وقع سهواً من نساخ الكتاب أو من صاحبه. فإن الحافظ المنذري والإمام النووي والشيخ الجزري [رحمهم الله تعالى]قالوا كلهم: رواه ابن ماجه فقط، فتأمل. قلت: ذكر النووي في أربعينه أنه حديث حسن رواه ابن ماجه وغيره. اهـ. لكن الترمذي غير مذكور في الأصول ويؤيده أنه ذكر في الجامع من قوله: ازهد في الدنيا الخ. وقال: رواه ابن ماجه والطبراني والحاكم والبيهقي عن سهل بن سعد نعم في حديث رواه الترمذي وابن ماجه عن أبي ذر مرفوعاً: الزهادة في الدنيا ليست بتحريم الحلال ولا إضاعة المال، ولكن الزهادة في الدنيا أن لا تكون بما في يديك أوثق منك بما في يد الله [تعالى]وأن تكون في ثواب المصيبة إذا أنت أصبت بها أرغب منك فيها لو أنها أبقيت لك[1]. وفي حديث رواه أحمد في الزهد والبيهقي عن طاوس مرسلاً: الزهد في الدنيا يريح القلب والبدن، والرغبة في الدنيا تطيل الهم والحزن. ورواه القضاعي عن ابن عمرو مرفوعاً ولفظه: يكثر بدل: يطيل ورواه الطبراني في الأوسط، وابن عدي والبيهقي عن أبي هريرة مرفوعاً والبيهقي عن عمر موقوفاً بلفظ: تتعب القلب والبدن[2]. وروى البيهقي عن الضحاك مرسلاً: أزهد الناس من لم ينس القبر والبلى وترك أفضل زينة الدنيا وآثر ما يبقى على ما يفنى ولم يعد غداً من أيامه وعد نفسه في الموتى[3]. وعن ابن عمر مرفوعاً: صلاح أول هذه الأمة بالزهادة واليقين، وهلاك آخرها بالبخل والأمل[4]. رواه الطبراني.

٥١٨٨ ـ (وعن ابن مسعود أن رسول الله ﷺ نام على حصير فقام) أي عن النوم (وقد

---

(١) الترمذي في السنن ٤/٤٩٣ حديث رقم ٢٣٤٠. وابن ماجه ٢/١٣٧٣ حديث رقم ٤١٠٠.

(٢) ذكره السيوطي في الجامع الصغير الأحاديث الثلاثة ٢/٢٨١ حديث رقم ٤٥٩٤ و٤٥٩٥ و٤٥٩٦. والحايتان عن طاوس وعمر أخرجهما البيهقي في شعب الإيمان ١٠٥٣٦ و١٠٦٠٩.

(٣) البيهقي في شعب الإيمان.

(٤) ذكره السيوطي في الجامع الصغير ٢/٣١٥ حديث رقم ٥١١٢ وروى البيهقي في شعب الإيمان نحوه الحديث رقم ١٠٨٤٥.

الحديث رقم ٥١٨٨: أخرجه الترمذي في السنن ٤/٥٠٨ حديث رقم ٢٣٧٧. وابن ماجه ٢/١٣٧٦ حديث رقم ٤١٠٩ وأحمد في المسند ١/٣٩١.

أثر في جسدِه، فقال ابنُ مسعود: يا رسولَ الله! لو أمرتَنا أن نبسُطَ لكَ ونعملَ. فقال: «ما لي وللدنيا؟ وما أنا والدنيا إلاّ كراكبٍ استظلَّ تحتَ شجرةٍ، ثمَّ راحَ وتركها». رواه أحمد، والترمذي، وابن ماجه.

٥١٨٩ - (٣٥) وعن أبي أُمامةَ، عن النبيِّ ﷺ، قال: «أغبَطُ أوليائي عندي لمؤمنٌ خفيفُ الحاذِ، ذو حظٍّ منَ الصَّلاةِ،

أثر) أي أثر الحصير (في جسده) أي غاية التأثير (فقال ابن مسعود: لو أمرتنا أن نبسط) بضم السين، يحتمل أن تكون لو للتمني وأن تكون للشرطية. والتقدير لو أذنت لنا أن نبسط لك فراشاً ليناً. (ونعمل) أي لك ثوباً حسناً، أي لكان أحسن من اضطجاعك[1] على هذا الحصير الخشن (فقال: ما لي وللدنيا وما أنا والدنيا) ما نافية، أي ليس لي ألفة ومحبة مع الدنيا ولا للدنيا ألفة ومحبة معي حتى أرغب إليها وأنبسط عليها وأجمع ما فيها ولذتها، أو استفهامية، أي ألفة ومحبة لي مع الدنيا أو أي شيء لي مع الميل إلى الدنيا أو ميلها إليَّ، فإني طالب الآخرة وهي ضرتها المضادة لها. هذا وقال الطيبي [رحمه الله]: قوله: ونعمل، متعلقه محذوف فيقدر من جنس الكلام السابق وهو وجود[2] التنعم في التلذذ بالأعراض الدنيوية أعم من أن يكون بساطاً، ومن ثم طابقه قوله: ما لي وللدنيا، وقوله: وما أنا والدنيا، أي ليس حالي مع الدنيا. (إلا كراكب) أي إلا كحال راكب (استظل تحت شجرة ثم راح وتركها) وهو من التشبيه التمثيلي وهو التشبيه بسرعة الرحيل وقلة المكث، ومن ثم خص الراكب. واللام في الدنيا مقحمة للتأكيد إن كان الواو بمعنى مع، وإن كان للعطف فالتقدير: ما لي مع الدنيا وما للدنيا معي. (رواه أحمد والترمذي وابن ماجه) وكذا الحاكم[3] والضياء.

٥١٨٩ - (وعن أبي أمامة عن النبي ﷺ قال: أغبط أوليائي) أفعل تفضيل بُني للمفعول لأن المغبوط به حال، أي أحسنهم حالاً وأفضلهم مآلاً. (عندي) أي في ديني ومذهبي (لمؤمن) اللام زائدة [في] خبر المبتدأ للتأكيد، أو هي للابتداء أو المبتدأ محذوف، أي لهو مؤمن (خفيف الحاذ) بتخفيف الذال المعجمة، أي خفيف الحال الذي يكون قليل المال وخفيف الظهر من العيال فيتمكن من السير في طريق الخالق بين الخلائق ولا يمنعه شيء من العلائق والعوائق. ومجمل المعنى: أحق أحبائي وأنصاري عندي بأن يغبط ويتمنى حاله مؤمن بهذه الصفة. (ذو حظ من الصلاة) أي ومع هذا هو صاحب لذات وراحة من المناجاة مع الله والمراقبة واستغراق في المشاهدة، ومنه قوله ﷺ: قرة عيني في الصلاة[4]. وارحنا بها يا

---

(١) في المخطوطة «اضجاعك». (٢) في المخطوطة «وجوه».

(٣) الحاكم في المستدرك ٤/ ٣١٠.

الحديث رقم ٥١٨٩: أخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٤٩٦. وابن ماجه ٢/ ١٣٧٨ حديث رقم ٢٣٤٧. وأحمد في المسند ٥/ ٢٥٢.

(٤) النسائي في السنن ٧/ ٦١ حديث رقم ٣٩٣٩.

أحسنَ عبادة ربّه، وأطاعَه في السرّ، وكانَ غامضاً في النّاسِ، لا يشارُ إليه بالأصابعِ، وكانَ رزقُه كفافاً، فصبرَ على ذلكَ» ثم نَقَدَ بيدِه فقال: «عُجِّلتْ منيّتُه، قلّتْ بواكيهِ، قلّ تُراثُه».

بلال[1]. أي بوجودها وحصولها. وما أقرب الراحة من قرة العين وما أبعدها مما قيل: معناه أذن بالصلاة لنستريح بأدائها من شغل القلب بها. وقوله: **(أحسن عبادة ربه)** تعميم بعد تخصيص ذكره الطيبي [رحمه الله]. أو الأول إشارة إلى الكمية والثاني عبارة عن الكيفية. **(وأطاعه في السر)** أي كما أطاعه في العلانية، فهو من باب الاكتفاء والتخصيص لما فيه من الاعتناء. وجعله الطيبي عطف تفسير على أحسن، وتفسيرنا أحسن ويمكن أن يكون المعنى: وأطاعه في عبادته بالإخفاء، ولا يظهر طاعته في الملأ الأعلى على عادة الملامتية من الصوفية. ويناسبه قوله: **(وكان غامضاً)** أي خاملاً خافياً غير مشهور **(في الناس)** أي فيما بينهم. وفيه إشارة إلى أنه لا يخرج عنهم، فإن الخروج عنهم يوجب الشهرة بينهم. وفيه إيماء إلى أن المراد بالناس عمومهم فلا يضره معرفة خصوصهم من الأولياء والصلحاء ممن يصاحبهم، كما يدل عليه قوله: **(لا يشار إليه بالأصابع)** أي علماً وعملاً وهو بيان وتقرير لمعنى[2] الغموض. **(وكان رزقه كفافاً)** أي قدر كفايته بحيث يكفه ويمنعه عن الإحتياج إلى الكافة. **(فصبر على ذلك)** أي على الرزق الكفاف، أو على الخمول والغموض أو على ما ذكر دلالة على أن ملاك الأمر الصبر وبه يتقوّى على الطاعة. قال تعالى: ﴿**واستعينوا بالصبر والصلاة**﴾ [البقرة - ٤٥]. وقال: ﴿**أولئك يجزون الغرفة بما صبروا**﴾ [الفرقان - ٧٥]. وقال: ﴿**وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا**﴾ [السجدة - ٢٤]. **(ثم نقد)** بالنون والقاف والدال المهملة المفتوحات **(بيده)** أي نقد النبي ﷺ بيده بأن ضرب إحدى أنملتيه على الأخرى حتى سمع منه صوت. وفي النهاية[3]: هو من نقدت الشيء بأصبعي أنقده واحداً بعد واحد نقد الدراهم، ونقد الطائر الحب إذا لقطه واحداً بعد واحد وهو مثل النقر، ويروى بالراء. اهـ. وهو كذا في نسخة، أي صوّت بأصبعه. وفي رواية وهي الظاهر من جهة المعنى جداً: ثم نفض يده. **(فقال: عجلت)** بصيغة المجهول من باب التفعيل **(منيته)** أي موته **(قلت بواكيه)** جمع باكية وهي المرأة التي تبكي على الميت. **(قل: تراثه)** أي ميراثه وماله المؤخر عنه مما يورث عنه. حمل على سبيل التعداد. قال التوربشتي [رحمه الله]: أريد بالنقد ههنا ضرب الأنملة على الأنملة، وضربها كالمتقلل للشيء. أي لم يلبث قليلاً حتى قبضه الله تعالى. يقال: مدة عمره وعدد بواكيه ومبلغ تراثه. وقيل: الضرب[4] على هذه الهيئة يفعله المتعجب من الشيء، أو من رأى ما يعجبه حسنه وربما يفعل ذلك من يظهر قلة المبالاة بشيء أو يفعل طرباً وفرحاً بالشيء. اهـ. والمعنى: من كان هذه صفته فهو يتعجب من حسن حاله وجمال مآله. وقيل: قوله: عجلت منيته أنه يسلم روحه سريعاً لقلة تعلقه بالدنيا وغلبة شوقه إلى المولى

---

(١) أبو داود في السنن ٥/ ٦٢ حديث رقم ٤٩٨٥ و٤٩٨٦.

(٢) في المخطوطة «بمعنى».

(٣) في المخطوطة «وهو في النهاية».

(٤) في المخطوطة «الأرض».

رواه أحمد، والترمذي، وابن ماجه.

٥١٩٠ ـ (٣٦) وعنه، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «عرضَ عَليّ ربّي

الحديث: الموت تحفة المؤمن[١]. قال الأشرف [رحمه الله]: ويمكن أنه أراد به أنه قليل مؤن الممات، كما كان قليل مؤن الحياة. (رواه أحمد والترمذي وابن ماجه) وفي الجامع رواه أحمد والترمذي والحاكم والبيهقي عن أبي أمامة ولفظه: أغبط الناس عندي مؤمن خفيف الحاذ ذو حظ من صلاة وكان رزقه كفافاً فصبر عليه حتى يلقى الله، وأحسن عبادة ربه وكان غامضاً في الناس، عجلت منيته وقل تراثه وقلت بواكيه. وروى الديلمي في مسنده عن حذيفة: خيركم في المائتين كل خفيف الحاذ الذي لا أهل له ولا ولد[٢]. قال شيخ مشايخنا السخاوي في المقاصد الحسنة في الأحاديث المشهورة على الألسنة علته داود[٣]، ولذا قال الخليل: ضعفه الحفاظ [فيه]وخطؤه. اهـ. فإن صح فهو محمول على جواز الترهب أيام الفتن. وفي معناه أحاديث كثيرة واهية منها ما رواه الحارث بن أبي أسامة من حديث ابن مسعود مرفوعاً: سيأتي على الناس زمان تحل فيه العزبة ولا يسلم لذي دين دينه إلا من فر بدينه من شاهق إلى شاهق ومن حجر إلى حجر كالطائر بفراخه وكالثعلب بأشباله وأقام الصلاة وآتى الزكاة واعتزل الناس [إلا من خير الحديث. ومنها ما رواه الديلمي من حديث زكريا بن يحيى الصوفي عن ابن حذيفة بن اليمان عن أبيه حذيفة مرفوعاً: خير نسائكم بعد ستين ومائة العاقر وخير أولادكم بعد أربع وخمسين البنات[٤]. وفي الترمذي من طريق علي بن يزيد عن القاسم عن أبي أمامة مرفوعاً: إن أغبط أوليائي إلى أن قال فصبر على ذلك ثم نفض يده فقال: عجلت منيته الحديث. وقال عقبة: علي ضعيف. وقد أخرجه أحمد والبيهقي في الزهد والحاكم في الأطعمة من مستدركه، وقال: هذا إسناد للشاميين صحيح عندهم ولم يخرجاه[٥]. اهـ. ولم ينفرد به علي بن يزيد، فقد أخرجه ابن ماجه في الزهد من سننه من غير طريقه من حديث صدقة بن عبد الله عن إبراهيم بن قرة عن أيوب بن سليمان عن أبي أمامة ولفظه: أغبط الناس عندي مؤمن خفيف الحاذ. وذكر نحوه[٦]. ومن شواهده ما للخطيب وغيره من حديث ابن مسعود رفعه: إذا أحب الله العبد اقتناه لنفسه ولم يشغله بزوجة ولا ولد. وللديلمي من حديث عبد الله بن عبد الوهاب ـ رحمهم الله ـ الخوارزمي عن داود بن غفال عن أنس رفعه: يأتي على الناس زمان لأن يربي أحدكم جرو كلب خير له من أن يربي ولداً من صلبه[٧].

٥١٩٠ ـ (وعنه) أي عن أبي أمامة (قال: قال رسول الله ﷺ: عرض علي ربي) أي إلى

---

(١) الدارقطني.
(٢) مسند الفردوس ٢/ ١٧٠ حديث رقم ٢٨٥٢.
(٣) في المخطوطة «علة رواته».
(٤) لم أجده في مسند الفردوس والله تعالى أعلم.
(٥) الترمذي في السنن ٤/ ٤٩٦ حديث رقم ٢٣٤٧. والحاكم في المستدرك ٤/ ١٢٣.
(٦) ابن ماجه في السنن ٢/ ١٣٧٨ حديث رقم ٤١١٧.
(٧) مسند الفردوس ٥/ ٤٤٢ حديث رقم ٨٦٨٤.

الحديث رقم ٥١٩٠: أخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٤٩٦. حديث رقم ٢٣٤٧. وأحمد في المسند ٥/ ٢٥٤.

ليجعلَ لي بطحاءَ مكةَ ذهباً، فقلتُ: لا يا ربِّ! ولكنْ أشبَعُ يوماً، وأجوعُ يوماً، فإذا جعتُ تضرَّعتُ إليكَ وذكرتُكَ، وإذا شبعتُ حمدتُكَ وشكرتُكَ». رواه أحمدُ، والترمذي.

٥١٩١ ـ (٣٧) وعن عبيدِ الله بنِ مِحْصَنٍ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «مَنْ أصبحَ منكم آمناً

عرضاً حسياً أو معنوياً وهو الأظهر. والمعنى: شاورني وخيرني بين الوسع في الدنيا واختيار البلغة لزاد العقبى من غير حساب ولا عتاب. (**ليجعل لي**) أي ملكاً لي أو مخصوصاً لأمتي على تقدير إقبالي عليها والتفاتي إليها ويصير لأجلي (**بطحاء مكة**) أي أرضها ورمالها (**ذهباً**) أي بدل حجرها ومدرها. وأصل البطحاء مسيل الماء. وأراد هنا عرصة مكة وصحاريها فإضافته بيانية. قال الطيبي: قوله: بطحاء مكة تنازع فيه عرض وليجعل، أي عرض عليّ بطحاء مكة ليجعلها لي ذهباً. (**فقلت: لا**) أي لا أريد ولا أختار (**يا رب ولكن أشبع يوماً**) أي أختار أو أريد أن أشبع وقتاً، أي فأشكر. (**وأجوع يوماً**) أي فأصبر كما فصله وبينه بقوله: (**فإذا جعت تضرعت إليك**) أي بعرض الافتقار عليك (**وذكرتك**) أي بسببه فإن الفقر يورث الذكر، كما أن الغنى يورث الكفر. (**وإذا شبعت حمدتك**) أي بما ألهمتني من ثنائك (**وشكرتك**) على إشباعك وسائر نعمائك. قال الطيبي [رحمه الله]: جمع في القرينتين بين الصبر والشكر وهما صفتا المؤمن الكامل. قال تعالى: ﴿**إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور**﴾ [إبراهيم ـ ٥، لقمان ـ ٣١، سبأ ـ ١٩، الشورى ـ ٣٣]. الكشاف، صبار على بلائه شكور لنعمائه وهما صفتا المؤمن المخلص، فجعلهما كناية عنه. أقول: وتحقيقه على طريقة الصوفية السادة الصفية أن الصفتين المذكورتين والخصلتين المسطورتين ناشئتان من تربية الله للسالك بين صفتي الجلال والجمال، إذ بهما تتم مرتبة الكمال وهو الرضا عن المولى بكل حال، بخلاف حال المتحرفين وأفعال المتحيرين المذبذبين حيث قال تعالى: ﴿**فإن أعطوا منها رضوا وإن لم يعطوا منها إذا هم يسخطون**﴾ [التوبة ـ ٥٨]. وقال: ﴿**ومن الناس من يعبد الله على حرف فإن أصابه خير اطمأن به وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة وذلك هو الخسران المبين**﴾ [الحج ـ ١١]. (**رواه أحمد والترمذي**).

٥١٩١ ـ (**وعن عبيد الله بن محصن**) بكسر الميم وفتح الصاد. قال المؤلف في فصل الصحابة: أنصاري خطمي يعد في أهل المدينة وحديثه فيهم. روى عنه ابنه سلمة. قال ابن عبد البر: ومن الناس من يرسل حديثه. اهـ. وهو يحتمل كونه صحابياً لكن ليس له سماع منه ﷺ، فحديثه من مراسيل الصحابة وهو حجة اتفاقاً. ويحتمل كونه تابعياً فمرسله معتبر عند الجمهور خلافاً للشافعية والله تعالى أعلم. والأول أظهر لإطلاقهم حديثه. (**قال: قال رسول الله ﷺ: من أصبح منكم**) أي أيها المؤمنون (**آمناً**) أي غير خائف من عدوّ أو من أسباب عذابه

الحديث رقم ٥١٩١: أخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٤٩٦ حديث رقم ٢٣٤٦. وابن ماجه في السنن ٢/ ١٣٨٧. حديث رقم ٤١٤١.

في سربِه، مُعافًى في جسدِه، عندَه قوتُ يومِه؛ فكأنما حِيزَتْ له الدنيا بحذافيرها». رواه الترمذي، وقال: هذا حديثٌ غريب.

٥١٩٢ ـ (٣٨) وعن مقدامِ بن معدي كرب، قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «ما مَلأَ آدميٌّ وعاءً شراً من بطنٍ، بحسبِ ابن آدمَ أُكُلاتٌ يُقمنَ صلبَه، فإنْ كانَ لا محالَةَ فثُلُثٌ طعامٌ، وثُلُثٌ شرابٌ، وثُلُثٌ لنفسه».

تعالى بالتوبة عن المعاصي والعصمة عن المناهي. ولذا قيل: ليس العيد لمن لبس الجديد، إنما العيد لمن أمن الوعيد. (في سربه) المشهور كسر السين أي في نفسه. وقيل: السرب الجماعة. فالمعنى في أهله وعياله. وقيل بفتح السين. أي في مسلكه وطريقه. وقيل بفتحتين أي في بيته كذا ذكره شارح. وقال التوربشتي [رحمه الله]: أبى بعضهم إلا السرب بفتح السين والراء، أي في بيته ولم يذكر فيه رواية. ولو سلم له قوله أن يطلق السرب على كل بيت، كان قوله هذا حرياً بأن يكون أقوى الأقاويل، إلا أن السرب يقال للبيت الذي هو في الأرض. وفي القاموس: السرب الطريق، وبالكسر الطريق والبال والقلب والنفس، وبالتحريك جحر الوحش والحفير تحت الأرض. اهـ. فيكون المراد من الحديث المبالغة في حصول الأمن ولو من بيت تحت الأرض ضيق كجحر لوحش، أو التشبيه به في خفائه وعدم ضيائه. (معافى) اسم مفعول من باب المفاعلة، أي صحيحاً سالماً من العيوب. (في جسده) أي بدنه ظاهراً وباطناً (عنده قوت يومه) أي كفاية قوته من وجه الحلال (فكأنما حيزت) بصيغة المجهول من الحيازة، وهي الجمع والضم. (له) والضمير عائد لمن رابط للجملة، أي جمعت له. (الدنيا) أي بحذافيرها كما في نسخة مصححه، أي بتمامها. والحذافير الجواب. وقيل الأعالي، وأحدها حذفار، أو حذفور. والمعنى فكأنما أعطى الدنيا بأسرها. (رواه الترمذي وقال: هذا حديث غريب). وفي الجامع رواه البخاري في الأدب المفرد، والترمذي وابن ماجه من غير ذكر حذافيرها.

٥١٩٢ ـ (وعن المقدام بن معدي كرب[1] قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ما ملأ آدمي وعاء) أي ظرفاً (شراً من بطن) صفة وعاء (بحسب ابن آدم) مبتدأ والباء زائدة. وقوله: (أكلات) بضمتين خبره، نحو قوله: بحسبك درهم. والأكلة بالضم اللقمة، وفي رواية: لقيمات، بالتصغير للإشارة إلى التحقير مع الدلالة على التقليل بالتنكير. (يقمن صلبه) أي ظهره لإقامة الطاعة وقيام المعيشة. وإسناد الإقامة إلى الأكلات مجازية سببية. (فإن كان لا محالة) بفتح الميم ويضم، أي لا بد من الزيادة. (فثلث) بضمهما ويسكن اللام. (طعام) مبتدأ وخبر، أي ثلث منه للطعام. وكذا قوله: (وثلث شراب) واللام مقدرة فيهما بقرينة قوله: (وثلث لنفسه) بحركتين. والمعنى: فإن كان لا يكتفي بأدنى قوت البتة ولا بُدَّ، أن يملأ بطنه فليجعل ثلث

الحديث رقم ٥١٩٢: أخرجه الترمذي في السنن ٢/ ٥١٩ حديث رقم ٢٣٨٠. وابن ماجه في السنن ٢/ ١١١١ حديث رقم ٣٣٤٩. وأحمد في المسند ٤/ ١٣٢.

(١) في المخطوطة «معد يكرب».

....

بطنه للطعام وثلثه للشراب وليترك ثلثه خالياً بخروج النفس. ولا ينبغي أن يكون كطائفة القلندرية حيث يقولون بملء البطن من الطعام والماء يحصل مكانة ولو في المسام والنفس إن اشتهى خرج وإلا فلا بعد تمام المرام، فأولئك كالأنعام بل هم أضل. قال تعالى: ﴿**ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الأمل فسوف يعلمون**﴾ [الحجر - ٣]. وسبق أن المؤمن يأكل في معي واحد، والكافر يأكل في سبعة أمعاء[1]. وقال الطيبي [رحمه الله]: أي الحق الواجب أن لا يتجاوز[2] عما يقام به صلبه ليتقوى به على طاعة الله تعالى، فإن أراد البتة التجاوز فلا يتجاوز عن القسم المذكور. جعل البطن أولاً وعاء كالأوعية التي تتخذ ظروفاً لحوائج البيت توهيناً لشأنه، ثم جعله شر الأوعية لأنها استعملت فيما هي له. والبطن خلق لأنه يتقوّم به الصلب بالطعام، وامتلاؤه يفضي إلى الفساد في الدين والدنيا فيكون شراً منها. قال الشيخ أبو حامد: في الجوع عشر فوائد: الأولى صفاء القلب وإيقاد القريحة ونفاذ البصيرة، فإن الشبع يورث البلادة ويعمي القلب ويكثر البخار في الدماغ كشبه الشبكة حتى يحتوي على معادن الفكر، فيثقل القلب بسببه عن الجريان. وثانيتها رقة القلب وصفاؤه الذي به هيىء لإدراك لذة المناجاة والتأثر بالذكر. وثالثتها الانكسار والذل وزوال البطر والأشر والفرح الذي هو مبدأ الطغيان. ولا تنكسر النفس لشيء ولا تذل كما تذل بالجوع فعنده تستكن لربها وتقف على عجزها. ورابعتها أنه لا ينسى بلاء الله وعذابه وأهل البلاء، فإن الشبعان ينسى الجائعين والجوع. وخامستها وهي من كبار الفوائد كسر شهوات المعاصي كلها والاستيلاء على النفس الأمارة بالسوء، وتقليلها يضعف كل شهوة، وقوة. والسعادة كلها في أن يملك الرجل نفسه، والشقاوة في أن تملكه نفسه. وسادستها دفع النوم ودوام السهر فإن من شبع شرب كثيراً ومن كثر شربه كثر نومه، وفي كثرة النوم ضياع العمر وفوات التهجد وبلادة الطبع وقساوة القلب، والعمر أنفس الجواهر وهو رأس مال العبد فيه يتجر. والنوم موت فتكثيره[3] تنقيص من العمر. وسابعتها تيسير المواظبة على العبادة فإن الأكل يمنع من كثرة العبادات لأنه يحتاج إلى زمان يشتغل بالأكل، وربما يحتاج إلى زمان في شراء الطعام أو طبخه ثم يحتاج إلى غسل اليد والخلاء ثم يكثر تردده إلى بيت الماء. ولو صرف هذه الأوقات في الذكر والمناجاة وسائر العبادات لكثر ربحه. قال السري: رأيت مع علي الجرجاني سويقاً يستف منه فقلت: ما دعاك إلى هذا فقال: إني حسبت ما بين المضغ إلى الاستفاف سبعين تسبيحة فما مضغت الخبز منذ أربعين سنة. وثامنتها من قلة الأكل صحة البدن ودفع الأمراض فإن سببها كثرة الأكل وحصول فضلة الأخلاط في المعدة والعروق. ثم المرض يمنع عن العبادات ويشوّش القلب ويحوج إلى الفصد والحجامة والدواء والطبيب وكل ذلك يحتاج إلى مؤن، وفي الجوع ما يدفع عنه كل ذلك. وتاسعتها خفة المؤونة فإن من تعوّد قلة الأكل كفاه من المال قدر يسير. وعاشرتها أن

---

(١) وهو حديث متفق عليه.

(٢) في المخطوطة «يجاوز».

(٣) في المخطوطة «فكثرته».

رواه الترمذي، وابنُ ماجه.

٥١٩٣ ـ (٣٩) وعن ابن عمَرَ، أنَّ رسولَ الله ﷺ سمعَ رجلاً يتجشَّأُ، فقال: «أقصِرْ مِنْ جُشائكَ، فإنَّ أطولَ الناسِ جوعاً يومَ القيامةِ أطولُهم شِبَعاً في الدنيا». رواه في «شرح السنة». وروى الترمذي نحوَه.

يتمكن من الإيثار والتصدق بما فضل من الأطعمة على المساكين فيكون يوم القيامة في ظل صدقته فما يأكله فخزانته الكنيف وما يتصدق به فجزاؤه فضل الله تعالى. (رواه الترمذي وابن ماجه) وفي الجامع رواه أحمد والترمذي وابن ماجه والحاكم[1] بلفظ: فثلث لطعامه وثلث لشرابه.

٥١٩٣ ـ (وعن ابن عمر أن رسول الله ﷺ سمع رجلاً يتجشأ) بتشديد الشين المعجمة بعدها همزة، أي يخرج الجشاء من صدره وهو صوت مع ريح يخرج منه عند الشبع. وقيل: عند امتلاء المعدة. وقيل: الرجل وهب بن عبد الله وهو معدود في صغار الصحابة. وكان في زمانه عليه الصلاة والسلام لم يبلغ الحلم. رُوِيَ أنه لم يملأ بطنه بعد ذلك. قال التوربشتي: الرجل هو وهب أبو جحيفة السوائي، روى عنه أنه قال: أكلت ثريدة بر بلحم وأتيت رسول الله ﷺ وأنا أتجشأ (فقال: أقصر) بفتح الهمزة وكسر الصاد، أي امتنع (من جشا[ئك]) بضم الجيم ممدوداً، وكان أصل الطيبي [رحمه الله]: أقصر عنا فقال: معناه أكفف عنا، والنهي عن الجشاء هو النهي عن الشبع لأنه السبب الجالب له. اهـ. وقيل: التجشؤ التكلف. (فإن أطول الناس) أي أكثرهم [في الزمان] (جوعاً يوم القيامة أطولهم شبعاً) بكسر ففتح (في الدنيا. رواه في شرح السنة) قال ميرك: هو وهب بن عبد الله أبو جحيفة روى عنه أنه قال: أكلت ثريدة بلحم وأتيت رسول الله ﷺ وأنا أتجشأ فقال: يا هذا كف من جشائك فإن أكثر الناس شبعاً في الدنيا أكثرهم جوعاً يوم القيامة. رواه الحاكم وقال: صحيح الإسناد [قال المنذري: بل هو واه جداً فيه وهد بن عوف وعمرو بن موسى، لكن رواه البزار بإسنادين رواة]وأحدهما ثقات. ورواه ابن أبي الدنيا والطبراني في الكبير والأوسط والبيهقي وزاد: قال الراوي: فما أكل أبو جحيفة ملء بطنه حتى فارق الدنيا. كان إذا تعشى لا يتغدى وإذا تغدى لا يتعشى. وفي رواية لابن أبي الدنيا قال أبو جحيفة: فما ملأت بطني منذ ثلاثين سنة. اهـ. (وروى الترمذي نحوه) قال ميرك: ولفظه عن ابن عمر قال: تجشأ رجل عند رسول الله ﷺ فقال له: كف عنا جشاءك فإن أكثرهم شبعاً في الدنيا أطولهم جوعاً يوم القيامة. رواه ابن ماجه والبيهقي كلهم من رواية يحيى البكاء عن ابن عمر وقال الترمذي: حديث حسن كذا في الترغيب للمنذري. وقال الشيخ الجزري: في سند هذا الحديث عبد العزيز بن عبد الله عن يحيى البكاء وهما ضعيفان، لكن للحديث شاهد من حديث أبي جحيفة وهب بن عبد الله السوائي.

---

(١) الجامع الصغير ٢/ ٤٩٦ حديث رقم ٨١١٧. والحديث أخرجه الحاكم في المستدرك ٤/ ٣٣١.

الحديث رقم ٥١٩٣: أخرجه البغوي في شرح السنة ١٤/ ٢٥٠ حديث رقم ٤٠٤٩. والترمذي في السنن ٤/ ٥٦٠ حديث رقم ٢٤٧٨. وابن ماجه في السنن ٢/ ١١١١ حديث رقم ٣٣٥٠.

٥١٩٤ ـ (٤٠) وعن كَعْبِ بن عِياضٍ، قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «إنَّ لكلِّ أمةٍ فتنةً، وفتنةُ أُمتي المالُ». رواه الترمذي.

٥١٩٥ ـ (٤١) وعن أنسٍ، عن النبيِّ ﷺ، قال: «يُجاءُ بابن آدمَ يومَ القيامةِ كأنه بذَجٌ، فيوقفُ بينَ يدي الله، فيقولُ له: أعطيتُكَ وخوّلتُكَ وأنعمتُ عليكَ، فما صنعتَ؟ فيقولُ: يا ربِّ! جمَعْتُه وثمَّرتُه وتركتُه أكثرَ ما كانَ، فارجعني آتِكَ به كلِّه. فيقولُ له: أرِني ما قدَّمتَ. فيقول: ربِّ! جمَعْتُه وثمَّرته وتركتُه أكثرَ ما كانَ، فارجعْني آتكَ به كله. فإذا عبدٌ لم يُقدِّمْ خيراً

٥١٩٤ ـ (وعن كعب بن عياض) أي الأشعري معدود في الشاميين. روى عنه جابر بن عبد الله وجبير بن نفير. (**قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن لكل أمة فتنة**) وهي ما توقع أحداً في الضلالة والمعصية (**وفتنة أمتي**) بالرفع، وفي نسخة بالنصب. (**المال**) لأنه جامع لحصول المنال ومانع عن كمال المآل (**رواه الترمذي**) [وكذا الحاكم في مستدركه][1].

٥١٩٥ ـ (**وعن أنس عن النبي ﷺ قال: يجاء**) أي يؤتى (**بابن آدم يوم القيامة كأنه**) أي من كمال ضعفه (**بذج**) بفتح موحدة وذال معجمة فجيم. ولدا الضأن معرب برة[2]. أراد بذلك هوانه وعجزه، وفي بعض الطرق كأنه بذج من الذل. وفي شرح السنة شبّه ابن آدم بالبذج لصغاره وصغره، أي يكون حقيراً ذليلاً. (**فيوقف**) أي فيحبس (**قائماً بين يدي الله تعالى**) أي عند حكمه وأمره سبحانه (**فيقول له:**) أي بلسان ملك أو بلا واسطة ببيان القال أو الحال (**أعطيتك**) أي الحياة والحواس والصحة والعافية ونحوها (**وخوّلتك**) أي جعلتك ذا خول من الخدم والحشم والمال والجاه وأمثالها. وقيل معناه جعلتك مالكاً لبعض وملكاً لبعض. (**وأنعمت عليك**) أي بإنزال الكتاب وبإرسال الرسل وغير ذلك (**فما صنعت**) أي فيما ذكر (**فيقول: رب جمعته**) أي المال (**وثمرته**) بتشديد الميم، أي أنميته وكثرته (**وتركته**) أي في الدنيا عند موتي (**أكثر ما كان**) أي في أيام حياتي (**فارجعني**) بهمزة وصل أي ردني إلى الدنيا (**آتك به كله**) أي بإنفاقه في سبيلك، كما أخبر عن الكفار أنهم يقولون في الآخرة: ﴿**رب ارجعون لعلي أعمل صالحاً فيما تركت**﴾ [المؤمنون ـ ٩٩ ـ ١٠٠]. (**فيقول له:**) أي الرب (**أرني ما قدمت**) أي لأجل الآخرة من الخير (**فيقول:**) أي ثانياً كما قال أوّلاً (**رب جمعته وثمرته وتركته أكثر ما كا فارجعني آتك به كله فإذا عبد**) الفاء فصيحة تدل على المقدر، وإذا للمفاجأة وعبد خبر مبتدأ محذوف. أي قال رسول الله ﷺ: فإذا هو عبد. (**لم يقدم خيراً**) أي فيما أعطي ولم

الحديث رقم ٥١٩٤: أخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٤٩٢ حديث رقم ٢٣٣٦. وأحمد في المسند ٤/ ١٦٠.

(١) الحاكم في المستدرك ٤/ ٣١٨.

الحديث رقم ٥١٩٥: أخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٥٣٤ حديث رقم ٢٤٢٧. والدارقطني ١/ ٥١ حديث رقم ٢ من باب النية.

(٢) في المخطوطة «ابن».

فيُمضى به إلى النارِ». رواه الترمذي وضعّفه.

٥١٩٦ ـ (٤٢) وعن أبي هريرةَ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إنَّ أوّلَ ما يسألُ العبدُ يومَ القيامةِ منَ النّعيمِ أن يُقالَ له: ألم نُصحَّ جسمَكَ؟ ونُروِّكَ منَ الماءِ الباردِ؟».

يمتثل ما أمر به ولم يتعظ ما وعظ به من قوله تعالى: ﴿ولتنظر نفس ما قدمت لغد﴾ [الحشر ـ ١٨]. ﴿وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله﴾ [البقرة ـ ١١٠]. (فيمضى) بصيغة المجهول، أي فيذهب. (به إلى النار) قال الطيبي [رحمه الله]: فظهر مما حُكيَ عن هذا الرجل أنه كان كعبد أعطاه سيده رأس مال ليتجر[1] به ويربح فلم يمتثل أمر سيده فأتلف رأس ماله بأن وضعه في غير موضعه وأتجر فيما لم يؤمر بالتجارة فيه، فإذا هو عبد خائب خاسر. قال تعالى: ﴿أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين﴾ [البقرة ـ ١٦]. فما أحسن موقع العبد وذكره في هذا المقام. قال الشيخ أبو حامد [رحمه الله]: اعلم أن كل خير ولذة وسعادة، بل كل مطلوب ومؤثر يسمى نعمة، ولكن النعمة الحقيقية هي السعادة الأخروية وتسمية ما عداها غلط أو مجاز كتسمية السعادة الدنيوية التي لا يعبر عليها إلى الآخرة، فإن ذلك غلط محض. وكل سبب يوصل إلى السعادة الأخروية ويعين عليها إما بواسطة واحدة أو بوسائط فإن تسميته نعمة صحيح وصدق لأجل أنه يفضي إلى النعمة الحقيقية (رواه الترمذي وضعفه) بتشديد العين، أي نسب إسناده إلى الضعف وإن كان صحيحاً.

٥١٩٦ ـ (وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: إن أول ما يسأل العبد) أي عنه (يوم القيامة) ما موصولة[2]، أي أوّل شيء يحاسب به في الآخرة. (من النعيم) بيان لما (أن يقال له:) خبر إن. وكان الطيبي [رحمه الله] جعل من النعيم متعلقاً بيسأل حيث قال: ما فيه مصدرية، وأن يقال خبر إن، أي أوّل سؤال العبد هو أن يقال له. (ألم نصح) أي بعظمتنا (جسمك) من الإصحاح وهو إعطاء الصحة (ونروّك) بتشديد الواو وفي نسخة من الإرواء (من الماء البارد) فالماء البارد نعمة عظيمة ومصحة جسيمة عند الذوق السليم وعدم البدن السقيم ولذا بالغ ﷺ في مدحه حيث قال في دعائه: «اللهم اجعل حبك أحب إلي من نفسي وأهلي ومن الماء البارد»[3]. ومن غرائب حال الماء أنه لا قيمة له من الرخاء ولا في الغلاء إذ حال كثرة وجوده لا يشترى ووقت فقده لا يباع ومن عجائب ما حكي فيه أن ملكاً وقع في برية وعطش عطشاً شديداً كاد أن يهلك فظهر له عارض وملك فقال ما تعطيني إن سقيتك! فقال نصف ملكي فسقاه، فحبس له البول حتى اشتد عليه الأمر فظهر له ثانياً فقال ما تنعم علي أن أعالجك منه؟ قال أعطيك النصف الآخر من الملك فعالجه ثم قال له: خذ ملكك واعرف قيمته

---

(١) في المخطوطة «يتجر».

الحديث رقم ٥١٩٦: أخرجه الترمذي في السنن ٥/٤١٨ حديث رقم ٣٣٥٨.

(٢) في المخطوطة «موصوف».

(٣) الترمذي في السنن ٥/٤٨٨ حديث رقم ٣٤٩٠.

رواه الترمذي.

٥١٩٧ ـ (٤٣) وعن ابن مسعودٍ، عن النبيِّ ﷺ، قال: «**لا تزولُ قدما ابن آدم يومَ القيامةِ حتى يُسألَ عن خمسٍ: عن عمرِه فيما أفناهُ، وعن شبابِه فيما أبلاهُ، وعن مالِه من أين اكتسبَه، وفيما أنفقَه، وماذا عمِلَ فيما علِمَ؟**». رواه الترمذي، وقال: هذا حديثٌ غريبٌ.

ولا يغرك زهرته. وفي الجمع بين نعمة الصحة وتروية الماء إشارة إلى ذلك والله أعلم. **(رواه الترمذي)** وكذا ابن حبان والحاكم ولفظهما: أوّل ما يحاسب به العبد يوم القيامة أن يقال له: ألم أصح لك جسمك وأروك من الماء البارد. وقال الحاكم: صحيح الإسناد ذكره ميرك[١].

٥١٩٧ ـ **(وعن ابن مسعود عن النبي ﷺ قال: لا تزول قدما ابن آدم يوم القيامة حتى يسأل عن خمس)** أي خمسة أحوال تذكر وتؤنث. وقال الطيبي [رحمه الله]: أنثه بتأويل الخصال **(عن عمره)** بضمتين ويسكن الميم، أي عن مدة أجله. **(فيما أفناه)** أي صرفه **(وعن شبابه)** أي قوّته في وسط عمره **(فيما أبلاه)** أي ضيعه. وفيه تخصيص بعد تعميم وإشارة إلى المسامحة في طرفيه من حال صغره وكبره. وقال الطيبي [رحمه الله]: فإن قلت: هذا داخل في الخصلة الأولى فما وجهه. قلت: المراد سؤاله عن قوّته وزمانه الذي يتمكن منه على أقوى العبادة. **(وعن ماله مما اكتسبه)** أي أمن حلال أو حرام **(وفيما أنفقه)** أي في طاعة أو معصية **(وماذا عمل فيما علم)** ولعل العدول عن الأسلوب للتفنن في العبارة المؤدية للمطلوب. وأما ما ذكره الطيبي [رحمه الله]من أنه إنما غير السؤال في الخصلة الخامسة حيث لم يقل: وعن علمه ماذا عمل به. لأنها أهم شيء وأولاه فغير ظاهر. نعم يمكن أن يكون نكتة لختم الخصال بها ترقياً. ثم قال: وفيه إيذان بأن العلم مقدمة العمل وهو لا يعتد به لولا العمل. اهـ. وهو غير صحيح بإطلاقه وإنما يصلح هذا في العلم بالفروع الدنيوية، وأما العلم بذات الله [تعالى] وصفاته ومعرفة كتابه وآياته ونحو ذلك من الأصول الدينية فأشرف العلوم وأفضلها وأنطقها وأكملها. ولذا قال الشيخ أبو سعيد بن أبي الخير قدس سره لأبي علي بن سينا سامحه الله تعالى: ما تعلم علماً ينتقل معك بانتقالك. وفيه إشارة إلى ما ورد من أن أهل الجنة فيها يحتاجون إلى العلماء أيضاً. هذا وفي حديث رواه ابن عساكر عن أبي الدرداء [رضي الله عنه]. كيف أنت يا عويمر إذا قيل لك يوم القيامة أعلمت أم جهلت. فإن قلت علمت قيل لك فماذا عملت فيما علمت وإن قلت جهلت قيل لك فما كان عذرك فيما جهلت ألا تعلمت[٢]. ومع هذا روي: ويل للجاهل مرة وويل للعالم سبع مرات. وفي حديث صحيح: أشد الناس عذاباً يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه[٣]. **(رواه الترمذي وقال: هذا حديث غريب.)** وتمامه لا

---

(١) الحاكم في المستدرك ١/ ٢٦٢.

الحديث رقم ٥١٩٧: أخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٥٢٩. حديث رقم ٢٤١٦.

(٢) ذكره السيوطي في الجامع الصغير ٢/ ٤٠١ حديث رقم ٦٤٤١.

(٣) البيهقي في شعب الإيمان حديث رقم ١٧٧٨.

الفصل الثالث

٥١٩٨ ـ (٤٤) عن أبي ذرّ أنّ رسولَ الله ﷺ قال له: «إنّكَ لستَ بخيرٍ منْ أحمرَ ولا أسودَ إلاّ أنْ تفضلَه بتقوى». رواه أحمد.

نعرفه من حديث ابن مسعود إلا من حديث حسين بن قيس وهو ضعيف في الحديث، ذكره ميرك.

(الفصل الثالث)

٥١٩٨ ـ (**عن أبي ذر أن رسول الله ﷺ قال له: إنك لست بخير**) أي بأفضل (**من أحمر**) أي جسماً (**ولا أسود**) أي لوناً. والمراد أن الفضيلة ليست بلون دون لون، وإنما خصهما بالذكر مثلاً لكونهما أكثر وجوداً. والأظهر أن المراد بهما لون السيد والعبد كما هو الغالب. وأغرب الطيبي [رحمه الله]حيث جزم وقال: المراد بالأحمر العجم وبالأسود العرب. (**إلا أن تفضله**) بضم الضاد، أي تزيد أنت أحدهما. (**بتقوى**) بالقصر، وفي نسخة بالتنوين. وقد قال تعالى: ﴿**أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله**﴾ [التوبة ـ ١٠٩]. ففي قراءة شاذة بالتنوين. والمعنى أن الفضيلة ليست بالصورة الظاهرة ولا بالنسبة الباهرة، بل بالتقوى كما قال تعالى: ﴿**يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى**﴾ [الحجرات ـ ١٣]. إلى أن قال: ﴿**إن أكرمكم عند الله أتقاكم**﴾ [الحجرات ـ ١٣]. قال الطيبي [رحمه الله]: والضمير في تفضله عائد إلى كل واحد منهما أو لهما بتأويل الإنسان، والاستثناء مفرغ والتقدير لست بأفضل منهما بشيء من الأشياء إلا بالتقوى. وقوله: أن تفضله، تكرير تأكيد. اهـ. فتأمل فيه. فإن جعل الضمير إلى كل واحد منهما مع دلالتهما على العموم من الجنس الذي وقع المخاطب فرداً منه غير صحيح، وكذا تأويلهما بالإنسان المراد به الجنس فتدبر. ثم الظاهر أن الاستثناء مفرغ من أعم الأحوال، أي لست بأفضل عند الله من أحد النوعين في حال من الأحوال إلا حال زيادتك عليه بتقوى معتبرة في الشرع، وهي لها مراتب أدناها التقوى عن الشرك الجلي، وأوسطها عن المعاصي والمناهي والملاهي وعن الشرك الخفي وهو الرياء والسمعة في الطاعة، وأعلاها أن يكون دائم الحضور مع الله غائباً عن حضور ما سواه. وإليه الإشارة فيما رُوِيَ عنه ﷺ: ما فضلكم أبو بكر بفضل صوم ولا صلاة ولكن بشيء وقر في قلبه. ذكره الغزالي [رحمه الله]. وقال العراقي: لم أجده مرفوعاً وهو عند الحكيم الترمذي في النوادر من قول بكر بن عبد الله المزني (**رواه أحمد**) وفي الجامع انظر فإنك لست بخير الحديث[1].

الحديث رقم ٥١٩٨: أخرجه أحمد في المسند ٥/١٥٨.

(١) الجامع الصغير ١/١٦٣ حديث رقم ٢٧٤٠.

٥١٩٩ ـ (٤٥) وعنه، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «ما زهِدَ عبدٌ في الدنيا إلاَّ أنبتَ اللَّهُ الحكمةَ في قلبِه، وأنطقَ بها لسانَه، وبصَّرَه عيبَ الدنيا وداءَها ودواءَها، وأخرجه منها سالماً إلى دار السلام» رواه البيهقي في «شعب الإيمان».

٥٢٠٠ ـ (٤٦) وعنه، أنَّ رسول الله ﷺ قال: «قد أفلحَ مَن أخْلَصَ اللَّهُ قلبَه للإيمان، وجعلَ قلبَه سليماً، ولسانَه صادقاً، ونفسَه مطمئنَّةً، وخَليقتَه مستقيمةً، وجعلَ أُذنَه مستمعةً، وعينَه ناظرةً،

٥١٩٩ ـ (وعنه) أي عن أبي ذر (قال: قال رسول الله ﷺ: ما زهد) بكسر الهاء (عبد في الدنيا) أي زيادتها على قدر الحاجة من مال أو جاه (إلا أنبت الله الحكمة) أي أنبت المعرفة المتقنة (في قلبه وأنطق بها لسانه وبصره) بتشديد الصاد من البصيرة، أي جعله معايناً. (عيب الدنيا) أي معايبها من كثرة عنائها وقلة غنائها وخسة شركائها وسرعة فنائها وغير ذلك من أتعاب[1] البدن وإكثار الحزن وإشغال القلب عن ذكر الرب. قال الطيبي [رحمه الله]: هو إشارة إلى الدرجة الثانية، يعني لما زهد في الدنيا لما حصل له من علم اليقين بعيوب الدنيا أورثه الله تعالى به بصيرة حتى حصل له بها حق اليقين. (وداءها) أي علة محبتها وسبب طلبتها (ودواءها) أي معالجتها بمعجون العلم والعمل، والاحتمال عنها بالصبر والقناعة والرضا بما قسم له منها. (وأخرجه) أي الله تعالى (منها) أي من الدنيا وآفاتها وبلياتها (سالماً) أي بالإعراض عنها والإقبال على العقبى (إلى دار السلام) وفيه إشارة إلى أن من لم يزهد فيها ولم يطلع على عيبها ودائها ودوائها لم يدخل الجنة أصلاً، أو لم يدخل بسلام بل بعد سابقة عذاب أو لاحقة حجاب والله [تعالى]أعلم. (رواه البيهقي في شعب الإيمان) وروى أبو نعيم في الحلية عن ابن عمر [رضي الله تعالى عنهما]: ما زان الله العباد بزينة أفضل من زهادة في الدنيا وعفاف في بطنه وفرجه[2].

٥٢٠٠ ـ (وعنه) أي عن أبي ذر أيضاً (أن رسول الله ﷺ قال: قد أفلح من أخلص الله قلبه للإيمان) أي جعل قلبه خالصاً للإيمان بحيث لا يسعه غيره وما يتبعه (وجعل قلبه سليماً) أي عن الحسد والحقد والبغض وسائر الأخلاق الذميمة والأحوال الرديئة من حب الدنيا والغفلة عن المولى والذهول عن العقبى. قال تعالى: ﴿يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم﴾ [الشعراء ـ ٨٨ ـ ٨٩]، (ولسانه صادقاً) أي في قوله ووعده وعهده. (ونفسه مطمئنة) أي بذكر ربه وحبه (وخليقته) أي جبلته التي خلق عليها من أصلها مع قطع النظر عن عوارضها المعبر عنها بالفطرة. (مستقيمة) أي غير مائلة إلى طرفي الإفراط والتفريط. (وجعل أذنه) بضمتين ويسكن الثانية (مستمعة) أي للحق واعية للعلم (وعينه ناظرة) أي إلى دلائل الصنع من

الحديث رقم ٥١٩٩: أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ٧/ ٣٤٦ حديث رقم ١٠٥٣٢.

(١) في المخطوطة «ألقاب».

(٢) حلية الأولياء ٨/ ١٧٧.

الحديث رقم ٥٢٠٠: أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ١/ ١٣٢. حديث رقم ١٠٨ وأحمد في المسند ٥/ ١٤٧.

فأما الأذنُ فقمَعٌ، وأمّا العينُ فمقرّةٌ لِما يُوعي القلب، وقد أفلحَ من جُعلَ قلبُه واعياً» رواه أحمد، والبيهقي في «شعب الإيمان».

٥٢٠١ ـ (٤٧) وعن عُقبةَ بن عامرٍ، عن النبيِّ ﷺ، قال: «إذا رأيتَ اللّهَ عزَّ وجلَّ

الآفاق والأنفس (فأما) بالفاء العاطفة، ولعل المعطوف عليه مقدر. والمعنى أما ما سبق من القلب واللسان وغيرهما فأمره ظاهر في كونه شرط للإفلاح، وأما (الأذن فقمع) بفتح فسكون وبكسر القاف مع سكون الميم وفتحها. ففي القاموس: القمع بالفتح والكسر وكعنب، ما يوضع في فم الإناء فيصب فيه الدهن وغيره. وفي النهاية: القمع كضلع، إناء يترك في رؤوس الظروف لتملأ بالمائعات من الأشربة والدهان. قال الطيبي [رحمه الله]: شبه أسماع الذين يستمعون القول ويعونه بقلوبهم بالأقماع (وأما العين فمقرة) بضم الميم وكسر القاف وتشديد الراء، كذا في أصل الأصيل. وفي أكثر النسخ بفتحات وهو الأظهر أي محل قرار. (لما يوعي) أي يحفظ (القلب) بالرفع، وفي بعض النسخ بالنصب وهو يؤيد ما في الأصيل ويناسب الإيعاء. قال الطيبي: قوله: فمقرة وارد على سبيل الاستعارة لأنها تثبت في القلب وتقر فيه ما أدركته بحاستها، وكان القلب لها وعاء وهي تقر فيه ما رأته. قال في أساس البلاغة: ومن المجاز قر الكلام في أذنه وضع فاه على أذنه فأسمعه، وهو من قر الماء في الإناء إذا صبه فيه. والقلب مرفوع على أنه فاعل يوعي ويحتمل النصب، أي يقر في القلب أي يحفظه. وإنما خص السمع والبصر لأن الآيات الدالة على وحدانية الله إما سمعية فالأذن هي التي تجعل القلب وعاء لها، أو نظرية[1] فالعين هي التي تقرها في القلب وتجعله وعاء لها. ومن ثم جعل قوله: (وقد أفلح من جعل قلبه واعياً) أي حافظاً، كالفذلكة للقرينتين. قلت: وبه يتم آلات العلم وأسبابه، ولذا قال تعالى: ﴿إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولاً﴾ [الإسراء ـ ٣٦]. وفي تقديم السمع إشعار بأن العمدة هي العلوم الشرعية التي تعرف من الأدلة السمعية المورثة لعلم اليقين، ثم يرتقي إلى مرتبة النظر ورتبة الفكر إلى أن يصير علمه عين اليقين وينتهي إلى القلب الذي هو عرش الرب، وبه يصل إلى كمال حق اليقين رزقنا الله [تعالى] جميع مراتب اليقين في درجات الدين المعبر عنها بقوله سبحانه: ﴿واعبد ربك حتى يأتيك اليقين﴾ [الحجر ـ ٩٩]. ووجه الغاية أنه لا يتصوّر بعد تحقق اليقين[2] ترك العبادة في الدين، بل يحصل له مرتبة وضع الميت بين يدي الغاسل كما قيل: موتوا قبل أن تموتوا، ولذا أجمع المفسرون على أن المراد باليقين في الآية هو الموت. وما أحسن هذا الموت الذي هو عين الحياة أذاقنا الله منه بعض الذوق الممزوج بحلاوة الشوق. (رواه أحمد والبيهقي في شعب الإيمان).

٥٢٠١ ـ (وعن عقبة بن عامر عن النبي ﷺ قال: إذا رأيت الله عزّ وجلّ

---

(١) في المخطوطة «فطرية». (٢) في المخطوطة «التعيين».

الحديث رقم ٥٢٠١: أخرجه أحمد في المسند ٤/ ١٤٥.

يُعطي العبدَ من الدنيا، على معاصيه، ما يُحبُّ؛ فإنما هو استدراجٌ». ثم تلا رسول الله ﷺ: ﴿فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء حتى إذا فرحوا بما أُوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مُبلسون﴾. رواه أحمد.

٥٢٠٢ ـ (٤٨) وعن أبي أمامة، أنَّ رجلاً من أهل الصفة توفي وترك ديناراً،

يعطي العبد من الدنيا على معاصيه) أي مع وجود فعله إياها **(ما يحب)** أي من أسبابها **(فإنما هو)** أي ذلك الإعطاء **(استدراج)** أي مكر منه سبحانه، قال تعالى: **﴿سنستدرجهم من حيث لا يعلمون﴾** [الأعراف ـ ١٨٢]. **قال الطيبي** [رحمه الله]: الاستدراج هو الأخذ في الشيء والذهاب فيه درجة فدرجة كالمراقي والمنازل في ارتقائه ونزوله. ومعنى استدراج الله استدراجهم قليلاً قليلاً إلى ما يهلكهم ويضاعف عقابهم من حيث لا يعلمون ما يراد بهم، وذلك أن يواتر الله نعمه عليهم مع انهماكهم في الغي، فكلما جدد عليهم نعمة ازدادوا بطراً وجددوا معصية فيتدرجون في المعاصي بسبب ترادف النعم، ظانين أن متواترة النعم أثرة من الله وتقريب وإنما هي خذلان منه وتبعيد. **(ثم تلا رسول الله ﷺ:)** أي استشهاداً أو اعتضاداً **(فلما نسوا)** أي عهده سبحانه أو تركوا أمره ونهيه، وهو المعني بقوله: **(ما ذكروا به)** أي وعظوا **(فتحنا)** بالتخفيف ويشدد **(عليهم أبواب كل شيء)** أي من أسباب النعم التي في الحقيقة من موجبات النقم **(حتى إذا فرحوا بما أوتوا)** أي أعطوا من المال والجاه وصحة البدن وطول العمر **(أخذناهم بغتة)** أي فجأة بالموت أو العذاب فإنه أشد في تلك الحالة **(فإذا هم مبلسون)** [الأنعام ـ ٤٤] أي واجمون ساكتون محسرون متحيرون آيسون **(رواه أحمد)** وفي الجامع عنه بلفظ: إذا رأيت الله تعالى يعطي العبد من الدنيا ما يحب وهو مقيم على معاصيه فإنما ذلك منه استدراج. رواه الطبراني وأحمد والبيهقي[1].

٥٢٠٢ ـ **(وعن أبي أمامة أن رجلاً من أهل الصفة)** في النهاية: [هم]فقراء المهاجرين ومن لم يكن له منزل يسكنه، وكانوا يأوون إلى موضع مظلل في مسجد المدينة يسكنونه. قال الطيبي [رحمه الله]: وفي وصف الرجل بهذا النعت إشعار بأن الحكم الذي يليه معلل به، يعني انتماءه إلى الفقراء الذين زهدوا في الدنيا مع وجود الديناربن أو الدينار دعوى كاذبة يستحق به العقاب، وإلا فقد كان كثير من الصحابة كعثمان بن عفان وعبد الرحمٰن بن عوف وطلحة بن عبيد الله [رضي الله تعالى عنهم أجمعين] يقتنون الأموال ويتصرفون فيها وما عليهم أحد ممن أعرض عن الفتنة، لأن الإعراض اختيار للأفضل وإلا دخل في الورع والزهد في الدنيا والاقتناء فيها مباح مرخص لا يذم صاحبه ولكل شيء حد. والحاصل أن رجلاً منهم **(توفي)** بصيغة المجهول وجوّز المعلوم، أي قبض ومات. **(وترك ديناراً)** أي وجد عنده أو عند

---

(١) الجامع الصغير ١/ ٤٤ حديث رقم ٦٢٩.

الحديث رقم ٥٢٠٢: أخرجه أحمد في المسند ٥/ ٢٥٨. والبيهقي في شعب الإيمان ٥/ ٣٦٤. حديث رقم ٦٩٦٤.

فقال رسول الله ﷺ: «كيَّةٌ» قال: ثم توفي آخر فترك دينارين، فقال رسول الله ﷺ: «كيَّتانِ». رواه أحمد، والبيهقيُّ في «شعب الإيمان».

٥٢٠٣ ـ (٤٩) وعن معاوية: أنهُ دَخلَ على خالِه أبي هاشم بن عتبة يعوده، فبكى أبو هاشم، فقال ما يبكيك يا خال؟ أوَجَعٌ يُشئِزُكَ أم حرصٌ على

غيره (فقال رسول الله ﷺ: كية) أي هوكية للمبالغة أو سبب كية أو آلة وهو الأظهر لقوله تعالى: ﴿يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم﴾ [التوبة ـ ٣٥]الآية. (قال:) أي الراوي (ثم توفي آخر) أي من أهل الصفة (فترك دينارين فقال رسول الله ﷺ: كيتان) وتوضيح المرام في هذا المقام أنهما لما كانا مع الفقراء الذين كان الناس يتصدّقون عليهم بناء على نهاية حاجتهم وغاية فاقتهم فهم بمنزلة السائلين أما قالاً وأما حالاً، ولا يحل لأحد يسأل وعنده قوت يوم، فوقع [أي السؤال] لكليهما مع وجود الدينار لهما حراماً. وكذا كل من أظهر نفسه بصورة الفقراء من لبس الخلق أو زي الشحاذين وعنده شيء من النقود أو ما يقوم مقامها، وأخذ مما في أيدي الناس وأكل فهو حرام عليه. وكذا من أظهر نفسه عالماً أو صالحاً أو شريفاً ولم يكن في نفس الأمر مطابقاً وأعطى [لأجل] علمه أو صلاحه أو شرفه فيكون حراماً عليه. وقد حكي أن الشيخ أبا إسحاق الكازروني [رحمه الله] رأى جمعاً من الفقراء يأكلون من الطعام الموضوع للمستحقين من تكية فقال: يا أكلة الحرام. فامتنعوا من الأكل. فقال: كل من لم يكن معه شيء من الدنيا يأكل وإلا فلا. فأكل بعضهم وامتنع بعضهم، فقال: سبحانه [جلّ شأنه]طعام واحد حرام لقوم وحلال لآخرين فليحذر أهل الحرمين الشريفين أعزهما الله تعالى في الدارين من أن يأكل أحد منهم. والحال أنه غني شرعي من الأوقاف الموضوعة للفقراء، وكذلك [كل] من سكن الخلاوي الموقوفة للمساكين. فقد صرح ابن الهمام [رحمه الله]بأن الغني يحرم عليه أن يسكن في خلاوي الأربطة. ولا يغتر أحد بما اشتهر من أن أوقاف الحرمين عام للفقير والغني، فإنه على تقدير صحته لا يصح الوقف عندنا على الأغنياء إذا كانوا غير محصورين. وبهذا يظهر أن إمامنا الأعظم ومقتدانا الأقوم لو كان في هذا الزمان وشاهد سكان هذا المكان لقال بحرمة المجاورة خلافاً لما قال في الصدر الأوّل من كراهتها لعدم من يقوم بحق عظمتها وحرمتها إلا نادراً، والنادر لا حكم له. (رواه أحمد والبيهقي في شعب الإيمان).

٥٢٠٣ ـ (وعن معاوية) أي ابن أبي سفيان، وهو خال المؤمنين. (أنه دخل على خاله) أي النسبي (أبي هاشم بن عتبة) ومر ترجمته (يعوده) حال أو استئناف بيان، أي يزوره لمرضه. (فبكى أبو هاشم فقال: ما يبكيك) أي أي شيء يجعلك باكياً (يا خال) بكسر اللام، وفي نسخة بضمها على حد يا غلام. (أوجع يشئزك) بضم الياء وكسر الهمزة، أي يقلقك ويتعبك، فيبكيك. ففي القاموس: شئز شأزاً غلظ واشتد ويقال: قلق وأشأزه أقلقه. (أم حرص على

الحديث رقم ٥٢٠٣: أخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٤٨٨ حديث رقم ٢٣٢٧. والنسائي في السنن ٨/ ٢١٨ حديث رقم ٥٣٧٢. وابن ماجه في السنن ٢/ ١٣٧٤ حديث رقم ٤١٠٣. وأحمد في المسند ٥/ ٢٩٠.

الدنيا؟ قال: كلا، ولكنَّ رسول الله ﷺ عهد إلينا عهداً لم آخذ به. قال: وما ذلك؟ قال سمعته يقول: «إنما يكفيك من جمع المال خادمٌ ومركبٌ في سبيل الله». وإني أراني قد جمعتُ. رواه أحمد، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه.

٥٢٠٤ ـ (٥٠) وعن أم الدرداء، قالت: قلت لأبي الدرداءِ: ما لك لا تطلبُ كما يطلبُ فلانٌ؟ فقال: إني سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «إن أمامكم عقبةً كَؤُوداً لا يجوزُها المُثقلون». فأحب أن أتخفف لتلك العقبة.

٥٢٠٥ ـ (٥١) وعن أنسٍ، قال: قال رسول الله ﷺ: «هل من أحدٍ يمشي على الماءِ

(الدنيا) أي يقلقك فيبكيك. وفيه تنبيه على أن الأمر لا يخلو إما من اشتداد مرض صوري أو عرض معنوي يكون كل منهما باعثاً على نكد ظاهري وباطني. **(قال: كلا)** أي ارتدع عن حسبانك، كلا ومعناه ليس الباعث أحدهما. **(ولكن رسول الله ﷺ عهد إلينا عهداً لم آخذ به)** والمراد بالعهد أما وصية عامة أو مبايعة خاصة **(قال: وما ذلك)** أي العهد، وفي نسخة وما ذاك. **(قال: سمعته يقول: إنما يكفيك من جمع المال)** أي الذي يحصل المنال[1] في المآل **(خادم ومركب في سبيل الله وإني أراني)** بضم الهمزة أي أظن. وفي نسخة بفتحها، أي أبصر أو أعلم. **(قد جمعت)** أي زيادة على ما عهدت. وأغرب الطيبي [رحمه الله]حيث قال: حذف متعلقه ليدل على الكثرة من أنواع المال والله [تعالى]أعلم بالحال. **(رواه أحمد والترمذي والنسائي وابن ماجه)**.

٥٢٠٤ ـ **(وعن أم الدرداء قالت: قلت لأبي الدرداء: ما لك لا تطلب)** أي مالاً أو منصباً **(كما يطلب فلان)** أي وهو من نظرائك **(فقال: إني)** بكسر الهمزة ويجوز فتحها بتقدير لأني. **(سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن أمامكم)** بفتح الهمزة، أي قدامكم وهو ظرف وقع خبراً مقدماً، والاسم قوله: **(عقبة)** بفتحات، أي مرقى صعباً من الجبال على ما في القاموس. **(كؤوداً)** بفتح فضم همزة فواو فدال، أي شاقة فاصلة بينكم وبين دخول الجنة. قال الطيبي [رحمه الله]: والمراد بها الموت والقبر والحشر وأهوالها وشدائدها، شبهها بصعود العقبة ومكابدة ما يلحق الرجل من قطعها. **(لا يجوزها)** أي لا يتجاوز تلك العقبة على طريق السهولة. **(المثقلون)** من باب الإفعال، أي الحاملون ثقل المال ومؤونة الجاه وسعة الحال. ولذا قيل: فاز المخفون وهلك المثقلون. **(فأحب أن أتخفف)** [أي بترك الطلب]والصبر[2] على قلة المؤونة **(لتلك العقبة)** لئلا يحصل لي التعب فيها.

٥٢٠٥ ـ **(وعن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: هل من أحد يمشي على الماء**

---

(١) في المخطوطة «منال».

الحديث رقم ٥٢٠٤: أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ٧/ ٣٠٩ حديث رقم ١٠٤٠٨.

(٢) في المخطوطة «صبر».

الحديث رقم ٥٢٠٥: أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ٧/ ٣٢٣ حديث رقم ١٠٤٥٧.

إلاَّ ابتلَّتْ قدماه؟». قالوا: لا، يا رسول الله! قال: «كذلك صاحبُ الدنيا لا يسلمُ من الذنوب». رواهما البيهقي في «شعب الإيمان».

٥٢٠٦ - (٥٢) وعن جُبير بن نُفير [رضي الله عنه] مرسلاً، قال: قال رسول الله ﷺ: «ما أُوحي إليَّ أن أجمعَ المالَ وأكونَ من التاجرين، ولكن أوحي إليَّ أن ﴿فسبّح بحمد ربّك وكن من الساجدين. واعبد ربَّك حتى يأتيك اليقين﴾». رواه في «شرح السنة» وأبو نعيم في «الحلية» عن أبي مسلم.

إلا ابتلت قدماه) أي هل يمشي على الماء في حال من الأحوال إلا في حال الابتلال. وحاصل معناه: هل يتحقق المشي على الماء بلا ابتلال. **(قالوا: لا يا رسول الله. قال: كذلك صاحب الدنيا لا يسلم من الذنوب)** أي من المعاصي اللازمة لصاحب حب الدنيا. قال الطيبي [رحمه الله]: فيه تخويف شديد للمتقين وحث أكيد على الزهد [في الدنيا] وإيثار الآخرة على الأولى، وكفى بها تبعة أن يدخل الفقراء في الجنة قبل الأغنياء بخمسمائة عام عافانا الله منها بكرمه وفضله. **(رواهما)** أي الحديثين **(البيهقي في شعب الإيمان)** وكذا الحاكم روى الحديث الأول[1]. وقال ميرك نقلاً عن المنذري: حديث أم الدرداء رواه الطبراني بإسناد صحيح، ورواه البزار عن أبي الدرداء رفعه: إن بين أيديكم عقبة كؤوداً لا ينجو منها إلا كل مخف. وإسناده حسن.

٥٢٠٦ - **(وعن جبير بن نفير)** بالتصغير فيهما. قال المؤلف: تابعي خضرمي أدرك الجاهلية والإسلام وهو من ثقات الشاميين وحديثه فيهم. روى عن أبي الدرداء وأبي ذر، وعنه جماعة. **(مرسلاً)** أي بحذف الصحابي **(قال: قال رسول الله ﷺ: ما أوحي إلي)** أي لم يوح إلي **(أن أجمع المال)** أن مصدرية والباء مقدرة. وقوله: **(وأكون)** عطف عليه **(من التاجرين)** أي المتوغلين في التجارة **(ولكن أوحي إليّ)** أي قيل لي بالوحي **(أن ﴿فسبح﴾)** أن مفسرة لما في الوحي من معنى القول، أي سبح. **(﴿بحمد ربك﴾)** أي مقروناً به. والمعنى نزه الله تعالى عما لا يليق بذاته وصفاته منتهياً إلى ثناء ربك بإثبات صفات الجلال والجمال له. **(﴿وكن من الساجدين﴾)** أي المصلين بذكر أحد الأركان وإرادة تمام الصلاة، فهو من قبيل مجاز إطلاق الجزء وإرادة الكل. ووجه تخصيص السجدة ما ورد في حديث مسلم: أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد. **(﴿واعبد ربك﴾)** تعميم بعد تخصيص، سواء كان المراد به الأمر بالعبادة أو بالعبودية. **(﴿حتى يأتيك اليقين﴾)**[2] أي الموت بإجماع المفسرين. وفيه اقتباس من قوله تعالى: **﴿ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين واعبد ربك حتى يأتيك اليقين﴾** [الحجر آيات ٩٧، ٩٨، ٩٩]. **(رواه)** أي البغوي **(في شرح السنة)** أي عن جبير بن نفير **(وأبو نعيم)** بالتصغير **(في الحلية عن أبي مسلم)** قال المؤلف: هو أبو

---

(١) أخرج حديث ابن ماجه الحاكم في المستدرك ٤/ ٥٧٤.

الحديث رقم ٥٢٠٦: أخرجه البغوي في شرح السنة ١٤/ ٢٣٧. حديث رقم ٤٠٣٦.

(٢) سورة الحجر الآيتان رقم ٩٨ و٩٩.

٥٢٠٧ ـ (٥٣) وعن أبي هريرة [رضي الله عنه]، قال: قال رسول الله ﷺ: «مَن طلبَ الدنيا حلالاً استعفافاً عن المسألة، وسَعْياً على أهله، وتعطُّفاً على جاره؛ لَقِيَ اللَّهَ تعالى يومَ القيامةِ ووجهُهُ مثلُ القمرِ ليلة البدر. ومن طلب الدنيا حلالاً، مكاثراً، مفاخراً، مرائياً؛ لَقِيَ الله تعالى وهوَ عليهِ غَضْبانُ». رواه البيهقي في «شعب الإيمان». وأبو نُعَيم في «الحلية».

٥٢٠٨ ـ (٥٤) وعن سهل بن سعد، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال: «إنَّ هذا الخيرَ خزائن، لتلك الخزائنُ مفاتيح،

مسلم الخولاني الزاهد، لقي أبا بكر وعمر ومعاذاً [رضي الله عنهم]. روى عنه جبير بن نفير وعروة وأبو قلابة. ومناقبه كثيرة. مات سنة اثنين وستين انتهى، فيحتمل أن الحديث مروي من طريق جبير عن أبي مسلم أو من طريق غيره والله [تعالى]أعلم.

٥٢٠٧ ـ (**وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: من طلب الدنيا حلالاً**) أي من طريق حلال (**استعفافاً**) أي لأجل طلب العفة (**عن المسألة**) ففي النهاية: الاستعفاف طلب العفاف. والتعفف وهو الكف عن الحرام والسؤال من الناس. (**وسعياً على أهله**) أي لأجل عياله ممن يجب عليه مؤونة حاله (**وتعطفاً على جاره**) إحساناً عليه بما يكون زائداً لديه (**لقي الله تعالى يوم القيامة ووجهه**) أي والحال أن وجهه من جهة كمال النور وغاية السرور. (**مثل القمر ليلة البدر**) قيد به لأنه وقت كماله. وفيه إشارة خفية إلى أن هذا النور له ببركة المصطفى المنزل عليه: ﴿**طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى**﴾ [طه ـ ١ ـ ٢]. فإن طه أربعة عشر بحساب أبجد الذي يعرفه الأب والجد، وهذا يوم لا ينفع ذا الجد منك الجد (**ومن طلب الدنيا حلالاً**) أي فضلاً عن أن يطلب حراماً (**مكاثراً**) أي حال كونه طالباً كثرة المال لا حسن الحال ولا صرفه في تحسين المآل. (**مفاخراً**) أي على الفقراء كما هو دأب الأغبياء من الأغنياء. (**مرائياً**) أي إن فرض عنه صدور خير أو عطاء. (**لقي الله تعالى وهو عليه غضبان**) ولعله ﷺ لم يذكر من طلب الحرام أما اكتفاء بما يفهم من فحوى الكلام، وأما إيماء إلى أنه ليس من صنيع أهل الإسلام، أو إشعار بأن الحرام أكله وقربه حرام ولو لم يكن هناك طلب ومرام. قال الطيبي [رحمه الله]: وفي الحديث معنى قوله تعالى: ﴿**يوم تبيض وجوه وتسود وجوه**﴾ [آل عمران ـ ١٠٦]. وهما عبارتان عن رضا الله [تعالى]وسخطه، فقوله: ووجهه مثل القمر. مبالغة في حصول الرضا بدلالة قوله في مقابلته: وهو عليه غضبان. (**رواه البيهقي في شعب الإيمان وأبو نعيم في الحلية**).

٥٢٠٨ ـ (**وعن سهل بن سعد أن رسول الله ﷺ قال: إن هذا الخير**) أي هذا الجنس من الخير المدسوس المعلوم كالمحسوس (**خزائن**) أي أنواع كثيرة مخزونة مكنونة مركوزة موضوعة فيما بين عباده. (**لتلك الخزائن**) خبر مقدم على مبتدئه وهو قوله: (**مفاتيح**) أي على أيدي

الحديث رقم ٥٢٠٧: أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ٧/ ٢٩٨ حديث رقم ١٠٣٧٥. وأبو نعيم في الحلية ٨/ ٢١٥.

الحديث رقم ٥٢٠٨: أخرجه ابن ماجه في السنن ١/ ٨٧ حديث رقم ٢٣٨.

فطوبى لعبدٍ جعله الله مفتاحاً للخير، مغلاقاً للشرّ؛ وويلٌ لعبدٍ جعلَه الله مفتاحاً للشرِّ مغلاقاً للخَيْر». رواه ابن ماجه.

٥٢٠٩ ـ (٥٥) وعن علي رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا لم يُبارِكْ للعبد

الذين هم بمنزلة وكلائه. ثم الظاهر أن ذكر[1] الخير بدون ذكر الشر من باب الاكتفاء، أو إشارة إلى أن الشر ما خلق لذاته. ولذا ورد في قوله تعالى: ﴿**بيدك الخير**﴾ [آل عمران ـ ٢٦]. مع أن الأمر كله لله. وفي الحديث الشريف: الخير كله بيديك والشر ليس إليك[2]. أدباً. فقيل: المعنى أنه لا ينسب إليك، والأظهر أن الشر إنما يحصل بترك الخير فيكون بينهما نسبة التضاد كالنور والظلمة والوجود والعدم. ومما يدل على أن لله خزائن للشر أيضاً قوله: (**فطوبى لعبد جعله الله مفتاحاً للخير**) أي علماً أو عملاً أو حالاً أو مآلاً (**مغلاقاً للشر. وويل لعبد جعله الله مفتاحاً للشر**) أي للكفر والعصيان والبطر والطغيان والبخل وسوء العشرة مع الإخوان. (**مغلاقاً للخير**) قال الراغب: الخير ما يرغب فيه الكلُّ كالعقل مثلاً والعدل والفضل والشيء النافع، والشر ضده. والخير والشر قد يتحدان وهو أن يكون خير الواحد شر الآخر، كالمال الذي يكون رباه كان خيراً لزيد وشراً لعمرو، ولذلك وصفه الله تعالى بالأمرين فقال في موضع: ﴿**إن ترك خيراً**﴾ [البقرة ـ ١٨٠]. أي مالاً. وقال في موضع آخر: ﴿**أيحسبون إنما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات**﴾ [المؤمنون ـ ٥٦]. وكذا العلم بالنسبة إلى بعضهم حجاب وسبب العذاب، وبالنسبة إلى بعض آخر اقتراب إلى رب الأرباب. وقس على هذا العبادة فإن منها ما يورث العجب والغرور ومنها ما يورث النور والسرور والحبور كالسيف والخيل ونحوهما قد يجعل آلة للجهاد مع الكفار ويتوصل بها إلى القرار في دار الأبرار، وقد يتوصل بها إلى قتل الأنبياء والأولياء وينتهي بها إلى الدرك الأسفل من النار. وهذا معنى ما سيأتي من قوله ﷺ: إلا وأن الخير كله بحذافيره في الجنة إلا وأن الشر كله بحذافيره في النار. يعني بحسب ما قسم لأهلها قسمة أزلية أبدية مبنية على جعل بعضهم مرائي الجمال، وبعضهم مظاهر الجلال كما قال: ﴿**فريق في الجنة وفريق في السعير**﴾ [الشورى ـ ٧]. وقد قال: [الله تعالى في الحديث القدسي] خلقت هؤلاء للجنة ولا أبالي وخلقت هؤلاء للنار ولا أبالي. مشيراً إلى قوله سبحانه: ﴿**لا يسأل عما يفعل وهم يسألون**﴾ [الأنبياء ـ ٢٣]. فبحر القضاء والقدر عريض عميق لا يغوص فيه إلا من له تحقيق بتوفيق، يتحير فيه أرباب السواحل ويمضي منه أصحاب سفن الشرائع الكوامل. (**رواه ابن ماجه**) وروى الطبراني في الأوسط عن أبي هريرة مرفوعاً: أن هذه الأخلاق من الله فمن أراد الله تعالى به خيراً منحه خلقاً حسناً، ومن أراد به سوءاً منحه سيئاً[3].

٥٢٠٩ ـ **(وعن علي رضي الله [تعالى]عنه قال: قال رسول الله ﷺ: إذا لم يبارك للعبد**

---

(١) في المخطوطة «ذلك».

(٢) من حديث أخرجه مسلم ١/ ٥٣٤ حديث رقم ٧٧١.

(٣) ذكره السيوطي في الجامع الصغير ١/ ١٥١ حديث رقم ٢٥١٦.

الحديث رقم ٥٢٠٩: أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ٧/ ٣٩٤ حديث رقم ١٠٧١٩.

في ماله جعله في الماءِ والطين».

٥٢١٠ ـ (٥٦) وعن ابن عمر، أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «اتَّقوا الحرامَ في البنيانِ، فإنهُ أساسُ الخرابِ». رواهما البيهقيُّ في «شعب الإيمان».

٥٢١١ ـ (٥٧) وعن عائشة [رضي الله عنها]، عن رسول الله ﷺ قال: «الدُّنيا دارُ مَنْ لا دارَ لهُ، ومالُ مَنْ لا مالَ له، ولها يجمعُ مَنْ لا عقلَ له».

في ماله) أي بأن لا يصرفه في رضا مولاه وعمارة عقباه وحسن مآله. **(جعله)** أي أنفق ماله وضيعه **(في الماء والطين)** أي المعبر بهما عن عمارة الدنيا بسبب إعراضه عن أعراض الدين.

٥٢١٠ ـ **(وعن ابن عمر أن النبي ﷺ قال: اتقوا الحرام)** أي احذروا إنفاقه. وفي الجامع: اتقوا الحجر الحرام **(في البنيان)** أي في صرف عمارة الدنيا الفانية **(فإنه أساس الخراب)** أي في الأيام الآتية كما ورد: «لدوا للموت وابنوا للخراب»[١]. والتقييد بالحرام ليس له مفهوم معتبر، بل فيه إشارة إلى أن المال الحلال لم ينفق صرفه في غير حسن المآل. فقد قال الإمام الغزالي: لو أكل الناس أربعين يوماً من الحلال لخربت الدنيا ولم يبق لها نظام في الحال. ولذا قيل: لولا الحمقى لخربت الدنيا. وقال بعضهم: الغفلة رحمة، ولذا قال تعالى: ﴿**اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون**﴾ [الأنبياء ـ ١]. قيل: التقدير أسباب خراب الدين، أو أساس خراب البنيان. فعلى الأول يدل على جواز إنفاق الحلال في البنيان، وعلى الثاني لا، وهذا أنسب بالباب والله [تعالى]أعلم بالصواب. **(رواهما)** أي الحديثين **(البيهقي في شعب الإيمان)** وروى الطبراني الحديث الأول عن أبي هريرة مرفوعاً ولفظه: للرجل بدل للعبد.

٥٢١١ ـ **(وعن عائشة عن رسول الله ﷺ قال: الدنيا دار من لا دار له)** قال الطيبي [رحمه الله]: لما كان القصد الأول من الدار الإقامة مع عيش هنيء ودار الدنيا خالية عنها لا يستحق لذلك أن تسمى داراً، فمن داره الدنيا فلا دار له. قال تعالى: ﴿**وإن الدار الآخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون**﴾ [العنكبوت ـ ٦٤]. وقال ﷺ: «اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة»[٢]. **(ومال من لا مال له)** فإن المقصود من المال هو الانفاق في المبرات والصرف في وجوه الخيرات، فمن أتلفه في تحصيل الشهوات واستيفاء اللذات فحقيق بأن يقال: لا مال له. قال تعالى: ﴿**وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور**﴾ [آل عمران ـ ١٨٥]. ولذا قدم الظرف على عامله في قوله: **(ولها)** أي للدنيا **(يجمع)** أي المال **(من لا عقل له)** أي عقلاً كاملاً أو عقل الدين

الحديث رقم ٥٢١٠: أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ٧/ ٣٩٤ حديث رقم ١٠٧٢٢.

(١) البيهقي في شعب الإيمان ٧/ ٣٩٦ حديث رقم ١٠٧٣٠ ولفظة «للتراب».

الحديث رقم ٥٢١١: أخرجه أحمد في المسند ٦/ ٧١. والبيهقي في شعب الإيمان ٧/ ٣٧٥ حديث رقم ١٠٦٣٨.

(٢) متفق عليه. البخاري في صحيحه ١١/ ٢٢٩ حديث رقم ٦٤١٢ ومسلم في صحيحه ٣/ ١٤٣١ حديث رقم ١٨٠٤.

رواه أحمد، والبيهقي في «شعب الإيمان».

٥٢١٢ - (٥٨) وعن حُذيفة [رضي الله عنه]، قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول في خطبته: «الخمرُ جماعُ الإثم، والنساء حبائلُ الشيطان، وحب الدنيا رأس كل خطيئة». قال: وسمعته يقول: «أخِّروا النساء حيث أخَّرهنَّ الله».

دلالة على أن جمع الدار الآخرة للتزود هو المحمود. قال تعالى: ﴿وتزودوا فإن خير الزاد التقوى﴾ [البقرة - ١٩٧]. قلت: ومجمل المعنى أن الدنيا لا تستحق أن تعد داراً إلا لمن لا دار له ولا مالاً إلا لمن لا مال له. والمقصود استحقارها وانحطاطها عن أن تعد داراً أو مالاً لمن كانت الآخرة له قرار ومآلاً. قال الراغب: كل اسم نوع يستعمل على وجهين: أحدهما دلالة على المسمى وفصلاً بينه وبين غيره، والثاني لوجود المعنى المختص به، وذلك هو الذي يمدح به. فكل شيء لم يوجد كاملاً لما خلق له لم يستحق اسمه مطلقاً، بل قد ينفي عنه كقولهم: فلان ليس بإنسان، أي لا يوجد فيه المعنى الذي خلق لأجله. **(رواه أحمد والبيهقي في شعب الإيمان)** ورواه البيهقي أيضاً في الشعب عن ابن مسعود موقوفاً.

٥٢١٢ - **(وعن حذيفة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول في خطبته:)** أي موعظته **(الخمر جماع الإثم)** بكسر الجيم أي مجمعه ومظنته. و[قيل]: أصل الجماع [ما يجمع] عدداً. ويرادفه حديث ابن عباس على ما رواه الطبراني مرفوعاً: الخمر أم الفواحش وأكبر الكبائر، من شربها وقع على أمه وخالته وعمته[١]. وفي رواية البيهقي عن ابن عمر بلفظ: الخمر أم الفواحش وأكبر الكبائر، ومن شرب الخمر ترك الصلاة ووقع على أمه وعمته وخالته[٢]. قيل: دعي رجل إلى سجدة لصنم فأبى ثم إلى قتل النفس فأبى ثم إلى الزنا فأبى ثم إلى شرب الخمر[٣] فلما شرب فعل جميع ما طلب منه. **(والنساء)** أي جنسهن **(حبائل الشيطان)** والمراد به الجنس أو رئيسهم. ويؤيد الأول ما في نسخة بلفظ الشياطين، أي مصائدهم. واحدها حبالة بالكسر وهي ما يصاد بها من أي شيء. كان قيل: ما أيس الشيطان من بني آدم إلا أتى من قبل النساء. **(وحب الدنيا رأس كل خطيئة)** أي ملاكها. ومفهومه أن ترك الدنيا رأس كل عبادة. وقد قيل: من أحب الدنيا لا يهديه جميع المرشدين، ومن تركها لا يغويه جميع المفسدين. قال الطيبي [رحمه الله]: والكلمات الثلاث كلها من الجوامع لأن كل واحدة منها على الانفراد أصل في المحرم والمأثم. **(قال:)** أي حذيفة **(وسمعته)** أي النبي ﷺ **(يقول: أخروا النساء حيث أخرهن الله)** قال الطيبي [رحمه الله]: حيث للتعليل، أي أخرهن الله تعالى في الذكر

الحديث رقم ٥٢١٢: رواه رزين. وروى عبد الرزاق في المصنف عن ابن مسعود قوله «أخروهن حيث أخرهن الله» ٣/ ١٤٩ حديث رقم ٥١١٥.

(١) ذكره السيوطي في الجامع الصغير ٢/ ٢٥٢ حديث رقم ٤١٤١.

(٢) ذكره السيوطي في الجامع الصغير ٤١٤٢ وقال في الجامع أنه للطبراني في الكبير.

(٣) في المخطوطة «دعني إلى شرب خمر فأبى».

رواه رزين.

٥٢١٣ ـ (٥٩) وروى البيهقي منه في «شعب الإيمان» عن الحسن، مرسلاً: «حبُّ الدنيا رأسُ كلِّ خطيئةٍ».

٥٢١٤ ـ (٦٠) وعن جابر [رضي الله عنه]، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إن أخوفَ ما أتخوَّفُ على أُمتي الهوى وطولُ الأمل؛ فأما الهوى فيصدُّ عن الحق، وأما طول الأمل فيُنسي الآخرةَ،

وفي الحكم وفي المرتبة فلا تقدموهن ذكراً وحكماً ومرتبة. قلت: وأصحابنا استدلوا به على بطلان محاذاة المرأة بشروطها المعتبرة على ما هو مقرر عندهم ومحقق عند المحقق ابن الهمام [رحمه الله]. (رواه) أي الحديث بكماله (رزين) وفي التمييز لابن الربيع حديث: أخروهن من حيث أخرهن الله. يعني النساء. قال شيخنا في مصنف عبد الرزاق [رحمه الله]: ذكر أحاديث بمعناه من طريق الطبراني ثم قال: ولا نطيل بها. وأشار شيخنا لبعضها في مختصر تخريج الهداية انتهى. فالحديث مشهور عند المحدثين لكن بالمعنى اللغوي لا بالمعنى الإصطلاحي، فإنه يطلق على القريب من المتواتر القطعي. ولذا قال ابن الهمام عند قول صاحب الهداية: ولنا الحديث المشهور لا يثبت رفعه فضلاً عن شهرته، والصحيح أنه موقوف على ابن مسعود لكنه في حكم المرفوع.

٥٢١٣ ـ (وروى البيهقي عنه) أي من الحديث الطويل المتشعب على جمل من الكلام (في شعب الإيمان) أي بإسناد حسن (عن الحسن مرسلاً: حب الدنيا رأس كل خطيئة) قلت: وهو عند أبي نعيم في ترجمة سفيان الثوري من قول عيسى ابن مريم عليه [الصلاة]والسلام وعند ابن أبي الدنيا في مكايد الشيطان له من قول مالك بن دينار، وكذا البيهقي في الزهد من كلام عيسى عليه [الصلاة]والسلام. قال السيوطي [رحمه الله]: وقد عد الحديث في الموضوعات. وتعقبه شيخ الإسلام ابن حجر العسقلاني [رحمه الله]بأن ابن المديني اثنى على مراسيل الحسن والإسناد حسن إليه، وقد رواه الديلمي من حديث علي بن أبي طالب في مسنده ولم يذكر له إسناداً[1]، وهو في تاريخ ابن عساكر عن سعد بن مسعود الصدفي التابعي بلفظ: حب الدنيا رأس الخطايا.

٥٢١٤ ـ (وعن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: إن أخوف ما أتخوف على أمتي الهوى) أي هوى النفس ومشتهياتها (وطول الأمل) أي بتسويف العمل وتأخيره إلى آخر حياتها. (فأما الهوى) أي المخالف للهدي الموافق للباطل (فيصد) أي يمنع صاحبه (عن الحق) أي عن قبوله وانقياده (وأما طول الأمل فينسي) من الإنساء، ويجوز بالتشديد. (الآخرة) لأن ذكرها يقطع

الحديث رقم ٥٢١٣: أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ٧/ ٣٨٨ حديث رقم ١٠٥٠١.

(١) لم أجده في «الفردوس».

الحديث رقم ٥٢١٤: أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ٧/ ٣٧٠ حديث رقم ١٠٦١٦.

وهذه الدنيا مُرتحلة ذاهبة، وهذه الآخرة مرتحلة قادمة، ولكلْ واحدةٍ منهما بنون، فإن استطعتم أن لا تكونوا من بَنِي الدُّنيا فافعلوا، فإنكم اليوم في دار العملِ ولا حساب، وأنتم غداً في دارِ الآخرة ولا عمل».

الأمل ويوجب العمل. (وهذه الدنيا) أي المعلومة هنا والمفهومة حساً. (مرتحلة) أي ساعة فساعة (ذاهبة) أي رائحة من حيث لا يدري صاحبها كما لا يشعر بسير السفينة راكبها. ولذا قيل: [كل]نفس خطوة[1] إلى أجل راعيها. (وهذه الآخرة مرتحلة قادمة) أي آتية. شبههما بالمطيتين المختلفتين في طريقهما، وفيه إشعار بأن كل ما هو آت قريب وإيماء إلى أن كل ساعة يحتمل أنها [تكون]النفس الأخير[2] المقتضي أن يصرفها في طاعة. (ولكل واحدة منهما بنون) أي ملازمون ومحبون وراكبون وراغبون، والجمع بينهما من الأضداد المعلومة كما حققه العلماء العاملون. (فإن استطعتم أن لا تكونوا من بني الدنيا فافعلوا) وفيه اهتمام تام بترك الدنيا ومبالغة بليغة في ملازمة أمر الآخرة حيث لم يقل: فإن استطعتم أن تكونوا من أبناء الآخرة فافعلوا. ولعل العدول لما يلزم من ترك حب الدنيا حصول الآخرة، ولا يلزم من وصول الآخرة ترك حظ الدنيا لقوله تعالى: ﴿**من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له في الآخرة من نصيب**﴾ [الشورى - ٢٠]. ولقوله سبحانه: ﴿**من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموماً مدحوراً من أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكوراً كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظوراً انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلاً**﴾ [الإسراء - ١٨ - ١٩ - ٢٠ - ٢١]. (فإنكم اليوم في دار العمل) أي في دار يطلب منكم عمل الآخرة، فإن الدنيا دار تكليف فاغتنموا العمل قبل حلول الأجل بترك الأمل لأن الدنيا ساعة فينبغي أن تصرف في طاعة. (ولا حساب) أي اليوم بحسب الظاهر بالنسبة إلى الفاجر. وإلا فروي خطاباً للأبرار: حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا. ويدل عليه قوله تعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون**﴾ [الحشر: ١٨]. (وأنتم غداً في دار الآخرة) أي وفي الحساب المترتب عليه الثواب والعقاب[3] (ولا عمل) أي يومئذ لانقطاعه بالأجل. قال السيوطي [رحمه الله]: قوله: ولا حساب. بالفتح بغير التنوين ويجوز الرفع بالتنوين، وكذا قوله: ولا عمل. قال الطيبي [رحمه الله]: أشار بهذه الدنيا إلى تحقير شأنها ووشك زوالها. وفي قوله: الآخرة. أشار إلى تعظيم أمرها وقرب نزولها. وقوله: فإن استطعتم، يعني بينت لكم حال الدنيا من غرورها وفنائها وحال الآخرة من نعيمها وبقائها وجعلت زمام[4] الاختيار في أيديكم فاختاروا أياً ما شئتم. وكان من حق الظاهر أن يقال: فإنكم اليوم في دار الدنيا ولا حساب فوضع دار العمل موضعها المؤذن بأن الدنيا ما خلقت

---

(١) في المخطوطة «خطرة».

(٢) في المخطوطة «نفس الآخر».

(٣) في المخطوطة «العقاب والثواب».

(٤) في المخطوطة «أيام».

رواه البيهقي في «شعب الإيمان».

٥٢١٥ ـ (٦١) وعن علي رضي الله عنه قال: ارتحلتِ الدنيا مُدبرة، وارتحلتِ الآخرة مقبلةً، ولكلّ واحدةٍ منهما بنون، فكونوا منْ أبناءِ الآخرة، ولا تكونوا من أبناءِ الدنيا، فإنَّ اليوم عملٌ ولا حسابَ، وغداً حساب ولا عمل. رواه البخاري في ترجمة باب.

٥٢١٦ ـ (٦٢) وعن عمرو [رضي الله عنه] أن النبي ﷺ خطبَ يوماً فقال في خطبته: «ألا إنَّ الدنيا عرض حاضرٌ، يأكل منه البرّ والفاجر، ألا وإنَّ الآخرة أجلٌ صادق،

إلا للعمل والتزود منها للدار الآخرة، ولم يعكس [ليشعر بأن][1] الدار هي دار الآخرة. (رواه البيهقي في شعب الإيمان) قال الطيبي [رحمه الله]: وهذا الحديث رواه جابر مرفوعاً. وفي رواية البخاري عن علي رضي الله [تعالى] عنه كما سيأتي موقوفاً. وهذا الحديث يدل على أن حديث علي كرم الله وجهه أيضاً مرفوع. قلت: وفيه بحث لأنه إنما يقال في الموقوف الذي لا مجال للرأي فيه أنه في حكم المرفوع، ولا شك أن هذا الموقوف ليس من ذلك القبيل المعروف فيحتمل أن يكون مرفوعاً مسموعاً، ويحتمل أن يكون وقع منه رضي الله [تعالى]عنه توارداً مطابقاً مطبوعاً.

٥٢١٥ ـ (وعن علي رضي الله عنه) أي موقوفاً (قال: ارتحلت الدنيا مدبرة وارتحلت الآخرة مقبلة) أي ظهر إدبار الدنيا وفناؤها وإقبال الآخرة وبقاؤها. (ولكل واحدة منهما بنون) أي بهما متعلقون (فكونوا من أبناء الآخرة) أي بالتوجه إليها (ولا تكونوا من أبناء الدنيا) أي بالاعراض عنها وعدم الاقبال عليها (فإن اليوم عمل) أي وقت عمل (ولا حساب) [أي زمان لا محاسبة على الاكتساب. وقد يقال: جعل اليوم نفس العمل والمحاسبة مبالغة. كذا قوله: (وغداً) أي يوم القيامة (حساب]ولا عمل) وتقدم ما في الحساب والعمل من اختلاف الإعراب. (رواه البخاري في ترجمة باب) أي من غير ذكر إسناد في كتاب.

٥٢١٦ ـ (وعن عمرو) بالواو (أن النبي ﷺ خطب يوماً فقال في خطبته: ألا) للتنبيه (إن الدنيا عرض) بفتحتين، أي مال حادث وحال عارض. (حاضر) أي عاجل محسوس (يأكل منه) أي من العرض. وفي نسخة: منها، أي من الدنيا. (البر والفاجر) أي المؤمن والكافر فإنه تعالى قال: ﴿وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها﴾ [الأنعام ـ ٣٨]. وقال: ﴿كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظوراً﴾ [الإسراء ـ ١٧]. أي ممنوعاً. هذا وقال الراغب: العرض ما لا يكون له ثبات، ومنه استعار المتكلمون قولهم: العرض لما لا ثبات له إلا بالجوهر كاللون والطعم. وقيل: للدنيا عرض حاضر تنبيهاً على أن لا ثبات لها. (ألا وأن الآخرة) قال الطيبي [رحمه الله]: حرف التنبيه هنا مقحم وما بعده معطوف على قوله: إن الدنيا، قوبلت القرينة السابقة بقوله: ألا وإن الآخرة. (أجل) أي مؤجل (صادق) أي وقوعها

---

(١) في المخطوطة بدل المعكوفتين «ثم بأن».

الحديث رقم ٥٢١٥: أخرجه البخاري في صحيحه ١١/ ٢٣٥. في باب رقم ٤ باب في الأمل وطوله.

الحديث رقم ٥٢١٦: لم أقف عليه في مسند الإمام الشافعي.

ويقضي فيها مَلِك قادر، ألا وإن الخيرَ كله بحذافيره في الجنة، ألا وإنّ الشرّ كله بحذافيره في النار، ألا فاعملوا وأنتم من الله على حَذر، واعلموا أنكم معروضون على أعمالكم، ﴿فمنْ يعملْ مثقالَ ذرةٍ خيراً يرَهُ ومن يعملْ مثقالَ ذرّةٍ شرّاً يره﴾». رواه الشافعي.

٥٢١٧ ـ (٦٣) وعن شداد [رضي الله عنه] قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «يا أيُّها الناس! إن الدنيا عرضٌ حاضرٌ، يأكل منها البرّ والفاجر، وإن الآخرة وعدٌ صادق، يحكم فيها ملك عادل قادر،

(ويقضي) أي يحكم (فيها ملك قادر) أي مميز بين البر والفاجر والمؤمن والكافر بالثواب والعقاب. قال الطيبي [رحمه الله]: الأجل الوقت المضروب الموعود وصفه بالصدق دلالة على تحققه وثباته وبقائه. وقال الراغب: يستعمل التصديق في كل ما فيه تحقيق. يقال: صدقني فعله وكتابه. وفي المثل: صدقني من بكره وصدق في القتال إذا وفى حقه وفعل على ما يحب وكما يحب. (ألا وإن الخير) أي أصحابه (كله) أي جميع أصنافه (بحذافيره) أي بجوانبه وأطرافه (في الجنة، ألا وإن الشركاء بحذافيره في النار) الظاهر أن [كلاً من]المعطوف والمعطوف عليه أتى بحرف التنبيه إشارة إلى استقلال كل من الجملتين خلافاً لما سبق عن الطيبي [رحمه الله]، فتدبر. (ألا فاعملوا) أي الخير (وأنتم من الله على حذر) أي على خوف من وقوع شر (واعلموا أنكم معروضون على أعمالكم) قال الطيبي [رحمه الله]: أي الأعمال معروضة عليكم من باب القلب كقولهم: عرضت الناقة على الحوض[1]. انتهى. وإلا ظهر أن معناه: مقابلون بأفعالكم مجزيون على أعمالكم، كعرض العسكر على الأمير. ومنه قوله تعالى: ﴿يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية ﴾ [الحاقة ـ ١٨]. على أنها تحتمل أن تكون على العلة كما قال تعالى: ﴿ولتكبروا الله على ما هداكم ﴾ [البقرة ـ ١٨٥]. أو التركيب من قبيل علفت ماء وتبناً، والتقدير: معرضون على مجازون[2] على أعمالكم، إن كان خيراً فخير أو كان شراً فشر. (﴿فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره﴾) أي جزاءه في إحدى الدارين. (﴿ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره﴾) قال السيوطي [رحمه الله]: الذرة النمل الأحمر الصغير، وسئل ثعلب عنها فقال: إن مائة نملة وزن حبة. وقيل: الذرة ليس لها وزن؛ ويراد بها ما يرى في شعاع الشمس الداخل في الكوة النافذة. (رواه الشافعي).

٥٢١٧ ـ (وعن شداد) بتشديد الدال الأولى، أي ابن أوس. (قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: أيها الناس إن الدنيا عرض حاضر يأكل منها) أي من الدنيا ويتمتع بها (البر والفاجر) أي المؤمن والكافر (وإن الآخرة وعد) أي موعود (صادق) أي واقع غير كاذب. في مختصر الطيبي [رحمه الله]وصف الوعد بالصدق على الإسناد المجازي، أي صادق وعده أي في وعده. (يحكم فيها) أي يقضي في الآخرة (ملك) أي سلطان (عادل) أي غير ظالم (قادر) أي غير

---

(١) في المخطوطة «القلب». (٢) في المخطوطة «يجاوزون».

الحديث رقم ٥٢١٧: أبو نعيم في الحلية ١/ ٢٦٤.

يُحق فيها الحقّ، ويُبطل الباطلَ، كونوا من أبناء الآخرة، ولا تكونوا من أبناء الدنيا، فإن كل أم يتبعها ولدها».

٥٢١٨ - (٦٤) وعن أبي الدرداءِ [رضي الله عنه]، قال: قال رسول الله ﷺ: «ما طلعت الشمسُ إلا وبجنبتيها مَلَكان يناديان، يسمعان الخلائق غير الثقلين: يا أيُّها الناس! هلموا إلى ربكم، ما قلّ وكفى خيرٌ مما كثر وألهى».

عاجز (يحق فيها الحق) أي يثبت ويعين (ويبطل) أي يزهق (الباطل) والمعنى يميز بين أهليهما ويفصل بينهما بالثواب والعقاب. (كونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا فإن كل أم يتبعها ولدها) فكأن الدنيا الباطلة مقرها النار وبئس القرار، والآخرة الحقة محلها الجنة فنعم الدار.

٥٢١٨ - (وعن أبي الدرداء قال: قال رسول الله ﷺ: ما طلعت الشمس إلا وبجنبتيها) بفتح الجيم والنون ويسكن. وفتح الموحدة وسكون التحتية تثنية الجنبة وهي الناحية، ففي المقدمة: إنها بالتحريك، وفي القاموس: الجنب والجانب والجنبة محركة شق الانسان وغيره، وجانبتا الأنف وجنتاه ويحرك جنباه. قال الطيبي [رحمه الله]: الواو للحال والاستثناء مفرغ من أعم عام الأحوال. وقوله: (ملكان) يجوز أن يكون فاعل الجار والمجرور على رأي أو مبتدأ، والجار والمجرور خبره، انتهى. وقوله: (يناديان) حال أو استئناف أو صفة لقوله: ملكان. وقوله: (يسمعان الخلائق غير الثقلين) بدل مما قبله أو حال من ضميره أو بيان بعد بيان. والظاهر حمل الإسماع للخليقة على الحقيقة. ثم لعل السر لعدم إسماع الثقلين أن لا يرتفع التكليف بمعاينة الغيب كما حقق في قوله ﷺ: لولا أن تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر[1]. فإن قلت: فما فائدة النداء لغيرهما مع أنهما هما المحتاجان للتنبيه عن غفلة الإنباء. قلت: فائدته أن يخبر الصادق المصدق بقوله ناقلاً عما سمع بنفسه أو بما أخبر به الحق المطلق. (يا أيها الناس هلموا) أي تعالوا. (إلى ربكم) أي أمره وحكمه أو انقطعوا إليه من غيره كما قال تعالى: ﴿ففروا إلى الله﴾ [الذاريات - ٥٠]. ﴿وتبتل إليه تبتيلا﴾. (ما قل) أي من المال، وما موصولة. (وكفى) أي في أمر الدنيا وزاد العقبى. (خير مما كثر) أي من المال (وألهى) أي شغل عن المولى وحسن الحال وتحسين المآل. وقال الطيبي [رحمه الله]: يجوز أن يكون الاسماع على الحقيقة، وأن يكون على التنبيه عن الغفلة مجازاً، فمعنى: يسمعان الخلائق غير الثقلين أنهما يقصدان بالأسماع الثقلين فيسمعان غيرهما. ثم خص من الثقلين الإنسان بقوله: يا أيها الناس. تنبيهاً على تماديهم في الغفلة وانهماكهم في الحرص وجمع حطام الدنيا حتى ألهاهم ذلك عن الإقبال إلى ذكر الله تعالى وعبادته فقيل لهم: إلى كم هذه الغفلة والإعراض عن ذكر الله، هلموا إلى طاعة ربكم ما قل من المال ويكفيكم، ولا

الحديث رقم ٥٢١٨: أحمد في المسند ٥/ ١٩٧ وأبو نعيم في الحلية ١/ ٢٢٦.

(١) مسلم في صحيحه ٤/ ٢٢٠٠ حديث رقم ٢٨٦٨.

رواهما أبو نعيم في «الحلية».

٥٢١٩ ـ (٦٥) وعن أبي هريرة [رضي الله عنه] يبلغ به، قال: «إذا مات الميّت قالت الملائكة: ما قدّم؟ وقال بنو آدم: ما خلّف؟». رواه البيهقي في «شعب الإيمان».

٥٢٢٠ ـ (٦٦) وعن مالك [رضي الله عنه]: أن لقمان قال لابنه: «يا بُنيّ! إن النّاسَ قد تطاولَ عليهم ما يوعدون، وهم إلى الآخرة سِرَاعاً يذهبون،

يلهيكم خير مما كثر وألهى؛ سمع هذا النداء من ألقى السمع وهو شهيد. أولئك هم الذين أشار الله بذكرهم ورفع من منزلهم في قوله: ﴿لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله﴾ [النور ـ ٣٧] الآية. ومعنى اسماع غير المكلفين كونها مسبحة لله منقادة لما يراد منها. وإن من شيء إلا يسبح بحمده. انتهى. ولا يخفى أن صحة كلامه يحتاج إلى أن يقال التقدير غير عامة الثقلين والله [تعالى]أعلم. (رواهما) أي الحديثين (أبو نعيم في الحلية) وقد روى ابن حبان الأول في صحيحه.

٥٢١٩ ـ (وعن أبي هريرة يبلغ) بفتح الياء (به) والباء للتعدية. والمعنى: يرفع مرويه إلى النبي ﷺ. (قال: إذا مات الميت) قال الطيبي [رحمه الله]: هو من باب المجاز باعتبار ما يؤول، فإن الميت لا يموت بل الحي هو الذي يموت. قلت: إلا الحي الذي لا يموت. وفي الكشاف عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: إذا أراد أحدكم الحج فليعجل فإنه يمرض المريض وتضل الضالة. فسمى المشارف للمرض والضلال مريضاً وضالة، وعلى هذا يسمى المشارف للموت ميتاً. قلت: ومنه قوله تعالى: ﴿إنك ميت وإنهم ميتون﴾ [الزمر ـ ٣٠]. ومآل القولين واحد، وإنما الخلاف باعتبار النظر في أول أمره أو آخر حاله كنظر الصوفية في أمر السابقة واللاحقة، والأولى هي الأولى. (قالت:) وفي رواية الجامع: تقول. (الملائكة: ما قدم) بتشديد الدال، أي من الأعمال. (وقال بنو آدم:) وفي رواية الجامع: ويقول الناس. (ما خلف) بتشديد اللام، أي أخر من الأموال. قال الطيبي [رحمه الله تعالى]: وفائدته اهتمام شأن الملائكة بالأعمال، أي ما قدم من عمل حتى يثاب به أو يعاقب عليه واهتمام الوراث بماله ليرثوه. (رواه البيهقي في شعب الإيمان).

٥٢٢٠ ـ (وعن مالك) أي ابن أنس (أن لقمان قال لابنه: يا بني) بتشديد الياء المفتوحة، وتكسر على صيغة التصغير للشفقة. (إن الناس) أي من عهد آدم إلى يومنا هذا (قد تطاول) أي بعد (عليهم ما يوعدون) أي من البعث والحساب وما بعدهما من الثواب والعقاب. وقال الطيبي [رحمه الله]: أي طال عليهم مدة ما وعدوا به. (وهم إلى الآخرة سراعاً) أي مسرعين، حال من المبتدأ أو من ضمير الخبر وهو قوله: (يذهبون) قدم اهتماماً. والجملة حال من ضمير ما يوعدون. والمعنى: تطاول على الناس بعد الوعد وقرب العهد. والحال أنهم كل ساعة، بل كل نفس يذهبون إلى ما يوعدون كالقافلة السيارة، لكنهم لا يحسون كالسكان في الفلك

الحديث رقم ٥٢١٩: رواه البيهقي في شعب الإيمان ٧/ ٣٢٨. حديث رقم ١٠٤٧٥.

الحديث رقم ٥٢٢٠: رواه رزين.

وإنك قد استدبرت الدنيا منذ كنت، واستقبلت الآخرة، وإن داراً تسيرُ إليها أقربُ إليك من دارٍ تخرج منها». رواه رزين.

٥٢٢١ ـ (٦٧) وعن عبد الله بن عمرو [رضي الله عنهما] قال: قيلَ لرسول الله ﷺ: أيُّ الناسِ أفضلُ؟ قال: «كل مَخْمُومِ القلب، صَدوق اللِّسان». قالوا: صدوقُ اللِسان نعرفه، فما مخمومُ القلب؟ قال: «هو النقي، التقي، لا إثم عليه، ولا بغي، ولا غلَّ، ولا حسد». رواه ابن ماجه، والبيهقي في «شعب الإيمان».

المشحون. ثم بين هذا المعنى بقوله: (وإنك) أي أيها الولد. وأريد به خطاب العامة الشامل لنفسه وغيره. (قد استدبرت) أي أنت (الدنيا) أي ساعة فساعة (مذ كنت) أي وجدت وولدت (واستقبلت الآخرة) أي نفساً فنفساً من غير اختيار لك في هذا المسير من البدء والمصير، ثم أوضح له القصة بطريق الحكمة حيث بين الدارين المعنويتين بالدارين المحسوستين فقال: (وإن داراً تسير إليها أقرب إليك من دار تخرج منها) والمقصود من هذه الموعظة دفع الغفلة عن أمر الآخرة. (رواه رزين).

٥٢٢١ ـ (وعن عبد الله بن عمرو) بالواو (قال: قيل لرسول الله ﷺ: أي الناس أفضل. قال: كل مخموم القلب) بالخاء المعجمة أي سليم القلب لقوله تعالى: ﴿إلا من أتى الله بقلب سليم﴾. من خممت البيت إذا كنسته على ما في القاموس وغيره. فالمعنى: أن يكون قلبه مكنوساً من غبار الأغيار ومنظفاً من أخلاق الأقذار. (صدوق اللسان) بالجر، أي كل مبالغ للصدق في لسانه فيحصل به المطابقة بين تحسين لسانه[1] وبيانه فيخرج عن كونه منافقاً أو مرائياً مخالفاً. (قالوا: صدوق اللسان) بالجر على الحكاية ويجوز رفعه على إعراب الابتدائية، والخبر قوله: (نعرفه، فما مخموم القلب. قال: هو النقي) أي نقي القلب وطاهر الباطن عن محبة غير المولى. (التقي) أي المجتنب عن خطور السوي (لا إثم عليه) فإنه محفوظ وبالغفران محفوظ وبعين العناية ملحوظ. ومن المعلوم أن لا لنفي الجنس. فقوله: (ولا بغي) أي لا ظلم له (ولا غل) أي لا حقد (ولا حسد) أي لا تمني زوال نعمة الغير من باب التخصيص والتعميم على سبيل التكميل والتتميم لئلا يتوهم اختصاص الإثم بحق الله، فصرح بأنه لا مطالبة عليه لا من الخلق ولا من جهة الخالق[2] والله [تعالى]أعلم بالحقائق. قال الطيبي [رحمه الله]: الجواب ينظر إلى قوله تعالى: ﴿أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى﴾ [الحجرات ـ ٣]. أي أخلصها للتقوى من قولهم: امتحن الذهب وفتنه إذا أذابه فخلص ابريزة من خبثه ونقاه. وعن عمر رضي الله تعالى عنه: أذهب الشهوات عنها. (رواه ابن ماجه والبيهقي في شعب الإيمان).

الحديث رقم ٥٢٢١: أخرجه ابن ماجه في السنن ٢/ ١٤٠٩ حديث رقم ٤٢١٥.

(١) في المخطوطة «جنانه».

(٢) في المخطوطة جاءت العبارة على الشكل التالي: «لا من جهة الخالق ولا من جهة المخلوق».

٥٢٢٢ - (٦٨) وعنه، أن رسول الله ﷺ قال: «أربع إذا كنَّ فيك فلا عليك ما فاتك [من] الدنيا: حفظ أمانة، وصدق حديث، وحسن خليقة، وعفّة في طُعْمة». رواه أحمد، والبيهقي في «شعب الإيمان».

٥٢٢٣ - (٦٩) وعن مالك [رضي الله عنه] قال: بلغني أنه قيل للقمان الحكيم: ما بلغ بك ما نرى؟ يعني الفضل. قال: صدق الحديث، وأداء الأمانة، وترك ما لا يعنيني. رواه في «الموطأ».

٥٢٢٤ - (٧٠) وعن أبي هريرة [رضي الله عنه] قال: قال رسول الله ﷺ: «تجيء

٥٢٢٢ - (وعنه) أي عن ابن عمرو (أن رسول الله ﷺ قال: أربع) أي من الخصال (إذا كن فيك) أي وجدن في وجودك ظاهراً وباطناً (فلا عليك) أي لا بأس (ما فاتك الدنيا) وفي الجامع: ما فاتك من الدنيا. قال الطيبي [رحمه الله]: يحتمل أن تكون ما مصدرية والوقت مقدر، أي لا بأس عليه وقت فوت الدنيا إن حصلت لك هذه الخصال وأن تكون نافية، أي لا بأس عليك لأنه لم تفتك الدنيا إن حصلت لك هذه الخصال انتهى. والأول أظهر كما لا يخفى. (حفظ أمانة) يشمل أمانة الأموال والأعمال (وصدق حديث) يعم الأقوال (وحسن خليقة) أي خلق. والتعبير بها إشارة إلى الحسن الجبلي لا التكلفي والتصنعي في الأحوال. (وعفة في طعمة) بضم الطاء مع تنوين التاء، أي احتراز من الحرام واحتفاظ على الحلال. (رواه أحمد والبيهقي في شعب الإيمان) ولفظ الجامع: صدق الحديث وحفظ الأمانة وحسن الخلق وعفة مطعم. رواه أحمد والطبراني والحاكم والبيهقي عن ابن عمر بلا واو، والطبراني عن ابن عمرو بالواو، وابن عدي وابن عساكر عن ابن عباس[(١)].

٥٢٢٣ - (وعن مالك) أي الإمام (قال: بلغني أنه قيل للقمان الحكيم ما بلغ بك ما نرى، يعني الفضل) يحتمل أن يكون من كلام مالك أو غيره تفسيراً، والمعنى: يريد لقمان بما الموصولة في قوله ما نرى الفضل، وأما ما الأولى[(٢)] فهي استفهامية. والمعنى: أي شيء أوصلك هذه المرتبة التي نراها فيك من الفضيلة الزائدة على غيرك. (قال: صدق الحديث) أي ملازمة صدق الحديث قولاً ونقلاً (وأداء الأمانة) أي مالاً وفعلاً (وترك ما لا يعنيني) أي ما لا ينفعني حالاً ومآلاً (رواه) أي مالك (في الموطأ) أي عن مالك، وقد تقدم بحث ذلك.

٥٢٢٤ - (وعن أبي هريرة [رضي الله تعالى عنه]قال: قال رسول الله ﷺ: تجيء)

الحديث رقم ٥٢٢٢: أحمد في المسند ٢/ ١٧٧. ورواه البيهقي في شعب الإيمان ٤/ ٣٢١ حديث رقم ٥٢٥٨.

(١) الجامع الصغير ١/ ٦٢ حديث رقم ٩١٢.

الحديث رقم ٥٢٢٣: أخرجه مالك في الموطأ ٢/ ٩٩٠ حديث رقم ١٧ من كتاب الأحكام.

(٢) في المخطوطة «الأولية».

الحديث رقم ٥٢٢٤: أخرجه مالك في الموطأ ٢/ ٩٩٠ حديث رقم ١٧ من كتاب الكلام. وأحمد في المسند ٢/ ٣٦٢.

الأعمال، فتجيء الصلاة فتقول: يا ربّ! أنا الصلاة. فيقول: إنك على خير. فتجيء الصدقة، فتقول: يا ربّ! أنا الصدقة. فيقول: إنك على خير. ثم يجيء الصيامُ، فيقول: يا ربّ! أنا الصيام. فيقول: إنك على خير. ثم تجيء الأعمال على ذلك. يقول الله تعالى: إنك على خير. ثم يجيء الإسلام فيقول: يا ربّ! أنت السلام وأنا الإسلام فيقول الله تعالى: إنكَ على خيرٍ، بكَ اليوم آخُذُ، وبكَ أعطي. قال الله تعالى في كتابه: ﴿ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين﴾».

بالتأنيث ويجوز تذكيرها، أي تأتي. (**الأعمال**) أي مجسمة لتحتج لصاحبها وتشفع لمراعيها أو تخاصم لمخالفيها وتاركيها (**فتجيء الصلاة فتقول**) أي بلسان القال، ويمكن أن يكون بلسان الحال وأن المراد بالمجيء ظهور أثر الأعمال ونتيجة الأفعال في المآل. (**فتقول: يا رب أنا الصلاة**) أي المبدوءة في كتابك عن جميع الأعمال حيث قلت: ﴿**إلا المصلين الذين هم على صلاتهم دائمون**﴾ [المعارج - ٢٣]. والمختومة[1] منها بقولك: ﴿**والذين هم على صلاتهم يحافظون أولئك في جنات مكرمون**﴾ [المعارج - ٣٤ - ٣٥]. وقيل: التقدير أنا المعروفة المشهورة بالفضل والمزية كما يقال: أنا العالم، ومنه قول القائل:

أنا أبو النجم وشعري شعري

وقال الطيبي [رحمه الله]: أي إن لي مرتبة الشفاعة لأني عماد الدين. (**فيقول:**) أي الرب (**إنك على خير**) وهذا رد لها على ألطف وجه، أي أنت ثابتة مستقرة على خير كقوله تعالى: ﴿**أولئك على هدى**﴾ ولكن لست بمستقلة فيها ولا كافية في الاحتجاج وعلى هذا المنوال سائر الأعمال من الصدقة والصيام وبقية الأفعال. (**فتجيء الصدقة فتقول: يا رب أنا الصدقة فيقول: إنك على خير. ثم يجيء الصيام**) ولعل وجه تأخيره عن الصدق في العقبى تأخير وجوبه عنها في الدنيا. (**فيقول: يا رب أنا الصيام فيقول: إنك على خير. ثم تجيء الأعمال**) أي سائرها من الحج والجهاد وطلب العلم ونحوها (**على ذلك**) أي على هذا المنوال متفقة على هذا المقال (**يقول**) استئناف أو حال. وكان مقتضى الظاهر فيقول: (**الله تعالى:**) وفي نسخة صحيحة: عزّ وجلّ. (**إنك**) أي أيها العمل (**على خير. ثم يجيء الإسلام**) أي الانقياد الباطن الموجب للانقياد الظاهر المعبر عنه بالإيمان، وعلى ترادفهما أصحاب الإيقان وأرباب الإتقان. (**فيقول: يا رب أنت السلام وأنا الإسلام**) أي وبيننا مناسبة الاشتقاق الاسمية المعتبرة عند العلماء الرسمية والوسمية كما حقق في حديث: الرحم شجنة من الرحمٰن. فإن المقتضى بذلك أن القائم بي يدخل دارك دار السلام. (**فيقول الله تعالى: إنك على خير**) أي خير عظيم لاشتمالك على دين وسيم (**بك اليوم آخذ**) بصيغة المتكلم، أي آخذ بك من أؤاخذه بالعقوبة. (**وبك أعطي**) أي من أسامحه بالمثوبة، فإنك أنت الأصل المدار عليك أمر الطاعة والمعصية. (**قال الله تعالى في كتابه: ﴿ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين﴾**)[2]. وفيه

---

(١) في المخطوطة «أعماره».

(٢) سورة آل عمران، آية رقم ٨٥.

٥٢٢٥ ـ (٧١) وعن عائشة [رضي الله عنها] قالت: كان لنا سِترٌ فيه تماثيلُ طير، فقال رسول الله ﷺ: «يا عائشة! حوّليه؛ فإني إذا رأيته ذكرت الدنيا».

٥٢٢٦ ـ (٧٢) وعن أبي أيّوب الأنصاري [رضي الله عنه] قال: جاء رجلٌ إلى النبي ﷺ فقال: عظني وأوجز. فقال: «إذا قمت في صلاتك فصلِّ صلاة مودِّعٍ، ولا تكلّمْ بكلام تعتذِرُ منه غداً، وأجمع الإياس مما في أيدي الناس».

إشارة لطيفة متضمنة لبشارة شريفة، وهي أن من مات على الإسلام ليس من الخاسرين أبداً، بل من المفلحين الناجين مآلاً ومنالاً، وأن أمر الطاعة والعبادة مع قوة الإسلام يرجى فيهما المسامحة. نسأل الله العفو والعافية ونعوذ بالله من درك الهاوية.

٥٢٢٥ ـ (**وعن عائشة رضي الله [تعالى]عنها قالت: كان لنا ستر**) بكسر السين، أي شيء يستر به الجدار وباب الدار. (**فيه تماثيل طير**) أي تصاوير طيور أو طير. (**فقال رسول الله ﷺ: يا عائشة حوليه**) أي غيره بتبديله أو تنقيله. (**فإني إذا رأيته ذكرت الدنيا**) وفي هذا التعليل دليل على أن الصور كانت صغيرة جداً، أو قبل العلم بتحريم التصوير وامتناع دخول ملائكة الرحمة في مكانه، مع الإيماء إلى أن رؤيته أسباب يتنعم بها الأغنياء مما تذهب بحلاوة قلوب الفقراء. وقد قال تعالى: ﴿**لا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجاً منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى**﴾ [طه ـ ١٣١].

٥٢٢٦ ـ (**وعن أبي أيوب الأنصاري قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: عظني وأوجز**) أي اختصر وعلى المهم اقتصر (**فقال: إذا قمت**) أي شرعت (**في صلاتك فصل صلاة مودع**) بكسر الدال المشددة، أي مودع لما سوى الله بالاستغراق في مناجاة مولاه، أو المعنى صل صلاة من يودع الصلاة ومنه حجة الوداع، أي اجعل صلاتك آخر الصلوات فرضاً فحسن خاتمة عملك واقصر طول أملك لاحتمال قرب أجلك. وقال الطيبي [رحمه الله]: أي فأقبل على الله بشراشرك [و]ودع غيرك لمناجاة ربك. (**ولا تكلم**) بحذف إحدى التائين. وفي نسخة بإثباتهما، أي لا تتحدث (**بكلام تعتذر**) [بفتح]التاء وكسر الذال، أي تحتاج أن تعتذر. (**منه**) أي من أجل ذلك الكلام (**غداً**) أي يوم القيامة، وهو المعنى بقوله: «من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه»[1]. (**وأجمع الإياس**) بفتح الهمزة وكسر الميم ويجوز عكسه ومنه قوله تعالى: (**فأجمعوا كيدكم**) [طه ـ ٦٤]. فقد قرأ أبو عمرو بوصل الهمزة وفتح الميم، من جمع يجمع، والباقون بقطعها والكسر من أجمع بمعنى عزم على الأمر، أو هما لغتان بمعنى الجمع. فالمعنى: اعزم على قطع اليأس، أو أجمع خاطرك على قصد اليأس وترك الطمع. (**مما في أيدي الناس**) أي قناعة بالكفاية المقدرة بالقسمة المحررة المقررة في قوله تعالى: ﴿**نحن قسمنا بينهم معيشتهم**

الحديث رقم ٥٢٢٥: أخرجه أحمد في المسند ٦/ ٢٤١.

الحديث رقم ٥٢٢٦: أخرجه ابن ماجه ٢/ ١٣٩٦ حديث رقم ٤١٧١. وأحمد في المسند ٥/ ٤١٢.

(١) أخرجه الترمذي في السنن حديث رقم ٢٣١٧.

٥٢٢٧ ـ (٧٣) وعن معاذ بن جبل [رضي الله عنه] قال: لما بعثه رسولُ الله ﷺ إلى اليمنِ، خرجَ معه رسولُ الله ﷺ يُوصيه، ومعاذٌ راكبٌ ورسولُ الله ﷺ يمشي تحت راحلته، فلما فرغ قال: «يا معاذ! إنك عسى أن لا تلقاني بعد عامي هذا، ولعلَّكَ أن تمرَّ بمسجدي هذا وقبري».

في الحياة الدنيا ﴾ [الزخرف ـ ٣٢]إلى أن قال: ﴿وإن كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا والآخرة عند ربك للمتقين ﴾ [الزخرف ـ ٣٥]. وفي الحديث إشارة إلى أن الاستئناس بالناس من علامة الافلاس، وأن الغنى القلبي هو الاياس[١] مما في أيدي الناس. وقال الطيبي [رحمه الله]: أي أجمع رأيك على اليأس من الناس وصمم عليه، وهو من قوله تعالى: ﴿فاجمعوا كيدكم ﴾ [طه ـ ٦٤]. قال: والظاهر أن الاياس وقع موقع اليأس سهواً من الكاتب[٢]، لأن الإياس مصدر أسه إذا أعطاه، وليس مصدر أيس مقلوب يئس، لأن مصدر المقلوب يوافق الفعل الأصلي لا المقلوب. ويمكن أن يقال: إنه من آيس نفسه مما في أيدي الناس إيناساً فخفف الهمزة، أي بالنقل والحذف انتهى. [وفي القاموس]: أيس منه كسمع إياساً قنط فبطل. تخطئة الرواة الحفاظ المعتمدين على ذوات الصدور لا على ما في السطور، خصوصاً وقد جاء هذا الحديث من طرق متعددة مصححة على ما ذكره ميرك نقلاً عن المنذري بعد قول المؤلف. (رواه أحمد) أي عن أبي أيوب. ولهذا الحديث شاهد من حديث سعد بن أبي وقاص قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله أوصني. قال: عليك بالإياس مما في أيدي الناس وإياك والطمع فإنه الفقر الحاضر وصل صلاتك وأنت مودع وإياك وما يعتذر منه. [رواه الحاكم والبيهقي في الزهد. وقال الحاكم واللفظ له: صحيح الإسناد][٣]. ورواه الطبراني من حديث ابن عمر نحوه. اهـ. ومن المحال اتفاق الحفاظ والأصحاب على سهو وقع من أحد الكتاب والله [تعالى] أعلم بالصواب.

٥٢٢٧ ـ (وعن معاذ بن جبل قال: لما بعثه رسول الله ﷺ) أي لما أراد إرساله قاضياً أو عاملاً (إلى اليمن خرج معه رسول الله ﷺ يوصيه) بالتخفيف ويشدد (ومعاذ راكب) أي بأمره (ورسول الله ﷺ يمشي تحت راحلته) أي تواضعاً لله وتلطفاً للمؤمنين، ومنه يؤخذ استحباب متابعة الأصحاب. (فلما فرغ) أي من الوصية (قال: يا معاذ إنك عسى أن لا تلقاني بعد عامي هذا ولعلك أن تمر بمسجدي هذا وقبري) أي مع قبري على أن الواو بمعنى مع، ذكره الطيبي [رحمه الله]. والظاهر أنه عطف على مسجدي والتقدير: أن تمر بمسجدي هذا وبقبري أيضاً وأبهمه لعدم ظهوره حينئذ على ما لا يخفى. ثم اعلم إن عسى معناه الترجي في المحبوب والإشفاق في المكروه وقد اجتمعا في قوله تعالى: ﴿وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم

---

(١) في المخطوطة «غنى القلب هو اليأس». (٢) في المخطوطة «الكتابة».

(٣) الحاكم في المستدرك ٤/٣٢٦.

الحديث رقم ٥٢٢٧: أخرجه أحمد في المسند ٥/٢٣٥.

فبكى معاذ جَشَعاً لفراقِ رسولِ اللهِ ﷺ ثم التفت فأقبل بوجهه نحوَ المدينة فقال: «إن أولى الناس بي المتَّقون، من كانوا وحيث كانوا»

وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم ﴾ [البقرة ـ ٢١٦]. وأما لعل فمعناه التوقع وهو ترجي المحبوب والإشفاق من المكروه، نحو: لعل الحبيب واصل ولعل الرقيب حاصل. ويختص بالممكن بخلاف ليت فإنه يستعمل في المحال نحو: ليت الشباب يعود. فاستعمال عسى ولعل في الحديث بالمعنيين الأخيرين على ما هو الظاهر المتبادر. ثم في المغني يقترن[1] خبر لعل بأن كثيراً حملا على عسى كقوله:

لعلك يوماً أن تلم ملمة ... عليك من اللاتي يدعنك أجدعا

وقال الطيبي [رحمه الله]: استعمال لعل على الحقيقة لكونه ﷺ راغباً للقاء الله تعالى. وأدخل أن في الخبر تشبيهاً للعل بعسى تلويحاً إلى قوله عزّ وجلّ: ﴿عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً ﴾ [الإسراء ـ ٧٩]. (فبكى معاذ جشعاً) بفتح الجيم والشين المعجمة، أي جزعاً وفزعاً. ففي النهاية: الجشع الجزع لفراق الألف. فقوله: (لفراق رسول الله ﷺ) للتأكيد أو للتجريد (ثم التفت) أي رسول الله ﷺ عن معاذ (فأقبل بوجهه نحو المدينة) تفسير للالتفات. ولعل وجه الالتفات بإدارة وجهه الشريف عن معاذ لئلا يرى بكاءه ويصيره سبباً لبكائه عليه [الصلاة]والسلام ويشتد الحزن في ذلك المقام مع الإيماء بأنه لا بد من المفارقة في الدنيا والمواجهة في العقبى، فسلاه فعلاً ووصاه قولاً حيث بين فيه أنك تفارقني وتفارق المدينة وترى المدينة ولا تراني. وأشار إلى أن مجمع الأنبياء والأتقياء في دار البقاء. (فقال: إن أولى الناس بي) أي بشفاعتي أو أقرب الناس إلى منزلتي (المتقون من كانوا) جمع باعتبار معنى من. والمعنى: كائناً من كان عربياً أو عجمياً أبيض أو أسود شريفاً أو وضيعاً. (وحيث كانوا) أي سواء كانوا بمكة والمدينة أو باليمن والكوفة والبصرة، فسره فانظر إلى رتبة أويس القرني باليمن على كمال التقوى وحالة جماعة من أكابر الحرمين الشريفين من حرمان المنزلة الزلفى، بل من إيصال ضررهم إليه ﷺ حتى من بعض ذوي القربى. وحاصله أنه لا يضرك بعدك الصوري عني مع وجود قربك المعنوي لي فإن العبرة بالتقوى كما يستفاد من إطلاق قوله تعالى: ﴿إن أكرمكم عند الله أتقاكم ﴾ [الحجرات ـ ١٣]. من غير اختصاص بمكان أو زمان أو نوع إنسان. ففيه تحريض على مراعاة التقوى المناسبة للوصية عند المفارقة الصغرى والكبرى. وقد قال تعالى: ﴿ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وإياكم أن اتقوا الله ﴾ [النساء ـ ١٣١]. مع ما فيه من التسلية لبقية الأمة الذين لم يدركوا زمن الحضرة ومكان الخدمة، هذا الذي سنح لي في هذا المقام من حل الكلام على ظهور المرام. وقال الطيبي [رحمه الله]: لعل الالتفات كان تسلية لمعاذ بعد ما نعى نفسه إليه. يعني: إذا رجعت إلى المدينة بعدي فاقتد بأولى الناس بي وهم المتقون، وكنى به عن أبي بكر الصديق. ونحوه حديث جبير بن مطعم أن امرأة أتت

---

(١) في المخطوطة «خبري».

روى الأحاديث الأربعة أحمد.

٥٢٢٨ ـ (٧٤) وعن ابن مسعود [رضي الله عنه] قال: تلا رسولُ الله ﷺ: ﴿فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدرهُ للإسلام﴾ فقال رسول الله ﷺ: «إن النورَ إذا دخل الصدر انفسح». فقيل: يا رسول الله! هل لتلك من عَلمٍ يعرف به؟ قال: «نعم، التجافي

النبي ﷺ فكلمته في شيء فأمرها أن ترجع إليه فقالت: يا رسول الله أرأيت إن جئت ولم أجدك. كأنها تريد الموت. قلت: والذي ظن أنه المراد خلاف الأدب على ما هو المتبادر، بل الظاهر أنها تريد عدم وجوده في المدينة أو البيت. قال: فإن لم تجديني فأتي أبا بكر[1]. قال: وفيه دليل على أنه رضي الله تعالى عنه خليفة رسول الله ﷺ بعده وقائم مقامه. قلت: لما لم يكن صريحاً في المدعي لاحتمال أن القضية تتعلق بأبي بكر رضي الله [تعالى]عنه، صرح العلماء بأنه لا نص في أمر الخلافة لا على الصديق ولا على المرتضى. (روى الأحاديث الأربعة أحمد) أي في مسنده، وأقل مراتب أسانيده أنه حسن.

٥٢٢٨ ـ (وعن ابن مسعود قال: تلا) أي قرأ (رسول الله ﷺ: ﴿فمن يرد الله أن يهديه﴾) أي هديه الخاص الموصل إلى مقام الاختصاص (﴿يشرح صدره﴾) أي يوسع قلبه (﴿للإسلام﴾)[2] أي لشرائعه على سبيل الإخلاص. قال الطيبي [رحمه الله]: أي يلطف به ويقذف النور فيه حتى يرغب في الإسلام وتسكن إليه نفسه ويحب الدخول فيه. قلت: هذا معنى صحيح في نفس الأمر، لكنه غير ملائم لما سيجيء في تفسير شرح الصدر. (فقال رسول الله ﷺ: إن النور) أي نور الهداية (إذا دخل الصدر انفسح) أي انشرح وتوسع بحيث يسعه قبول جميع شرائع الإسلام، ويحلو في مذاقه مرارة ما قدره وقضاه من الأحكام. وهذا القلب في الحقيقة عرش الرب الذي عبر عنه بالحديث القدسي: «لا يسعني أرضي ولا سمائي ولكن يسعني قلب عبدي المؤمن». لأن السفليات والعلويات ليس لهن قابلية إدراك الكليات والجزئيات المتعلقة بالذات والصفات. ولهذا قال تعالى: ﴿إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال﴾ [الأحزاب ـ ٧٢] الآيات. وهذا فيمن شرح الله صدره وأراد هدايته بخلاف غيره ممن يرد الله غوايته كما أخبر عنه بقوله: ﴿ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً كأنما يصعد في السماء﴾ [الأنعام ـ ١٢٥]. (فقيل: يا رسول الله [هل]لتلك) أي الخصلة كذا قيل. والصواب: هل لتلك الحالة المعبر عنها بالانفساح. (من علم) أي علامة وأمارة. ومن زائدة للمبالغة (تعرف) أي تلك الحالة. وفي نسخة بالتذكير نظراً إلى معناها، وهو الانفساح. (به) أي بذلك العلم حتى نقيس حالنا عليه ونرجع عند اختلاف الآراء إليه. (قال: نعم) أي فيه علم بل علامات وهي (التجافي) أي المبالغة والتكلف في البعد على طريق الزهد لتحصيل

---

(١) راجع الحديث رقم (٦٠٢٢).

الحديث رقم ٥٢٢٨: رواه البيهقي في شعب الإيمان ٧/ ٣٥٢ حديث رقم ١٠٥٥٢.

(٢) سورة الأنعام، آية رقم ١٢٥.

من دار الغرور، والإنابة إلى دار الخلود، والاستعداد للموت قبل نزوله».

٥٢٢٩ و ٥٢٣٠ ـ (٧٥ و٧٦) وعن أبي هريرة وأبي خَلاَّدٍ [رضي الله عنهما]: أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «إذا رأيتم العبد يُعطى زهداً في الدنيا، وقلةَ منطق؛ فاقتربوا منه فإنَّه يُلقَّى الحكمة».

السعد. (من دار الغرور) أي الدنيا الغرارة السحارة الغدارة المكارة كما قال تعالى: ﴿**فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور**﴾ [لقمان ـ ٣٣، فاطر ـ ٥]. فإنها دار العناء والشقاء وإن كان صورتها أنها النعماء، كسراب بقيعة يحسبه الظمآن أنه الماء حتى اتبعهم فيها الملوك والأمراء والأغنياء الأغبياء. **(والإنابة)** أي الرجوع والميل التام **(إلى دار الخلود)** أي دار البقاء واللقاء **(والاستعداد للموت)** أي بالتوبة والمبادرة إلى العبادة وصرف الطاقة في الطاعة. **(قبل نزوله)** أي قبل حلول الموت أو ظهور مقدماته من المرض والهرم حيث لم يقدر حينئذ على تحصيل علم أو عمل ولا ينفعه الندم. وكان هذا فذلكة لما قبله وهو العمدة لكونه علماً له، وما قبله إنما هو باعث بطرفيه هنالك على أقدام السالك على ذلك.

٥٢٢٩ و٥٢٣٠ ـ **(وعن أبي هريرة وأبي خلاد)** بتشديد اللام. قال المؤلف: أبو خلاد رجل من الصحابة. وقال ابن عبد البر: لم أقف له على اسم ولا نسبة، حديثه عند يحيى بن سعيد عن أبي فروة عن أبي خلاد قال: إذا رأيتم المؤمن قد أعطي زهداً في الدنيا وقلة منطق فاقتربوا منه فإنه يلقى الحكمة. وفي رواية مثله، ولكن بين أبي فروة وأبي خلاد أبو مريم وهذا أصح انتهى. ففيه إشارة إلى الخلاف في أن هذا الحديث منقطع أو متصل، وأنه أراد برواية مثله ما ذكره المصنف بقوله: **(أن رسول الله ﷺ قال: إذا رأيتم العبد يعطى زهداً)** أي قلة رغبة **(في الدنيا وقلة منطق)** أي في اللغو والهوى **(فاقتربوا منه)** أي اطلبوا القرب منه والتمسوا في مجالسته القربى إلى المولى **(فإنه يلقى)** بتشديد القاف المفتوحة، وفي نسخة بتخفيفها، أي يلقن ويؤتى **(الحكمة)** أي الموعظة المطابقة للكتاب والسنة لقوله تعالى: ﴿**يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما يذكر إلا أولو الألباب**﴾ [البقرة ـ ٢٦٩]. والحكمة في الحقيقة إتقان العلم والعمل على سبيل الشريعة والطريقة، وصاحبها بحكم حديث: «من أخلص لله أربعين صباحاً أظهر الله ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه»[1]. هو العالم العامل المخلص الكامل يكون مرشداً مكملاً، فيجب على كل أحد أن يطلب مجالسته ويحصل محادثته. قال تعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين**﴾ [التوبة ـ ١١٩]. أي قالاً وحالاً. وقال بعض العارفين: اصحبوا مع الله فإن لم تطيقوا فأصحبوا مع من يصحب مع الله. وعلامة صحة أحواله بعد تصحيح أقواله وأفعاله ما تقدم في الحديث السابق

الحديث رقم ٥٢٢٩ ـ ٥٢٣٠: أخرجه ابن ماجه في السنن ٢/١٣٧٣ حديث رقم ٤١٠١. والبيهقي في شعب الإيمان ٤/٢٥٤ حديث رقم ٤٩٨٥.

(١) أبو نعيم في الحلية.

رواهما البيهقي في «شعب الإيمان».

(١) باب فضل الفقراء وما كان من عيش النبي ﷺ

من علامة انشراح الصدر بحيث تؤثر صحبته في جميع الأمور ويزهد أصحابه في الدنيا وتوابعها من تحصيل المال والجاه زيادة على قدر الحاجة الموصلة إلى دار العقبى، بل يجعلهم فارغين عن أمور الكونين على ما أشار إليه خلع النعلين غائبين عن السوي حاضرين في حضرة المولى ذاهلين عن مراقبة الفناء واصلين إلى مشاهدة البقاء حاصلين في الجنة العاجلة على لذة اللقاء. فهذا العارف حينئذ خليفة الأنبياء وقائم مقام الأولياء الأصفياء رزقنا الله رؤيته وخدمته وصحبته.

(رواهما) أي الحديثين **(البيهقي في شعب الإيمان)** والحديث الأول منهما أخرجه ابن المبارك في الزهد والفريابي وعبد الرزاق وابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وأبي حاتم وابن مردويه والبيهقي في الأسماء والصفات عن أبي جعفر المدايني رجل من بني هاشم، وليس هو محمد بن علي: قال: سئل النبي ﷺ أي المؤمنين أكيس. قال: أكثرهم ذكراً للموت وأحسنهم لما بعده استعداداً. قال: وسئل النبي ﷺ عن هذه الآية: **﴿فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام﴾** [الأنعام - ١٢٥]. قالوا: كيف يشرح صدره يا رسول الله. قال: نور يقذف فيه فينشرح له وينفسح له. قالوا: فهل لذلك من أمارة يعرف بها. قال: الإنابة إلى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل لقاء الموت. وفي رواية: قبل نزول الموت. وأخرج عبد بن حميد وابن أبي حاتم عن ابن عباس في قوله تعالى: **﴿فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام﴾**. يقول: يوسع قلبه للتوحيد والإيمان به، **﴿ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً﴾** يقول شاكاً: **﴿كأنما يصعد في السماء﴾**. يقول: كما لا يستطيع ابن آدم أن يبلغ السماء فكذلك لا يقدر على أن يدخل التوحيد والإيمان قلبه حتى يدخله الله في قلبه. وللحديث في الدر المنثور طرق كثيرة والله [تعالى] أعلم.

(باب فضل الفقراء وما كان من عيش النبي ﷺ)

المراد بالفضل هنا زيادة الأجر والثواب لا فضيلة المال وزيادة تحسين الثياب. وقوله: وما كان من عيش النبي، أي معيشته. وفي نسخة: من عيش رسول الله ﷺ على فضل الفقراء على ما لا يخفى. ونكته الجمع بينهما أنه ﷺ كان عيشه عيش الفقراء كأكثر الأنبياء والأولياء، وكفى به فضلاً للفقراء على الأغنياء وإن خفي هذا الأمر على بعض الأغنياء ممن ادعى أنه من العلماء.

الفصل الأول

٥٢٣١ ـ (١) عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «رُبَّ أشعث مَدفوع بالأبواب لو أقسم على الله لأبرَّه». رواه مسلم.

(الفصل الأوّل)

٥٢٣١ ـ (**عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: رب أشعث**) أي رب رجل أشعث، أي متفرق شعر رأسه. (**مدفوع**) بالجر (**بالأبواب**) أي ممنوع منها باليد أو اللسان. والمعنى أنه لا يدخله أحد في بيته لو فرض وقوفه على بابه من غاية حقارته في نظر الناس، وذلك لما أراد الله ستر حاله عن الخلق لئلا يحصل له بالغير شيء من الاستئناس فيحفظه من الوقوف على أبواب الظلمة وأكله الحرام، كما يحمي أحدنا المريض عن استعمال [الطعام]فلا يحضر إلا باب مولاه ولا يسأل عما سواه من كمال غناه. وليس المراد منه أنه يأتي [أبواب]أرباب الدنيا فيطردونه عنها ويدفعونه عن دخوله منها، فإن الأولياء محفوظون عن هذه المذلة وإن كان قد يقع لبعضهم من اختيار أرباب الملامة أو ممن صدر عنه الذلة. ولعل في بعض النسخ مرفوع بالراء حتى قال القاضي البيضاوي [رحمه الله]: الأشعث هو المغبر الرأس المتفرق الشعر. وأصل التركيب هو التفرق والانتشار. والصواب مدفوع بالدال، أي يدفع عن الدخول على الأعيان والحضور في المحافل فلا يترك أن يلج الباب فضلاً أن يحضر معهم ويجلس فيما بينهم. (**لو أقسم على الله**) أي على فعله سبحانه بأن حلف أن الله يفعل كذا أو لا يفعله (**لأبره**) أي لصدقه وصدق يمينه وأبره فيها بأن يأتي بما يوافقه، كما وقع لأنس بن النضر في قوله: والله لا تكسر ثنيتها بعد قوله ﷺ: كتاب الله القصاص فرضوا أهلها بالدية بعد ما أبوا عليها. وقال القاضي: أي لو سأل [الله]شيئاً وأقسم عليه أن يفعله لم يخيب دعوته، فشبه إجابة المنشد والمقسم على غيره بوفاء الحالف على يمينه وبره فيها. وقال شارح: قيل: معناه لو أقسم على الله بأن يقول: اللهم إني أقسم عليك بجلالك أن تفعل كذا. ولا يستقيم هذا المعنى في هذا الموضع لأنه قال: لأبره، أي صدقه ولا مدخل للصدق والكذب في مثل هذا اليمين فيدخلها الأبرار. قلت: اللهم إلا أن يقال المعنى صدق رجاءه ووافق دعاءه. (**رواه مسلم**) وكذا أحمد. وفي رواية الحاكم وأبي نعيم في الحلية عنه بلفظ: رب أشعث أغبر ذي طمرين تنبو عنه أعين الناس لو أقسم على الله لأبره[١].

الحديث رقم ٥٢٣١: أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ٢٠٢٤ حديث رقم (١٣٨ . ٢٦٢٢).

(١) الحاكم في المستدرك ٤/ ٣٢٨.

٥٢٣٢ ـ (٢) وعن مصعب بن سعد، قال: رأى سعدٌ أن له فضلاً على من دونه، فقال رسول الله ﷺ: «هل تنصرون وترزقون إلا بضعفائكم؟!». رواه البخاري.

٥٢٣٣ ـ (٣) وعن أسامة بن زيد، قال: قال رسول الله ﷺ: «قمتُ على باب الجنة، فكان عامةُ من دخلها المساكينَ، وأصحابُ الجدِّ محبوسون، غير أنَّ أصحابَ النار قد أُمر بهم إلى النار،

٥٢٣٢ ـ (وعن مصعب بن سعد) أي ابن أبي وقاص القرشي سمع أباه وعلي بن أبي طالب وابن عمر. روى عنه سماك بن حرب وغيره. (قال: رأى سعد) أي ظن أو توهم (أن له فضلاً) أي زيادة فضيلة أو مثوبة من جهة الشجاعة أو السخاوة ونحوهما (على من دونه) أي من الفقراء والضعفاء (فقال رسول الله ﷺ:) أي جواباً له وإسماعاً لغيره (هل تنصرون) أي على أعدائكم (وترزقون) أي الأموال من الغنيمة وغيرها (إلا بضعفائكم) أي إلا ببركة وجود ضعفائكم ووجود فقرائكم، فهم بمنزلة الأقطاب والأوتاد لثبات العباد والبلاد. وحاصله أنه إنما جعل النصر على الأعداء وقدر توسيع الرزق على الأغنياء ببركة الفقراء، فأكرموهم ولا تتكبروا عليهم فإنهم أهل سلوك المحبة على أضيق المحجة وملوك الجنة في أعلى مراتب المعزة. وقال الطيبي [رحمه الله]: قوله أن له فضلاً، أي شجاعة وكرماً وسخاوة، فأجابه ﷺ بأن تلك الشجاعة ببركة ضعفاء المسلمين وتلك السخاوة أيضاً ببركتهم، وأبرزه في صورة الاستفهام ليدل على مزيد التعزيز والتوبيخ. (رواه البخاري) ورواه أبو نعيم في الحلية عنه بلفظ: هل تنصرون إلا بضعفائكم بدعوتهم وإخلاصهم.

٥٢٣٣ ـ (وعن أسامة بن زيد قال: قال رسول الله ﷺ: قمت على باب الجنة) أي ليلة المعراج أو في المنام أو حالة كشف المقام، أو بطريق دلالة المرام. (فكان عامة من دخلها) أي أكثرها وهي مرفوعة. وقيل: منصوبة فيعكس (المساكين) أي الفقراء والضعفاء (وأصحاب الجد) وفي الجامع: وإذا أصحاب الجد. بفتح الجيم، أي أرباب الغنى من المؤمنين الأغنياء والأمراء. (محبوسون) أي موقوفون يوم القيامة في الصحراء. وخلاصته أن أصحاب الحظ الفاني من أرباب الأموال والمناصب محبوسون في العرصات لطول حسابهم في المتاعب بسبب كثرة أموالهم وتوسيع جاههم وتلذذهم بهما في الدنيا وتمتعهم على وفق شهوات النفس والهوى، فإن حلال الدنيا له حساب ولحرامها عقاب والفقراء من هذا برآء، [فلا]يحاسبون [ولا يحبسون]بل قبل الأغنياء بأربعين خريفاً في الجنة يدخلون مكافأة لهم في العقبى لما فاتهم من الدنيا. (غير أن أصحاب النار) أي الكفار (قد أمر بهم إلى النار) [قال الطيبي رحمه الله]: أي يساق الكفار إلى النار ويوقف المؤمنون في العرصات للحساب. والفقراء هم السابقون [إلى

الحديث رقم ٥٢٣٢: أخرجه البخاري في صحيحه ٦/ ٨٨. حديث رقم ٢٨٩٦. وأحمد في المسند ١/ ١٧٣.

الحديث رقم ٥٢٣٣: أخرجه البخاري في صحيحه ١١/ ٤١٥. حديث رقم ٦٥٤٧. ومسلم في صحيحه ٤/ ٢٠٩٦ حديث رقم (٩٣ ـ ٢٧٣٦) وأحمد في المسند ٥/ ٢٠٥.

وقمت على باب النار فإذا عامةُ من دخلها النساءُ». متفق عليه.

٥٢٣٤ ـ (٤) وعن ابن عبّاس، قال: قال رسول الله ﷺ: «اطلعتُ في الجنّة، فرأيت أكثر أهلها الفقراء. واطلعتُ في النار فرأيت أكثر أهلها النساء». متفق عليه.

٥٢٣٥ ـ (٥) وعن عبد الله بن عمرو [رضي الله عنهما] قال: قال رسول الله ﷺ: «إن فقراء المجاهرين

الجنة لفقرهم أي من غير وقوف في العرصات]. وفي الجامع: إلا أصحاب النار فقد أمر بهم إلى النار. [وخلاصته أن غير بمعنى لكن، والمعنى أن أصحاب الجنة]جعلوا قسمين محبوسين ومدخلين، ولكن أصحاب النار جعلوا قسماً واحداً أمر بإدخالهم النار. **(وقمت على باب النار فإذا عامة من دخلها)** أي أكثر من دخلها مع الكفار **(النساء)** لكثرة ميلهن إلى الدنيا ولمنعهن الرجال عن طريق العقبى **(متفق عليه)** ورواه أحمد والنسائي عنه.

٥٢٣٤ ـ **(وعن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: اطلعت في الجنة)** أي أشرفت عليها لقوله تعالى: **﴿لو اطلعت عليهم﴾** [الكهف ـ ١٨]. ففي بمعنى على كقوله تعالى: **﴿لأصلبنكم في جذوع النخل﴾** [طه ـ ٧١]. وحاصلة: نظرت إليها أو أوقعت الإطلاع فيها. **(فرأيت)** أي علمت **(أكثر أهلها الفقراء)** وقال الطيبي [رحمه الله تعالى]: ضمن اطلعت بمعنى تأملت، ورأيت بمعنى علمت، ولذا عداه إلى مفعولين. ولو كان الإطلاع بمعناه الحقيقي لكفاه مفعول واحد انتهى. وفيه أنه لم يتعد هنا إلى مفعولين كما لا يخفى. **(واطلعت في النار فرأيت أكثر أهلها النساء. متفق عليه)**. هذا الحديث رواه البخاري من حديث عمران بن حصين، ومن حديث أبي هريرة أيضاً. ورواه مسلم من حديث ابن عباس، ورواه الترمذي من حديث عمران وابن عباس، كذا قال الشيخ الجزري. وعلى هذا فقول المؤلف في آخر حديث ابن عباس متفق عليه لا يخلو عن تأمل، ذكره ميرك. وفيه أن مبناه على المسامحة حيث وقع الاتفاق على لفظ الحديث وإن اختلفا في المروي عنه من الصحابة، نعم كان حقه أن يقول: رواه مسلم ورواه البخاري عن عمران بن حصين، كما قال في الجامع بعد إيراد الحديث بعينه. رواه أحمد ومسلم والترمذي عن ابن عباس، والبخاري والترمذي عن ابن عباس، والبخاري والترمذي عن عمران بن حصين.

٥٢٣٥ ـ **(وعن عبد الله بن عمرو)** بالواو **(قال: قال رسول الله ﷺ: إن فقراء المهاجرين**

الحديث رقم ٥٢٣٤: أخرجه البخاري في صحيحه ١١/ ٤١٥. حديث رقم ٦٥٤٦. ومسلم في صحيحه ٤/ ٢٠٩٦ حديث رقم (٩٤ ـ ٢٧٣٧). والترمذي في السنن ٤/ ٦١٧ حديث رقم ٢٦٠٢. وأحمد في المسند ١/ ٢٣٤.

الحديث رقم ٥٢٣٥: أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ٢٢٨٥ حديث رقم (٣٧ ـ ٢٩٧٩) وابن ماجه في السنن ٢/ ١٣٨١ حديث رقم ٤١٢٣. والدارمي في السنن ٢/ ٤٣٧ حديث رقم ٢٨٤٤ وأحمد في المسند ٢/ ١٦٩.

يسبقونَ الأغنياء يومَ القيامةِ إلى الجنة بأربعين خريفاً». رواه مسلم.

٥٢٣٦ ـ (٦) وعن سهل بن سعد، قال: مرَّ رجلٌ على رسول الله ﷺ فقال لرجلٍ عنده جالس: «ما رأيك في هذا؟» فقال رجل من أشراف الناس: هذا والله حريٌ إن خطب إن يُنكحَ، وإن شَفَعَ أن يُشفَّعَ. قال: فسكت رسول الله ﷺ ثم مرَّ رجلٌ فقال له رسول الله ﷺ:

يسبقون الأغنياء) أي من المهاجرين فغيرهم بالأولى، ولذا أطلق الأغنياء. وعلى هذا [يقاس] فقراء كل طائفة من أهل زمان ومكان على أغنيائهم. **(يوم القيامة)** أي لمحاسبة الأغنياء ولخلاص الفقراء عن العناء، فإن المفلس في أمان الله دنيا وأخرى. **(إلى الجنة)** متعلق بيسبقون، أي يسابقون ويبادرون إليها. **(بأربعين خريفاً)** قال الطيبي [رحمه الله]نقلاً عن النهاية: الخريف الزمان المعروف بين الصيف والشتاء، ويريد به أربعين سنة لأن الخريف لا يكون في السنة إلا مرة واحدة انتهى. فالمعنى بمقدار أربعين سنة من أعوام الدنيا أو الأخرى، مع احتمال أن يراد بها الكثرة ويختلف باختلاف أحوال الفقراء والأغنياء في الكمية والكيفية المعتبرة. وخلاصته أن الفقراء في تلك المدة لهم حسن العيش في العقبى مجازاة لما فاتهم من التنعم في الدنيا كما قال تعالى: ﴿**كلوا واشربوا هنيئاً بما أسلفتم في الأيام الخالية**﴾ [الحاقة ـ ٢٤]. أي الماضية، أو الخالية عن المآكل والمشرب صياماً أو وقت المجاعة. وقد ورد على ما سبق: إن أطول الناس جوعاً يوم القيامة أطولهم شبعاً في الدنيا. ويؤيد ما ذكرناه من تفاوت المراتب أنه جاء في رواية ابن ماجه عن أبي سعيد بلفظ: أن فقراء المهاجرين يدخلون الجنة قبل أغنيائهم بمقدار خمسمائة [سنة][١]. **(رواه مسلم)**.

٥٢٣٦ ـ **(وعن سهل بن سعد قال: مر رجل على رسول الله ﷺ فقال لرجل عنده)** الظاهر أنه كان من الأغنياء فيكون في سؤاله وجوابه له تنبيه نبيه على فضل الفقراء. **(جالس:)** بالجر صفة رجل. وفي نسخة بالرفع على أنه فاعل الظرف أو خبر بعد خبر، أو خبر لمبتدأ محذوف هو هو. **(ما رأيك في هذا)** أي ما ظنك في حق هذا الرجل المار تظنه خيراً أم شراً، ذكره ابن الملك. **(فقال)** أي الذي عنده **(رجل)** أي هو، أو هذا يعني المار **(من أشراف الناس:)** أي كبرائهم وعظمائهم **(هذا)** أي هذا الرجل بعينه أو هذا الشخص بجنبه، أي مثل هذا الرجل. **(والله حري)** على وزن فعيل وهو خبر هذا والقسم معترض بينهما، أي جدير وحقيق. **(إن خطب [الناس])** أي طلب أن يتزوج امرأة **(أن ينكح)** [بصيغة المجهول أي بأن يزوجه إياها أهلها **(وإن شفع)** أي لأحد عند الحكام أو الرؤساء في جلب العطاء أو دفع البلاء **(أن يشفع)**] بصيغة المفعول مشدداً، أي تقبل شفاعته. **(قال:)** أي الراوي **(فسكت رسول الله ﷺ.)** أي عن الجواب ولم يذكر ما تقتضيه المحاورة من الخطاب **(ثم مر رجل)** أي آخر **(فقال له:)** أي

---

(١) أخرجه ابن ماجه في السنن ٢/ ١٣٨١ حديث رقم ٤١٢٣.

الحديث رقم ٥٢٣٦: أخرجه البخاري في صحيحه ١١/ ٢٧٣. حديث رقم ٦٤٤٧. وابن ماجه في السنن ٢/ ١٣٧٩ حديث رقم ٤١٢٠.

«ما رأيك في هذا؟» فقال: يا رسول الله! هذا رجلٌ من فقراءِ المسلمين، هذا حريٌ إن خَطبَ أن لا ينكح، وإن شفع أن لا يُشفَّع، وإن قال أن لا يسمع لقوله. فقال رسول الله ﷺ: «هذا خيرٌ من ملءِ الأرضِ مثل هذا».

للرجل الذي عنده (ما رأيك في هذا. فقال: يا رسول الله هذا رجل من فقراء المسلمين هذا حري) ترك القسم لاحتمال التخلف، وأما تأكيد الحكم به سابقاً، فللمبالغة في تحقق الظن فيه. والمعنى: هذا لائق. (إن خطب أن لا ينكح وإن شفع أن لا يشفع وإن قال) أي بكلام، ولو كان صدقاً أو حقاً. (أن لا يسمع) بصيغة المجهول ونائب الفاعل قوله: (لقوله:) والمعنى أن أحداً لا يسمع لكلامه ولا يلتفت إليه من غاية فقره وقلة نظام أمره. * ففي غرائب ما يحكى أن رجلاً غريباً فقيراً رافق شخصاً ملك بعيراً وحمله حملاً ثقيلاً فقال: ما حملك هذا وما حملك على هذا. قال: عدل منه حب الطعام وعدل آخر مليء من البطحاء ليعتدل النظام. قال الفقير له: لو تركت البطحاء وقسمت الحب في العدلين متناصفين لخف حملك وركبت جملك. فقال: بارك الله فيك لما صدر من فيك فأطاعه فيما بينه وركب على وجه عينه فسأله: هل أنت بهذا العقل كنت في بلادك سلطاناً. فقال: لا، فقال: فوزيراً فأميراً فتاجراً فرئيساً فصاحب إبل وصاحب خيل أو غنم أو زراعة ونحو ذلك. فيقول: لا. فقال: أكنت في بلدك فقيراً على هذا الحال وحقيراً على هذا المنوال، فقال: نعم. فقال: أنت شؤم ووجهك شؤم وكلامك شؤم ومن يسمعك أيضاً شؤم. ونزل عن بعيره وأمر على تغييره من سوء تدبيره. ومثل هذا مشاهد في العالم كثيراً، مثلاً إذا كان العالم فقيراً والشيخ إذا كان حقيراً حيث لا يلتفت أحد [إلى كلامه]ولا يعظم على قدر مقامه بخلاف العالم والشيخ إذا كان مشهوراً وعلم جاهه بين العوام منشوراً فإنه[1] يقبل قوله ويتبع فعله، ولو كان في نفس الأمر ناقصاً في علمه أو عمله والله ولي دينه وناصر نبيه، ومن هذا القبيل قول أهل الجاهلية في حقه ﷺ لما كان تاركاً للمال والجاه على ما حكاه الله تعالى عنهم بقوله: ﴿وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم﴾ [الزخرف - ٣١]. وأرادوا بالقريتين مكة والطائف، كان كل أهل قرية[2] قالوا هذه المقالة فلف النشر اعتماداً على معرفة تلك الحالة، فقال تعالى رداً عليهم: ﴿أهم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا﴾ [الزخرف - ٣٢]الآيات. (فقال رسول الله ﷺ: هذا) أي هذا الرجل وحده وكذا أمثاله (خير من ملء الأرض مثل هذا) [أي مثل] الرجل الأول. ووجهه والله تعالى أعلم أن الفقير لصفاء قلبه أقرب إلى قبول أمر ربه والوصول إلى مرتبة حبه، بخلاف الأغنياء الأغبياء فإن لهم الطغيان والاستغناء والتكبر والخيلاء. وقد قال الله تعالى: ﴿سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق﴾ [الأعراف - ١٤٦]. وهذا أمر مشاهد مرئي في تلامذة العلماء ومريدي الصلحاء والتابعين أولاً للأنبياء، بل السابقين إلى العبادات من الصلوات وغيرها حتى الحج الذي لم يجب إلا على الأغنياء. فالفائزون به لا سيما على وجه الإخلاص المبرأ عن الأغراض الفاسدة والمكاسب

---

(١) في المخطوطة «شأنه».

(٢) في المخطوطة «قومه».

متفق عليه.

٥٢٣٧ ـ (٧) وعن عائشةَ، قالتْ: ما شَبِعَ آلُ محمّدٍ من خبزِ الشعيرِ يومينِ متتابعين حتى قُبِضَ رسولُ الله ﷺ.

الكاسدة إنما هم الفقراء. هذا وقال شارح: مثل، منصوب على التمييز من ملء الأرض. ويؤيده قول الطيبي [رحمه الله]: وقع ملء الأرض مفضلاً عليه باعتبار مميزة وهو قوله: مثل هذا، لأن البيان والمبين شيء واحد انتهى. ويمكن أن يكون نصبه بنزع الخافض، ويؤيده أنه وقع في بعض النسخ بالجر، أي من مثل هذا الرجل الأوّل. لكن النسخ المصححة من نسخة [السيد]وغيرها على الأوّل فهو المعول. ولا يغرك قول ابن حجر: مثل هذا، بكسر اللام ويجوز فتحها. ثم المراد من الرجل الأوّل المعبر عنه بأنه من أشراف الناس واحد من أغنياء المؤمنين، وإنما عبر عن الخاص بلفظ العام للمبالغة في تحصيل المرام. فإن الغني بغير الخواص والعوام. ولا يتوهم أن المراد بالرجل الأوّل أحد من الكفار لعدم انتظام الكلام حينئذ في قوله عليه الصلاة والسلام: هذا خير، بمعنى أفضل منه. إذ لا مفاضلة بين الكفار وأهل الإسلام لأنه لا خير في كفار الأنام حتى قال بعض العلماء الأعلام: إن من قال النصراني خير من اليهودي يخشى عليه [الكفر]إذا ثبت الخير فيمن لا خير فيهم، وإنما لم يجزم بكفره لأنه قد يقصد بالخير أنه أقرب إلى الحق، ولذا قال تعالى: ﴿لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى﴾ [المائدة ـ ٨٢]. كما أنه قد يقصد بالخير مجرد زيادة الحسن، ومنه قوله تعالى: ﴿أصحاب الجنة يومئذ خير مستقراً وأحسن مقيلاً﴾ [الفرقان ـ ٢٤]. لكن إيراد الحديث في هذا الباب يدل على أن ما ذكرناه هو الصواب، وهو لا ينافي ما ذكره الغزالي: أن عذاب الكافر الفقير الدنيء أخف من الكافر الغني. فإذا كان الفقر ينفع الكافر في النار فما ظنك بنفعه للأبرار في دار القرار. (متفق عليه).

٥٢٣٧ ـ (وعن عائشة قالت: ما شبع آل محمد) أي أهل بيته من حرمه وخدمه (من خبز الشعير) فمن البر بالأولى. (يومين متتابعين) أي بل إن حصل الشبع يوماً وقع الجوع يوماً بناء على ما اختاره ﷺ حين عرض عليه خزائن الأرض وأن يجعل جبال مكة ذهباً، فاختار الفقر قائلاً: أجوع يوماً فأصبر وأشبع يوماً فأشكر. لأن الإيمان نصفان، نصفه شكر ونصفه صبر. كما قال تعالى: ﴿إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور﴾ [إبراهيم ـ ٥، لقمان ـ ٣١، سبأ ـ ١٩، الشورى ـ ٣٣]. أي لكل مؤمن كامل بالوصفين عالم وعامل (حتى) أي استمر عدم الشبع على الوجه المذكور حتى (قبض رسول الله ﷺ) أي ودرعه مرهونة عند يهودي في جملة صاع من الشعير. وفيه رد على من قال: صار ﷺ في آخر عمره غنياً. نعم وقع مال كثير في

الحديث رقم ٥٢٣٧: أخرجه البخاري في صحيحه ٩/ ٥٤٩. حديث رقم ٥٤١٦. ومسلم في صحيحه ٤/ ٢٢٨٢ حديث رقم (٢٢ ـ ٢٩٧٠). وأخرجه النسائي في السنن ٧/ ٢٣٦ حديث رقم ٤٤٣٢ وأخرجه ابن ماجه ٢/ ١١١٠ حديث رقم ٣٣٤٣.

متفق عليه.

٥٢٣٨ ـ (٨) وعن سعيد المقبري، عن أبي هريرة: أنّه مرَّ بقوم بين أيديهم شاةٌ مصليةٌ، فدعوه، فأبى أن يأكلَ، وقال: خرج النبيُّ ﷺ من الدنيا ولم يشبَعْ من خبز الشعير. رواه البخاري.

٥٢٣٩ ـ (٩) وعن أنس، أنه مشى إلى النبيِّ ﷺ بخبز شعير وإهالة سنخة، ولقد رهن النبي ﷺ درعاً له بالمدينة عند يهوديّ،

يده لكنه ما أمسكه بل صرفه في مرضاة ربه وكان دائماً غني القلب بغنى الرب. (متفق عليه) ورواه الترمذي في شمائله عنها. وروي عن ابن عباس قال: كان رسول الله ﷺ يبيت الليالي المتتابعة طاوياً، أي جائعاً هو وأهله لا يجدون عشاء. وكان أكثر خبزهم خبز الشعير[١]. وبهذا الحديث يتبين أن أحداً في زماننا من الفقراء ما يعيش عيشه ﷺ، وهو أفضل الأنبياء. ففي فعله ﷺ تسلية عظيمة للفقراء، كما أن في قوله[٢] توصية جسيمة للأغنياء فهو رحمة للعالمين وإمام للعالمين العاملين.

٥٢٣٨ ـ (وعن سعيد) وفي نسخة أبي سعيد وهو خطأ مخالف للأصول المعتمدة. والنسخ المصححة على ما صرح به بعضهم. وقال: هو سعيد بن أبي سعيد المقبري، واسم أبي سعيد كيسان وكان يسكن عند مقبرة فنسب إليها انتهى. ولم يذكرهما المؤلف في أسمائه. [ثم قوله]: (المقبري) بفتح ميم وسكون قاف وضم موحدة، وبفتح وبكسر نسبة إلى موضع القبور. والمراد أبو سعيد وابنه سعيد كذا في أنساب المغني. (عن أبي هريرة أنه مر بقوم بين أيديهم شاة مصلية) اسم مفعول من صلى على وزن مرمية، أي مشوية. (فدعوه) أي أبا هريرة إلى أكلها (فأبى أن يأكل) أي فامتنع من أكله إياها. (وقال:) أي معتذراً (خرج النبي ﷺ من الدنيا ولم يشبع من خبز الشعير. رواه البخاري).

٥٢٣٩ ـ (وعن أنس أنه مشى إلى النبي ﷺ بخبز شعير) أي مصحوباً به (وإهالة) [بكسر الهمزة، كل أدهن يؤتدم به. (سنخة) فتح سين مهملة وكسر نون وفتح خاء معجمة بعدها هاء، أي متغيرة الريح لطول المكث. في النهاية [قيل]: الإهالة ما أذيب من الألية والشحم، وقيل الدسم الجامد[٣] والسنخة المتغيرة الريح. (ولقد رهن النبي ﷺ درعاً له بالمدينة عند يهودي

---

(١) أخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٥٠١ حديث رقم ٢٣٦٠. وكذلك أحمد وابن ماجه.

(٢) في المخطوطة «حوله».

الحديث رقم ٥٢٣٨: أخرجه البخاري في صحيحه ٩/ ٥٤٩. حديث رقم ٥٤١٤.

الحديث رقم ٥٢٣٩: أخرجه البخاري في صحيحه ٤/ ٣٠٢. حديث رقم ٢٠٦٩. وابن ماجه في السنن ٢/ ١٣٨٩ حديث رقم ٤١٤٧. وأحمد في المسند ٣/ ١٣٣.

(٣) في المخطوطة «الجلدة».

وأخذ منه شعيراً لأهله، ولقد سمعته يقول: «ما أمسى عند آلِ محمَّدٍ صاعُ بُرّ ولا صاعُ حَبّ، وإن عنده لتسعَ نسوةٍ». رواه البخاري.

٥٢٤٠ ـ (١٠) وعن عمر رضي الله عنه، قال: دخلتُ على رسولِ اللهِ ﷺ فإذا هو

وأخذ منه شعيراً) أي مقداراً معيناً من الشعير (لأهله) أي لأهل بيته. ولعل وجه الأخذ منه لتكون الحجة بالغة عليه أو ستراً لحاله عن المساكين، أو لئلا يثقل عليهم فيعطوه استحياء، أو لم يأخذوا منه وقت العطاء رباء. والأظهر أنه مبالغة في تنزهه ﷺ عن طلب الأجر من الأمة ولو صورة حيث قال تعالى: ﴿قل لا أسألكم عليه من أجر إن أجري إلا على الله﴾ [الشورى ـ ٢٣]. ونظيره ما وقع لإمامنا الأعظم [رحمه الله]حيث لم يقف في ظل جدار من كان يطالبه بدين معللاً بحديث: «كل قرض جر منفعة فهو رباء»[١]. وقد روي أن الإمام حمزة أحد الأئمة القراء السبعة الذي قال الشاطبي [رحمه الله]في حقه من المنقبة:

وحمزة ما أزكاه من متورع   إماماً صبوراً للقرآن مرتلا

كان لا يأخذ أجراً على الإقراء لأنه تمذهب بحديث التغليظ في أخذ الأجرة عليه، أو من كمال تورعه حتى عرض تلميذه عليه ماء في يوم حر فأبى. وقيل إنه وقع في بئر فكل من جاء ليستخرجه منها سأله هل قرأت عليّ فيقول بلى فيمتنع أن يستعين به إلى الخروج من الخلا إلى الملا، وأهل الكوفة كانوا كلهم تلاميذه فعجزوا حتى رأوا أعرابياً فأتاه فأخرجه منها بعد أن بين له أنه قط ما قرأ عليه ولا سمع ممن[٢] يقرأ لديه. (ولقد سمعته) قال الطيبي: ضميراً المفعول في سمعته عائد إلى أنس والفاعل هو راوي أنس انتهى. وتبعه ابن الملك وغيره من الشراح، أي قال راوي الحديث عن أنس: سمعت أنساً. (يقول: ما أمسى) أي للذخيرة (عند آل محمد صاع بر) أي للقوت (ولا صاع حب) تعميم بعد تخصيص. والمعنى أنه لم يدخر في الليل للغد. (وإن عنده لتسع نسوة) بكسر الهمزة والجملة حالية. وفي بعض الروايات وإن عنده يومئذ لتسع نسوة، وهذه الجملة من كلام الراوي قطعاً لقوله: عنده. والتأويل بالالتفات مما لا يلتفت إليه ولا يعول عليه. وإنما الخلاف فيما قبله حيث قال بعضهم: الحق أن الضمير[٣] المفعول راجع إلى النبي ﷺ، والفاعل هو أنس كما صرح به الشيخ ابن حجر العسقلاني [رحمه الله]. ويدل عليه رواية أحمد قال: ولقد سمعت رسول الله ﷺ الخ. ويؤيده قوله: ما أمسى عند آل محمد. إذ لو كان من كلام الراوي ناسب أن يقول: عند آل النبي ﷺ. والله [تعالى]أعلم. (رواه البخاري).

٥٢٤٠ ـ (وعن عمر رضي الله [تعالى]عنه قال: دخلت على رسول الله ﷺ فإذا هو

---

(١) ذكره السيوطي في الجامع الصغير ٢/ ٣٩٤ حديث رقم ٦٣٣٦. وقال رواه الحارث عن علي.

(٢) في المخطوطة «ماء».

(٣) في المخطوطة «ضمير».

الحديث رقم ٥٢٤٠: أخرجه البخاري في صحيحه ٨/ ٦٥٧ حديث رقم ٤٩١٣. ومسلم في صحيحه =

مضطجعٌ على رِمالِ حصيرٍ، ليس بينه وبينه فراش، قد أثَّر الرِّمالُ بجنبه، متَّكئاً على وسادةٍ منْ أَدَمٍ حَشْوُها لِيفٌ. قلتُ: يا رسول الله: ادعُ اللَّهَ فليوسعْ على أمَّتك، فإن فارسَ والرُّومَ قدِ وُسعَ عليهم وهم لا يعبدونَ الله. فقال: «أو في هذا أنتَ يا ابن الخطاب؟

مضطجع على رمال حصير) بالإضافة، أي على رمال من حصير. قال شارح: الرمال بكسر الراء وضمها جمع رميل بمعنى مرمول، أي منسوج ويستعمل في الواحد، وهذا من إضافة الجنس إلى النوع كخاتم فضة. والمراد بالحصير هنا المنسوج من ورق النخل انتهى. وقيل: الرمال ما ينسج عوداً عوداً. والظاهر أن ضم الراء أشهر ولذا صاحب القاموس عليه اقتصر وقال: رمال الحصير كغراب مرموله. وفي النهاية: الرمال ما رمل أي نسج. قال الزمخشري: ونظيره الحطام والركام لما يحطم ويركم. وقال غيره: الرمال جمع رمل بمعنى مرمول كخلق الله تعالى بمعنى مخلوقه. والمراد أنه كان السرير قد نسج وجهه بالسعف ولم يكن على السرير وطاء سوى الحصير ذكره الطيبي [رحمه الله]. لكن كون المراد برمال الحصير شريط السرير بعيد عند الفقير، بل الظاهر أنه مضطجع على منسوج من حصير. (ليس بينه) أي بين النبي ﷺ (وبينه) أي بين الحصير (فراش) أي لا من القطن ولا من الحرير. (قد أثر الرمال بجنبه) أي من بدنه لا سيما عند كشفه من ثوبه (متكئاً) أي حال كونه معتمداً (على وسادة) أي مخدة (من أدم) بفتحتين، أي جلد (حشوها) أي محشو الوسادة (ليف) في القاموس: ليف النخل بالكسر معلوم. (قلت: يا رسول الله ادع الله فليوسع) بكسر السين المشددة وسكون العين. (على أمتك) أي فإنهم لا يطيقون متابعتك في تحمل محنتك، فربما يتنفرون عن الميل إلى ملتك. (فإن فارس والروم قد وسع عليهم وهم لا يعبدون الله) وكأن ابن الخطاب الناطق بالصواب الموافق رأيه للكتاب أخذ هذا المعنى من قوله تعالى: ﴿ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمٰن لبيوتهم سقفاً من فضة﴾ [الزخرف - ٣٣]الآية. ومفهومها أنه ما وسع عليهم توسيعاً كلياً ولا ضيق على المؤمنين تضييقاً كلياً وإن كان ذلك مقتضى ظاهر العدل من تقسيم الدارين بين الفريقين كما أخبر به ﷺ في حديث: «الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر»[1]. فالحكمة البالغة هي المانعة من ميل المؤمنين إلى طريق الكافرين وهي الحالة الوسطى بالنسبة إلى عموم الخلق، وإن كانت المرتبة العليا بالإضافة إلى الخواص من الأنبياء والأولياء كمال الزهد في الدنيا والقناعة بأقل ما يتصور من متاعها، ليكون تمتعهم تاماً في العقبى. (فقال:) أي النبي ﷺ (أو في هذا أنت) بفتح الواو بعد استفهام إنكاري والمعطوف عليه مقدر، أي أتقول هذا الكلام وأنت إلى الآن في هذا المقام ولم يحصل لك الترقي إلى فهم المرام. وقيل: قدم الاستفهام لصدارته، والواو لمجرد الربط بين الكلام السابق واللاحق. (يا ابن الخطاب) قيل: في خطابه يابن الخطاب دون عمر إيذان بأن الالتذاذ بطيبات الدنيا من خصال ذوي الجهل

= ٢/ ١١٠٥ حديث رقم (٣٠ - ١٤٧٩). وابن ماجه في السنن ٢/ ١٣٩٠ حديث رقم ٤١٥٣ وأحمد في المسند ٣/ ١٤٠.

(١) مسلم في صحيحه ٤/ ٢٢٧٢ حديث رقم ٢٩٥٦.

أولئك قومٌ عُجّلتْ لهم طيّباتهم في الحياة الدنيا». وفي رواية: «أما ترضى أن تكون لهم الدنيا ولنا الآخرة؟!». متفق عليه.

٥٢٤١ ـ (١١) وعن أبي هريرة، قال: لقد رأيتُ سبعين من أصحاب الصُّفة، ما منهم رجلٌ عليه رداءٌ، إما إزارٌ وإما كساءٌ، قد ربطوا في أعناقهم،

والعمى وكأنه يقول: يا ابن ذلك المقيد بطيبات الدنيا الغافل عن نعيم [دار]العقبى. (أولئك) أي فارس والروم وسائر الكفار. (عجلت لهم طيباتهم في الحياة الدنيا) أي كما أخبر الله في كتابه أنه ينكر عليهم يوم القيامة بخطابه حيث قال: ﴿ويوم يعرض الذين كفروا على النار أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها فاليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تستكبرون في الأرض بغير الحق وبما كنتم تفسقون﴾ [الأحقاف ـ ٢٠]. هذا وقد قال الطيبي [رحمه الله]: قوله: فليوسع، الظاهر نصبه ليكون جواب الأمر، أي ادع الله فيوسع واللام للتأكيد والرواية الجزم على أنه أمر للغائب، كأنه التمس من رسول الله ﷺ الدعاء لأمته بالتوسعة وطلب من الله الإجابة. وكان من حق الظاهر أن يقال: ادع الله ليوسع عليك فعدل إلى الدعاء للأمة إجلالاً لمحله ﷺ وإبعاداً لمنزلة[1] من رسخ للنبوة أن يطلب من الله تعالى هذا الدنيء الخسيس لنفسه النفيس، ومع ذلك أنكر عليه هذا الإنكار البليغ. وقوله: أو في هذا، مدخول الهمزة محذوف، أي أتطلب هذا وفي هذا أنت وكيف يليق بمثلك أن يطلب من الله التوسعة في الدنيا. (وفي رواية: أما ترضى أن تكون لهم الدنيا) أي موسعة خاصة (ولنا الآخرة) أي مرضعة خالصة (متفق عليه). وروى ابن ماجه الرواية الأخيرة.

٥٢٤١ ـ (وعن أبي هريرة قال: لقد رأيت سبعين من أصحاب الصفة) وفي نسخة: من أهل الصفة. وهم كانوا أربعمائة من المهاجرين تهيؤوا لتعلم القرآن والخروج في السرايا لقتال أهل الطغيان، وكان أبو هريرة ناظرهم ونقيبهم ومتفقد حالهم ورقيبهم. وكانوا يأوون في صفة آخر مسجده ﷺ. وقد نزل في حقهم: ﴿للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله لا يستطيعون ضرباً في الأرض يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم لا يسألون الناس إلحافاً﴾ [البقرة ـ ٢٧٣]. أي أصلاً، بل كانوا متوكلين ومتقنعين بالتقاط[2] النواة ونحوها من جهة الزاد للمعاش والمعاد. وأما من جهة الكسوة فكما بينه أبو هريرة بقوله: (ما منهم رجل عليه رداء) ففي النهاية: هو الثوب أو البرد الذي يضعه الإنسان على عاتقه وبين كتفيه فوق ثيابه. قال السيد جمال الدين [رحمه الله]: قوله: فوق ثيابه، خلاف ما عليه أئمة اللغة، وإنما الرداء هو الذي يستر أعالي البدن فقط. قلت: ويؤيده قوله: (إما إزار وإما كساء) أي إزار واحد يستر عورته، وإما كساء واحد يشتمل به كما بينه بقوله: (قد ربطوا) أي طرفه (في أعناقهم) وحاصل المعنى

---

(١) في المخطوطة «المنزلته».

الحديث رقم ٥٢٤١: أخرجه البخاري في صحيحه ٥٣٦/١ حديث رقم ٤٤٢.

(٢) في المخطوطة «بالقاط».

فمنها ما يبلغُ نصفَ الساقين، ومنها ما يبلغُ الكعبين فيجمعه بيده كراهيةَ أن تُرى عورته». رواه البخاري.

٥٢٤٢ ـ (١٢) وعنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا نظر أحدكم إلى مَنْ فُضل عليه في المال والخَلْق؛ فلينظر إلى من هو أسفل منه».

أنه لم يكن له ثوب يتردى به، بل كان له إما إزار فحسب أو كساء فحسب. وفي العدول عن ضمير المفرد إلى الجمع في قوله: قد ربطوا في أعناقهم، حيث لم يقل: قد ربطه في عنقه، إشعار بأن حال جميعهم كان على هذا المنوال كما يفيده تنكير رجل واستغراق النفي مع زيادة المبالغة بزيادة من في قوله: منهم. ثم تأنيث الضمير في قوله: (فمنها ما يبلغ [نصف]الساقين ومنها ما يبلغ الكعبين) مع أنه راجع إلى الكساء والإزار باعتبار الجمعية في الأكسية والإزار، أو الأكسية وحدها لقربها ولمقايسة غيرها عليها. ولها نظائر من قوله تعالى: ﴿واستعينوا بالصبر والصلاة وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين﴾ [البقرة ـ ٤٥]. ومن قوله عزَّ وجلَّ: ﴿والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله﴾ [التوبة ـ ٣٤]. فإن المفرد يدل[١] على الجمع، لا سيما والمراد به الجنس الذي قد يعبر عنه بالتأنيث لدلالته على جمعية الجماعة كما قد يفرد باعتبار لفظه، وهو المعني بقوله: (فيجمعه) أي يجمع الرجل ذلك الثوب من الكساء أو الإزار (بيده) لئلا يفترق أحد طرفيه من الآخر (كراهة أن ترى عورته) أي في نظر غيره أو حال صلاته. هذا وقد قال الطيبي [رحمه الله]: التأنيث باعتبار الجمعية في الأكسية والإزار وتعدد المكتسين، والإفراد في بيده باعتبار الرجل المذكور. (رواه البخاري).

٥٢٤٢ ـ (وعنه) أي عن أبي هريرة (قال: قال رسول الله ﷺ: إذا نظر أحدكم إلى من فضل عليه) بصيغة المجهول من التفضيل، أي زيد عليه. (في المال والخلق) أي في الصورة أو في الخدم والحشم. وحاصله أنه إذا رأى أحدكم من هو أكثر منه حشمة ومالاً ولباساً وجمالاً ولم يعرف أن [له]في الآخرة به وبالاً. (فلينظر إلى من هو أسفل منه) بفتح اللام وبضم، أي من هو دونه في الدنيا وأقل رتبة منه مالاً ومنالاً وله في الآخرة الدرجة العليا مآلاً. وفي الحديث دلالة على أن [حال]أكثر الخلق هو الاعتدال ولو بحسب الإضافة والانتقال. فالسالك بالنظر إلى حال طرفيه يحصل له حسن الحال، وإيماء إلى أن المفضل على الخلق كلهم من جميع الوجوه مثلاً أو فرضاً لا ينظر إلى من تحته لئلا يحصل له العجب والغرور والافتخار والتكبر والخيلاء، بل يجب عليه أن يقوم بحق شكره على النعماء. وأما من لم يكن تحته أحد في الفقر فينبغي أن يشكر ربه حيث لم يبتله بالدنيا لقلة غنائها وكثرة عنائها وسرعة فنائها وخسة

---

(١) في المخطوطة «يدخل».

الحديث رقم ٥٢٤٢: أخرجه البخاري في صحيحه ١١/ ٣٢٢ حديث رقم ٦٤٩٠. ومسلم في صحيحه ٤/ ٢٢٧٥ حديث رقم (٨ ـ ٢٩٦٣). والترمذي في السنن ٤/ ٥٧٤ حديث رقم ٢٥١٣. وابن ماجه ٢/ ١٣٨٧ حديث رقم ٤١٤٢. وأحمد في المسند ٢/ ٣١٤.

متفق عليه. وفي رواية لمسلم، قال: «انظروا إلى من هو أسفل منكم، ولا تنظروا إلى من هو فوقكم؛ فهو أجدر ألا تزدروا نعمة الله عليكم».

الفصل الثاني

٥٢٤٣ ـ (١٣) عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «يدخلُ الفقراء الجنة قبلَ الأغنياء بخمسمائة عام نصف

شركائها. ولذا كان الشبلي [رحمه الله تعالى]إذا رأى أحداً من أرباب الدنيا قال: اللهم إني أسألك العفو والعافية في الدنيا والعقبى. ويناسبه ما حُكِيَ أن شخصاً من الفقراء قام في مجلس واعظ من الأولياء وشكا أنه لم يأكل كذا مدة في الخلا والملا فقال الشيخ: كذبت يا عدو الله فإنه لا يعطي الجوع الشديد إلا لأصفيائه وخاصة أنبيائه وخلاصة أوليائه، ولو كنت منهم لما أظهرت هذه الشكاية ولسترت عن الخلق هذه الغاية. ومجمل الحال وخلاصة المقال أن المؤمن إذا سلم دينه من الخلل والزوال فلا يبالي بنقصان الجاه والمال وسائر المشقات الكائنة في الحال والاستقبال، كما روي أن صاحباً للغزالي ضرب وحبس فشكا إليه فقال: اشكر فإن البلاء قد يكون أعظم من هذا، ثم طرح في بئر من السجن فشكا إليه ورد بما سبق عليه. ثم أتي بيهودي يسهل كل ساعة ووضع معه مسلسلاً بسلسلته يحتاج كل نفس إلى مرافقته ومصاحبته مع ضيق المكان وظلمة الزمان والعفونة في كل آن فشكا إلى الإمام من ضيق الصدر فأمره بالشكر والصبر فأجاب جزعاً: أي بلاء أشد من هذا العذاب. فقال الإمام في الجواب: هو أن يوضع في رقبتك طوق الكفر والحجاب ويسلك بك عن صوب الصواب. ﴿**ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب**﴾. (**متفق عليه**) ورواه أحمد. (**وفي رواية لمسلم**) وقد أخرجها أحمد والترمذي وابن ماجه عنه أيضاً مرفوعاً (**قال: انظروا إلى من هو أسفل منكم**) أي دونكم رتبة (**ولا تنظروا إلى من هو فوقكم**) أي مرتبة (**فهو**) أي النظر المذكور إثباتاً ونفياً (**أجدر**) أي أحق وأولى (**أن لا تزدروا نعمة الله عليكم**) أي بعدم الازدراء والاحتقار لما قسم الله عليكم في هذه الدار، فإنه يظهر لكم بذلك النظر أن لله تعالى عليكم نعماً كثيرة بالنسبة إلى من دونكم أو نعماً كثيرة حيث اختار لكم الفقر والبلاء وجعلكم من أهل الولاء وشبهكم بالأنبياء والأولياء وخلصكم عن ظلم الأمراء وظلمة الأغنياء الأغبياء.

(الفصل الثاني)

٥٢٤٣ ـ (**وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: يدخل الفقراء**) أي الصابرون، وقيل: ولو كانوا شاكين[1]. (**الجنة قبل الأغنياء**) أي الشاكرين (**بخمسمائة عام**) أي سنة (**نصف**

الحديث رقم ٥٢٤٣: أخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٤٩٩ حديث رقم ٢٣٥٤. وابن ماجه ٢/ ١٣٨٠ حديث رقم ٤١٢٢. وأحمد في المسند ٢/ ٣٤٣.

(١) في المخطوطة «شاكرين».

يوم». رواه الترمذي.

٥٢٤٤ - (١٤) وعن أنس، أن النبي ﷺ قال: «اللّٰهم أحيني مسكيناً،

يوم) بالجر على أنه صفة فارقة أو بدل أو عطف بيان عن خمسمائة عام، فإن اليوم الأخروي مقدار طوله ألف سنة من سني الدنيا لقوله تعالى: ﴿**وإن يوماً عند ربك كألف سنة مما تعدون**﴾ [الحج - ٤٧]. فنصفه خمسمائة. وأما قوله تعالى: ﴿**في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة**﴾ [المعارج - ٤]. فمخصوص من عموم ما سبق أو محمول على تطويل ذلك اليوم على الكفار كما يطوى حتى يصير كساعة بالنسبة إلى الأبرار، كما يدل عليه قوله تعالى: ﴿**فإذا نقر في الناقور فذلك يومئذ يوم عسير على الكافرين غير يسير**﴾ [المدثر - ٨ - ٩ - ١٠]. قال الأشرف: فإن قلت: كيف التوفيق بين هذا الحديث والحديث السابق من قوله: بأربعين خريفاً. قلت: يمكن أن يكون المراد من الأغنياء في الحديث الأول أغنياء المهاجرين أي يسبق فقراء المهاجرين إلى الجنة بأربعين خريفاً، ومن الأغنياء في الحديث الثاني الأغنياء الذين ليسوا من المهاجرين فلا تناقض بين الحديثين انتهى. وفيه أن هذا إنما يتم إذا أريد بالفقراء الخاص وبالأغنياء العام فلا يفهم حكم الفقراء من غير المهاجرين. فالأولى حمل الحديث على معنى يفهم الحكم [عموماً] وهو بأن يقال: المراد بكل من العددين إنما هو التكثير لا التحديد، فتارة عبر به وأخرى بغيره تفنناً ومآلهما واحد، أو أخبر أولاً بأربعين كما أوحي إليه ثم أخبر ثانياً بخمسمائة عام زيادة من فضله على الفقراء ببركته ﷺ، أو التقدير بأربعين خريفاً إشارة إلى أقل المراتب وبخمسمائة عام إلى أكثرها. ويدل عليه ما رواه الطبراني عن مسلمة بن مخلد ولفظه: [سبق] المهاجرون الناس بأربعين خريفاً إلى الجنة ثم يكون الزمرة الثانية مائة خريف. انتهى. فالمعنى أن يكون الزمرة الثالثة مائتين وهلم جرا وكأنهم محصورون في خمس زمر والله [تعالى] أعلم. أو الاختلاف باختلاف مراتب أشخاص الفقراء في حال صبرهم ورضاهم وشكرهم وهو الأظهر المطابق لما في جامع الأصول حيث قال: وجه الجمع بينهما أن الأربعين أراد بها تقدم الفقير الحريص على الغني، وأراد بالخمسمائة تقدم الفقير الزاهد على الغني الراغب، فكان الفقير الحريص على درجتين من خمس وعشرين درجة من الفقير الزاهد، وهذه نسبة الأربعين إلى الخمسمائة. ولا تظنن أن هذا التقدير وأمثاله يجري على لسان النبي ﷺ جزافاً ولا باتفاق بل أمر أدركه ونسبة أحاط بها علمه[1]، فإنه ﷺ ﴿**وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى**﴾ [النجم - ٣ - ٤]. (**رواه الترمذي**) وقال: حسن صحيح. ورواه ابن حبان في صحيحه. قال المنذري: ورجاله محتج بهم في الصحيح، ورواه ابن ماجه بزيادة من طريق موسى بن عبيدة عن عبد الله بن دينار عن عبد الله بن عمر.

٥٢٤٤ - (**وعن أنس أن النبي ﷺ قال: اللهم أحيني مسكيناً**) ولم يقل فقيراً لئلا يتوهم

---

(١) في المخطوطة «عليه».

الحديث رقم ٥٢٤٤: أخرجه الترمذي في السنن ٤/٤٩٩ حديث رقم ٢٣٥٢.

وأمتني مسكيناً، واحشرني في زمرة المساكين». فقالت عائشة: لِمَ يا رسول الله؟ قال: «إنهم يدخلون الجنة قبل أغنيائهم بأربعين خريفاً، يا عائشة! لا تَرُدِّي المسكين ولو بشق تمرة؛ يا عائشة! أَحبي المساكين وقربيهم، فإنَّ الله يقرِّبُكِ يومَ القيامةِ». رواه الترمذي والبيهقي في «شعب الإيمان».

كونه محتاجاً حقيراً فينافيه دعاؤه: «اللهم اجعلني في نفسي صغيراً وفي أعين الناس كبيراً»[1]. وأما المسكين فهو من مادة[2] المسكنة وهو التواضع على وجه المبالغة ولو أفضى إلى المذلة أو من السكون والسكينة وهو الوقار والاطمئنان والقرار تحت أحكام الأقدار رضاً بقضاء الجبار. وقال بعضهم: أي اجعلني متواضعاً لا جباراً متكبراً. وفيه تعليم الأمة ليعرفوا فضل الفقراء فيحبوهم ويجالسوهم لينالهم بركتهم. وفيه تسلية للمساكين وتنبيه على علو درجاتهم. ويجوز أن يراد بهذا أن يجعل قوته كفافاً ولا يشغله بالمال، فإن كثرة المال في حق المقربين مؤونة من الوبال في خشية المآل وخشونة الحال. (وأمتني) وفي رواية الحاكم: وتوفني (مسكيناً) دل على أنه ﷺ كان على وصف المسكنة إلى آخر العمر. (واحشرني في زمرة المساكين) أي فريقهم وجماعتهم. وفيه مبالغة لا تخفى لأنه لو قال: واحشرهم في زمرتي لكان لهم فضل كثير وعلو كبير. ونظيره ما قال ﷺ: فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم[3]. حيث لم يقل: كفضلي على أعلاكم. هذا وقد مر بعض سلاطين الإسلام على طائفة من الفقراء والصلحاء الكرام فلم يلتفتوا إليه ولم يقبلوا عليه فقال: من أنتم. فقالوا: نحن قوم ومحبتنا ترك الدنيا وعداوتنا ترك العقبى فجاوزهم وتجاوز عنهم. وقال: نحن لم نقدر على محبتكم ولا طاقة لنا على عداوتكم. (فقالت عائشة رضي الله عنها]: لم يا رسول الله) أي لأي شيء دعوت هذا الدعاء واخترت الحياة والممات والبعثة مع المساكين والفقراء دون أكابر الأغنياء. (قال: إنهم) استئناف في معنى التعليل، أي لأنهم مع قطع النظر عن بقية فضائلهم وحسن أخلاقهم وشمائلهم. (يدخلون الجنة قبل أغنيائهم) أي زماناً ومكاناً ومكانة. (بأربعين خريفاً) والاكتفاء به لأنه أقل موعود في مدة المسابقة كمضاعفة الحسنة بالعشرة في الطاعة. (يا عائشة لا تردي المسكين) أي لا ترديه خائباً بل سامحيه جائياً وآيباً وأحسني إليه قليلاً أو كثيراً[4]. (ولو بشق تمرة) أي بنصفها أو ببعضها، أو رديه رداً جميلاً تستحقي به جزاء جزيلاً. ولذا لما وقف مسكين عندها وأعطته حبة عنب بقيت في يدها وعاتب المسكين [عليها]ولم يدر ما ألقي من الفهم إليها. قالت: قال تعالى: ﴿فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره﴾ [الزلزلة ـ ٧]. والحبة مشتملة على مقدار كذا من الذرة. (يا عائشة أحبي المساكين) أي بقلبك (وقربيهم) أي إلى مجلسك حال تحديثك. (فإن الله يقربك يوم القيامة) أي بتقريبهم تقرباً إلى الله سبحانه وتعالى. (رواه) أي الحديث بكماله (الترمذي والبيهقي في شعب الإيمان) أي عن أنس.

---

(١) البزار كذا ذكره السيوطي في الجامع الصغير ١/ ٩١ حديث رقم ٦٤٧٩.

(٢) في المخطوطة «عادة».

(٣) الترمذي في السنن ٥/ ٤٨ حديث رقم ٢٦٨٥.

(٤) في المخطوطة كثيراً أو قليلاً.

٥٢٤٥ ـ (١٥) وروى ابن ماجه عن أبي سعيد إلى قوله «في زمرة المساكين».

٥٢٤٦ ـ (١٦) وعن أبي الدرداء، عن النبي ﷺ قال: «ابغوني في ضعفائكم، فإنما تُرزقون ـ أو

٥٢٤٥ ـ (وروى) وفي نسخة: ورواه. (ابن ماجه عن أبي سعيد إلى قوله: في زمرة المساكين) قال ميرك نقلاً عن المنذري: ورواه الحاكم أي عن أبي سعيد وزاد: وإن أشقى الأشقياء من اجتمع عليه فقر الدنيا وعذاب الآخرة. وقال: صحيح الإسناد[١]. ورواه أبو الشيخ والبيهقي عن عطاء بن أبي رباح، سمع أبا سعيد يقول: أيها الناس لا يحملنكم العسر على طلب الرزق من غير حله فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: اللهم توفني فقيراً ولا توفني غنياً واحشرني في زمرة المساكين، فإن أشقى الأشقياء من اجتمع عليه فقر الدنيا وعذاب الآخرة. قال أبو الشيخ: زاد فيه غير أبي زرعة عن سليمان بن عبد الرحمٰن: ولا تحشرني في زمرة الأغنياء. قلت: إن لم يكن دليل آخر غير هذا الحديث الشريف لكفي حجة واضحة وبينة لائحة على أن الفقير الصابر خير من الغني الشاكر. وأما حديث: الفقر فخري وبه أفتخر. فباطل لا أصل له على ما صرح به الحفاظ من العسقلاني وغيره. وأما حديث: كاد الفقر أن يكون كفراً[٢]. فهو ضعيف جداً، وعلى تقدير صحته فهو محمول على الفقر القلبي المؤدي إلى الجزع والفزع بحيث يفضي إلى عدم الرضا بالقضاء والاعتراض على تقسيم رب الأرض والسماء ولذا قال ﷺ: ليس الغنى عن كثرة العرض إنما الغنى غنى النفس[٣]. وقد رُوِيَ: الفقر [أ]زين على المؤمن من العذار الحسن على خد العروس. رواه الطبراني عن شداد بن أوس[٤]. ورُوِيَ: الفقر شين عند الناس وزين عند الله يوم القيامة. رواه الديلمي في مسند الفردوس عن أنس[٥]. ورُوِيَ: الفقر أمانة فمن كتمه كان عبادة ومن باح به فقد قلد إخوانه المسلمين. رواه ابن عساكر عن عمر[٦].

٥٢٤٦ ـ (وعن أبي الدرداء عن النبي ﷺ قال: ابغوني) بهمزة قطع مفتوحة. وفي بعض النسخ بهمزة وصل مكسورة أي اطلبوا رضائي. (في ضعفائكم) أي فقرائكم بالإحسان إليهم والمظلومين ولو [من أغنيائكم]بالمساعدة لديهم. (فإنما ترزقون) أي رزقاً حسياً أو معنوياً (أو

الحديث رقم ٥٢٤٥: أخرجه ابن ماجه ٢/ ١٣٨١ حديث رقم ٤١٢٦.

(١) الحاكم في المستدرك ٤/ ٣٢٢. (٢) أبو نعيم في الحلية.

(٣) البخاري في صحيحه ١١/ ٢٧١ حديث رقم ٦٤٤٦. ومسلم ٢/ ٧٢٦. حديث رقم ١٠٥١.

(٤) ذكره السيوطي في الجامع الصغير ٢/ ٣٧٠ حديث رقم ٥٩٨٦. وذكر فيه على «خد الفرس» وأما في المخطوطة فذكر على «حد العرش». (٥) مسند الفردوس ٣/ ١٥٤ حديث رقم ٤٤١٨.

(٦) ذكره السيوطي في الجامع الصغير ٢/ ٣٧٠ حديث رقم ٥٩٨٧.

الحديث رقم ٥٢٤٦: أخرجه أبو داود في السنن ٣/ ٧٣ حديث رقم ٢٥٩٤. والترمذي في السنن ٤/ ١٧٩ حديث رقم ١٧٠٢. والنسائي في السنن ٦/ ٤٥ حديث رقم ٣١٧٩. وأحمد في المسند ٥/ ١٩٨.

تنصرون ـ بضعفائكم». رواه أبو داود.

٥٢٤٧ ـ (١٧) وعن أُمية بن خالد بن عبد الله بن أسيد، عن النبي ﷺ: أنه كان يستفتح بصعاليك المهاجرين. رواه في «شرح السنة».

تنصرون) أي على الأعداء الظاهرة والباطنة، وأو للتنويع. ويؤيده رواية الواو. ويحتمل أن تكون أو للشك من الراوي. **(بضعفائكم)** أي ببركة وجودهم وإحسانهم، إذ منهم الأقطاب والأوتاد وبهم نظام البلاد والعباد. قال ابن الملك: يعني اطلبوا إلي حفظ حقوقهم وجبر قلوبهم فإني معهم بالصورة في بعض الأوقات وبالقلب في جميعها لا أعلم من شرفهم وعظيم منزلتهم عند الله، فمن أكرمهم فقد أكرمني ومن آذاهم فقد آذاني. انتهى. ويؤيده الحديث القدسي: «من عادى لي ولياً فقد بارزني بالحرب»[١]. قال الطيبي [رحمه الله]: قوله: ابغوني ـ بهمزة القطع والوصل يقال: بغى يبغي بغاء إذا طلب. وهذا نهي عن مخالطة الأغنياء وتعليم منه. انتهى. ويؤيده حديث: اتقوا مجالسة الموتى. قيل: ومن الموتى. قال: الأغنياء. وفي مختصر النهاية: ابغني[٢]، كذا بهمزة الوصل، أي اطلبه لي[٣]، وبهمزة القطع أعني على الطلب. وفي القاموس: بغيته طلبته وأبغاه الشيء طلبه له كبغاه إياه كرماه أو أعانه على طلبه. **(رواه أبو داود)** وكذا الترمذي والنسائي، وقال الترمذي: حسن صحيح. نقله ميرك عن التصحيح. وفي الجامع بلفظ: ابغوني الضعفاء فإنما ترزقون وتنصرون بضعفائكم[٤]. رواه أحمد والثلاثة [والحاكم]وابن حبان عنه.

٥٢٤٧ ـ **(وعن أمية)** بالتصغير **(ابن خالد بن عبد الله بن أسيد)** بفتح فكسر، لم يذكره المؤلف في أسمائه. ونقل ميرك عن التصحيح أنه قال: ابن عبد البر أمية بن خالد، روى عن النبي ﷺ وذكر هذا الحديث وقال: ولا يصح عندي صحبته، والحديث مرسل. قلت: مرسل التابعي حجة عند الجمهور، فكيف مرسل من اختلف في صحة صحبته. **(عن النبي ﷺ أنه كان يستفتح)** أي يطلب الفتح والنصرة على الكفار من الله تعالى. **(بصعاليك المهاجرين)** أي بفقرائهم وببركة دعائهم. وفي النهاية: أي يستنصر بهم. ومنه قوله [تعالى]: ﴿**إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح**﴾ [الأنفال ـ ١٩]. وقال ابن الملك: بأن يقول: اللهم انصرنا على الأعداء بحق عبادك الفقراء المهاجرين. وفيه تعظيم الفقراء والرغبة إلى دعائهم والتبرك بوجوههم. أقول: ولعل وجه التقييد بالمهاجرين لأنهم فقراء غرباء مظلومون مجتهدون مجاهدون، فيرجى تأثير دعائهم أكثر من عوام المؤمنين وأغنيائهم. والصعاليك جمع صعلوك كعصفور الفقير على ما في القاموس. **(رواه)** أي البغوي **(في شرح السنة)** بإسناده وحيث أطلقه وما بين إرساله دل على أنه قال بصحبة الراوي واتصال سنده مع أنه معتضد في المعنى بما سبق من حديث: إنما

---

(١) البخاري في صحيحه ١١/ ٣٤٠ حديث رقم ٦٥٠٢. ولفظه: «فقد آذنته بالحرب».

(٢) في المخطوطة «ابغي». (٣) في المخطوطة «ولي».

(٤) الجامع الصغير ١/ ١٠ حديث رقم ٥٨. والحديث أخرجه الحاكم في المستدرك ٢/ ١٠٦.

الحديث رقم ٥٢٤٧: أخرجه البغوي في شرح السنة ١٤/ ٢٦٤ حديث رقم ٤٠٦٢.

٥٢٤٨ - (١٨) وعن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تغبطنَّ فاجراً بنعمة؛ فإنك لا تدري ما هو لاقٍ بعد موته، إنَّ له عند الله قاتلاً لا يموت». يعني النار. رواه في «شرح السنة».

٥٢٤٩ - (١٩) وعن عبد الله بن عمرو، قال: قال رسول الله ﷺ: «الدنيا سجن المؤمن وسنَتُهُ، وإذا فارق الدنيا فارق السجن والسنة».

تنصرون بضعفائكم. ثم رأيت في الجامع أنه رواه ابن أبي شيبة والطبراني عن أمية بن عبد الله ولفظه: كان ﷺ يستفتح ويستنصر بصعاليك المسلمين(١).

٥٢٤٨ - (وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: لا تغبطن) بكسر الموحدة وتشديد النون المؤكدة. (فاجراً) أي كافراً، أو فاسقاً. (بنعمة) أي بنعمة هو فيها من طول عمر أو كثرة أولاد أو سعة مال وجاه بأن تطلب زوالها عنه، أو تريد مثلها لنفسك. (فإنك لا تدري ما هو لاق) أي ملاق في مقابلة تلك النعمة من النقمة والمحنة. (بعد موته) أي في القبر أو الحشر (إن له) أي للفاجر (عند الله قاتلاً) أي مهلكاً له أو معذباً عذاباً شديداً من شأنه أن يقتل. (لا يموت) أي لا يفنى ولا ينعدم ذلك القاتل، بل موجود دائماً ولا ينقطع [أبداً]. (يعني النار) قال الطيبي [رحمه الله تعالى]: هذا تفسير عبد الله ابن مريم راوي أبي هريرة كذا في شرح السنة انتهى. وقال الجزري قيل: قوله: قائلاً بهمزة مكسورة من القيلولة، أي مقيلاً باقياً، يعني تحشر معه النار وتقيل حيث قال وتبيت حيث بات. وقيل هو بالتاء المثناة من فوق، أي من تقتله أي النار. (رواه) أي البغوي (في شرح السنة) أي بإسناده. وفي الجامع رواه البيهقي في الشعب عنه ولفظه: لا تغبطن فاجراً بنعمة أن له عند الله قاتلاً لا يموت(٢).

٥٢٤٩ - (وعن عبد الله بن عمرو) بالواو (قال: قال رسول الله ﷺ: الدنيا سجن المؤمن) أي حبسه وعذابه بالنسبة إلى ما أعد الله له في الآخرة من نعيمه وثوابه. (وسنته) بفتحتين، أي قحطه وشدة معيشته. ولذا روي: لا يخلو المؤمن من قلة أو علة أو ذلة وقد يجتمع للمؤمن الكامل جميع ذلك. قال الطيبي [رحمه الله]: السنة من الأسماء الغالبة للقحط. وقال ابن عطاء: ما دمت في هذه الدار لا تستغرب وقوع الأكدار، أي بل استغرب خلاف ذلك إن وقع شيء هنالك. (وإذا فارق الدنيا) أي المؤمن. (فارق السجن والسنة) ولعل الجمع بينهما لدفع ما يتوهم أن السجن قد يكون فيه السعة كما قد يقع نادراً، فدفع هذا الوهم بقوله: والسنة، فيكون زيادته من باب التذييل والتكميل. وأطلق فيما سبق من الحديث الصحيح اعتماداً على غالب

---

(١) الجامع الصغير ٢/ ٤٣٤ حديث رقم ٧٠٤٧.

الحديث رقم ٥٢٤٨: أخرجه البغوي في شرح السنة ٤/ ٢٩٤ حديث رقم ٤١٠٣.

(٢) الجامع الصغير ٢/ ٥٨٢ حديث رقم ٩٨٣٤. والحديث أخرجه البيهقي في شعب الإيمان حديث رقم ٤٥٤٢.

الحديث رقم ٥٢٤٩: أحمد في المسند ٢/ ١٩٧.

رواه في «شرح السنة».

٥٢٥٠ ـ (٢٠) وعن قتادة بن النعمان، أنَّ رسول الله ﷺ قال: «إذا أحبَّ اللَّهُ عبداً حماه الدنيا، كما يظلُّ أحدكم يحمي سقيمَه الماءَ». رواه أحمد، والترمذي.

الأحوال مع أنه لا يخلو من نوع ضيق مكان وبطء رزق وتشتت البال ولو قام بخدمته الرجال (رواه في شرح السنة) وقد أخرجه ابن المبارك والطبراني عنه. قال ميرك: رواه الحاكم في صحيح[1]، لكن في سنده عبد الله بن أيوب المغافري انتهى. وقد سبق طرف هذا الحديث وبعض معانيه في أول الباب والله [تعالى]أعلم بالصواب. قال الإمام الحافظ أبو القاسم الوراق: إن قيل: كيف يكون معنى الحديث وقد ترى مؤمناً في عيش رغد وكافراً في ضنك وقصر يد. قلنا: الجواب من وجهين، أحدهما أن الدنيا كالجنة للكافر ذي جنب ما أعد الله له من العذاب في الآخرة وإنها كالسجن للمؤمن بالإضافة إلى ما وعده الله له من الثواب في الآخرة ونعيمها، فالكافر يحب المقام فيها ويكره مفارقتها، والمؤمن يتشوق الخروج منها ويطلب الخلاص من آفاتها كالمسجون الذي يريد أن يخلى سبيله. الثاني أن يكون هذا صفة المؤمن المستكمل الإيمان الذي قد غرق نفسه عن ملاذ الدنيا وشهواتها فصارت عليه بمنزلة السجن في الضيق والشدة، وأما الكافر فقد أهمل نفسه وأمرحها في طلب اللذات وتناول الشهوات فصارت الدنيا كالجنة له في السعة والنعمة.

٥٢٥٠ ـ (**وعن قتادة بن النعمان**) بضم أوله. قال المؤلف: أنصاري عقبي بدري شهد المشاهد كلها، وروى عنه أخوه من أمه أبو سعيد الخدري وعمر ابنه وغيرهما. مات سنة ثلاث وعشرين وله خمس وستون سنة، وصلى عليه عمر وكان من فضلاء الصحابة. (**إن رسول الله ﷺ قال: إذا أحب الله عبداً حماه الدنيا**) أي حفظه من مال الدنيا ومنصبه وما يضر بدينه ونقصه في العقبى. قال الأشرف: أي منعه عنها ووقاه من أن يتلوث بزينتها كيلا يمرض قلبه بداء محبتها. (**كما يظل**) بفتح الظاء من ظل زيد صائماً أي صار. والمعنى: كما يكون. (**أحدكم يحمي سقيمه**) أي مريضه لا سيما إذا كان معه مرض الاستسقاء أو ضعف المعدة ونحوهما مما يضره الماء فيمنعه (**الماء**) أي لئلا يزيد مرضه بشربه ولا ينظر إلى رأي العليل من طلب الماء وحبه، مع أن الماء أرخص شيء غالباً فلا يتصور فيه البخل، خصوصاً بالنسبة إلى المريض الذي يحن عليه كل أحد. والحاصل أن الحكمة تقتضي أن المحبوب عند أهله وآله يكون ممنوعاً من كل شيء يضره في حاله. (**رواه أحمد والترمذي**) ولفظ الجامع: إذا أحب الله عبداً حماه الدنيا كما يحمي أحدكم سقيمه الماء. رواه الترمذي والحاكم والبيهقي في الشعب[2]. وفي رواية للبيهقي عن حذيفة بلفظ: إن الله يحمي عبده المؤمن كما يحمي الراعي

---

(١) الحاكم في المستدرك ٤/ ٣١٥.

الحديث رقم ٥٢٥٠: أخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٣٣٤ حديث رقم ٢٠٣٦. وأحمد في المسند ٥/ ٤٢٧.

(٢) الجامع الصغير ١/ ٢٨ حديث رقم ٣٥٥ والحديث أخرجه الحاكم في المستدرك ٤/ ١٠٧.

٥٢٥١ - (٢١) وعن محمود بن لَبيد، أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «اثنتان يكرههما ابن آدم يكره الموتَ، والموتُ خيرٌ للمؤمنِ منَ الفتنةِ، ويكره قِلةَ المال، وقلةُ المال أقلُّ للحساب». رواه أحمد.

الشفيق غنمه عن مراتع الهلكة[١]. وهذا المعنى مقتبس من التنزيل وهو قوله: ﴿وأنت أرحم الراحمين﴾ [الأعراف - ١٥١، الأنبياء - ٨٣].

٥٢٥١ - (وعن محمود بن لبيد) بفتح فكسر. قال المؤلف: أنصاري أشهلي ولد على عهد رسول الله ﷺ وحدث عنه أحاديث. قال البخاري: له صحبة. وقال أبو حاتم: لا يعرف له صحبة. وذكره مسلم في التابعين في الطبقة الثانية منهم. قال ابن عبد البر: والصواب قول البخاري فأثبت له صحبة، وكان محمود أحد العلماء. روي عن ابن عباس وعتبان بن مالك مات سنة ست وتسعين. (أن النبي ﷺ قال: اثنتان) أي خصلتان (يكرههما) أي بالطبع (ابن آدم) أي وهما خير له بالشرع كما بينه بقوله: (يكره الموت والموت خير للمؤمن من الفتنة) قال ابن الملك: الفتنة التي الموت خير منها هي الوقوع في الشرك أو فتنة يسخطها الإنسان ويجري على لسانه ما لا يليق وفي اعتقاده ما لا يجوز. وقال الراغب: الفتنة من الأفعال التي تكون من الله تعالى ومن العبد كالبلية والمصيبة والقتل والعذاب وغير ذلك من الأفعال الكريهة. قال الطيبي [رحمه الله]: وقد تكون الفتنة في الدين مثل الارتداد وإكراه الغير على المعاصي، وإليه أشار بقوله ﷺ: «إذا أردت فتنة في قوم فتوفني غير مفتون»[٢]. قلت: وقد أخرج أبي نعيم في الحلية عن أبي عبد الله الصنابحي قال: الدنيا تدعو إلى فتنة والشيطان يدعو إلى خطيئة ولقاء الله خير من الإقامة معهما[٣]. (ويكره قلة المال وقلة المال أقل للحساب) أي وأبعد من العذاب. (رواه أحمد) وكذا سعيد بن منصور في سننه بسند صحيح عن محمود بن لبيد. وأخرج البيهقي في شعب الإيمان عن زرعة بن عبد الله مرسلاً أن النبي ﷺ قال: يحب الإنسان الحياة والموت خير لنفسه، ويحب الإنسان كثرة المال وقلة المال أقل لحسابه[٤]. هذا وأخرجه الحاكم في المستدرك والطبراني في الكبير وابن المبارك في الزهد والبيهقي في شعب الإيمان عن عبد الله ابن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: تحفة المؤمن الموت[٥]. [وأخرج]المروزي في الجنائز وابن أبي شيبة في المصنف والطبراني عن ابن مسعود قال: ذهب صفو الدنيا فلم يبق منها إلا الكدر فالموت تحفة لكل مسلم. وأخرج المروزي وابن أبي الدنيا والبيهقي في الشعب عن ابن مسعود قال: حبذا المكروهان الفقر والموت[٦]. وأخرج أحمد في الزهد وابن أبي الدنيا عن

---

(١) البيهقي في شعب الإيمان حديث رقم ١٠٤٥١.

الحديث رقم ٥٢٥١: أخرجه أحمد في المسند ٥/٤٢٧.

(٢) أخرجه الترمذي ٥/٣٤٢ حديث رقم ٣٢٣٣.

(٣) لم أجده في الحلية. (٤) البيهقي في شعب الإيمان حديث رقم ١٠٥٧٠.

(٥) الحاكم في المستدرك ٤/٣١٩. والبيهقي في شعب الإيمان حديث رقم ٩٨٨٤.

(٦) البيهقي في شعب الإيمان حديث رقم ٩٩٧٥.

٥٢٥٢ ـ (٢٢) وعن عبد الله بن مغفَّل، قال: جاء رجلٌ إلى النبي ﷺ فقال: «إني أحبُّك. قال: «انظر ما تقول». فقال: والله إني لأحبُّك، ثلاث مرَّات. قال: «إن كنتَ صادقاً فأعدَّ للفقرِ تجفافاً، للفقرُ أسرعُ إلى من يحبُّني من السيل إلى منتهاه». رواه الترمذيُّ، وقال: هذا حديث حسنٌ غريبٌ.

ابن مسعود قال: ليس للمؤمن راحة دون لقاء الله تعالى. وأخرج ابن أبي الدنيا عن جعفر الأحمر قال: من لم يكن له في الموت خير فلا خير له في الحياة. قلت: وكذا من لم يكن له خير في الحياة فلا خير له في الممات. وأخرج ابن أبي شيبة في المصنف وعبد الرزاق في تفسيره والحاكم في المستدرك والطبراني والمروزي في الجنائز عن ابن مسعود قال: ما من نفس برة ولا فاجرة إلا والموت خير لها من الحياة، فإن كان باراً فقد قال الله تعالى: ﴿**وما عند الله خير للأبرار**﴾ [آل عمران ـ ١٩٨]. وإن كان فاجراً فقد قال تعالى: ﴿**ولا يحسبن الذين كفروا إنما نملي لهم خير لأنفسهم إنما نملي لهم ليزدادوا إثماً ولهم عذاب مهين**﴾ [آل عمران ـ ١٧٨].

٥٢٥٢ ـ (**وعن عبد الله بن مغفل قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: إني أحبك**) أي حباً بليغاً، وإلا فكل مؤمن يحبه. (**قال: انظر ما تقول**) أي تفكر فيما تقول فإنك تدعي أمراً عظيماً وتقصد خطباً جسيماً. (**فقال: والله إني لأحبك ثلاث مرات**) ظرف لقال (**قال: إن كنت صادقاً**) أي في دعوى محبتي وعلى تحمل محنتي. ولفظ الجامع: إن كنت تحبني (**فأعد**) أي فهيىء (**للفقر**) أي بالصبر عليه بل بالشكر والميل إليه. (**تجفافاً**) بكسر الفوقية وسكون الجيم أي درعاً وجنة. ففي المغرب: هو شيء يلبس على الخيل عند الحرب كأنه درع، تفعال من جف لما فيه من الصلابة واليبوسة انتهى. فتاؤه زائدة على ما صرح به في النهاية. وفي القاموس: التجفاف بالكسر آلة للحرب يلبسه الفرس والإنسان ليقيه في الحروب. فمعنى الحديث: إن كنت صادقاً في الدعوى ومحقاً في المعنى فهيىء آلة تنفعك حال البلوى فإن البلاء والولاء متلازمان في الخلا والملا. ومجمله أنه تهيأ للصبر خصوصاً على الفقر لتدفع به عن دينك بقوة يقينك ما ينافيه من الجزع والفزع وقلة القناعة وعدم الرضا بالقسمة. وكنى بالتجفاف عن الصبر لأنه يستر الفقر كما يستر التجفاف[1] البدن عن الضر. (**للفقر**) بلام مفتوحة وهي لام الابتداء (**أسرع إلى من يحبني من السيل**) أي الماء الكثير (**إلى منتهاه**) والمعنى أنه لا بد من وصول الفقر بسرعة إليه ومن نزول البلايا والرزايا بكثرة عليه، فإن أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل [خصوصاً]سيد الأنبياء فيكون بلاؤه أشد من بلائهم، ويكون لأتباعه نصيب على قدر ولائهم، والمرء مع من أحب مشاركة فيما يكره[2] وأحب. وفيه أن الفقر أشد البلايا لاشتماله على جميع المحن والرزايا، لكنه مع مرارته في الدنيا يورث حلاوة في العقبى بمزيد العطايا. (**رواه الترمذي**) وكذا أحمد (**وقال:**) أي الترمذي (**هذا حديث حسن غريب**).

الحديث رقم ٥٢٥٢: أخرجه الترمذي في السنن ٤/٤٩٨ حديث رقم ٢٣٥٠.

(١) في المخطوطة «الجفاف». (٢) في المخطوطة «مرة».

٥٢٥٣ ـ (٢٣) وعن أنس، قال: قال رسول الله ﷺ: «لقد أُخِفتُ في الله وما يُخافُ أحد، ولقد أُوذيتُ في الله وما يُؤذى أحدٌ، ولقد أتتْ عليَّ ثلاثون من بين ليلةٍ ويوم، وما لي ولبلال طعام يأكله ذو كبدٍ، إلا شيء يواريه إبطُ بلالٍ». رواه الترمذي قال: ومعنى هذا الحديث: حينَ خَرَجَ النبيُّ ﷺ هارباً من مكةَ

٥٢٥٣ ـ (وعن أنس [رضي الله تعالى عنه]قال: قال رسول الله ﷺ: لقد أخفت) مجهول ماض من الإخافة، أي خوفت. (في الله) أي في إظهار دينه (وما يخاف) بضم أوله، أي مثل ما أخفت. (أحد) أي غيري (ولقد أوذيت) أي بالفعل بعد التخويف بالقول (في الله) أي في سبيله وطريق رضاه (وما يؤذي أحد) أي خوفت وحدي وأوذيت بانفرادي. وفائدة التقييد بالجملة الحالية في الجملتين أن أمرهما صعب في تينك الحالتين، فإن البلية إذا عمت طابت. وخلاصة المعنى أنه حكاية حال لا شكاية بال، بل تحدث بالنعمة وتوفيق بالصبر على المحنة إلى أن تنتهي إلى المنحة على ما تقتضيه المحبة وتسلية للأمة لإزالة ما قد يصيبهم من الغمة. [أي كنت] وحيداً في ابتداء إظهاري للدين فخوفني في ذلك وآذاني الكفار الملاعين ولم يكن معي أحد حينئذ يوافقني في تحمل الأذى، إلا مساعدة المولى ومعاونة الرفيق الأعلى. ثم بين أنه كان مع ذلك كله [في]قلة الزاد وعدم الاستعداد بقوله: (ولقد أتت) أي مضت (على ثلاثون من بين ليلة ويوم) أي من بين أوقات وهي الليلة واليوم. وقال الطيبي: تأكيد للشمول، أي ثلاثون يوماً وليلة متواترات لا ينقص منها شيء من الزمان. (وما لي) أي والحال أنه ليس لي (ولبلال طعام يأكله ذو كبد) بفتح فكسر. وفي القاموس بالفتح والكسر وككتف معلوم أي حيوان. قال الطيبي: أي ما معنا طعام سواء كان مما يأكل الدواب أو الإنسان. (إلا شيء) أي قليل (يواريه) أي يستره ويغطيه (إبط بلال) بكسر الهمزة وسكون الموحدة وتكسر. ففي الصحاح: الإبط بسكون الباء ما تحت الجناح. وفي القاموس: الإبط ما تحت المنكب وتكسر الباء وقد يؤنث، والمعنى أن بلالاً كان رفيقي في ذلك الوقت وما كان لنا من الطعام إلا شيء قليل بقدر ما يأخذه بلال تحت إبطه، ولم يكن لنا ظرف [نضع]الطعام فيه. (رواه الترمذي) وفي الجامع بتقديم: لقد أوذيت. رواه أحمد والترمذي وابن ماجه وابن حبان عنه. (وقال:) أي الترمذي. وفي نسخة: قال. (ومعنى هذا الحديث حين خرج النبي ﷺ هارباً من مكة) أي فاراً من الخلق إلى الله كما قال تعالى: ﴿ففروا إلى الله﴾ [الذاريات ـ ٥٠]. رُوي أنه ﷺ خرج من مكة هارباً إلى عبد ياليل بالطائف ليحميه من كفار مكة حتى يؤدي رسالة ربه، فسلط عليه صبيانه فرموه بالأحجار حتى أدموا كعبه ﷺ، كذا ذكره بعضهم. وفي المواهب اللدنية [أن]خروجه عليه الصلاة والسلام إلى الطائف كان بعد موت خديجة بثلاثة أشهر في ليال بقين من شوّال سنة عشر من النبوة لما ناله من قريش بعد موت أبي طالب، وكان معه زيد بن حارثة. فأقام به شهراً

الحديث رقم ٥٢٥٣: أخرجه الترمذي في السنن ٤/٥٥٦ حديث رقم ٢٤٧٢. وابن ماجه في السنن ١/٥٤ حديث رقم ١٥١. وأحمد في المسند ٣/١٢٠.

ومعه بلال، إنما كان مع بلال من الطعام ما يحملُ تحتَ إبطه.

٥٢٥٤ ـ (٢٤) وعن أبي طلحة، قال: شكونا إلى رسولِ اللّٰهِ ﷺ الجوعَ، فرفعنا عن بطونِنا عن حَجرٍ حَجَرٍ،

يدعو أشراف ثقيف إلى الله تعالى فلم يجيبوه وأغروا به سفهاءهم وعبيدهم يسبونه. قال موسى ابن عقبة: ورجموا عراقيبه بالحجارة حتى اختضبت نعلاه بالدماء، زاد غيره: وكان إذا أزلقته الحجارة قعد إلى الأرض فيأخذون بعضديه فيقيمونه فإذا مشى رجموه وهم يضحكون، وزيد بن حارثة يقيه بنفسه حتى لقد شج في رأسه شجاجاً. وفي الصحيحين عن عائشة أنها قالت للنبي ﷺ: هل أتى عليك يوم أشد من يوم أحد. قال: لقد لقيت من قومك وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة إذ عرضت نفسي على عبد ياليل بن عبد كلال فلم يجبني إلى ما أردت، فانطلقت وأنا مهموم على وجهي فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب. فرفعت رأسي فإذا بسحابة قد أظلتني فنظرت فإذا فيها جبرائيل فناداني فقال: إن الله قد سمع قول قومك وما ردوا عليك وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت. فناداني ملك الجبال فسلم علي ثم قال: يا محمد إن الله قد سمع قول قومك وأنا ملك الجبال وقد بعثني ربك إليك لتأمرني بأمرك، [إن شئت] أن أطبق عليهم الأخشبين. وفي القاموس: هما جبلا مكة أبو قبيس والأحمر أو جبلا منى. قال النبي ﷺ: بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً. وعبد ياليل بتحتانية بعدها ألف فلام مكسورة فتحتانية ساكنة، فلام ابن عبد كلال بضم الكاف وتخفيف اللام. وكان عبد ياليل من أكابر أهل الطائف من ثقيف، وقرن الثعالب هو ميقات أهل نجد ويقال له: قرن المنازل. وروى الطبراني في كتاب الدعاء عن عبد الله بن جعفر قال: لما توفي أبو طالب خرج النبي ﷺ ماشياً إلى الطائف فدعاهم إلى الإسلام فلم يجيبوه فأتى تحت ظل شجرة فصلى ركعتين ثم قال: اللهم إليك أشكو ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس. أرحم الراحمين أنت أرحم الراحمين أنت رب المستضعفين إلى من تكلني إلى عدو بعيد يتجهمني، أي يلقاني بغلظة ووجه كريه على ما في النهاية، أم إلى صديق قريب كلفته أمري إن لم تكن غضباناً علي فلا أبالي غير أن عافيتك أوسع لي، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة أن ينزل بي غضبك أو يحل بي سخطك لك العتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة إلا بك. ثم قوله: (ومعه بلال) لا ينافي كون زيد بن حارثة معه أيضاً مع احتمال تعدد خروجه عليه [الصلاة] والسلام، لكن أفاد بقوله: معه بلال. إنه لم يكن هذا الخروج في الهجرة من مكة إلى المدينة لأنه لم يكن معه بلال حينئذ. (**إنما كان مع بلال من الطعام ما يحمل تحت إبطه**) وهو كناية عن كمال قلته وخفة مؤونته.

٥٢٥٤ ـ (**وعن أبي طلحة قال: شكونا إلى رسول الله ﷺ**) وفي نسخة: إلى النبي ﷺ. (**الجوع فرفعنا عن بطوننا**) أي فكشفنا ثيابنا عنها كشفاً صادراً (**عن حجر حجر**) أي لكل منا

الحديث رقم ٥٢٥٤: أخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٥٠٦ حديث رقم ٢٣٧١.

فرفع رسول الله ﷺ عن بطنه عن حجرين. رواه الترمذيُّ وقال: هذا حديث غريب.

٥٢٥٥ ـ (٢٥) وعن أبي هريرة، أنه أصابهم

حجر [واحد، ورفع عنه. فالتكرير باعتبار تعداد المخبر عنهم بذلك]. (فرفع رسول الله ﷺ [عن بطنه]عن حجرين) قال الطيبي [رحمه الله]: عن الأولى متعلقة برفعنا على تضمين الكشف، والثانية صفة مصدر محذوف، أي كشفنا عن بطوننا كشفاً صادراً عن حجر. ويجوز أن يحمل التنكير في حجر على النوع، أي عن حجر مشدود على بطوننا فيكون بدلاً. وعادة من اشتد جوعه وخمص بطنه أن يشد على بطنه حجراً ليتقوم به صلبه انتهى. وتوضيحه أن تعلق حرفي جر بمعنى لعامل في مرتبة واحدة غير جائز، وأما تعلق الثاني بعد تقييد الأول فجائز كما تقرر في محله. فكونه صفة مصدر محذوف ظاهر لا غبار عليه. وأما تجويز البدل على أنه بدل اشتمال بإعادة الجار، مع أن بدل الاشتمال لا يخلو عن ضمير المبدل فمبني على أن يراد بالحجر النوع، والتقدير عن حجر مشدود عليها. وكلام الطيبي [رحمه الله]يوهم أن القول بالبدل كلامه، وقد نقل ميرك عن زين العرب أنه قال: بدل اشتمال كما تقول: زيد كشف عن وجهه عن حسن خارق. ثم قيل: فائدة شد الحجر على البطن أن لا يدخل النفخ في الأمعاء الخالية، وأن نفس شد الأمعاء إعانة على شد الصلب. وقيل: إنما ربط الحجر على البطن لئلا يسترخي البطن وينزل المعي فيشق التحرك، فإذا ربط حجراً على بطنه يشتد بطنه وظهره فيسهل عليه الحركة، وإذا اشتد الجوع يربط حجرين. فكان رسول الله ﷺ أكثرهم جوعاً وأكثرهم رياضة فربط على بطنه حجرين. قال صاحب المظهر: وهذا عادة أصحاب الرياضة. وقال ابن حجر [رحمه الله]: هذا عادة العرب أو أهل المدينة. وقال صاحب الأزهار في ربط الحجر على البطن أقوال أحدها: إن ذلك أحجار بالمدينة تسمى المشبعة كانوا إذا جاع أحدهم يربط على بطنه حجراً من ذلك، وكأن الله تعالى خلق فيه برودة تسكن الجوع والحرارة. وقال بعضهم: يقال لمن يؤمر بالصبر: اربط على قلبك حجراً، فكأنه ﷺ أمر بالصبر وأمر أمته بالصبر قالاً وحالاً والله [تعالى]أعلم. (رواه الترمذي) أي في جامعه (وقال: هذا حديث غريب) وهو ما يتفرد بروايته عدل ضابط من رجال النقل، فإن كان المنفرد برواية متنه فهو غريب متناً أو بروايته عن غير المعروف عند من كان يعرف الحديث عن صحابي، فيرويه عدل وحده عن صحابي آخر فهو غريب إسناداً. وهذا هو الذي يقول فيه الترمذي: غريب من هذا الوجه. وقد صرح في الشمائل بقوله: هذا حديث غريب من حديث أبي طلحة لا نعرفه إلا من هذا الوجه انتهى. فغرابته ناشئة عن طريق أبي طلحة لا من سائر الطرق مع أنه قال ميرك: رواته ثقات.

٥٢٥٥ ـ (وعن أبي هريرة أنه أصابهم) أي الصحابة. والظاهر أنهم أصحاب الصفة.

الحديث رقم ٥٢٥٥: أخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٥٥٧ حديث رقم ٢٤٧٤. وأخرجه ابن ماجه ٢/ ١٣٩٢ حديث رقم ٤١٥٧.

أجوعَ فأعطاهم رسولُ اللَّهِ ﷺ تمرةً تمرةً. رواه الترمذيُّ.

٥٢٥٦ - (٢٦) وعن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جدِّه، عن رسول الله ﷺ قال: «خصلتانِ من كانتا فيه كَتَبَه اللَّهُ صابراً شاكراً: من نظر في دينه إلى من هو فوقه، فاقتدى به، ونظر في دنياه إلى من هو دونه، فحمد الله على ما فضلَهُ الله عليه؛ كتبه الله شاكراً صابراً. وَمَنْ نَظَرَ في دينه إلى من هو دونه، ونَظَرَ في دنياه إلى مَنْ هُوَ فَوْقَهُ فأسِفَ على ما فاته منه؛

(جوع) أي شديد. والظاهر أنه في سفر بعيد. (فأعطاهم رسول الله ﷺ تمرة تمرة) أي مقداراً قليلاً من التمر بحيث عند توزيعه عليهم وتقسيمه إليهم وصل لكل واحد منهم تمرة واحدة إذ كانوا أربعمائة بل أكثر، وربما وقعت البركة في تلك التمرة حتى كانت ثمرتها رفع المحنة وحبتها أنتجت المحبة التي فوق كل منحة. (رواه الترمذي).

٥٢٥٦ - (وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده) أي ابن عمرو على ما صرح به في الجامع، (عن رسول الله ﷺ قال: خصلتان من كانتا فيه كتبه الله صابراً شاكراً) أي مؤمناً كاملاً لقوله تعالى: ﴿إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور﴾ [إبراهيم - ٥، لقمان - ٣١، سبأ - ١٩، الشورى - ٣٣]. وفي الحديث: الإيمان نصفان نصفه صبر ونصفه شكر[1]. فالصبر عن السيئات والشكر على الطاعات. وزاد في الجامع: ومن لم تكونا فيه لم يكتبه الله شاكراً ولا صابراً[2]. (من نظر في دينه) أي خصلة من نظر في أمر دينه من الأعمال الصالحة (إلى من هو فوقه) أي إلى من هو أكثر منه علماً وعبادة وقناعة ورياضة أحياء وأمواتاً. (فاقتدى به) أي في الصبر على مشاق الطاعات وعن ارتكاب السيئات، أو تأسف على ما فاته من الكمالات. ويمكن أن يكون قوله: من نظر، استئنافاً مبيناً للصابر والشاكر المتضمن للخصلتين المبهمتين إحداهما هذه، والثانية مبينة بقوله: (ونظر في دنياه إلى من هو دونه) أي إلى من هو أفقر منه وأقل منه مالاً وجاهاً. (فحمد الله على ما فضله الله عليه) أي فشكره على ما زاده عليه من فضله. وفي رواية الجامع: فحمد الله على ما فضله به. (كتبه الله شاكراً) أي للخصلة الثانية (صابراً) أي للخصلة السابقة. ففيه لف ونشر مشوش اعتماداً على فهم ذوي العقول بالنسبة إلى الفذلكة وإن كان مرتباً باعتبار المقدمة. ولما كان المفهوم قد يعتبر وقد لا يعتبر ومع اعتباره المنطوق أقوى أيضاً صرح بما علم ضمناً حيث قال: (ومن نظر في دينه إلى من هو دونه) أي في الأعمال الصالحة وأنتجه الغرور والعجب والخيلاء (ونظر في دنياه إلى من هو فوقه) أي من أصحاب المال والجاه وأورثه الحرص والأمل والرياء (فأسف) بكسر السين، أي حزن. (على ما فاته منه) أي من المال وغيره بعدم وجوده أو بحصول فقده. وقد قال تعالى: ﴿لكيلا تأسوا

الحديث رقم ٥٢٥٦: أخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٥٧٤ حديث رقم ٢٥١٢ وابن ماجه في السنن ٢/ ١٣٨٧ حديث رقم ٤١٤٢.

(١) البيهقي في شعب الإيمان ٧/ ١٢٣ حديث رقم ٩٧١٥.

(٢) الجامع الصغير ٢/ ٢٣٨ حديث رقم ٣٩١٨.

لم يكتبه اللهُ شاكراً ولا صابراً». رواه الترمذي.

وذكر حديث أبي سعيد: «أبشروا يا معشر صعاليك المهاجرين» في باب بعد فضائل القرآن.

الفصل الثالث

٥٢٥٧ ـ (٢٧) عن أبي عبد الرحمٰن الحُبُليّ، قال سمعتُ عبدَ اللّهِ بنَ عمرٍو، وسأله رجلٌ قال: ألسنا من فقراء المهاجرين؟ فقال له عبد الله: ألك امرأةٌ تأوي إليها؟ قال: نعم. قال: ألك مسكن تسكنُه؟ قال: نعم. قال: فأنت من الأغنياءِ. قال: فإن لي خادماً، قال: فأنت من الملوك.

على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم) [الحديد ـ ٢٣]وَرُوِيَ عنه ﷺ: من أسف على دنيا فاتته اقترب من النار مسيرة ألف سنة ومن أسف على آخرة فاتته اقترب من الجنة مسيرة ألف سنة[1]. **(لم يكتبه الله شاكراً ولا صابراً)** لعدم صدور واحد منه بل قام بضديهما من الكفران والجزع والفزع باللسان والجنان. **(رواه الترمذي: وذكر حديث أبي سعيد:)** أي في ضمن حديث طويل صدره يناسب باب القراءة **(ابشروا يا معشر صعاليك المهاجرين)** أي بالفوز التام يوم القيامة: تدخلون الجنة قبل أغنياء الناس بنصف يوم وذلك خمسمائة سنة رواه أبو داود. **(في باب)** أي بغير عنوان **(بعد فضائل القرآن)** أي بعد كتاب فضائل القرآن.

(الفصل الثالث)

٥٢٥٧ ـ **(عن أبي عبد الرحمٰن الحبلي)** بحاء مهملة وموحدة وضمها. قال المؤلف: اسمه عبد الله بن يزيد المصري تابعي. **(قال: سمعت عبد الله بن عمرو)** بالواو. قال الطيبي: لا بد من محذوف، أي سمعته يقول قولاً يفسره ما بعده. أقول: ويمكن أن يقدر مضاف ويقال: سمعت قول عبد الله بن عمرو. **(وسأله)** أي وقد سأله **(رجل قال:)** أي الرجل استئناف مبين. **(ألسنا)** أي نحن وأمثالنا **(من فقراء المهاجرين)** أي من خواصهم الذين يسبقون أغنياءهم. **(فقال له عبد الله: ألك امرأة تأوي إليها)** أي تضمها وتسكن إليها وتقبل عليها **(قال: نعم. قال: ألك مسكن)** بفتح الكاف وتكسر، أي مكان. **(تسكنه. قال: نعم. قال: فأنت من الأغنياء)** أي أغنياء المهاجرين، فإن فقراءهم ما كان لهم امرأة ولا مسكن، أو إن كان لأحدهم أحدهما ما كان له الآخر منهما. **(قال: فإن لي خادما)** أي عبداً أو جارية، أو أجيراً[2] زيادة على ما سبق. **(قال: فأنت من الملوك)** أي ولا يصح أن يقال لك الصعلوك، فلست من

---

(١) ذكره السيوطي في الجامع الصغير ٢/٥١٣ حديث رقم ٨٤٣٢ وقال أخرجه الرازي في شيخته.

الحديث رقم ٥٢٥٧: أخرجه مسلم في صحيحه ٤/٢٢٨٥ حديث رقم (٣٧ ـ ٢٩٧٩).

(٢) في المخطوطة «أجيران ولي».

قالَ عبد الرحمٰن: وجاءَ ثلاثةُ نَفَرٍ إلى عبدِ اللّٰهِ بنِ عمرٍو وأنا عنده فقالوا: يا أبا محمد! إنَّا واللهِ ما نقدرُ على شيءٍ، لا نفقةٍ ولا دابةٍ ولا متاعٍ. فقال لهم: ما شئتم إن شئتم رجعتم إلينا، فأعطيناكم ما يسَّر اللهُ لكم، وإن شئتم ذكرنا أمرَكم للسلطان، وإن شئتم صبرتم، فإني سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «إن فقراء المهاجرين يسبقون الأغنياء يومَ القيامةِ إلى الجنةِ بأربعين خريفاً». قالوا: فإنَّا نصبرُ لا نسألُ شيئاً. رواه مسلم.

٥٢٥٨ ـ (٢٨) وعن عبدِ الله بنِ عمرٍو، قال: بينما أنا قاعدٌ في المسجدِ وحلقةٌ مِنْ فقراءِ المهاجرينَ قُعودٌ

صعاليك المهاجرين. ولعله اقتبس هذا الكلام من قوله تعالى: ﴿وجعلكم ملوكاً﴾ [المائدة ـ ٢٠]. على ما رواه عبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وجعلكم ملوكاً﴾. قال: الزوجة والخادم. وزاد ابن جرير عنه: وكان الرجل من بني إسرائيل إذا كانت له الزوجة والخادم والدار يسمى ملكاً. (قال عبد الرحمٰن:) هكذا في جميع نسخ المشكاة الحاضرة. وصوابه أبو عبد الرحمٰن لما سبق. قال السيد جمال الدين المحدث: هكذا في أكثر نسخ المشكاة التي رأيناها وهو غلط ظاهر، والصواب أبو عبد الرحمٰن وهو راوي الحديث كما في مسلم. (وجاء ثلاثة نفر) بالإضافة كقوله تعالى: ﴿تسعة رهط﴾. والجملة عطف على قوله: وسأله رجل. أي والحال أنه أتى ثلاثة نفر فقراء. (إلى عبد الله بن عمرو وأنا عنده فقالوا: يا أبا محمد والله لا نقدر على شيء لا نفقة) تعميم مبين (ولا دابة) أي لنجاهد عليها أو نحج بها (ولا متاع) أي زائد يباع ويصرف ثمنه في النفقة والدابة. (فقال لهم: ما شئتم) ما استفهامية، أي أي شيء شئتم. ويمكن أن تكون موصولة مبتدأ والخبر محذوف، أي ما أردتم من الأمور المعروضة عليكم فعلناه. (إن شئتم) أي أن نعطيكم شيئاً من عندنا. (رجعتم إلينا) فإنه لا يحضرنا الآن شيء. (فأعطيناكم) أي بعد هذا (ما يسر الله لكم) أي ما سهله على أيدينا (وإن شئتم) أي أن نرفع أمركم إلى الخليفة، أو من يقوم مقامه. (ذكرنا أمركم للسلطان) أي للمتسلط على خزانة بيت المال فيعطيكم ما يوسع لكم البال. (وإن شئتم صبرتم) أي على هذه الحال فإنه مقام أرباب الكمال وأصحاب حسن المآل وطيب المنال. (فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن فقراء المهاجرين يسبقون الأغنياء) أي أغنياءهم فضلاً عن غيرهم (يوم القيامة إلى الجنة بأربعين خريفاً) . أي سنة (قالوا: فإنا نصبر لا نسأل شيئاً) أي حال كوننا لا نطلب شيئاً من أحد بعد ذلك. (رواه مسلم).

٥٢٥٨ ـ (وعن عبد الله بن عمرو) بالواو (قال: بينا) وفي نسخة: بينما. (أنا قاعد في المسجد) أي مسجد المدينة (وحلقة) بفتح فسكون ويفتح، أي وجماعة متحلقة وقلوبهم به متعلقة. (من فقراء المهاجرين قعود) أي قاعدون أو ذوو قعود. ففي القاموس: حلقة الباب والقوم، وقد يفتح لامها ويكسر، أو ليس في الكلام حلقة محركة إلا جمع حالق، أو لغة

الحديث رقم ٥٢٥٨: أخرجه الدارمي في السنن ٢/ ٤٣٧ حديث رقم ٢٨٤٤.

إذ دخلَ النبيُّ ﷺ، فقعدَ إليهم، فقُمتُ إليهم، فقال النبيُّ ﷺ: «لِيُبْشِرْ فقراءُ المهاجرينَ بما يسرُّ وجوهَهم، فإنهم يدخلونَ الجنَّةَ قبلَ الأغنياءِ بأربعينَ عاماً» قال: فلقدْ رأيتُ ألوانَهم أسْفَرت. قال عبدُ الله بنُ عمرٍو: حتى تمنَّيتُ أن أكونَ معهم أو منهم. رواه الدارمي.

٥٢٥٩ ـ (٢٩) وعن أبي ذرٍّ، قال: أمرَني خليلي بسبعٍ: أمرني بحبِّ المساكينِ والدنوِّ منهم، وأمرني أن أنظرَ إلى منْ هوَ دُوني ولا أنظرَ إلى مَن هوَ فَوقي، وأمرني أن أصلَ الرَّحمَ وإن أدبرتْ، وأمرني أن لا أسألَ أحداً شيئاً،

ضعيفة والجمع حلق محركة أو كبدر. (إذ دخل النبي ﷺ فقعد إليهم) أي فجلس متوجهاً إلى الفقراء لقوله تعالى: ﴿واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه﴾ [الكهف ـ ٢٨] الآية. (فقمت إليهم) أي مائلاً إليهم ميلاً للمتابعة ونيلاً للقربة لديهم، ولأطلع على كلام من طلع عليهم. (فقال النبي ﷺ ليبشر) أمر مجهول من التبشير[1]، ويجوز من البشارة أريد به الخبر أو الدعاء. (فقراء المهاجرين بما يسر وجوههم) [بالنصب]، أي بشيء يفرح قلوبهم ويظهر أثر السرور على ظاهر أشرف بشرتهم وألطف جلدتهم. وفي نسخة: برفع وجوههم، فيكون التقدير بما يسر به وجوههم. (فإنهم يدخلون الجنة قبل الأغنياء بأربعين عاماً. قال:) أي ابن عمرو (فلقد) اللام جواب القسم، أي فوالله لقد: (رأيت ألوانهم أسفرت) أي أضاءت، من الإسفار وهو إشراق اللون. قال الله تعالى: ﴿وجوه يومئذ مسفرة﴾ [عبس ـ ٣٨]. ﴿والصبح إذا أسفر﴾ [المدثر ـ ٣٤]. وفي الحديث: أسفروا بالفجر فإنه أعظم للأجر. (قال عبد الله بن عمرو: حتى تمنيت) متعلقة بأسفرت، أي أشرقت إشراقاً كاملاً تاماً حتى وددت (أن أكون معهم) أي في الدنيا دائماً موصوفاً بحالهم أو منهم أي في العقبى محشوراً في زمرتهم وحسن مآلهم. فأو للتنويع أو للشك. والمعنى: أحببت أن أكون من جملة فقراء المهاجرين. (رواه الدارمي) ورواه أبو نعيم في الحلية عن أبي سعيد ولفظه: ليبشر فقراء المهاجرين بالفوز يوم القيامة قبل الأغنياء بمقدار خمسمائة عام، هؤلاء في الجنة ينعمون وهؤلاء يحاسبون.

٥٢٥٩ ـ (وعن أبي ذر قال: أمرني خليلي) أي حبيبي ورسولي (بسبع.) أي بسبع خصال (أمرني بحب المساكين والدنو منهم) أي والقرب من حالهم أو التقرب من مآلهم. (وأمرني أن أنظر إلى من هو دوني) أي في الأمور الدنيوية (ولا أنظر إلى من هو فوقي) أي في المال والجاه والمناصب الدنية (وأمرني أن أصل الرحم وإن أدبرت) أي ولت بأن غابت أو بعدت. والمراد أهلها. ويؤيده حديث: «صلوا أرحامكم ولو بالسلام» وقال الطيبي [رحمه الله]: أي وإن قطعت على ما ورد صل من قطعك. وأسند الإدبار إلى الرحم مجازاً لأنه لصاحبها. (وأمرني أن لا أسأل) أي لا أطلب (أحداً شيئاً) ومن دعاء الإمام أحمد: اللهم كما صنت وجهي عن

---

(١) في المخطوطة «البشرى».

الحديث رقم ٥٢٥٩: أخرجه أحمد في المسند ٥/ ١٥٩.

وأمرني أن أقول بالحق وإنْ كانَ مُرّاً، وأمرني أنْ لا أخافَ في اللّهِ لَوْمةَ لائمٍ، وأمرني أنْ أُكثِرَ منْ قولِ: لا حَوْلَ ولا قُوّةَ إلاّ باللهِ؛ فإنهنّ من كنزٍ تحتَ العرشِ.

سجود غيرك فصن وجهي عن مسألة غيرك. ويمكن أن يكون أحداً على عمومه بناء على ما قاله بعض أرباب الكمال إلهي: كفى علمك بالحال عن المقال وكرمك عن السؤال، وهو المقام الجليل المأخوذ من حال الخليل حيث قال له جبريل: آلك حاجة. قال: أما إليك فلا. قال: فسل ربك. قال: حسبي من سؤالي علمه بحالي. وهو معنى قوله تعالى حكاية عن [قول] أصحاب الجميل: ﴿حسبنا الله ونعم الوكيل﴾ [آل عمران ـ ١٧٣]. وفي الحكم لابن عطاء الله: ربما استحيا العارف أن يرفع حاجته إلى مولاه اكتفاء بمشيئته فكيف لا يستحيي أن يرفعها إلى خليقته[١]. (وأمرني أن أقول بالحق) أي أتكلم به (وإن كان مرا) أي على السامع، أو صعباً عليّ. (وأمرني أن لا أخاف) أي ظاهراً أو باطناً (في الله) أي في حقه أو في سبيله ولأجله (لومة لائم) ملامة أحد من خلقه (وأمرني أن أكثر من قول: لا حول ولا قوة إلا بالله) أي للاستعانة على الطاعة وإصابة المصيبة والإستعانة على دفع المعصية، خصوصاً العجب والغرور والمخيلة. (فإنهن) أي هذه الكلمات (من كنز تحت العرش) أي من جملة كنز معنوي موضوع تحت عرش الرحمٰن لا يصل إليه أحد إلا بحول الله وقوته، أو كنز من كنوز الجنة لأن العرش سقفها. وأبعد من قال: فإنهن أي الخصال السبع من كنز تحت العرش إذ لا طائل تحته، بل ورد من طرق كثيرة أخرجه الستة عن أبي موسى الأشعري، وأحمد والبزار عن أبي هريرة، والطبراني عن معاذ، والنسائي عن أبي هريرة وأبي ذر أيضاً مرفوعاً: قل: لا حول ولا قوة إلا بالله فإنها كنز من كنوز الجنة[٢]. واختلف العلماء في معناه. فقيل: سمى هذه الكلمة كنزاً لأنها كالكنز في نفاسته وصيانته من أعين الناس، أو أنها من ذخائر الجنة أو من محصلات نفائس الجنة. وقال النووي: المعنى أن قولها يحصل ثواباً نفيساً يدخر لصاحبه في الجنة انتهى. ويحتمل أن يقال: إنها كنز من كنوز الجنة العاجلة فمن قام بها وأدرك معناها واستمر على مبناها فإنه ظفر بكنز عظيم مشتمل على كنوز لا يعرف كنهها ومنتهاها. فقد روى البزار عن ابن مسعود قال: كنت عن النبي ﷺ فقلتها فقال: تدري ما تفسيرها. قلت: الله ورسوله أعلم. قال: لا حول عن معصية الله إلا بعصمة الله ولا قوّة على طاعة الله إلا بعون الله. قال النووي [رحمه الله]: هي كلمة استسلام وتفويض وأن العبد لا يملك شيئاً وليس له حيلة في دفع شر، ولا قوة في جلب خير إلا بإرادة الله تعالى انتهى. فيكون صاحبها في ملك جسيم وكنز عظيم حال كونه حاضراً بقلبه مشاهداً فعل ربه بالنسبة إلى جميع خلقه، فصح ما قال بعض العارفين في قوله تعالى: ﴿ولمن خاف مقام ربه جنتان﴾ [الرحمٰن ـ ٤٦]. جنة في الدنيا وجنة في

---

(١) الحكم العطائية ص ١٣١ الحكمة رقم ١٩١.

(٢) البخاري في صحيحه ١١/٢١٣ حديث رقم ٦٤٠٩. ومسلم في صحيحه ٤/٢٠٧٦ حديث رقم ٢٧٠٤. وأبو داود في السنن ٢/١٨٢ حديث رقم ١٥٢٦. والترمذي في السنن ٥/٤٧٥ حديث رقم ٣٤٦١. وأحمد في المسند ٢/٢٩٨.

رواه أحمد.

٥٢٦٠ ـ (٣٠) وعن عائشةَ، قالت: كان رسولُ الله ﷺ يُعجبُه من الدُّنيا ثلاثةٌ: الطعامُ، والنساءُ، والطيبُ، فأصابَ اثنينِ، ولم يُصِبْ واحداً، أصابَ النساءَ والطيبَ، ولم يُصِبِ الطعامَ. رواه أحمد.

٥٢٦١ ـ (٣١) وعن أنسٍ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «حُبِّبَ إليَّ الطيبُ والنساءُ، وجُعلتْ قُرَّةُ عيني في الصَّلاةِ».

العقبى. وقال بعض الصوفية في معنى قول رابعة العدوية: استغفارنا يحتاج إلى استغفار كثير. أرادت أن الاعتذار من الذنب مشتمل على ذنوب كثيرة تستحق أن تكون كبيرة من دعوى الوجود الأصلي ودعوى الفعل الحقيقي ودعوى الاقتدار الاستقلالي، وقد قال ﷺ إيماء إلى نفي ما سوى الله: لا حول ولا قوة إلا بالله. (رواه أحمد).

٥٢٦٠ ـ (وعن عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ يعجبه من الدنيا ثلاثة) أي ثلاثة أشياء كما في رواية. (الطعام) أي حفظاً لبدنه وتقوية على دينه (والنساء) أي صوناً لنفسه النفيسة عن الخواطر الخسيسة (والطيب) أي لتقوية الدماغ الذي هو محل العقل عند بعض الحكماء (فأصاب اثنين) أي شيئين بوصف الكثرة (ولم يصب واحداً. أصاب النساء) أي حتى بلغ تسعاً، والطيب أي من الخارج مع أن عرقه كان من أفضل أنواع الطيب. (ولم يصب الطعام) أي إلا بوصف القلة، فإطلاق النفي للمبالغة لما سبق من أنه ﷺ لم يشبع من خبز الشعير يومين متتابعين حتى قبض. وأغرب الطيبي [رحمه الله]في قوله: أي لم يكثر من إصابته إكثارهما، حيث إنه يوهم أنه وقع له إكثار من الطعام أقل من إكثار النساء والطيب. (رواه أحمد) قال السيوطي [رحمه الله]في تخريج أحاديث الشفاء: إسناده صحيح إلا أن فيه رجلاً لم يسم.

٥٢٦١ ـ (وعن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: حبب إلي) أي من دنياكم كما في رواية (الطيب والنساء وجعلت قرة عيني في الصلاة) كذا في نسخ المشكاة بلفظ: جعلت. وكأنه غير موجود في أصل الطيبي [رحمه الله]. كما ورد في رواية. أو غفل عنه حيث قال: قوله: قرة عيني في الصلاة. جملة اسمية عطفت على جملة فعلية لدلالته على الثبات والدوام في الثانية والتجدد في الأولى. قلت: وفيه بحث، إذ القول بالتجدد إنما هو في الفعل المضارع، وأما الماضي فهو للثبات حتى إذا عبر عن المضارع بالماضي يعلل بأنه لتحققه كأنه قد وقع. قال: وجيء بالفعل المجهول دلالة على أن ذلك لم يكن من جبلته وطبعه وأنه مجبور على الحب رحمة للعباد، بخلاف الصلاة فإنها محبوبة لذاتها. ومنه قوله ﷺ: «أرحنا يا بلال»[1]، أي

الحديث رقم ٥٢٦٠: أخرجه أحمد في المسند ٦/ ٧٢.

الحديث رقم ٥٢٦١: أخرجه النسائي في السنن ٧/ ٦١ حديث رقم ٣٩٣٩. وأحمد في المسند ٣/ ١٢٨.

(١) أبو داود في السنن ٥/ ٢٦٢ حديث رقم ٤٩٨٥.

رواه أحمد، والنسائي. وزادَ ابنُ الجَوزيِّ بعد قوله: «حُبِّبَ إليَّ» «منَ الدنيا».

٥٢٦٢ ـ (٣٢) وعن معاذِ بن جبلٍ، أنَّ رسولَ الله ﷺ لما بَعثَ بهِ إلى اليمنِ، قال: «إياكَ والتَّنعُّمَ؛ فإنَّ عبادَ الله ليسوا بالمتنعِّمين».

اشغلنا عما سواها بها فإنه تعب وكدح وإنما الاستراوح في الصلاة فأرحنا بندائك بها. (رواه أحمد والنسائي) وكذا الحاكم في مستدركه والبيهقي في الشعب كذا في الجامع[١]. وذكر ابن الربيع في مختصر المقاصد للسخاوي أن الطبراني رواه في الكبير والنسائي في سننه بهذا اللفظ، والحاكم في مستدركه بدون لفظ: جعلت. وقال: إنه صحيح على شرط مسلم. وأما ما اشتهر في هذا الحديث من زيادة ثلاث فقال السخاوي: لم أقف عليه إلا في موضعين من الإحياء وفي تفسير آل عمران من الكشاف وما رأيتها في شيء من طرق هذا الحديث بعد مزيد التفتيش، وبذلك صرح الزركشي فقال: إنه لم يرد فيه لفظ: ثلاث. قال: وزيادته محيلة للمعنى، فإن الصلاة ليست من الدنيا. (وزاد ابن الجوزي بعد قوله: حبب إلي من الدنيا) أي قوله: من الدنيا. منصوباً على أنه مفعول زاد: وقد ذكر الحافظ السيوطي في الفتاوى الحديثية مسألة قوله ﷺ: حبب إلي من دنياكم النساء والطيب وجعلت قرة عيني في الصلاة. لم بدأ النساء وأخر الصلاة، الجواب: لما كان المقصود من سياق الحديث ما أصاب النبي ﷺ من متاع الدنيا بدأ به كما قال في الحديث: ما أصابنا من دنياكم هذه إلا النساء[٢]. ولما كان الذي حبب إليه من متاع الدنيا هو أفضلها وهو النساء بدليل قوله في الحديث الآخر: «الدنيا متاع وخير متاعها المرأة الصالحة»[٣]. ناسب أن يضم إليه بيان أفضل الأمور الدينية وذلك الصلاة، فإنها أفضل العبادات بعد الإيمان. فكان الحديث على أسلوب البلاغة من جمعه بين أفضل أمور الدنيا وأفضل أمور الدين، وفي ذلك ضم الشيء إلى نظيره. وعبر في أمر الدين بعبارة أبلغ مما عبر به في أمر الدنيا على مجرد التحبيب. وقال في أمر الدين: جعلت قرة عيني. فإن قرة العين من التعظيم في المحبة ما لا يخفى انتهى. ولعل السكوت عن الطيب لأنه تابع للنساء وجوداً وعدماً على ما في الروايتين. ثم الصلاة عند الجمهور محمولة على العبادة المعروفة. وقيل: المراد بالصلاة في هذا الحديث الصلاة عليه ﷺ وشرفه لديه.

٥٢٦٢ ـ (وعن معاذ بن جبل أن رسول الله ﷺ لما بعث به) أي أرسله (إلى اليمن) أي قاضياً ووالياً (قال: إياك والتنعم) وهو المبالغة في تحصيل قضاء الشهوات على وجه التكلف في البغية بتكثير النعمة والحرص على النهمة (فإن عباد الله) أي المخلصين (ليسوا بالمتنعمين) بل التنعم مختص بالكافرين والفاجرين والغافلين والجاهلين كما قال تعالى: ﴿ذرهم يأكلوا

---

(١) الجامع الصغير ١/٢٢٣ حديث رقم ٣٦٦٩. والحديث أخرجه الحاكم في المستدرك ٢/١٦٠.

(٢) الطبراني في الكبير. كذا في الجامع الصغير ٢/٤٧٨ حديث رقم ٧٨٢١.

(٣) مسلم في صحيحه ٢/١٠٩٠ حديث رقم ١٤٦٧.

الحديث رقم ٥٢٦٢: أخرجه أحمد في المسند ٥/٢٤٣.

رواه أحمد.

٥٢٦٣ ـ (٣٣) وعن عليٍّ [رضي الله عنه]، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «مَن رضيَ منَ اللهِ باليَسيرِ منَ الرِّزقِ رضيَ اللهُ منه بالقليلِ من العملِ».

٥٢٦٤ ـ (٣٤) وعن ابنِ عبَّاسٍ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «مَن جاعَ أو احتاجَ، فكتمَه[١] الناسَ؛ كانَ حقّاً على اللهِ عزَّ وجلَّ أنْ يَرزُقَهُ رزقَ سنةٍ من حلالٍ».

ويتمتعوا ويلههم الأمل فسوف يعلمون ﴾ [الحجر ـ ٣]. وقال: ﴿ويأكلون كما تأكل الأنعام والنار مثوى لهم ﴾ [محمد ـ ١٢]. وقال: ﴿إنهم كانوا قبل ذلك مترفين ﴾ [الواقعة ـ ٤٥]. (رواه أحمد) وكذا البيهقي في شعب الإيمان.

٥٢٦٣ ـ (وعن علي كرم الله وجهه قال: قال رسول الله ﷺ: من رضي من الله باليسير من الرزق) أي من قنع منه بقليل من العطاء (رضي الله منه) وفي نسخة: عنه. (بالقليل) وفي نسخة: باليسير. (من العمل) أي من الطاعة. وفي حديث رواه ابن عساكر عن عائشة: من رضي عن الله رضي الله عنه[١]. فإن قلت: هذا الحديث يدل على أن رضا العبد مقدم، وفي قوله سبحانه: ﴿رضي الله عنهم ورضوا عنه ﴾ [المائدة ـ ١١٩، التوبة ـ ١٠٠، المجادلة ـ ٢٢، البينة ـ ٨]. إيماء إلى أن رضا العبد متأخر. قلت: التحقيق أن رضا العبد محفوف برضاءين من الله، رضا أزلي تعلق به العلم الأولي، ورضا أبدي تعلق بعمل العبد يترتب عليه الجزاء الأخروي. وفي الحقيقة رضا العبد إنما هو أثر رضا الله عنه أولاً، وأما رضا الله آخراً فإنما هو غاية الرضا الذاتي من النعت الصفاتي وهو الإحسان والإنعام. وكذلك القول في قوله تعالى: ﴿يحبهم ويحبونه ﴾ [المائدة ـ ٥٤]. وقوله: ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ﴾ [آل عمران ـ ٣١].

٥٢٦٤ ـ (وعن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: من جاع) أي في نفسه بالفعل (أو احتاج) أي إلى ما يدفع الجوع أو غيره، فأو للتنويع. (فكتمه[٢] الناس) قيل: أي من الناس. ففيه إشارة إلى أن الرواية بتخفيف التاء وأنه متعد إلى واحد، فنصب الناس على نزع الخافض. ويحتمل أن تكون الرواية بتشديدها وأنه حينئذ متعد إلى اثنين على ما في القاموس: كتمه كتماً وكتماناً وكتمه إياه. (كان حقاً على الله عز وجل) أي وعداً ثابتاً عليه أو أمراً لازماً لديه[٣]. (أن يرزقه رزق سنة من حلال) والمراد بالجوع جوع يتصور معه الصبر ويجوز فيه الكتمان، وإلا فقد صرح العلماء بأن الشخص إذا مات جوعاً ولم يسأل أو لم يأكل ولو من الميتة يموت

الحديث رقم ٥٢٦٣: رواه البيهقي في شعب الإيمان ٤/ ١٣٩ حديث رقم ٤٥٨٥.

(١) ذكره السيوطي في الجامع الصغير ٢/ ٥٢٧ حديث رقم ٨٧٠٦.

الحديث رقم ٥٢٦٤: أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ٧/ ٢١٥ حديث رقم ١٠٠٥٤.

(٢) في المخطوطة «فكتم». (٣) في المخطوطة «إليه».

رواهما البيهقي في «شعب الإيمان».

٥٢٦٥ ـ (٣٥) وعن عِمْرانَ بن حُصينٍ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إنَّ اللّهَ يُحبُّ عبدَه المؤمنَ الفقيرَ المتعفِّفَ أبا العيالِ». رواه ابن ماجه.

٥٢٦٦ ـ (٣٦) وعن زيدِ بنِ أسلمَ، قال: استسقى يوماً عمرُ، فجيءَ بماءٍ قد شيبَ بعسلٍ، فقال: إنّه لطيِّبٌ؛ لكني أسمعُ اللّهَ عزَّ وجلَّ نعى على قومٍ شهواتِهم فقال: ﴿أذهبتُم طيّباتِكم في حياتِكم الدنيا واستمتعتُمْ بها﴾ فأخافُ أن تكونَ حسناتُنا عُجِّلَت لنا، فلم يشربْه. رواه رزين.

عاصياً. (رواهما) أي الحديثين (البيهقي في شعب الإيمان).

٥٢٦٥ ـ (وعن عمران بن حصين قال: قال رسول الله ﷺ: إن الله يحب عبده المؤمن الفقير المتعفف أبا العيال) المعنى أنه مع كونه صاحب العيال وفقير الحال وكسير البال تعفف عن السؤال، فهو المؤمن على وجه الكمال فلذا أحبه ذو الجلال والجمال. (رواه ابن ماجه).

٥٢٦٦ ـ (وعن زيد بن أسلم) قال المؤلف: يكنى أبا أسامة مولى عمر بن الخطاب مدني من أكابر التابعين سمع جماعة من الصحابة، وروى عنه الثوري وأيوب السختياني ومالك وابن عيينة. مات سنة ست وثلاثين ومائة. (قال: استسقى) أي طلب الماء (يوماً عمر فجيء بماء قد شيب) بكسر أوله، أي خلط. (بعسل فقال: إنه) أي ماء العسل (الطيب) أي طبعاً وشرعاً ورفعاً ونفعاً (لكنني أسمع الله عزّ وجلّ) قال الطيبي [رحمه الله]: مستدرك عن مقدر، يعني إنه لطيب أشتهيه لكني أعرض عنه لأني سمعت الله عزّ وجلّ (نعى) أي عاب (على قوم شهواتهم) أي استيفاءها (فقال: ﴿أذهبتم﴾) بهمزة إنكار مقدرة وهي في قراءة موجودة أذهبتم (﴿طيباتكم﴾) أي أخذتم لذاتكم (﴿في حياتكم الدنيا﴾) أي في مدة الحياة الدنيوية الدنية. (﴿واستمتعتم بها﴾)[1] أي متابعة للشهوات النفسية وما تركتم شيئاً ذخيرة للدار الأخروية. (فأخاف أن تكون حسناتنا) أي مثوباتها (عجلت لنا) قال الطيبي [رحمه الله]: أي ثواب حسناتنا التي نعملها نستوفيها في الدنيا قبل الآخرة. قال تعالى: ﴿من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموماً مدحوراً﴾ [الإسراء ـ ١٨]. قلت: الآيتان وإن كانتا نزلتا[2] في الكفار، لكن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب. (فلم يشربه) أي لم يشرب عمر ذلك الماء تورعاً ومخالفة للنفس والهوى. (رواه رزين).

الحديث رقم ٥٢٦٥: أخرجه ابن ماجه في السنن ٢/ ١٣٨٠ حديث رقم ٤١٢١.

الحديث رقم ٥٢٦٦: رواه رزين.

(١) سورة الأحقاف. آية رقم ٢٠. (٢) في المخطوطة «أنزلت».

٥٢٦٧ ـ (٣٧) وعن ابنِ عمَرَ، قال: ما شبِعنا من تمرٍ حتى فتَحْنا خَيبرَ. رواه البخاريُّ.

(٢) باب الأمل والحرص

٥٢٦٧ ـ (وعن ابن عمر قال: ما شبعنا) أي أهل بيت عمر، أو نحن معشر الصحابة معه ﷺ وهو الأظهر. (حتى فتحنا خيبر. رواه البخاري).

(باب الأمل والحرص)

الجوهري: الأمل الرجاء. وقال الراغب: الحرص فرط الشره في الإرادة. قال تعالى: ﴿إن تحرص على هداهم﴾ [النحل ـ ٣٧]. أي [إن]تفرط إرادتك في هدايتهم. وفي القاموس: أسوأ الحرص أن تأخذ نصيبك وتطمع في نصيب غيرك انتهى. والمراد بالأمل هنا طول الأمل في أمر الدنيا غافلاً عن الاستعداد للموت وزاد العقبى كما قال سبحانه: ﴿ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الأمل﴾ [الحجر ـ ٣]. وأما طول الأمل في تحصيل العلم والعمل فمحمود بالإجماع كما قال ﷺ: طوبى لمن طال عمره[١]. وقال: لو عشت إلى قابل لأصومن التاسع[٢]. وكذلك الحرص في أمر جمع المال وكثرة الجاه والإقبال مذموم وإلا فالحرص على القتال وعلى تحصيل العلوم وتكثير الأعمال فمستحسن بلا نزاع. ثم تحقيق الأمل على ما حققه المحققون من أهل اليقين ما ذكره الغزالي في منهاج العابدين [رحمه الله]أنه قال: أكثر علمائنا أنه إرادة الحياة للوقت المتراخي بالحكم، وقصر الأمل ترك الحكم فيه بأن يقيده بالإسناد لمشيئة الله تعالى وعلمه في الذكر، أو بشرط الصلاح في الإرادة. فإذن إن ذكرت حياتك بأن أعيش بعد نفس ثان أو ساعة ثانية أو يوم ثان بالحكم والقطع فأنت آمل وذلك منك معصية. إذ هو حكم على الغيب. وإن قيدته بالمشيئة والعلم من الله [تعالى]فقد خرجت عن حكم الآمل فتأمل. وإنما جمع بينهما في العنوان لتلازمهما في الإمكان، وقدم الأمل لأنه الباعث على تأخير العمل، والحرص على الزلل.

الحديث رقم ٥٢٦٧: أخرجه البخاري في صحيحه حديث رقم ٤٢٤٣.

(١) الطبراني في الكبير ذكره السيوطي في الجامع الصغير.

(٢) مسلم في صحيحه ٢/٧٩٨ حديث ١١٣٤

الفصل الأول

٥٢٦٨ ـ (١) عن عبدِ الله، قال: خطَّ النبيُّ ﷺ خطّاً مربَّعاً، وخطَّ خطاً في الوسَطِ خارجاً منه، وخطَّ خُططاً صِغاراً إلى هذا الذي في الوسطِ من جانبِه الذي في الوسط، فقال: «هذا الإنسانُ، وهذا أجلهُ مُحيطٌ به، وهذا الذي هو خارجٌ أملُه، وهذه الخطوطُ الصغارُ الأعراضُ، فإنْ أخطأه هذا نهشَه

(الفصل الأوّل)

٥٢٦٨ ـ (عن عبد الله) أي ابن مسعود (قال: خط النبي ﷺ خطاً مربعاً) الظاهر أنه كان بيده المباركة على الأرض. قال الطيبي [رحمه الله]: المراد بالخط الرسم والشكل (وخط) أي خطاً كما في نسخة مصححة. والمعنى: وخط. (خطاً) آخر (في الوسط) أي وسط التربيع (خارجاً منه) أي حال كون الخط خارجاً من أحد طرفي المربع (وخط خططاً) بضم الخاء المعجمة والطاء الأولى للأكثر، وجوز فتح الطاء، أي خطوطاً. (صغاراً) جمع صغيرة (إلى هذا) أي متوجهة ومائلة ومنتهية إلى هذا الخط. (الذي في الوسط من جانبه الذي في الوسط) أي من جانبيه اللذين في الوسط. فالمراد بالمفرد الجنس. (فقال: هذا [الإنسان]) أي الخط الوسط كذا قاله شارح. والظاهر أن المراد بهذا مركز الدائرة المربعة وإن كان ليس له صورة مستقلة في الخط الظاهري، أو المراد بهذا مجموع التصوير المعلوم خطاً المفهوم ذهناً. فإن الإنسان مع ما فيه من الأمل العوارض المنتهية إلى الأجل المشار إليه بهذا، فالتقدير أن الخط المصور مجموعة مجموعة هو الإنسان. (وهذا) أي الخط المربع (أجله) أي مدة أجله ومدة عمره (محيط به) أي من كل جوانبه بحيث لا يمكنه الخروج والفرار منه (وهذا الذي هو خارج) أي من المربع (أمله) أي مرجوه ومأموله الذي يظن أنه يدركه قبل حلول أجله، وهذا خطأ منه لأن أمله طويل لا يفرغ منه[1]، وأجله أقرب إليه منه. (وهذه الخطط) أي الخطوط (الصغار الأعراض) أي الآفات والعاهات والبليات من المرض والجوع والعطش وغيرها مما يعرض للإنسان، وهو جمع عرض بالتحريك. (فإن أخطأه هذا) أي أحد الاعراض (نهسه) بسين مهملة

الحديث رقم ٥٢٦٨: أخرجه البخاري في صحيحه ١١/ ٢٣٥ حديث رقم ٦٤١٧. والترمذي في السنن ٤/ ٥٤٨ حديث رقم ٢٤٥٤. وابن ماجه في السنن ٢/ ١٤١٥ حديث رقم ٤٢٣١. والدارمي في السنن ٢/ ٣٩٣ حديث رقم ٢٧٢٩. وأحمد في المسند ١/ ٣٨٥.

(١) في المخطوطة «عنه».

هذا، وإن أخطأه هذا نهشه هذا». رواه البخاري.

٥٢٦٩ ـ (٢) وعن أنسٍ، قال: خطَّ النبيُّ ﷺ خطوطاً فقال: «هذا الأملُ، وهذا أجلُه، فبينما هوَ كذلكَ إذ جاءَهُ الخطُّ الأقربُ».

وقيل بمعجمة، أي أصابه وعضه. (هذا) أي عرض آخر. وعبر عن الإصابة بالنهش وهو لدغ ذات السم، مبالغة في المضرة. (وإن أخطأه هذا) أي عرض آخر (نهسه هذا) أي عرض آخر وهلم جراً إلى انقضاء الأجل وعدم انتهاء الأمل. وصورة الخط هذه عند بعضهم:

قال الشيخ ابن حجر العسقلاني رحمه الله: هذه الصفة هي المعتمدة. وسياق الحديث يتنزل عليه، فالإشارة بقوله: هذا الإنسان إلى النقطة الداخلة، وبقوله: وهذا أجله محيط به إلى المربع، وبقوله: وهذا الذي هو خارج أمله إلى الخط المستطيل المنفرد، وبقوله: وهذه إلى الخطوط وهي مذكورة على سبيل المثال، لا أن المراد انحصارها في عدد معين. ويؤيده قوله في حديث أنس بعده: إذ جاءه الأقرب إلى الخط المحيط به. ولا شك أن الذي يحيط به أقرب إليه من الخارج عنه
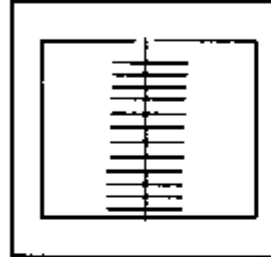
انتهى. والأولى أن يجعل عدد الخطوط سبعاً لإتيان هذا العدد كثيراً على لسان الشارع ولأنه عشر العدد الذي يعبر به عن الكثرة، مع الإيماء إلى الأعضاء السبعة للإنسان والأطوار السبعة في مراتب الإيقان ومرور الأيام السبعة على دوران الأفلاك السبعة المحيطة بالأراضي السبعة، ثم اعلم أن ما أشار الشيخ به إلى النقطة الداخلة فغير مستفاد من التصوير النبوي ولذا ما صوره غير واحد من الشراح كالطيبي [رحمه الله]. ثم رأيت صورة أخرى غير الصورة المسطورة المشهور وهي هذه:
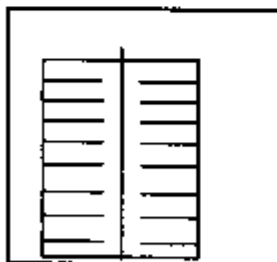
فهذه الهيئة هي المطابقة لما قاله بعض الشراح والأظهر في التصوير فتدبر. (رواه البخاري).

٥٢٦٩ ـ (وعن أنس قال: خط النبي ﷺ خطوطاً) أي مختلفة على الهيئة المصورة السابقة (فقال: هذا) أي أحد الخطوط وهو الخط الخارج من دائرة التربيع (الأمل) أي أمل الإنسان (وهذا) أي الخط المربع المحيط به (أجله. فبينما هو كذلك) أي بين أوقات هو أي أمره دائر، كما صور في الدائرة بين طلبه الأمل وطلب الأجل إياه. (إذ جاءه الخط الأقرب) وهو الأجل المحيط به من كل جانب وأخطأه الخط الأبعد الخارج من دائرة الإحاطة وهو خطه من قصور الأمل. وقال الطيبي [رحمه الله]: قوله: فبينما هو كذلك، أي هو طالب لأمله البعيد فتدركه الآفات

الحديث رقم ٥٢٦٩: أخرجه البخاري في صحيحه ١١/ ٢٣٦ حديث رقم ٦٤١٨. وابن ماجه في السنن ٢/ ١٤١٤ حديث رقم ٤٢٣١.

رواه البخاري.

٥٢٧٠ ـ (٣) وعنه، قال: قال النبيُّ ﷺ: «يَهْرَمُ ابنُ آدمَ ويشِبُّ منه اثنانِ: الحرصُ على المالِ، والحرصُ على العمرِ». متفق عليه.

٥٢٧١ ـ (٤) وعن أبي هريرةَ، عن النبيِّ ﷺ، قال: «لا يزالُ قلبُ الكبيرِ شاباً في اثنينِ: في حبِّ الدنيا وطولِ الأملِ». متفق عليه.

التي هي أقرب إليه فتؤديه إلى الأجل المحيط به. وهذا التأويل محمول على معنى الحديث السابق. ويجوز أن يحمل على حديث أبي سعيد في الفصل الثاني أن النبي ﷺ غرز عموداً بين يديه، الحديث. قلت: حمل هذا الحديث مع التصريح بقوله: خط خطوطاً، على الغرز خطأ ظاهر، لأن الظاهر المتبادر أن يكون الخط خطاً ظاهراً. (رواه البخاري).

٥٢٧٠ ـ (وعنه) أي عن أنس (قال: قال رسول الله ﷺ: يهرم) بفتح الراء أي يشيب كما في رواية، والمعنى: يضعف. (ابن آدم ويشب) بكسر الشين المعجمة وتشديد الموحدة، أي ينمو ويقوى. (منه) أي من أخلاقه (اثنان) ففي التاج للبيهقي وكذا في القاموس: إن الهرم كبر السن من باب علم وشب شباباً من باب ضرب. (الحرص على المال) أي على جمعه ومنعه (والحرص على العمر) أي بتطويل أمله وتسويف عمله وتبعيد أجله. قال النووي [رحمه الله]: قوله: يشب استعارة. ومعناه: أن قلب الشيخ كامل الحب يحتكم احتكاماً مثل احتكام قوّة الشاب في شبابه. قال الطيبي [رحمه الله]: يجوز أن يكون من باب المشاكلة والمطابقة لقوله: يهرم، أي بمعنى يشيب. (متفق عليه) قال ميرك: هذا لفظ مسلم. ولفظ البخاري: يكبر ابن آدم، والباقي مثله. ورواه الترمذي وابن ماجه انتهى. فقوله: متفق عليه، معناه أنهما اتفقا على روايتهما في المعنى دون اللفظ في جميع المبنى، وهذا مبني على ما ذكره وإلا فلفظ الجامع أيضاً: يهرم ابن آدم ويبقى منه اثنان الحرص والأمل[1]. رواه أحمد والشيخان والنسائي عن أنس. فالظاهر أن لفظ: يكبر. رواية للبخاري، وأن في الصحيحين روايات متعددة كما يدل عليه كلام السخاوي في المقاصد حديث: يهرم ابن آدم ويبقى فيه اثنان الحرص والأمل. متفق عليه. وفي لفظ: يشيب ابن آدم ويشيب فيه.

٥٢٧١ ـ (وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: لا يزال قلب الكبير شاباً) أي قوياً نشطاناً (في اثنين) أي في أمرين (في حب الدنيا) ويلزم منه كراهة الأجل (وطول الأمل) وهو يقتضي تأخير العمل. (متفق عليه).

الحديث رقم ٥٢٧٠: أخرجه البخاري في صحيحه ١١/ ٢٣٩ حديث رقم ٦٤٢١. ومسلم في صحيحه ٢/ ٧٢٤ حديث رقم (١١٥ ـ ١٠٤٧). والترمذي في السنن ٤/ ٤٩٣ حديث رقم ٢٣٣٩. وابن ماجه في السنن ٢/ ١٤١٥ حديث رقم ٤٢٣٤.

(١) الجامع الصغير ٢/ ٥٩٠ حديث رقم ١٠٠٢٥.

الحديث رقم ٥٢٧١: أخرجه البخاري في صحيحه ١١/ ٢٣٩ حديث رقم ٦٤٢٠. ومسلم في صحيحه ٢/ ٧٢٤ حديث رقم (١١٤ ـ ١٠٤٦). والترمذي في السنن ٤/ ٤٩٣ حديث رقم ٢٣٣٨. وابن ماجه في السنن ٢/ ١٤١٥ حديث رقم ٤٢٣٣.

٥٢٧٢ ـ (٥) وعنه، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «أعذَرَ اللّهُ إلى امرىءٍ أخَّرَ أجلَه حتى بلَّغَه ستينَ سنةً». رواه البخاري.

٥٢٧٣ ـ (٦) وعن ابنِ عبَّاسٍ، عن النبيِّ ﷺ، قال: «لو كانَ لابنِ آدمَ واديانِ

٥٢٧٢ ـ (وعنه) أي عن أبي هريرة (قال: قال رسول الله ﷺ: أعذر الله) قبل الهمزة للسلب، أي أزال الله العذر منهياً. (إلى امرىء أخر أجله) أي منتهاه. وفي رواية: عمره. (حتى بلغه) بتشديد اللام أي أوصله، وفي رواية: حتى بلغ (ستين سنة) أي ولم يتب عن ذنوبه ولم يقم بإصلاح عيوبه ولم يغلب خيره شره فيكون ممن لم يبق الله له عذراً في ترك الطاعة وفيما ضيع عمره. وحاصله من بلغ ستين سنة، وقيل أربعين ولم يغلب خيره شره فالموت خير له. قال التوربشتي [رحمه الله]: المعنى أنه أفضى بعذره إليه فلم يبق له عذر. يقال: أعذر الرجل إلى فلان أي بلغ به أقصى العذر، ومنه قولهم: أعذر من أنذر، أي أتى بالعذر أو أظهره. وهذا مجاز من القول، فإن العذر لا يتوجه على الله وإنما يتوجه له على العبيد. وحقيقة المعنى فيه أن الله تعالى لم يترك له سبباً في الاعتذار يتمسك به انتهى. فالمعنى أنه أزال أعذاره بالكلية، فكأنه أقام عذره فيما يفعل به بين العقوبة والبلية. وفي مختصر النهاية. أي لم يبق فيه موضعاً للاعتذار حيث أمهله طول هذه المدة ولم يعتبر. (رواه البخاري) وكذا أحمد وعبد بن حميد والنسائي والبزار وابن جرير وابن أبي حاتم والحاكم وابن مردويه والبيهقي عنه[1]. وأخرج عبد بن حميد والطبراني والروياني والرامهرمزي في الأمثال، والحاكم وابن مردويه عن سهل بن سعد قال: قال رسول الله ﷺ: إذا بلغ العبد ستين سنة فقد أعذر الله إليه في العمر[2]، وقد قال تعالى: ﴿أو لم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر﴾ [فاطر ـ ٣٧]. وأخرج عبد الرزاق والفريابي وسعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وأبو الشيخ والحاكم وصححه، وابن مردويه عن ابن عباس أنه قال في تفسيره ستين سنة، وأخرج ابن جرير عن علي في الآية قال: العمر الذي أعذرهم الله منه ستون سنة. وأخرج عبد بن حميد وابن أبي حاتم عن الحسن في الآية قال: أربعين سنة. وأما قوله تعالى: ﴿وجاءكم النذير﴾ [فاطر ـ ٣٧]. فأخرج ابن أبي حاتم وعبد بن حميد وابن المنذر عن عكرمة قال: الشيب. وكذا أخرجه ابن مردويه والبيهقي في سننه عن ابن عباس أنه الشيب.

٥٢٧٣ ـ (وعن ابن عباس عن النبي ﷺ قال: لو كان لابن آدم) أي فرضاً وتقديراً (واديان

الحديث رقم ٥٢٧٢: أخرجه البخاري في صحيحه ١١/ ٢٣٨ حديث رقم ٦٤١٩.

(١) أحمد في المسند بنحوه ٢/ ٣٢٠ وكذلك الحاكم في المستدرك ٢/ ٤٢٨.

(٢) الحاكم في المستدرك ٢/ ٤٢٧.

الحديث رقم ٥٢٧٣: أخرجه البخاري في صحيحه ١١/ ٢٥٣ حديث رقم ٦٤٣٦. ومسلم في صحيحه ٢/ ٧٢٥ حديث رقم (١١٨ ـ ١٠٤٩). أخرجه الترمذي ٥/ ٥٦٨ حديث رقم ٣٨٩٨. وابن ماجه في السنن ٢/ ١٤١٥ حديث رقم ٤٢٣٤. والدارمي في السنن ٢/ ٤١٠ حديث رقم ٢٧٧٨. وأحمد في المسند ٣/ ١٢٢.

مِنْ مالٍ لابتغى ثالثاً،

من مال) وفي رواية: من ذهب. (لأبتغى) أي لطلب (ثالثاً) أي وادياً آخر أعظم منهما ذخراً، وهلم جرا كما يشير إليه بقوله: (ولا يملأ جوف ابن آدم) أي بطنه أو وسط عينه (إلا التراب) أي تراب القبر. ففيه تنبيه نبيه على أن البخل المورث للحرص مركوز في جبلة الإنسان كما أخبر الله عنه سبحانه في القرآن حيث قال: أبلغ من هذا الحديث والمقال: ﴿قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربي إذاً لأمسكتم خشية الإنفاق وكان الإنسان قتوراً﴾ [الإسراء ـ ١٠٠]. فهذا يدل على أن حرص ابن آدم وخوفه من الفقر الباعث له على البخل حتى على نفسه، أقوى من الطير الذي يموت عطشاً على ساحل البحر خوفاً من نفاده، ومن الدودة التي قوتها التراب وتموت جوعاً خشية من فراغة، لأن ما ذكر من الماء والتراب في جنب خزائن رحمة رب الأرباب كقطرة من السحاب. (ويتوب الله) أي يرجع بالرحمة (على من تاب) أي رجع إليه بطلب العصمة، أو يتفضل الله بتوفيق التوبة وتحقيق استعادة العقبى على من تاب، أي من محبة الدنيا والغفلة عن حضرة المولى. قال النووي [رحمه الله]: معناه أنه لا يزال حريصاً على الدنيا حتى يموت ويمتلىء جوفه من تراب قبره. وهذا الحديث خرج على حكم غالب بني آدم في الحرص على الدنيا، ويؤيده قوله ويتوب الله على من تاب وهو متعلق بما قبله. ومعناه: أن الله يقبل التوبة من الحرص المذموم وغيره من المذمومات. قال الطيبي [رحمه الله]: ويمكن أن يقال معناه: إن بني آدم كلهم مجبولون على حب المال والسعي في طلبه وأن لا يشبع منه إلا من عصمه الله تعالى ووفقه لإزالة هذه الجبلة عن نفسه، وقليل ما هم، فوضع ويتوب الله على من تاب موضعه إشعاراً بأن هذه الجبلة المركوزة فيه مذمومة جارية مجرى الذنب، وأن إزالتها ممكنة ولكن بتوفيق الله وتسديده. ونحوه قوله تعالى: ﴿ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون﴾ [الحشر ـ ٩]. أضاف الشح إلى النفس دلالة على أنها غريزة فيها، وبين إزالته بقوله: يوق. ورتب عليه قوله: ﴿فأولئك هم المفلحون﴾ [الحشر ـ ٩]. وههنا نكتة دقيقة، فإنه ذكر ابن آدم تلويحاً لي أنه مخلوق من التراب ومن طبيعته القبض واليبس، فيمكن إزالته بأن يمطر الله عليه السحائب من غمائم توفيقه فيثمر حينئذ الخصال الزكية والشمائل الرضية كما قال تعالى جلّ جلاله: ﴿والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه والذي خبث لا يخرج إلا نكداً﴾ [الأعراف ـ ٥٨]. فمن لم يتداركه التوفيق وتركه وحرصه لم يزدد إلا حرصاً وتهالكاً على جمع المال. وموقع قوله: ولا يملأ جوف ابن آدم. موقع ركوز الجبلة ونيط به حكم أشمل وأعم كأنه قيل: ولا يشبع من خلق من التراب إلا بالتراب، وموقع ويتوب الله على من تاب موقع الرجوع يعني: إن ذلك لعسير صعب ولكن يسير على من يسره الله تعالى عليه، فحقيق أن لا يكون هذا من كلام البشر بل هو من كلام خالق القوى والقدر. وروينا عن الترمذي عن أبي بن كعب أن رسول الله ﷺ قال: إن الله أمرني أن أقرأ عليك القرآن فقرأ عليه: ﴿لم يكن الذين كفروا﴾ [البينة ـ ١]، وقرأ فيها: إن الدين عند الله الحنيفية المسلمة لا اليهودية ولا النصرانية ولا المجوسية ومن يعمل خيراً فلن يكفره، وقرأ عليه: لو أن لابن آدم وادياً من مال لابتغى إليه

ولاَ يَملأ جَوفَ ابن آدمَ إلاَّ الترابُ، ويتوبُ اللّهُ على مَن تابَ». متفق عليه.

٥٢٧٤ ـ (٧) وعن ابنِ عمَرَ، قال: أخذَ رسولُ الله ﷺ ببعضِ جسدي فقال: «كُنْ في الدُّنيا كأنَّكَ غريبٌ

ثانياً ولو أن له ثانياً لابتغى إليه ثالثاً ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ويتوب الله على من تاب[1]. انتهى. (رواه البخاري) قال ميرك ناقلاً عن التصحيح: حديث: لو كان لابن آدم واديان إلى آخره. رواه البخاري بهذا اللفظ من حديث ابن عباس، وبمعناه من حديث أنس[2] ومسلم بهذا اللفظ، وبمعناه من حديث ابن عباس[3]. رواه الترمذي أيضاً وقد ثبت في الحديث أن هذا كان قرآناً فنسخ خطه، رواه أحمد وغيره. وفي رواية لابن عباس وأنس: فلا تدري أشيء أنزل أم شيء كان يقول[4]. ولأنس عن أبي قال: كنا نرى هذا من القرآن حتى نزل: ﴿ألهاكم التكاثر﴾ [التكاثر ـ ١]. أخرجه البخاري[5]. انتهى. وفي الجامع: لو كان لابن آدم واد من مال لابتغى إليه ثانياً ولو كان له واديان لابتغى لهما ثالثاً ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ويتوب الله على من تاب. رواه أحمد والشيخان والترمذي عن أنس، وأحمد والشيخان عن ابن عباس، والبخاري عن ابن الزبير، والنسائي عن أبي هريرة، وأحمد عن أبي واقد، والبخاري في تاريخه، والبزار عن بريدة. ورواه أحمد وابن حبان عن جابر ولفظه: لو كان لابن آدم واد من نخل لتمنى مثله ثم تمنى مثله حتى يتمنى أودية ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب[6].

٥٢٧٤ ـ (وعن ابن عمر قال: أخذ رسول الله ﷺ ببعض جسدي) أي بمنكبي كما في رواية، ونكتة الأخذ تقريبه إليه وتوجهه عليه ليتمكن في ذهنه ما يلقى لديه. وفيه إيماء إلى أن هذه الحالة الرضية لا توجد إلا بالجذبة الإلهية. (فقال: كن) أي عش وحيداً وعن الخلق بعيداً. (في الدنيا كأنك غريب) أي فيما بينهم لعدم مؤانستك بهم وقلة مجالستك معهم. قال النووي [رحمه الله]: أي لا تركن إليها ولا تتخذها وطناً ولا تتعلق منها إلا بما يتعلق الغريب في غير وطنه. انتهى. وذلك لأن الدنيا دار مرور وجسر عبور، فينبغي للمؤمن أن يشتغل بالعبادة والطاعة وأن ينتظر المسافرة عنها ساعة فساعة متهيئاً لأسباب الارتحال برد المظالم والاستحلال، مشتاقاً إلى الوطن الحقيقي قانعاً في سفره ببلغة [وسترة]، مستقبلاً للبليات

---

(١) الترمذي في السنن ٥/٦٦٨ حديث رقم ٣٨٩٨.
(٢) البخاري في الصحيح حديث رقم ٦٤٣٩.
(٣) مسلم في صحيحه حديث رقم ١٠٤٩.
(٤) مسلم في صحيحه ٢/٧٢٥ حديث رقم (١١٦ ـ ١٠٤٨).
(٥) البخاري في صحيحه ١١/٢٥٣ حديث رقم ٦٤٤٠.
(٦) الجامع الصغير ٢/٤٥٨ حديث رقم ٧٤٧٦ و٧٤٧٧.

الحديث رقم ٥٢٧٤: أخرجه البخاري في صحيحه ١١/٢٣٣ حديث رقم ٦٤١٦. والترمذي في السنن ٤/٤٩٠ حديث رقم ٢٣٣٣. وابن ماجه ٢/١٣٧٨ حديث رقم ٤١١٤. وأحمد في المسند ٢/٢٤.

أو عابرُ سبيلٍ، وعُدَّ نفسَكَ في أهلِ القُبورِ». رواه البخاري.

الفصل الثاني

٥٢٧٥ - (٨) عن عبدِ الله بنِ عمْرٍو، قال: مرَّ بنا رسولُ الله ﷺ وأنا وأُمي نُطيِّنُ

الكثيرة في سفره غير مشتغل بما لا يعنيه من الأمل الطويل والحرص الكثير. **(أو عابر سبيل)** أي مسافر بطريق، واو للتنويع أو بمعنى بل للترقي. والمعنى: بل كن كأنك مار على طريق قاطع لها بالسير ولو بلا رفيق، وهذا أبلغ من الغربة لأنه قد يسكن الغريب في غير وطنه ويقيم في منزل مدة زمنه، فللّه در طائفة رفضوا الدنيا وتوجهوا إلى العقبى شوقاً إلى لقاء المولى واعتزلوا بالكلية عن الناس، فإن الاستئناس بالناس علامة الإفلاس. وتجردوا عما عليهم من الأثقال والألباس بل صاروا حفاة عراة حاسري الرأس وهم العقلاء الأكياس الخارج فضلهم عن حد الحدود ومقياس القياس شعر:

إن لله عـبـاداً فـطـنـا طلقوا الدنيا وخافوا الفتنا

نظروا فيها فلما عرفوا أنها ليست لحي وطنا

جعلوها لجة واتخذوا صالح الأعمال فيها سفنا

(وعد نفسك) بضم العين وفتح الدال المشددة، أي اجعلها معدودة. **(في أهل القبور)** أو عدها كائنة أو ساكنة فيهم. وفي بعض النسخ المصححة: من أهل القبور. أي من جملتهم وواحدة من جماعتهم. ففيه إشارة إلى ما قيل: موتوا قبل أن تموتوا وحاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا. **(رواه البخاري)** قال ميرك: فيه نظر، لأن الذي أورده هو لفظ الترمذي، ولفظ البخاري عن ابن عمر قال: أخذ رسول الله ﷺ بمنكبي فقال: كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل. وليس في البخاري: وعد نفسك في أهل القبور. بل هو في الترمذي والبيهقي والله [تعالى]أعلم [وأحكم]. أقول: وفي الجامع: كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل. رواه البخاري عن ابن عمر. زاد أحمد والترمذي وابن ماجه: وعد نفسك من أهل القبور[١]. وزاد النووي في أربعينه: وكان ابن عمر رضي الله تعالى عنهما يقول: إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء وخذ من صحتك لمرضك وخذ من حياتك لموتك[٢]. وزاد الإمام الغزالي في الأربعين قوله: فإنك يا عبد الله لا تدري ما اسمك غداً. وجعل صدر الحديث مرفوعاً بأن قال: قال ﷺ لعبد الله بن عمر إذا أصبحت، إلى آخره، والله [تعالى]أعلم.

(الفصل الثاني)

٥٢٧٥ - **(عن عبد الله بن عمرو)** بالواو **(قال: مر بنا رسول الله ﷺ وأنا وأمي نطين)**

---

(١) الجامع الصغير ٢/ ٣٩٩ حديث رقم ٦٤٢١. (٢) الأربعين النووية حديث رقم ٤٠.

الحديث رقم ٥٢٧٥: أخرجه أبو داود في السنن ٥/ ٤٠١ حديث رقم ٥٢٣٦. والترمذي في السنن ٤/ ٤٩١ حديث رقم ٢٣٣٥ وابن ماجه في السنن ٢/ ١٣٩٣ حديث رقم ٤١٦٠. وأحمد في المسند ٢/ ١٦١.

شيئاً، فقال: «ما هذا يا عبدَ الله؟» قلت: شيءٌ نصلحُه. قال: «الأمرُ أسرعُ من ذلك». رواه أحمد، والترمذي، وقال: هذا حديثٌ غريب.

٥٢٧٦ - (٩) وعن ابن عبّاسٍ، أنَّ رسولَ الله ﷺ كانَ يُهريقُ الماءَ فيتيمَّمُ بالترابِ، فأقولُ: يا رسولَ الله! إنَّ الماءَ منكَ قريبٌ، يقولُ: «ما يُدريني لعلي لا أبلغُه». رواه في «شرح السنة»، وابن الجوزي في كتاب «الوفاء».

بتشديد الباء المكسورة، أي نصلح بالطين. (شيئاً) أي مكاناً أو جزءاً (من البيت فقال: ما هذا) أي استعمال الطين (يا عبد الله) أي لا عبد الهوى (قلت: شيء) أي من البيت (نصلحه) أي خوفاً من فساده أو زيادة على استحكامه واستبداده (قال: الأمر أسرع من ذلك) أي الأمر الذي ينبغي لنا أن نعمره وعلى تعمير بناء القدماء نعتبره أعجل مما ذكرته من أن تصلحه وتعمره: والظاهر أن عمارته لم تكن ضرورية بل كانت ناشئة عن أمل في تقويته أو صادرة عن ميل إلى زينته. قال الطيبي [رحمه الله]: أي كوننا في الدنيا كعابر سبيل أو راكب مستظل تحت شجرة أسرع مما أنت فيه من اشتغالك بالبناء. وقال شارح: أي الأجل أقرب من تخرب هذا البيت، أي تصلح بيتك خشية أن ينهدم قبل أن تموت وربما تموت قبل أن ينهدم، فإصلاح عملك أولى من إصلاح بيتك. (رواه أحمد والترمذي وقال: هذا حديث غريب) قال ميرك نقلاً عن المنذري: حديث عبد الله بن عمرو رواه أبو داود والترمذي وقال: حسن صحيح. وابن ماجه وابن حبان في صحيحه. وقال السيد جمال الدين رحمه الله: هذا الحديث بهذا اللفظ لم أجده في جامع الترمذي، ولكن أخرج عبد الله بن عمر وقال: مر علينا رسول الله ﷺ ونحن نعالج خصاً لنا قال: ما هذا. فقلنا: قد وهى فنحن نصلح. فقال: ما أرى الأمر إلا أعجل من ذلك. وقال: هذا حديث صحيح حسن.

٥٢٧٦ - (وعن ابن عباس أن رسول الله ﷺ كان يهريق الماء) بضم الياء وفتح الهاء ويسكن، أي يصب والماء كناية عن البول. فالمعنى أنه كان يبول أحياناً (فيتيمم بالتراب) أي أو ما يقوم مقامه لما ثبت أنه اكتفى بوضع يده على الجدار حال التيمم من غير وجود الغبار (فأقول: يا رسول الله إن الماء منك قريب) . أي فالتيمم حينئذ غريب (يقول:) استئناف (ما يدريني) ما للاستفهام (لعلي) للإشفاق، أي أخاف. (لا أبلغه) أي لا أصل الماء لمسارعة أجلي مبادراً، فأحب أن أكون حينئذ طاهراً باطناً وظاهراً. وما أبعد قول الأشرف وما أقربه إلى الوجه الأضعف حمل الحديث على معنى غير مناسب باباً ومبنى حيث قال: أي يستعمل الماء قبل الوقت فإذا لم يبق تيمم، والله [تعالى]أعلم. (رواه) أي البغوي (في شرح السنة وابن الجوزي في كتاب الوفا) اسم كتاب له أظنه في شرف المصطفى عليه [الصلاة]والسلام[1].

الحديث رقم ٥٢٧٦: أخرجه البغوي في شرح السنة ١٤/ ٢٣٢ حديث رقم ٤٠٣١ وأحمد في المسند ١/ ٢٨٨.

(١) اسم الكتاب «الوفا في فضائل المصطفى ﷺ».

٥٢٧٧ ـ (١٠) وعن أنس، أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «هذا ابنُ آدمَ وهذا أجلُه» ووضعَ يدَه عندَ قفاهُ، ثمَّ بسطَ، فقال: «وثَمَّ أملُه». رواه الترمذي.

٥٢٧٨ ـ (١١) وعن أبي سعيدٍ الخدريِّ، أنَّ النبيَّ ﷺ غرزَ عوداً بينَ يديهِ، وآخرَ إلى جنبِه، وآخرَ أبعدَ [منه]. فقال: «أتدرون ما هذا؟» قالوا: اللَّهُ ورسولُه أعلمُ. قال: «هذا الإنسانُ وهذا الأجلُ»

٥٢٧٧ ـ (وعن أنس أن النبي ﷺ قال: هذا ابن آدم) الظاهر أن هذا إشارة حسية إلى صورة معنوية، وكذا قوله: (وهذا أجله) وتوضيحه أنه أشار بيده إلى قدامه في مساحة الأرض أو في مسافة الهواء بالطول أو العرض. وقال: هذا ابن آدم. ثم أخرها وأوقفها قريباً مما قبله وقال: هذا أجله. (ووضع يده) أي عند تلفظه بقوله: هذا ابن آدم وهذا أجله. (عند قفاه) أي في عقب المكان الذي أشار به إلى الأجل (ثم بسط) أي نشر يده على هيئة فتح ليشير بكفه وأصابعه، أو معنى بسط وسع في المسافة من المحل الذي أشار به إلى الأجل. (فقال: وثم) بفتح المثلثة وتشديد الميم، أي هنالك. وأشار إلى بعد مكان ذلك (أمله) أي مأموله وهو مبتدأ خبره ظرف، قدم عليه للاختصاص والاهتمام. وخلاصة العبارات والاعتبارات أن هذه الإشارات المؤيدة بالبشارات المؤكدة بالحركات والسكنات القولية والفعلية المطابقة لما سبق من التصورات الصورية، إنما هو للإشارة المعنوية المنبهة من نوم الغفلة المبينة أن أجل ابن آدم أقرب إليه من أمله، وأن أمله أطول من أجله كما قال لله در قوله:

كل امرىء مصبح في أهله والموت أدنى من شراك نعله

هذا ما سنح [لي]في هذا المقام من توضيح المرام. وقال الطيبي [رحمه الله]ممتازاً عن سائر الشراح الفخام قوله: ووضع يده، الواو للحال. وفي قوله: وهذا أجله، للجمع مطلقاً. فالمشار إليه أيضاً مركب فوضع اليد على قفاه، معناه أن هذا الإنسان الذي يتبعه أجله هو المشار إليه، وبسط اليد عبارة عن مدها إلى قدام انتهى الكلام. (رواه الترمذي).

٥٢٧٨ ـ (وعن أبي سعيد الخدري أن النبي) وفي نسخة صحيحة: أن رسول الله (ﷺ غرز) أي أدخل في الأرض (عوداً) أي خشباً طويلاً (بين يديه وآخر إلى جنبه) أي وغرز عوداً آخر إلى جنب العود الأول (وآخر أبعد) أي من الثاني أو منهما (فقال: أتدرون ما هذا) أي مجموع ما فعلت. والمعنى: أتعلمون ما المراد بهذا الغرز، والتقرير: وما الغرض من هذا التصوير. (قالوا: الله ورسوله أعلم) أي بما في الضمير (قال: هذا الإنسان) أي العود الأول مثاله. (وهذا الأجل) أي وهذا العود الثاني المتصل إلى جنبه أجله، أي انتهاء عمره وانقطاع

الحديث رقم ٥٢٧٧: أخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٤٩١ حديث رقم ٢٣٣٤. وابن ماجه في السنن ٢/ ١٤١٤ حديث رقم ٤٢٣٢. وأحمد في المسند ٣/ ٢٥٧.

الحديث رقم ٥٢٧٨: أخرجه البغوي في شرح السنة ١٤/ ٢٨٦ حديث رقم ٤٠٩٣. وابن ماجه ٢/ ١٤١٤ حديث رقم ٤٢٣٢. وأحمد في المسند ٣/ ١٨.

أراه قال: «وهذا الأملُ، فيتعاطى الأملَ فلحقه الأجلُ دونَ الأملِ». رواه في «شرح السنة».

٥٢٧٩ ـ (١٢) وعن أبي هريرة، عن النبيِّ ﷺ، قال: «عُمُرُ أُمتي من ستينَ سنةً إلى سبعينَ». رواه الترمذي، وقال: هذا حديثٌ غريب.

٥٢٨٠ ـ (١٣) وعنه، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «أعمارُ أُمّتي ما بينَ الستينَ إلى السَّبعينَ، وأقلُّهم مَن يجوزُ ذلك».

عمله. (أراه) بضم الهمزة، أي قال الراوي: أظنه. (قال: وهذا الأمل) أي هذا العود الأبعد هو طول أمله ومآل آماله. (فيتعاطى) أي يتناول الإنسان (الأمل) بأن يباشره ويستعمله ويشتغل بما يأمله ويريد أن يحصله. (فلحقه الأجل) أي فيلحقه الموت قبل أن يصله. وعبر عن المضارع بالماضي مبالغة في تحقق حال وقوعه. (دون الأمل) أي قبل أن يتم أمله ويكمل عمله. قال الطيبي [رحمه الله]: دون الأمل حال من الضمير المنصوب، أي لحقه وهو متجاوز عما قصد من الأمل. قال أمية:

يا نفس ما لك دون الله من واقي

(رواه) أي البغوي (في شرح السنة).

٥٢٧٩ ـ (وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: عمر أمتي) أي غالباً (من ستين سنة إلى سبعين) قيل: معناه آخر عمر أمتي ابتداؤه إذا بلغ ستين سنة وانتهاؤه سبعون سنة، وقل من يجوز سبعين. وهذا محمول على الغالب بدليل شهادة الحال، فإن منهم من لم يبلغ ستين ومنهم من يجوز سبعين، ذكره الطيبي [رحمه الله]. وفيه أن اعتبار الغلبة في جانب الزيادة على سبعين واضح جداً، وأما كون الغالب في آخر عمر الأمة بلوغ ستين في غاية من الغرابة المخالفة لما هو ظاهر في المشاهدة. فالظاهر أن المراد به أن عمر الأمة من سن المحمود الوسط المعتدل الذي مات فيه غالب الأمة ما بين العددين، منهم سيد الأنبياء وأكابر الخلفاء كالصديق والفاروق والمرتضى وغيرهم من العلماء والأولياء مما يصعب فيه الاستقصاء ويعسر الاستحصاء. (رواه الترمذي وقال: هذا حديث غريب).

٥٢٨٠ ـ (وعنه) أي عن أبي هريرة (قال: قال رسول الله ﷺ: أعمار أمتي ما بين الستين إلى السبعين) أي نهاية أكثر أعمار أمتي غالباً ما بينهما (وأقلهم من يجوز ذلك) أي السبعين فيصل إلى المائة وما فوقها. وأكثر ما اطلعنا على طول العمر في هذه الأمة من المعمرين في الصحابة والأئمة سن[1] أنس بن مالك، فإنه مات وله من العمر مائة وثلاث سنين، وأسماء

الحديث رقم ٥٢٧٩: أخرجه الترمذي في السنن ٤/٤٨٩ حديث رقم ٢٣٣١.

الحديث رقم ٥٢٨٠: أخرجه الترمذي في السنن ٥/٥١٧ حديث رقم ٣٥٥٠. وابن ماجه ٢/١٤١٥ حديث رقم ٤٢٣٦.

(١) كذا في المخطوطة. ولعل الصواب أن يقال مثل.

رواه الترمذي، وابن ماجه.

وذُكر حديثُ عبدِ الله بنِ الشِّخيرِ في «باب عيادة المريض».

الفصل الثالث

٥٢٨١ ـ (١٤) عن عَمْرِو بنِ شُعيبٍ، عن أبيهِ، عن جدِّه، أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «أوَّلُ صلاحِ هذه الأمَّةِ اليقينُ والزُّهدُ، وأوَّلُ فسادِها البخلُ والأملُ».

بنت أبي بكر ماتت ولها مائة سنة ولم يقع لها سن ولم ينكر في عقلها شيء وأزيد منهما عمراً حسان بن ثابت مات وله مائة وعشرون سنة عاش منها ستين في الجاهلية وستين في الإسلام، وأكثر منه عمرا سلمان الفارسي فقيل: عاش مائتين وخمسين سنة، وقيل: ثلثمائة وخمسين سنة والأول أصح والله [تعالى]أعلم. ثم من تاريخ موته يفهم أنه عاش في الإسلام قليلاً، لأنه ذكر المؤلف أنه مات بالمدائن سنة خمس وثلاثين وقد أدركنا سيدنا السيد زكريا وسمعنا منه أن عمره مائة وعشرون سنة رحمه الله [تعالى]. (رواه الترمذي وابن ماجه) وكذا أبو يعلى في مسنده عن أنس قال ابن الربيع، وصححه ابن حبان والحاكم وقال: إنه صحيح على شرط مسلم[1]. وقال الترمذي: حسن غريب. وفي لفظ لأحمد والترمذي مرفوعاً: معترك المنايا ما بين الستين إلى السبعين انتهى. لكن في الجامع أسنده إلى الحكيم الترمذي والله [تعالى] أعلم[2]. (وذكر حديث عبد الله بن الشخير) بكسر الشين والخاء المشددة المعجمتين وضبط فيما سبق بدون لام التعريف. (في باب عيادة المريض) أي في أواخر الفصل الثاني وهو قال: قال رسول الله ﷺ: مثل ابن آدم أي صور وإلى جنبه تسع وتسعون منية، أي مهلكة. إن أخطأته المنايا وقع في الهرم حتى يموت. انتهى. ولا شك أن مناسبته هنا أظهر من هناك، فإن جملوه إليه فالحجة عليه وإن أسقط عن تكرار فقد يسلم لديه.

(الفصل الثالث)

٥٢٨١ ـ (عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن النبي ﷺ قال: **أول صلاح هذه الأمة اليقين**) أي في أمر العقبى (**والزهد**) أي في شأن الدنيا (**وأول فسادها البخل**) بضم فسكون وبفتحتين وهو الأنسب هنا لمشاكلة قوله: (**والأمل**) فالأمل إنما هو الغفلة عن سرعة القيامة الصغرى والكبرى، والبخل إنما ينشأ من حب الدنيا. ويقرب من هذا الحديث معنى قول الحسن البصري: صلاح الدين الورع وفساده الطمع. قال الطيبي [رحمه الله]: معناه أن اليقين

---

(١) الحاكم في المستدرك ٢/ ٤٢٧.

(٢) الجامع الصغير ٢/ ٥٠٠ حديث رقم ٨١٨٧.

الحديث رقم ٥٢٨١: رواه البيهقي في شعب الإيمان ٧/ ٤٢٧ حديث رقم ١٠٨٤٤.

رواه البيهقي في «شعب الإيمان».

٥٢٨٢ ـ (١٥) وعن سفيانَ الثوريّ، قال: ليسَ الزهدُ في الدنيا بلُبسِ الغليظِ والخشِنِ، وأكلِ الجَشِبِ؛ إنما الزهدُ في الدنيا قِصَرُ الأملِ.

بأن الله هو الرزاق المتكفل للأرزاق، وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها، فمن تيقن هذا زهد في الدنيا فلم يأمل ولم يبخل لأن البخيل إنما يمسك المال لطول الأمل وعدم اليقين. رُوِي عن الأصمعي أنه قال: تلوت على أعرابي: ﴿والذاريات﴾. فلما بلغت قوله: ﴿وفي السماء رزقكم وما توعدون﴾ [الذاريات ـ ٢٢]. قال: حسبك. وقام إلى ناقته فنحرها ووزعها على من أقبل وأدبر، وعمد إلى سيفه وقوسه فكسرهما وولى. فلقيته في الطواف قد نحل جسمه واصفر لونه فسلم علي واستقرأ السورة فلما بلغت الآية صاح وقال: قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً. قال: وهل غير هذا. فقرأت: ﴿فورب السماء والأرض أنه لحق﴾ [الذاريات ـ ٢٣]. فصاح وقال: يا سبحان الله من ذا الذي أغضب الجليل، حتى حلف فلم يصدقوه بقوله حتى ألجأه إلى اليمين قالها ثلاثاً وخرجت معها نفسه. (رواه البيهقي في شعب الإيمان).

٥٢٨٢ ـ (وعن سفيان الثوري) أي الكوفي إمام المسلمين وحجة الله على خلقه أجمعين، جمع زمنه بين الفقه والاجتهاد فيه. والحديث والزهد والعبادة والورع والعفة وإليه المنتهى في علم الحديث وغيره من العلوم، أجمع الناس على دينه وزهده وورعه وثقته، ولم يختلفوا في ذلك. وهو أحد الأئمة المجتهدين وأحد أقطاب الإسلام وأركان الدين. ولد في أيام سليمان بن عبد الملك سنة تسع وتسعين، سمع خلقاً كثيراً وروى عن معمر والأوزاعي وابن جريج ومالك وشعبة وابن عيينة وفضيل بن عياض وخلق كثير سواهم، مات سنة إحدى وستين ومائة ذكره المؤلف. (قال: ليس الزهد في الدنيا بلبس الغليظ) أي في الغزل (والخشن) بفتح فكسر، أي في النسج. (وأكل الجشب) بفتح الجيم وكسر الشين المعجمة، أي ولا يأكل الغليظ الجشب من الطعام. وقيل: غير المأدوم (إنما الزهد في الدنيا قصر الأمل) بكسر قاف ففتح صاد. وفي نسخة بضم فسكون، أي اقتصار الأمل والاستعداد للأجل بالمسارعة إلى التوبة والعلم والعمل. وحاصلة أن الزهد الحقيقي هو ما يكون في الحال القلبي من عزوب النفس عن الدنيا وميلها إلى العقبى، وليس المدار على الانتفاع القالبي فإنه يستوي الأمران فيه باعتبار الحقيقة، وإن كان التقشف في اللبس والتقلل في كمية الأكل وكيفيته له تأثير بليغ في استقامة العبد على الطريقة. والحاصل أن حب الدنيا في القلب هو المهلك للهالك لا وجودها على قالب السالك. وشبه القلب بالسفينة حيث إن الماء المشبه بالدنيا في قوله تعالى: ﴿إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء﴾ [يونس ـ ٢٤]. إن دخل داخل السفينة أغرقها مع أهلها، وإن كان خارجها وحولها سيرها وأوصلها إلى محلها. ولذا قال ﷺ: نعم المال الصالح للرجل الصالح. وقد اختار جماعة من الصوفية وأكابر الملامية لبس العوام وبعضهم لبس أكابر الفخام تستراً

الحديث رقم ٥٢٨٢: أخرجه البغوي في شرح السنة ١٤/٢٨٦.

رواه في «شرح السنة».

٥٢٨٣ - (١٦) وعن زيدِ بن الحسينِ، قال: سمعتُ مالكاً وسُئل أيُّ شيءٍ الزهدُ في الدنيا؟ قال: طيبُ الكَسبِ وقِصَرُ الأمل. رواه البيهقي في «شعب الإيمان».

لأحوالهم ومنازلهم الكرام ويتعدى عما ينادي لبس المرقع من الشكاية من الحق إلى الخلق وإلى السؤال بلسان الحال، ومن الطمع في غير المطمع ومن المظنة في موقع الرياء والسمعة. وقد أخرج الديلمي في مسند الفردوس عن أبي سعيد الخدري مرفوعاً: ليس البر في حسن اللباس والزي ولكن البر السكينة والوقار[١]. هذا والطرق إلى الله بعدد أنفاس الخلائق والمدار على الإخلاص والخلاص عن العلائق والعوائق. **(رواه في شرح السنة)**.

٥٢٨٣ - **(وعن زيد بن الحسين)** لم يذكره المؤلف في أسمائه لكونه من رواة مالك، وهو وشيخه ليسا من الصحابة والتابعين. **(قال: سمعت مالكاً وسئل)** أي والحال أنه سئل **(أي شيء الزهد في الدنيا قال: طيب الكسب)**. أي المكسوب من المأكول والمشروب بأن يكون حلالاً طيباً يورث علماً نافعاً وعملاً صالحاً لأنه قال تعالى للرسل: **﴿كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً﴾** [المؤمنون - ٥١]. وقال: **﴿يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا لله إن كنتم إياه تعبدون﴾** [البقرة - ١٧٢]. **(وقصر الأمل)** أي بكثرة العمل مخافة إتيان الأجل المزهد في الدنيا المرغب في العقبى. قال الطيبي رحمه الله: فإن قلت: أي مدخل لطيب الكسب في الزهد. قلت: هذا رد على من زعم أن الزهد في مجرد ترك الدنيا ولبس الخشن وأكل الجشب، أي ليس حقيقة الزهد ما زعمته بل حقيقته أن تأكل الحلال وتلبس الحلال وتقنع بالكفاف وتقصر الأمل. ونحوه قوله ﷺ: الزهادة في الدنيا ليست بتحريم الحلال ولا بإضاعة المال، ولكن الزهادة في الدنيا بأن لا تكون بما في يديك أوثق بما في أيدي الناس[٢]. انتهى. وتمامه على ما في الجامع برواية الترمذي وابن ماجه عن أبي ذر: وأن تكون في ثواب المصيبة إذا أنت أصبت بها أرغب منك فيها لو أنها أبقيت لك[٣]. وسيأتي هذا الحديث في أصل الكتاب من أواخر الباب. ونظيره أنه قيل للإمام محمد صاحب أبي حنيفة رحمهما الله تعالى: لم لم تصنف في التصوف فقال: صنفته وألفته. فقيل: ما هو. فقال: كتاب البيع فمن لم يعرف صحته وفساده يأكل حراماً ومن أكل حراماً لا يصلح حاله أبداً. **(رواه البيهقي في شعب الإيمان)**.

---

(١) لم أجده في مسند الفردوس.

الحديث رقم ٥٢٨٣: رواه البيهقي في شعب الإيمان ٧/ ٤٠٦٢ حديث رقم ١٠٧٧٩.

(٢) الترمذي في السنن ٤/ ٤٩٣ حديث رقم ٢٣٤٠. وفيه «أن لا تكون بما في يديك أوثق مما في يدي الله...».

(٣) الجامع الصغير ٢/ ٢٨١ حديث رقم ٤٥٩٣.

(٣) باب استحباب المال والعمر للطاعة

الفصل الأول

٥٢٨٤ ـ (١) عن سعدٍ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إنَّ اللَّهَ تعالى يُحبُّ العبدَ التَّقيَّ الغنيَّ الخفيَّ».

(باب استحباب المال والعمر للطاعة)

أي جواز طلب المال وطول العمر لصرفهما في الطاعة والعبادة.

(الفصل الأول)

٥٢٨٤ ـ (عن سعد) أي ابن أبي وقاص (قال: قال رسول الله ﷺ: إن الله يحب العبد التقي) أي من يتقي المناهي أو من لا يصرف ماله في الملاهي. وقيل: هو الذي يتقي المحرمات والشبهات ويتورع عن المشتبهات والمباحات. (الغني) قال النووي [رحمه الله]: المراد بالغنى غنى النفس وهذا هو الغنى المحبوب لقوله ﷺ: الغنى غنى النفس[1]. وأشار القاضي [رحمه الله]إلى أن المراد به غنى المال. قلت: وهذا هو المناسب لعنوان الباب وهو لا ينافي غنى النفس، فإنه الأصل في الغنى والفرد الأكمل في المعنى. ويترتب عليه غنى اليد الموجب لتحصيل الخيرات والمبرات في الدنيا ووصول الدرجات العاليات في العقبى. والحاصل أن المراد به الغنى الشاكر، وقد يستدل به على أنه أفضل من الفقير الصابر. لكن المعتمد خلافه لما سبق بيانه وتحقق برهانه. (الخفي) بالخاء المعجمة، أي الخامل المنقطع لعبادة ربه المشتغل بأمور نفسه، أو المخفي الخير بأن يعمله ويصرف ماله في مرضاة ربه حيث لا يطلع عليه غيره، الشامل للفقير أيضاً كما ورد: «حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه». وهو الأظهر. ورُوِيَ بالمهملة، أي المشفق. وقال النووي [رحمه الله]: معناه الواصل للرحم اللطيف بهم وبغيرهم من الضعفاء، والصحيح الأول، وفيه حجة لمن يقول: الاعتزال أفضل من الاختلاط، ومن قال بتفضيل الاختلاط تأول هذا بالاعتزال في وقت الفتنة. أقول: أو

الحديث رقم ٥٢٨٤: أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ٢٢٧٧ حديث رقم (١١ ـ ٢٩٦٥). وأحمد في المسند ١/ ١٧٧.

(١) البخاري في صحيحه ١/ ٧٧ حديث رقم ٦٤٤٦. ومسلم ٢/ ٧٢٦ حديث رقم ١٠٥١.

رواه مسلم.

وذُكر حديثُ ابن عمَر: «لا حسدَ إلا في اثنين» في «باب فضائل القرآن».

الفصل الثاني

٥٢٨٥ ـ (٢) عن أبي بكرةَ، أنَّ رجلاً قال: يا رسولَ الله! أيُّ النَّاسِ خيرٌ؟ قال: «مَن طالَ عمُرُه، وحسُنَ عملُه». قال: فأيُّ النَّاسِ شرٌّ؟ قال: «مَن طالَ عمُرُه وساءَ عملُه».

يحمل على اختلاط أرباب البطالة. وقال ابن الملك: أراد به الخفي عن أعين الناس في نوافله لئلا يدخله الرياء. وقيل: هو من لا يتكبر على الناس ولا يفتخر عليهم بالمال، بل يجعل نفسه منكسرة من التواضع. وقيل: أراد به قليل التردد والخروج إلى نحو الأسواق. **(رواه مسلم)** أي من طريق عامر بن سعد بن أبي وقاص ذكره الجزري. وقال في الجامع رواه أحمد ومسلم عن سعد بن أبي وقاص[1]. قال الطيبي [رحمه الله]: وفي بعض نسخ المصابيح: الحق بعد قوله: التقي النقي، بالنون ولم يوجد في صحيح مسلم وشراحه ولا في الحميدي وجامع الأصول. **(وذكر حديث ابن عمر: لا حسد إلا في اثنين)** أي رجل آتاه الله القرآن ورجل آتاه الله مالاً. **(في باب فضائل القرآن)** [صوابه في كتاب فضائل القرآن]. ثم لما كان الحديث مشتملاً على المعنيين المناسبين للبابين باعتبار الرجلين، والأول منهما متعلق بفضل القرآن خص به أولاً مقرراً، وصار الثاني مستدركاً [مكرراً].

(الفصل الثاني)

٥٢٨٥ ـ **(عن أبي بكرة)** بالتاء **(أن رجلاً قال: يا رسول الله أي الناس)** أي أي أصنافهم **(خير)** أي أخير **(قال: من طال عمره)** بضمتين على ما هو الأفصح الوارد في كلامه سبحانه، وبضم فسكون على ما هو المشهور على ألسنة العامة تخفيفاً، وفتح العين وسكون الميم لغة فيه، ومنه قوله تعالى: ﴿**لعمرك إنهم لفي سكرتهم يعمهون**﴾ [الحجر ـ ٧٢]. وفي القاموس: العمر بالفتح وبالضم، وبضمتين الحياة. **(وحسن عمله. قال: فأي الناس شر)** أي أشر **(قال: من طال عمره وساء عمله)** قال الطيبي [رحمه الله]: وقد سبق أن الأوقات والساعات كرأس المال للتاجر فينبغي أن يتجر فيما يربح فيه، وكلما كان رأس ماله كثيراً كان الربح أكثر، فمن مضى لطيبه فاز وأفلح ومن أضاع رأس

---

(١) راجع الحديث رقم (٧٠١).

(٢) الجامع الصغير ١/١١٦ حديث رقم ١٨٦٩.

الحديث رقم ٥٢٨٥: أخرجه الدارمي في السنن ٢/٣٩٨ حديث رقم ٢٧٤٢. والترمذي في السنن ٤/٤٨٩ حديث رقم ٢٣٣١. وأحمد في المسند ٥/٤٠.

رواه أحمد، والترمذي، والدارمي.

٥٢٨٦ ـ (٣) وعن عُبيد بن خالدٍ، أنَّ النبيَّ ﷺ آخى بين رجُلين، فقُتل أحدُهُما في سبيل الله ثمَّ مات الآخرُ بعده بجمعةٍ أو نحوها، فصلَّوا عليه، فقال النبيُّ ﷺ: «ما قلتم؟» قالوا: دعونا اللَّهَ أنْ يغفرَ له ويرحَمه، ويُلحقه بصاحبه. فقال النبيُّ ﷺ: «فأين صلاتُه بعدَ صلاتِه، وعملُه بعدَ عملِه؟» أو قال: «صيامُه بعدَ صيامِه؛ لمَا بينهما

ماله لم يربح وخسر خسراناً مبيناً انتهى. وبقي صنفان مستويان ليس فيهما زيادة من الخير والشر وهما من قصر عمره وحسن عمله، أو ساء عمله. (رواه أحمد والترمذي) وفي نسخة [وقال: حسن صحيح. (والدارمي) وكذا رواه الطبراني بإسناد صحيح والحاكم والبيهقي عنه. وروى الطبراني وأبو نعيم في الحلية عن عبد الله بن بسر مرفوعاً: طوبى لمن]طال عمره وحسن عمله. وروى الحاكم عن جابر مرفوعاً: خياركم أطولكم أعماراً وأحسنكم أعمالاً[1].

٥٢٨٦ ـ (وعن عبيد) بالتصغير (بن خالد) قال المؤلف في فصل الصحابة: سلمي بهزي مهاجري سكن الكوفة، روى عنه جماعة من الكوفيين. (أن النبي ﷺ آخى) أي عقد عقد الأخوة وبيعة الصحبة والمحبة (بين رجلين) أي من أصحابه (فقتل أحدهما) أي استشهد (في سبيل الله) أي في الجهاد (ثم مات الآخر) أي على فراشه (بعده) وفي نسخة: بعد بضم الدال مبنياً. والمعنى: بعد قتل أخيه. (بجمعة) أي بأسبوع (أو نحوها) أي قريباً منها تخميناً أقل أو أكثر، وإنما أتى به احتياطاً. (فصلوا) أي المسلمون (عليه) أي على الآخر (فقال النبي ﷺ: ما قلتم) [أي]في حقه من الكلام، وما للاستفهام. (قالوا: دعونا الله أن يغفر له) أي ذنوبه (ويرحمه) أي يتفضل عليه ويثيبه (ويلحقه) من الإلحاق أي يوصله (بصاحبه) أي في علو درجته لكي يكونا في منزلة واحدة من الجنة في العقبى كما كانا في مرتبة واحدة من المحبة في الدنيا. (فقال النبي ﷺ: فأين) جواب شرط مقدر، أي إذا كنتم تدعون الله بأن يلحقه بصاحبه زعماً منكم أن مرتبته دون مرتبة أخيه، فأين (صلاته) أي الزائدة للميت (بعد صلاته) أي الواقعة للشهيد (وعمله بعد عمله) تعميم بعد تخصيص، أو التقدير وسائر عمله أي عمل الميت بعد انقطاع عمل الشهيد. (أو قال:) شك من الراوي (صيامه بعد صيامه) ولعله كان في رمضان، أو المتخلف كان ممن يصوم النافلة كثيراً. (لما بينهما) قال ابن الملك: اللام فيه توطئة للقسم أو للابتداء. قلت: الثاني هو الصحيح لأن شرط الموطئة أن تكون مقرونة بأن الشرطية نحو قوله تعالى: ﴿لئن أشركت﴾ [الزمر ـ ٦٥]. الآية. نعم يمكن أن تكون اللام في جواب القسم المقدر، أي والله لما بينهما والمعنى للتفاوت الذي بين الأخوين في القرب عند الله تعالى.

---

(١) الحاكم في المستدرك ١/ ٣٣٩.

الحديث رقم ٥٢٨٦: أخرجه أبو داود في السنن ٣/ ٣٥ حديث رقم ٢٥٢٤. والنسائي في السنن ٤/ ٧٤ حديث رقم ١٩٨٥ وابن ماجه في السنن ٢/ ١٢٩٤ حديث رقم ٣٩٢٥. وأحمد في المسند ٣/ ٥٠٠.

أبعدُ ممَّا بينَ السَّماءِ والأرضِ» رواه أبو داود، والنسائي.

٥٢٨٧ ـ (٤) وعن أبي كبشة الأنماري، أنّه سمعَ رسولَ الله ﷺ يقول: «ثلاثٌ أُقسِمُ عليهنَّ، وأُحدِّثُكم حديثاً فاحفظوهُ، فأمّا الذي أُقسِم عليهنَّ فإنّه ما نقصَ مالُ عبدٍ من صَدقةٍ،

(أبعد مما بين السماء والأرض) يعني مرتبة الميت أعلى فإلحاق الشهيد به أولى، وذلك لأنه أيضاً كان مرابطاً في سبيل الله فله المشاركة في الشهادة حكماً وطريقة وله الزيادة في الطاعة والعبادة شريعة وحقيقة، وإلا فمن المعلوم أن لا عمل أزيد ثواباً على الشهادة جهاداً في سبيل الله وإظهاراً لدينه، لا سيما في مبادىء الدعوة مع قلة أعوانه من أهل الملة. وقال الطيبي [رحمه الله]: فإن قلت: كيف تفضل هذه الزيادة في العمل بلا شهادة على عمله معها. قلت: قد عرف ﷺ إن عمل هذا بلا شهادة ساوى عمله مع شهادته بسبب مزيد إخلاصه وخشوعه، ثم زاد عليه بما عمل بعده. وكم من شهيد لا يدرك شأناً والصديق في العمل انتهى. فتأمل، فإنه ليس في الحديث لشعار بقلة إخلاص الشهيد فهذا الظن بالصحابة ليس بالسديد، مع أنه لو كان هذا علة التفضيل لبينه ﷺ في وجه التعليل ولا كلام في الصديق إنه ممن تفضل عليه سبحانه بزيادة التوفيق مع أنه رضي الله تعالى عنه شهيد حكماً وقد قدم الله سبحانه مرتبة الصديقين على الشهداء في مواضع من كتابه والله أعلم. (رواه أبو داود والنسائي) رجال هذا الحديث رجال الصحيح، إلا عبد الله بن ربيعة السلمي عن عبيد بن خالد. قال النسائي: إنه صحابي، وعلى تقدير أن لا يكون صحابياً فهو تابعي ولم يذكره أحد بضعف. وأما عبيد بن خالد وهو أبو عبد الله السلمي البهزي فله صحبة ونزيل الكوفة. روى عنه عبد الله بن ربيعة وتميم بن سلمة وسعيد بن عبيدة نقله ميرك عن التصحيح. وفي التقريب عبد الله بن ربيعة بن فرقد السلمي ذكر في الصحابة، ونفاها أبو حاتم ووثقه ابن حبان انتهى. وسيأتي زيادة كلام في هذا المرام.

٥٢٨٧ ـ (وعن أبي كبشة الأنماري) قال المؤلف: هو عمرو بن سعيد نزل بالشام روى عنه سالم بن أبي الجعد ونعيم بن زياد. (أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: ثلاث) أي من الخصال (أقسم) أي أحلف (عليهم وأحدثكم) عطف على قوله: ثلاث، بحسب المعنى. فكأنه قال: أخبركم بثلاث أؤكدهن بالقسم عليهن وأحدثكم. (حديثاً) أي تحديثاً عظيماً أو بحديث (آخر فاحفظوه) أي الأخير أو المجموع. ومما يدل على ما اخترناه من التقدير المذكور والتحرير المسطور قوله: (فأما الذي أقسم عليهن) أي الذي أخبركم بثلاث وأحلف عليهن هو هذا الذي أبينه (فإنه) أي الشأن (ما نقص مال عبد) أي بركته (من صدقة) أي من أجل إعطاء صدقة لأنها مخلوفة معوضة كمية أو كيفية في الدار الدنيوية والأخروية. قال تعالى جلّ جلاله: ﴿وما أنفقتم

الحديث رقم ٥٢٨٧: أخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٤٨٧ حديث رقم ٢٣٢٥. وأخرجه ابن ماجه ٢/ ١٤١٣ حديث رقم ٤٢٢٨ وأحمد في المسند ٤/ ٢٣١.

ولا ظُلِمَ عبدٌ مظلِمةً صبرَ عليها إلاّ زادَه اللّهُ بها عزّاً، ولا فتحَ عبدٌ بابَ مسألةٍ إلاّ فتحَ اللّهُ عليه بابَ فقرٍ وأمّا الذي أحدِّثُكم فاحفَظوه» فقال: «إنما الدنيا لأربعةِ نفرٍ: عبدٌ رزقَه اللّهُ مالاً وعلماً، فهوَ يتّقي فيهِ ربّه، ويصِلُ رحِمَه، ويعملُ للّهِ فيه بحقه،

من شيء فهو يخلفه﴾. (ولا ظلم عبد) بصيغة المجهول (مظلمة) بفتح الميم وكسر اللام اسم ما أخذه الظالم ظلماً كذا ذكره ابن الملك. وفي القاموس: المظلمة بكسر اللام ما يظلمه الرجل. والظاهر أنه هنا مصدر بمعنى المفعول، صفته قوله: (صبر) أي العبد (عليها) أي على تلك الظلمة ولو كان متضمنة لنوع من المذلة. (إلا زاده الله بها عزا) أي عنده تعالى، كما أنه يزيد للظالم عنده ذلاً بها أو يزيده الله بها عزاله في الدنيا معاقبة كما يحصل للظالم ذل بها ولو بعد حين من المدة، بل ربما ينقلب الأمر ويجعل الظالم تحت ذل المظلوم جزاء وفاقاً. (ولا فتح عبد) أي على نفسه (باب مسألة) أي باب سؤال وطلب من الناس لا لحاجة وضرورة، بل لقصد غنى وزيادة. (إلا فتح الله عليه باب فقر) أي باب احتياج آخر وهلم جرا أو بأن سلب عنه ما عنده من النعمة فيقع في نهاية من النقمة كما هو مشاهد في أصحاب التهمة، ومثل حاله بالحمار الذي ليس له الذنب وهو دائر في الطلب، فدخل في بستان حريصاً عليه فقطع الحارس أذنيه. وشبه أيضاً بكلب في فمه عظم ومر على نهر لطيف يظهر من تحته عظم نظيف ففتح الكلب فمه حرصاً على أخذ ما في قعر الماء فوقع ما في فمه من العظم في الماء، فالحرص شؤم والحريص محروم. هذا وقال الطيبي [رحمه الله]في قوله: فأما الذي أقسم عليهن أفرده وذكره باعتبار كون المذكور موعود، أو جمع المرجع إلى الموصول باعتبار الخصال المذكورات، وبه فسر قوله تعالى: ﴿مثلهم كمثل الذي استوقد﴾ [البقرة ـ ١٧]. في وجه، أي الجمع أو الفوج. وفي المصابيح: أما اللاتي أقسم عليهن. وهو ظاهر وليس المراد تحقيق الحلف، بل تأكيده تنويهاً، فإن المدعي يثبت بذكر القسم تارة وأخرى بلفظ القسم انتهى. والأظهر أن يقال: التقدير: فأما قولي الذي أقسم فيه على الخصال الثلاث وأوكده فإنه إلى آخره. (وأما الذي أحدثكم حديثاً فاحفظوه فقال: إنما الدنيا) هو تفسير وبيان بل قال: جملة معترضة للتأكيد والتقدير: فإنما الدنيا. ويؤيده أنه ليس في الجامع لفظ: فقال، بل فيه: إنما الدنيا. (لأربعة نفر) أي كل واحد عبارة عن جمع وصنف. (عبد) بالجر ويرفع (رزقه الله مالاً وعلماً) فيه إيماء إلى أن العلم رزق أيضاً وأن الله تعالى هو الذي يرزق العلم والمال وبتوفيقه وفتحه يفتح باب الكمال. وقد ورد في حديث: إن علماً لا يقال به ككنز لا ينفق منه. فيدخل العلماء ولو كانوا فقراء في قوله تعالى: ﴿ومما رزقناهم ينفقون﴾ [البقرة ـ ٣]. ثم فيه اشعار بأن المراد بالمال هنا ما يزيد على قدر ضرورة الحال. (فهو يتقي فيه) أي في المال (ربه) بأن لا يصرف ماله في معصية خالقه (ويصل رحمه) أي بالمواساة إلى أقاربه (ويعمل لله فيه) أي في العلم (بحقه) أي قياماً بحق العلم وما يقتضيه من العمل بحق الله وحق عباده. ففيه لف ونشر مرتب، ويؤيده لفظ الجامع: ويعلم الله فيه حقاً. ويمكن رجوع كل من الضميرين إلى كل من المال والعلم. وأفرده باعتبار ما ذكر. وقال ابن الملك: أي بحق المال. والمعنى: يؤدي ما في المال من الحقوق كالزكاة والكفارة والنفقة وإطعام الضيف ويجوز كون المضمير لله أي بحق الله

فهذا بأفضلِ المنازلِ. وعبدٌ رزقَه اللّهُ علماً ولمْ يرزُقْه مالاً، فهوَ صادِقُ النيّةِ، يقولُ: لو أنَّ لي مالاً لعمِلتُ بعملِ فلانٍ؛ فأجرُهما سواءٌ. وعبدٌ رزَقه اللّهُ مالاً ولم يرزُقْه علماً، فهوَ يتخبَّطُ في مالِه بغيرِ علمٍ، لا يتَّقي فيه ربَّه، ولا يصِلُ فيه رحِمَه، ولا يعملُ فيه بحقٍّ؛ فهذا بأخبثِ المنازلِ. وعبدٌ لم يرزُقْه اللّهُ مالاً ولا علماً، فهوَ يقولُ: لو أنَّ لي مالاً لعملتُ فيه بعملِ فلانٍ، فهوَ نيَّتُه ووِزرُهُما سواءٌ». رواه الترمذي. وقال: هذا حديثٌ صحيح.

الواجب في المال. (**فهذا**) أي العبد الموصوف بما ذكر (**بأفضل المنازل**) أي في أكمل مراتب الشمائل في الدنيا، أو في أعلى الدرجات في العقبى. (**وعبد رزقه الله علماً ولم يرزقه مالاً فهو صادق النية**) أي ظاهره مطابق لما في الطوية. (**يقول**:) أي بلسان المقال أو بلسان الحال[1] (**لو أن لي مالاً لعملت بعمل فلان**) أي من أهل الخير (**فاجرهما سواء**) [وهو استئناف بيان أو حال] وفي الجامع فهو بينة فاجرهما سواء (**وعبد رزقه الله مالاً ولم يرزقه علماً فهو يتخبط**) وفي الجامع يخبط بكسر الباء بدون فهو، فهو حال أو استئناف بيان. والمعنى: يقوم وهو يقعد بالجمع والمنع. (**في ماله**) أو يختلف في حاله باعتبار الإنفاق والإمساك في ماله. (**بغير علم**) أي بغير استعمال علم بأن يمسك تارة حرصاً وحباً للدنيا وينفق أخرى للسمعة والرياء والفخر والخيلاء. (**لا يتقي فيه ربه**) أي لعدم علمه في أخذه وصرفه. (**ولا يصل فيه رحمه**) أي لقلة رحمه وعدم حلمه وكثرة حرصه وبخله (**ولا يعمل فيه بحق**) أي بنوع من الحقوق المتعلقة بالله وبعباده، ولفظ الجامع: ولا يعلم لله فيه حقاً (**فهذا بأخبث المنازل. وعبد لم يرزقه الله مالاً ولا علماً فهو يقول: لو أن لي مالاً لعملت فيه بعمل فلان**) أي من أهل الشر (**فهو نيته**) أي فهو مغلوب نيته ومحكوم طويته، أو الحمل بطريق المبالغة. فكأنه عين نيته كرجل عدل. وفي نسخة: فهو بنيته، وكذا في الجامع، أي مجزي بها ومعاقب عليها. ولما كان الظاهر أن إثمه بمجرد نيته دون إثم العامل المشتمل عمله على النية والمباشرة، أكد الوعيد وشدد التهديد بقوله: (**ووزرهما سواء**) ولفظ الجامع: فوزرهما سواء. قال الطيبي [رحمه الله]: فهو نيته، مبتدأ أو خبر، أي فهو يسيء النية يدل عليه وقوعه في مقابلة قوله: فهو صادق النية، في القرينة الأولى. وقوله: لو أن لي مالاً إلى آخره، تفسير لقوله: صادق النية. وقوله: فهو يقول: لو أن لي مالاً إلى آخره، مقابل له، قوله: فاجرهما سواء، وقوله: ووزرهما سواء، متقابلان. قال ابن الملك: هذا الحديث لا ينافي خبر: إن الله تجاوز عن أمتي ما وسوست به صدورها ما لم تعمل به لأنه عمل هنا بالقول اللساني، والمتجاوز عنه هو القول النفساني انتهى. والمعتمد ما قاله العلماء المحققون: إن هذا إذا لم يوطن نفسه ولم يستقر قلبه بفعلها، فإن عزم واستقر يكتب معصية وإن لم يعمل ولم يتكلم وقد تقدم والله [تعالى]أعلم. (**رواه الترمذي وقال: هذا حديث صحيح**). قال المنذري: حديث أبي كبشة رواه أحمد والترمذي واللفظ له وقال: حسن

---

(١) في المخطوطة عبارة «وهذا استئناف بيان أو حال».

٥٢٨٨ ـ (٥) وعن أنسٍ، أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «إنَّ الله تعالى إذا أرادَ بعبدٍ خيراً استعملَه». فقيلَ: وكيفَ يستعملُه يا رسولَ الله؟ قال: «يُوفِّقهُ لعمل صالحٍ قبلَ الموتِ». رواه الترمذي.

صحيح. وابن ماجه بمعناه ذكره ميرك. وفي الجامع وكذا رواه أحمد في مسنده[١]، وروى ابن أبي الدنيا في ذم الغضب عن عبد الرحمٰن بن عوف صدر الحديث فقط ولفظه: ثلاث أقسم عليهن، ما نقص مال قط من صدقة فتصدقوا ولا عفا رجل عن مظلمة ظلمها إلا زاده الله تعالى [جلّ جلاله] بها عزا فاعفوا يزدكم الله عزاً، ولا فتح رجل باب مسألة يسأل الناس إلا فتح الله عليه باب فقر. فهذا يدل على أن الحديث الأول مركب من حديثين جمعهما الراوي وجعلهما حديثاً واحداً. ومما يدل عليه أن لفظ الجامع عن الأنماري: ثلاث أقسم عليهن إلى قوله: باب فقر. ثم قال: وأحدثكم حديثاً فاحفظوه، إنما الدنيا الخ. فالتفسيرات المحتاجة إلى التأويلات إنما هي من تصرفات بعض الرواة والله [تعالى]أعلم.

٥٢٨٨ ـ (**وعن أنس أن النبي ﷺ قال: إن الله تعالى إذا أراد بعبد خيراً**) أي في عاقبته (**استعمله**) أي جعله عاملاً (**في الطاعة**) فإنه الفرد الأكمل عند إطلاق العمل (**فقيل: وكيف يستعمله يا رسول الله**) أي والحال أنه دائم الاستعمال (**قال: يوفقه لعمل صالح قبل الموت**) أي حتى يموت على التوبة والعبادة فيكون له حسن الخاتمة. وزاد في الجامع: ثم يقبضه عليه. (**رواه الترمذي**) أي وقال: صحيح الإسناد. نقله ميرك عن التصحيح. ورواه الحاكم وقال: صحيح على شرطهما، ذكره المنذري[٢]. وفي الجامع رواه أحمد والترمذي وابن حبان والحاكم[٣]، ورواه الطبراني عن أبي أمامة ولفظه: إذا أراد الله بعبد خيراً طهره قبل موته. قالوا: وما طهر العبد قال: عمل صالح يلهمه إياه حتى يقبضه عليه[٤]. ورواه أحمد والطبراني عن أبي عتبة ولفظه: إذا أراد الله بعبد خيراً عسله، بفتح العين والسين المهملة. قالوا: وما عسله، بالضبط المذكور على الحكاية: قال: يفتح له عملاً صالحاً قبل موته ثم يقبضه عليه[٥]. ورواه أحمد والحاكم عن عمرو بن الحمق، بفتح فكسر ولفظه: إذا أراد الله بعبد خيراً استعمله، قيل: وما استعمله. قال: يفتح له عملاً صالحاً بين يدي موته حتى يرضى عنه من حوله[٦]. هذا ورواه أحمد وابن حبان عن أبي سعيد مرفوعاً: إن الله إذا رضي عن العبد أثنى عليه بسبعة أصناف من الخير لم يعمله، وإذا سخط على العبد أثنى عليه بسبعة أصناف من الشر لم يعمله[٧]، انتهى. وكان العمل في الموضعين مبني على نيته، أو محمول على أخذ عبادة ظالم المظلوم ووضع مظلمة من مظلوم على ظالم والله [تعالى] أعلم.

---

(١) الجامع الصغير ١/ ٢٠٧ حديث رقم ٣٤٥٠.

الحديث رقم ٥٢٨٨: أخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٣٩٢ حديث رقم ٢١٤٢. وأحمد في المسند ٣/ ١٠٦.

(٢) الحاكم في المستدرك ٤/ ٦٠٨.
(٣) الجامع الصغير ١/ ٢٩ حديث رقم ٣٨٠.
(٤) الجامع الصغير ١/ ٢٩ حديث رقم ٣٨٢.
(٥) أحمد في المسند ٤/ ٢٠٠.
(٦) أحمد في المسند ٥/ ٢٢٤.
(٧) أحمد في المسند ٣/ ٣٨.

٥٢٨٩ ـ (٦) وعن شدّادِ بن أوْسٍ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «الكَيِّسُ مَن دانَ نفسَه، وعمِلَ لما بعدَ الموتِ. والعاجِزُ مَن أتْبعَ نفسَه هَواها، وتمنّى على اللّهِ». رواه الترمذي، وابن ماجه.

٥٢٨٩ ـ (وعن شداد) بتشديد الدال الأولى (ابن أوس) بفتح فسكون، قال المؤلف: يكنى أبا يعلى الأنصاري. قال عبادة بن الصامت وأبو الدرداء: كان شداد ممن أوتي العلم والحلم. (قال: قال رسول الله ﷺ: الكيس) بفتح الكاف وتشديد الياء، أي العاقل الحازم المحتاط في الأمور. (من دان نفسه) أي جعلها دنية مطيعة لأمره تعالى منقادة لحكمه وقضائه وقدره. وفي النهاية: أي أذلها واستعبدها، وقيل: حاسبها. وذكر النووي أنه قال الترمذي وغيره من العلماء: معنى دان نفسه حاسبها انتهى. أي حاسب أعمالها وأحوالها وأقوالها في الدنيا، فإن كانت خيراً حمد الله تعالى، وإن كانت شراً تاب منها واستدرك ما فاتها قبل أن يحاسب في العقبى، كما رُوِيَ: حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا. وقد قال تعالى: ﴿ولتنظر نفس ما قدمت لغد﴾ [الحشر ـ ١٨]. (وعمل) أي عملاً نافعاً (لما بعد الموت. والعاجز) أي عن استعمال العقل والاحتياط في الأمر. والحاصل أن الكيس هو المؤمن القوي، والعاجز هو المؤمن الضعيف وهو (من أتبع نفسه هواها) من الاتباع أي جعلها تابعة لهواها من تحصيل المشتهيات واستعمال اللذات والشبهات، بل من ارتكاب المحرمات وترك الواجبات. (وتمنى على الله) قائلاً: ربي كريم رحيم. وقد قال تعالى جلّ شأنه: ﴿ما غرك بربك الكريم﴾ [الانفطار ـ ٦]. وقال: ﴿نبىء عبادي أني أنا الغفور الرحيم وأن عذابي هو العذاب الأليم﴾ [الحجر ـ ٤٩ ـ ٥٠]. وقال: ﴿إن رحمت الله قريب من المحسنين﴾ [الأعراف ـ ٥٦]. وقال: ﴿إن الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله﴾ [البقرة ـ ٢١٨]. وقد عبر عن الرجاء مع غير الطاعة بلفظ التمني إشارة إلى أن وقوعه قريب من المحال وإن كان يمكن صدوره من الملك المتعال على طريق الإفضال. قال الطيبي [رحمه الله]: والعاجز الذي غلبت عليه نفسه وعمل ما أمرته به نفسه فصار عاجزاً لنفسه فاتبع نفسه هواها وأعطاها ما اشتهته، قوبل الكيس بالعاجز. والمقابل الحقيقي للكيس السفيه الرأي، وللعاجز القادر ليؤذن بأن الكيس هو القادر والعاجز هو السفيه، وتمنى على الله أي يذنب ويتمنى الجنة من غير الاستغفار والتوبة. (رواه الترمذي وابن ماجه) وكذا أحمد والحاكم[١].

الحديث رقم ٥٢٨٩: أخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٥٥٠ حديث رقم ٢٤٥٩. وأخرجه ابن ماجه ٢/ ١٤٢٣ حديث رقم ٤٢٦٠ وأحمد في المسند ٤/ ١٢٤.

(١) الحاكم في المستدرك ١/ ٥٧.

الفصل الثالث

٥٢٩٠ ـ (٧) عن رجلٍ منْ أصحابِ النبيِّ ﷺ، قال: كنَّا في مجلسٍ، فطلعَ علينا رسولُ الله ﷺ وعلى رأسِه أثرُ ماءٍ فقلنا: يا رسولَ الله! نراكَ طيِّبَ النَّفسِ. قال: «أجلْ». قال: ثمَّ خاضَ القومُ في ذكرِ الغِنى، فقال رسولُ الله ﷺ: «لا بأسَ بالغِنى لِمن اتقى اللهَ عزَّ وجلَّ، والصحَّةُ لمنِ اتقى خيرٌ منَ الغِنى، وطِيبُ النَّفسِ منَ النَّعيمِ». رواه أحمد.

٥٢٩١ ـ (٨) وعن سُفيان الثوريِّ، قال: كانَ المالُ فيما مضى يُكرَه، فأما اليوم فهوَ تُرسُ المؤمنِ.

(الفصل الثالث)

٥٢٩٠ ـ (عن رجل) سيأتي اسمه من أصحاب النبي ﷺ (قال: كنا في مجلس فطلع علينا رسول الله ﷺ) أي فظهر لنا كطلعة الشمس (وعلى رأسه أثر ماء) أي من الغسل (فقلنا: يا رسول الله نراك طيب النفس) أي ظاهر البشر والسرور ومنشرح الخاطر على ما يتلألأ منك من النور (قال: أجل) بفتحتين وسكون اللام المخففة، أي نعم. (قال:) أي الرجل الراوي (ثم خاض القوم) أي شرعوا وبالغوا (في ذكر الغنى) أي في سؤاله او ذم حاله وسوء مآله. (فقال رسول الله ﷺ: لا بأس بالغنى لمن اتقى الله عزَّ وجلّ) أشار بقوله: لا بأس، أن الفقر أفضل لمن اتقى الله. (والصحة) أي صحة البدن ولو مع الفقر لمن اتقى. (خير من الغنى) أي مطلقاً، أو المعنى وصحة الحال لمن اتقى المال خير من الغنى الموجب للحساب والعقاب في المآل. (وطيب النفس) أي انشراح الصدر المقتضي للشكر والصبر المستوي عنده الغنى والفقر. (من النعيم) أي من جملة النعيم الذي يعبر عنه بجنة نعيم على ما قاله بعض العارفين في قوله تعالى: ﴿ولمن خاف مقام ربه جنتان﴾ [الرحمٰن ـ ٤٦]. جنة في الدنيا وجنة في العقبى. وقيل: من النعيم المسؤول عنه المذكور في قوله تعالى: ﴿ثم لتسألن يومئذ عن النعيم﴾ [التكاثر ـ ٨]. وهو لا ينافي ما ذكرناه فإنه الفرد الأكمل من جنس النعيم الذي لا ينبغي أن يقال لغيره بالنسبة إليه إنه النعيم، فإن ما عداه قد يعد كونه من الماء الحميم أو من عذاب الجحيم. (رواه أحمد) وكذا ابن ماجه والحاكم عن يسار بن عبد على ما في الجامع[1]. فتبين إبهام الرجل مع أن جهالة الصحابي لا تضر، فإن الصحابة كلهم عدول.

٥٢٩١ ـ (وعن سفيان الثوري قال: كان المال فيما مضى يكره) أي عند أرباب الحال (فأما اليوم) أي في هذا الزمان (فهو ترس المؤمن) أي جنته من جنته وجنته[2] بلاء منه.

الحديث رقم ٥٢٩٠: أخرجه ابن ماجه في السنن ٢/ ٧٢٤ رقم ٢١٤١. وأحمد في المسند ٥/ ٣٧٢.

(١) الجامع الصغير ٢/ ٥٧٦ حديث رقم ٩٧٠٩ والحديث أخرجه الحاكم في المستدرك ٢/ ٣.

الحديث رقم ٥٢٩١: أخرجه البغوي في شرح السنة ١٤/ ٢٩٠ حديث رقم ٤٠٩٨.

(٢) في المخطوطة بدل كلمتين «جنته».

وقال: لولا هذهِ الدَّنانيرُ لتمندلَ بنا هؤلاءِ الملوكُ. وقال: مَن كانَ في يدِه من هذه شيءٌ فليُصلحه، فإنّه زمانٌ إن احتاجَ كانَ أوّلَ مَن يبذلُ دينَه وقال: الحَلالُ لا يحتملُ السَّرَف. رواه في «شرح السنة».

٥٢٩٢ ـ (٩) وعن ابنِ عبَّاسٍ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «يُنادي مُنادٍ يومَ القيامةِ:

وحاصله أن المال الحلال يقي صاحب الحال من الوقوع في الشبهة والحرام ويمنعه من ملازمة الظلمة ومصاحبتهم في الظلام، أو يستتر به المؤمن عن الرياء والسمعة والشهرة عند العوام. (وقال: لولا هذه الدنانير) أي وجودها عندنا وظهور استغنائنا بها عند الخلق (لتمندل بنا هؤلاء الملوك) أي لجعلونا مناديل أوساخهم وهي كناية عن الابتذال والمذلة للظلمة، أو عن موافقتهم في تصويرات إساءة حيل المسألة. قيل: هو مأخوذ من الندل وهو الوسخ. قيل لبعضهم: إن المال يدنيك من الدنيا، فقال: لئن أدناني من الدنيا لقد صانني عنها. وقيل: لأن أترك مالاً يحاسبني الله عليه خير من أن أحتاج إلى الناس. يعني: احتياجي إلى الله خير من احتياجي إلى ما سواه. وقد أخرج الطبراني في الأوسط عن المقدام بن معدي كرب مرفوعاً به: يأتي على الناس زمان من لم يكن معه أصفر ولا أبيض لم يتهن بالعيش. وهو عند الإمام أحمد بلفظ: يأتي على الناس زمان لا ينفع فيه إلا الدرهم والدينار. هذا وقد قيل: الدراهم للجراحات مراهم. (وقال:) أي الثوري (من كان في يده من هذه) أي الدنانير والأموال (شيء) أي قليل على قدر الكفاية (فليصلحه) أي ليصرفه على وجه القناعة أو لا يتلفه بل يستزده بنوع من التجارة (فإنه) أي زماننا (زمان) أي عجيب من وصفه (إن احتاج) أي الشخص فيه (كان أول من يبذل دينه) أي لتحصيل دنياه، وأول منصوب وقيل مرفوع. قال الطيبي [رحمه الله]: أي كان ذلك الشخص أول شخص يبذل دينه فيما يحتاج إليه هو، ولو حمل من على ما كما نقل المالكي عن قطرب لكان أبين. ويؤيده رواية الكشاف: كان أول ما يأكل دينه. فما موصوفة وأول اسم كان ودينه خبره. قلت: ويمكن عكسه، بل هو الأظهر فتدبر. (وقال:) أي الثوري (الحلال) أي لأنه قليل الوجود في المال (لا يحتمل السرف) أي صرفه بالإكثار. قال الطيبي [رحمه الله]: يحتمل معنيين، أحدهما أن الحلال لا يكون كثيراً فلا يحتمل الإسراف، وثانيهما أن الحلال لا ينبغي أن يسرف فيه ثم يحتاج إلى الغير انتهى. وفي كل منهما نظر إذ معنى الإسراف هو التجاوز عن الحد بأن يصرفه في غير محله زيادة على قدره، وهو يحتمل في القليل والكثير ويشمل المال الحلال والحرام. فالأوجه أن يقال: إن الحلال من خاصيته أنه لا يقع في الإسراف كصرفه في الماء والطين بلا ضرورة، وكزيادة إعطاء الأطعمة على طريق الرياء والسمعة. ولذا قيل: لا سرف في خير ولا خير في سرف. وفيه تنبيه أنه ينبغي للطالب أن يجتهد في تحصيل الحلال ولو كان القليل من المال وأن يقنع به ولا يصرفه على طريق الإسراف لئلا يحوج نفسه إلى الأكابر والأشراف. (رواه في شرح السنة).

٥٢٩٢ ـ (وعن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: ينادي مناد يوم القيامة

الحديث رقم ٥٢٩٢: رواه البيهقي في شعب الإيمان ٧/ ٢٦٤ حديث رقم ١٠٢٥٤.

أينَ أبناءُ الستينَ؟ وهوَ العمرُ الذي قال اللهُ تعالى: ﴿أوَ لم نُعمّرْكم ما يتذكّرُ فيه مَن تذكّرَ وجاءكُم النّذيرُ﴾. رواه البيهقي في «شعب الإيمان».

٥٢٩٣ - (١٠) وعن عبدِ الله بنِ شَدَّادٍ، قال: إنَّ نفراً منْ بَني عُذْرَةَ ثلاثةً أتوا النبيَّ ﷺ، فأسلموا، قال رسولُ الله ﷺ: «مَنْ يكفينيهم؟» قال طلحةُ: أنا. فكانوا عندَه، فبعثَ النبيُّ ﷺ بَعْثاً، فخرج فيه أحدُهم، فاستشهدَ، ثمّ بعثَ بَعْثاً فخرج فيه الآخر، فاستشهد، ثم ماتَ الثالثُ على فراشه؛ قال: قال طلحة: فرأيتُ هؤلاءِ الثلاثةَ في الجنة، ورأيتُ الميت على فراشه أمامهم والذي استشهد آخراً يليه، وأوّلَهم يليه، فدخلني من ذلك،

أين أبناء الستين) أي أصحابها ممن وصل عمره إليها (وهو العمر الذي قال الله تعالى:) أي في حقه (﴿أو لم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر﴾) قال الطيبي [رحمه الله]: ما موصوفة، أي عمرناكم عمراً يتعظ فيه العاقل الذي من شأنه أن يتعظ. (﴿وجاءكم النذير﴾)[1] أي المنذر أو الانذار وهو الشيب، أو القرآن أو الرسول أو الموت أو جنس المنذر فيشمل الكل، والجملة حالية. (رواه البيهقي في شعب الإيمان) وقد سبق ما يتعلق به رواية ودراية.

٥٢٩٣ - (وعن عبد الله بن شداد) تابعي جليل كما سيجيء بيانه ولم يذكره المؤلف في أسمائه. (قال: إن نفراً من بني عذرة) بضم فسكون، قبيلة مشهورة. (ثلاثة) بالنصب بدلاً، أو بياناً من نفراً. (أتوا النبي ﷺ) أي جاؤوه[2] (فأسلموا) أي وأرادوا الإقامة بنية المجاهدة وهم من أهل الفقر والفاقة. (قال رسول الله ﷺ:) استئناف بيان (من يكفينيهم) أي مؤنتهم من طعامهم وشرابهم ونحو ذلك. قال الطيبي [رحمه الله]: هم ثاني مفعوليّ يكفي على تقدير مضاف. (قال طلحة: أنا) أي أكفيكهم[3] (فكانوا) أي الثلاثة أو النفر (عنده) أي عند أبي طلحة (فبعث النبي ﷺ بعثاً) أي أرسل سرية، فالبعث بمعنى المبعوث. (فخرج فيه) أي في ذلك البعث (أحدهم فاستشهد) بصيغة المجهول أي صار شهيداً (ثم بعث بعثاً فخرج فيه الآخر فاستشهد ثم مات الثالث على فراشه) أي مرابطاً ناوياً للجهاد (قال:) أي ابن شداد (قال طلحة: فرأيت) أي في المنام أو في كشف المقام (هؤلاء الثلاثة في الجنة ورأيت الميت على فراشه) أي الكائن عليه (أمامهم) بفتح الهمزة أي قدامهم. قال الطيبي [رحمه الله]: الظاهر أن يقال: أمامهما، إلا أن يقال: المراد المقدم من بينهم، أو يذهب إلى أن أقل الجمع اثنان. (والذي) عطف على الميت. وفي نسخة: فالذي (استشهد آخراً يليه) أي يقرب الميت (وأولهم) بالنصب. وقيل برفعه. (يليه) أي يلي المستشهد آخراً (فدخلني) أي شيء أو إشكال (من ذلك)

---

(١) سورة فاطر. آية رقم ٣٧. (٢) في المخطوطة جاؤوا.

الحديث رقم ٥٢٩٣: أخرجه أحمد في المسند ١/ ١٦٣.

(٣) في المخطوطة «أكفيهم».

فذكرت للنبيِّ ﷺ ذلك، فقال: «وما أنكرتَ من ذلك؟! ليسَ أحدٌ أفضلَ عند الله من مؤمنٍ يعمَّر في الإسلام، لتسبيحه وتكبيره وتهليله».

٥٢٩٤ - (١١) وعن محمد بن أبي عميرةَ - وكان من أصحابِ رسول الله ﷺ - قال: إنَّ عبداً لو خرَّ على وجهه من يوم وُلد إلى أن يموتَ هرماً في طاعة الله لحقَّرَهُ

أي مما رأيته من التقديم والتأخير على خلاف ما كان يخطر في الضمير، والفاعل محذوف على مذهب ابن مالك. (فذكرت للنبي ﷺ ذلك) الفاء فصيحة، أي فجئت رسول الله ﷺ وذكرت له ذلك مستغرباً ومستنكراً. (فقال: ومّا أنكرت) أي وأي شيء أنكرته (من ذلك) والمعنى لا تنكر شيئاً منه فإنه (ليس أحد أفضل عند الله) فالاستئناف مبين متضمن للعلة، أي ليس أحد أكثر ثواباً عنده سبحانه. (من مؤمن يعمر) بتشديد الميم المفتوحة، أي يطول عمره. (في الإسلام لتسبيحه) أي لأجل تسبيحه (وتكبيره وتهليله) أي ونحو ذلك من سائر عباداته القولية والفعلية. ولفظ الجامع رواية عن أحمد: لتكبيره وتحميده وتسبيحه وتهليله. قال ميرك: حديث عبد الله ابن شداد رواه أحمد وأبو يعلى ورواتهما رواة الصحيح، وفي أوله عند أحمد إرسال، لكن وصله أبو يعلى بذكر طلحة فيه كذا قاله المنذري في الترغيب، وكأنه يشير إلى أن عبد الله بن شداد ليست له صحبة وإن ولد على عهد النبي ﷺ، كما ذكره العجلي أنه من كبار التابعين الثقات، وكان معدوداً في الفقهاء ولم يصرح في هذا الحديث عند أحمد بالسماع بل قال: إن نفراً الخ. وصرح أبو يعلى بأنه رواه عن طلحة. ومما ناسب حديث عبد الله بن شداد هذا وحديث عبيد بن خالد الذي سبق في الفصل الثاني، ما رواه أحمد بإسناد حسن عن أبي هريرة قال: كان رجلان من بني قضاعة أسلما مع رسول الله ﷺ فاستشهد أحدهما وأخر الآخر سنة. قال طلحة بن عبيد الله: فرأيت المؤخر منهما أدخل الجنة قبل الشهيد فتعجبت لذلك فأصبحت فذكرت ذلك للنبي ﷺ. فقال رسول الله ﷺ: أليس قد صام بعده رمضان وصلى ستة آلاف [ركعة]وكذا وكذا ركعة صلاة سنة. ورواه ابن ماجه وابن حبان في صحيحه والبيهقي، كلهم عن طلحة بنحوه: أطول منه. وزاد ابن ماجه في آخره: فلما بينهما أبعد مما بين السماء والأرض[1].

٥٢٩٤ - (وعن محمد بن أبي عميرة) بفتح العين وكسر الميم. قال المؤلف: مزني يعد في الشاميين روى عنه جبير بن نفير. (وكان من أصحاب رسول الله ﷺ قال: إن عبد لو خر) بفتح الخاء المعجمة وتشديد الراء، أي سقط. (على وجهه من يوم ولد) بفتح الميم على البناء، وقيل بجرها منوناً. (إلى أن يموت هرماً) بفتحتين، أي ذا هرم. وفي نسخة بكسر الراء، أي شيخاً كبيراً. (في طاعة الله لحقره) بتشديد القاف، أي بعده قليلاً لما يرى من ثواب العمل.

---

(١) الحديث الذي في الفصل الثاني (٥٢٨٦) رواه عبيد بن خالد وليس أبو هريرة وحديث أبي هريرة أخرجه أحمد في المسند ٢/ ٣٣٣.

الحديث رقم ٥٢٩٤: أخرجه أحمد في المسند ٤/ ١٨٥.

في ذلك اليوم، ولوَدَّ أنه رُدَّ إلى الدُّنيا كيما يزداد من الأجر والثَّواب. رواهما أحمد.

(٤) باب التوكل والصبر

(في ذلك اليوم ولوّد) أي لأحب وتمنى (أنه رد إلى الدنيا كيما يزداد) أي ليزيد (من الأجر والثواب) أي من أجر العمل بمقتضى الوعد والعدل وزيادة المثوبة على طريق الفضل. (رواهما) أي الحديثين (أحمد) أي في مسنده. لكن الثاني رواه موقوفاً والأوّل رواه مرسلاً كما تقدم والله [تعالى]أعلم. وروى أحمد والبخاري في تاريخه والطبراني عن عتبة بن عبد [الله][1] مرفوعاً: لو أن رجلاً يخر على وجهه من يوم ولد إلى يوم يموت هرماً في مرضاة الله لحقره يوم القيامة[2].

(باب التوكل والصبر)

قال تعالى: ﴿ومن يتوكل على الله فهو حسبه﴾ [الطلاق - ٣]. ﴿إن الله يحب المتوكلين﴾ [آل عمران - ١٥٩]. وقال: ﴿واصبر وما صبرك إلا بالله﴾ [النحل - ١٢٧]. ﴿إن الله مع الصابرين﴾ [البقرة - ١٥٣، الأنفال - ٤٦]. جمع بينهما لتلازمهما ودم انفكاكهما. وقدم التوكل لأنه منتج الصبر وبه يحلو المرء ويتكشف الضر، فإن النصر مع الصبر ومن توكل على الله كفاه. وقال بعضهم: التوكل على أحد هو أن يتخذه[3] بمنزلة الوكيل القائم بأمره المتكفل بإصلاح حاله على قدره. وقال ابن الملك: المراد بالتوكل هو أن يتيقن أنه لا يصيبه إلا ما كتب الله عليه من النفع والضر انتهى. والصبر على مراتب من حبس النفس عن المناهي وعن المشتهيات والملاهي وعلى تحمل المشقات في أداء العبادات، وعلى تجرع المرارات عند حصول المصيبات ووصول البليات. هذا وفي النهاية يقال: توكل بالأمر إذا ضمن القيام به، ووكلت أمري إلى فلان أي ألجأت إليه واعتمدت فيه عليه، ووكل فلان فلاناً إذا استكفاه أمره ثقة بكفايته، أو عجزاً عن القيام بأمر نفسه. والوكيل هو القيم الكفيل بأرزاق العباد. وحقيقته أنه مستقل بأمر الموكول إليه. وقال الراغب: الصبر الإمساك في ضيق، يقال: صبرت الدابة حبستها بلا علف، والصبر حبس النفس على ما يقتضيه العقل والشرع، أو عما يقتضيان حبسها عنه. فالصبر لفظ عام، وربما خولف بين أسمائه بحسب اختلاف مواقعه، فإن كان حبس النفس لمصيبة[4] سمي صبراً لا غير، ويضاده الجزع. وإن كان في محاربة سمي شجاعة ويضاده الجبن، وإن كان في نائبة مضجرة سمي رحب الصدر ويضاده الضجر، وإن كان

(١) كذلك في المسند لم يذكر أنه عبد الله بل قال عن عتبة بن عبد.

(٢) أحمد في المسند ٤/ ١٨٥.

(٣) في المخطوطة «فيجده». (٤) في المخطوطة «لمصيبة».

الفصل الأول

٥٢٩٥ ـ (١) عن ابن عباس، قال: قال رسول الله ﷺ: «يدخلُ الجنةَ من أُمّتي سبعونَ ألفاً بغير حسابٍ، هُم الذينَ لا يَسْتَرْقُونَ ولا يَتطيَّرونَ، وعلى ربِّهم يتوكَّلونَ».

في إمساك الكلام سمي كتماناً وضده الإفشاء. وزاد في عين العلم وفي فضول العيش زهد وضده الحرص، وفي اليسير من الدنيا قناعة وضده الشره انتهى. والتوكل بلسان العارفين على ما قال السري السقطي: هو الانخلاع من الحول والقوة بلا نزاع. وقال ابن مسروق: التوكل هو الاستسلام لجريان القضاء في الأحكام. وقال الجنيدي [رحمه الله]: التوكل أن يكون لله كما لم يكن فيكون الله له كما [لم]يزل. ثم قيل: الصبر على ثلاثة أنواع: صبر العوام وهو حبس النفس على ما يكره، وصبر الخواص وهو تجرع المرارة من غير تعبس، وصبر خواص الخواص وهو التلذذ بالبلاء وبه يصل إلى مرتبة الشكر وغاية الرضا بالقضاء؛ وقد ورد: أعبد الله على الرضا فإن لم تستطع فالصبر على ما تكره خير كثير. وقال تعالى: ﴿فعسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً﴾. اهـ.

(الفصل الأول)

٥٢٩٥ ـ (**عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفاً بغير حساب**) أي مستقلاً من غير ملاحظة أتباعهم، فلا ينافي ما ورد من أن مع كل واحد منهم سبعون ألفاً. هم (**الذين لا يسترقون**) أي لا يطلبون الرقية مطلقاً، أو بغير الكلمات القرآنية والأسماء الصمدانية (**ولا يتطيرون**) أي ولا يتشاءمون بنحو الطير ولا يأخذون من الحيوانات والكلمات المسموعات علامة الشر والخير، [بل]يقولون كما ورد: اللهم لا طير إلا طيرك ولا خير إلا خيرك ولا إله غيرك اللهم ولا يأتي بالحسنات إلا أنت ولا يذهب بالسيئات إلا أنت. (**وعلى ربهم يتوكلون**) أي في جميع ما يفعلون ويتركون. قال الطيبي [رحمه الله]: الجمع بين جملتي لا يسترقون ولا يتطيرون من الثنائي الذي يراد به الاستيعاب لقولهم: لا ينفع زيد ولا عمرو على معنى: لا ينفع إنسان، ما قال صاحب النهاية هذا من صفة الأولياء المعرضين عن أسباب الدنيا وعوائقها الذين لا يلتفتون إلى شيء من علائقها، وتلك درجة الخواص لا يبلغها غيرهم، وأما العوام فرخص لهم في التداوي والمعالجات، ومن صبر على البلاء وانتظر الفرج

الحديث رقم ٥٢٩٥: أخرجه البخاري في صحيحه ١١/ ٣٠٥، حديث رقم ٦٤٧٢. ومسلم في صحيحه ١/ ١٩٨ حديث رقم (٣٧٢ . ٢١٨). وأخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٥٤٠ حديث رقم ٢٤٣٧ وابن ماجه ٢/ ١٤٣١ حديث رقم ٤٢٨٦. والدارمي في السنن ٢/ ٤٢٢ حديث رقم ٢٨٠٧. وأحمد في المسند ٤/ ٤٤١.

متفق عليه.

٥٢٩٦ - (٢) وعنه، قال: خرج رسول الله ﷺ يوماً فقال: «عُرِضتْ عليَّ الأممُ فجعلَ يَمرُّ النبيُّ ومعه الرَّجلُ، والنبي ومعه الرَّجلانِ، والنبيُّ ومعه الرهط، والنبي وليسَ معه أحدٌ، فرأيتُ سواداً كثيراً سَدَّ الأفقَ،

من الله سبحانه بالدعاء كان من جملة الخواص والأولياء، ومن لم يصبر رخص له في الرقية والعلاج والدواء. ألا ترى أن الصديق لما تصدق بجميع ماله لم ينكر عليه ﷺ علماً منه بيقينه وصبره، ولما أتاه الرجل بمثل بيضة الحمام من الذهب وقال: لا أملك غيره. فضربه بحيث لو أصابه عقره وقال فيه ما [قال]. قلت: الظاهر ان سبب غضبه ﷺ لم يكن إتيانه بجميع ماله بل إفشاء سره وإظهار حاله بقوله: لا أملك غيره. مع الإيماء إلى توهم السمعة والرياء والله [تعالى] أعلم. وفي شرح مسلم للنووي [رحمه الله تعالى]. قال المازري: احتج بعضهم به على أن التداوي مكروه، ومعظم العلماء على خلاف ذلك واحتجوا بالأحاديث الواردة في منافع الأدوية وبأنه ﷺ تداوي، وبأخبار عائشة رضي الله تعالى عنها عن كثرة تداويه وبما علم من الاستشفاء برقياه، فإذا ثبت هذا حمل الحديث على قوم يعتقدون أن الأدوية نافعة بطبعها ولا يفوضون الأمر إلى الله تعالى. قلت: لا يصح حمل الحديث المذكور على القول المسطور، فإنه صريح في أنهم من كمل الأولياء وخلص الأصفياء. فالصواب ما ذكره صاحب النهاية من أن الأولى في حق أهل الهداية إنما هو عدم تعاطي الأسباب غير العادية، وإن كان جاز هذا للعوام وباب البداية، ويحمل فعله ﷺ في المعالجة بالأدوية على اختيار الرخصة رعاية لعامة الأمة، أو على مرتبة جمع الجمع المشهور عند الصوفية من أن مشاهدة الأسباب وملاحظة صنائع رب الأرباب هو الأكمل والأفضل عند الكمل فتدبر وتأمل. ولعل الحديث مقتبس من أحد معنيين في قوله تعالى: ﴿إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب﴾ [الزمر - ١٠] والله تعالى أعلم بالصواب (متفق عليه).

٥٢٩٦ - **(وعنه)** أي عن ابن عباس **(قال: خرج رسول الله ﷺ يوماً فقال: عرضت علي)** أي أظهرت لدي **(الأمم)** أي مع أنبيائهم **(فجعل يمر النبي ﷺ)** التعريف فيه للجنس وهو ما يعرفه كل أحد أنه ما هو، فهو بمنزلة النكرات ذكره الطيبي [رحمه الله] فالمعنى: أنه يمر نبي منهم عند العرض علي **(ومعه الرجل)** أي الواحد من أتباعه ليس له تابع غيره. **(والنبي ومعه الرجلان والنبي ومعه الرهط)**. أي الجماعة والمراد الرجال **(وليس معه أحد)** أي لا من الرجال ولا من النساء. والمراد من النبي هنا الرسول [عليه الصلاة والسلام] المأمور بالتبليغ، وقيد الرجولية واقعية غالبية أو قضية مثالية. والمراد الواحدة، والتثنية والجمعية. **(فرأيت)** أي من أمامي **(سواداً كثيراً)** أي جمعاً عظيماً وفوجاً جسيماً **(سد الأفق)** أي ستر طرف السماء بكثرته

الحديث رقم ٥٢٩٦: أخرجه البخاري في صحيحه ١١/ ٤٠٥. حديث رقم ٦٥٤١. ومسلم في صحيحه ١/ ١٩٩ حديث رقم (٣٧٤ . ٢٢٠) والترمذي في السنن ٤/ ٥٤٤ حديث رقم ٢٤٤٦.

فرجوتُ أن يكونَ أمتي. فقيل: هذا موسى في قومه، ثم قيل لي: آنظر، فرأيت سواداً كثيراً سدَّ الأفق، فقيل لي: آنظر هكذا وهكذا، فرأيت سواداً كثيراً سدَّ الأفق. فقيل: هؤلاءِ أمّتك، ومعَ هؤلاءِ سبعون ألفاً قدّامَهُمْ يدخلونَ الجنةَ بغير حسابٍ، هم الذين لا يتطيّرون، ولا يسترقُون، ولا يكتوون، وعلى ربّهم يتوكلون» فقام عكاشةُ بن محْصن فقال: ادعُ اللّهَ أن يجعلني منهم. قال: «اللّهم اجعله منهم». ثم قام رجلٌ آخر فقال: آدع اللّهَ أن يجعلني منهم. فقال: «سبقك بها عكاشةُ».

(**فرجوت أن يكون**) أي السواد الكثير (**أمتي. فقيل: هذا موسى في قومه**) أي ممن آمن به ولم يتغير عن دينه (**ثم قيل لي: انظر**) فكأنه ﷺ أطرق حينئذ وأعرض عن موضع العرض حياء فقيل له: انظر ترى رجالاً. (**فرأيت**) أي من قدامي (**سواداً كثيراً سد الأفق**) أي فقنعت بذلك وشكرت لما هنالك. (**فقيل لي:**) أي بل لك الزيادة على ما ذكرت من الاستفادة (**انظر هكذا وهكذا**) أي اليمين والشمال (**فرأيت سواداً كثيراً سد الأفق فقيل:**) أي لي (**هؤلاء**) أي مجموع ما بين يديك وطرفيك (**أمتك ومع هؤلاء**) أي من جملتهم أو زيادة عليهم (**سبعون ألفاً قدامهم**) وفيه منقبة عظيمة لهم كما في قوله: (**يدخلون الجنة بغير حساب**) قال النووي [رحمه الله]: يحتمل هذا أن يكون معناه: وسبعون ألفاً من أمتك غير هؤلاء، وأن يكون معناه في جملتهم سبعون ألفاً. ويؤيد هذا رواية البخاري: هذه أمتك ويدخل الجنة من هؤلاء سبعون ألفاً. (**هم**) استئناف بيان، أي السبعون هم. (**الذين لا يتطيرون ولا يسترقون ولا يكتوون**) أي إلا عند الضرورة لما وقع الكي من بعض الصحابة، منهم سعد بن أبي وقاص أحد العشرة المبشرة، أو مطلقاً استسلاماً للقضاء وتلذذاً بالبلاء مع علمهم بأنه لا يضر ولا ينفع إلا الله، ولا تأثير بحسب الحقيقة لما سواه، فهم في مرتبة الشهود خارجون عن دائرة الوجود فانون عن حظوظ أنفسهم باقون بحق الله في حراسة أنفاسهم كما قال: (**وعلى ربهم يتوكلون. فقام عكاشة**) بضم العين وتشديد الكاف وتخفف على ما في القاموس والمغني. (**ابن محصن**) بكسر ميم وفتح صاد. قال المؤلف: أسدي شهد بدراً وما بعدها وانكسر سيفه يوم بدر فأعطاه النبي ﷺ عرجوناً، أي وعوداً فصار في يده سيفاً. وكان من فضلاء الصحابة مات في خلافة الصديق وله خمس وأربعون سنة. روى عنه أبو هريرة وابن عباس وأخته أم قيس. (**فقال: ادع الله أن يجعلني منهم**) ما أحسن هذا السؤال المشير إلى أنه من أصحاب الكمال، بل من أرباب الوصال حيث علم أنه لم يصل إلى هذا المقال والحال إلا بوسيلة دعائه ﷺ من ذي الجلال والجمال. (**قال: اللهم اجعله منهم، ثم قام رجل آخر فقال: ادع الله أن يجعلني منهم**) والظاهر أن الأول كان ناوياً قاصداً[1] للقيام بأفعالهم، بل متصفاً بأحوالهم، وإن الثاني طلبه على وجه التمني من غير التعني وطريق التقليد في التحلي من غير قصد التجلي. (**قال: سبقك بها**) أي بهذه الدعوة أو هذه المسألة (**عكاشة**) وقد استجيب له. والمعبر فيها هي الأولية كما ورد: إن الصبر عند

---

(١) في المخطوطة «قصداً».

متفق عليه.

٥٢٩٧ ـ (٣) وعن صهيب، قال: قال رسول الله ﷺ: «عجباً لأمرِ المؤمنِ! إنَّ أمْرَهُ كُلَّه له خيرٌ، وليس ذلك لأحد إلاّ للمؤمن، إن أصابته سرَّاءُ شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضرَّاءُ صَبَرَ فكان خيراً له»

الصدمة الأولى. ولعل وجه الامتناع من الدعاء أن لا ينفتح هذا الباب المتفرع عليه الاكتفاء. قال ابن الملك: لأنه لم يؤذن له في ذلك المجلس بالدعاء إلا لواحد. وفيه حث على المسارعة إلى الخيرات وطلب دعاء الصالحين لأن في التأخير آفات. وقيل: كان الرجل منافقاً فأجابه ﷺ بكلام محتمل ولم يصرح بأنك لست منهم لحسن خلقه انتهى. وقيل: قد يكون سبق عكاشة بوحي ولم يحصل ذلك للآخر. وقال القاضي عياض: قيل: إن الرجل الثاني لم يكن ممن يستحق تلك المنزلة ولا كان بصفة أهلها بخلاف عكاشة. وفي شرح الطيبي [رحمه الله]: قال الشيخ: وقد ذكر الخطيب البغدادي أنه قال في كتابه في الأسماء المبهمة أنه يقال: إن هذا الرجل هو سعد بن عبادة، فإن صح هذا بطل قول من زعم أنه منافق. (**متفق عليه**).

٥٢٩٧ ـ (**وعن صهيب**) بالتصغير. قال المؤلف: هو ابن سنان مولى عبد الله بن جدعان التيمي يكنى أبا يحيى، كانت منازلهم بأرض الموصل فيما بين دجلة والفرات فأغارت الروم على تلك الناحية فسبته وهو غلام صغير فنشأ بالروم، فابتاعته منهم كلب. ثم قدمت به مكة فاشتراه عبد الله بن جدعان فأعتقه فأقام معه إلى أن هلك. وأسلم قديماً بمكة وكان من المستضعفين المعذبين في الله بمكة، ثم هاجر إلى المدينة وفيه نزل: ﴿**ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله**﴾ [البقرة ـ ٢٠٧]. روى عنه جماعة، مات سنة ثمانين وهو ابن تسعين [سنة] ودفن بالبقيع. (**قال: قال رسول الله ﷺ: عجباً**) أي عجبت عجباً (**لأمر المؤمن**) أي لشأنه وماله في كل حاله. (**إن أمره كله**) بالنصب ويجوز رفعه كما قرىء بالوجهين في قوله تعالى: ﴿**قل إن الأمر كله لله**﴾ [آل عمران ـ ١٥٤]. أي جميع أموره. (**له خير**) أي خير له في المآل وإن كان بعضه شراً صورياً في الحال. وقدم الظرف اهتماماً. (**وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن**) قال الطيبي [رحمه الله]: مظهر وقع موقع المضمر ليشعر بالعلية انتهى. وفيه أن الإظهار والإضمار مستويان في الإشعار بالعلية. ولعل النكتة هي إظهار الإشعار على وجه التصريح فإنه آكد من طريق التلويح، ثم بينه على وجه التوضيح بقوله: (**إن أصابته سراء**) أي نعماء وسعة عيش ورخاء وتوفيق طاعة من أداء وقضاء. (**شكر فكان**) أي شكره (**خيراً له، وإن أصابته ضراء**) أي فقر ومرض ومحنة وبلية (**صبر فكان**) أي صبره (**خيراً له**) وبهذا تبين قول بعض العارفين أنه لا يقال على الإطلاق: إن الفقير الصابر أفضل من الغني الشاكر. بل حالة

الحديث رقم ٥٢٩٧: أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ٢٢٩٥ حديث رقم (٦٤ ـ ٢٩٩٩) وأخرجه الدارمي ٢/ ٤٠٩ حديث رقم ٢٧٧٧. وأحمد في المسند ٦/ ١٧٧.

رواه مسلم.

٥٢٩٨ ـ (٤) وعن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «المؤمنُ القويُّ خيرٌ وأحبُّ إلى اللّهِ منَ المؤمنِ الضعيفِ، وفي كلٍّ خيرٌ»

التفويض والتسليم أولى والقيام بمقتضى الوقت أعلى بحسب اختلاف الأحوال وتفاوت الرجال، قال تعالى: [جلّ جلاله]: ﴿والله يعلم وأنتم لا تعلمون﴾ [البقرة ـ ٢١٦]. وقال تعالى: ﴿إن ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر إنه كان بعباده خبيراً بصيراً﴾ [الإسراء ـ ٣٠]. وفي الحديث القدسي: إن من عبادي من لا يصلحه إلا الفقر فلو أغنيته لفسد حاله، وإن من عبادي من لا يصلحه إلا الغنى فلو أفقرته لضاع حاله. ولذا قال عمر رضي الله تعالى عنه: الفقر والغنى مطيتان لا أبالي أيتهما أركب. وعلى هذا الاختلاف الواقع بين القوم في طلب طول العمر لطاعة الله، أو طلب الموت لخوف الفتنة أو للاشتياق إلى لقاء الله [تعالى]، ثم المعتمد التفويض والتسليم كما أشار إليه ﷺ في دعائه: اللهم أحيني ما دامت الحياة خيراً لي وتوفني إذا كانت الوفاة خيراً لي[١]، واجعل الحياة زيادة لي في كل خير واجعل الموت راحة لي من كل شر. ثم وجه حصر الخير في كل حال للمؤمن الكامل، لأن غيره إن أصابته سراء شبع وبطر وإن أصابته ضراء جزع وكفر، بخلاف حال المؤمن فإنه كما قال بعض أرباب الكمال:

إذا كان شكر نعمة الله نعمة	علي له في مثلها يجب الشكر
فكيف بلوغ الشكر إلا بفضله	وإن طالت الأيام واتسع العمر
إذا مس بالنعماء عم سرورها	وإن مس بالضراء أعقبه الأجر

(**رواه مسلم**) وكذا الإمام أحمد. وروى أحمد وابن حبان عن أنس مرفوعاً: عجبت للمؤمن أن الله تعالى لم يقض له قضاء إلا كان خيراً له[٢]. وروى الطيالسي والبيهقي في شعب الإيمان عن سعد مرفوعاً: عجبت للمسلم إذا أصابته مصيبة احتسب وصبر وإذا أصابه خير حمد الله وشكر إن المسلم يؤجر في كل شيء حتى في اللقمة يرفعها إلى فيه[٣].

٥٢٩٨ ـ (**وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: المؤمن القوي**) أي القادر على تكثير الطاعة (**خير وأحب إلى الله**) عطف تفسير (**من المؤمن الضعيف**) أي العاجز عنه (**وفي كل خير**) أي أصل الخير موجود في كل منهما. قيل: المراد بالمؤمن القوي الصابر على مخالطة الناس وتحمل أذيتهم وتعليمهم الخير وإرشادهم إلى الهدى، ويؤيده ما رواه أحمد وغيره عن ابن عمر

---

(١) البخاري في صحيحه الحديث ٥٦٧١ ومسلم في الحديث ٢٦٨٠.

(٢) أحمد في المسند ٣/ ١١٧. (٣) البيهقي في شعب الإيمان الحديث رقم ٩٩٥٠.

الحديث رقم ٥٢٩٨: أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ٢٠٥٢ حديث رقم (٣٤ ـ ٢٦٦٤). وابن ماجه ٢/ ١٣٩٥ حديث رقم (٣٤ ـ ٢٦٦٤). وأخرجه أحمد في المسند ٢/ ٣٧٠.

احرِص على ما ينفعك، واستعِن بالله، ولا تعجز، وإن أصابك شيءٌ، فلا تقل: لو أنّي فعلتُ كان كذا وكذا، ولكنْ قُلْ: قدَرُ اللهِ، وما شاء فعل، فإنَّ لو تفتحُ عملَ الشيطان».

مرفوعاً: المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم أفضل من المؤمن الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم[1]. وقيل: أراد بالمؤمن القوي الذي قوي في إيمانه وصلب في إيقانه بحيث لا يرى الأسباب ووثق بمسبب الأسباب، والمؤمن الضعيف بخلافه وهو في أدنى مراتب الإيمان. وقال النووي [رحمه الله]: القوّة هنا يراد بها عزيمة النفس في أمور الآخرة فيكون صاحب هذا أكثر إقداماً على الغزو والجهاد وأسرع خروجاً وذهاباً في طلبه وأشد عزيمة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والصبر على الأذى في كل ذلك. وقوله: في كل خير. معناه في كل من القوي والضعيف خير لاشتراكهما في الإيمان مع ما يأتي به الضعيف من العبادات. **(احرص)** بكسر الراء ومنه قوله تعالى: ﴿**إن تحرص على هداهم**﴾ [النحل ـ ٣٧]. وفي نسخة بفتحها. ففي القاموس: حرص كضرب وسمع. والمعنى: كن حريصاً. **(على ما ينفعك)** أي من أمور الدين **(واستعن بالله)** أي على فعلك فإنه لا حول ولا قوّة إلا بالله. **(ولا تعجز)** بكسر الجيم ومنه قوله تعالى جلّ جلاله: ﴿**أعجزت**﴾ [المائدة ـ ٣١]. وفي نسخة بالفتح. ففي القاموس: عجز كضرب وسمع، أي ولا تعجز عن الحرص والاستعانة، فإن الله سبحانه وتعالى قادر على أن يعطيك قوة على طاعته إذا استقمت على استعانته. وقيل: معناه لا تعجز عن العمل بما أمرت ولا تتركه مقتصراً على الاستعانة به، فإن كمال الإيمان أن يجمع بينهما. قال الطيبي [رحمه الله]: يمكن أن يذهب إلى اللف والنشر فيكون قوله: احرص على ما ينفعك ولا تترك الجهد، بيان للقوي، ولا تعجز بيان للضعيف. **(وإن أصابك شيء)** أي من أمر دينك أو دنياك **(فلا تقل لو أني فعلت)** أي كذا وكذا **(كان)** أي لصار **(كذا وكذا)** فإن هذا القول غير سديد ومع هذا غير مفيد فإنه قال تعالى جلّ شأنه: ﴿**قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا**﴾ [التوبة ـ ٥١]. وقال ﷺ: ما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك[2]. وقد قال عزّ وجلّ: ﴿**لكيلا تأسوا على ما فاتكم**﴾ [الحديد ـ ٢٣]. **(ولكن قل:)** أي بلسان القال أو لسان الحال **(قدر الله)** بتشديد الدال، أي قل: قدر الله. ويجوز تخفيفها، أي قل: قدر الله كذا وكذا، أي وقع ذلك بمقتضى قضائه وعلى وفق قدره. **(وما شاء)** أي الله فعله **(فعل)** فإنه فعال لما يريد ولا راد لقضائه ولا معقب لحكمه **(فإن لو)** أي كلمة الشرط، أو أن. **(تفتح عمل الشيطان)** قال الشاطبي رحمه الله: ولم ولو وليت تورث القلب انقلا. قال بعض شراح المصابيح: أي أن قول لو واعتقاد معناها يفضي بالعبد إلى التكذيب بالقدر أو عدم الرضا بصنع الله، لأن القدر إذا ظهر بما يكره العبد قال: لو فعلت كذا لم يكن كذا. وقد قدر في علم الله أنه لا يفعل إلا الذي فعل ولا يكون إلا الذي كان وقد أشار ﷺ بقوله قبل ذلك: ولكن قدر الله

---

(١) أحمد في المسند ٢/ ٤٣.

(٢) هذه من رواية لحديث ابن عباس رضي الله عنه. أخرجها عبد بن حميد. راجع الأذكار ص ٦٣٣. حديث رقم ١٠٩٠.

رواه مسلم.

وما شاء فعل. ولم يرد كراهة التلفظ بلو في جميع الأحوال وسائر الصور، وإنما عنى الإتيان بها في صيغة تكون فيها منازعة القدر والتأسف[١] على ما فاته من أمور الدنيا، وإلا فقد ورد في القرآن مثل: ﴿لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل﴾ [آل عمران ـ ١٥٤]. وفي الحديث: «لو أني استقبلت من أمري ما استدبرت»[٢]. لأنه لم يرد به منازعة القدر. وقال القاضي [رحمه الله]: قوله: فإن لو تفتح، أي لو كان الأمر لي وكنت مستبداً بالفعل والترك كان كذا وكذا. وفيه تأسف على الفائت ومنازعة للقدر وإيهام بأن ما كان يفعله باستبداده ومقتضى رأيه خير مما ساقه القدر إليه من حيث أن لو تدل على انتفاء الشيء لانتفاء غيره فيما مضى، ولذلك استكرهه وجعله مما يفتح عمل الشيطان. وقوله ﷺ في حديث فسخ الحج إلى العمرة: «ولو أني استقبلت من أمري ما استدبرت». ليس من هذا القبيل وإنما هو كلام قصد به تطييب قلوبهم وتحريضهم على التحلل بأعمال العمرة. وفي شرح مسلم للنووي [رحمه الله]: وقال القاضي عياض [رحمه الله]: هذا النهي إنما هو لمن قاله معتقداً ذلك حتماً. وأما قول أبي بكر رضي الله عنه: لو أن أحدهم رفع رأس لرآنا. فهذا لا حجة فيه لأنه إنما أخبر عن مستقبل، وكذا قوله ﷺ: «لو كنت راجماً بغير بينة لرجمت هذه»[٣]. وشبه ذلك لا اعتراض فيه على قدر فلا كراهة فيه لأنه إنما أخبر عن اعتقاده فيما كان يفعل لولا المانع وعما هو في قدرته، وأما الماضي فليس في قدرته. وأما معنى قوله: فإن لو تفتح عمل الشيطان. أنه يلقى في القلب معارضة القدر ويوسوس به الشيطان. قال الشيخ [رحمه الله تعالى]: وقد جاء استعمال لو في الماضي كقوله ﷺ: «لو استقبلت من أمري ما استدبرت لم أسق الهدي». فالظاهر إنما ورد فيما لا فائدة فيه فيكون نهي تنزيه لا تحريم، وأما من قاله متأسفاً على ما فات من طاعة الله تعالى أو هو متعذر من ذلك فلا بأس به وعليه يحمل أكثر استعمال لو الموجودة في الأحاديث. أقول: بل التأسف على فوت طاعة الله مما يثاب فينبغي أن يعد من باب الاستحباب. فقد روى الرازي في مشيخته عن أبي عمرو: من أسف على دنيا فاتته اقترب من النار مسيرة ألف سنة، ومن أسف على آخرة فاتته اقترب من الجنة مسيرة ألف سنة. ذكره السيوطي في الجامع[٤]. (رواه مسلم) ولفظ الجزري في الحصن ومن وقع له ما لا يختاره فلا يقل: لو أني فعلت كذا وكذا، أي لكان كذا وكذا، ولو للتمني ولكن ليقل: بقدر الله وما شاء فعل رواه مسلم والنسائي وابن ماجه وابن السني لكن لفظ النسائي وابن السني قدر الله موضع بقدر الله. وقد ضبط بصيغة الفعل مخففاً ومشدداً وبصيغة المصدر بالرفع مضافاً، وأيضاً لفظهما صنع بدل فعل، والله [تعالى]أعلم. وروى أبو داود والنسائي وابن السني عن عوف بن مالك الأشجعي مرفوعاً: من غلبه أمر فليقل: حسبي الله ونعم الوكيل[٥].

---

(١) في المخطوطة «التألف».

(٢) من حديث أخرجه مسلم ٢/ ٨٨٦ حديث رقم ١٢١٨.

(٣) لم أجده في مسند الفردوس.

(٤) الجامع الصغير ٢/ ٥١٣ حديث رقم ٨٤٣٢.

(٥) أبو داود في سننه ٤/ ٤٤ حديث رقم ٣٦٢٧.

الفصل الثاني

٥٢٩٩ ـ (٥) عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «لو أنكم تتوكلونَ على اللّهِ حقَّ توكلهِ لَرزقَكم كما يَرْزُقُ الطَّيرَ، تغدو خماصاً وتروحُ بطاناً».

(الفصل الثاني)

٥٢٩٩ ـ (عن عمر ب الخطاب رضي الله [تعالى]عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: لو إنكم تتوكلون) وفي رواية الجامع بحذف إحدى التائين، أي تعتمدون. (على الله حق توكله) أي بأن تعلموا يقيناً أن لا فاعل في الوجود موجود إلاّ الله وأن كل موجود من خلق ورزق وعطاء ومنع وضر ونفع وفقر وغنى ومرض وصحة وموت وحياة وغير ذلك مما يطلق عليه اسم الموجود من الله تعالى، ثم يستعمل في الطلب على الوجه الجميل. ويشهد لذلك تشبيهه بالطير فإنها تغدو خماصاً ثم تسرح في طلب القوت فتروح بطاناً. (لرزقكم) أي ولو تركتم الأسباب فإنه يرزق البطال والعمال، وقد يرزق الضعيف بحيث يتعجب القوي. (كما يرزق الطير) بصيغة الفاعل (تغدو) أي تذهب أول النهار (خماصاً) بكسر الخاء المعجمة جمع خميص، أي جياعاً. (وتروح) أي ترجع آخر النهار (بطاناً) بكسر الموحدة جميع بطين وهو عظيم البطن، والمراد شباعاً. وفي قوله: تغدو إيماء إلى أن السعي بالإجمال لا ينافي الاعتماد على الملك المتعال كما قال تعالى [جلّ جلاله]: ﴿وكأين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها وإياكم﴾ [العنكبوت ـ ٦٠]. فالحديث للتنبيه على أن الكسب ليس برازق بل الرازق هو الله تعالى، لا للمنع عن الكسب فإن التوكل محله القلب فلا ينافيه حركة الجوارح مع أنه قد يرزق أيضاً من غير حركة، بل بتحريك غيره إليه يصل رزق الله ببركته، كما يستفاد العموم من قوله تعالى: ﴿وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها﴾ [هود ـ ٦]. وقد حُكِيَ أن فرخ الغراب عند خروجه من بيضته يكون أبيض فيكرهه الغراب فيتركه ويذهب ويبقى الفرخ ضائعاً فيرسل الله تعالى إليه الذباب والنمل فيلتقطهما إلى أن يكبر قليلاً يسود فيرجع إليه الغراب فيراه أسود فيضمه إلى نفسه فيتعهده، فهذا يصل إليه رزقه بلا سعي. والحكايات في ذلك كثيرة والروايات به شهيرة. ومن غرائب ما حُكِيَ أنه سبحانه وتعالى قال لعزرائيل: هل رحمت على أحد عند نزع الأرواح: فقال: نعم يا رب حين غرق أهل سفينة وبقي بعض أهله على الألواح وكانت

الحديث رقم ٥٢٩٩: أخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٤٩٥ حديث رقم ٢٣٤٤. وابن ماجه ٢/ ١٣٩٤ حديث رقم ٤١٦٤. وأحمد في المسند ١/ ٣٠.

رواه الترمذي، وابن ماجه.

٥٣٠٠ ـ (٦) وعن ابن مسعود، قال: قال رسول الله ﷺ: «أيُّها النَّاس! ليس من شيءٍ يقرِّبكم إلى الجنة ويباعدكم من النار إلاَّ قَدْ أمرتُكُم به، وليس شيءٌ يُقرِّبكم من النارِ ويباعدُكم من الجنةِ إلاَّ قَدْ نهيتكم عنه، وإن الرُّوحَ الأمينَ ـ وفي روايةٍ: وإن روح القدس ـ

امرأة بولدها ترضعه فوق لوح فأمرت بقبض روحها فرحمت حينئذ على ولدها. قال تعالى: فألقيته على جزيرة وأرسلت إليه أسداً ترضعه إلى أن كبر قليلاً ثم قيضت له بعضاً من الجن ليعلمه لسان الإنس إلى أن نشأ نشأة كاملة ودخل في العمارة وحصل له الامارة ووصل إلى مرتبة السلطنة وأحاط بجميع المملكة، فادعى الألوهية ونسي العبودية وحقوق الربوبية واسمه شداد والله رؤوف بالعباد. فالرحيم الذي يرزق أعداءه كيف ينسى أحباءه. قال الشيخ أبو حامد [رحمه الله تعالى]: قد يظن أن معنى التوكل ترك الكسب بالبدن وترك التدبير بالقلب والسقوط على الأرض كالخرقة الملقاة أو كلحم على وضم، وهذا ظن الجهال فإن ذلك حرام في الشرع والشرع قد أثنى على المتوكلين فكيف ينال مقام من مقامات الدين بمحظور من محظورات الدين، بل نكشف عن الحق فيه فنقول: إنما يظهر تأثير التوكل في حركة العبد وسعيه بعمله إلى مقاصده. وقال الإمام أبو القاسم القشيري: اعلم أن التوكل محله القلب وأما الحركة بالظاهر فلا تنافي التوكل بالقلب بعدما يحقق العبد أن الرزق من قبل الله تعالى، فإن تعسر شيء فبتقديره وإن تيسر شيء فبتيسيره. (**رواه الترمذي وابن ماجه**) وكذا أحمد والحاكم[١].

٥٣٠٠ ـ (**وعن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: أيها الناس ليس من شيء**) من زائدة مبالغة، أي ليس شيء ما من الأشياء. (**يقربكم**) بتشديد الراء أي يجعلكم قريباً (**إلى الجنة ويباعدكم**) أي ومن شيء يبعدكم (**من النار**) أي على وجه النسبية فالنسبة في الفعلين مجازية. (**إلا قد أمرتكم به**) أي بما ذكر أو بكل منهما (**وليس شيء**) ليس من هنا في الأصول (**يقربكم من النار ويباعدكم من الجنة إلا قد نهيتكم عنه**) وفيه دليل صريح على أن جميع العلوم من الأمور النافعة والأمور الدافعة يستفاد من الكتاب والسنة أن الاشتغال بغيرهما تضييع العمر من غير المنفعة. (**وأن الروح الأمين**) وفي نسخة: وأن روح الأمين. أي جبريل [عليه السلام] كما قال تعالى: نزل به الروح الأمين. (**وفي رواية: وأن روح القدس**) بضمتين وتسكن الدال كقوله تعالى: ﴿**وأيدناه بروح القدس**﴾ [البقرة ـ ٨٧]. أي الروح المقدسة من الأخلاق المدنسة. قال الطيبي [رحمه الله]: هو كما يقال[٢]: حاتم الجود[٣] ورجل صدق، فهو من باب إضافة الموصوف إلى الصفة للمبالغة في الاختصاص. ففي الصفة: القدس منسوب إليها وفي الإضافة

(١) الحاكم في المستدرك ٤/ ٣١٨.

الحديث رقم ٥٣٠٠: رواه البيهقي في شعب الإيمان ٧/ ٢٩٩. حديث رقم ١٠٣٧٦. والبغوي في شرح السنة ١٤/ ٣٠٣ حديث ٤١١١.

(٢) في المخطوطة «يقول». (٣) في المخطوطة «الوجود».

نَفَثَ في رُوعي أن نفساً لن تموتَ حتى تستكملَ رزقها، ألا فاتقوا الله، وأجملوا في الطلب، ولا يحملنكم استبطاءُ الرزق أن تطلبوه بمعاصي الله، فإنه لا يُدرَكُ ما عندَ اللهِ إلاَّ بطَاعتِهِ». رواه في «شرح السنة» والبيهقي في «شعب الإيمان» إلا أنه لم يذكُرْ: «وإنَّ روح القدس».

بالعكس نحو: مال زيد. (نفث في روعي) بضم الراء، أي أوحى إلي وألقى من النفث بالفم وهو شبيه بالنفخ وهو أقل من التفل، لأن التفل لا يكون إلا ومعه شيء من الريق والروع الجلد والنفس كذا في النهاية. والمعنى: أنه أوحى إلي وحياً خفياً (أن نفساً) بفتح الهمزة ويجوز الكسر لأن الإيحاء في معنى القول. والمعنى: أن نفساً ذات نفس، وهي حي مخلوق. (لن تموت حتى تستكمل رزقها) أي المقدر لها كما أشار إليه سبحانه بقوله: ﴿الله الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم﴾. (ألا) للتنبيه أي تنبهوا (فاتقوا الله) فإنكم مأمورون بالتقوى وبالسعي إلى الدرجات العلى (وأجملوا) [أي] من الإجمال، أي وأحسنوا. (في الطلب) أي في تحصيل الرزق ولا تبالغوا في طلبه فإنكم غير مكلفين بطلب الرزق قال تعالى: ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين﴾ [الذاريات - ٥٨]. وقال عزَّ وجلَّ: ﴿وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسألك رزقاً نحن نرزقك والعاقبة للتقوى﴾ [طه - ١٣٢]. فالأمر للإباحة، أو المعنى: اطلبوا من الحلال فالأمر للوجوب. ويزيده قوله: (ولا يحملنكم) بكسر الميم أي لا يبعثكم (استبطاء الرزق) أي تأخيره ومكثه عليكم. (إن تطلبوه) أي على أن تبتغوه (بمعاصي الله) أي بسبب ارتكابها بطريق من طرق الحرام كسرقة وغصب وخيانة وإظهار وسيادة وعبادة وديانة وأخذ من بيت المال على وجه زيادة نحو ذلك. (فإنه) أي الشأن (لا يدرك ما عند الله) أي من الرزق الحلال أو من الجنة وحسن المآل (إلا بطاعته) أي لا بتحصيل المال من طريق الوبال. قال الطيبي [رحمه الله]: قوله: فأجملوا أي اكتسبوا المال بوجه جميل وهو أن لا تطلبه إلا بالوجه الشرعي. والاستبطاء بمعنى الإبطاء والسين فيه للمبالغة، كما أن استعف بمعنى عف في قوله تعالى: ﴿ومن كان غنياً فليستعفف﴾ [النساء - ٦]. وفيه أن الرزق مقدر مقسم لا بد من وصوله إلى العبد، لكن العبد إذا سعى وطلب على وجه مشروع وصف بأنه حلال وإذا طلب بوجه غير مشروع فهو حرام فقوله: ما عند الله. إشارة إلى أن الرزق كله من عند الله الحلال والحرام. وقوله: إن تطلبوه بمعاصي الله [تعالى]. إشارة إلى أن ما عند الله إذا طلب بمعصية الله ذم وسمي حراماً. وقوله: إلا بطاعته. إشارة إلى أن ما عند الله إذا طلب بطاعته مدح وسمي حلالاً. وفي هذا دليل بين لأهل السنة على أن الحلال والحرام يسمى رزقاً وكله من عند الله خلافاً للمعتزلة. (رواه) أي البغوي (في شرح السنة والبيهقي في شعب الإيمان إلا أنه) أي البيهقي (لم يذكر: وأن روح القدس) فرواية روح القدس من روايات البغوي أو غيره. قال ميرك: ورواه ابن أبي الدنيا في القناعة والحاكم وصححه عنه. وعن جابر [رضي الله تعالى عنه] قال: قال رسول الله ﷺ: يا أيها الناس اتقوا الله وأجملوا في الطلب فإن نفساً لن تموت حتى تستوفي في رزقها وإن أبطأ عنها، فاتقوا الله وأجملوا في الطلب [خذوا ما حل ودعوا ما

٥٣٠١ ـ (٧) وعن أبي ذرّ، عن النبي ﷺ قال: «الزَّهادةُ في الدُّنيا ليست بتحريم الحلال ولا إضاعة المال، ولكن الزهادة في الدنيا أن لا تكون بما في يديك أوثق بما في يدي الله، وأن تكون في ثواب المصيبة إذا أنت أُصبتَ بها أرغبَ فيها لو أنها أُبقيَتْ لك»

حرم. رواه ابن ماجه واللفظ له والحاكم[1] وقال: صحيح على شرط مسلم. قلت: روى أبو نعيم في الحلية عن أبي أمامة مرفوعاً: إن روح القدس نفث في روعي أن نفساً لن تموت حتى تستكمل أجلها وتستوعب رزقها فأجملوا في الطلب]ولا يحملن أحدكم استبطاء الرزق أن يطلبه بمعصية الله فإن الله تعالى لا ينال ما عنده إلا بطاعته.

٥٣٠١ (وعن أبي ذر عن النبي ﷺ قال: الزهادة) بفتح الزاي، أي ترك الرغبة (في الدنيا). (ليست بتحريم الحلال) كما يفعله بعض الجهال زعماً منهم إن هذا من الكمال فيمتنع من أكل اللحم أو الحلواء والفواكه ولبس الثوب الجديد ومن التزوج ونحو ذلك وقد قال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين﴾ [المائدة ـ ٨٧]. وقد ثبت أنه ﷺ فعل هذه الأفعال ولا أكمل من حالته الكمال. (ولا إضاعة المال) أي بتضييعه وصرفه في غير محله بأن يرميه في بحر أو يعطيه للناس من غير تمييز بين غني وفقير. وحاصله أنه لا عبرة بالزهادة الظاهرة وخلو اليد عن الأموال الظاهرة ثم توجه القلب إلى الخلق عند الاحتياج إلى المعيشة الحاضرة، بل المدار على الزهد القلبي بالانجذاب الربي ولذا استدرك ما سبقه من المقال حيث قال: (ولكن الزهادة) بتشديد النون ويخفف، أي ولكن الزهادة المعتبرة الكاملة. (في الدنيا) أي في شأنها (أن لا تكون بما في يديك) أي من الأموال أو من الصنائع والأعمال (أوثق) أي أرجى منك (بما في يدي الله) بصيغة التثنية أي بخزائنه الظاهرة والباطنة، وفيه نوع من المشاكلة. والمعنى: ليكن اعتمادك بوعد الله لك من إيصال الرزق إليك ومن إنعامه عليك من حيث لا تحتسب ومن وجه لا تكتسب أقوى وأشد مما في يديك من الجاه والمال والعقار وأنواع الصنائع من الاستعمال، ولو علم الكيميا وعلم السيميا. فإن ما في يديك يمكن تلفه وفناؤه بخلاف ما في خزائنه فإنه محقق بقاؤه كما قال تعالى: ﴿ما عندكم ينفد وما عند الله باق﴾ [النحل ـ ٩٦]. (وأن تكون) عطف على أن لا تكون. والزهادة فيها أيضاً أن لا تلتفت إلى التنعم فيها والتلذذ بوجود نعمها، بل وأن تغتنم حصول المحنة ووصول البلية فيها لئلا يميل قلبك إليها ولا تستأنس نفسك بما عليها فتكون حينئذ. (في ثواب المصيبة إذا أنت أصبت بها) بصيغة المجهول (أرغب فيها) أي في حصول المصيبة (لو أنها) أي لو فرض أن تلك المصيبة (أبقيت لك) أي منعت لأجلك وأخرت عنك. فوضع أبقيت موضع لم تصب، وجواب لو ما دل عليه ما قبلها. وخلاصته أن تكون رغبتك في وجود المصيبة لأجل ثوابها أكثر من رغبتك في عدمها فهذان الأمران شاهدان عدلان على

---

(١) ابن ماجه في سننه ٢/ ٧٢٥ حديث رقم ٢١٤٤. والحاكم في المستدرك ٤/ ٣٢٥.

الحديث رقم ٥٣٠١: أخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٤٩٣ حديث رقم ٢٣٤٠. وابن ماجه ٢/ ١٣٧٣ حديث رقم ٤١٠٠.

رواه الترمذي، وابن ماجه، وقال الترمذي: هذا حديث غريبٌ، وعمرو بن واقد الراوي منكر الحديث.

٥٣٠٢ ـ (٨) وعن ابن عباس، قال: كنتُ خلفَ رسول الله ﷺ يوماً فقالَ: «يا غلام!

زهدك في الدنيا وميلك في العقبى. وقال الطيبي: لو أنها أبقيت لك، حال من فاعل أرغب وجواب لو محذوف وإذا ظرف. والمعنى: أن تكون في حال المصيبة وقت إصابتها أرغب من نفسك في المصيبة حال كونك غير مصاب بها لأنك تثاب بوصولها إليك ويفوتك الثواب إذا لم تصل إليك. (رواه الترمذي وابن ماجه وقال الترمذي: هذا حديث غريب وعمرو بن واقد الراوي منكر الحديث) قلت: وغايته أنه حديث ضعيف مبنى لكنه حديث شريف معنى، ومثله يعتبر في فضائل الأعمال في جميع الأقوال، ومن جملتها الزهادة في الدنيا والرغبة في العقبى.

٥٣٠٢ ـ (وعن ابن عباس قال: كنت خلف رسول الله ﷺ يوماً) أي[1] رديفه، وفيه إشعار بكمال حفظه وإحسانه واستحضار لفظه واتقانه، فهذا الحديث من جملة أحاديثه التي سمعها من رسول الله ﷺ، وإلا فأكثر مروياته بالواسطة لكنها معتبرة لكونها من مراسيل الصحابة، وما ذاك إلا لأجل صغره في زمانه ﷺ. قال المؤلف: ولد قبل الهجرة بثلاث سنين وتوفي النبي ﷺ وهو ابن ثلاث عشرة سنة، وقيل خمس عشرة، [وقيل عشر]. لكن صار حبر هذه الأمة وعالمها لأنه قد دعا له النبي ﷺ بالحكمة والفقه والتأويل، ورأى جبريل عليه السلام مرتين وكف بصره في آخر عمره ومات بالطائف سنة ثمان وستين في أيام ابن الزبير وهو ابن إحدى وسبعين سنة، وروي عن خلق كثير من الصحابة والتابعين. قيل: المعنى أمشي خلفه، لا أنه راكب رديفه وهو مردود لما في وسيط الواحدي عن ابن عباس أنه أهدى كسرى إلى النبي ﷺ بغلة فركبها بحبل من شعر ثم أردفني خلفه وسار بي ميلاً ثم التفت. (فقال: يا غلام) بالرفع كذا في الأصول المعتمدة والنسخ المتعددة، والظاهر كسر الميم بناء على أن أصله يا غلامي بفتح الياء وسكونها ثم بعد حذفها تخفيفاً اكتفى بكسرة ما قبلها، لكن قد يضم وذلك في الاسم الغالب عليه الإضافة إلى الياء للعلم بالمراد، ومنه القراءة الشاذة: ﴿رب احكم﴾ [الأنبياء ـ ١١٢] بضم الباء على أنه يحتمل وقوع ضمها لمشاكلة ضم الكاف كما حقق في: ﴿وأن أحكم﴾ [المائدة ـ ٤٩]. حيث قرىء بالوجهين من السبعة. ثم في يا غلام لغة أخرى وهي قلب الياء ألفاً وقد جاء شاذاً يا غلام بالفتح اكتفاء بالفتحة عن الألف، ثم الأظهر أنه ﷺ وقف عليه بالسكون ولم يظهر عليه إعراباً على ما هو المتعارف في مثله. هذا والمراد بالغلام هنا الولد الصغير لا المملوك. ففي القاموس: الغلام الطارد الشارب والكهل ضد، أو من حين

---

(١) في المخطوطة «في».

الحديث رقم ٥٣٠٢: أخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٥٧٥ حديث رقم ٢٥١٦. وأحمد في المسند ١/ ٢٩٣.

احفظ الله يحفظْكَ، احفظ الله تجدهُ تُجاهَكَ، وإذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن

يولد إلى حين يشب. والمقصود من النداء استحضاره لديه وتوجهه إلى ما يلقى إليه. وزاد في الأربعين: إني أعلمك كلمات، أي فصولاً ولا مفيدة في دفع البلاء وجلب المنافع والآلاء. **(احفظ الله)** أي أمره ونهيه **(يحفظك)** أي يحفظك في الدنيا من الآفات والمكروهات، وفي العقبى من أنواع العقاب والدركات جزاء وفاقاً، فإن من كان لله كان الله له. **(احفظ الله)**، أي حقه من دوام ذكره وتمام فكره وقيام شكره. **(تجده تجاهك)** بضم التاء أي أمامك. والمعنى: أنك تجده حينئذ كأنه حاضر تلقاءك وقدامك وتشاهده في مقام إحسانك وإيقانك وكمال إيمانك كأنك تراه بحيث تفني بالكلية عن نظرك ما سواه، فالأوّل حال المراقبة والثاني مقام المشاهدة. وقيل: المعنى إذا حفظت طاعة الله وجدته بحفظك وينصرك في مهماتك أينما توجهت ويسهل لك الأمور التي قصدت. وقيل: المعنى تجد عنايته ورأفته قريباً منك يراعيك في جميع الحالات وينقذك من جميع المضرات ويسعدك بأنواع التحف والكرامات، فهو تلميح إلى قوله تعالى: ﴿**ونحن أقرب إليه من حبل الوريد**﴾ [ق - ١٦]. وقد أشار بعض العارفين إلى أنه لا ذرة من ذرات العالم إلا ونور الأنوار محيط بها قاهر عليها قريب من وجوده إليها إلا بمجرد العلم فقط ولا بمعنى الإيجاد فقط، بل بمعنى آخر لا يجوز كشفه رمزت إليه حذار الرقيب وكتمان سر الحبيب:

إذا ما تلاشيت في نوره ... يقول لي ادع فإني قريب

قال الطيبي [رحمه الله]: أي راع حق الله وتحر رضاه تجده تجاهك أي مقابلك وحذاءك، والتاء بدل من الواو كما في تقاة وتخمة، أي احفظ حق الله تعالى حتى يحفظك الله من مكاره الدنيا والآخرة. **(وإذا سألت)** أي أردت السؤال **(فاسأل الله)** بإثبات الهمز ويجوز نقله، أي فاسأل الله وحده فإن خزائن العطايا عنده ومفاتيح المواهب والمزايا بيده وكل نعمة أو نقمة دنيوية أو أخروية فإنها تصل إلى العبد أو تندفع عنه برحمته من غير شائبة غرض ولا ضميمة علة، لأنه الجواد المطلق والغني الذي لا يفتقر، فينبغي أن لا يرجى إلا رحمته ولا يخشى إلا نقمته ويلتجأ في عظائم[1] المهام إليه ويعتمد في جمهور الأمور عليه ولا يسأل غيره، لأن غيره غير قادر على العطاء والمنع ودفع الضر وجلب النفع فإنهم: لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضراً ولا يملكون موتاً ولا حياة ولا نشوراً. ولا يترك السؤال بلسان الحال أو بيان المقال في جميع الأحوال. ففي الحديث: «من لم يسأل الله يغضب عليه». إذ السؤال إظهار شعائر الانكسار والإقرار بسمت العجز والافتقار والإفلاس عن ذروة القوّة والطاقة إلى حضيض الاستكانة والفاقة، ونعم ما قيل:

الله يغضب إن تركت سؤاله ... وبني آدم حين يسئل يغضب

(وإذا استعنت) أي أردت الاستعانة في الطاعة وغيرها من أمور الدنيا والآخرة. **(فاستعن**

---

(١) في المخطوطة «عظام».

بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه اللّهُ لك، ولو اجتمعوا على أن يضرُّوك بشيء لم يضرُّوك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رُفعت الأقلام، وجفّت الصحف»

بالله) فإنه المستعان وعليه التكلان في كل زمان ومكان. (واعلم) زيادة حث على التوجه إليه والتقرب بالاستفادة لديه. (أن الأمة) أي جميع الخلق من الخاصة والعامة والأنبياء والأولياء وسائر الأمة. (لو اجتمعت) أي اتفقت فرضاً وتقديراً. (على أن ينفعوك بشيء) أي في أمر دينك أو دنياك (لم ينفعوك) أي لم يقدروا أن ينفعوك (إلا بشيء قد كتبه الله لك) أي قدره وأثبته في الذكر وفرغ منه وقد أذنهم في ذلك (ولو اجتمعوا) وقع في الأربعين هنا بلفظ: وإن اجتمعوا. فقال بعض الشراح من المحققين: إن لفظة لو فيما سبق بمعنى أن إذ المعنى على الاستقبال لقوله تعالى: ﴿لو تركوا من خلفهم﴾ [النساء ـ ٩]. فنكتة العدول هو أن اجتماعهم على الإمداد من المستحيلات بخلاف الاتفاق على الإيذاء فإنه ممكن ولذا قيل:

الظلم من شيم النفوس فإن تجد ... ذا عفة فلعله يظلم

انتهى كلامه. وهو غفلة منه عن الحكم المقرر في الاعتقاد أن اجتماعهم على إيصال النفع والضر بدون المشيئة من المحال. فإن ثبتت الرواية بالاختلاف فهو من باب التفنن، واختيار لو في القرينة الأولى أولى لأنها أدل على الفرضية المحالية، ووقوع أن في الثانية على أصلها مع استفادة الحكم من المعطوف عليها. (على أن يضروك بشيء) أي من سلب نفع أو جلب ضر (لم يضروك) أي لم يقدروا أن يضروك (إلا بشيء قد كتبه الله عليك) وخلاصة المعنى أنك وحد الله في المطلب والمهرب فهو الضار النافع والمعطي المانع. وفي بعض الكتب الإلهية: وعزتي وجلالي لأقطعن من يؤمل غيري وألبسنه ثوب المذلة عند الناس ولأجنبنه من قربي ولأبعدنه من وصلي ولأجعلنه متفكراً حيران يؤمل غيري في الشدائد والشدائد بيدي وأنا الحي القيوم ويطرق بالفكر أبواب غيري وبيدي مفاتيح الأبواب وهي مغلقة وبابي مفتوح لمن دعاني. هذا وأورد اللام في جانب النفع لأنه للملك. وحقيقته الاختصاص النافع. وقوله: ﴿وإن أسأتم فلها﴾ [الإسراء ـ ٧]. مجاز في صورة الضر على ما هو المشهور عند الجمهور. (رفعت الأقلام) أي من كتابة الأحكام. (وجفت الصحف) أي نشفت ما دون فيها من أقضية المخلوقين إلى يوم الدين فلا يوضع عليها بعد بتدوين شيء وتغيير أمر. وخلاصته أنه كتب في اللوح المحفوظ ما كتب من التقديرات ولا يكتب بعد الفراغ منه شيئاً آخر، فعبر عن سبق القضاء والقدر برفع القلم وجفاف الصحيفة تشبيهاً بفراغ الكاتب في الشاهد من كتابته. وقد سبق في أول الكتاب حديث: «إن أوّل ما خلق الله القلم فقال: اكتب. قال: [و]ما أكتب. قال: اكتب القدر. فكتب ما كان وما هو كائن إلى الأبد»[١]. وحديث: جف القلم على علم الله[٢]، أي ما علمه وحكم به في الأزل لا يتغير ولا يتبدل، وجفاف القلم

---

(١) الترمذي الحكيم. (٢) البخاري تعليقاً في صحيحه ٤٩١/١١ باب جف القلم على علم الله.

رواه أحمد، والترمذي.

عبارة عنه والله [تعالى]أعلم. لا يقال هذا ينافي قوله تعالى: ﴿**يمحو الله ما يشاء ويثبت**﴾ [الرعد ـ ٣٩]. لأنا نقول المحو والإثبات أيضاً مما جفت الصحف لأن القضاء قسمان مبرم ومعلق وهذا بالنسبة إلى اللوح المحفوظ، وأما بالإضافة إلى علم الله فلا تبديل ولا تغيير. ولهذا قال: ﴿**وعنده أم الكتاب**﴾ [الرعد ـ ٣٩]. وقيل: عند الله كتابان اللوح وهو الذي لا يتغير والذي يكتبه الملك على الخلق وهو محل المحو والإثبات. فهذا القدر من الحديث (**رواه** [**أحمد**]**والترمذي**) وقال: هذا حديث حسن صحيح. كما قاله النووي: ثم قال: وفي رواية غير الترمذي: احفظ الله تجده أمامك. تعرف إلى الله، بتشديد الراء، أي تحبب إليه بحفظ أحكامه. ذكره النووي [رحمه الله]لأن المعرفة سبب المحبة، يعرفك في الشدة بتخفيف الراء، أي يجازك فيها. واعلم أن ما أخطأك، أي جاوز عنك من النعمة والرخاء والشدة والبلاء، وأصل الخطأ العدول عن الجهة، لم يكن ليصيبك، أي محال أن يصيبك. وفيه مبالغة من وجوه من حيث دخول اللام المؤكدة للنفي على الخير وتسليط النفي على الكينونية وسرايته في الخبر. وما أصابك لم يكن ليخطئك. فيه الحث على التوكل والرضا ونفي الحول والقوة عنه، إذ ما من حادثة من سعادة وشقاوة وعسر ويسر وخير وشر ونفع وضر وأجل ورزق إلا ويتعلق بقدره وقضائه قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف عام جرى قلم القضاء بما يكون، فسيان التحرك والسكون فيجب الشكر في حال السراء والصبر في حال الضراء قائلاً كما قال تعالى: ﴿**قل كل من عند الله**﴾ [النساء ـ ٧٨]. واعلم أن النصر أي على الأعداء مع الصبر أي على المحن والبلاء، وإن الفرج وهو الخروج من الغم مع الكرب أي الغم الذي يأخذ بنفس النفس ولذا ورد:

* اشتدي أزمة تنفرجي[1] *

﴿**وإن مع العسر يسرا**﴾ [الشرح ـ ٩]. قال شارح: وقد وقعت الآية في القرآن مكررة ليعلم أنه لا يوجد عسر إلا معه يسران، وهذا مبني على القاعدة المشهورة إن النكرة المعادة غير الأولى، والمعرفة المعادة عين الأولى لكنها غالبية لأن قوله تعالى: ﴿**قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك**﴾ [آل عمران ـ ٢٦]. لا شك فيه أن اللام الأولى للاستغراق والثانية للجنس الذي يحصل بوجود فرد منه، ثم قيل: مع بمعنى بعد، وهذا بعيد عن حقيقة المعنى وإرادة المبالغة في المبنى حيث قصد معاقبة أحدهما للآخر واتصاله به حتى جعله كالمقارن لزيادة في التسلية والتنفيس على أن المحن لا تخلو عن المنح، بل إنها عينها. ﴿**وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم**﴾ [فصلت ـ ٣٥]. ﴿**وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم**﴾ [فصلت ـ ٣٥]. هذا وقد قال القطب الرباني والغوث الصمداني السيد عبد القادر الجيلاني قدس سره في فتوحات الغيب: ينبغي لكل مؤمن أن يجعل هذا الحديث مرآة قلبه وشعاره ودثاره وحديثه فيعمل به في جميع حركاته وسكناته حتى يسلم في الدنيا والآخرة ويجد العزة فيها برحمة الله [تعالى]. رواه

---

(١) ذكره السيوطي في الجامع الصغير ١/ ٦٩ حديث رقم ١٠٤٧ وقال رواه القضاعي والديلمي.

٥٣٠٣ ـ (٩) وعن سعد، قال: قال رسول الله ﷺ: «من سعادةِ ابن آدم رضاء بما قضى الله له، ومن شقاوةِ ابنِ آدمَ تركه استخارةَ الله، ومن شقاوة ابنِ آدم سخطه بما قضى الله له».

أحمد والترمذي. قال الطيبي [رحمه الله]: وزاد بعد قوله: تجاهك. في رواية رزين: تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة. وفي آخره: فإن استطعت أن تعمل لله بالرضا في اليقين فافعل فإن لم تستطيع فإن في الصبر على ما تكره خيراً كثيراً، واعلم أن النصر مع الصبر والفرج مع الكرب وأن مع العسر يسراً ولن يغلب عسر يسرين. والحديث بطوله قد جاء مثله أو نحوه في مسند أحمد بن حنبل [رحمه الله]. في النهاية: معنى: تعرف إلى الله، أي اجعل تعرفك بطاعته والعمل فيما أولاك من نعمته فإنه يجازيك عند الشدة والحاجة إليه في الدنيا والآخرة. وأراد بقوله: لن يغلب عسر يسرين. إن التعريف في العسر الثاني في قوله تعالى للعهد، والتنكير في يسراً للنوع، فيكون العسر واحداً واليسر اثنين. فالعسر ما كانوا عليه من متاعب الدنيا ومشاقها واليسر في الدنيا الفتح والنصرة على الأعداء، وفي العقبى الفوز بالحسنى ولقاء الأحباء.

٥٣٠٣ ـ (وعن سعد) أي ابن أبي وقاص (قال: قال رسول الله ﷺ: من سعادة ابن آدم رضاه بما قضى الله له) أي ومن سعادة ابن آدم استخارة الله ثم رضاه بما حكم به وقدره وقضاه كما يدل عليه مقابلته بقول: (ومن شقاوة ابن آدم تركه استخارة الله) أي طلب الخيرة منه فإنه يختار له ما هو خير له. ولذا قال بعض العارفين: اترك الاختيار وإن كنت لا بد أن تختار فاختر أن لا تختار وربك يخلق ما يشاء ويختار. وقد قال تعالى: ﴿وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم﴾ [الأحزاب ـ ٣٦]. (ومن شقاوة ابن آدم سخطه) أي غضبه وعدم رضاه (بما قضى الله [له]) فالرضا بالقضاء باب الله الأعظم، وهو من بين منازل السائرين موسوم بالمقام الأفخم. ثم تقديم الاستخارة لأنه سبب للرضا ولأنها توجد قبل تحقق القضاء. قال الطيبي رحمه الله: أي الرضا بقضاء الله وهو ترك السخط علامة سعادته، وإنما جعله علامة سعادة العبد لأمرين: أحدهما ليتفرغ للعبادة لأنه إذا لم يرض بالقضاء يكون مهموماً أبداً مشغول القلب بحدوث الحوادث ويقول: لم كان كذا ولم لا يكون كذا والثاني لئلا يتعرض لغضب الله تعالى بسخطه. وسخط العبد أن يذكر غير ما قضى الله له وقال إنه أصلح وأولى فيما لا يستيقن فساده وصلاحه. فإن قلت: ما موقع قوله: ومن شقاوة ابن آدم تركه استخارة الله بين المتقابلين. قلت: موقعه بين القرينتين لدفع توهم من يترك الاستخارة ويفوّض أمره بالكلية انتهى. وفيه أن الاستخارة والتفويض مآلهما واحد وكذا اكتفى بالاستخارة في القرينتين في رواية على ما يأتي. ثم لا شك أن التسليم المطلق أولى من الاستخارة لأنها نوع طلب وإرادة وضيق منازعة في أمر قد تحقق. هنا وحقيقة الاستخارة وهي أن يطلب الخير من الله في جميع أمره، بل وأن يعتقد أن الإنسان لا يعلم خيره من شره كما

الحديث رقم ٥٣٠٣: أخرجه الترمذي في السنن ٤/٣٩٦ حديث رقم ٢١٥١. وأحمد في المسند ١/١٦٨.

رواه أحمد، والترمذي وقال: هذا حديث غريب.

الفصل الثالث

٥٣٠٤ ـ (١٠) عن جابر، أنه غزا مع النبي ﷺ قبل نجد،

قال تعالى: ﴿وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون﴾ [البقرة ـ ٢١٦]. ثم يترقى بأن يرى أن لا يقع في الكون غير الخير ولذلك ورد: الخير بيديك والشر ليس إليك[1]. ثم المستحب دعاء الاستخارة بعد تحقق المشاورة في الأمر المهم من الأمور الدينية والدنيوية وأقله أن يقول: «اللهم خر لي واختر لي ولا تكلني إلى اختياري». والأكمل أن يصلي ركعتين من غير الفريضة ثم يدعو بالدعاء المشهور في السنة على ما قدمناه في كتاب الصلاة. (**رواه أحمد والترمذي وقال: هذا حديث غريب**) تمامه ولا نعرفه إلا من حديث محمد بن حميد وليس هو بالقوي عند أهل الحديث. ورواه الحاكم في صحيحه وزاد فيه: من سعادة ابن آدم استخارته الله ومن شقاوته تركه استخارة الله. رواه الحاكم[2] والترمذي. قال ميرك: كلاهما من حديث سعد بن أبي وقاص وقال الترمذي: غريب ولفظه: من سعادة ابن آدم كثرة استخارته الله تعالى ورضاه بما قضى الله تعالى له، ومن شقاوة ابن آدم تركه استخارة الله تعالى وسخطه بما قضى الله تعالى له. وفي الجامع أسند الحديث إلى الترمذي والحاكم عن سعد لكن لفظه: من سعادة ابن آدم استخارته الله تعالى ومن سعادة ابن آدم رضاه بما قضى الله، ومن شقاوة ابن آدم تركه استخارة الله ومن شقاوة ابن آدم سخطه بما قضى الله[3]. فهذا وما قبله مما يدل على أن لفظ المشكاة وقع فيه اختصار مخل والله سبحانه [وتعالى]أعلم. وروى الطبراني في الأوسط عن أنس مرفوعاً: ما خاب من استخار ولا ندم من استشار ولا عال من اقتصد[4]. وقال بعض الحكماء: من أعطى أربعاً لم يمنع أربعاً. من أعطى الشكر لم يمنع المزيد ومن أعطى التوبة لم يمنع القبول ومن أعطى الاستخارة لم يمنع الخير ومن أعطى المشورة لم يمنع الصواب.

(الفصل الثالث)

٥٣٠٤ ـ (**عن جابر أنه غزا مع النبي**) وفي نسخة: رسول الله. (**ﷺ قبل نجد**) بكسر

---

(١) من حديث أخرجه مسلم في صحيحه ١/ ٣٤ حديث رقم ٧٧١.

(٢) الحاكم في مستدركه ١/ ٥١٨.

(٣) الجامع الصغير ٢/ ٥٠٤ حديث رقم ٨٢٥٢.

(٤) ذكره السيوطي في الجامع الصغير ٢/ ٤٨٢ حديث رقم ٧٨٩٥.

الحديث رقم ٥٣٠٤: أخرجه البخاري في صحيحه ٦/ ٩٦. حديث رقم ٢٩١٠. ومسلم في صحيحه ٤/ ١٧٨٧ حديث رقم (١٤ ـ ٨٤٣) وأحمد في المسند ٣/ ٣٦٥.

فلما قفلَ رسول اللّهِ ﷺ قفَل معه، فأدركَتْهُم القائلةُ في وادٍ كثيرِ العضاهِ، فنزل رسول الله ﷺ، وتفرَّقَ الناس يستظلُّونَ بالشجر، فنزل رسول الله ﷺ تحتَ سَمُرَةٍ فعلّق بها سيفه ونِمْنا نومة، فإذا رسولُ اللّهِ ﷺ يدعونا، وإذا عنده أعرابيٌ فقال: «إن هذا اخترطَ عليَّ سيفي وأنا نائمٌ، فاستيقظتُ وهو في يده صَلتاً. قال: من يمنعك مني؟ فَقُلْتُ: الله، ثلاثاً» ولم يُعاقِبْه، وجلس. متفق عليه.

٥٣٠٥ ـ (١١) وفي رواية أبي بكر الإسماعيلي في «صحيحه» قال: من يمنعك مني؟

القاف وفتح الباء أي جهته وجانبه. وفي النهاية: النجد ما ارتفع من الأرض وهو اسم خاص لما دون الحجاز. **(فلما قفل رسول الله ﷺ)** أي رجع، وسمي القافلة قافلة ولو كانت ذاهبة تفاؤلاً بمآلها. **(قفل معه)** أي قفل جابر مع النبي ﷺ **(فأدركتهم)** أي الصحابة أو الغزاة **(القائلة)** أي الظهيرة أو وقت القيلولة. **(في واد كثير العضاه)** بكسر العين وهو الشجر الذي له شوك. **(فنزل رسول الله ﷺ)** اي فأراد النزول أو أمر بالنزول **(وتفرق الناس يستظلون بالشجر)** أي بجنسه من أنواع الأشجار **(فنزل رسول الله ﷺ تحت سمرة)** بفتح سين فضم ميم، شجرة من الطلح وهي العظام من شجر العضاه. **(فعلق بها)** أي بغصن من أغصانها **(سيفه ونمنا)** بكسر أوّله. **(نومة)** أي خفيفة **(فإذا رسول الله ﷺ يدعونا)** أي ينادينا ويطلبنا **(وإذا)** وفي نسخة: فإذا. **(عنده أعرابي)** أي بدوي كافر **(فقال:)** أي النبي ﷺ **(إن هذا)** أي الأعرابي **(اخترط)** أي سل **(عليّ سيفي)** أي المعلق **(وأنا نائم)** حال **(فاستيقظت وهو)** أي والحال أن سيفي **(في يده صلتاً)** بفتح الصاد ويضم أي مسلولاً مجرداً عن الغمد. قال الجوهري: وهو بفتح الصاد وضمها. وفي القاموس: الصلت السيف الصقيل الماضي، ويضم وفي النهاية: وسيف مجرد. **(قال:)** أي الأعرابي **(من يمنعك مني)** أي من أذيتي، فالفعل على حقيقته والمضاف مقدر. قال الطيبي [رحمه الله]: أي من يحميك مني. قال في أساس البلاغة: ومن المجاز فلان يمنع الجار، [أي]يحميه من أن يضام. **(فقلت: الله)** أي الله يمنعين على الحقيقة، أو نظر إلى العصمة الموعودة بقوله سبحانه: ﴿**والله يعصمك من الناس**﴾ [المائدة ـ ٦٧]. **(ثلاثاً)** أي ثلاث مرات. وفيه إيماء إلى أنه يستحب تثليث لفظ الجلالة حالة الاستغاثة والاستعانة. **(ولم يعاقبه)** أي الأعرابي **(وجلس)** أي النبي ﷺ بعد ما كان قائماً أو مضطجعاً. ثم يحتمل أن تكون القضية وقعت قبل المناداة فأخبرهم بما وقع من خرق العادة، ويمكن أن تكون بعدها فناداهم ليريهم المعجزة، والأوّل أظهر والله أعلم. **(متفق عليه)**.

٥٣٠٥ ـ (وفي رواية أبي بكر الإسماعيلي في صحيحه فقال: من يمنعك مني

الحديث رقم ٥٣٠٥: أخرجه البخاري في صحيحه ٦/ ٩٧. حديث رقم ٢٩١٣. وأخرجه مسلم ٤/ ١٧٨٧ حديث رقم (١٤ ـ ٨٤٣). وأحمد في المسند ٣/ ٣٩٠.

قال: «الله» فسقط السيفُ من يدِه، فأخذ رسول الله ﷺ السيفَ فقال: «من يمنعُك مني؟» قال: كنْ خيرَ آخذٍ. فقال: «تشهد أنْ لا إله إلاّ الله، وأني رسولُ اللّهِ؟» قال: لا، ولكني أعاهِدك على أن لا أقاتلك ولا أكون مع قوم يقاتلونك فخلّى سبيلَه، فأتى أصحابَه، فقال: جئتكم من عندِ خيرِ الناسِ. هكذا في «كتاب الحميدي» و «الرياض».

٥٣٠٦ ـ (١٢) وعن أبي ذر، أنَّ رسولَ اللّهِ ﷺ قال: «إني لأعلم آيةً لو أخذ النّاسُ بها لكفتهم: ﴿ومن يتّقِ اللّهَ يجعلْ له مخرجاً ويرزقْه من حيثُ لا يحتسبُ﴾ رواه أحمد، وابن ماجه، والدارمي.

فقال: الله [تعالى]، فسقط السيف من يده. فأخذ رسول الله ﷺ السيف فقال: من يمنعك مني فقال: كن خير آخذ) . أي متناول للسيف، وهو كناية للعفو مع القدرة. وقال الطيبي [رحمه الله تعالى]: أي بالجنايات يريد العفو انتهى. فالأخذ بمعنى المؤاخذة. (فقال: تشهد) أي أتشهد (أن لا إله إلا الله وأني رسول الله. قال: لا) أي لا أشهد (ولكن أعاهدك على أن لا أقاتلك) أي بانفرادي (ولا أكون) أي ولا أن أكون (رفيقاً مع قوم يقاتلونك. فخلى سبيله) أي فتركه حتى مضى إلى طريقه (فأتى) أي الأعرابي (أصحابه) أي قومه (فقال: جئتكم من عند خير الناس) أي كرماً وحلماً (هكذا) أي هذا الحديث المتفق عليه مع الزيادة (في كتاب الحميدي وفي الرياض) أي وكذا في كتاب رياض الصالحين للنووي[١].

٥٣٠٦ ـ (وعن أبي ذر أن رسول الله ﷺ قال: إني لأعلم آية لو أخذ الناس) أي عملوا (بها) أي بانفرادها (لكفتهم: ﴿ومن يتق الله يجعل له مخرجاً﴾) أي من البلايا (﴿ويرزقه من حيث لا يحتسب﴾)[٢] أي من العطايا. وما بعده: ﴿ومن يتوكل على الله فهو حسبه إن الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شيء قدراً﴾ [الطلاق ـ ٣]. قال الطيبي [رحمه الله]: يريد الآية بتمامها، فقوله: ﴿ومن يتق الله﴾ إلى قوله: ﴿من حيث لا يحتسب﴾. إشارة إلى أنه تعالى يكفيه جميع ما يخشى ويكره من أمور الدنيا والآخرة. وقوله: ﴿ومن يتوكل﴾. الخ إشارة إلى أن الله تعالى يكفيه جميع ما يطلبه ويبتغيه من أمور الدنيا والآخرة، وبالغ أمره أي نافذ أمره. وفيه بيان لوجوب التوكل عليه وتفويض الأمر إليه، لأنه إذا علم أن كل شيء من الرزق ونحوه لا يكون إلا بتقديره وتوقيفه لم يبق إلا التسليم للقدر والقضاء والتوكل، وأنشد:

إذا المرء أمسى حليفه التقي فلم يخش من طارق حله
ألم تسمع الله سبحانه ومن يتق الله يجعل له مخرجاً

(رواه أحمد وابن ماجه والدارمي).

---

(١) رياض الصالحين ص ٥١ الحديث رقم ٥ من باب اليقين والتوكل.

الحديث رقم ٥٣٠٦: أخرجه ابن ماجه في السنن ٢/١٤١١ حديث رقم ٤٢٢٠. والدارمي في السنن ٢/ ٣٠٩٢ حديث رقم ٢٧٢٥. وأحمد في المسند ١/ ٢٤٨.

(٢) سورة الطلاق. آيتان رقم ٢ و٣.

٥٣٠٧ ـ (١٣) وعن ابن مسعود، قال: أقرأني رسول الله ﷺ: ﴿إني أنا الرزاق ذو القوة المتين﴾. رواه أبو داود، والترمذي وقال: هذا حديث حسن صحيح.

٥٣٠٨ ـ (١٤) وعن أنس، قال: كان أخوانِ على عهد نبي الله ﷺ، فكان أحدهُما يأتي النبيَّ ﷺ، والآخرُ يحترِفُ، فشكا المحترفُ أخاه النبيَّ ﷺ، فقال: «لعلك ترزق به» رواه الترمذي وقال: هذا حديث صحيح غريب.

٥٣٠٧ ـ (وعن ابن مسعود قال: أقرأني رسول الله ﷺ) أي حملني على أن أقرأ ذكره الطيبي. والأظهر أن معناه علمني. (إني أنا الرزاق) أي قراءته هكذا قال الطيبي [رحمه الله]هي قراءة شاذة منسوبة إلى رسول الله ﷺ. والمشهور ﴿إن الله هو الرزاق﴾ [الذاريات ـ ٥٨]. انتهى. والمراد أنها كانت قراءة قطعية متواترة معنوية، وكان علمها رسول الله ﷺ ابن مسعود لكنها نسخت أو شذت طرقها بعد ابن مسعود. (ذو القوة المتين) أي الشديد القوة. والمعنى في وصفه بالقوة والمتانة أنه القادر البليغ الاقتدار على كل شيء. وقوله: ذو القوة. خبر بعد خبر، وفيه من المبالغات تصدير الجملة بأن وتوسيط ضمير الفصل المفيد للاختصاص وتعريف الخبر بلام الجنس، ثم أردفه بقوله: ذو القوة. وتتميمه بالمتانة فوجب أن لا يتوكل إلا عليه ولا يفوض الأمور إلا إليه، ذكره الطيبي [رحمه الله]. (رواه أحمد والترمذي وقال: هذا حديث حسن صحيح).

٥٣٠٨ ـ (وعن أنس قال: كان اخوان) أي اثنان من الإخوان (على عهد النبي ﷺ) أي في زمنه (فكان أحدهما يأتي النبي ﷺ) أي لطلب العلم والمعرفة (والآخر يحترف) أي يكتسب أسباب المعيشة فكأنهما كانا يأكلان [معاً](فشكا المحترف) أي في عدم مساعدة أخيه إياه في حرفته أو في كسب آخر لمعيشته. (أخاه النبي) بنزع الخافض أي إلى النبي ﷺ فقال: (لعلك ترزق به) بصيغة المجهول أي أرجو أو أخاف أنك مرزوق ببركته، لا أنه مرزوق بحرفتك فلا تمنن عليه بصنعتك. وفي الحديث دليل على جواز أن يترك الإنسان شغل الدنيا وأن يقبل على العلم والعمل والتجرد لزاد العقبى. قال الطيبي [رحمه الله]: ومعنى لعل في قوله: لعلك. يجوز أن يرجع إلى رسول الله ﷺ فيفيد القطع والتوبيخ كما ورد: «فهل ترزقون إلا بضعفائكم»[(١)]. وأن يرجع للمخاطب ليبعثه[(٢)] على التفكر والتأمل فينتصف من نفسه. (رواه الترمذي وقال: هذا حديث صحيح غريب). ورواه الحاكم أيضاً[(٣)].

الحديث رقم ٥٣٠٧: أخرجه الترمذي في السنن ٥/ ١٧٦. حديث رقم ٢٩٤٠.

الحديث رقم ٥٣٠٨: أخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٤٩٦. حديث رقم ٢٣٤٥.

(١) البخاري وراجع الحديث رقم (٥٢٣٢).

(٢) في المخطوطة «ليبعه».

(٣) الحاكم في مستدركه ١/ ٩٤.

٥٣٠٩ ـ (١٥) وعن عمرو بنِ العاص، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن قَلْبَ ابنِ آدمَ بكل وادٍ شعبة، فمن أَتبعَ قلبه الشُّعَبَ كلَّها لم يبالِ الله بأيِّ وادٍ أهلكه، ومن توكل على الله كفاه الشُّعَبَ». رواه ابن ماجه.

٥٣١٠ ـ (١٦) وعن أبي هريرة، أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «قال ربُّكم عزَّ وجلَّ: لَوْ أنَّ عبيدي أطاعوني لأسقيتُهم المطرَ بالليلِ، وأطلعْتُ عليهمُ الشَّمسَ بالنَّهارِ، ولمْ أُسمِعْهم صوتَ الرَّعدِ». رواه أحمد.

٥٣١١ ـ (١٧) وعنه، قال: دخلَ رجلٌ على أهلِه، فلمَّا رأى ما بهم مِنَ الحاجةِ خرجَ إلى البريَّةِ،

٥٣٠٩ ـ (وعن عمرو بن العاص قال: قال رسول الله ﷺ: إن قلب ابن آدم بكل واد شعبة) أي لقلبه قطعة. والمعنى بعض توجه منه لأن القلب واحد وأودية الهموم متعددة، وما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه. ففي النهاية: الشعبة الطائفة من كل شيء والقطعة منه. قال الطيبي [رحمه الله]: ولا بد فيه من تقدير، أي في كل واد له شعبة. (فمن أتبع قلبه الشعب كلها) من الإتباع أي من جعل قلبه تابعاً لشعب الهموم في أودية الغموم. (لم يبال الله بأي واد أهلكه. ومن توكل على الله كفاه الشعب) أي كفاه الله مؤمن حاجاته المتشعبة المختلفة. وفي معناه ما رُوِيَ عن النبي ﷺ من جعل الهموم هماً واحداً هم الدين كفاه الله هم الدنيا والآخرة. (رواه ابن ماجه).

٥٣١٠ ـ (وعن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: قال ربكم عزّ وجلّ: لو أن عبيدي أطاعوني) أي في أمري ونهيي (لأسقيتهم) أي لأنزلت عليهم (المطر بالليل) أي وهم نائمون مستريحون (وأطلعت) من باب الإفعال أي أظهرت وأبرزت (عليهم الشمس بالنهار) أي وهم بمكاسبهم وأمورهم مشتغلون (ولم أسمعهم) وفي رواية الجامع: ولما أسمعتهم. (صوت الرعد) أي لا ليلاً ولا نهاراً كيلا يخافون ولا ينفجعوا فلا يتضررون. قال الطيبي [رحمه الله]: هو من باب التتميم، فإن السحاب مع وجود الرعد فيه شائبة الخوف لقوله تعالى: ﴿هو الذي يريكم البرق خوفاً وطمعاً﴾ [الرعد ـ ١٢]. فنفاه ليكون رحمة محضة (رواه أحمد) وكذا الحاكم[١].

٥٣١١ ـ (وعنه[٢] قال: دخل رجل على أهله) أي أهل بيته وأصحاب نفقته (فلما رأى ما بهم من الحاجة) أي من الجوع والفاقة (خرج إلى البرية) أي إلى قطعة من الأرض منسوبة إلى

الحديث رقم ٥٣٠٩: أخرجه ابن ماجه ٢/ ١٣٩٥ حديث رقم ٤١٦٦.

الحديث رقم ٥٣١٠: أخرجه أحمد في المسند ٢/ ٣٥٩.

(١) الحاكم في المستدرك ٢/ ٣٤٩.

الحديث رقم ٥٣١١: أخرجه أحمد في المسند ٢/ ٥١٣.

(٢) في المخطوطة «وعن أبي هريرة».

فلمّا رأتِ امرأتُه قامتْ إلى الرَّحى، فوضعتها، وإلى التَّنُورِ، فسجَرَتْه، ثمّ قالتِ: اللّهُمَّ ارزُقنا، فنظرتْ فإذا الجَفنةُ قدِ امتلأتْ. قال: وذهبتْ إلى التَّنور، فوجدَتْهُ مُمتلئاً. قال: فرجعَ الزَّوجُ، قال: أصَبتم بعدي شيئاً؟ قالتْ امرأتُه: نعمْ، من ربِّنا، وقامَ إلى الرَّحى فذُكِرَ ذلكَ للنبي ﷺ، فقال: «أمَا إنّه لو لمْ يرفعْها لم تزلْ تدورُ إلى يومِ القيامةِ». رواه أحمد.

٥٣١٢ ـ (١٨) وعن أبي الدَّرداءِ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إنَّ الرِّزقَ ليطلبُ العبدَ كما يطلبُه أجلُه». رواه أبو نعيم في «الحلية».

البر للتضرع إلى خالق البرية (فلما رأت امرأته) أي خلو يد الرجل وإدباره عن الأهل من الحياء والخجل (قامت إلى الرحى فوضعتها) أي الطبقة العليا على السفلى. والمعنى: فهيأتها ونظفتها (وإلى التنور فسجرته) بتخفيف الجيم وتشدد أي أوقدته (ثم قالت:) فيه إشارة إلى أن العبد يسعى في طلب الحلال ما أمكنه الوقت ويقتضيه الحال. ثم يستعين في تحصيل أمره إلى الملك المتعال بالدعاء بنحو: (اللهم ارزقنا) أي من عندك فإنك خير الرازقين، وقد انقطع طمعنا عن غيرك ولا نطمع إلا في خيرك. (فنظرت) أي إلى الرحى (فإذا الجفنة) وهي القصعة على ما في القاموس، أو القصعة الكبيرة على ما في خلاصة اللغة، والمراد هنا ما يوضع تحت الرحى ليجتمع فيها الدقيق. (قد امتلأت) أي من الدقيق (قال:) أي الراوي (وذهبت) وفي نسخة صحيحة: فذهبت (إلى التنور) أي لتخبز فيه من الدقيق بعد عجنه (فوجدته ممتلئاً) أي من الخبز الملتصق به (قال:) أي الراوي (فرجع الزوج) أي راجياً لما قام بأمر الله داعياً (قال:) أي الزوج، وهو استئناف بيان. (أصبتم) أي أكلتم أو حصلتم (بعدي شيئاً) أي من الأشياء أو من الإصابة (قالت امرأته: نعم) أي أصبنا (من ربنا) أي من عند ربنا أو من رزقه وما أخطأنا. وأغرب الطيبي [رحمه الله]في قوله: اللهم ارزقنا. حيث قال: دعت أن تصيب زوجها بما تطحنه وتعجنه وتخبزه فهيأت الأسباب لذلك انتهى. (وقام) أي فتعجب الزوج وقام (إلى الرحى) أي ورفعها ليرى أثرها (فذكر) بصيغة المجهول. وفي نسخة صحيحة: فذكر. أي هو بنفسه (ذلك) أي ما ذكر من القضية بتمامها (للنبي ﷺ فقال: أما) بالتخفيف للتنبيه (إنه) أي الشأن (لو لم يرفعها لم تزل تدور إلى يوم القيامة. رواه أحمد).

٥٣١٢ ـ (وعن أبي الدرداء قال: قال رسول الله ﷺ: إن الرزق ليطلب العبد كما يطلبه أجله) أقول: بل حصول الرزق أسبق وأسرع من وصول أجله لأن الأجل لا يأتي إلا بعد فراغ الرزق. قال الله تعالى: ﴿الله الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم﴾ [الروم ـ ٤٠]. (رواه أبو نعيم في الحلية) قال ميرك نقلاً عن المنذري: رواه ابن ماجه في صحيحه والبزار، ورواه الطبراني بإسناد جيد، إلا أنه قال: إن الرزق ليطلب العبد أكثر مما يطلبه أجله. قلت: وكذا رواه ابن عدي في الكامل، وهو يؤيد ما قررته وفيما سبق من المعنى حررته. وروى أبو

الحديث رقم ٥٣١٢: أبو نعيم في حلية الأولياء ٦/٨٦.

٥٣١٣ ـ (١٩) وعن ابنِ مسعودٍ، قال: كأني أنظرُ إلى رسولِ الله ﷺ يحكي نبياً منَ الأنبياءِ، ضربَه قومُه فأدْمَوْه وهوَ يمسحُ الدَّمَ عن وجهِه ويقولُ: اللهُمَّ اغفرْ لقومي فإنهم لا يعلمونَ. متفق عليه.

(٥) باب الرياء والسمعة

نعيم في الحلية عن جابر مرفوعاً: لو أن ابن آدم هرب من رزقه كما يهرب من الموت لأدركه رزقه كما يدركه الموت[١].

٥٣١٣ ـ (وعن ابن مسعود قال: كأني أنظر إلى رسول الله ﷺ) أي في استحضار القضية واستحفاظ القصة (يحكي نبياً) أي حال كونه يحكي حال نبي (من الأنبياء ضربه قومه) أي قد ضربه قومه، فهو حال بتقدير قد وجوز بدونه أيضاً. قال الطيبي [رحمه الله]: قوله: نبياً، منصوب على شريطة التفسير بقرينة قوله: ضربه قومه، وهو حكاية لفظ الرسول ﷺ. ويجوز أن تقدر مضافاً، أي يحكي حال نبي من الأنبياء وهو معنى ما تلفظ به وحينئذ ضربه يجوز أن يكون صفة للنبي وأن يكون استئنافاً، كان سائلاً سأل ما حكاه فقيل: ضربه قومه. (فأدموه) أي جعلوه صاحب دم خارج من رأسه (وهو يمسح الدم عن وجهه) أي خوفاً من الوقوع في فمه أو عينه (ويقول:) أي من كمال صبره (اللهم اغفر لقومي) أي فعلهم هذا، بمعنى: لا تعذبهم به في الدنيا ولا تستأصلهم. وإلا فمن المعلوم أن مغفرة الكفار بمعنى العفو عن شركهم وكفرهم غير جائز بالإجماع. ويمكن أن تكون المغفرة كناية عن التوبة الموجبة للمغفرة. وإليه الإشارة بقوله: (فإنهم لا يعلمون) وهذا من كمال حلمه وحسن خلقه حيث أذنب القوم وهو يعتذر عنهم عند ربهم إنهم ما فعلوا ما فعلوا إلا لجهلهم بالله ورسوله. ففيه إشعار بأن الذنب مع الجهل أهون في الجملة بالنسبة إلى الذنب مع العلم ولذا ورد: ويل للجاهل مرة وويل للعالم سبع [مرات] (متفق عليه).

(باب الرياء والسمعة)

في المغرب يقال: فعل ذلك سمعة، أي ليريه الناس من غير أن يكون قصد به التحقيق وسمع بكذا شهرة تسميعاً انتهى. والتحقيق أن الرياء مأخوذ من الرؤية فهو ما يفعل ليراه الناس ولا يكتفي فيه برؤية الله سبحانه وتعالى، والسمعة بالضم مأخوذة من السمع فهو ما يفعل أو يقال ليسمعه الناس ولا يكتفي فيه بسمعه تعالى. ثم يستعمل كل منهما موضع الآخر، وقد يجمع بينهما تأكيداً أو لإرادة أصل المعنيين تفصيلاً. وضدهما الإخلاص في العمل لله على

(١) حلية الأولياء ٨/ ٢٤٦.

الحديث رقم ٥٣١٣: أخرجه البخاري في صحيحه ٦/ ٥١٤. حديث رقم ٣٤٧٧. وابن ماجه في السنن ٢/ ١٣٣٥ حديث رقم ٤٠٢٥. وأحمد في المسند ١/ ٤٤١.

الفصل الأول

٥٣١٤ ـ (١) عن أبي هريرةَ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إنَّ اللَّهَ لا ينظرُ إلى صوَرِكم، و [لا] أموالِكم، ولكنْ ينظرُ إلى قلوبكم وأعمالِكم». رواه مسلم.

٥٣١٥ ـ (٢) وعنه، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «قال اللَّهُ تعالى: أنا أغنى الشُّركاءِ عنِ الشِّركِ، مَن عمِلَ عمَلاً أشركَ فيه معي

قصد الخلاص. ثم الرواية الصحيحة في الرياء الهمز وعليه السبعة، ويجوز إبداله ياء وبه قرأ بعض القراء، وهو المشهور على ألسنة العامة.

(الفصل الأول)

٥٣١٤ ـ (عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: إن الله لا ينظر) أي نظر اعتبار (إلى صوركم) إذ لا اعتبار بحسنها وقبحها (وأموالكم) إذ لا اعتبار بكثرتها وقلتها (ولكن) وزاد في الجامع: ولكن إنما (ينظر إلى قلوبكم) أي إلى ما فيها من اليقين والصدق والاخلاص وقصد الرياء والسمعة وسائر الأخلاق الرضية والأحوال الردية (وأعمالكم) أي من صلاحها وفسادها فيجازيكم على وفقها. هذا وفي النهاية: معنى النظر ههنا الاجتباء والرحمة والعطف، لأن النظر في الشاهد دليل المحبة وترك النظر دليل البغض والكراهة وميل النفس إلى الصور المعجمة والأمور الفانية والله يتقدس عن شبه المخلوقين، فجعل نظره إلى ما هو البر واللب وهو القلب والعمل، والنظر يقع على الأجسام والمعاني فما كان بالأبصار فهو للأجسام وما كان بالبصائر كان للمعاني ذكره الطيبي [رحمه الله]. ولا يخفى بعد المراد من النظر هنا ما ذكره من الرحمة والعطف لا سيما في جانب النفي فتدبر، خصوصاً فيما ذكره من تنصيل النظر فإن نفيه في حقه تعالى لا يتصور والله [تعالى]أعلم. (رواه مسلم) وكذا ابن ماجه.

٥٣١٥ ـ (وعنه) أي عن أبي هريرة (قال: قال رسول الله ﷺ: قال الله تعالى: (أنا أغنى الشركاء) أي أنا أغنى من يزعم أنهم شركاه على فرض أن لهم غنى. (عن الشرك) أي عما يشركون به مما بيني وبين غيري في قصد العمل. والمعنى: ما أقبل إلا ما كان خالصاً لوجهي وابتغاء لمرضاتي. فاسم المصدر الذي هو الشرك مستعمل في معنى المفعول، ويؤيد ما قررناه ما أوضحه بطريق الاستئناف بقوله: (من عمل عملاً أشرك فيه) أي في قصد ذلك العمل (معي)

الحديث رقم ٥٣١٤: أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ١٩٨٧. حديث رقم (٣٤ ـ ٢٥٦٤). وابن ماجه ٢/ ١٣٨٨ حديث رقم ٤١٤٣. وأحمد في المسند ٢/ ٢٨٥.

الحديث رقم ٥٣١٥: أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ٢٢٨٩ حديث رقم (٤٦ ـ ٢٩٨٥). وابن ماجه في السنن ٢/ ١٤٠٥ حديث رقم ٤٢٠٢ وأحمد في المسند ٢/ ٣٠١.

غيري، تركتُه وشركه» وفي رواية: «فأنا منه بريءٌ، هوَ للذي عمِله».

أي مع ابتغاء وجهي (غيري) أي من المخلوقين فلا يضره قصد الجنة وتوابعها مثلاً فإنها من جملة مرضاته سبحانه، وإن كان المقام الأكمل أن لا يعبده لطمع جنة أو خوف نار، فإنه عد كفراً عند بعض العارفين. لكن التحقيق فيه أنه لو كان بحيث لو لم تخلق جنة ولا نار لما عبده سبحانه لكان كافراً فإنه يستحق العبادة لذاته، ولذا مدح صهيب بما رُوِيَ في حقه: نعم العبد صهيب لو لم يخف الله ما عصاه[1]. وقوله: (تركته وشركه) خبر من والواو بمعنى مع، أو المعنى تركته عن نظر الرحمة وتركت عمله المشترك عن درجة القبول. (وفي رواية: فأنا منه بريء) قيل من ذلك العمل. والأظهر من عامل ذلك العمل لئلا يكون تكراراً في قوله. (هو) أي ذلك العمل (للذي عمله) أي لأجله ممن قصده بذلك العمل رياء وسمعة، وهو تأكيد لما قبله. وقال شارح: أي هو لفاعله، يعني: تركت ذلك العمل وفاعله لا أقبله ولا أجازي فاعله بذلك العمل لأنه لم يعمله لي انتهى. وفيه أنه يلزم منه أن يكون عمله حينئذ مباحاً مع أن العمل على وجه الإشراك حرام إجماعاً فيعاقب فاعله بذلك العمل فتأمل. ولنذكر بقية كلام الشراح، فقال ابن الملك [رحمه الله]: أغني أفعل التفضيل من غني به عنه غنية، أي استغنى به عنه وإضافته إما للزيادة المطلقة، أي أنا غني من بين الشركاء، وإما للزيادة على ما أضيف إليه، أي أنا أكثر الشركاء استغناء عن الشرك لكون استغنائه من جميع الجهات وفي جميع الأوقات، وفيما ذكره من الوجه الثاني ما لا يخفى. وقال الطيبي [رحمه الله]: اسم التفضيل هنا لمجرد الزيادة والإضافة فيه للبيان، أو على زعم القوم. وفيه أن وجه الإضافة للبيان يحتاج إلى مزيد البيان وكأنه أراد أن معناه: أنا غني مما بينهم دونهم. ثم قال: والضمير المنصوب في تركته يجوز أن يرجع إلى العمل. والمراد من الشرك الشريك، قال النووي [رحمه الله تعالى]: معناه أنا غني عن المشاركة وغيرها، فمن عمل شيئاً لي ولغيري لم أقبله بل أتركه مع ذلك الغير. ويدل عليه الحديث الأول من الفصل الثاني. ويجوز أن يرجع إلى العامل. والمراد بالشرك الشركة وقوله وهو يعود إلى العمل على الوجه الأول وإلى العامل على الوجه الثاني أي العامل لما عمل به من الشرك يعني يختص به ولا يتجاوز عنه وكذا الضمير في منه. أقول: ويمكن أن يقال معناه: أنا أغنى كل ممن يطلق عليه اسم الشريك كقوله تعالى: ﴿أحسن الخالقين﴾ [الصافات ـ ١٢٥]. فإن كثيراً من الشركاء في الدنيا من الأغنياء إذا وقع لهم سهم مع الفقراء فإنهم يسامحونهم به ويعطونهم إياه أو يهبونه لواحد منهم من أفقرهم، فإذا كان هذا وصف بعض الشركاء من الضعفاء فكيف بالذي لا شريك له وله وصف العظمة والكبرياء. هذا وقال الإمام حجة الإسلام: درجات الرياء أربعة أقسام الأولى: وهي أغلظها أن لا يكون مراده الثواب أصلاً كالذي يصلي بين أظهر الناس ولو

---

(١) ذكر الدكتور نور الدين عتر في كتابه منهاج النقد في علوم الحديث نقلاً عن المقاصد الحسنة وكشف الخفاء أن هذا الحديث لا سند له [منهاج النقد ص ٤١١].

رواه مسلم.

٥٣١٦ ـ (٣) وعن جُندبٍ، قال: قال النبيُّ ﷺ: «مَن سمَّعَ سمَّعَ اللَّهُ به، ومَن يُرائي يُرائي اللَّهُ به».

انفرد لكان لا يصلي، بل ربما يصلي من غير طهارة مع الناس فهذا جرد قصده للرياء فهو الممقوت عند الله تعالى. والثانية أن يكون له قصد الثواب أيضاً ولكن قصداً ضعيفاً بحيث لو كان في الخلوة لكان لا يفعله ولا يحمله ذلك القصد على العمل، ولو لم يكن الثواب لكان قصد الرياء يحمله على العمل فقصد الثواب فيه لا ينفي عنه المقت. والثالثة أن يكون قصد الثواب والرياء متساويين بحيث لو كان واحد خالياً عن الآخر لم يبعثه على العمل فلما اجتمعا انبعثت الرغبة، وظواهر الأخبار تدل على أنه لا يسلم رأساً برأس. والرابعة أن يكون إطلاع الناس مرجحاً مقوياً لنشاطه ولو لم يكن لم يترك العبادة، ولو كان قصد الرياء وحده لما أقدم. فالذي نظنه والعلم عند الله أنه لا يحبط أصل الثواب ولكنه ينقص منه أو يعاقب على مقدار قصد الرياء ويثاب على مقدار قصد الثواب. وأما قوله ﷺ: أنا أغنى الشركاء[1]. فهو محمول على ما إذا تساوى القصدان أو كان قصد الرياء أرجح (رواه مسلم) وكذا ابن ماجه الرواية الأولى.

٥٣١٦ ـ (وعن جندب) مر ذكره (قال: قال النبي) وفي نسخة: رسول الله. (ﷺ: من سمع) بتشديد الميم، أي من عمل عملاً للسمعة بأن نوه بعمله وشهره ليسمع الناس به ويمتدحوه. (سمع الله به) بتشديد الميم أيضاً، أي شهره الله بين أهل العرصات وفضحه على رؤوس الإشهاد. وأما ما نقله الطيبي [رحمه الله]عن النووي [رحمه الله]بأن معناه: من أظهر عمله للناس رياء، فهو غير ملائم لمقام التفصيل والتميز بين المعنيين من السمعة والرياء حيث قال: (ومن يرائي يرائي الله به) بإثبات الياء في الفعلين على أن من موصولة مبتدأ. والمعنى: من يعمل عملاً ليراه الناس في الدنيا يجازيه الله تعالى به بأن يظهر رياءه على الخلق. وخلاصة القرينتين وزبدة الجملتين أن المعنى يسمع الله الخلق بكونه مسمعاً ويظهر لهم بكونه مرائياً. وفي شرح مسلم معنى: من يرائي من أظهر للناس العمل الصالح ليعظم عندهم وليس هو كذلك يرائي الله به، أي يظهر سريرته على رؤوس الخلائق. وفيه أن قيده بقوله: وليس هو كذلك. ظاهره أنه ليس كذلك بل هو على إطلاقه سواء يكون كذلك أو لا يكون كذلك. ثم قال: وقيل معناه: من سمع بعيوب الناس وأذاعها أظهر الله عيوبه. وقيل: أسمعه المكروه. وقيل: أراه الله ثواب ذلك من غير أن يعطيه إياه ليكون حسرة عليه وقيل معناه: من أراد أن

---

(١) الأولى أن يقال قول الله تعالى في الحديث القدسي.

الحديث رقم ٥٣١٦: أخرجه البخاري في صحيحه ١١/ ٣٣٥. حديث رقم ٦٤٩٩. ومسلم في صحيحه ٤/ ٢٢٨٩ حديث رقم (٤٨ ـ ٢٩٨٧). والترمذي في السنن ٤/ ٥١٠ حديث رقم ٢٣٨١ وابن ماجه في السنن ٢/ ١٤٠٧ حديث رقم ٤٢٠٧. وأحمد في المسند ٣/ ٤٠.

متفق عليه.

٥٣١٧ ـ (٤) وعن أبي ذرّ، قال: قيل لرسولِ الله ﷺ: أرأيتَ الرَّجلَ يعملُ العملَ منَ الخيرِ ويحمَدُه الناسُ عليه. وفي رواية: يُحبُّه الناسُ عليه. قال: «تلكَ عاجلُ بشرى المؤمنِ». رواه مسلم

الفصل الثاني

٥٣١٨ ـ (٥) عن أبي سعدِ بن أبي فَضالة،

يعلمه الناس أسمعه الله الناس وكان ذلك حظه منه. قال الشيخ أبو حامد: الرياء مشتق من الرؤية، والسمعة من السماع. وإنما الرياء أصله طلب المنزلة في قلوب الناس بإرائهم الخصال المحمودة، فحد الرياء هو إراء العبادة بطاعة الله تعالى، فالمرائي هو العابد والمراء له هو الناس والمراءى به هو الخصال الحميدة، والرياء هو قصد إظهار ذلك. (متفق عليه) ورواه أحمد ومسلم وابن عباس ولفظ: من سمع سمع الله به ومن راءى راءى الله به.

٥٣١٧ ـ (وعن أبي ذر قال: قيل لرسول الله ﷺ: أرأيت) أي أخبرني كما قاله شارح. فقوله (الرجل يعمل العمل) مبتدأ وخبر في محل النصب وقال الطيبي [رحمه الله]أي أخبرنا بحاله فالرجل منصوب بنزع الخافض. والمراد بالعمل جنسه. وقوله: (من الخير) بيان له، ومن المعلوم أن لا خير في العمل للرياء فيكون عمله خالصاً. (ويحمده الناس عليه) أي يثنون على ذلك العمل أو على ذلك الخير. (وفي رواية: ويحبه الناس) أي يعظمونه (عليه) أي على ذلك الخير، أو لأجل ذلك العمل. (قال: تلك) أي المحمدة أو المحبة أو الخصلة أو المثوبة (عاجل بشرى المؤمن) أي معجل بشارته، وأما مؤجلها فباق إلى يوم آخرته. وظاهره أنه يستوي فيه أنه يعجبه حمدهم ومحبتهم أولاً، والثاني أولى والأول أظهر. وسيجيء التصريح به في حديث أبي هريرة من الفصل الآتي. قال المظهر: أي أخبرنا بحال من يعمل عملاً صالحاً لله تعالى لا للناس ويمدحونه هل يبطل ثوابه فقال ﷺ: تلك عاجل بشرى المؤمن، يعني هو في عمله ذلك ليس مرائياً فيعطيه الله تعالى به ثوابين في الدنيا وهو حمد الناس له وفي الآخرة ما أعدله. (رواه مسلم).

(الفصل الثاني)

٥٣١٨ ـ (عن أبي سعيد بن أبي فضالة) بفتح الفاء. قال الطيبي [رحمه الله]: أبو سعد

الحديث رقم ٥٣١٧: أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ٢٠٣٤ حديث رقم (١٦٦ . ٢٦٤٢). وابن ماجه ٢/ ١٤١٢ حديث رقم ٤٢٢٥. وأحمد في المسند ٥/ ١٥٦.

الحديث رقم ٥٣١٨: أخرجه الترمذي في السنن ٥/ ٢٩٤ حديث رقم ٣١٥٤. وأحمد في المسند ٣/ ٤٦٦.

عن رسول اللهِ ﷺ، قال: «إذا جمعَ اللَّهُ الناسَ يومَ القيامةِ ليومٍ لا ريبَ فيه نادى مُنادٍ: مَن كانَ أشركَ في عملٍ عملَه للهِ أحداً، فليطلبْ ثوابَه من عندِ غيرِ اللَّهِ؛ فإنَّ اللَّهَ أغنى الشركاءِ عن الشركِ». رواه أحمد.

٥٣١٩ ـ (٦) وعن عبدِ الله بن عمرٍو، أنه سَمِعَ رسولَ الله ﷺ يقول: «من سَمَّعَ الناسَ بعملِه سمَّعَ اللَّهُ به أسامِعَ خلقِه

بسكون العين كذا في مسند أحمد وفي الاستيعاب وجامع الأصول. وفي نسخ المصابيح: أبو سعيد بياء بعد العين انتهى. قال الجزري: هو تصحيف. وقال المؤلف: اسمه كنيته وهو حارثي أنصاري يعد في أهل المدينة. (عن رسول الله ﷺ قال: إذا جمع الله الناس يوم القيامة ليوم) أي لحسابه وجزائه (لا ريب فيه) أي في وقوع ذلك اليوم أو في حصول ذلك الجمع. قال الطيبي [رحمه الله]: اللام متعلق بجمع. ومعناه: جمع الله الخلق ليوم لا بد من حصوله ولا يشك في وقوعه لتجزى كل نفس بما كسبت. وقوله: يوم القيامة، توطئة له ويجوز أن يكون ظرفاً لجمع، كما جاء في الاستيعاب: إذا كان يوم القيامة جمع الله الأولين والآخرين ليوم لا ريب فيه. الحديث. فعلى هذا قوله: ليوم، مظهر وقع مقام المضمر أي جمع الله الخلق يوم القيامة ليجزيهم فيه. (نادى مناد: من كان أشرك في عمل عمله لله أحداً) منصوب على أنه مفعول أشرك، أي أحداً غير الله ولذا قال: (فليطلب ثوابه من عند غير الله) ولعل وجه العدول عن قوله من عنده أو من عند ذلك الأحد ما يحصل به من إبهام الإيهام ويخل به مقام المرام. (فإن الله أغنى الشركاء عن الشرك) فهذا الحديث يؤيد ما قررناه آخراً في معنى الحديث الأول فتأمل (رواه أحمد) وكذا الترمذي وابن ماجه ورجاله رجال مسلم إلا زياد بن مينا وقد وثقوه. ورواه ابن حبان في صحيحه والبيهقي ذكره ميرك.

٥٣١٩ ـ (وعن عبد الله بن عمرو) بالواو (أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: من سمع الناس) بتشديد الميم أي راءاهم بعمله، أي المطلوب منه أن يخفيه عن نظر الخلق فأظهره لهم فكأنه ناداهم. (سمع الله) بتشديد الميم أيضاً أي أسمع (به) أي بعمله الرياني والسمعي (أسامع خلقه) أي آذانهم ومحل سماعهم. والمعنى: جعله مسموعاً لهم ومشهوراً فيما بينهم في العقبى، أو أظهر لهم سريرته وملأ أسماعهم مما ينطوي عليه من خبث سرائره جزاء لفعله. ويمكن أن يكون الضمير في قوله: به، راجعاً إلى الموصول. ففي شرح السنة. يقال: سمعت بالرجل تسميعاً إذا أشهرته. وقوله: أسامع خلقه، هي جمع أسمع. يقال: سمع وأسمع وأسامع جمع الجمع. يريد أن الله يسمع أسماع خلقه به يوم القيامة. وحاصله أن أسامع بالنصب مفعول سمع، أي بلغ الله مسامع خلقه أنه مراء مزور وأشهره بذلك فيما بين الناس. فأسامع جمع أسمع وهو جمع سمع بمعنى الأذن، وروي سامع خلقه مرفوعاً على أنه صفة لله. فالمعنى: سمع الله الذي هو سامع خلقه يعني فضحه الله. قال صاحب الفائق في هذه الرواية: ولو روي

الحديث رقم ٥٣١٩: رواه البيهقي في شعب الإيمان ٥/ ٣٣١ حديث رقم ٦٨٢١. وأحمد في المسند ٢/ ١٦٢.

وحَقَّرهُ وصَغَّرَه». رواه أحمد والبيهقي في «شعب الإيمان».

٥٣٢٠ - (٧) وعن أنسٍ، أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «مَنْ كانَتْ نِيَّتُهُ طلبَ الآخرةِ جَعَلَ اللَّهُ غناه في قلبه، وجَمَعَ له شمله، وأتته الدنيا وهي راغمة، ومَنْ كانت نيَّته طلبَ الدنيا جعَلَ اللَّهُ الفقرَ بينَ عينيهِ، وشتّتَ عليه أمره، ولا يأتيه منها إلاَّ ما كُتِبَ له». رواه الترمذي.

٥٣٢١ - (٨) ورواه أحمد، والدارمي عن أبان،

بالنصب لكان المعنى: سمع الله به من كان له سمع من خلقه. (وحقره وصغره) بالتشديد فيهما أي جعله حقيراً ذليلاً من الصغار وهو الذل، ولا يبعد أن يجعله كالذر صغيراً كما ورد في حق المتكبرين والله سبحانه [وتعالى]أعلم. (رواه البيهقي) وفي نسخة صحيحة رواه أحمد والبيهقي[1]. (في شعب الإيمان) قال ميرك: حديث عبد الله بن عمرو رواه الطبراني بأسانيد أحدها صحيح، والبيهقي كذا قاله المنذري.

٥٣٢٠ - (وعن أنس أن النبي ﷺ قال: من كانت نيته) أي قصده الأصلي في الأمر العلمي والعملي (طلب الآخرة) أي مرضاة مولاه (جعل الله غناه في قلبه) أي جعله قانعاً بالكفاف والكفاية كيلا يتعب في طلب الزيادة (وجمع له شمله) أي أموره المتفرقة بأن جعله مجموع الخاطر بتهيئة أسبابه من حيث لا يشعر به (وأتته الدنيا) أي ما قدر وقسم له منها (وهي راغمة) أي ذليلة حقيرة تابعة له لا يحتاج في طلبها إلى سعي كثير بل تأتيه هينة لينة على رغم أنفها وأنف أربابها، ولذا قيل: العلم يعطي ولو ببطي. (ومن كانت نيته طلب الدنيا جعل الله الفقر) أي جنس الاحتياج إلى الخلق كالأمر المحسوس منصوباً (بين عينيه وشتت) بتشديد التاء الأولى أي فرق (عليه أمره ولا يأتيه منها) أي من الدنيا (إلا ما كتب له) أي وهو راغم فلا يأتيه ما يطلب من الزيادة على رغم أنفه وأنف أصحابه. قال الطيبي [رحمه الله تعالى]: يقال: جمع الله شمله أي ما تشتت من أمره، وفرق الله شمله أي ما اجتمع من أمره فهو من الأضداد والحديث من باب التقابل والمطابقة. فقوله: جعل الله غناه في قلبه مقابل لقوله: جعل الله الفقر بين عينيه. وقوله: جمع له شمله مقابل لقوله: وشتت عليه أمره. وقوله: وأتته الدنيا وهي راغمة مقابل لقوله: ولا يأتيه منها إلا ما كتب له. فيكون معنى الأول وأتاه ما كتب له من الدنيا وهي راغمة، ومعنى الثاني وأتاه ما كتب له من الدنيا وهو راغم. (رواه الترمذي) أي عن أنس.

٥٣٢١ - (ورواه أحمد والدارمي عن أبان) بفتح همزة وتخفيف موحدة يصرف ولا

---

(١) وكذلك نسخة المتن.

الحديث رقم ٥٣٢٠: أخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٥٥٤ حديث رقم ٢٤٦٥. وابن ماجه ٢/ ١٣٧٥ حديث رقم ٤١٠٥. وأحمد في المسند ٥/ ١٨٣.

الحديث رقم ٥٣٢١: أحمد في المسند ٥/ ١٨٣.

عن زيد بن ثابت.

٥٣٢٢ ـ (٩) وعن أبي هريرةَ، قال: قلتُ: يا رسول الله! بينا أنا في بيتي في مصلاي، إذ دخل عليَّ رجلٌ، فأعجبني الحال التي رآني عليها، فقال رسول الله ﷺ: «رحمكَ اللهُ يا أبا هريرة! لكَ أجرانِ: أجرُ السِّرِّ وأجرُ العلانية». رواه الترمذي، وقال: هذا حديثٌ غريب.

يصرف. وهو ابن عثمان بن عفان تابعي سمع أباه وكثيراً من الصحابة. (عن زيد بن ثابت) قال ميرك: ورواه البزار والطبراني معناه وابن حبان في صحيحه.

٥٣٢٢ ـ (وعن أبي هريرة قال: قلت: يا رسول الله بينا أنا في بيتي في مصلاي إذ دخل عليَّ رجل فأعجبني الحال التي رآني عليها. فقال رسول الله ﷺ: رحمك الله يا أبا هريرة) قال الطيبي [رحمه الله]: صدر الحديث أخبار فيه معنى الاستخبار، يعني: هل تحكم على هذا أنه رياء أم لا. وكذلك طابقه قوله ﷺ: رحمك الله يا أبا هريرة. (لك أجران أجر السر) أي لإخلاصك (وأجر العلانية) أي للاقتداء بك أو لفرحك بالطاعة وظهورها منك. قيل: معناه فأعجبه رجاء أن يعمل من رآه بمثل عمله فيكون له مثل أجره، وهذا معنى قوله ﷺ: «من سن سنة حسنة كان له أجرها وأجر من عمل بها»[1]. ذكره في شرح السنة. والأظهر أن إعجابه بحسب أصل الطبع المطابق للشرع من أنه يعجبه أنه رآه أحد على حالة حسنة ويكره أن يراه على حالة قبيحة مع قطع النظر عن أن يكون ذلك العمل مطمحاً للرياء ومطمعاً للسمعة، فيكون من قبيل قوله ﷺ على ما رواه الطبراني عن أبي موسى: «من سرته حسنة وساءته سيئة فهو مؤمن»[2]. وقد قال تعالى: ﴿قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون﴾ [يونس ـ ٥٨]. فالمؤمن يفرح بتوفيق الأعمال كما أن غيره يفرح بتكثير الأموال والله [تعالى] أعلم بالأحوال (رواه الترمذي وقال: هذا حديث غريب) أي إسناداً. وقال ميرك نقلاً عن الجزري: رواه صاحب المصابيح في شرح السنة بهذا السياق من طريق سعد بن بشر عن الأعمش عن أبي هريرة ثم قال: قال أبو عيسى الترمذي: هذا حديث غريب. وظاهر هذا الكلام يدل على أن الترمذي رواه هكذا والذي في الترمذي بغير هذا اللفظ فقال: حدثنا محمد بن المثنى حدثنا أبو سنان الشيباني عن حبيب بن أبي ثابت عن أبي صالح عن أبي هريرة قال: قال رجل: يا رسول الله الرجل يعمل العمل فيسره فإذا اطلع عليه أعجبه ذلك. فقال رسول الله ﷺ: له أجران أجر السر وأجر العلانية. قال أبو عيسى: هذا حديث غريب. وقد روى الأعمش وغيره عن حبيب عن أبي صالح عن النبي ﷺ مرسلاً. انتهى كلام الترمذي والله [تعالى] أعلم.

الحديث رقم ٥٣٢٢: أخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٥١٢ حديث رقم ٢٣٨٤. وابن ماجه ٢/ ١٤١٢ حديث رقم ٤٢٢٦.

(١) مسلم في صحيحه ٤/ ٢٠٥٩ حديث رقم ١٠١٧. وكذلك الترمذي والنسائي والدارمي وابن ماجه.

(٢) ذكره السيوطي في الجامع الصغير ٢/ ٥٢٩ حديث رقم ٨٧٥١.

٥٣٢٣ ـ (١٠) وعنه، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «يخرج في آخر الزمان رجالٌ يختلونَ الدنيا بالدينِ، يلبسون للناس جلود الضأن من اللين، ألسنتهم أحلى من السكر، وقلوبهم قلوبُ الذئاب، يقول الله: «أبي يغترُّون أم عليَّ يجترؤون؟ فبي حلفتُ لأبعثنَّ على أولئك منهم فتنةً تدع الحليمَ فيهم حيران».

٥٣٢٣ ـ (وعنه) أي عن أبي هريرة (قال: قال رسول الله ﷺ: يخرج في آخر الزمان) أي يظهر (رجال يختلون) بسكون الخاء وكسر التاء، أي يطلبون. (الدنيا بالدين) أي بعمل أهل الآخرة أو يستبدلونها به ويختارونها عنه. والأظهر أن معناه يخدعون أهل الدنيا بعمل الدين من ختله إذا خدعه. والمعنى: يختلون في طلبها بملابسة الأمور الدينية والتدرع بلباسها على وجه الرياء والسمعة وسائر الأحوال الدنية، كما يدل عليه قوله: (يلبسون للناس) أي لا لله (جلود الضأن) بسكون الهمزة ويبدل. والمراد به عينه أو ما عليه من الصوف وهو الأظهر. فالمعنى أنهم يلبسون الأصواف ليظنهم الناس زهاداً وعباداً تاركين الدنيا راغبين في العقبى. (من اللين) أي من أجل إظهار التلين والتلطف والتمسكن والتقشف مع الناس وأرادوا به في حقيقة الأمر التملق والتواضع في وجوه الناس ليصيروا مريدين لهم ومعتقدين لأحوالهم. (ألسنتهم أحلى من السكر وقلوبهم قلوب الذئاب) بهمز ويبدل، أي أمر من مرارتها من شدة حب الدنيا والجاه وكثرة البغض والعداوة لأهل التقوى وغلبة الصفات البهيمية والشهوات الحيوانية والإرادات النفسانية، كما قال تعالى: ﴿ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو ألد الخصام﴾ [البقرة ـ ٢٠٤]. أي على الطعام وعلى تحصيل المال الحرام. (يقول الله: أبي) أي بإمهالي (يغترون) أي لم يدروا أني أمهل ولا أهمل. والمراد بالاغترار هنا عدم الخوف من الله تعالى وترك التوبة من فعلهم القبيح، أي أفلا يخافون من سخطي وعقابي. (أم عليّ) أي على مخالفتي (يجترؤون) أي بمكرهم الناس في إظهار الأعمال الصالحة، افتعال من الجراءة. ولذا قيل: الاجتراء الانبساط والتشجع. قال الطيبي [رحمه الله]: أم منقطعة أنكر أولاً اغترارهم بالله وبإمهاله إياهم حتى اغتروا، ثم أضرب عن ذلك وأنكر عليهم ما هو أضم[١] منهم وهو اجتراؤهم على الله. (فبي) أي فبذاتي وصفاتي (حلفت لأبعثن) من البعث أي لأسلطن أو لأقضين (على أولئك) أي الموصوفين بما ذكر (منهم) أي مما بينهم بتسليط بعضهم على بعض (فتنة تدع الحليم) أي تترك العالم الحازم فضلاً عن غيره. وفي بعض نسخ المصابيح: الحكيم بالكاف بدل الحليم باللام، والمؤدى واحد. (فيهم) أي فيما بينهم (حيران) أي حال كونه متحيراً في الفتنة لا يقدر على دفعها ولا على الخلاص منها بالإقامة فيها ولا بالفرار منها. قال الأشرف: من في منهم يجوز أن يكون للتبيين بمعنى الذين، والإشارة إلى الرجال وتقديره: على أولئك الذين يختلون الدنيا بالدين وأن يجعل متعلقاً بالفتنة، أي لأبعثن

الحديث رقم ٥٣٢٣: أخرجه الترمذي في السنن ٤/٥٢٢ حديث رقم ٢٤٠٤.

(١) أضم: أظلم.

رواه الترمذي.

٥٣٢٤ ـ (١١) وعن ابن عمرَ، عن النبي ﷺ قال: «إن اللّهَ تبارك وتعالى، قال: لقد خلقتُ خلقاً ألسنتُهم أحلى من السكر، وقلوبهم أمرُّ من الصَّبِر، فبي حلفتُ لأتيحنّهم فتنة تدع الحليم فيهم حيرانَ، فبي يغترّون أم عليَّ يجترؤون؟». رواه الترمذي وقال: هذا حديثٌ غريب.

٥٣٢٥ ـ (١٢) وعن أبي هريرة، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إنَّ لكلِّ شيءٍ شِرَّةً، ولكلِّ شِرَّةٍ فترةً، فإنْ صاحبُها سدَّد وقاربَ فارجوه، وإن أُشيرَ إليه بالأصابع فلا تعدّوه».

على الرجال الذين يختلون الدنيا بالدين فتنة ناشئة منهم (رواه الترمذي).

٥٣٢٤ ـ **(وعن ابن عمر عن النبي ﷺ قال: إن الله تبارك)** أي تكاثر خيره وبره **(وتعالى)** أي تعاظم أن يدرك كنهه **(قال: لقد خلقت خلقاً)** أي جمعاً من المخلوقين **(ألسنتهم أحلى من السكر)** أي لما يظهر عليهم من أثر الوعظ والذكر وأثر الصبر والشكر **(وقلوبهم أمر من الصبر)** ضبط في أكثر النسخ بكسر الباء وفي بعضها بسكونها. وفي القاموس: الصبر ككتف ولا يسكن إلا في ضرورة الشعر، عصارة شجر مر، والمشهور على ألسنة العامة بكسر الصاد وسكون الباء. ولعله مأخوذ من لغات الكتف فيكون من باب النقل تخفيفاً. **(فبي حلفت لأتيحنهم)** من الإتاحة بمعنى التقدير. يقال: أتاح الله لفلان كذا أي قدره له وأنزله به. فالفعل من باب الحذف والإيصال. فالمعنى: لأتيحن لهم. **(فتنة تدع الحليم فيهم حيران فبي يغترون)** بتقدير الاستفهام **(أم عليّ يجترؤون. رواه الترمذي وقال: هذا حديث غريب)**.

٥٣٢٥ ـ **(وعن أبي هريرة قال: قال النبي)** وفي نسخة: رسول الله. **(ﷺ: إن لكل شيء شرة)** بكسر الشين المعجمة وتشديد الراء: الحرص على الشيء والنشاط فيه والرغبة. **(ولكل شرة فترة)** بفتح الفاء وسكون التاء، أي وهناً وضعفاً. وفي نسخة برفعها. والمعنى: إن العابد يبالغ في العبادة في أوّل أمره وكل مبالغ يفتر ويسكن حدته ومبالغته في أمره ولو بعد حين. **(فإن صاحبها)** فاعل فعل دل عليه قوله: **(سدد)** أي قصد السداد والاستقامة أو اقتصد في أمر [على مداومته، لكن لا تقطعه]الطاعة والعبادة. **(وقارب)** أي دنا من التوسيط واحترز من الإفراط والتفريط **(فارجوه)** أي أن يكون من الفائزين، فإن من سلك الطريق المتوسط يقدر على مداومته لكن لا تقطعوا له، فإن الله هو الذي يتولى السرائر. **(وإن أشير إليه بالأصابع)** أي وإن اجتهد وبالغ في العمل ليصير مشهوراً بالزهد والعبادة وصار مشهوراً ومشاراً إليه فيها. **(فلا تعدوه)** أي شيئاً ولا تعتقدوه صالحاً لكونه من المرائين حيث جعل أوقات فترته عبادة وهو لا

الحديث رقم **٥٣٢٤**: أخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٥٢٢ حديث رقم ٢٤٠٤.

الحديث رقم **٥٣٢٥**: أخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٥٤٨ حديث رقم ٢٤٥٣. وابن ماجه ٢/ ١٤٠٥ حديث رقم ٤٢٠١. وأحمد في المسند ٢/ ١٥٨.

رواه الترمذي.

٥٣٢٦ - (١٣) وعن أنس، عن النبي ﷺ قال: «بحسب امرىءٍ من الشر أن يشار إليه بالأصابع في دينٍ أو دنيا إلا من عصمه الله».

يتصور إلا فيما يتعلق به رياء وسمعة، وأيضاً إذا أقبل الناس عليه بوجوههم ربما زاد في العبادة وحصل له عجب وغرور فصار من الهالكين إلا أن يتداركه الله بفضله وجعله من المخلصين. وتوضيحه أن الإنسان يشتغل بالأشياء على حرص شديد ومبالغة عظيمة في أوّل الأمر ثم إن تلك الشرة يتبعها فترة فإن كان مقتصداً محترزاً عن جانبي الإفراط والتفريط وسالكاً الطريق المستقيم فارجو كونه من الفائزين الكاملين، وإن سلك طريق الإفراط حتى يشار إليه بالأصابع فلا تلتفتوا إليه ولا تعولوا عليه فإنه ربما يكون من الهالكين لكن لا تجزموا بأنه من الخاسرين ولا تعدوه منهم، لكن لا ترجوه كما رجوتم المقتصد إذ قد يعصم الله في صورة الإفراط والشهرة كما أنه قد يعفو عن صاحب التفريط وراعي التقصير في العبادة. قال الطيبي [رحمه الله]: ويزيد هذا التأويل الحديث الذي يليه والاستثناء فيه فترك ما للقسم الثالث لظهوره (رواه الترمذي) ورواه البيهقي عن ابن عمر مرفوعاً ولفظه: إن كل شيء شرة ولكل شرة فترة فمن كانت فترته إلى سنتي فقد اهتدى ومن كانت فترته إلى غير ذلك فقد هلك.

٥٣٢٦ - **(وعن أنس عن النبي ﷺ قال: بحسب امرىء)** الباء زائدة أي يكفيه **(من الشر أن يشار إليه بالأصابع في دين أو دنيا)** فإن من اشتهر بخصلة قلما سلم من الآفات الخفية كالكبر والعجب والرياء والسمعة وغير ذلك من الأخلاق الدنية **(إلا من عصمه الله)** أي حفظه الله في مقام تقواه. ولذا اختار طائفة من الصوفية طريق الملامية في كتمان العبادات الدينية إظهاراً للشهوات النفسانية الدنية. قيل للحسن البصري: إن الناس قد أشاروا إليك بالأصابع. فقال: لا يريد النبي ﷺ ذلك وإنما عنى به المبتدع في دينه الفاسق في دنياه. انتهى. ووجهه أن الإشارة إنما تكون في البدعة والغرابة، لكن قد توجد في الكثرة المجاوزة عن حد العادة فيحصل به الإشارة والشرة فتارة تفضي بصاحبها إلى الرياء والسمعة والطمع من الناس في المنزلة، وتارة يعصمه الله من نظر ما سواه فلا يلتفت إلى غيره ويعرف أن الغير لا يقدر على دفع الشر ولا جلب الخير ولا اعتبار بالخلق مدحاً وذماً لا في العبارة ولا في الإشارة، فإنه ما أيسر الدعوى وما أعسر المعنى فهذه حالة فيها إشارة إلى كمال البشارة لكنه مزلة الأقدام للرجال ومزلقة أفهام الجبال كما ورد: لا يؤمن أحدكم حتى يكون الخلق عنده كالأباعر. وتوضيحه ما ذكره الطيبي [رحمه الله] بأحسن عبارة وأزين إشارة حيث قال: وبين الحال. يعني: حب الرئاسة والجاه في قلوب الناس هو من أخر غوائل النفس ومواطن مكائدها يبتلى به العلماء والعباد والمشمرون عن ساق الجد لسلوك طريق الآخرة من الزهاد، فإنهم مهما قهروا أنفسهم وفطموها عن الشهوات وصانوها عن الشبهات وحملوها بالقهر على أصناف العبادات

الحديث رقم ٥٣٢٦: رواه البيهقي في شعب الإيمان ٥/ ٣٦٧ حديث رقم ٦٩٧٨.

رواه البيهقي في «شعب الإيمان».

الفصل الثالث

٥٣٢٧ ـ (١٤) عن أبي تميمة، قال: شهدت صفوانَ وأصحابَه وجندبٌ يوصيهم، فقالوا: هل سمعت من رسول الله ﷺ شيئاً؟ قال: سمعتُ رسول الله

عجزت نفوسهم عن الطمع في المعاصي الظاهرة الواقعة على الجوارح، فطلبت الاستراحة إلى التظاهر بالخير وإظهار العلم والعمل فوجدت مخلصاً من مشقة المجاهدة إلى لذة القبول عند الخلائق ولم تقنع باطلاع الخالق وفرحت بحمد الناس[1] ولم تقنع بحمد الله وحده، فأحب مدحهم وتبركهم بمشاهدته وخدمته وإكرامه وتقديمه في المحافل فأصابت النفس في ذلك أعظم اللذات وألذ الشهوات وهو يظن أن حياته بالله تعالى وعباداته، وإنما حياته بهذه الشهوات الخفية التي تعمى عن دركها إلا العقول الناقدة قد أثبت اسمه عند الله من المنافقين وهو يظن أنه عند الله من عبادة المقربين. فهذه مكيدة للنفس لا يسلم عنها إلا الصديقون من المخلصين ولذلك قيل: آخر ما يخرج من رؤوس الصديقين حب الرياسة وهو أعظم شبكة للشياطين فإذا المحمود هو المخمول إلا من شهرة الله عالى بنشر دينه من غير تكلف منه كالأنبياء والمرسلين والخلفاء الراشدين والعلماء المحققين والسلف الصالحين والحمد لله رب العالمين. **(رواه البيهقي في شعب الإيمان)** أي عن أنس وعن أبي هريرة أيضاً على ما في الجامع.

(الفصل الثالث)

٥٣٢٧ ـ **(عن أبي تميمة)** قال المؤلف: هو طريف بن مجالد الجهمي البصري كان أصله من عرب اليمن فباعه عمه وهو تابعي. روى عنه نفر من الصحابة وعنه قتادة وغيره، مات سنة خمس وتسعين. **(قال: شهدت صفوان وأصحابه)** الظاهر أن المراد به صفوان بن سليم الزهري مولى حميد بن عبد الرحمٰن بن عوف، تابعي جليل القدر من أهل المدينة مشهور. روي عن أنس بن مالك ونفر من التابعين كان من خيار عباد الله الصالحين. يقال إنه لم يضع جنبه على الأرض أربعين سنة، ويقال إن جبهته ثقبت من كثرة السجود وكان لا يقبل جوائز السلطان ومناقبه كثيرة. روى عنه ابن عيينة ذكره المؤلف. ثم الظاهر أن المراد بأصحابه أتباعه في العلم والعمل **(وجندب)** أي حضرتهم. والحال أن جندب بن عبد الله بن سفيان البجلي وهو من أكابر الصحابة. **(يوصيهم)** بالتخفيف ويشدد. والمعنى يعظهم في الاستقامة على المجاهدة أو بزيادة العبادة أو بالاقتصاد في الطاعة أو بالاحتراز عن الرياء والسمعة وعن الإشارة والشهرة، والأظهر الأخيران كما يدل عليه السؤال والجواب. **(فقالوا: هل سمعت من رسول الله ﷺ شيئاً)** أي من الأحاديث فحدثنا به وأفدنا من كلامه فإنه أقوى تأثيراً وألطف تعبيراً. **(قال: سمعت رسول الله**

---

(١) في المخطوطة «الله» [سبحانه وتعالى].

الحديث رقم ٥٣٢٧: أخرجه البخاري في صحيحه ١٣/ ١٢٨. حديث رقم ٧١٥٢.

ﷺ يقول: «من سمَّع سمَّع الله به يومَ القيامة، ومن شاقَّ شقَّ اللَّهُ عليه يوم القيامة» قالوا: أوْصِنا. فقال: إنَّ أوَّلَ ما يُنتِنُ من الإنسان بطنُه، فمن استطاع أن لا يأكل إلا طيباً فليفعل، ومن استطاعَ أن لا يحول بينه وبينَ الجنة ملءُ كفٍّ من دمٍ أهراقه فَلْيَفْعل. رواه البخاري.

٥٣٢٨ ـ (١٥) وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، أنَّه خَرَجَ يوماً إلى مسجد رسول

ﷺ **يقول: من سمع سمع الله به يوم القيامة)** سبق مبناه ومعناه **(ومن شاق)** صيغة المفاعلة إذا لم تكن للمغالبة فهي للمبالغة. فالمعنى: إن من شق على نفسه بأن يكلفها فوق طاقتها أو شق على غيره بأن حمله فوق استطاعته، ومنه قوله ﷺ: لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة[1]. قال الطيبي [رحمه الله]: أطلق ليشمل فتأمل. **(شق الله)** وفي نسخة صحيحه: شاق الله. **(عليه يوم القيامة. قالوا)** أي الصحابة للنبي ﷺ بدلالة المقام على ذكرهم وهو الظاهر. أو صفوان وأصحابه لجندب على ما هو المتبادر من قاعدة رجوع الضمير **(أوصنا. فقال: إن أوّل ما ينتن)** بضم أوّله أي ما يفسد **(من الإنسان بطنه)** أي في الدنيا فإنه محل النتن أو في القبر بالتفقع **(فمن استطاع أن لا يأكل إلا طيباً)** أي حلالاً **(فليفعل)** أي ما استطاع، أو معناه فليأكل فإن من عرف أن مال المأكول ما ذكر من الأحوال فلا ينبغي له أن يجتهد في لذات النفس من طرق الوبال بل عليه أن يكتفي بالحلال ولو بقليل من المال وقد أنشد ابن أدهم:

وما هي إلا جوعة قد سددتها وكل طعام بين جنبي واحد

وتكلف الطيبي [رحمه الله]حيث قال: نتن البطن كناية عن مسه النار وإنما يفتقر إلى هذا التأويل ليطابق قوله: فمن استطاع أن لا يأكل إلا طيباً، أي حلالاً ونظيره قوله تعالى: ﴿**إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنما يأكلون في بطونهم ناراً**﴾ [النساء ـ ١٠]. ولا دلالة على أن أوّل ما يمس النار منه هو البطن. **(ومن استطاع أن لا يحول)** أي من قدر على أن لا يمنع **(بينه وبين الجنة)** أي دخولها أوّلاً مع الفائزين **(ملء كف من دم أهراقه)** بفتح الهاء ويسكن أي صبه **(فليفعل)** أي ما استطاع مما ذكر وقاله بقوله: ملء كف، إشارة إلى أن القليل يحول فكيف بالكثير. وقيل: إشعار إلى تسفيه القائل بأن فوت الجنة على نفسه بهذا الشيء الحقير المسترذل. **(رواه البخاري)** وذكره السيوطي في باب نتن الميت وبلاء جسده إلا الأنبياء ومن الحق بهم من كتاب شرح الصدور في أحوال القبور. وأخرج البخاري من حديث جندب البجلي: أول ما ينتن من الإنسان بطنه. انتهى. والظاهر من عبارته أن الحديث بكماله مرفوع والله [تعالى]أعلم.

٥٣٢٨ ـ (وعن عمر بن الخطاب رضي الله [تعالى]عنه أنه خرج يوماً إلى مسجد رسول

---

(١) الترمذي في السنن ١/ ٣٤ حديث رقم ٢٢.

الحديث رقم ٥٣٢٨: أخرجه ابن ماجه في السنن ٢/ ١٣٢٠ حديث رقم ٣٩٨٩. والبيهقي في شعب الإيمان ٥/ ٣٢٨ حديث رقم ٦٨١٢. وهو عن معاذ.

الله ﷺ فوجد معاذ بن جبل قاعداً عند قبر النبي ﷺ يبكي، فقال: ما يبكيك؟ قال: يبكيني شيءٌ سمعته من رسول الله ﷺ، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنَّ يسير الرياء شركٌ، ومن عادى لله ولياً فقد بارز الله بالمحاربة، إنَّ اللَّهَ يُحبُّ الأبرار الأتقياء الأخفياء الذين إذا غابُوا لم يُتفقَّدوا، وإن حضروا لم يُدْعَوْا ولم يُقرَّبوا، قلوبهم مصابيحُ الهدى، يخرجون من كل غَبْراء مظلمة». رواه ابن ماجه.

الله ﷺ فوجد معاذ بن جبل قاعداً عند قبر النبي ﷺ يبكي فقال:) أي عمر رضي الله [تعالى] عنه (ما يبكيك) أي أي شيء يجعلك باكياً أشوقاً إلى اللقاء أم وقوعاً من الله ببعض البلاء أو غير ذلك من أسباب البكاء. (قال: يبكيني شيء سمعته من رسول الله ﷺ) جواب سؤال مقدر (يقول: إن يسير الرياء) أي قليله (شرك) أي عظيم أو نوع من الشرك يعني وهو في غاية من الخفاء لأنه أدق من دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء، وقلما يسلم منه الأقوياء فكيف الضعفاء فهو من جملة أسباب البكاء، وسبب آخر أذى الأولياء وغالبهم أخفياء كما في الحديث القدسي: «أوليائي تحت قبائي لا يعرفهم غيري». والإنسان لا يخلو عن بذاذة اللسان مع الإخوان مما يجر إلى العصيان وكأنه أراد هذا المعنى بقوله: (ومن عادى) أي آذى وأغضب بالفعل أو القول (لله ولياً) أي واحداً من أوليائه تعالى (فقد بارز الله) أي أظهر له نفسه (بالمحاربة) وفي التعبير عن المخالفة بالمحاربة إشارة إلى أنها جراءة عظيمة وجناية جسيمة. قال الطيبي [رحمه الله]: قوله: لله لا يجوز أن يكون متعلقاً بعادي فهو إما متعلق بقوله ولياً، أو صفة له قدم فصار حالاً منه. (إن الله يحب الأبرار) أي الذين يعملون عمل البر وهو الطاعة للحق والإحسان للخلق. ولذا قال بعض العارفين: مدار الدين على التعظيم لأمر الله والشفقة على خلق الله (الأتقياء) أي عن الشرك الجلي والخفي وعن المناهي والملاهي (الأخفياء) أي عن نظر الخلق من عامتهم وعن مخالطتهم ومعاشرتهم (الذين إذا غابوا). أي من غاية الخمول (لم يتفقدوا) بصيغة المجهول. ففي القاموس: تفقده طلبه عند غيبته، ومنه قوله تعالى: ﴿وتفقد الطير﴾ [النمل - ٢٠]. (وإن حضروا) أي فيما بينهم (لم يدعوا) بصيغة المفعول أي لم يطلبوا إلى الدعوة وغيرها (ولم يقربوا) بالمجهول أيضاً، أي ولم يقربهم العامة ولم يعرفوا قدر قربهم ومقدار منزلتهم. قال الطيبي [رحمه الله]: قوله: إن الله. استئناف مبين لحقيقة الولي وذكر لهم أحوالاً ثلاثاً: إذا كانوا سفراً لم يتفقدوا وإذا كانوا حاضرين لم يدعوا إلى مأدبة، وإن حضروها لم يقربوا وتركوا في صف النعال. وهذا تفصيل ما وردت: «رب أشعث أغبر لا يؤبه به لو أقسم على الله لأبره»[1]. (قلوبهم مصابيح الهدى) أي هم أدلة الهداية وهداة العناية فيستحقون الرعاية بل ينبغي أن يطلب منهم الحماية. (يخرجون من كل غبراء مظلمة) أي من عهدة كل مسألة مشكلة أو بلية معضلة. وقال الطيبي [رحمه الله]: كناية عن حقارة مساكنهم وإنها مظلمة مغبرة لفقدان أداة ما يتنور ويتنظف به. (رواه ابن ماجه) أي في

---

(١) راجع الحديث رقم (٥٢٣١).

والبيهقي في «شعب الإيمان».

٥٣٢٩ ـ (١٦) وعن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن العبد إذا صلّى في العلانية فأحسنَ، وصلى في السر فأحسن؛ قال الله تعالى: هذا عبدي حقاً».

سننه (والبيهقي في شعب الإيمان) وقد جاء في صدر حديث من أحاديث الأربعين مما رواه البخاري عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب»[1]. قال شارح له: أي أعلمته بمحاربته ومعاداته معي أو بأني سأحاربه وأقهره وأنتصر منه وأنتقم له. وفي رواية: وإني لأغضب لأوليائي كما يغضب الليث للجرو، أي لولده. وفي أخرى: إنه ينتقم بعدوه. ثم الولي بحسب التركيب يدل على القرب فكأنه قريب منه سبحانه لاستغراقه في نور معرفته وجماله وجلاله وكمال مشاهدته. واختلفوا في تعريفه فقال المتكلمون: الولي من كان آتياً بالاعتقاد الصحيح المبني على الدليل وبالأعمال الشرعية، أي كذلك ويؤيده ما قاله بعض الكبراء أنه: إن كان العلماء ليسوا بأولياء فليس لله ولي. وقال الغزالي [رحمه الله تعالى]: الولي من كوشف ببعض المغيبات ولم يؤمر بإصلاح الناس. وفي كل منهما نظر، إذ أكثر الأولياء لا سيما من السلف الصالحين لم يظهر عليهم كرامة وكشف حالة، بخلاف بعض الخلف المتأخرين. فقيل: لقوة قلوب الأولين وضعف دين الآخرين ولأن الأولياء وهم العلماء العاملون لا شك أنهم كاملون في أنفسهم مكملون لغيرهم، فهم الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله والواعظون عن الاشتغال بما سواه كما أشار إليه الحديث بقوله: مصابيح الهدى. فطوبى لمن بهم اقتدى وبنورهم استضاء واهتدى. فالأقرب في معناه ما ذكره القشيري [رحمه الله]، من أن الولي إما فعيل بمعنى المفعول وهو من يتولى الله حفظه وحراسته على التوالي، أو بمعنى الفاعل أي من يتولى عبادة الله وطاعته ويتوالى عليها من [غير]تخلل معصية، وكلا الوصفين شرط في الولاية انتهى كلامه. وفيه إشعار بأن أو للتنويع وإيماء في الأول إلى المجذوب السالك المعبر عنه بالمراد، وفي الثاني إلى السالك المجذوب المعبر عنه بالمريد وقد أشار إليهما سبحانه في قوله: ﴿الله يجتبي إليه من يشاء ويهدي إليه من ينيب﴾ [الشورى ـ ١٣]. وتحقيقه أن يقال: الولي هو من يتولى الله بذاته أمره فلا تصرف له أصلاً إذ لا وجود له ولا ذات ولا فعل ولا وصف، فهو الفاني بيد الباقي كالميت بين يدي الغاسل يفعل به ما يشاء حتى يمحو رسمه واسمه ويمحو عينه وأثره ويحييه بحياته ويبقيه ببقائه ويوصله إلى لقائه.

٥٣٢٩ ـ (وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: إن العبد إذا صلى في العلانية فأحسن) أي في أداء صلاته بالقيام بشرائطه وواجباته وسننه ومستحباته وكذا في سائر طاعاته وعباداته (وصلى في السر) أي في الخلوة عن الخلق (فأحسن) أي عمله اكتفاء بنظر الحق (قال الله تعالى: هذا) أي العبد (عبدي) أي المخلص لي (حقاً) أي صدقاً خالياً عن أن يكون عمله

---

(١) الأربعين النووية حديث رقم ٣٨.

الحديث رقم ٥٣٢٩: أخرجه ابن ماجه في السنن ٢/ ١٤٠٥ حديث رقم ٤٢٠٠.

رواه ابن ماجه.

٥٣٣٠ ـ (١٧) وعن معاذ بن جبل، أنَّ النبي ﷺ قال: «يكونُ في آخر الزمان أقوامٌ، إخوان العلانية، أعداءُ السريرة». فقيل: يا رسول الله! وكيف يكونُ ذلك؟ قال: «ذلك برغبة بعضهم إلى بعض، ورهبة بعضهم من بعض».

٥٣٣١ ـ (١٨) وعن شدَّادِ بن أوس، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من صلَّى يُرائي فقد أشركَ، ومن صام يرائي فقد أشرك، ومن تصدَّق يرائي فقد أشرك». رواهما أحمد.

في العلانية نفاقاً. ولعل هذا هو السر في حثه ﷺ أن تصلي[1] السنن والنوافل في البيت (رواه ابن ماجه).

٥٣٣٠ ـ (وعن معاذ بن جبل أن النبي ﷺ قال: يكون) أن يوجد ويحدث (في آخر الزمان أقوام) أي جماعات[2] كثيرة أو مختلفة مؤتلفة (إخوان العلانية أعداء السريرة) أي أحباء في الظواهر وأعداء في السرائر ذكرهما من غير عطف على سبيل التعداد، أو من قبيل الخبر بعد الخبر. قال الطيبي [رحمه الله]: في مقدرة فيها وفي قرينتها الجوهري: السر ما يكتم والسريرة مثله. (فقيل: يا رسول الله وكيف يكون ذلك) أي ما ذكر وما يكون سببه (قال: ذلك برغبة بعضهم إلى بعض) أي بسبب طمع طائفة منهم إلى أخرى (ورهبة بعضهم) أي خوفهم (من بعض) والحاصل أنهم ليسوا من أهل الحب في الله والبغض لله، بل أمورهم متعلقة بالأغراض الفاسدة والمقاصد الكاسدة، فتارة يرغبون في قوم لأغراض فيظهرون لهم الصداقة وتارة يكرهون قوماً لعلل فيظهرون لهم العداوة. وخلاصته أنه لا عبرة بمحبة الخلق وعداوتهم فإنهما مبنيتان على غرضهم وشهوتهم.

٥٣٣١ ـ (وعن شداد بن أوس قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: من صلى يرائي) أي مرائياً (فقد أشرك) أي شركاً خفياً كما سيجيء مصرحاً فيما يليه من حديثه (ومن صام يرائي فقد أشرك) فيه إشعار بأن الرياء له مدخل في الصيام أيضاً خلافاً لمن نفاه وعلله بأن مدار الصوم على النية ولا يدخل فيها الرياء ولا عبرة بعدم أكله وشربه مع عدم صحة الطوية، فإنا نقول: الرياء [المحض] لا يتصور في الصوم. لكن الرياء قد يوجد على وجه الاشتراك بأن يريد به وجه الله ويريد به أيضاً التشهير أو غرضاً سواه سواء يكون المقصدان متساويين أو متقابلين على ما تقدم تفصيل المرام في كلام حجة الإسلام. (ومن تصدق يرائي فقد أشرك. رواهما) أي الحديثين (أحمد).

---

(١) في المخطوطة «يصلي».

الحديث رقم ٥٣٣٠: أخرجه أحمد في المسند ٥/ ٢٣٥.

(٢) في المخطوطة «جماعة».

الحديث رقم ٥٣٣١: أخرجه أحمد في المسند ٤/ ١٢٦.

٥٣٣٢ ـ (١٩) وعنه، أنه بكى، فقيل له: ما يبكيك؟ قال: شيء سمعتُ من رسول الله ﷺ يقول، فذكرته، فأبكاني، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أتَخَوَّفُ على أمتي الشرك والشهوةَ الخفية» قال: قلت: يا رسول الله! أتُشرك أُمَّتُك من بعدك؟ قال: «نعم، أمَا إنهم لا يعبدون شمساً، ولا قمراً، ولا حجراً، ولا وثناً، ولكن يراؤون بأعمالهم. والشهوة الخفيّة أن يصبح أحدهم صائماً، فتَعْرِض له شهوة من شهواته

٥٣٣٢ ـ (وعنه) أي عن شداد (أنه بكى فقيل له: ما يبكيك. قال: شيء) أي يبكيني شيء (سمعت) أي سمعته (من رسول الله ﷺ) فيه استعمال من على أصله (يقول:) أي حال كونه قائلاً وفيه نوع من التأكيد (فذكرته) أي المسموع أو المقول (فأبكاني) أي فصار ذلك سبباً لحزني وبكائي، وفيه نوع من الإجمال ولذا استأنف بيانه فقال: (سمعت رسول الله ﷺ يقول: أتخوف) قال الراغب: الخوف توقع أمر مكروه عن أمارة مظنونة أو معلومة، والتخوف ظهور الخوف من الإنسان انتهى. والظاهر أن التاء للمبالغة، والمعنى: أخاف خوفاً كثيراً. (على أمتي الشرك) أي الخفي، ويدل على صحة تقديرنا ما جاء في رواية: أخوف ما أخاف على أمتي الإشراك بالله (والشهوة الخفية) أي التي لا يدركها إلا أصحاب الرياضات الرضية والمجاهدات القدسية والمخالفات النفسية (قال: قلت: يا رسول الله أتشرك) بالتذكير وتؤنث (أمتك من بعدك. قال: نعم، أما) بالتخفيف للتنبيه على أنه لا يريد به الشرك الجلي (إنهم لا يعبدون شمساً ولا قمراً ولا حجراً ولا وثناً) أي ولا صنماً ونحو ذلك فهو تعميم بعد تخصيص. (ولكن يراؤون بأعمالهم) وقد قال تعالى: ﴿فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً﴾ [الكهف ـ ١١٠]. (والشهوة الخفية أن يصبح أحدهم صائماً) أي ناوياً للصوم (فتعرض) بكسر الراء مرفوعاً ومنصوباً، أي فتظهر. (له شهوة من شهواته) أي كالأكل والجماع وغيرهما ذكره الطيبي [رحمه الله]: والأظهر أن المراد بالشهوة الخفية شهوة خاصة عزيزة الوجود من بين مشتهاته بحيث لا توجد في جميع أوقاته فيميل إليها بالطبع ولا يلاحظ مخالفته للشرع، حيث قال تعالى: ﴿ولا تبطلوا أعمالكم﴾ [محمد ـ ٣٣]. والنفل يلزم بالشروع فيجب إتمامه (فيترك صومه) أي وهو حرام عليه من غير [ضرورة] داعية إليه. قال الطيبي [رحمه الله]: يعني إذا كان الرجل في طاعة من طاعات الله تعالى فتعرض له شهوة من شهوات نفسه يرجح جانب النفس على جانب الله تعالى فيتبع هوى نفسه، فيؤديه ذلك إلى الهلاك والردى. قال تعالى: ﴿فأما من طغى وآثر الحياة الدنيا فإن الجحيم هي المأوى وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى﴾ [النازعات ـ ٣٧ ـ ٣٨ ـ ٣٩ ـ ٤٠ ـ ٤١]. اهـ. وفيه أن المراد بالهوى في الآية الشهوة الجلية وهي المحرمات والأمور المنهية. ثم قال: وسمي خفياً لخفاء هلاكه أو مشاكلة لقوله: الشرك. لأن المراد منه الشرك

الحديث رقم ٥٣٣٢: أخرجه ابن ماجه في السنن ٢/ ١٤٠٦ حديث رقم ٤٢٠٥ وأحمد في المسند ٤/ ١٢٦ والبيهقي في شعب الإيمان ٥/ ٣٣٣ حديث رقم ٦٨٣٠.

فيترك صومه». رواه البيهقي في «شعب الإيمان».

٥٣٣٣ ـ (٢٠) وعن أبي سعيدٍ الخدريّ، قال: خرجَ علينا رسولُ الله ﷺ ونحنُ نتذاكرُ المسيحَ الدَّجالَ، فقال: «ألا أخبرُكم بما هو أخوَفُ عليكم عندي من المسيحِ الدَّجالِ؟» فقلنا: بَلى يا رسول الله! قال: «الشركُ الخفيُّ أنْ يقومَ الرجلُ فيصلي، فيزيد صلاتَه لما يَرى من نظرِ رجلٍ». رواه ابن ماجه.

٥٣٣٤ ـ (٢١) وعن محمودِ بن لبيدٍ، أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «إنَّ أخوفَ ما أخافُ عليكم الشركُ الأصغرُ» قالوا: يا رسولَ الله! وما الشركُ الأصغرُ؟ قال: «الرِّياءُ».

الخفي بدلالة ما ذكر في الحديث الآتي انتهى. وفيه أنه لا يظهر وجه المشاكلة لا في الاطلاق ولا في التقييد بحسب المقابلة (رواه أحمد) أي في مسنده (والبيهقي في شعب الإيمان) قال ميرك: ورواه الحاكم وقال: صحيح الإسناد. وفي الجامع: الشهوة الخفية والرياء شرك[1]. رواه الطبراني عن شداد، ورواه ابن ماجه عنه ولفظه: إن أخوف ما أخاف على أمتي الإشراك بالله أما إني لست أقول يعبدون شمساً ولا قمراً ولا وثناً ولكن أعمالاً لغير الله وشهوة خفية.

٥٣٣٣ ـ (وعن أبي سعيد) أي الخدري كما في نسخة (قال: خرج علينا رسول الله ﷺ ونحن نتذاكر المسيح الدجال فقال: ألا أخبركم) قال الطيبي [رحمه الله]: ألا ليست للتنبيه، بل هي لا النافية دخلت عليها همزة الاستفهام يعني بقرينة بلى[2] في جوابهم. والمعنى: ألا أعلمكم. (بما هو أخوف عليكم) أي لعمومه وخفائه (عندي) أي في شريعتي وطريقتي (من المسيح الدجال) أي لخصوص وقته ولظهور مقته فيجب عليكم رعاية محافظته (فقلنا: بلى يا رسول الله. قال: الشرك الخفي أن يقوم) بدل مما قبله، أو التقدير هو أن يقوم. (الرجل فيصلي) بالرفع والنصب، وكذا قوله: (فيزيد) أي في الكمية أو الكيفية (صلاته) أي في جميع أركانها أو بعضها (لما يرى من نظر رجل) أي مخلوق مثله (إليه) ولم يكتف بإطلاعه سبحانه عليه (رواه ابن ماجه).

٥٣٣٤ ـ (وعن محمود بن لبيد) أنصاري أشهلي ولد على عهد رسول الله ﷺ وحدث عنه أحاديث. قال البخاري: له صحبة. وقال أبو حاتم: لا يعرف له صحبة وذكره مسلم في التابعين وقال ابن عبد البر: الصحيح قول البخاري (إن النبي ﷺ قال: إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر. قالوا: يا رسول الله وما الشرك الأصغر) فيه دلالة على أن التعبير بالشرك الأصغر وقع في هذا الحديث أولاً (قال: الرياء) أي جنس الرياء والسمعة من الظهور والخفاء.

---

(١) الجامع الصغير ٢/ ٣٠٥ حديث رقم ٤٩٦٠.

الحديث رقم ٥٣٣٣: أخرجه ابن ماجه في السنن ٢/ ١٤٠٦ حديث رقم ٤٢٠٤.

(٢) في المخطوطة «لها».

الحديث رقم ٥٣٣٤: رواه البيهقي في شعب الإيمان ٥/ ٣٣٣ حديث رقم ٦٨٣١.

رواه أحمد. وزاد البيهقي في «شعب الإيمان»: «يقولُ اللهُ لهم يومَ يُجازي العبادَ بأعمالِهم: اذهبوا إلى الذين كنتم تراؤون في الدنيا، فانظروا هلْ تجدون عندهم جزاءً وخيراً؟».

٥٣٣٥ ـ (٢٢) وعن أبي سعيدٍ الخُدريِّ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «لو أنَّ رجلاً عمِلَ عملاً في صخرةٍ لا بابَ لها ولا كُوَّةَ؛ خرَجَ عملُه إلى النَّاسِ كائناً ما كانَ».

٥٣٣٦ ـ (٢٣) وعن عثمانَ بنِ عفَّانَ رضي الله عنه، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «مَن كانتْ له سريرةٌ صالحةٌ أو سيئةٌ؛ أظهرَ اللهُ منها رِداءً يُعرفُ به».

٥٣٣٧ ـ (٢٤) وعن عمَرَ بنِ الخطابِ رضي الله عنه، عنِ النبيِّ ﷺ قال: «إنما

(رواه أحمد. وزاد البيهقي في شعب الإيمان يقول الله لهم) أي للمرائين (يوم يجازي العباد) على بناء الفاعل ونصب العباد، وفي نسخة على بناء المفعول ورفع العباد. (بأعمالهم:) أي إن خيراً فخير وإن شراً فشر (اذهبوا) أي أيها المراؤون (إلى الذين كنتم تراؤون) أي في حسن العبادة، أو أصلها نظرهم تراعون. (فانظروا هل تجدون عندهم جزاء وخيراً) الواو بمعنى أو كما في نسخة، أو عطف تفسير والله [تعالى]أعلم. قال الحافظ المنذري: حديث محمود بن لبيد هذا رواه أحمد بإسناد جيد وابن أبي الدنيا والبيهقي في الزهد وغيره.

٥٣٣٥ ـ (وعن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: لو أن رجلاً عمل عملاً في صخرة) أي في داخل حجر صلب فرضاً أو في جوف كهف جبل. (لا باب لها ولا كوة) بفتح الكاف وتضم وتشديد الواو، أي طاقة. وقيل: هي بالفتح إذا كانت غير نافذة وبالضم إذا كانت نافذة، فالأولى أولى لأنها في باب المبالغة أعلى. (خرج عمله إلى الناس) أي ظهر عليهم (كائناً) أي ذلك العمل (ما كان) أي من الأعمال، ونصب كائناً على الحال أي حال كون ذلك العمل أي شيء كان خيراً أو شراً من الأقوال والأفعال. وفي نسخة: من كان. فالتقدير كائناً ذلك العامل أو صاحب العمل من كان، أي سواء أراد ظهوره أو لم يرده لقوله تعالى: ﴿والله مخرج ما كنتم تكتمون﴾ [البقرة ـ ٧٢].

٥٣٣٦ ـ (وعن عثمان بن عفان) بلا صرف ويصرف (رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: من كانت) بالتأنيث، وفي نسخة: من كان (له سريرة) أي طوية (صالحة أو سيئة أظهر الله منهما) أي من تلك السريرة (رداء) أي علامة من هيئة وصورة (يعرف به) أي يمتاز به عن غيره كما يعرف بالرداء كون الرجل من الأعيان أو غيره من الأعوان.

٥٣٣٧ ـ (وعن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ قال: إنما

الحديث رقم ٥٣٣٥: رواه البيهقي في شعب الإيمان ٥/ ٣٥٩ حديث رقم ٦٩٤٠.
الحديث رقم ٥٣٣٦: رواه البيهقي في شعب الإيمان ٥/ ٣٥٩ حديث رقم ٦٩٤٢.
الحديث رقم ٥٣٣٧: رواه البيهقي في شعب الإيمان ٢/ ٢٨٤ حديث رقم ١٧٧٧.

أخافُ على هذهِ الأمةِ كلَّ مُنافقٍ يتكلمُ بالحكمةِ ويعملُ بالجورِ» روى البيهقي الأحاديثَ الثلاثةَ في «شعبِ الإيمان».

٥٣٣٨ ـ (٢٥) وعن المهاجرِ بنِ حبيبٍ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «قال اللّهُ تعالى: إني لستُ كلَّ كلامِ الحكيمِ أتقبَّلُ، ولكني أتقبَّلُ همَّه وهَواه، فإنْ كانَ همُّه وهواهُ في طاعتي جعلتُ صمتَه حمْداً لي ووقاراً وإنْ لمْ يتكلَّمْ». رواه الدارمي.

(٦) باب البكاء والخوف

أخاف على هذه الأمة) أي أمة الإجابة **(كل منافق)** بالنصب. والمعنى: ما أخاف عليهم إلا شر كل منافق، أي مراء أو فاسق. **(يتكلم بالحكمة)** أي بالشريعة والموعظة الحسنة **(ويعمل بالجور)** أي بالظلم والسيئة ويعدل عن جادة الاستقامة. وقد أبعد الطيبي [رحمه الله] حيث جوز أن يكون كل منافق مجروراً بدلاً من هذه الأمة، فإنه يقتضي أن يكون التقدير: ما أخاف إلا على كل منافق، ولا يخفى فساده اللاحق سواء جعل بدل الكل أو البعض، فإن المبدل حينئذ يكون في قوّة المطروح ويقع الاهتمام بشأن البدل فتأمل. ثم لا يفيده[١] استدراكه بقوله: أي أخاف عليهم من النفاق، فإن هذا المعنى صحيح في نفس الأمر بالوفاق، **(روى البيهقي الأحاديث الثلاثة في شعب الإيمان)**.

٥٣٣٨ ـ **(وعن المهاجر بن حبيب)** لم يذكره المؤلف في أسمائه **(قال: قال رسول الله ﷺ: قال الله تعالى: إني لست كل كلام الحكيم)** أي جميع قول العالم، وهو مفعول مقدم لخبر ليس [وهو قوله]: **(أتقبل)** لأني لا أنظر إلى الأقوال وحركة اللسان، بل أنظر إلى الأحوال وبركة الجنان، وهذا معنى قوله: **(ولكني أتقبل همه)** أي نيته ولو كانت في أوائل مراتب الخواطر **(وهواه)** أي قصده المقرر في الأواخر لأن نية المؤمن خير من عمله حتى له الأجر على طول أمله ولو بعد حلول أجله **(فإن كان همه وهواه في طاعتي)** أي في موافقتي **(جعلت صمته)** أي سكوته **(حمداً لي)** أي بمنزلة الثناء اللساني على **(ووقاراً)** أي سكينة وطمأنينة ورزانة في الحكم ومتانة في العلم **(وإن لم يتكلم)** أي بالحمد ونحوه ومفهومه، فإن كان همه وهواه في معصيتي أي مخالفتي جعلت كلامه وزراً وإن تكلم بالحمد وأظهر علماً وذكراً. **(رواه الدارمي)** في مسنده.

(باب البكاء والخوف)

جمع بينهما تنبيأ لتلازمهما غالباً، وقدم البكاء ولو سببه الخوف لظهوره أولاً، أو أريد بالخوف التعميم فذكره بعد البكاء كالتتميم. ثم البكاء بالقصر خروج الدمع مع الحزن. وبالمد

---

(١) في المخطوطة يبعده.

الحديث رقم ٥٣٣٨: أخرجه الدارمي في السنن ١/ ٩٦ حديث رقم ٢٥٢.

الفصل الأول

٥٣٣٩ ـ (١) عن أبي هريرةَ، قال: قال أبو القاسم ﷺ: «والذي نفسي بيده لو تعلمونَ ما أعلمُ لبكيتم كثيراً ولضحِكتم قليلاً». رواه البخاري.

خروجه مع رفع الصوت كذا قيل والمد أشهر. والظاهر أن المراد به ههنا المعنى الأعم، فحمله على التجريد في أحد معنييه هو الأتم.

(الفصل الأول)

٥٣٣٩ ـ **(عن أبي هريرة قال: قال أبو القاسم**[1] **ﷺ: والذي نفسي بيده لو تعلمون ما أعلم)** أي من عقاب الله للعصاة وشدة المناقشة يوم الحساب للعتاة وكشف السرائر وخبث النيات **(لبكيتم)** جواب القسم السادس جواب لو **(كثيراً)** أي بكاء كثيراً أو زماناً كثيراً، أي من خشية الله ترجيحاً للخوف على الرجاء وخوفاً من سوء الخاتمة. **(ولضحكتم قليلا)** وكأن الحديث مقتبس من قوله تعالى: **﴿فليضحكوا قليلاً وليبكوا كثيراً﴾** [التوبة ـ ٨٢]. قال الغزالي: [رحمه الله]: هذا الحديث من الأسرار التي أودعها قلب محمد الأمين الصادق ولا يجوز إفشاء السر فإن صدور الأحرار قبور الأسرار. بل كان يذكر ذلك لهم حتى يبكوا ولا يضحكوا، فإن البكاء ثمرة شجرة حياة القلب الحي بذكر الله واستشعار عظمته وهيبته وجلاله، والضحك نتيجة القلب الغافل عن ذلك، فبيان الحقيقة حث الخلق على طلب القلب الحي والتعوذ من القلب الغافل. **(رواه البخاري)** أي من حديث أبي هريرة وهو متفق عليه من حديث أنس. وكذا رواه الترمذي والنسائي ذكره ميرك. وفي الجامع رواه أحمد والشيخان والترمذي والنسائي وابن ماجه عن أنس، والحاكم[2] عن أبي هريرة، ورواه الضياء عن أبي ذر وزاد: ولما ساغ لكم الطعام والشراب. ورواه الطبراني والحاكم والبيهقي عن أبي الدرداء ولفظه: لو تعلمون ما أعلم لبكيتم كثيراً ولضحكتم قليلاً ولخرجتم إلى الصعدات تجارون إلى الله تعالى لا تدرون تنجون أو لا تنجون[3]. وسيأتي هذا الحديث في الفصل الثاني مطولاً. وروي أن المنادي ينادي من السماء: ليت هذا الخلق لم يخلقوا وليتهم إذ خلقوا علموا لماذا خلقوا. وعن الصديق الأكبر أنه قال: وددت

الحديث رقم ٥٣٣٩: أخرجه البخاري في صحيحه ١١/ ٣١٩. حديث رقم ٦٤٨٥. ومسلم في صحيحه ٢/ ٦١٨ حديث رقم (١ ـ ٩٠١). والترمذي في السنن ٤/ ٤٨١ حديث رقم ٢٣١٣. وابن ماجه ٢/ ١٤٠٢ حديث رقم ٤١٩١. والدارمي في السنن ٢/ ٣٩٦ حديث رقم ٢٧٣٥. ومالك في الموطأ ١/ ١٨٦ حديث رقم ١ من كتاب الصلاة وأحمد في المسند ٢/ ٢٥٧.

(١) في المخطوطة «رسول الله» [ﷺ]. (٢) الحاكم في المستدرك ٤/ ٥٧٩.

(٣) الحاكم في المستدرك ٤/ ٣٢٠.

٥٣٤٠ ـ (٢) وعن أُمِّ العلاءِ الأنصاريَّةِ، قالت: قال رسولُ الله ﷺ: «واللهِ لا أدري، واللهِ لا أدري، وأنا رسولُ الله، ما يُفعلُ بي ولا بكم». رواه البخاري.

أني أكون خضراً تأكلني الدواب مخافة العذاب. وعن عمر الفاروق أنه سمع إنساناً يقرأ: ﴿**هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكورا**﴾ [الإنسان ـ ١]. فقال: ليتها تمت. بل ورد عنه ﷺ في رواية أنه قال: ليت رب محمد لم يخلق محمداً. وعن الفضيل أنه قال: إني لا أغبط ملكاً مقرباً ولا نبياً مرسلاً ولا عبداً صالحاً أليس هؤلاء يعاينون يوم القيامة، إنما أغبط من لا يخلق.

٥٣٤٠ ـ (**وعن أم العلاء الأنصارية**) هي من المبايعات، روى عنها خارجة بن زيد بن ثابت وهي أمه، وكان رسول الله ﷺ يعودها في مرضها. (**قالت: قال رسول الله ﷺ: والله لا أدري**) وفي نسخة (**والله لا أدري**) مكرراً (**وأنا رسول الله**) ﷺ جملة حالية (**ما يفعل بي ولا بكم**) مفعول لا أدري ودخول لا لمزيد التأكيد ليفيد اشتمال النفي على كل واحد من القبيلتين على حدة. قال الطيبي [رحمه الله]: فيه وجوه أحدها: إن هذا القول منه حين قالت امرأة عثمان بن مظعون لما توفي هنيئاً لك الجنة زجراً لها على سوء الأدب بالحكم على الغيب، ونظيره قوله لعائشة [رضي الله عنها] وعن أبيها حين يسمعها تقول: طوبى لهذا عصفور من عصافير الجنة. قلت: لا يخفى أن هذا سبب ورود الحديث وزمان صدوره ولا مدخل له في إزالة إشكال معناه. وثانيها: أن يكون هذا منسوخاً بقوله تعالى: ﴿**ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر**﴾ [الفتح ـ ٢]. كما ذكره ابن عباس في قوله تعالى: ﴿**وما أدري ما يفعل بي ولا بك**﴾ [الأحقاف ـ ٩]. قلت: وفيه أن النسخ على تقدير صحة تأخير الناسخ إنما يكون في الأحكام لا في الأخبار كما هو مقرر في الاعتبار. وثالثها: أن يكون نفياً للدراية المفصلة دون المجملة. قلت: هذا هو الصحيح. ورابعها: أن يكون مخصوصاً بالأمور الدنيوية من غير نظر إلى سبب ورود الحديث. قلت: وهذا مندرج فيما قبله، والحكم بطريق الأعم هو الوجه الأتم. والمراد من الأمور الدنيوية بالنسبة إليه ﷺ هي الجوع والعطش والشبع والري والمرض والصحة والفقر والغنى وكذا حال الأمة. وقيل المعنى: وأخرج من بلدي أم أقتل كما فعل بالأنبياء قبلي وأترمون بالحجارة أم يخسف بكم كالمكذبين من قبلكم. والحاصل أنه يريد نفي علم الغيب عن نفسه وأنه ليس بمطلع على المكنون. قال التوربشتي: لا يجوز حمل هذا الحديث وما ورد في معناه على أن النبي ﷺ كان متردداً في عاقبة أمره غير متيقن بماله عند الله من الحسنى لما ورد عنه ﷺ من الأحاديث الصحاح التي ينقطع العذر دونها بخلاف ذلك، وأنى يحمل على ذلك وهو المخبر عن الله تعالى أنه يبلغه المقام المحمود وأنه أكرم الخلائق على الله تعالى وأنه أول شافع وأول مشفع إلى غير ذلك. (**رواه البخاري**).

الحديث رقم ٥٣٤٠: أخرجه البخاري في صحيحه ١٢/ ٤١٠. حديث رقم ٧٠١٨.

٥٣٤١ ـ (٣) وعن جابرٍ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «عُرِضتْ عليَّ النَّارُ، فرأيتُ فيها امرأةً من بني إسرائيلَ تُعذَّبُ في هرَّةٍ لها، ربطَتْها فلم تُطعِمْها ولم تَدَعْها تأكُلُ من خَشاشِ الأرضِ حتى ماتتْ جوعاً، ورأيتُ عمْرَو بنَ عامرٍ الخزاعيَّ يَجرُّ قُصْبَه في النارِ، وكانَ أوَّلَ مَن سيَّبَ السَّوائبَ». رواه مسلم.

٥٣٤١ ـ (وعن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: عرضت علي النار) أي أظهرت لي [وأهلها](فرأيت فيها امرأة من بني إسرائيل) أي من مؤمنيهم (تعذب في هرة) أي في شأن هرة ولأجلها. وفي نسخة صحيحة: في هرة لها. (ربطتها) استئناف بيان (فلم تطعمها) أي كفايتها (ولم تدعها) أي ولم تتركها (تأكل) بالرفع والجملة حال، أي تصيد وتأكل (من خشاش الأرض) بفتح الخاء المعجمة وتكسر وتضم. ففي القاموس: الخشاش مثلث حشرات الأرض. وقال ابن الملك: هو بفتح الخاء المعجمة وكسرها وضمها والفتح أظهر. وفي النهاية: ورُوِيَ بالحاء المهملة، وهو يابس النبات. وهو وهم. (حتى ماتت) أي الهرة (جوعاً ورأيت عمرو بن عامر الخزاعي) بضم الخاء المعجمة نسبة إلى بني خزاعة قبيلة مشهورة. قال التوربشتي: هو أول من سن عبادة الأصنام بمكة وحمل أهلها بالتقرب إليها بتسييب السوائب، وهو أن يترك الدابة فتسيب حيث شاءت فلا ترد عن حوض ولا علف ولا يتعرض لها بركوب ولا حمل، وكانوا يسيبون العبيد أيضاً بأن يعتقوهم ولا يكون الولاء للمعتق ولا على المعتق حجر في ماله فيضعه حيث شاء، وقد قال له إنه سائبة. (يجر) أي يجذب (قصبه) بضم قاف فسكون صاد مهملة، أي أمعاءه. (في النار) وقيل: لعل النبي ﷺ كوشف من سائر ما كان يعاقب به في النار بجر قصبه في النار لأنه استخرج من باطنه بدعة جر بها الجريرة إلى قومه الجريمة. (وكان أول من سيب السوائب) أي وضع تحريم السوائب جمع سائبة، وهي ناقة يسيبها الرجل عند برئه من المرض أو قدومه من السفر فيقول: ناقتي سائبة. فلا تمنع من المرعى ولا ترد عن حوض ولا عن علف ولا يحمل عليها ولا يركب عليها ولا تحلب، وكان ذلك تقرباً منهم إلى أصنامهم [وقيل]: هي ناقة ولدت عشر إناث على التوالي ذكره ابن الملك. (رواه مسلم) أي من حديث طويل يتضمن ذكر صلاة الكسوف عن جابر واتفق هو والبخاري على إخراج حديث الهرة عن ابن عمر، وعن أبي هريرة أيضاً وليس فيه ذكر عمرو بن عامر. لكن رؤينا حديث عمرو من حديث أبي هريرة كذا نقله ميرك عن التصحيح. وفي الجامع: رأيت عمرو بن عامر الخزاعي يجر قصبه في النار وكان أول من سيب السوائب وبحر البحائر، يعني إذا نتجت الناقة خمسة أبطن بحروا أذنها أي شقوها وخلوا سبيلها فلا تركب ولا تحلب.

الحديث رقم ٥٣٤١: أخرجه البخاري في صحيحه ٦/ ٥١٥. حديث رقم ٣٤٨٢. ومسلم في صحيحه ٢/ ٦٢٢ حديث رقم (٩ . ٩٠٤). والنسائي ٣/ ١٣٧ حديث رقم ١٤٨٢. وأحمد في المسند ٣/ ٣٣٥.

٥٣٤٢ ـ (٤) وعن زينبَ بنتِ جحشٍ، أنّ رسولَ الله ﷺ دخلَ عليها يوماً فزعاً يقولُ: «لا إلهَ إلاّ اللّهُ، وَيلٌ للعربِ من شرّ قد اقتربَ، فُتحَ اليومَ من رَدْمِ يأجوجَ ومأجوجَ مثلُ هذِه» وحلّقَ بأصبعَيهِ: الإبهامِ والتي تَليها. قالتْ زينبُ: فقلتُ: يا رسولَ الله! أفنَهلِكُ وفينا الصالحونَ؟ قال: «نعمْ، إذا كثُرَ الخَبَثُ». متفق عليه.

٥٣٤٢ ـ (وعن زينب بنت جحش) [مر ذكرها وهي] إحدى أمهات المؤمنين. (أن رسول الله ﷺ دخل عليها يوماً فزعاً) بفتح فكسر أي خائفاً (يقول: لا إله إلا الله ويل للعرب) ففي القاموس: الويل حلول الشر وهو تفجيع انتهى. وخص بذلك العرب لأنهم كانوا معظم من أسلم حينئذ (من شر) أي خروج جيش يقاتل العرب (قد اقترب) أي قرب ذلك الشر في غاية القرب بيانه قوله: (فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج) بالألف ويهمز فيهما بلا انصراف. والمراد بالردم السد والاسم والمصدر فيه سواء، وهو السد الذي بناه ذو القرنين. (مثل هذه) بالرفع على أنه نائب الفاعل لقوله: فتح. والإشارة إلى الحلقة المبينة بقوله: (وحلق) بتشديد اللام، أي جعل حلقة (بإصبعيه) أي بضمهما (الإبهام والتي تليها) بالنصب على أنه مفعول حلق، أو على تفسير الأصبعين بتقدير أعني ويجوز جرهما على البدلية. والمراد أنه لم يكن في ذلك الردم ثقبة إلى اليوم وقد انفتحت فيه إذ انفتاحها من علامات قرب الساعة، فإذا اتسعت خرجوا وذلك بعد خروج الدجال كما سيأتي قريباً. ويأجوج ومأجوج جنسان من بني آدم وطائفتان كافرتان من الترك. (قالت زينب: فقلت: يا رسول الله أفنهلك) بصيغة المجهول من الاهلاك، وفي نسخة صحيحة بفتح النون وكسر اللام (وفينا الصالحون) أي أنعذب فنهلك نحن معشر الأمة، والحال أن بعضنا مؤمنون وفينا الطيبون الطاهرون. ويمكن أن يكون هذا من باب الاكتفاء على تقدير الاستغناء، أي وفينا الصالحون ومنا الفاسقون. (قال: نعم) أي يهلك الطيب أيضاً (إذا كثر الخبث) بفتحتين، أي الفسق والفجور والشرك والكفور. وقيل: معناه الزنا. والمقصود أن النار وقعت في موضع واشتدت أكلت الرطب واليابس وغلبت على الطاهر والنجس ولا تفرق بين المؤمن والمنافق والمخالف والموافق. وسيأتي أن الله إذا أنزل بقوم عذاباً أصاب العذاب من كان فيهم ثم بعثوا على أعمالهم. وفي نسخة صحيحة الخبث بضم فسكون، أي الفواحش والفسق أو معناهما واحد. (متفق عليه) وروى أبو داود والحاكم عن أبي هريرة: ويل للعرب من شر قد اقترب قد أفلح من كف يده[1].

الحديث رقم ٥٣٤٢: أخرجه البخاري في صحيحه ٦/ ٣٨١. حديث رقم ٣٣٤٦. ومسلم في صحيحه ٤/ ٢٢٠٨ حديث رقم (٢/ ٢٨٨٠). والترمذي في السنن ٤/ ٤٦٦ حديث رقم ٢١٨٧. وابن ماجه ٢/ ١٣٠٥ حديث رقم ٣٩٥٣. ومالك في الموطأ ٢/ ٩٩١ حديث رقم ٢٢ من كتاب الكلام. وأحمد في المسند ٢/ ٣٩٠.

(١) أبو داود في سننه ٤/ ٢٤٩ حديث رقم ٤٢٤٩. والحاكم في المستدرك ٤/ ٤٣٩.

٥٣٤٣ ـ (٥) وعن أبي عامرٍ، أو أبي مالكٍ الأشعريِّ، قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «ليكونَنَّ من أُمتي أقوامٌ يستحلُّونَ الخزَّ والحريرَ والخمرَ والمعازفَ، ولينزلَنَّ أقوامٌ إلى جَنبِ عَلَمٍ يروحُ عليهم بسارِحةٍ لهم،

٥٣٤٣ ـ (وعن أبي عامر) هو عم أبي موسى الأشعري واسمه عبيد بن وهب. (وأبي مالك الأشعري) ويقال له الأشجعي واسمه مختلف فيه، وقد أخرج حديثه البخاري بالشك. فقال: عن أبي مالك الأشعري، أو أبي عامر. (قال:) أي أحدهما (سمعت رسول الله ﷺ يقول: ليكونن من أمتي) كذا هو في نسخ البخاري، أي من جملتهم ووقع في المصابيح: في أمتي. (أقوام) أي جماعات (يستحلون الخز) بفتح الخاء المعجمة وتشديد الزاي، نوع من الحرير رديه. (والحرير والخمر) تخصيص بعد تعميم أو المراد بالنهي عن الخز هو الركوب عليه وفرشه للوطء لأنه من الإسراف وهو مكروه وإلا فلا، ونهيه عن لبسه فإنه ثوب ينسج[١] من صوف وإبريسم، نعم إذا كان لحمته حريراً وسداه غيره فممنوع لبسه إلا في الحرب بخلاف العكس فإنه قطني مشروع لبسه. (والمعازف) بفتح الميم أي آلات اللهو يضرب بها كالطنبور والعود والمزمار ونحوها. والمعنى: يعدون هذه المحرمات حلالات بإيرادات شبهات وأدلة واهيات، منها ما ذكره بعض علمائنا من أن الحرير إنما يحرم إذا كان ملتصقاً بالجسد وأما إذا لبس من فوق الثياب فلا بأس به فهذا تقييد من غير دليل نقلي ولا عقلي، ولإطلاق كلام الشارع ﷺ بقوله: «من لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الآخرة»[٢]. وكثير من الأمراء والعوام إذا قيل لهم لبس الحرير حرام يقولون: لو كان حراماً لما لبسه القضاة وعلماء الأعلام فيقعون في استحلال الحرام. وكذلك لبعض العلماء تعلقات بالمعازف يطول بيانها فأعرضت عن تفصيل شأنها فإنه يحتاج إلى مصنف مستقل في تبيانها. وهذا الحديث مؤيد بقوله تعالى: ﴿ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم﴾ [لقمان ـ ٦]. وروى ابن أبي الدنيا في ذم الملاهي عن أنس مرفوعاً: ليكونن في هذه الأمة خسف وقذف ومسخ وذلك إذا شربوا الخمور واتخذوا القينات وضربوا بالمعازف. أي إذا فعلوا هذه الأشياء مستحلين لها. (ولينزلن أقوام) أي منهم على ما هو الظاهر من استحقاقهم العذاب (إلى جنب علم) أي جبل (يروح) أي يسير (عليهم بسارحة لهم) أي ماشية لهم والباء زائدة في الفاعل. وقيل: الصواب يروح عليهم رجل بسارحة ذكره الطيبي [رحمه الله]. والأظهر أن الفعل نزل منزلة اللازم والتقدير يقع السير عليهم بسير ماشية. وفيه إشارة لطيفة إلى أنهم في سيرهم تابعون لحيواناتهم على مقتضى الطباع الحيوانية والشهوات النفسانية وتاركون متابعة العلماء بالآيات القرآنية والأحاديث النورانية، ولذا وقعوا فيما وقعوا أولاً وجوزوا على ما فعلوه آخراً.

الحديث رقم ٥٣٤٣: أخرجه البخاري في ١٠/ ٥١. حديث رقم ٥٥٩٠. وأبو داود في السنن ٤/ ٣١٩ حديث رقم ٤٠٣٩.

(١) في المخطوطة «و».

(٢) البخاري في صحيحه ١٠/ ٢٨٤ حديث رقم ٥٨٣٢. ومسلم ٣/ ١٦٤١ حديث رقم (١١ ـ ٢٠٦٩).

يأتيهم رجلٌ لحاجة فيقولونَ: ارجعْ إلينا غداً، فيُبَيِّتُهم اللَّهُ، ويضعُ العلمَ، ويمسخُ آخرينَ قردةً وخنازيرَ إلى يومِ القيامةِ». رواه البخاريُّ. وفي بعض نسخ «المصابيح»: «الحِرَ» بالحاءِ والراءِ المهملتين، وهو تصحيفٌ، وإنما هوَ بالخاءِ والزاي المعجمتين، نصَّ عليه الحميديُّ وابن الأثير في هذا الحديث. وفي كتاب «الحميدي» عن البخاريِّ، وكذا في «شرحه» للخطابي: «تروحُ عليهم سارحَةٌ لهم يأتيهم لحاجةٍ».

وقيل: الأظهر أن الفاعل ضمير مفهوم من السياق، أي يأتيهم راعيهم كل حين بسارحة أي ماشية لهم تسرح بالغدوة ينتفعون بألبانها وأوبارها. (يأتيهم رجل لحاجة) أي ضرورية، وإلا فهم مبعدون من أن يأتيهم الناس أو من أن يحصل لهم بأحد من المؤمنين شيء من الاستئناس. (فيقولون:) أي تعللاً أو بخلاً وتذللاً (ارجع إلينا غداً) أي لنقضي حاجتك أو لنؤدي طلبتك من غير أن يقولوا: إن شاء الله (فيبيتهم) بالتشديد أي يعذبهم (الله) بالليل فإنه أدهى بالويل (ويضع) أي يوقع الله ويسقط (العلم) أي الجبل على بعضهم كما يدل عليه قوله: (ويمسخ آخرين قردة وخنازير) أي ويحول صور بعضهم إلى صور القردة والخنازير، فيكون نصبها بنزع الخافض وإيصال الفعل إليهما. ففي القاموس: مسخه كمنعه حول صورته إلى أخرى. ولعل المراد أن شبابهم صاروا قردة وشيوخهم خنازير لكثرة ذنوب الكبار وتخفيف أمر الصغار، فإن القرد يبقى فيه نوع من المعرفة وصنف من المشابهة بالجنس الإنساني. وقوله: (إلى يوم القيامة) إشارة إلى أن مسخهم امتد إلى الموت وإن من مات فقد قامت قيامته، ويمكن أن يكون حشرهم على تلك الصور أيضاً. (رواه البخاري) وكذا أبو داود. وروى الطبراني عن أبي أمامة: ليبيتن أقوام من أمتي على أكل ولهو ولعب ثم ليصبحن قردة وخنازير[١]. (وفي بعض نسخ المصابيح الحر بالحاء) أي المكسورة (والراء) أي المخففة (المهملتين وهو تصحيف، وإنما هو بالخاء) أي المفتوحة (والزاي) أي المشددة (المعجمتين نص عليه الحميدي) أي الجامع بين الصحيحين (وابن الأثير) أي صاحب جامع الأصول (في هذا الحديث وفي كتاب الحميدي عن البخاري) أي رواية عنه أيضاً (وكذا في شرحه) أي شرح البخاري (للخطابي: تروح) قيل بالتأنيث ويجوز تذكيره، بل هو الأظهر فتدبر. (عليهم سارحة لهم) أي بغير الباء الجارة (يأتيهم لحاجة) أي بحذف الفاعل والتقدير: يأتيهم الآتي أو المحتاج أو الرجل على ما يفهم من السياق. وللإسماعيلي: يأتيهم طالب حاجة على ما ذكره العسقلاني والله [تعالى]أعلم. ثم للشراح هنا مباحث شريفة وأجوبة لطيفة، منها قول الشيخ التوربشتي [رحمه الله]: الحر بتخفيف الراء الفرج وقد صحف هذا اللفظ في كتاب المصابيح، وكذلك صحفه بعض الرواة من أصحاب الحديث فحسبوه الخز بالخاء والزاي المنقوطتين، والخز لم يحرم حتى يستحل. ولقد وجدت من الناس من اعتنى بخط من كان يعرف بعلم الحديث وحفظه فقد كان فيه بالخاء والزاي المنقوطتين حتى ثبت له أنه صحف، أو اتبع رواية بعض من لم يعلم ومنها قوله أيضاً في قوله:

---

(١) ذكره السيوطي في الجامع الصغير ٢/ ٤٦٢ حديث رقم ٧٥٤٢٠.

....

تروح عليهم بسارحته. سقط منه فاعل تروح فالتبس المعنى على من لم يعلم به. وإنما الصواب يروح عليهم رجل بسارحة لهم كذا رواه مسلم في كتابه. وإنما السهو من المؤلف لأنا وجدنا النسخ سائرها على ذلك ومنها قوله: ويضع العلم سقط كلمة وهي عليهم انتهى. ويؤيده ما ذكره صاحب المفاتيح من شراح المصابيح من أن الحر بحاء مهملة مكسورة وراء مهملة مخففة وأصله الحرج. فحذفت الحاء الأخيرة وجمعه أحراج والحر الفرج. يعني: قد يكون جماعة في آخر الزمان يزنون ويعتقدون أنه إذا رضي الزوج والمرأة حل منها جميع أنواع الاستمتاعات ويقولون: المرأة مثل البستان، فكما أن لصاحب البستان أن يبيح ثمرة بستانه لمن شاء فكذلك للزوج أن يبيح زوجته لمن شاء. والذين لهم هذا الاعتقاد هم الحرفيون والملاحدة. وأما لبس الحرير فهو حرام على الرجال ومن اعتقد حله فهو كافر. وفي هذا الحديث اختلاف نسخ المصابيح في موضعين: أحدهما في الحر فإنه في بعض النسخ بالخاء والزاي المعجمتين، والصواب ما قلنا فإنه ذكر في سنن أبي داود بالحاء والراء المهملتين. والموضع الثاني قوله: يروح عليهم رجل بسارحته لهم. ففي بعض النسخ هكذا وفي بعضها يروح عليهم من غير لفظ رجل. والرجل مذكور في سنن أبي داود، وأفاد هذا الحديث أنه يكون في آخر الزمان نزول الفتن ومسخ الصور فليجتنب المؤمن العاصي كيلا يقع في العذاب ومسخ الصور. قال الطيبي [رحمه الله] بعد نقله كلام الشارح الأول: أما قوله: أولاً فقد صحف إلى آخره، فجوابه ما ذكره الحميدي في الجمع بين الصحيحين في هذا الحديث بعد ما روى: يستحلون الخز بالخاء والزاي المعجمتين. قلت: معارضة الخصم لا تصلح أن تكون جواباً. قال: والذي ذكره أبو إسحاق الحربي في باب الحاء والراء ليس من هذا في شيء، إنما هو حديث آخر عن أبي ثعلبة عن النبي ﷺ قال: أول دينكم نبوة ورحمة ثم ملك ورحمة وخيرة ثم ملك عض يستحل فيه الحر والحرير. يريد استحلال الحرام من الفروج، وهذا لا يتفق مع الذي أخرجه البخاري وكذلك أخرجه أبو داود في السنن في كتاب اللباس في باب الخز ولباسه. وإنما ذكرنا ذلك لأن من الناس من يتوهم في ذلك شيئاً فبيناه. وحديث أبي ثعلبة ليس من شرط الصحيح، ثم كلامه أي كلام أبي إسحاق وقريب منه ما ذكره صاحب النهاية في باب الحاء والراء المهملتين. قلت: كونه حديثاً آخر مسلم لكنه مؤيد للمنازع فيه بل نص في المعنى، المراد ولا يضره أنه ليس على شرط الشيخين إذا ثبت صحته، والأصل توافق الأحاديث لأن بعضها يفسر بعضاً لا سيما والخز بالزاي ليس من المحرمات حتى يكون استحلاله من الكفريات. ثم رأيت في الجامع الصغير أن ابن عساكر روى عن علي مرفوعاً: أوشك أمتي أن تستحل فروج النساء والحرير[1]. وأما قوله ثانياً: والخز لم يحرم حتى يستحل فجوابه ما ذكره ابن الأثير في النهاية في حديث علي أنه نهى عن ركوب الخز والجلوس عليه. والخز المعروف في الزمن الأول ثياب تنسج من صوف وإبريسم وهي مباحة وقد لبسها

---

(١) الجامع الصغير ١/ ١٦٥ حديث رقم ٢٧٨٥.

....

الصحابة والتابعون فيكون النهي عنها لأجل التشبه بالعجم وزي المترفين، وإن أريد بالخز النوع الآخر وهو المعروف الآن فهو حرام لأن جميعه معمول من الإبريسم وعليه يحمل الحديث الآخر. معنى هذا الحديث: يستحلون الخز والحرير. ثم كلامه أي كلام ابن الأثير. وفيه أن كون الركوب على الخز وفراشه مكروهاً مع أن الحرير كذلك لا يقتضي أن استباحته كفر يوجب العذاب، لا سيما والخز لغة واصطلاحاً في زمنه ﷺ كان من جملة المباحات، فكيف يصح أن يحمل عليه. وأما على ما تعورف عند بعض الناس من حمل الخز على الإبريسم فيبعد كلامه ﷺ أن يفسر به، لا سيما مع وقوع تكراره مع صريح لفظ الحرير والأصل التغاير بين المتعاطفين. قال الطيبي [رحمه الله: فإن]قلت: [كيف]يعطف الحرير على الخز والأول مكروه والثاني حرام على المعنى الأول وعلى الثاني يلزم عطف الشيء على نفسه، أو كيف يحرم وإنه لم يكن مصطلحاً حينئذ. والجواب عن الأول أنه ﷺ ذهب إلى التغليب لإرادة التغليظ. قلت: التغليب تغلب وعن ظاهره تقلب. قال: والجواب عن الثاني أنه عطف بيان وعن الثالث بأنه إخبار عن الغيب فكان معجزة. قلت: عطف البيان مسلم لو كان الخز في زمنه يطلق على الحرير، وأما جعله معجزة بأنه يطلق بعده على الحرير ففي غاية من البعد. قال: وأما قوله ثالثاً سقط منه فاعل يروح فالتبس المعنى، فجوابه أنه ما التبس منه بل رواه البخاري كما في المصابيح، ولكن الحميدي والخطابي وصاحب جامع الأصول ذكروا: تروح عليهم سارحة[1] بالتاء المقيدة بنقطتين من فوق ويرفع سارحة على الفاعلية، فوجب أن يقال إن الباء زائدة على أن الباء تزاد في الفاعل كما استدل بقول امرىء القيس:

ألا هل أتاها والحوادث جمة   بأن امرأ القيس بن تملك بيقرا

قلت: لا شك في وقوع الالتباس على تلك النسخة، وزيادة الباء في الفاعل من مختصات كفى والبيت ليس نصاً في المعنى بل الأظهر فيه حذف الفاعل على ما جوزه بعضهم. قال: وأما نسبته إلى مسلم وأنه رواه في كتابه كذا فهو سهو منه لأني ما وجدت الحديث في كتاب مسلم، فكيف وقد أورده الحميدي في أفراد البخاري فحسب، وصاحب جامع الأصول رواه عن البخاري وأبي داود. قلت: من حفظ حجة على من لم يحفظ والمثبت مقدم على النافي، والشيخ ثقة محقق لا سيما وهو في صدد الاحتجاج. قال: وأما قوله رابعاً وقد سقط منه كلمة عليهم فإني ما وجدت في الأصول هذه الكلمة ثابتة. قلت: فثبت المدعي بالأقوى مع أنه أثبت وجوده في بعض النسخ وأسنده إلى مسلم وإسناده مسلم ثم قال: فإن قلت: كيف يكون نزول بعضهم إلى جنب علم ورواح سارحتهم عليهم ودفعهم[2] ذا الحاجة بالمطل والتسويف سبباً لهذا العذاب الأليم والنكال الهائل العظيم. قلت: إنهم لما بالغوا في

---

(١) في المخطوطة «بارحة».

(٢) في المخطوطة «رفع».

٥٣٤٤ ـ (٦) وعن ابنِ عمَرَ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إذا أنزلَ اللَّهُ بقومٍ عذاباً أصابَ العذابُ من كانَ فيهم، ثمّ بعثوا على أعمالهم». متفق عليه.

الشح والمنع بولغ في العذاب، وبيان ذلك أن في إيثار ذكر العلم على الجبل إيذاناً بأن المكان مخصب ممرع ومقصد لذوي الحاجات، فيلزم منه أن يكونوا ذوي ثروة وموئلاً للملهوفين، فلما دل خصوصية المكان على ذلك المعنى دل خصوصية الزمان في قوله: تروح عليهم سارحتهم. وتعديته بعلى المنبهة للاستعلاء على أن ثروتهم حينئذ أوفر وأظهر، وأن احتياج الواردين إليهم أشد وأكثر لأنهم أحوج ما يكونون حينئذ. وفي قولهم: ارجع إلينا غداً، إدماج لمعنى الكذب وخلف الموعد واستهزاء بالطالب فإذاً يستأهلون. قلت: هذا كله لم يفد استحقاق العذاب الشديد من المسخ المقرر فإنه لا يوجد في غير أهل الكفر. فالصواب ما قررناه وفيما سبق قدرناه وحررناه. قال: وإنما قلنا إن العلم يدل على الشهرة والمقصد لقول الخنساء في مدح أخيها:

* كـأنـه عـلـم فـي رأسـه نـار *

نبهت به على أن أخاها مشهور معروف وملجأ للملهوفين ومأمن للمضطرين، فإن رواح السارحة دل على وفور الثروة وظهورها كقوله تعالى: ﴿ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون﴾ [النحل ـ ٦]. قال صاحب الكشاف: فإن قلت: لم قدمت الإراحة على التسريح. قلت: لأن الجمال في الإراحة أظهر إذا أقبلت ملأى البطون حافلة الضروع ثم أدبرت إلى الحظائر. قال الخطابي: فيه بيان أن المسخ قد يكون في هذه الأمة وكذلك الخسف كما كانا في سائر الأمم خلاف قول من زعم أن ذلك لا يكون إنما مسخها بقلوبها. أقول: فما جاء في الأحاديث من نفيها فهو إما محمول على أول زمان الأمة فهو عام خص منه آخر الزمان بهذا الحديث، وإما محمول على مسخ جميع الأمة وخسفهم والمثبت منهما ما وقع لبعضهم والله [تعالى]أعلم.

٥٣٤٤ ـ **(وعن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: إذا أنزل الله بقوم عذاباً أصاب العذاب من كان فيهم)** أي جميعهم الصالحين والطالحين **(ثم بعثوا)** أي يوم القيامة **(على أعمالهم)** أي بعث الصالح على عمله وكذا الطالح. قال المظهر: يعني إذا أذنب بعض القوم نزل العذاب بجميع من كان في القوم سواء فيه المذنب وغيره بشرهم، ولكنهم مجزيون يوم القيامة على حسب أعمالهم إن خيراً فخير وإن شراً فشر. **(متفق عليه)** أي من حديث عبد الله بن عمر بن الخطاب [رضي الله عنهما]عن أبيه ذكره ميرك. فكان حق المؤلف أن يسند الحديث إلى عمر رضي الله [تعالى]عنه.

الحديث رقم ٥٣٤٤: أخرجه البخاري في صحيحه ٦٠/١٣. حديث رقم ٧١٠٨. ومسلم في صحيحه ٤/ ٢٢٠٦ حديث رقم (٨٤ ـ ٢٨٧٩) وأخرجه أحمد في المسند ٤٠/٢.

٥٣٤٥ ـ (٧) وعن جابرٍ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «يبعثُ كلُّ عبدٍ على ما ماتَ عليه». رواه مسلم.

الفصل الثاني

٥٣٤٦ ـ (٨) عن أبي هريرةَ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «ما رأيتُ مثلَ النارِ نامَ هاربها، ولا مثلَ الجنةِ نامَ طالبُها». رواه الترمذي.

٥٣٤٧ ـ (٩) وعن أبي ذرٍّ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إني أرى ما لا ترونَ، وأسمَعُ ما لا تسمعونَ، أطَّتِ السَّماءُ وحُقَّ لها أنْ تئطَّ، والذي نفسي بيده ما فيها

٥٣٤٥ ـ (وعن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: يبعث) أي يحشر يوم القيامة (كل عبد على ما مات عليه) أي من العمل خيراً كان أو شراً فيجازى به. (رواه مسلم) وكذا ابن ماجه. وفي رواية أحمد عن أبي هريرة مرفوعاً: يبعث الناس على نياتهم[1].

(الفصل الثاني)

٥٣٤٦ ـ (عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: ما رأيت) فيه معنى التعجب أي ما علمت (مثل النار) أي شدة وهولاً (نام هاربها) مفعول ثان ويمكن أن يكون رأيت بمعنى أبصرت فتكون الجملة صفة أو حالاً، أي صار غافلاً عنها وينبغي للهارب من عذاب النار أن يفر من عمل الفجار. (ولا مثل الجنة) أي من نعمة ونزلاً (نام طالبها) وينبغي له أن يجد كل الجد في امتثال الأوامر ليدرك الحد. (رواه الترمذي) ورواه الطبراني في الأوسط عن أنس.

٥٣٤٧ ـ (وعن أبي ذر قال: قال رسول الله ﷺ:[2] إني أرى ما لا ترون) أي أبصر ما لا تبصرون بقرينة قوله: (وأسمع ما لا تسمعون) ثم بين سماعه لقربه ولكونه نتيجة لكثرة ما رآه بقوله: (أطت السماء) بتشديد الطاء من الأطيط وهو صوت الأقتاب وأطيط الإبل أصواتها وحنينها على ما في النهاية، أي صوّتت. (وحق) بصيغة المجهول، أي ويستحق وينبغي (لها أن تئط) أي تصوت. ثم بين سببه وهو ما رآه من الكثرة بقوله: (والذي نفسي بيده ما فيها) أي

الحديث رقم ٥٣٤٥: أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ٢٢٠٦ حديث رقم (٨٣ . ٢٨٧٨). وأحمد في المسند ٣/ ٣٣١.

(١) أحمد في المسند ٢/ ٣٩٢.

الحديث رقم ٥٣٤٦: أخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٦١٦ حديث رقم ٢٦٠١.

الحديث رقم ٥٣٤٧: أخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٤٨٢. حديث رقم ٢٣١٣. وابن ماجه في السنن ٢/ ١٤٠٢ حديث رقم ٤١٩٠. وأحمد في المسند ٥/ ١٧٣.

(٢) في المخطوطة «النبي» [ﷺ].

موضِعُ أربعةِ أصابعَ إلاَّ وملَكٌ واضعٌ جبهتَه ساجدٌ للهِ، واللهِ لو تعلمونَ ما أعلمُ لضحكتم قليلاً، ولبكيتم كثيراً، وما تلذَّذتم بالنساءِ على الفُرشاتِ، ولخرجتم إلى الصُّعُداتِ تجأرونَ إلى اللهِ». قال أبو ذرّ: يا ليتني كنتُ شجرةً تُعضَدُ. رواه أحمد، والترمذي، وابن ماجه.

ليس في السماء جنسها (**موضع أربعة أصابع**) بالرفع على أنه فاعل للظرف المعتمد على حرف النفي والمذكور بعد إلا في قوله: (**إلا وملك**) حال منه أي وفيه ملك (**واضع جبهته لله ساجداً**) أي منقاداً ليشمل ما قيل إن بعضهم قيام وبعضهم ركوع وبعضهم سجود كما قال تعالى حكاية عنهم: ﴿**وما منا إلا له مقام معلوم**﴾ [الصافات ـ ١٦٤]. أو خصه باعتبار الغالب منهم أو هذا مختص بإحدى السموات والله [تعالى]أعلم. ثم اعلم أن أربعة بغير هاء في جامع الترمذي وابن ماجه، ومع الهاء في شرح السنة وبعض نسخ المصابيح. وسببه أن الأصبع يذكر ويؤنث. قال الطيبي [رحمه الله]: أي أن كثرة ما فيها من الملائكة قد أثقلها حتى أطت وهذا مثل وإيذان بكثرة الملائكة وإن لم يكن ثمة أطيط وإنما هو كلام تقريب أريد به تقرير عظمة الله تعالى. قلت: ما المحوج عن عدول كلامه ﷺ من الحقيقة إلى المجاز مع إمكانه عقلاً ونقلاً حيث صرح بقوله: وأسمع ما لا تسمعون. مع أنه يحتمل أن يكون أطيط السماء صوتها بالتسبيح والتحميد والتقديس والتمجيد لقوله سبحانه: ﴿**وإن من شيء إلا يسبح بحمده**﴾ [الإسراء ـ ٤٤]. لا سيما وهي معبد المسبحين والعابدين ومنزل الراكعين والساجدين. (**والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً وما تلذذتم بالنساء على الفرشات**) بضم الفاء والراء جمع فرش، فهو جمع الجمع للمبالغة. (**ولخرجتم**) أي من منازلكم العاليات. (**إلى الصعدات**) بضمتين، أي إلى الصحارى واختيار الجمع للمبالغة. والصعد جمع صعيد كطرق جمع طريق وطرقات. والصعيد هو الطريق وفي الأصل التراب، أي لخرجتم إلى الطرقات البراري والصحاري وممر الناس، كما يفعل المحزون لبث الشكوى والهم المكنون. والأظهر أن الصعيد هو وجه الأرض، وقيل: التراب ولا معنى له ههنا. قال التوربشتي: المعنى لخرجتم من منازلكم إلى الجبانة متضرعين إلى الله تعالى. ومن حال المحزون أن يضيق به المنزل فيطلب الفضاء الخالي لشكوى بثه. (**تجأرون إلى الله**) أي تتضرعون إليه بالدعاء ليدفع عنكم البلاء. (**قال أبو ذر: يا ليتني كنت شجرة تعضد**) بصيغة المجهول، أي تقطع وتستأصل وهذا نشأ من كمال خوفه من عذاب ربه. (**رواه أحمد والترمذي وابن ماجه**). قال التوربشتي [رحمه الله]: قوله: يا ليتني هو من قول أبي ذر ولكن ليس في كتاب أحمد ممن نقل هو عن كتابه. قال أبو ذر: بل أدرج في الحديث، ومنهم من قال قيل هو من قول أبي ذر وقد علموا أنه بكلام أبي ذر أشبه والنبي ﷺ أعلم بالله من أن يتمنى عليه حالاً هي أوضع مما هو فيه، ثم إنها مما لا تكون. قال الطيبي [رحمه الله تعالى]: في جامع الترمذي وجامع الأصول هكذا: تجأرون إلى الله لوددت أني شجرة تعضد. وفي رواية: أن أبا ذر قال: لوددت أني شجرة تعضد. ويروى عن أبي ذر موقوفاً وفي سنن ابن ماجه كما في المتن ونسخ المصابيح قال أبو ذر: يا ليتني. إلى آخره وللبحث فيه مجال.

٥٣٤٨ - (١٠) وعن أبي هريرة، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «مَن خافَ أدلَجَ، ومَن أدلجَ بلغَ المنزلَ. ألاَ إنَّ سِلعةَ اللّهِ غاليةٌ، ألا إنَّ سلعةَ اللّهِ الجنّةُ». رواه الترمذي.

٥٣٤٩ - (١١) وعن أنسٍ، عن النبيِّ ﷺ، قال: «يقولُ اللّهُ جلَّ ذكرُه: أخرِجوا منَ النّارِ مَن ذكرني يوماً أو خافَني في مقامٍ».

٥٣٤٨ - (وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: من خاف) أي البيات والإغارة من العدو وقت السحر. (أدلج) أي سار أوّل الليل ومن خاف فوت المطلوب سهر في طلب المحبوب. (ومن أدلج) أي بالسهر (بلغ المنزل) أي وصل إلى المطلب. قال الطيبي [رحمه الله]: هذا مثل ضربه النبي ﷺ لسالك الآخرة فإن الشيطان على طريقه، والنفس وأمانيه الكاذبة أعوانه، فإن تيقظ في مسيره وأخلص النية في عمله أمن من الشيطان وكيده ومن قطع الطريق بأعوانه ثم أرشد إلى أن سلوك طريق الآخرة صعب وتحصيل الآخرة متعسر لا يحصل إلا بأدنى سعي. فقال: (ألا) بالتخفيف للتنبيه (إن سلعة الله) أي متاعه من نعيم الجنة المعبر عنه بالحسنى وزيادة (غالية) بالغين المعجمة، أي رفيعة القدر. (ألا إن سلعة الله) أي الغالية (الجنة) أي العالية، والمعنى ثمنها الأعمال الباقية المشار إليها بقوله سبحانه: ﴿والباقيات الصالحات خير عند ربك ثواباً وخيراً أملاً﴾ [الكهف - ٤٦]. والمومىء إليها بقوله عزَّ وعلا: ﴿إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة﴾ [التوبة - ١١١]. (رواه الترمذي) وكذا الحاكم[١].

٥٣٤٩ - (وعن أنس عن النبي ﷺ قال: يقول الله جلَّ ذكره:) أي عظم ذكره وفخم ذاكره، وما أحسن رفع[٢] ذكره في هذا المقام من حيث إنه توطئة لذكره في الأيام وخوفه في كل مقام. (أخرجوا من النار من ذكرني) أي بشرط كونه مؤمناً مخلصاً. (يوماً) أي وقتاً وزماناً (أو خافني في مقام) أي مكان في ارتكاب معصية من المعاصي كما قال تعالى: ﴿وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى﴾ [النازعات - ٤٠ - ٤١]. قال الطيبي [رحمه الله]: أراد الذكر بالإخلاص وهو توحيد الله عن إخلاص القلب وصدق النية، وإلا فجميع الكفار يذكرونه باللسان دون القلب يدل عليه قوله ﷺ: «من قال لا إله إلا الله خالصاً من قلبه دخل الجنة»[٣]. والمراد بالخوف كف الجوارح عن المعاصي وتقيدها بالطاعات، وإلا

الحديث رقم ٥٣٤٨: أخرجه الترمذي في السنن ٥٤٦/٤ حديث رقم ٢٤٥٠.

(١) الحاكم في المستدرك ٣٠٨/٤.

الحديث رقم ٥٣٤٩: أخرجه الترمذي في السنن ٦١٣/٤ حديث رقم ٢٥٩٤.

(٢) في المخطوطة «توقع».

(٣) أخرج أصحاب السنن وكتب الحديث، أحاديث كثيرة في ضرورة الإخلاص. منها ما أخرجه البخاري [١٩٣/١ حديث رقم ٩٩] وما أخرجه أحمد في المسند [٢٠٧/٢]. وكذلك الترمذي في السنن [٥٣٦/٥ حديث رقم ٣٥٩٠] وأخرجه أحمد في المسند «قد أفلح من أخلص قلبه للإيمان».

رواه الترمذي، والبيهقي في «كتاب البعث والنشور».

٥٣٥٠ - (١٢) وعن عائشة، قالت: سألتُ رسولَ الله ﷺ عنْ هذه الآية: ﴿والذينَ يُؤتونَ ما آتوا وقُلوبُهم وَجِلَةٌ﴾ أهمُ الذينَ يشربونَ الخمرَ ويسرِقونَ؟ قال: «لا، يا بنتَ الصدِّيقِ! ولكنهم الذين يصومونَ ويصلونَ ويتصدَّقونَ،

فهو حديث نفس وحركة لا يستحق أن يسمى خوفاً وذلك عند مشاهدة سبب هائل، وإذا غاب ذلك السبب عن الحس رجع القلب إلى الغفلة. قال الفضيل: إذا قيل لك: هل تخاف الله فاسكت. فإنك إذا قلت: لا، كفرت وإذا قلت: نعم، كذبت أشار به إلى الخوف الذي هو كف الجوارح عن المعاصي. (**رواه الترمذي**) أي في سننه (**والبيهقي في كتاب البعث والنشور**).

٥٣٥٠ - (**وعن عائشة قالت: سألت رسول الله ﷺ عن هذه الآية: والذين يؤتون ما آتوا**) أي يعطون ما أعطوه من الزكاة والصدقات. وقرىء يأتون ما أتوا بالقصر، أي يفعلون ما فعلوه من الطاعات. (**وقلوبهم وجلة**)[1] أي خائفة أن لا يقبل منهم وأن لا يقع على الوجه اللائق فيؤاخذون به. وتمامه: ﴿**أنهم إلى ربهم راجعون**﴾. أي لأن مرجعهم إليه. ﴿**أولئك الذين يسارعون في الخيرات**﴾. أي يرغبون في الطاعات أشد الرغبة فيبادرونها. ﴿**وهم لها سابقون**﴾ [المؤمنون - ٦١]. أي لأجلها فاعلون السبق، أو سابقون الناس إلى الطاعات[2] أو الثواب أو الجنة. قال الطيبي [رحمه الله]: هو هكذا في نسخ المصابيح وهي القراءة المشهورة، ومعناه يعطون ما أعطوا. وسؤال عائشة رضي الله تعالى عنها: (**أهم الذين يشربون الخمر ويسرقون**) لا يطابقها وقراءة رسول الله ﷺ يأتون ما أتوا بغير مد، أي يفعلون ما فعلوا وسؤالها مطابق لهذه القراءة وهكذا هو في تفسير الزجاج والكشاف. قلت: مؤدي القراءتين واحد لأن المراد بالقراءة الشاذة المنسوبة إليه ﷺ قبل قطع طرق التواتر يفعلون ما فعلوه من الطاعة، لا ما ظنت عائشة رضي الله عنها أن المراد به ما فعلوه من المعصية ولا المعنى الأعم من الخير والشر لعدم مطابقته لقوله سبحانه: ﴿**أولئك يسارعون في الخيرات**﴾ [المؤمنون - ٦١]. (**قال:**) أي النبي ﷺ (**لا**) أي ليسوا هم، أو ليس المراد من الآية أمثالهم. (**يا بنت الصديق**) وفي نسخة يا ابنة الصديق. وفي هذا النداء منقبة عظيمة لها ولأبيها على وجه التحقيق فكأنه قال: ليس كذلك وأنت الصادقة على ما هو المتعارف من حسن الآداب بين الأحباب. (**ولكنهم الذين يصومون ويصلون ويتصدقون**) فهذا تفسير لقوله تعالى: ﴿**والذين يؤتون ما آتوا**﴾. على القراءتين غايته

= [١٤٧/٥] وأخرج النسائي في السنن «إن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان له خالصاً» [٢٥/٦ حديث رقم ٣١٤٠]. وحديث من قال «لا إله إلا الله مخلصاً دخل الجنة». أخرجه البزار.

الحديث رقم ٥٣٥٠: أخرجه الترمذي في السنن ٣٠٦/٥ حديث رقم ٣١٧٥. وابن ماجه في السنن ٢/ ١٤٠٤ حديث رقم ٤١٩٨. وأحمد في المسند ١٥٩/٦.

(١) سورة المؤمنون. آية رقم ٦٠. (٢) في المخطوطة «طاعة».

وهُم يخافونَ أن لا يُقبلَ منهم، أولئكَ الذين يسارِعونَ في الخيراتِ». رواه الترمذي، وابن ماجه.

٥٣٥١ ـ (١٣) وعن أُبيِّ بن كعبٍ، قال: كانَ النبيُّ ﷺ إذا ذهبَ ثُلثا الليلِ قامَ فقال: «يا أيُّها الناسُ! اذكروا اللَّهَ، اذكروا اللَّهَ، جاءَتِ الرَّاجفةُ، تتبعُها الرادِفةُ، جاءَ الموتُ بما فيهِ، جاءَ الموتُ بما فيه».

أن في كل نوع منهما تغليب، فالمشهورة ظاهرها متعلق بالعبادة المالية كما أن الشاذة تتعلق بالطاعة البدنية على أن المشهورة، يمكن أن يقال في تفسيرها: يعطون من أنفسهم ما أعطوا من الطاعات فيشمل النوعين من العبادة. (**وهم يخافون أن لا يقبل منهم**) أي لا أنهم يخافون مما فعلوا بدليل قوله تعالى: (**أولئك الذين يسارعون في الخيرات**) فإنه لا يصح أن يحمل على شربة الخمر وسرقة المال وسائر السيئات (**رواه الترمذي وابن ماجه**).

٥٣٥١ ـ (**وعن أبي بن كعب قال: كان النبي ﷺ إذا ذهب ثلثا الليل قام فقال: يا أيها الناس**) أراد به النائمين من أصحابه الغافلين عن ذكر الله ينبههم عن النوم ليشتغلوا بذكر الله تعالى والتهجد، وفي هذا مأخذ للمذكرين من المؤذنين وأنه ينبغي لهم أن لا يقوموا قبل مضي الثلثين من الليل. وفيه إشارة إلى استحباب القيام في الثلث الأخير من الليل استحباباً مؤكداً. (**اذكروا الله**) أي بوحدانية ذاته وسائر صفاته (**اذكروا الله**) أي عقابه وثوابه لتكونوا بين الخوف والرجاء وممن قال تعالى فيهم: ﴿**تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً وطمعاً**﴾ [السجدة ـ ١٦]. وفي نسخة: اذكروا الله ثلاث مرات، أي آلاءه ونعماءه وسراءه وضراءه، (**جاءت الراجفة**) فيه إشارة إلى قوله تعالى: (**يوم ترجف الراجفة**﴾ [النازعات ـ ٦]. وعبر بصيغة الماضي لتحقق وقوعها فكأنها جاءت. والمراد أنه قارب وقوعها فاستعدوا لتهويل أمرها. والراجفة هي الأجرام الساكنة التي تشتد حركتها حينئذ من الأرض والجبال لقوله تعالى: ﴿**يوم ترجف الأرض والجبال**﴾ [المزمل ـ ١٤]. أو مجاز عن الواقعة التي ترجف الأجرام عندها، وهذا المعنى أنسب بالحديث في هذا المقام وهي النفخة الأولى. (**تتبعها الرادفة**) أي التابعة وهي السماء والكواكب تنشق وتنتثر أو النفخة الثانية وهي التي يحيي فيها الخلق. والجملة في موقع الحال أو استئناف بيان لما يقع بعد الرجفة. قال الطيبي [رحمه الله]: راد بالراجفة النفخة الأولى التي يموت منها جميع الخلق والراجفة صيحة عظيمة فيها تردد واضطراب كالرعد إذا تمحص، وأراد بالرادفة النفخة الثانية ردفت النفخة الأولى. أنذرهم ﷺ باقتراب الساعة لئلا يغفلوا عن استعدادها (**جاء الموت بما فيه**) أي مع ما فيه من الشدائد الكائنة في حالة النزع والقبر وما بعده. وفيه إشارة إلى أن من مات فقد قامت قيامته فهي القيامة الصغرى الدالة على القيامة الكبرى. (**جاء الموت بما فيه**) لعل الأول بيان ما وقع وتحقق لمن قبلنا موعظة لنا فقد ورد: كفى بالموت واعظاً. والثاني إشارة إلى قرب مجيئه بالموجودين وهذا

الحديث رقم ٥٣٥١: أخرجه الترمذي في السنن ٥٤٩/٤ حديث رقم ٢٤٥٧. وأحمد في المسند ١٣٦/٥.

رواه الترمذي.

٥٣٥٢ ـ (١٤) وعن أبي سعيدٍ، قال: خرجَ النبيُّ ﷺ لصلاة فرأى النَّاسَ كأنَّهم يكتشرون قال: «أما إنَّكم لَو أكثرتُم ذكر هاذِم اللَّذات لشغلكم عمَّا أرى، الموتُ، فأكثروا ذكر هاذِم اللَّذاتِ، الموتِ، فإنَّهُ لم يأتِ على القبر يومٌ إلا تكلَّم فيقول: أنا بيتُ الغربة، وأنا بيتُ الوحدة،

التأسيس السديد المؤسس على التأبيد أولى من حمل التكرار على التأكيد **(رواه الترمذي)** قال المنذري: رواه أحمد والترمذي والحاكم وصححه[1]. وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.

٥٣٥٢ ـ **(وعن أبي سعيد قال: خرج النبي ﷺ لصلاة)** أي لأداء صلاة. والظاهر المتبادر من مقتضى المقام أنها صلاة جنازة لما ثبت أنه ﷺ إذا رأى جنازة رؤيت عليه كآبة أي حزن شديد وأقل الكلام. **(فرأى الناس كأنهم يكتشرون)** أي يضحكون من الكشر وهو ظهور الأسنان للضحك، ولعل التاء للمبالغة. ففي القاموس: كشر عن أسنانه أبدى يكون في الضحك وغيره انتهى. فيؤخذ منه أنهم جمعوا بين الضحك البالغ والكلام الكثير. قال التوربشتي [رحمه الله]: أي يضحكون، والمشهور في اللغة الكسر. **(قال: أما)** بالتخفيف لينبه على نوم الغفلة الباعث على الضحك والمكالمة. **(إنكم لو أكثرتم ذكر هادم[2] اللذات)** بالدال المهملة في أصل السيد وأكثر النسخ المعتمدة، وفي بعضها بالذال المعجمة واقتصر عليه السيوطي [رحمه الله]في حاشية الترمذي. وفي القاموس: هذم بالمعجمة قطع وأكل بسرعة، وبالمهملة نقض البناء. والمعنى: لو أكثرتم من ذكر قاطع اللذات. **(لشغلكم عما أرى)** أي من الضحك وكلام أهل الغفلة **(الموت)** بالجر تفسير لهادم اللذات أو بدل منه كما يأتي فيما بعده، وبالنصب بإضمار أعني وبالرفع بتقدير هو الموت. **(فأكثروا ذكر هاذم[3] اللذات)** أي الموجودة المعمولة للأغنياء والمفقودة المسؤولة للفقراء، فهو موعظة بليغة للطائفتين. ومن الغريب أن ذكر الموت يحيي القلب والنوم أخو الموت. وكان شيخنا العارف بالله تعالى [رحمه الله]الولي مولانا نور الدين علي المتقي يعمل كيساً مكتوباً عليه لفظ الموت يعلق في رقبة المريد ليستفيد منه أنه قريب غير بعيد، فيقصر أمله ويكثر عمله. وكان بعض الصالحين من السلاطين أمر واحداً من أمرائه أن يقف دائماً من ورائه يقول: الموت الموت. ليكون دواء لدائه. ثم إنه ﷺ بين للصحابة وجه حكمة الأمر بإكثار ذكر الموت وأسبابه بقوله: **(فإنه)** أي الشأن **(لم يأت على القبر يوم)** أي وقت وزمان **(إلا تكلم)** أي بلسان القال أو بيان الحال. وفي رواية زيادة: فيه، أي في ذلك اليوم **(فيقول: أنا بيت الغربة)** أي فكن في الدنيا كأنك غريب **(وأنا بيت الوحدة)** أي فلا ينفع

---

(١) الحاكم في المستدرك ٢/ ٤٢٦.

الحديث رقم **٥٣٥٢**: أخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٥٦١ حديث رقم ٢٤٦٠. والنسائي في السنن ٤/ ٤ حديث رقم ١٨٢٤. وابن ماجه في السنن ٢/ ١٤٢٢ حديث رقم ٤٢٥٨.

(٢) كذا في المخطوطة. والصواب «هاذم» كذا الرواية المشهورة.

وأنا بيتُ التراب، وأنا بيتُ الدُّودِ، وإذا دُفن العبدُ المؤمنُ قال له القبر: مرحباً وأهلاً، أمَا إن كنت لأحبَّ من يمشي على ظهري إليَّ. فإذ وُلِّيتُكَ اليوم وصرتَ إليَّ فسترى صنيعي بك». قال: «فيتَّسِعُ له مَدَّ بَصَرِهِ، ويُفْتَحُ له بابٌ إلى الجنَّة، وإذا دفن العبدُ الفاجرُ أو الكافرُ قال له القبر: لا مرحباً ولا أهلاً، أمَا إن

إلا التوحيد وشهود الواحد القهار. **(وأنا بيت التراب)** أي أصل كل حي مخلوق فمن مرجعه للتراب ينبغي أن يكون مسكيناً ذا متربة لئلا تفوته جنسية المناسبة. **(وأنا بيت الدود)** أي فلا ينبغي أن تكون همتكم ونهمتكم في استعمال اللذات من المأكول والمشروب، لأن مآل أمرها إلى الفناء ولا ينفع في ذلك المكان إلا العمل الصالح فالقبر صندوق العمل. قيل: يتولد الدود من العفونة وتأكل الأعضاء ثم يأكل بعضها بعضاً إلى أن تبقى دودة واحدة فتموت جوعاً، واستثني الأنبياء والأولياء والعلماء من ذلك فقد قال ﷺ: إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء[1]. وقال تعالى في حق الشهداء: **﴿ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون﴾** [آل عمران - ١٦٩]. والعلماء العاملون المعبر عنه بالأولياء مدادهم أفضل من دماء الشهداء. **(وإذا دفن العبد المؤمن قال له القبر:)** أو ما يقوم مقامه **(مرحباً)** أي أتيت مكاناً واسعاً لرقدتك **(وأهلاً)** أي وحضرت أهلاً لمحبتك **(أما)** بتخفيف الميم للتنبيه **(إن كنت)** أي أنه كنت فإن مخففة من المثقلة واللام فارقة بينها وبين أن النافية في قوله: **(لأحب)** وهو أفعل تفضيل بني للمفعول أي لأفضل **(من يمشي على ظهري إليَّ)** متعلق بأحب **(فإذ)** بسكون الذال. وأبعد الطيبي حيث قال: وفي إذ معنى التعليل، إذ الصحيح أنه هنا ظرف محض والعلة والسبب كونه مؤمناً، أي فحين. **(وليتك)** من التولية مجهولاً، أو من الولاية معلوماً، أي صرت قادراً حاكماً عليك. **(اليوم)** أي هذا الوقت وهو ما بعد الموت والدفن **(وصرت إليَّ)** أي مقهوراً ومجبوراً **(فسترى)** أي ستبصر أو تعلم **(صنيعي بك)** من الإحسان إليك بالتوسيع عليك **(قال:)** أي النبي ﷺ وإنما أعاده لطول الكلام ولئلا يتوهم أن ما بعده من كلام الراوي تفسير للمرام. **(فيتسع)** أي فيصير القبر وسيعاً. وفي رواية: فيوسع **(له)** أي للمؤمن **(مد بصره)** أي من كل جانب حقيقة أو كشفاً أو مجازاً عن عدم التضييق حساً ومعنى، وفيه كناية عن تنويره أيضاً. **(ويفتح له باب إلى الجنة)** أي ويعرض له مقعده منها يأتيه من روحها ونسيمها ويشم من طيبها وتقر عينه بما يرى فيها من حورها وقصورها وأنهارها وأشجارها وأثمارها. **(وإذا دفن العبد الفاجر)** أي الفاسق والمراد به الفرد الأكمل وهو الفاسق بقرينة مقابلته لقوله: العبد المؤمن. سابقاً ولما سيأتي من قول القبر له بكونه أبغض من يمشي على ظهره، ومنه قوله تعالى: **﴿أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً﴾** [السجدة - ١٨] الآية. **(أو الكافر)** شك من الراوي لا للتنويع وقد جرت عادة الكتاب والسنة على بيان حكم الفريقين في الدارين والسكوت عن حال المؤمن الفاسق ستراً عليه، أو ليكون بين الرجاء والخوف لا لإثبات المنزلة بين المنزلتين كما توهمت المعتزلة. **(قال له القبر: لا مرحباً ولا أهلاً أما إن**

---

(١) اللالكائي في السنة ذكره في كنز العمال ١١/ ٣٢٤ حديث رقم ٣١٦٣٧.

كنتَ لأبغضَ مَنْ يمشي على ظهري إليَّ، فإذ وُلِّيتكَ اليومَ وصرتَ إليَّ فسترى صنيعي بك» قال: «فيلتئم عليه حتَّى يختلِفَ أضلاعُهُ». قال: وقال رسول الله ﷺ بأصابعه، فأدخل بعضها في جوف بعضٍ. قال: «ويُقَيِّضُ له سبعون تِنِّيناً لو أنَّ واحداً منها نفخ في الأرض ما أنبتَتْ شيئاً ما بقيتِ الدنيا، فيَنْهَسْنَهُ ويخدِشْنَهُ حتى يُفْضَى به إلى الحساب». قال: وقال رسول الله ﷺ: «إنما القبر روضةٌ من رياض الجنّة، أو حُفْرَةٌ مِنْ حُفَرِ النارِ». رواه الترمذي.

كنت لأبغض من يمشي على ظهري إلي فإذ وليتك اليوم وصرت إلي فسترى صنيعي بك. قال:) أي النبي ﷺ **(فيلتئم)** أي ينضم القبر **(عليه حتى تختلف أضلاعه)** أي يدخل بعضها في بعض. وفي رواية: حتى تلتقي وتختلف أضلاعه **(قال:)** أي الراوي **(وقال)** أي أشار **(رسول الله ﷺ بأصابعه)** أي من اليدين الكريمتين **(فأدخل بعضها)** وهو أصابع اليد اليمنى **(في جوف بعض)** وفيه إشارة إلى أن تضييق القبر واختلاف الأضلاع حقيقي لا أنه مجاز عن ضيق الحال وأن الاختلاف مبالغة في أنه على وجه الكمال كما توهمه بعض أرباب النقصان، حتى جعلوا عذاب القبر روحانياً لا جسمانياً. والصواب أن عذاب الآخرة ونعيمها متعلقان بهما. **(قال:)** أي النبي ﷺ **(ويقيض)** بتشديد الياء المفتوحة، أي يسلط ويوكل **(له)** أي بخصوصه وإلا فهو عليه **(سبعون تنيناً)** بكسر التاء وتشديد النون الأولى مكسورة، أي حية عظيمة يقال له أزرد بالفارسي وبالعربي أفعى. وعدد السبعين يحتمل التحديد والتكثير. ويؤيد الثاني ما ذكره في الإحياء عن أبي هريرة مرفوعاً: هل تدرون في ماذا أنزلت. ﴿فإن له معيشة ضنكاً﴾ [طه ـ ١٢٤]. قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: عذاب الكافر في قبره يسلط عليه تسعة وتسعون تنيناً. هل تدرون ما التنين قال: تسعة وتسعون حية لكل واحدة تسعة وتسعون رأساً يخدشنه ويلحسنه وينفخن في جسمه إلى يوم القيامة انتهى. **(لو أن واحداً منها نفخ)** بالخاء المعجمة أي تنفس **(في الأرض ما أنبتت)** أي الأرض **(شيئاً)** أي من الإنبات أو النباتات **(ما بقيت الدنيا)** أي مدة بقائها **(فينهسنه)** بفتح الهاء وسكون السين المهملة، أي يلدغنه. وفي القاموس: نهس اللحم كمنع وفرح أخذه بمقدم أسنانه ونتفه. **(ويخدشنه)** بكسر الدال أي يجرحنه **(حتى يفضي)** بضم فسكون فاء ففتح ضاد معجمة، أي يوصل. **(به)** أي بالكافر **(إلى الحساب)** أي وثم إلى العقاب. وفيه دليل على أن الكافر يحاسب خلافاً لما توهم بعضهم أن الكافر يدخل النار بغير حساب، اللهم إلا أن يقال المراد بالحساب الجزاء وإن ظواهر الآيات من قوله: ﴿ومن خفت موازينه﴾ [المؤمنون ـ ١٠٣، الأعراف ـ ٩]. فصريح في حسابهم. نعم يمكن أن يكون بعضهم من العصاة العتاة يدخلون النار من غير حساب ولا كتاب كما يدخل بعض المؤمنين المبالغين في الصبر والتوكل على ما سبق بغير حساب والله [تعالى]أعلم بالصواب. **(قال:)** أي الراوي **(وقال رسول الله ﷺ:)** أي في هذا المحل أو في وقت آخر فتأمل. **(إنما القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار)** بصيغة الإفراد المناسبة للفظة الجنة. وفي نسخة: النيران. لمناسبة جمع الحفر ولأن المراد بالجنة الجنان. قال الطيبي [رحمه الله]: قوله: من حفر النار. كذا في جامع الترمذي وجامع الأصول وأكثر نسخ المصابيح، وفي بعضها النيران بالجمع. **(رواه الترمذي)** قال السيوطي [رحمه الله]: وحسنه. وأخرج الطبراني في الأوسط عن

٥٣٥٣ ـ (١٥) وعن أبي جحيفة، قال: قالوا: يا رسول الله! قد شبتَ. قال: «شيبتني سورة هودٍ وأخواتُها». رواه الترمذي.

أبي هريرة قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ في جنازة فجلس إلى قبر فقال: ما يأتي على هذا القبر من يوم إلا وهو ينادي بصوت طلق ذلق: يا ابن آدم كيف نسيتني ألم تعلم أني بيت الوحدة وبيت الغربة وبيت الوحشة وبيت الدود وبيت الضيق إلا من وسعني الله عليه. ثم قال رسول الله ﷺ: القبر روضة. وفي نسخة: إما روضة من رياض الجنة أو حفر من حفر النار. قال سفيان الثوري: من أكثر من ذكر القبر وجده روضة من رياض الجنة. ومن غفل عن ذكره وجده حفرة من حفر النار.

٥٣٥٣ ـ **(وعن أبي جحيفة)** بضم الجيم وفتح الحاء المهملة وبالفاء. ذكر أن النبي ﷺ توفي ولم يبلغ الحلم ولكنه سمع منه وروي عنه. مات بالكوفة روى عنه ابنه عون وجماعة من التابعين. **(قال: قالوا)** أي بعض الصحابة **(قد شبت)** أي ظهر عليك آثار الضعف. قيل: أوان الكبر. وليس المراد منه ظهور كثرة الشعر الأبيض عليه لما روى الترمذي عن أنس قال: ما عددت في رأس رسول الله ﷺ ولحيته إلا أربع عشرة شعرة بيضاً. **(قال: شيبتني هود)** بغير انصراف وفي نسخة بالصرف. قيل: إن جعل هود اسم السورة لم يصرف وإلا صرف[1]، فالمضاف مقدر حينئذ. أقول: لأنه إذا لم يصرف كان كجور وإذا صرف كان التقدير سورة هود. ويزيده ما في نسخة صحيحة: سورة هود. **(وأخواتها)** أي وأشباهها من السور التي فيها ذكر القيامة والعذاب. قال التوربشتي [رحمة الله تعالى]: يريد أن اهتمامي بما فيها من أهوال القيامة والحوادث النازلة بالأمم الماضية أخذ مني مأخذه حتى شبت قبل أوان المشيب خوفاً على أمتي. وذكر في شرح السنة عن بعضهم قال: رأيت النبي ﷺ في المنام فقلت له: رُوِيَ عنك أنك قلت: شيبتني هود. فقال: نعم. فقلت: بأية آية. قال: قوله: ﴿فاستقم كما أمرت﴾ [هود ـ ١١٢]. قال الإمام فخر الدين [رحمه الله]: الملك المعين وذلك أن الاستقامة على الطريق المستقيم من غير ميل إلى طرفي الافراط والتفريط في الاعتقادات والأعمال الظاهرة والباطنة عسر جداً. قلت: لا شك أن الاستقامة خير من ألف كرامة لكونها أصعب من جسر القيامة، مع أنها أدق من الشعر وأمر من الصبر وأحد من السيف وأحر من الصيف. لكن حمل الحديث على الآية غير ظاهر لقوله: وأخواتها المفسرة بالسور الآتية التي ليس فيها ذكر الاستقامة. فأما أن يقال المقصود من ذكر القيامة وأهوالها والنار وأهوالها إنما هو تحصيل الاستقامة للتخليص عن الندامة والملامة، فكأنها مذكورة في جميعها. أو يقال الجواب للنائم كان على طبق ما يناسبه من المقام الذي هو فيه والتحريض على ما هو المطلوب منه، فيكون من باب أسلوب الحكيم والله سبحانه [وتعالى] أعلم. **(رواه الترمذي)** أي عن أبي جحيفة. ورواه الطبراني عن عقبة بن عامر وعن أبي جحيفة أيضاً وزاد ابن مردويه عن أبي بكر: قبل المشيب.

الحديث رقم ٥٣٥٣: أخرجه الترمذي في السنن ٥/ ٣٧٥ حديث رقم ٣٢٩٧.

(١) في المخطوطة «الأطراف».

٥٣٥٤ ـ (١٦) وعن ابنِ عبَّاسٍ. قال: قال أبو بكر: يا رسول الله! قد شِبْتَ. قال: «شيبتني (هود) و (الواقعة) و (المرسلات) و (عمَّ يتساءلون) و (إذا الشمسُ كوِّرت)». رواه الترمذي.

وذكر حديث أبي هريرة: «لا يلج النار» في «كتاب الجهاد».

الفصل الثالث

٥٣٥٥ ـ (١٧) عن أنسٍ، قال: إنَّكُم لتعملون أعمالاً هي أدقُّ في أعينِكم من الشعرِ، كنَّا نعدُّها على عهد رسول الله ﷺ من الموبقات، يعني المهلكات. رواه البخاري.

٥٣٥٤ ـ (وعن ابن عباس قال: قال أبو بكر: يا رسول الله قد شبت. قال: شيبتني هود والواقعة والمرسلات) بالرفع ويجوز كسرها على الحكاية. (وعم يتساءلون وإذا الشمس كورت) يعني وأمثالها مما فيه ذكر القيامة وأهوالها. (رواه الترمذي) وكذا الحاكم[١] ورواه أيضاً عن أبي بكر، ورواه ابن مردويه عن سعد. ورواه سعيد بن منصور في سننه عن أنس، وابن مردويه عن عمران بلفظ: شيبتني هود وأخواتها من المفصل. وفي رواية لابن مردويه عن أنس: شيبتني سورة هود وأخواتها الواقعة والقارعة والحاقة وإذا الشمس كورت وسأل سائل. (وذكر حديث أبي هريرة: لا يلج النار) أي لا يدخلها من بكى من خشية الله الحديث بطوله. (في كتاب الجهاد) أي فأسقط للتكرار.

(الفصل الثالث)

٥٣٥٥ ـ (عن أنس قال: إنكم لتعملون أعمالاً) أي عظيمة في نفس الأمر وتستصغرونها وتعدونها من الكرامات، وهذا معنى قوله: (هي أدق في أعينكم من الشعر) قال الطيبي [رحمه الله]: عبارة عن تدقيق النظر في العمل وإمعانه فيه. والمعنى: إنكم تعملون أعمالاً وتحسبون أنكم تحسنون صنعاً وليس كذلك في الحقيقة. (كنا نعدها) أي تلك الأعمال (على عهد رسول الله ﷺ) أي في زمانه (من الموبقات) بكسر الموحدة يعني المهلكات، تفسير من أحد الرواة، أي يريد أنس بالموبقات المهلكات ومنه قوله تعالى: ﴿وجعلنا بينهم موبقاً﴾ [الكهف ـ ٥٢]. بفتح الميم أي مهلكاً. (رواه البخاري).

الحديث رقم ٥٣٥٤: أخرجه الترمذي ٥/ ٣٧٥ حديث رقم ٣٢٩٧.

(١) الحاكم في المستدرك ٢/ ٣٤٣.

الحديث رقم ٥٣٥٥: أخرجه البخاري في صحيحه ١١/ ٣٢٩. حديث رقم ٦٤٩٢. والدارمي في السنن ٢/ ٤٠٧ حديث رقم ٢٧٦٨. وأحمد في المسند ٦/ ٧٠.

٥٣٥٦ - (١٨) وعن عائشة، أنَّ رسول الله ﷺ قال: «يا عائشة! إيَّاكِ ومحقرات الذنوب، فإنَّ لها مِنَ اللَّهِ طالباً». رواه ابن ماجه، والدارمي، والبيهقي في «شعب الإيمان».

٥٣٥٧ - (١٩) وعن أبي بردة بن أبي موسى، قال: قال لي عبد الله بن عمر: هل تدري ما قال أبي لأبيكَ؟ قال: قلت: لا. قال: فإن أبي قال لأبيك: يا أبا موسى!

٥٣٥٦ - (وعن عائشة أن رسول الله ﷺ قال: يا عائشة إياك ومحقرات الذنوب) أي صغائرها، وخص بها فإنه ربما يسامح صاحبها فيها بعدم تداركها بالتوبة وبعدم الالتفات بها في الخشية غفلة عنه أنه لا صغيرة مع الإصرار، وإن كل صغيرة بالنسبة إلى عظمة الله وكبريائه كبيرة والقليلة منها كثيرة، ولذا قد يعفو الله عن الكبيرة ويعاقب على الصغيرة كما يستفاد من قوله تعالى: ﴿ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾ [النساء - ٤٨]. وأما قوله تعالى: ﴿إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم﴾ [النساء - ٣١]. الصغيرة بسبب العبادات المكفرة، لكن بشرط اجتنابكم الكبائر لا بمجرد اجتناب الكبائر على ما ذهب إليه المعتزلة والله [تعالى] أعلم. (فإن لها) أي للمحقرات من الذنوب (من الله) أي من عنده سبحانه (طالباً) أي نوعاً من العذاب يعقبه، فكأنه يطلبه طلباً لا مرد له. فالتنوين للتعظيم، أي طالباً عظيماً فلا ينبغي أن يغفل عنه بل ينبغي أن يخشى منه. وقال الطيبي [رحمه الله]: قوله: من الله طالباً، هو من باب التجريد كقول القائل:

* وفي الرحمٰن للضعفاء كاف *

وأقول: الظاهر في قول القائل أن معناه: وفي رحمة الرحمٰن للضعفاء كفاية؛ فإن اسم الفاعل قد يأتي بمعنى المصدر كما هو مذكور في مقامه المقرر. (رواه ابن ماجه) أي في سننه (والدارمي) أي في مسنده (والبيهقي في شعب الإيمان) ورواه أحمد والطبراني والبيهقي والضياء عن سهل بن سعد مرفوعاً ولفظه: إياكم ومحقرات الذنوب، فإنما مثل محقرات الذنوب كمثل قوم نزلوا بطن واد فجاء ذا بعود وجاء ذا بعود حتى حملوا ما أنضجوا به خبزهم، وإن محقرات الذنوب متى يؤخذ بها صاحبها تهلكه. رواه أحمد والطبراني أيضاً عن ابن مسعود نحوه.

٥٣٥٧ - (وعن أبي بردة بن أبي موسى) قال المؤلف: هو عامر بن عبد الله بن قيس الأشعري أحد التابعين المشهورين المكثرين، مع أباه وعلياً وغيرهما. كان على قضاء الكوفة بعد شريح فعزله الحجاج. (قال: قال لي عبد الله بن عمر: هل تدري ما قال أبي لأبيك) أي في أمر غلبة الخوف المعنون به الباب. (قال:) أي أبو بردة أو التقدير: قال الراوي ناقلاً عن أبي بردة. (قلت: لا.) أي لا أدري (قال: فإن أبي قال لأبيك: يا أبا موسى) ناداه بكنيته إشعاراً

الحديث رقم ٥٣٥٦: أخرجه ابن ماجه في السنن ٢/ ١٤١٧ حديث رقم ٤٢٤٣. والدارمي في السنن ٢/ ٣٩٢ حديث رقم ٢٧٢٦. وأحمد في المسند ١/ ٤٠٢.

الحديث رقم ٥٣٥٧: أخرجه البخاري في صحيحه ٧/ ٢٥٤. حديث رقم ٣٩١٥.

هل يسُرُّكَ أنَّ إسلامنا مع رسول الله ﷺ وهجرتنا معه وجهادنا معه وعملنا كله معه بَرَد لنا؟ وأن كلَّ عملٍ عملناهُ بعدهُ نجونا منه كفافاً، رأساً برأس؟ فقال أبوك لأبي: لا والله، قد جاهدنا بعد رسول الله ﷺ وصلَّينا وصمنا وعملنا خيراً كثيراً. وأسلم على أيدينا بشرٌ كثير وإنا لنرجو ذلك. قال أبي: ولكني أنا، والذي نفسُ عمَرَ بيده لوددتُ أن ذلك بَرَد لنا، وأنَّ كل شيءٍ عملناه بعده نَجَوْنا منه كفافاً رأساً برأس.

بعظمته وتقرباً لحضرته. (هل يسرك) أي يوقعك في السرور (إن إسلامنا مع رسول الله ﷺ) أي منهما مع بعثه (وهجرتنا معه وجهادنا معه وعملنا) كالصلاة والصوم والزكاة والحج وأمثالها. (كله) أي جميعه بجميع أفراده وأصنافه (معه) أي في زمنه (برد) أي ثبت ودام (لنا) ففي النهاية في الحديث: الصوم في الشتاء الغنيمة الباردة. أي لا تعب فيه ولا مشقة وكل محبوب عندهم بارد. وقيل: معناه الغنيمة الثابتة المستقرة من قولهم: برد لنا على فلان حق، أي ثبت. انتهى كلامه. وهو خبر قوله: إن إسلامنا. والجملة فاعل هل يسرك ذكره الطيبي [رحمه الله]: (وأن كل عمل) عطف على أن إسلامنا (عملناه بعده) أي بعد موت رسول الله ﷺ. (نجونا منه) أي من ذلك العمل كله. (كفافاً) بفتح الكاف، أي سواء. (رأساً برأس) بدل أو بيان ونصبه على الحال من فاعل نجونا، أي متساويين لا يكون لنا ولا علينا بأن لا يوجب ثواباً ولا عقاباً. وقال الطيبي [رحمه الله]: قوله: كفافاً، نصب على الحال من الضمير المجرور، ورأى نجونا منه في حالة كونه لا يفضل علينا شيء منه أو من الفاعل، أي مكفوفاً عنا شره. (فقال أبوك لأبي: لا والله) أي لا يسرنا وبين سببه بقوله: ([قد]جاهدنا) أي الكفار (بعد رسول الله ﷺ وصلينا) أي الصلوات[1] (وصمنا) أي سنوات (وعملنا خيراً كثيراً) أي من الصدقات أو نوافل العبادات. (وأسلم على أيدينا) أي بسببنا (بشر كثير) أي من فتح البلاد. (وإنا لنرجو ذلك) وفي نسخة: ذلك، أي ثواب ما ذكر زيادة على ما سبق لنا من الإسلام والهجرة وسائر الأعمال. (قال أبي:) يعني عمر (لكني أنا) زيد للتأكيد (والذي نفس عمر بيده لوددت أن ذلك) أي ما سبق لنا من العمل معه ﷺ (برد لنا) أي تم ولم يبطل ولم ينقص ببركة وجوده وفضل وجوده ﷺ. (وإن كل شيء عملناه) بإثبات الضمير هنا (بعده) أي بعد مماته وفقد حياته وبعد بركاته (نجونا منه كفافاً رأساً برأس) وذلك والله [تعالى]أعلم أن التابع أسير المتبوع في الصحة والفساد اعتقاداً وإخلاصاً وعلماً وعملاً، أما ترى[2] صحة بناء صلاة المقتدي على صلاة الإمام المقتدي وكذا فسادها ولا شك في وصول الكمال وحصول صحة الأعمال في حال ملازمته ﷺ، وأما بعده فما وقع من الطاعات لا يخلو من تغيير النيات وفساد الحالات ومراعات المراءات، كما أخبر بعض الصحابة عند الوفاة بقوله: فما نفضنا أيدينا عن التراب وإنا لفي دفنه ﷺ حتى أنكرنا قلوبنا. يعني بالمظلمة الناشئة عن غيبة نور شمس وجوده وقمر جوده. فالغنيمة الباردة أن يكون في مرتبة السويات بين الطاعات والسيئات وهذا بالنسبة إلى إجلاء الصحابة وعظماء الخلافة،

---

(١) في المخطوطة «صلاة». (٢) في المخطوطة «ما يرى».

فقلتُ: إن أباكَ واللهِ كان خيراً من أبي. رواه البخاري.

٥٣٥٨ ـ (٢٠) وعن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «أمرني ربي بتسع: خشيةِ اللهِ في السرّ والعلانية وكلمةِ العدلِ في الغضب والرضى، والقصدِ في الفقرِ والغنى، وأن أصِلَ من قطعني، وأعطي من حرمني، وأعفوَ عمّن ظلمني،

وأما من بعدهم فطاعاتهم المشحونة بالغرور والعجب والرياء أسباب للمعاصي ووسائل لعقوبات العاصي غالباً إلا أن يتفضل الله برحمته وعين عنايته بأن يلحق المسيئين بالمحسنين. بل قال بعض العارفين: معصية أورثت ذلاً واستصغاراً خير من طاعة أورثت عجباً واستكباراً. **(فقلت: إن أباك)** أي عمر **(والله كان خيراً من أبي)** أي أبي موسى في كل شيء، فهذا كذلك لأن كلام السادات سادات الكلام، وكيف وهو الناطق بالصواب والفاروق الذي يفرق بين الحق والباطل من كل باب والموافق رأيه نزول الكتاب وقد طابق قوله حديثه ﷺ: أنا أعلمكم بالله وأخشاكم له. وقال سبحانه وتعالى: ﴿**إنما يخشى الله من عباده العلماء**﴾ [فاطر ـ ٢٨]. هذا وقال الطيبي [رحمه الله]: قوله: لوددت، خبر لكني مع اللام وهو ضعيف. ويجوز أن يكون لوددت جواب القسم والجملة القسمية خبر لكني على التأويل. قلت: بل الحديث حجة للكوفيين. ففي المغني ولا يدخل اللام في خبر لكن خلافاً للكوفيين احتجوا بقوله:

* ولـكـنـنـي مـن حـبـهـا لـعـمـيـد *

وخرج على زيادة اللام أو على أن الأصل لكن [إنني ثم]حذفت الهمزة تخفيفاً ونون لكن للساكنين. قلت: هذه كلها تكلفات بعيدة وتعسفات مزيدة ما أنزل الله بها من سلطان ولا دليل ولا برهان. فالصواب أنها للتأكيد كما جوز في بعض أخوات لكن على القياس السديد، لا سيما وقد ورد على لسان الأوحدي من فصحاء العرب بإسناد هو أصح الأسانيد. **(رواه البخاري)** ثم من أعجب الغرائب وأغرب العجائب أنه لو حكى من طريق الأصمعي ونحوه أن أعرابياً ممن يبول على عقبيه تكلم بمثله نثراً أو نظماً أخذ النحاة به وجعلوه أصلاً ممهداً وأساساً مؤيداً. فصدق من قال: إن أدلة الصرفيين والنحويين كتارات بيت العنكبوت فتارة تطرد وتارة تفوت.

٥٣٥٨ ـ **(وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: أمرني ربي بتسع)** أي خصال **(خشية الله)** بالجر ويجوز اخشاه أي خوفه المقرون بالعظمة. **(في السر والعلانية)** أي في القلب والقالب أو في الخلا والملا **(وكلمة العدل في الغضب والرضا)** بالقصر، أي في الحالين. **(والقصد)** أي الاقتصاد في المعيشة أو التوسط بين الصبر والشكر غير خارج عنهما بالجزع والطغيان. **(في الفقر والغنى، وأن أصل من قطعني)** أي من ذوي الأرحام أو غيرهم، وهذا غاية الحلم ونهاية التواضع. **(وأعطي من حرمني)** وهذا لكمال الكرم والجود **(وأعفو عمن ظلمني)** أي مع قدرتي على الانتقام وهذا نتيجة الصبر وقضية الشكر ورعاية الإحسان والرحمة على أفراد

الحديث رقم ٥٣٥٨: رواه رزين.

وأن يكون صمتي فكراً، ونطقي ذكراً، ونَظَري عبرةً، وآمر بالعرف» وقيل: «بالمعروف». رواه رزين.

٥٣٥٩ ـ (٢١) وعن عبدِ اللَّهِ بن مسعود، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «ما من عبدٍ مؤمنٍ يخرجُ من عينيه دموعٌ وإن كانَ مثلَ رأس الذباب من خشية الله، ثُمَّ يصيبُ شيئاً من حُرِّ وجهه إلاَّ حرَّمه الله على النار» رواه ابن ماجه.

الإنسان (وأن يكون صمتي فكراً) أي في أسمائك وصفاتك ومصنوعاتك ومعاني آياتك. (ونطقي ذكراً) أي بتسبيحك وتحميدك وتقديسك وتمجيدك وتكبيرك وتوحيدك وتلاوة كتابك وموعظة عبادك. (ونظري عبرة) [أي]في الآفاق والأنفس وملكوت السموات والأرض (وآمر بالعرف. وقيل: بالمعروف) أي بدلاً عن العرف بالضم والسكون ولم يقل: وأنهى عن المنكر، اكتفاء أو العرف يشمل المعروف في الشرع ارتكاباً واجتناباً. قال الطيبي [رحمه الله]: ذكر تسعاً وأتى بعشرة، فالوجه أن يحمل العاشر وهو الأمر بالمعروف على أنه مجمل عقب التفصيل لأن المعروف هو اسم جامع لكل ما عرف من طاعة الله والتقرب إليه والإحسان إلى الناس وكل ما ندب إليه الشرع ونهى عنه من المحسنات والمقبحات، كأنه قيل: أمرني ربي بأن اتصف بهذه الصفات وآمر غيري بالإتصاف بها. فالواوات كلها عطفت المفرد على المفرد. وفي قوله: وآمر بالمعروف، عطفت المجموع من حيث المعنى على المجموع بحسب اللفظ، ونحوه في التفرقة بين الواوين قوله تعالى: ﴿وما يستوي الأعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور﴾ [فاطر ـ ١٩ ـ، ٢٠ ـ، ٢١]. (رواه رزين).

٥٣٥٩ ـ (وعن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: ما من عبد مؤمن يخرج من عينيه) أي أو من أحدهما (دموع) أي دمعات أقلها ثلاث (وإن كان) أي الخارج أو كل دمع (مثل رأس الذباب) أي كمية أو كيفية (من خشية الله ثم يصيب) بالرفع وقيل بالنصب، أي يصل الدمع. (شيئاً من حر وجهه) بضم الحاء وتشديد الراء المهملتين أي خالصة. ففي القاموس: حر الوجه ما أقبل عليك وبدا لك منه. (إلا حرمه الله على الله) وضمير لمفعول راجع إلى العبد المؤمن الموصوف ويمكن أن يرجع إلى حر وجهه فيكون كناية عن تحريم ذاته والله [تعالى]أعلم. (رواه ابن ماجه) وفي الجامع بلفظ: ما من عبد مؤمن يخرج من عينيه من الدموع مثل رأس الذباب من خشية الله فيصيب حر وجهه فتمسه النار أبداً. رواه ابن ماجه عن ابن مسعود[١].

الحديث رقم ٥٣٥٩: أخرجه ابن ماجه في السنن ٢/ ١٤٠٤ حديث رقم ٤١٩٧.

(١) الجامع الصغير ٢/ ٤٩٣ حديث رقم ٨٠٧٥.

(٧) باب تغير الناس

الفصل الأول

٥٣٦٠ ـ (١) عن ابن عمرَ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إنما النَّاسُ كالإبلِ المائة، لا تكاد تجدُ فيها راحلة».

(باب تغير الناس)

أي بتغير الزمان على ما هو المتبادر الموافق لمضمون أكثر أحاديث الباب. أو المراد بالتغير اختلاف حالاتهم ومراتبهم في منازلاتهم الشاملة لتغير أزمنتهم، وعليه ظاهر الحديث الأوّل من الفصل الأوّل فتأمل.

(الفصل الأوّل)

٥٣٦٠ ـ **(عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: إنما الناس)** أي في اختلاف حالاتهم وتغير صفاتهم. **(كالإبل المائة)** قال الطيبي [رحمه الله تعالى]: اللام فيهما للجنس. قال التوربشتي [رحمه الله تعالى]: الرواية فيه على الثبت كإبل مائة بغير ألف ولام فيهما. **(لا تكاد)** أي لا تقرب أيها المخاطب خطاباً عاماً **(تجد فيها)** أي في مائة من الإبل **(راحلة)** أي ناقة شابة قوية مرتاضة تصلح للركوب. فكذلك لا تجد في مائة من الناس من يصلح للصحبة وحمل المودة وركوب المحبة، فيعاون صاحبه ويلين له جانبه. وهذا زبدة كلام الشارح الأول ومن تابعه من شراح المصابيح. وقال الخطابي: معناه أن الناس في أحكام الدين سواء لا فضل فيها لشريف على مشروف ولا لرفيع منهم على وضيع كإبل المائة لا يكون فيها راحلة. قال الطيبي [رحمه الله]: على القول الأول لا تجد فيها راحلة صفة لا، بل والتشبيه مركب تمثيلي. وعلى الثاني هو وجه الشبه وبيان لمناسبة الناس للإبل. قلت: ولا يخفى ظهور المعنى الأول فتدبر وتأمل. وخلاصته أن المرضي المنتخب من الناس الصالح للصحبة سهل الانقياد عسر وجوده كالنجيبة الصالحة للركوب التي لا توجد في الإبل الكثيرة القوية على الأحمال والأسفار، فذكر المائة [للتكثير]لا للتحديد. فإن وجود العالم العامل المخلص من قبيل الكيمياء أو من باب تسمية العنقاء، ولذا قال بعض العرفاء:

أتمنى على الزمان محالاً ... أن ترى مقلتاي طلعة حر

الحديث رقم ٥٣٦٠: أخرجه البخاري في صحيحه ١١/ ٣٣٣. حديث رقم ٦٤٩٨. ومسلم في صحيحه ٤/ ١٩٧٣ حديث رقم (٢٣٢ ـ ٢٥٤٧). والترمذي في السنن ٥/ ١٤١ حديث رقم ٣٨٧٢. وابن ماجه ٢/ ١٣٢١ حديث رقم ٣٩٩٠. وأحمد في المسند ٢/ ٧٠.

متفق عليه.

٥٣٦١ ـ (٢) وعن أبي سعيد، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «لَتَتَّبِعُنَّ سُنَنَ مَنْ قبلكم، شبراً بشبرٍ، وذراعاً بذراعٍ، حتى لو دخلوا جُحْر ضَبٍّ تبعتُموهم».

وقال الآخر:

وإذا صفا لك من زمانك واحد فهو المراد وأين ذاك الواحد

وكان يقول بعض أرباب الحال: هذا زمان قحط الرجال، ورُوِيَ أن سهلاً التستري خرج من مسجد ورأى خلقاً كثيراً في داخله وخارجه فقال: أهل لا إله إلا الله كثير والمخلصون [منهم]قليل. وقد نبه سبحانه على هذا المعنى في آيات منها قوله تعالى: ﴿وقليل من عبادي الشكور﴾ [سبأ ـ ١٣]. ومنها: ﴿إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم﴾ [ص ـ ٢٤]. ومنها قوله [تعالى]في وصف السابقين المقربين: ﴿ثلة من الأولين وقليل من الآخرين﴾ [الواقعة ـ ١٣ ـ ١٤]. (متفق عليه) ورواه الترمذي، وهذا لفظ البخاري نقله ميرك عن التصحيح. وفي الجامع بلفظ: إنما الناس كإبل مائة. بالتنكير، رواه أحمد والشيخان والترمذي وابن ماجه.

٥٣٦١ ـ (وعن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: لتتبعن) بتشديد التاء الثانية وضم العين، أي لتوافقن بالتبعية. (سنن من قبلكم) بضم السين جمع سنة، وهي لغة الطريقة حسنة كانت أو سيئة. والمراد هنا طريقة أهل الأهواء والبدع التي ابتدعوها من تلقاء أنفسهم بعد أنبيائهم من تغير دينهم وتحريف كتابهم، كما أتى على بني إسرائيل: حذو النعل بالنعل. وفي بعض النسخ بفتح السين. ففي المقدمة: أي طريقهم. (شبراً بشبر) حال مثل يداً بيد وكذا قوله: (ذراعاً بذراع) أي ستفعلون مثل فعلهم سواء بسواء، (حتى لو دخلوا) أي من قبلكم من بني إسرائيل (حجر ضب) وهو من أضيق أنواع الحجر وأخبثها (تبعتموهم) ولعل الحكمة في ذلك أنه ﷺ لما بعث لإتمام مكارم الأخلاق في آخر الأمم فيقتضي أن يكون أهل الكمال منهم، موصوفين بجميع الخصال الحميدة في الأديان المتقدمة، ومن لوازم ذلك أن يكون أهل النقصان منهم في كمال مرتبة القصور منعوتين بجميع الخلال الذميمة الكائنة في الأمم السابقة. ونظيره أن بعض المشايخ ذكر أنه ارتاض بجميع ما سمع من رياضات أرباب الولايات فأعطى له جميع أصناف الكرامات وخوارق العادات، ويناسبه ما ذكره بعض المحققين من أن التوقف لا يوجد في حق الإنسان فإن لم يكن في الزيادة فهو في النقصان. وأيضاً نوع بني آدم معجون مركب من الطبع الملكي الروحاني العلواني ومن الطبع الحيواني النفساني السفلاني فإن كان يميل إلى العلو فيصير إلى المرتبة الأولى من الملأ الأعلى وإن كان يميل إلى أسفل فيسير في طريقه من مراتب البهائم أدنى، كما أشار إليه سبحانه بقوله: ﴿أولئك كالأنعام بل هم أضل﴾

الحديث رقم ٥٣٦١: أخرجه البخاري في صحيحه ٦/ ٤٩٥. حديث رقم ٣٤٥٦. ومسلم في صحيحه ٤/ ٢٠٥٤ حديث رقم (٦/ ٢٦٦٩). وأحمد في المسند ٢/ ٥١١.

قيل: يا رسول الله! اليهود والنصارى؟ قال: «فمن؟». متفق عليه.

٥٣٦٢ ـ (٣) وعن مرداس الأسلمي، قال: قال النبي ﷺ: «يذهب الصالحون، الأول فالأول، وتبقى حُفَالة كحفالة الشعير أو التمر، لا يباليهم الله بالةً». رواه البخاري.

[الأعراف ـ ١٧٩]. وهنا ينفتح باب القضاء والإخلاص إلى القضاء إلا بقوله: ﴿لا يسأل عما يفعل﴾ [الأنبياء ـ ٢٣]. فتأمل. (قيل: يا رسول الله اليهود والنصارى) بالنصب، أي أتعني بمن نتبعهم أو بمن قبلنا سنة اليهود والنصارى (قال:) أي النبي ﷺ (فمن) أي إن لم أردهم فمن سواهم والمعنى أنهم الغالبون المشهورون من أهل الكتاب وغيرهم مندرسون، فإذا أطلق من قبلكم فهم المراد وكأن غيرهم غير موجودين في الاعتبار عند الإطلاق. وقال شارح: فمن استفهام، أي فمن يكون غيرهم يعني المتبوعين لكم هم لا غيرهم. وقال ابن الملك: روى اليهود بالجر، أي هل تتبع سنن اليهود، وبالرفع على أنه خبر المبتدأ على تقدير حرف الاستفهام يعني من قبلنا هم اليهود انتهى. وقيل: التقدير أي المتبوعون هم اليهود والنصارى أم غيرهم. (متفق عليه) ورواه الحاكم عن ابن عباس ولفظه: لتركبن سنن من قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع حتى لو أن أحدهم دخل جحر ضب لدخلتم وحتى لو أن أحدهم جامع امرأته بالطريق لفعلتموه[١].

٥٣٦٢ ـ (وعن مرداس) بكسر الميم (الأسلمي) كان من أصحاب الشجرة يعد في الكوفيين روى عنه قيس بن أبي حازم حديثاً واحداً ليس له غيره. (قال: قال النبي) وفي نسخة صحيحة: رسول الله (ﷺ: يذهب) أي يموت (الصالحون الأول فالأول) بالرفع بدل من الصالحون وبالنصب حال أي واحداً بعد واحد أو قرناً بعد قرن (وتبقى حفالة) بضم الحاء المهملة، حثالة. بالثاء المثلثة بدل الفاء. ومعناهما الرديء من الشيء، والتنكير في حفالة للتحقير (كحفالة الشعير) أي نخالته (أو التمر) أي دقله. قال الطيبي [رحمه الله]: الفاء للتعقيب ولا بد من التقدير أي الأول منهم فالأول من الباقين منهم، وهكذا حتى ينتهي إلى الحفالة مثل الأفضل فالأفضل. قال القاضي: الحفالة رذالة الشيء وكذا الحثالة والفاء والثاء يعاقبان كثيراً. (لا يباليهم الله) أي لا يرفع لهم قدراً ولا يقيم لهم وزناً (بالة) أي مبالاة فيكون محذوف الميم والألف لكونها من الزوائد كما قيل في لبيك، فإنه مأخوذ من ألب بالمكان أقام به وأصل بالة بالية مثل عافاة الله عافية فحذفوا الياء منها تخفيفاً. يقال: ما باليته وما باليت به ومنه، أي لم أكترث به. وقيل: بالة بمعنى حالة، أي لا يبالي الله حالة من أحواله ومنه البال بمعنى الحال. (رواه البخاري) وكذا الإمام أحمد.

---

(١) الحاكم في المستدرك ٤/ ٤٥٥.

الحديث رقم ٥٣٦٢: أخرجه البخاري في صحيحه ١١/ ٢٥١. حديث رقم ٦٤٣٤.

الفصل الثاني

٥٣٦٣ ـ (٤) عن ابنِ عمرَ، قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا مشت أُمَّتي المُطَيطياء وخَدَمَتْهُمْ أبناءُ الملوك أبناء فارس والروم، سلَّط الله شرارَها على خيارِها». رواه الترمذي، وقال: هذا حديثٌ غريبٌ.

٥٣٦٤ ـ (٥) وعن حُذَيفةَ، أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «لا تقومُ الساعةُ حتى تقتلوا إمامكم، وتجتلدوا بأسيافكم، ويرِثَ دنياكم شرارُكم». رواه الترمذي.

٥٣٦٥ ـ (٦) وعنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تقومُ الساعةُ حتى يكونَ

(الفصل الثاني)

٥٣٦٣ ـ (**عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: إذا مشت أمتي المطيطيا**) بضم الميم وفتح المهملة الأولى وكسر الثانية ممدودة وتقصر بمعنى التمطي وهو المشي فيه التبختر ومد اليدين. ويروى بغير الياء الأخيرة وهو لفظ الجامع، ونصبه على أنه مفعول مطلق أي مشي تبختر. وقيل: إنه حال، أي إذا صاروا في نفوسهم متكبرين وعلى غيرهم متجبرين. (**وخدمتهم**) وفي الجامع: خدمها، وهو الأنسب بالسابق واللاحق. والمعنى: قام بخدمتهم وانقاد في حضرتهم. (**أبناء الملوك أبناء فارس والروم**) بدل مما قبله وبيان له (**سلط الله شرارها**) ولفظ الجامع: سلط شرارها. أي ظلمة الأمة[1]. (**على خيارها**) أي مظلومهم. قال الشراح: وهذا الحديث من دلائل نبوته ﷺ لأنه أخبر عن المغيب ووافق الواقع خبره، فإنهم لما فتحوا بلاد فارس والروم وأخذوا أموالهم وتجملاتهم وسبوا أولادهم فاستخدموهم سلط الله قتلة عثمان رضي الله عنه عليه حتى قتلوه، ثم سلط بني أمية على بني هاشم ففعلوا ما فعلوا وهكذا. (**رواه الترمذي**) وكذا ابن حبان، ذكره ميرك. (**وقال:**) أي الترمذي (**هذا حديث غريب**).

٥٣٦٤ ـ (**وعن حذيفة أن النبي ﷺ قال: لا تقوم الساعة حتى تقتلوا إمامكم**) أي الخليفة أو السلطان (**وتجتلدوا**) أي تتضاربوا (**بأسيافكم ويرث دنياكم شراركم**) بأن يصير الملك والمال والمناصب في أيدي الظلمة وغير أرباب الاستحقاق (**رواه الترمذي**).

٥٣٦٥ ـ (**وعنه**) أي عن حذيفة (**قال: قال رسول الله ﷺ: لا تقوم الساعة حتى يكون**

الحديث رقم ٥٣٦٣: أخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٤٥٦ حديث رقم ٢٢٦١.

(١) الجامع الصغير ١/ ٥٩ حديث رقم ٨٦٧.

الحديث رقم ٥٣٦٤: أخرجه الترمذي ٤/ ٤٠٧ حديث رقم ٢١٧٠. وابن ماجه في السنن ٢/ ١٣٤٢ حديث رقم ٤٠٤٣ وأحمد في المسند ٥/ ٣٨٩.

الحديث رقم ٥٣٦٥: أخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٤٢٧ حديث رقم ٢٢٠٩. وأحمد في المسند ٥/ ٣٨٩.

أسعد الناس بالدنيا لُكَعُ بنُ لُكعٍ». رواه الترمذي، والبيهقي في «دلائل النبوة».

أسعد الناس) بنصب أسعد ويرفع، أي أكثرهم مالاً وأطيبهم عيشاً وأرفعهم منصباً وأنفذهم حكماً. (**بالدنيا**) أي بأمورها أو فيها (**لكع بن لكع**) بضم اللام وفتح الكاف غير مصروف، أي لئيم بن لئيم، أي رديء النسب دنيء الحسب. وقيل: أراد به من لا يعرف له أصل ولا يحمد له خلق، وحذف ألف ابن لإجراء اللفظين مجرى علمين لشخصين خسيسين لئيمين. قال ابن الملك [رحمه الله]: في بعض النسخ بنصب أسعد على أنه خبر يكون وفي بعضها برفعه على أن الضمير في يكون للشأن والجملة بعده تفسير للضمير المذكور انتهى. ولا يجوز أن يكون أسعد اسماً ولكع بنصب على الخبرية لفساد المعنى كما لا يخفى، فلا يغرك ما في بعض النسخ من نصب لكع فإنه مخالف للرواية والدراية. وقد اقتصر شارح على نصب أسعد وقال: لكع بالرفع اسم يكون وهو الأحمق. وقيل: العبد وهو معدول عن اللكع. يقال: لكع الوسخ عليه لكعاً فهو لكع إذا ألصق به، وللرجل اللئيم كما عدلت لكاع المرأة اللئيمة، ثم استعمل للأحمق والعبد لما فيه من الذلة وللجحش لما فيه من الخفة، وللصبي لما فيه من الضعف. ويقال للذليل الذي تكون نفسه كالعبيد. وأريد به ههنا الذي لا يعرف له أصل ولا يحمد له خلق انتهى. وبهذا ظهر معنى قوله ﷺ في حق الحسن بن علي رضي الله [تعالى] عنهما: أثم لكع. وحاصله أنه يطلق على الصغير قدراً وجثة بحسب ما يقتضيه المقام من المعنى المناسب للمرام، ولذا قيل: يقال للصبي لكع مصروفاً ذهاباً إلى صغر جثته. ويطلق على العبد واللئيم والأحمق لصغر قدرهم، فإذا عرفت هذا فيصلح أن يراد بلكع كل من هذه المعاني من الصغير والحقير والعبد والأحمق واللئيم. ثم قال بعضهم هو ليس بمعدول وإنما هو مثل صرد ونغر فحقه أن ينون لأنه ليس بمعدول. وفي القاموس: اللكع كصرد اللئيم والعبد والأحمق ومن لا يتجه لمنطق ولا لغيره والمهر والصغير والوسخ. ويقال في النداء: يا لكع ولا يصرف في المعرفة لأنه معدول عن اللكع انتهى. وهذا يؤيد أن يكون لكع هنا مصروفاً. وقال الطيبي [رحمه الله]: وهو غير منصرف للعدل والصفة. (**رواه الترمذي**) أي في سننه (**والبيهقي في دلائل النبوة**) وكذا أحمد والضياء. وروى أحمد وأبو داود وابن ماجه وابن حبان عن أنس مرفوعاً: «لا تقوم الساعة حتى يتباهى الناس في المساجد»[(١)]. وروى أبو نعيم في الحلية عن أبي هريرة: لا تقوم الساعة حتى يكون الزهد رواية والورع تصنعاً[(٢)]. وروى أحمد ومسلم عن ابن مسعود: لا تقوم الساعة إلا على شرار الناس[(٣)]. وروى أبو يعلى الموصلي والحاكم عن أبي سعيد: «لا تقوم الساعة حتى لا يحج البيت»[(٤)]. وروى السجزي عن ابن عمر: لا تقوم الساعة حتى يرفع الذكر والقرآن[(٥)]. وروى الطبراني عن ابن عمرو: لا تقوم الساعة حتى يخرج

---

(١) أبو داود في السنن ١/ ٣١١ حديث رقم ٤٤٩. وابن ماجه حديث رقم ٧٣٩. والنسائي حديث رقم ٦٨٩.

(٢) حلية الأولياء ٣/ ١١٩. (٣) راجع الحديث رقم (٩٨٥٤).

(٤) الحاكم في المستدرك ٤/ ٤٥٣.

(٥) ذكره السيوطي في الجامع الصغير «بلفظه «الركن والقرآن» ٢/ ٥٨٣ حديث رقم ٩٨٥٤.

٥٣٦٦ ـ (٧) وعن محمد بن كعب القرظي، قال: حدَّثني مَنْ سمعَ علي بن أبي طالب رضي الله عنه، قال: إنَّا لجلوسٌ معَ رسولِ الله ﷺ في المسجدِ، فاطلع علينا مُصعَب ابن عمير، ما عليهِ إلا بُردَةٌ له مرقوعةٌ بفَروٍ، فلما رآه رسولُ اللهِ ﷺ بكى للذي كان فيه من النعمة والذي هو فيه اليوم،

سبعون كذاباً[١]. وروى أحمد ومسلم والترمذي عن أنس: لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض الله الله[٢]. وسيأتي في أوّل باب الملاحم من حديث أبي هريرة المشتمل على ثلاث عشرة علامة لقيام الساعة مستوفي الكلام عليها إن شاء الله تعالى.

٥٣٦٦ ـ (وعن محمد بن كعب القرظي) بضم قاف وفتح راء فظاء معجمة نسبة إلى بني قريظة طائفة من يهود المدينة، شرفها الله. ذكره المصنف في التابعين وقال: سمع نفراً من الصحابة ومنهم محمد بن المنكدر وغيره. وكان أبوه ممن لم يثبت يوم قريظة فترك. (قال: حدثني من سمع علي بن أبي طالب رضي الله [تعالى]عنه) لم يسم هذا السامع لكن تابعي تغفر جهالته مع احتمال كونه صحابياً آخر فتدبر. (قال:) أي علي رضي الله عنه (إنا لجلوس) أي لجالسون (مع رسول الله ﷺ في المسجد) أي مسجد المدينة أو مسجد قباء (فاطلع) بتشديد الطاء أي فظهر (علينا مصعب بن عمير) بضم الميم وفتح العين، وعمير مصغراً. (ما عليه) أي ليس على بدنه (إلا بردة له) أي كساء مخلوط السواد والبياض (مرقوعة بفرو) أي مرقعة بجلد. قال ميرك: هو قرشي هاجر إلى النبي ﷺ وترك النعمة والأموال بمكة وهو من كبار أصحاب الصفة الساكنين في مسجد قباء. وقال المؤلف: هو عبدري كان من أجلة الصحابة وفضلائهم هاجر إلى أرض الحبشة في أوّل من هاجر إليها ثم شهد بدراً وكان رسول الله ﷺ بعث مصعباً بعد العقبة الثانية إلى المدينة يقرئهم القرآن ويفقههم في الدين، وهو أوّل من جمع الجمعة بالمدينة قبل الهجرة. وكان في الجاهلية من أنعم الناس عيشاً وألينهم لباساً فلما أسلم زهد في الدنيا. وقيل: إنه بعثه النبي ﷺ بعد أن بايع العقبة الأولى فكان يأتي الأنصار في دورهم ويدعوهم إلى الإسلام فيسلم الرجل والرجلان حتى فشا الإسلام فيهم، فكتب إلى النبي ﷺ يستأذنه أن يجمع بهم فأذن له ثم قدم على النبي ﷺ مع السبعين الذين قدموا عليه في العقبة الثانية فأقام بمكة قليلاً وفيه نزل: ﴿رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه﴾ [الأحزاب ـ ٢٣]. وكان إسلامه بعد دخول النبي ﷺ دار الأرقم. (فلما رآه) أي أبصر مصعباً بتلك الحال الصعباء (رسول الله ﷺ بكى للذي) أي للأمر الذي (كان فيه) أي قبل ذلك اليوم (من النعمة والذي هو فيه) أي وللأمر الذي هو فيه من المحنة والمشقة (اليوم) أي في الوقت الحاضر والظاهر المتبادر أن بكاءه ﷺ إنما كان رحمة له وشفقة عليه لما رآه من فقره وفاقته لا سيما وقد كان عزيزاً في

---

(١) ذكره السيوطي في الجامع الصغير ٢/ ٥٨٣ حديث رقم ٩٨٥٥.

(٢) راجع الحديث رقم (٥٥١٦).

الحديث رقم ٥٣٦٦: أخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٥٥٨ حديث رقم ٢٤٧٦.

ثم قال رسول الله ﷺ: «كيفَ بِكمْ إذا غدا أحدُكم في حُلّةٍ، وراحَ في حلّةٍ؟ ووُضعتْ بين يديه صحفة ورفعت أخرى، وسترتم بيوتكم كما تُسْتَرُ الكعبة؟». فقالوا: يا رسول الله! نحن يومئذ خيرٌ منا اليومَ، نتفرغ للعبادة، ونُكفَى المؤونة. قال: «لا، أنتم اليومَ خيرٌ منكم يومئذٍ» رواه الترمذي.

قومه ومنغمساً في نعمته. لكن ينافيه بعض المنافاة ما وقع له ﷺ مع عمر حيث بكى عمر رضي الله [تعالى]عنه لما رأى النبي ﷺ مضطجعاً على حصير سرير ليس بينه وبينه شيء وقد أثر الحصير على بدنه الشريف، وتذكر عمر تنعم كسرى وقيصر فقال له: أأنت في هذا المقام يا عمر أما ترضى أن تكون لهم الدنيا ولنا الآخرة[1]. فالأولى أن يحمل البكاء على الفرح في أنه وجد في أمته من اختار الزهد في الدنيا والإقبال على العقبى أو على الحزن في فقد ما عنده من بعض المساعدة لبعض الكسوة أو المعاونة في بعض المعيشة والله [تعالى]أعلم. ويؤيد تأويلنا نقل الراوي. (ثم قال رسول الله ﷺ: كيف) أي الحال (بكم إذا غدا) أي ذهب أول النهار و(أحدكم في حلة) بضم فتشديد، أي في ثوب أو في إزار ورداء. (وراح) أي ذهب آخر النهار (في حلة) أي أخرى من الأولى. قال ابن الملك: أي كيف يكون حالكم إذا كثرت أموالكم بحيث يلبس كل منكم أول النهار حلة وآخره أخرى من غاية التنعم. (ووضعت بين يديه صحفة) أي قصعة من مطعوم (ورفعت أخرى) أي من نوع آخر كما هو شأن المترفين من طائفة الأروام، وهو كناية عن كثرة أصناف الأطعمة الموضوعة على الأطباق بين يدي المتنعمين من طبقة الأعجام. (وسترتم بيوتكم) بضم الموحدة وكسرها أي جدرانها. والمعنى زينتموها بالثياب النفيسة من فرط التنعم. (كما تستر الكعبة) وفيه إشارة إلى أن سترها من خصوصياتها لامتيازها (فقالوا: يا رسول الله نحن يومئذ خير منا اليوم) وبينوا سبب الخيرية بقولهم مستأنفاً فيه معنى التعليل. (نتفرغ) أي عن العلائق والعوائق (للعبادة) أي بأنفسنا (ونكفى) بصيغة المجهول المتكلم (المؤونة) أي بخدمنا. والواو لمطلق الجمع. فالمعنى ندفع عنا تحصيل القوت لحصوله بأسباب مهيأة لنا فنتفرغ للعبادة من تحصيل العلوم الشرعية والعمل بالخيرات البدنية والمبرات المالية. (قال:) وفي نسخة: فقال. (لا) أي ليس الأمر كما ظننتم (أنتم اليوم خير منكم يومئذ) لأن الفقير الذي له كفاف خير من الغني لأن الغني يشتغل بدنياه ولا يتفرغ للعبادة مثل من له كفاف لكثرة اشتغاله بتحصيل المال. فالحديث صريح في تفضيل [الفقير] الصابر على الغني الشاكر، فإن الغني بالنسبة إلى الصحابة وهم أقوياء إذا كان كذلك فما بال غيرهم من الضعفاء. ويؤيده ما رواه الديلمي في الفردوس عن ابن عمر مرفوعاً: «ما زويت الدنيا عن أحد إلا كانت خيرة له»[2]. أقول: قوله: عن أحد، على عمومه فإن الكافر الفقير عذابه أخف من الكافر الغني في النار فإذا نفع الفقر الكافر في تلك الدار فكيف لا ينفع المؤمن الصابر في دار القرار. (رواه الترمذي).

---

(١) راجع الحديث رقم (٥٢٤٠).
(٢) مسند الفردوس ٤/٦٨ حديث رقم ٦٢١٣.

٥٣٦٧ ـ (٨) وعن أنس، قال: قال رسول الله ﷺ: «يأتي على الناس زمانٌ، الصابرُ فيهم على دينه كالقابض على الجمر» رواه الترمذي، وقال: هذا حديثٌ غريبٌ إسناداً.

٥٣٦٨ ـ (٩) وعن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ «إذا كان

٥٣٦٧ ـ (وعن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: يأتي على الناس زمان الصابر فيهم) أي في أهل ذلك الزمان (على دينه) أي على حفظ أمر دينه بترك دنياه (كالقابض) أي كصبر القابض في الشدة ونهاية المحنة (على الجمر) جمع الجمرة وهي شعلة من نار. قال الطيبي [رحمه الله]: الجملة صفة زمان والراجع محذوف، أي الصابر فيه. وفيه أن الرابط مذكور فيه بقوله: فيهم، كما أشرنا إليه سابقاً. قال: والمعنى كما لا يقدر القابض على الجمر أن يصبر لإحراق يده كذلك المتدين يومئذ لا يقدر على ثباته على دينه لغلبة العصاة والمعاصي وانتشار الفسق وضعف الإيمان انتهى. والظاهر أن معنى الحديث كما لا يمكن القبض على الجمرة إلا بصبر شديد وتحمل غلبة المشقة كذلك في ذلك الزمان لا يتصور حفظ دينه ونور إيمانه إلا بصبر عظيم وتعب جسيم. ومن المعلوم أن المشبه به يكون أقوى فالمراد به المبالغة فلا ينافيه أن ما أحد يصبر على قبض الجمر. ولذا قال [تعالى]: ﴿فما أصبرهم على النار﴾ [البقرة ـ ١٧٥]. مع أنه قد يقبض على الجمر أيضاً عند الإكراه على أمر أعظم منه من قتل نفس أو إحراق أو إغراق ونحوها، ولذا قال تعالى: ﴿قل نار جهنم أشد حراً﴾ [التوبة ـ ٨١]. وقد أشار الشاطبي [رحمه الله]في زمانه إلى هذا المعنى بقوله:

وهذا زمان الصبر من لك بالتي　　　كقبض على جمر فتنجو من البلا

قال الجعبري أي هذا الزمان زمان الصبر لأنه قد أنكر المعروف وعرف المنكر وفسدت النيات وظهرت الخيانات وأوذي المحق وأكرم المبطل، فمن يسمح لك بالحالة التي لزومها في الشدة كالقابض على جمر النار. فقد روى أبو ثعلبة الخشني عنه عليه [الصلاة]والسلام أنه قال: ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر حتى إذا رأيت شحاً مطاعاً وهوى متبعاً ودنيا مؤثرة وإعجاب كل برأيه فعليك خاصة نفسك ودع العوام فإن وراءكم أياماً، الصبر فيهن مثل القبض على الجمر للعامل فيهن أجر خمسين رجلاً يعملون مثل عملكم[1]. انتهى. (رواه الترمذي وقال: هذا حديث غريب إسناداً) قال ميرك نقلاً عن التصحيح: هذا الحديث وقع له ثلاثياً وفي سنده عمر بن شاكر شيخ الترمذي وحده وقد ذكره ابن حبان في الثقات انتهى. وروى ابن عساكر عن أنس أيضاً: «يأتي على الناس زمان يكون المؤمن فيه أذل من شاته»[2].

٥٣٦٨ ـ (وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: إذا كان) ولفظ الجامع: إذا كانت

الحديث رقم ٥٣٦٧: أخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٤٥٦ حديث رقم ٢٢٦٠. وأحمد في المسند ٢/ ٣٩٠.

(١) راجع الحديث رقم (٥١٤٤).

(٢) ذكره السيوطي في الجامع الصغير ٢/ ٥٨٩ حديث رقم (٩٩٨٩).

الحديث رقم ٥٣٦٨: أخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٤٥٩ حديث رقم ٢٢٦٦.

أمراؤكم خياركم، وأغنياؤكم سمحاءكم، وأموركم شورى بينكم؛ فظهر الأرض خيرٌ لكم من بطنها. وإذا كان أمراؤكم شرارَكم، وأغنياؤكم بخلاءكم، وأمورُكم إلى نسائكم؛ فبطن الأرضِ خيرٌ لكم من ظهرها». رواه الترمذي، وقال: هذا حديثٌ غريب.

٥٣٦٩ ـ (١٠) وعن ثوبان، قال: قال رسول الله ﷺ: «يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تَداعى الأكلةُ إلى قصعتها». فقال قائل: ومن قلّةٍ نحن يومئذ؟ قال: «بل أنتم يومئذ كثير، ولكنكم غُثاء كغثاءِ السَّيل،

(أمراؤكم خياركم) أي أتقياءكم (وأغنياؤكم سمحاءكم) أي أسخياءكم، واحده سمح فكأنه جمع سميح بمعنى سمح. (وأموركم شورى بينكم) مصدر بمعنى التشاور، أي ذوات شورى على تقدير مضاف أو على أن المصدر بمعنى المفعول أي متشاور فيها ومنه قوله تعالى: ﴿وأمرهم شورى بينهم﴾ [الشورى ـ ٣٨]. وقد قال سبحانه [عزّ وجلّ] للنبيه ﷺ: ﴿وشاورهم في الأمر﴾ [آل عمران ـ ١٥٩]. والمعنى: ما دمتم متشاورين في أموركم. (فظهر الأرض خير لكم من بطنها) أي لأجل أنكم عاملون بما في الكتاب والسنة، وطوبى لمن طال عمره وحسن عمله. (وإذا كان أمراؤكم شراركم) أي بالفسق والظلم (وأغنياؤكم بخلاءكم) أي بقلة الرحمة والشفقة (وأموركم إلى نسائكم) أي مفوض إلى رأيهن والحال أنهن من ناقصات العقل والدين وقد ورد: شاوروهن وخالفوهن. وفي معناهن كل من يكون في مرتبة حالهن من الرجال ممن يغلب عليه حب الجاه والمال ولم يعلم ما يتعلق بضرر الدين ووبال المال. (فبطن الأرض خير لكم من ظهرها) أي فإن من لم يغلب خيره شره فالموت خير له. (رواه الترمذي وقال: هذا حديث غريب).

٥٣٦٩ ـ (وعن ثوبان) وهو مولى للنبي ﷺ (قال: قال رسول الله ﷺ: يوشك الأمم) أي يقرب فرق الكفر والضلالة (أن تداعى) حذف إحدى التاءين أي تتداعى (عليكم) بأن يدعو بعضهم بعضاً لمقاتلتكم وكسر شوكتكم وسلب ما ملكتموه من الديار والأموال (كما تداعى) أي تتداعى (الأكلة) بالمد وهي الرواية على نعت الفئة والجماعة أو نحو ذلك كذا روي لنا عن كتاب أبي داود. وهذا الحديث من أفراده ذكره الطيبي [رحمه الله]. ولو روي الأكلة بفتحتين على أنه جمع آكل اسم فاعل لكان له وجه وجيه. والمعنى: كما يدعو أكلة الطعام بعضهم بعضاً. (إلى قصعتها) أي التي يتناولون منها بلا مانع ولا منازع فيأكلونها عفواً صفواً كذلك يأخذون ما في أيديكم بلا تعب ينالهم أو ضرر يلحقهم أو بأس يمنعهم. (فقال قائل: ومن قلة) خبر مبتدأ محذوف. وقوله: (نحن يومئذ) مبتدأ وخبر صفة لها، أي أذلك التداعي لأجل قلة نحن عليها يومئذ. (قال: بل أنتم يومئذ كثير) أي عدداً وقليل مدداً وهذا معنى الاستدراك بقوله: (ولكنكم غثاء) بالضم ممدوداً. قال الطيبي [رحمه الله]: (كغثاء السيل) قال الطيبي بالتشديد أيضاً ما يحمله السيل من زبد ووسخ، شبههم به لقلة شجاعتهم ودناءة قدرهم وخفة

الحديث رقم ٥٣٦٩: أخرجه أبو داود في السنن ٤/ ٤٨٣ حديث رقم ٤٢٩٧. وأحمد في المسند ٥/ ٢٧٨.

ولينزعنّ الله من صدورِ عدوكم المهابة منكم، وليقذفنّ في قلوبكم الوَهن». قال قائل: يا رسول الله! وما الوهن؟ قال: «حبُّ الدُّنيا وكراهيةُ الموت». رواه أبو داود، والبيهقي في «دلائل النبوة».

الفصل الثالث

٥٣٧٠ - (١١) عن ابن عباس، قال: «ما ظهر الغلولُ في قومٍ إلا ألقى اللّهُ في قلوبهم الرُّعبَ، ولا فشا الزنا في قومٍ إلا كثر فيهم الموت، ولا نقصَ قومٌ المكيالَ والميزانَ إلا قُطع عنهم الرزق، ولا حكم قومٌ بغير حق إلا فشا فيهم الدم، ولا ختر قوم بالعهد إلا سُلّطَ

أحلامهم. وخلاصته: ولكنكم تكونون متفرقين ضعيفي الحال خفيفي البال مشتتي الآمال، ثم ذكر سببه بعطف البيان فقال: **(ولينزعن)** أي ليخرجن **(الله من صدور عدوّكم المهابة)** أي الخوف والرعب **(منكم)** أي من جهتكم **(وليقذفن)** بفتح الياء، أي وليرمين أي الله. **(في قلوبكم الوهن)** أي الضعف وكأنه أراد بالوهن ما يوجبه ولذلك فسره بحب الدنيا وكراهة الموت حيث قال: **(قال قائل: يا رسول الله وما الوهن)** أي ما سببه وما موجبه، قال الطيبي [رحمه الله]: سؤال عن نوع الوهن أو كأنه أراد من أي وجه يكون ذلك الوهن. **(قال: حب الدنيا وكراهية الموت)** وهما متلازمان فكأنهما شيء واحد يدعوهم إلى إعطاء الدنية في الدين من العدوّ المبين. ونسأل الله العافية فقد ابتلينا بذلك فكأنما نحن المعنيّون بما ذكر هنالك. **(رواه أبو داود)** أي في سننه **(والبيهقي في دلائل النبوّة)**.

(الفصل الثالث)

٥٣٧٠ - **(عن ابن عباس)** رضي الله عنه أي موقوفاً **(قال: ما ظهر الغلول)** بالضم، أي خيانة المغنم. **(في قوم إلا ألقى الله في قلوبهم الرعب)** بسكون العين وضمها، أي خوف العدو. **(ولا فشا الزنا)** أي انتشر **(في قوم إلا كثر فيهم الموت)** أي بالوباء أو الطاعون أو موت القلب أو موت العلماء. **(ولا نقص قوم المكيال والميزان)** أي وما في معناهما كالذراع والعدد من طريق الغش والخديعة. **(إلا قطع عنهم الرزق)** أي الحلال أو بركة الرزق الذي في أيديهم. **(ولا حكم قوم)** أي من الحكام **(بغير حق)** أي بغير استحقاق أو بغير علم في أحكامهم الفاسدة بل بآرائهم الكاسدة **(إلا فشا فيهم الدم)** أي القتل والمراد ما يتجر إليه **(ولا ختر)** بفتح الخاء المعجمة والفوقية ومنه قوله تعالى: **﴿وما يجحد بآياتنا إلا كل ختار﴾** [لقمان - ٣٢]. أي غدر **(قوم بالعهد)** أي بنقضه خديعة رجاء الغلبة **(إلا سلط)** بصيغة المجهول، أي بتسليط الله.

الحديث رقم ٥٣٧٠: أخرجه مالك في الموطأ ٢/ ٤٦٠٠ حديث رقم ٢٦ من كتاب الجهاد.

عليهم العدوُّ». رواه مالك.

(٨) باب الإنذار والتحذير

الفصل الأول

٥٣٧١ ـ (١) عن عياض بن حمار المجاشعي، أنَّ رسول الله ﷺ قال ذات يوم في خطبته: «ألا إنَّ ربي أمرني أن أُعلِمكم ما جَهلتُم ممّا علّمني يومي هذا: كلُّ مال نحلته عبداً حلالٌ، وإني خلقتُ عبادي حنفاء كلَّهم،

(عليهم العدوّ. رواه مالك) أي في باب ما جاء في الغلول من الموطأ.

(باب)

كذا في الأصول المعتمدة والنسخ المصححة من غير ترجمة وهو مرفوع على أنه خبر مبتدأ محذوف، أو الباء ساكن على الوقف. وقال ابن الملك: باب في ذكر الإنذار والتحذير، أي التخويف والتذكير.

(الفصل الأول)

٥٣٧١ ـ (عن عياض بن حمار المجاشعي) بضم الميم. قال المؤلف: وكان صديقاً لرسول الله ﷺ قديماً. روى عنه جماعة وهو تميمي يعد في البصريين. (أن رسول الله ﷺ قال ذات يوم في خطبته:) أي المعروفة، أو في موعظته. (ألا) بالتخفيف للتنبيه (إن ربي أمرني أن أعلمكم ما جهلتم مما علمني) يحتمل أن يكون من بيان ما أو تبعيضية على أنه منقطع عما قبله خبر لما بعده مستأنف، أي من جملة ما علمني. (يومي هذا:) أي بما أوحى الله إلي في هذا اليوم بخصوصه. (كل مال نحلته) أي أعطيته (عبداً) أي من عبادي وملكته إياه فلا يدخل الحرام. (حلال) أي فلا يستطيع أحد أن يحرمه من تلقاء نفسه ويمنعه من التصرف فيه تصرف الملاك في أملاكهم، وهذا من مقول الله كما يدل عليه قوله: (وإني خلقت عبادي حنفاء) أي مستعدين لقبول الحق ومائلين إليه عن الباطل (كلهم) أي جميعهم لقوله ﷺ: «كل مولود يولد على الفطرة»[1]. وهي التوحيد المطلق وما به يتعلق لقوله تعالى: ﴿فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله﴾ [الروم ـ ٣٠]. أي لا تبدلوا مخلوقاته باليهودية والنصرانية والمجوسية ونحوها ﴿ذلك الدين القيم﴾ [التوبة ـ٣٦، يوسف ـ ٤٠، الروم ـ ٣٠]. أي

الحديث رقم ٥٣٧١: أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ٢١٩٧ حديث رقم ٦٣/ ٢٨٦٥. وأحمد في المسند ٤/ ٢٦٦.

(١) مسلم في صحيحه ٤/ ٢٠٤٨ حديث رقم (٢٥ ـ ٢٦٥٨).

وإنهم أتتهم الشياطين، فاجتالتهم عن دينهم، وحرمتْ عليهم ما أحللتُ لهم، وأمرَتْهُمْ أن يشركوا بي ما لم أُنزلْ به سلطاناً، وإنَّ الله نظرَ إلى أهلِ الأرض فمقتهم، عربهم

المستقيم فلا تعدلوا عن الجادة إلى الطريق الزايغة كما قال تعالى: ﴿**وإن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله**﴾ [الأنعام ـ ١٥٣]. أي عن الطريق الحقيقي الواصل إليه المقبول لديه لمن أراد المنة عليه ومنه قوله تعالى: ﴿**وعلى الله قصد السبيل ومنها جائر ولو شاء لهداكم أجمعين**﴾ [النحل ـ ٩]. ثم بين سبب ضلالة الخلق وغوايتهم عن الحق بقوله: (**وأنهم**) أي عبادي الحنفاء (**أتتهم الشياطين**) أي جاؤوهم بالوسوسة (**فاجتالتهم**) أي صرفتهم وساقتهم مائلين (**عن دينهم**) من اجتاله أي ساقه وذهب به. وقيل: الافتعال هنا للحمل على الفعل كاختطب زيد عمراً أي حمله على الخطبة. حملتهم الشياطين على جولانهم وميلانهم عن دينهم. (**وحرمت**) أي الشياطين (**[عليهم]ما أحللت لهم**) أي من البحيرة والسائبة وغيرهما. وتوضيحه ما حققه القاضي حيث قال قوله: كل مال نحلته. حكاية ما علمه الله تعالى وأوحى إليه في يومه هذا. والمعنى: ما أعطيت عبداً من مال فهو حلال له ليس لأحد أن يحرم عليه وليس لقائل أن يقول هذا يقتضي أن لا يكون الحرام رزقاً لأن كل رزق ساقه الله تعالى إلى عبد نحله وأعطاه، وكل ما نحله وأعطاه فهو حلال فيكون كل رزق رزقه الله إياه فهو حلال، وذلك يستلزم أن يكون كل ما ليس بحلال ليس برزق لأنا نقول الرزق أعم من الإعطاء فإنه يتضمن التمليك. ولذا قال الفقهاء: لو قال الأمر أنه إن أعطيتني ألفاً فأنت طالق فأعطته ألفاً بانت ودخل الألف في ملكه ولا كذلك الرزق. (**وأمرتهم**) أي الشياطين لهم (**أن يشركوا بي ما**) أي إشراكاً أو شيئاً ما (**لم أنزل به**) أي بوجود (**سلطاناً**) أي حجة وبرهاناً سميت به لتسلطه على القلوب عند هجوم الخواطر عليها بالقهر والغلبة. والمعنى: ما ليس على إشراكه دليل عقلي ولا نقلي، إذ لو كان أحدهما لبينه سبحانه وتعالى بل الأمر بخلافه حيث قال: ﴿**وقضى ربك أن لا تعبدوا إلا إياه**﴾ [الإسراء ـ ٢٣]. والقرآن مشحون بالأدلة على بطلان الإشراك بالله [تعالى]. قال القاضي: هو مفعول يشركوا يريد به الأصنام وسائر ما عبد من دون الله، أي أمرتهم بالإشراك بالله بعبادة ما لم يأمر الله بعبادته ولم ينصب دليلاً على استحقاقه للعبادة. وقال الطيبي [رحمه الله]: ما لم أنزل به سلطاناً، أي لا إنزال سلطان ولا شريك على أسلوب قوله:

* على لاحب لا يهتدي بمناره *

أي لا منار ولا اهتداء به وقوله:

* ولا يرى الضب بها ينجحر *

أي لا ضب ولا انحجار نفياً للأصل والفرع أي القيد والمقيد. وقيل: هذا على سبيل التهكم، إذ لا يجوز على الله أن ينزل برهاناً أن يشرك به غيره. (**وإن الله نظر إلى أهل الأرض**) أي رآهم ووجدهم متفقين على الشرك منهمكين في الضلالة. (**فمقتهم**) أي أبغضهم (**عربهم**

وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب، وقال: إنما بعثتُك لأبتليَك وأبتلي بك، وأنزلتُ عليك كتاباً لا يغسله الماء، تقرؤه نائماً ويقظان،

وعجمهم) بدل من الضمير. والمراد بالعجم غير العرب. والمعنى: أبغضهم بسوء صنيعهم وخبث عقيدتهم واتفاقهم قبل بعثة محمد ﷺ على الشرك وانغماسهم في الكفر قوم موسى [عليه السلام]كفروا بعيسى وعبدوا عزيراً وذهبوا إلى أنه ابن الله، وقوم عيسى ذهبوا إلى التثليث أو إلى إلى أنه ابن الله وغير ذلك. **(إلا بقايا من أهل الكتاب)** أي من اليهود والنصارى تبرؤوا عن الشرك كذا قاله بعضهم. والأظهر أن المراد بهم جماعة من قوم عيسى بقوا متابعته عليه السلام إلى أن آمنوا بنبينا ﷺ. **(وقال:)** أي الله تعالى **(إنما بعثتك)** أي أرسلتك يا محمد **(لأبتليك)** أي لأمتحنك كيف تصبر على إيذاء قومك إياك **(وأبتلي بك)** أي قومك هل يؤمنون بك أم يكفرون **(وأنزلت عليك كتاباً)** أي عظيماً وهو القرآن **(لا يغسله الماء)** أي لم نكتف بإيداعه الكتب فيغسله الماء، بل جعلناه قرآناً محفوظاً في صدور المؤمنين. قال تعالى: ﴿**بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم**﴾ [العنكبوت ـ ٤٩]. وقال سبحانه: ﴿**إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون**﴾ [الحجر ـ ٩]. أو المراد بالغسل النسخ، والماء مثل أي لا ينزل بعده كتاب ينسخه ولا نزل قبله كتاب يبطله كما قال تعالى: ﴿**لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد**﴾ [فصلت ـ ٤٢]. قال الطيبي [رحمه الله]: أي كتاباً محفوظاً في القلوب لا يضمحل بغسل القراطيس، أو كتاباً مستمراً متداولاً بين الناس ما دامت السموات والأرض لا ينسخ ولا ينسى بالكلية. وعبر عن إبطال حكمه وترك قراءته والإعراض عنه بغسل أوراقه بالماء على سبيل الاستعارة أو كتاباً واضحاً آياته بيناً معجزاته لا يبطله جور جائر ولا يدحضه شبهة مناظر، فمثل الإبطال معنى بالإبطال صورة. وقيل: كنى به عن غزارة معناه وكثرة جدواه من قولهم: مال فلان لا يفنيه الماء أو النار. وقوله: **(تقرؤه)** أي أنت **(نائماً ويقظان)** بسكون القاف. والمعنى: يصير لك ملكة بحيث يحضر في ذهنك وتلتفت إليه نفسك في أغلب الأحوال فلا تغفل عنه نائماً ويقظان، وقد يقال للقادر على الشيء الماهر به هو يفعله بالماء كذا ذكره الطيبي [رحمه الله]. وخلاصته أنه في قلبك وأنت نائم. وأقول: لا احتياج إلى التأويل بالنسبة إلى قلبه الجليل لأنه تنام عيناه[١] ولا ينام قلبه وقد شوهد كثير من الناس صغيراً وكبيراً أنهم يقرؤون وهم نائمون. وأغرب من هذا ما حكي بعض المريدين أنه وشيخه كانا يتدارسان وقت السحر في تلاوة القرآن عشراً عشراً، فلما توفي الشيخ رحمه الله [تعالى]، أتاه المريد وقت السحر على عادته عند قبره وأراد أن يقرأ ورده. فلما تم العشر سمع من القبر صوت شيخه أنه قرأ عشراً وسكت وهكذا كان الأمر مستمر إلى أنه حكى المريد القضية لبعض أصحابه، فوقع تحت حجابه. ونظيره سماع سعيد بن المسيب صوت الأذان من الضريح الأنور أيام فتنة يزيد في المدينة المعظمة[٢] حيث لم يبق في المسجد أحد إلا سعيد وكانوا يقولون إنه شيخ مجنون. **(وأن الله أمرني أن أحرق)** أي أهلك **(قريشاً)** أي كفارهم **(فقلت: رب)** أي يا

---

(١) في المخطوطة «عينه». (٢) في المخطوطة «العظيمة».

وإنَّ الله أمرني أن أحرِقَ قريشاً، فقلت: [يا] ربِّ! إذاً يثلغوا رأسي، فيدعوه خبزةً، قال: استخرِجْهم كما أخرجوكَ واغْزُهُمْ نُغْزِكَ، وأنفِقْ فسنُنفِقُ عليك، وابعث جيشاً نبعث خمسةً مثله، وقاتِلْ بمَنْ أطاعكَ من عصاكَ». رواه مسلم.

٥٣٧٢ - (٢) وعن ابن عباس، قال: لما نزلت ﴿وأنذر عشيرتك الأقربين﴾، صعدَ النبيُّ ﷺ الصفا فجعل ينادي: «يا بني فهر! يا بني عدي!» لبطون قريش

رب (إذاً) بالتنوين (يثلغوا) بفتح اللام أي يشدخوا ويكسروا (رأسي فيدعوه) بفتح الدال أي رأسي (خبزة) أي فيتركوه بالشدخ بعد الشكل الكروي مصحفاً مثل خبزة (قال:) أي الله لنبيه ﷺ (استخرجهم) أي قريشاً، والمراد كفارهم. (كما أخرجوك) أي كإخراجهم إياك جزاء وفاقاً وإن كان بين الإخراجين بون بين. فإن إخراجهم إياه بالباطل وإخراجه إياهم بالحق. (واغزهم) أي وجاهدهم. فالواو: والمطلق الجمع فإن القتال مقدم على الإخراج (نغزك) بضم النون من أغزيته إذا جهزته للغزو وهيأت له أسبابه. (وأنفق) أي ما في جهدك في سبيل الله (سننفق عليك) أي نخلف عليك بدله في الدنيا والأخرى. قال تعالى: ﴿وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين﴾ [سبأ - ٣٩]. وفيه وعد وتسلية (وابعث) أي ارسل أنت (جيشاً) أي كبيراً وصغيراً (نبعث خمسة) أي مقدار خمسة (مثله) بالنصب. والمعنى: نبعث من الملائكة خمسة أمثال تعينهم كما فعل ببدر. قال تعالى: ﴿بلى إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين﴾ [آل عمران - ١٢٥]. وكان المشركون يومئذ ألفاً والمسلمون ثلثمائة. (وقاتل بمن أطاعك) أي بمعونته أو معه (من عصاك) أي بعدم[١] الإيمان بك (رواه مسلم).

٥٣٧٢ - (وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: لما نزلت: ﴿وأنذر عشيرتك الأقربين﴾[٢] صعد) بكسر العين وهو جواب لما. وفي بعض النسخ: فصعد بالفاء فلا وجه له، أي طلع. (النبي ﷺ الصفا) وهو جبل معروف بمكة من شعائر الله (فجعل) أي فشرع (النبي ﷺ ينادي) أي قبائل العرب (يا بني فهر) بكسر الفاء وسكون الهاء قبيلة من قريش على ما في القاموس. (يا بني عدي) وهم قبيلة [من قريش]أيضاً على ما في القاموس. فقوله: (لبطون قريش) فيه إشكال إذ البطن دون القبيلة أو دون الفخذ وفوق العمارة، والقبيلة واحد قبائل الرأس لقطع الشعوب بعضها إلى بعض ومنه قبائل العرب واحدهم قبيلة، وهم بنو أب واحد كذا في القاموس. والحاصل أن القبيلة بمنزلة الجنس والبطن بمنزلة النوع والفخذ بمنزلة

---

(١) في المخطوطة «بعد».

الحديث رقم ٥٣٧٢: أخرجه البخاري في صحيحه حديث رقم ٤٧٧٠. ومسلم في صحيحه ١/ ١٩٣ حديث رقم (٣٥٥ . ٢٠٨). والترمذي في السنن ٥/ ٤٢٠ حديث رقم ٣٣٦٣. والدارمي ٢/ ٣٩٥. حديث رقم ٢٧٣٢. وأحمد في المسند ١/ ٣٠٧.

(٢) سورة الشعراء. آية رقم ٢١٤.

حتى اجتمعُوا فقال: «أرأيتُكم لو أخبرتكم أنَّ خيلاً بالوادي تريدُ أن تغير عليكم أكنتم مصدِّقي؟» قالوا: نعم؛ ما جرَّبنا عليكَ إلا صدقاً. قال: «فإني نذير لكم بين يَدَي عذابٍ شديدٍ». فقال أبو لهب: تبًّا لكَ سائرَ اليومِ،

الفصل، وقد يستعار[١] بعضها لبعض والله [تعالى]أعلم. وقال الطيبي [رحمه الله]: اللام فيه بيان كقوله تعالى: ﴿لمن أراد أن يتم الرضاعة﴾ [البقرة ـ ٢٣٣]. كأنه قيل لمن قيل لبطون قريش. (حتى اجتمعوا) أي من كل قبيلة وبطن جمع. (فقال: أرأيتكم) بفتح التاء ويجوز تحقيق الهمزة الثانية وتسهيلها وإبدالها وحذفها. والمعنى: أخبروني. وتحقيقه ما ذكره الطيبي [رحمه الله]، من أن الضمير المتصل المرفوع من الخطاب العام، والضمير الثاني لا محل له وهو كالبيان للأول، لأن الأول بمنزلة الجنس الشائع في المخاطبين فيستوي فيه التذكير والتأنيث والإفراد والجمع. فإذا أريد بيانه بأحد هذه الأنواع بين به فأتى في الحديث بعلامة الجمع بياناً للمراد انتهى. فكأنه قال: أرأيتم فإن رأيتم فأعلموني. (لو أخبرتكم أن خيلا) أي جيشاً (بالوادي) أي نزل به. قال شارح: وهو موضع معروف بقرب مكة، وكأنه أريد به الوادي المشهور بوادي فاطمة بين مكة والمدينة شرفها الله. (تريد) أي الخيل (أن تغير عليكم) من الإغارة وهي النهب والبيوتة بالغفلة، يعني أصحابها على أحد المجازين في قوله تعالى: ﴿واسأل القرية﴾ [يوسف ـ ٨٢]. (أكنتم مصدقي) أي مصدقين لي في قولي. (قالوا: نعم) أي كنا نصدقك، وسببه أنا في جميع عمرنا. (ما جربنا عليك إلا صدقاً) قال الطيبي [رحمه الله]: ضمن جرب معنى الإلقاء، وعداه بعلي، أي ما ألقينا عليك قولاً مجربين لك فيه هل تكذب فيه أم لا ما سمعنا منك إلا صدقاً. (قال: فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد) أي قبل نزول عذاب عظيم وعقاب أليم. والمعنى أنكم إن لم تؤمنوا بي ينزل عليكم عذاب قريب. قال الطيبي [رحمه الله]: قوله: بين يدي، ظرف لغو نذير وهو بمعنى قدام لأن كل من يكون قدام أحد يكون بين الجهتين المسامتتين ليمينه وشماله. وفيه تمثيل مثل إنذاره القوم بعذاب الله تعالى النازل على القوم بنذير قوم يتقدم جيش العدو فينذرهم. (فقال أبو لهب:) مشهور بكنيته، واسمه عبد العزى وهو ابن عبد المطلب بن هاشم عم النبي ﷺ. (تباً لك) أي خسراناً وهلاكاً ونصبه بعامل مضمر قاله القاضي، فهو إما نصب على الصدر والمعنى: تب تباً أو بإضمار فعل أي ألزمك الله هلاكاً وخسراناً والزم تباً لك. (سائر اليوم) أي في باقي الأوقات أو في جميع الأيام. قال التوربشتي [رحمه الله]: من ذهب في سائر إلى البقية فإنه غير مصيب لأن الحرف من السير لا من السور، وفي أمثالهم في اليأس من الحاجة أسائر اليوم وقد زال الظهر. قال الطيبي [رحمه الله]: وفيه نظر لأنه قال صاحب النهاية السائر مهموز الباقي والناس يستعملونه في معنى الجميع وليس بصحيح، وقد تكررت هذه اللفظة في الحديث وكلها بمعنى باقي الشيء. ويدل على تصحيح ما في النهاية ما في أساس البلاغة فإنه أورده في باب السين مع الهمزة قائلاً: سار الشارب في الإناء

(١) في المخطوطة «يستفاد».

ألهذا جمعتنا؟! فنزلت ﴿تَبَّتْ يدا أبي لهبٍ وتبَّ﴾. متفق عليه. وفي رواية: نادى: «يا بني عبد مناف! إنما مثلي ومثلكم كمثلِ رجلٍ رأى العدوَّ فانطلق يَربأُ أهله، فخشي أن يسبقوه، فجعل يهتف: يا صباحاه!».

سوراً وسورة، أي بقية. وفي المثل: أسائر اليوم وقد زال الظهر انتهى كلامه. فعلى هذا المراد بسائر اليوم بقية الأيام المستقبلة. وفي القاموس: السؤر البقية والفضلة وأسأر أبقاه كسأر كمنع والفاعل فيها سائر والقياس مسئر، ويجوز والسائر الباقي لا الجميع كما توهم جماعات، أو قد يستعمل له. ومنه قول الأحوص:

فجلتها لنا لبابة لما وقذ النوم سائر الحراس

وضاف أعرابي قوماً فأمروا الجارية بتطييبه فقال: بطني عطري وسائري ذري وأغير على قوم فاستصرخوا بني عمهم فأبطأوا عنهم حتى أسروا وذهب بهم ثم جاؤوا يسألون عنهم فقال لهم المسؤول: أسائر القوم وقد زال الظهر. أي تطمعون فيما بعد وقد تبين لكم اليأس لأن من كانت حاجته اليوم بأسره وزال الظهر وجب أن ييأس منها بالغروب. **(ألهذا)** أي لهذا الاستخبار والإخبار **(جمعتنا)** أي بالمناداة **(فنزلت: ﴿تبت﴾)** أي هلكت وخسرت **(﴿يدا أبي لهب﴾)** بفتح الهاء ويسكن، أي نفسه كقوله تعالى: **﴿ولا تلقوا بأيديكم﴾** [البقرة ـ ١٩٥]. أي بأنفسكم والباء زائدة. وقيل: المراد بهما دنياه وأخراه. وقيل: إنما خصتا لأنه لما قال: ألهذا دعوتنا. أخذ حجراً ليرميه به فنزلت. وإنما كناه والكنية تكرمة لاشتهاره بكنيته أو لأن اسمه عبد العزى فاستكره ذكره، أو لأنه لما كان من أهل النار كانت الكنية أوفق بحاله وإن كان كنى لكمال جماله. وقرىء: أبو لهب كما قيل علي بن أبو طالب على لغة من تصر على الواو في الأسماء الستة، كما قصر بعضهم على الألف فيها كقوله: إن أباها وأبا أباها **(﴿وتب﴾)**[1] أخبار بعد خبر للتأكيد والتعبير بالماضي لتحقق وقوعه، أو الأول دعاء والثاني إخبار **(متفق عليه)**.

(وفي رواية:) قال ميرك: هذه الرواية من أفراد مسلم. **(نادى: يا بني عبد مناف)** هو أخو هاشم وعبد شمس والمطلب، ومناف صنم كذا في القاموس. **(إنما مثلي ومثلكم كمثل رجل رأى العدو)** أي بعينه **(فانطلق)** أي ذهب مسرعاً **(يربأ)** بفتح الموحدة وبالهمز، أي يحفظ من العدو. **(أهله)** أي قومه ويرقبهم بقتالهم على موضع عال **(فخشي)** أي الرجل **(أن يسبقوه)** أي يسبق العدو إلى أهله ويصلوا إلى القوم قبل أن يصل إليهم بنفسه **(فجعل)** أي فشرع **(يهتف)** بكسر التاء أي يصيح وينادي من أعلى جبل. وربما يجعل ثوبه على يده أو على خشب يرفعه لزيادة الإعلام. ومنه النذير العريان أو هو كناية عن خلوه من العرض أو ايماء إلى أنه أخذ وسلب عنه ثوبه وهرب منهم، فحينئذ كل أحد يصدقه في قوله. **(يا صباحاه)** بسكون الهاء ولما كانت الغارة غالباً تكون في الصباح خصت[2] به ولو كان في المساء أيضاً والله [تعالى] أعلم.

---

(١) سورة المسد ـ آية رقم ١. (٢) في المخطوطة «خص».

٥٣٧٣ ـ (٣) وعن أبي هريرة، قال: لما نزلت ﴿وأنذر عشيرتك الأقربين﴾ دعا النبي ﷺ قريشاً، فاجتمعوا، فعَمَّ وخَصَّ، فقال: «يا بني كعب بنِ لؤيّ! أنقذُوا أنفُسَكم من النَّار. يا بني مرّة بن كعب! أنقذوا أنفسكم من النار. يا بني عبد شمسٍ! أنقذُوا أنفُسَكم من النار. يا بني عبد مناف! أنقِذُوا أنفسكم من النار. يا بني هاشم! أنقذوا أنفسكم من النار. يا بني عبد المطلب! أنقذوا أنفسكم من النار. يا فاطمة! أنقذي نفسَكِ من النار؛ فإني لا أملكُ لكم من الله شيئاً، غيرَ أنَّ لكم رَحِمًا سَأَبُلُّها ببلالها».

فهي كلمة تقال لإنذار أمر مخوف. والمعنى: يا قوم احذروا الإغارة بالذهاب قبل مجيء العدو، فكأنه ﷺ قال: احذروا عقاب الله بالإيمان قبل نزوله.

٥٣٧٣ ـ (وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: لما نزلت ﴿وأنذر عشيرتك الأقربين﴾ دعا النبي ﷺ قريشاً) أي قبائله (فاجتمعوا فعم) أي النبي ﷺ في النداء بما ذكره (وخص) ثم بين الراوي كيفية العموم والخصوص بقوله: (فقال:) أي النبي ﷺ (يا بني كعب بن لؤي) بضم لام وفتح همز وقد يبدل واواً فتحتية مشددة وهو ابن غالب بن فهر (أنقذوا) بفتح همزة وكسر قاف أي خلصوا (أنفسكم من النار يا بني مرة بن كعب) بضم ميم وتشديد راء، أي أبو قبيلة من قريش على ما في القاموس. (انقذوا أنفسكم من النار يا بني عبد شمس انقذوا أنفسكم من النار يا بني عبد مناف أنقذوا أنفسكم من النار يا بني هاشم أنقذوا أنفسكم من النار يا بني عبد المطلب انقذوا أنفسكم من النار يا فاطمة انقذي نفسك من النار) ختم بها لأنها خلاصة قومها ثم عم في تبرىء إنقاذه إياهم من النار بغير الإيمان والعمل الصالح بقوله: (فإني لا أملك لكم) أي لجميعكم عامكم وخاصكم (من الله) أي من عذابه (شيئاً) أي من الملك والقدرة والدفع والمنفعة. والمعنى: إني لا أقدر أن أدفع عنكم من عذاب الله شيئاً إن أراد الله أن يعذبكم. وهو مقتبس من قوله سبحانه: ﴿قل فمن يملك لكم من الله شيئاً إن أراد بكم ضراً أو أراد بكم نفعاً﴾ [الفتح ـ ١١]. بل قال [الله] تعالى: ﴿قل لا أملك لنفسي نفعاً ولا ضراً إلا ما شاء الله﴾ [الأعراف ـ ١٨٨]. وهذا التوحيد على وفق التفريد وهو ﷺ وإن كان قد ينفع المؤمنين بالشفاعة حيث يشفع ويشفع، لكن أطلقه ترهيباً لهم على الاتكال عليه وترغيباً لهم على الاجتهاد في أمر زاد المعاد والله رؤوف بالعباد. وهذا معنى قوله: (غير أن لكم رحماً) أي قرابة (سأبلها) بضم موحدة وتشديد لام أي ساصلها (ببلالها) بكسر الموحدة ويفتح أي بصلتها وبالإحسان إليها. ومجمله أني سأصل تلك القرابة بالشيء الذي يتوصل به إلى الأقارب من الإحسان ودفع الظلم والضر عنهم وغير ذلك. ففي النهاية: البلال جمع بلل والعرب يطلقون النداوة على الصلة كما يطلق اليبس على القطيعة، لأنهم لما رأوا أن بعض الأشياء يتصل

الحديث رقم ٥٣٧٣: أخرجه البخاري في صحيحه ٥/ ٣٨٢. حديث رقم ٢٧٥٣. ومسلم في صحيحه ١/ ١٩٢ حديث رقم (٣٤٨ ـ ٢٠٤). والترمذي في السنن ٥/ ٣١٦ حديث رقم ٣١٨٥. والنسائي ٦/ ٢٤٩ حديث رقم ٣٦٤٤. وأحمد في المسند ٢/ ٣٣٣.

رواه مسلم.

وفي المتفق عليه قال: «يا معشر قريش! اشتروا أنفسكم، لا أُغني عنكم من الله شيئاً. ويا بني عبد مناف! لا أغني عنكم من الله شيئاً. يا عباسُ بنَ عبدِ المطلب! لا أُغني عنك من الله شيئاً. ويا صفيَّةُ عمَّةَ رسول الله! لا أغني عنكِ من الله شيئاً. ويا فاطمةُ بنتَ محمَّدٍ! سليني ما شئت من مالي، لا أُغني عنك من الله شيئاً».

الفصل الثاني

٥٣٧٤ ـ (٤) عن أبي موسى، قال: قال رسول الله ﷺ: «أُمَّتي

بالنداوة ويجعل بينها التجافي والتفرق باليبس استعاروا البلل لمعنى الوصل واليبس لمعنى القطيعة. والمعنى: أصلكم في الدنيا ولا أغني عنكم من الله شيئاً[1]. (رواه مسلم).

(وفي رواية المتفق عليه:) هذا موجود في بعض النسخ المصححة **(يا معشر قريش اشتروا أنفسكم)** أي أعتقوها وخلصوها من النار بالإيمان وترك الكفران وبالطاعة لما جئت به والانقياد لما منعت منه **(لا أغني عنكم من الله شيئاً)** أي لا أبعد منكم ولا أدفع عنكم شيئاً من عذاب الله **(يا بني عبد مناف لا أغني عنكم من الله شيئاً يا عباس بن عبد المطلب)** بالنصب فيهما، وفي نسخة برفع عباس. **(لا أغني عنك من الله شيئاً ويا صفية)** بالواو العاطفة بخلاف ما قبله من ألفاظ النداء فإنها كانت على سبيل التعداد. وصفية مرفوعة. وقوله: **(عمة رسول الله)** منصوبة **(لا أغني عنك من الله شيئاً)** وكذا قوله: **(ويا فاطمة بنت محمد سليني ما شئت من مالي)** كذا في نسخ من موصولة. قال التوربشتي [رحمه الله تعالى]: أرى أنه ليس من المال المعروف في شيء وإنما عبر به عما يملكه من الأمر وينفذ تصرفه فيه ولم يثبت عندنا أنه كان ذا مال لا سيما بمكة. ويحتمل أن الكلمتين أعني من وما وقع الفصل فيهما من بعض من لم يحققه من الرواة فكتبهما[2] منفصلتين انتهى. وفيه أنه يرده قوله تعالى: **﴿ووجدك عائلاً فأغنى﴾** [الضحى ـ ٨]. أي بمال خديجة رضي الله عنها على ما قاله المفسرون، وأيضاً لم يلزم من عدم وجود المال الحاضر للجواد أن لا يدخل في يده شيء من المال في الاستقبال فيحمل الوعد المذكور على تلك الحال. ومهما أمكن الجمع لتصحيح الدراية تعين عدم التخطئة في الرواية والله سبحانه [وتعالى]أعلم. [**(لا أغني عنك من الله شيئاً)**].

(الفصل الثاني)

٥٣٧٤ ـ **(عن أبي موسى)** أي الأشعري رضي الله عنه **(قال: قال رسول الله ﷺ: أمتي**

---

(١) في المخطوطة «من شيء». (٢) في المخطوطة «فكتبها».

الحديث رقم ٥٣٧٤: أخرجه أبو داود في السنن ٤/٤٦٨ حديث رقم ٤٢٧٨. وابن ماجه ٢/١٤٣٤ حديث رقم ٤٢٩٢ وأحمد في المسند ٤/٤١٠.

هذه أُمّةٌ مرحومةٌ، ليس عليها عذابٌ في الآخرة، عذابُها في الدنيا: الفتَنُ والزلازلُ والقتل». رواه أبو داود.

هذه) أي أمة الإجابة الموجودة ذهناً المعهودة معنى كأنها المذكورة حساً. **(أمة مرحومة)** أي رحمة زائدة على سائر الأمم لكون نبيهم رحمة للعالمين، بل مسمى بنبي الرحمة وهم خير أمة. **(ليس عليها عذاب)** أي شديد **(في الآخرة)** بل غالب عذابهم أنهم مجزيون بأعمالهم في الدنيا بالمحن والأمراض وأنواع البلايا كما حقق في قوله تعالى: ﴿**من يعمل سوءاً يجز به**﴾ [النساء - ١٢٣]. على ما تقدم والله [تعالى]أعلم. ويؤيده قوله: **(عذابها في الدنيا الفتن والزلازل والقتل)** أي بغير حق وقيل: الحديث خاص بجماعة لم تأت كبيرة، ويمكن أن تكون الإشارة إلى جماعة خاصة من الأمة وهم المشاهدون من الصحابة، أو المشيئة مقدرة لقوله تعالى: ﴿**إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء**﴾ [النساء - ٤٨]. وقال المظهر: هذا حديث مشكل لأن مفهومه أن لا يعذب أحد من أمته ﷺ سواء فيه من ارتكب الكبائر وغيره، فقد وردت الأحاديث بتعذيب مرتكب الكبيرة اللهم إلا أن يؤول بأن المراد بالأمة هنا من اقتدى به ﷺ كما ينبغي ويمتثل بما أمر الله وينتهي عما نهاه. وقال الطيبي [رحمه الله]: الحديث وارد في مدح أمته ﷺ واختصاصهم من بين سائر الأمم بعناية الله تعالى ورحمته عليهم، وأنهم إن أصيبوا بمصيبة في الدنيا حتى الشوكة يشاكها إن الله يكفر بها في الآخرة ذنباً من ذنوبهم. وليست هذه الخاصية لسائر الأمم ويؤيده ذكر هذه وتعقيبها بقوله: مرحومة. فإنه يدل على مزية تميزهم بعناية الله [تعالى]ورحمته والذهاب إلى المفهوم مهجور في مثل هذا المقام، وهذه الرحمة هي المشار إليها بقوله: ﴿**ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون**﴾ [الأعراف - ١٥٦]. إلى قوله: ﴿**الذين يتبعون الرسول النبي الأمي**﴾ [الأعراف - ١٥٧]. انتهى. ولا يخفى عليك أن هذا كله مما لا يدفع الإشكال فإنه لا شك عند أرباب الحال أن رحمة هذه الأمة إنما هي على وجه الكمال. وإنما الكلام في أن [هذا] الحديث بظاهره يدل على أن أحداً منهم لا يعذب في الآخرة وقد تواترت الأحاديث في أن جماعة من هذه الأمة من أهل الكبائر يعذبون في النار ثم يخرجون إما بالشفاعة وإما بعفو الملك الغفار، وهذا منطوق الحديث ومعناه المأخوذ من ألفاظه ومبناه وليس بمفهومه المتعارف المختلف في اعتباره حتى يصح قوله أن هذا المفهوم مهجور، بل المراد بمفهومه في كلام المظهر المعلوم في العبارة. ثم قول الطيبي [رحمه الله]: وليست هذه الخاصية وهي كفارة الذنوب بالبلية لسائر الأمم يحتاج إلى دليل مثبت ولا عبرة بما فهم من المفهوم من قوله: عذابها في الدنيا الفتن، إلى آخره. فإنه قابل للتقييد بكون وقوع عذابها [بها]غالباً **(رواه أبو داود)** وكذا الحاكم في مستدركه وصححه وأقره الذهبي ذكره ميرك[١]. وفي الجامع بلفظ: أمتي هذه أمة مرحومة ليس عليها عذاب إنما عذابها في الدنيا الفتن والزلازل والقتل والبلايا. رواه أبو داود والطبراني والحاكم والبيهقي عن أبي موسى[٢]. ورواه الحاكم في الكنى عن أنس:

---

(١) الحاكم في المستدرك ٤/ ٢٤٤.
(٢) الجامع الصغير ١/ ١٠٢ حديث رقم ١٦٢٢.

٥٣٧٥ ـ (٥)، ٥٣٧٦ ـ (٦) وعن أبي عبيدة، ومعاذ بن جبل، عن رسول الله ﷺ قال: «إنَّ هذا الأمرَ بَدَأ نبوّةً ورحمةً، ثمّ يكونُ خلافةً ورحمةً، ثمّ ملكاً عَضُوضاً، ثمّ كائنٌ جبريةً وعُتُوًّا وفساداً في الأرضِ،

أمتي أمة مرحومة مغفور لها متاب عليها»[1]. أي يتوب الله عليها ولا يتركها مصرة على الذنوب. ففيه دليل على أن المراد به خواص هذه الأمة والله [تعالى]أعلم.

٥٣٧٥ و٥٣٧٦ ـ (وعن أبي عبيدة ومعاذ بن جبل رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ قال: إن هذا الأمر) أي ما بعث به من إصلاح الناس ديناً ودنيا وهو الإسلام وما يتعلق به من الأحكام **(بدا)** بالألف أي ظهر وفي نسخة بالهمزة، أي ابتدأ أول أمر الدين إلى آخر زمانه ﷺ زمان نزول الوحي والرحمة. **(نبوة ورحمة)** نصبهما على التمييز أو الحال، أي ذا نبوة ورحمة كاملة من نبي الرحمة على الأمة المرحومة **(ثم يكون)** أي أمر الدين **(خلافة)** أي نيابة عن حضرة النبوة **(ورحمة)** أي شفقة على الأمة بطريق كمال الولاية على وجه التبعية إلى ثلاثين سنة فانقضت بستة أشهر أيام الحسن، فليس لمعاوية نصيب في الخلافة خلافاً لمن خالفه. **(ثم ملكاً عضوضاً)** بفتح العين فعول للمبالغة من العض بالسن، أي يصيب الرعية فيه ظلم يعضون فيه عضاً. وروي بضم العين جمع عض بالكسر وهو الخبيث الشرير، أي يكون ملوك يظلمون الناس ويؤذونهم بغير حق وهذا مبني على الغالب إذ النادر لا حكم له فلا يشكل بأن عمر بن عبد العزيز كان عادلاً حتى سمي عمر الثاني وقضاياه مشهورة ومناقبه مسطورة. **(ثم كائن)** أي ذلك الأمر، أو ثم هذا الأمر كائن. **(جبرية)** بفتح الجيم والموحدة على النصب، أي قهراً وغلبة. **(وعتوا)** بضمتين فتشديد أي تكبراً **(وفساداً في الأرض)** أي في الحرث والأنعام وغير ذلك من منكرات العظام. ولعل وجه العدول في الكلام هو الاستمرار والدوام كما هو مشاهد في هذه الأيام حيث استقرت الخلافة في أيدي الظلمة بطريق التسلط والغلبة من غير مراعاة شروط الإمامة، أولاً. ثم في زيادة الظلم والتعدي على الرعايا والتحكم عليهم بأنواع البلايا وأصناف الرزايا ثانياً. ثم في إعطاء المناصب لغير أربابها المستحق لها وعدم الالتفات إلى العلماء العاملين والأولياء الصالحين ثالثاً. ثم غالب سلاطين زماننا تركوا القتال مع المشركين وتوجهوا إلى مقاتلة المسلمين لأخذ البلاد وإعطاء الفساد، ولذا قال بعض علمائنا: من قال سلطان زماننا عادل فهو كافر. وما أقبح ما صدر من بعض خوانين الأزبك في زماننا أنه أمر بالقتل العام في بلد عظيم من بلدان أهل الإسلام المشتمل على المشايخ الكرام والسادات العظام وعلماء الإسلام والنساء والضعفاء والأطفال وسائر المرضى والعميان والأهل والعيال ألوف مؤلفة وصنوف مؤتلفة. والحال أن أهل البلد المذكور على الملة الحنيفية ومذهب الحنفية من جملة أهل السنة والجماعة، ومدعي السلطنة يزعم أنه على تعظيم العلم والشريعة وقد

---

(١) الجامع الصغير ١/ ١٠٢ حديث رقم ١٦٢٣.

الحديث رقم ٥٣٧٥ و٥٣٧٦: أخرجه الدارمي في السنن ٢/ ١٥٥ حديث رقم ٢١٠١. والبيهقي في شعب الإيمان ٥/ ١٦ حديث رقم ٥٦١٦.

يَسْتَحِلُّونَ الحريرَ والفروجَ والخمورَ، يُرزقون على ذلك ويُنْصَرُونَ، حتى يَلْقَوا الله» رواه البيهقي في «شعب الإيمان».

٥٣٧٧ ـ (٧) وعن عائشة، قالت: سمعت رسولَ الله ﷺ يقول: «إنَّ أولَ ما يُكْفَأُ ـ قال زيد بن يحيى الراوي: يعني الإسلام ـ كما يُكْفَأُ الإناءُ» يعني الخمر. قيل: فكيفَ يا رسولَ اللّهِ! وقد بيَّنَ الله فيها ما بين؟ قال: «يسمُّونَها بغيرِ اسمِها فيستحلونَها».

صرح علماؤنا بأن المسلمين لو فتحوا قلعة من أهل الكفر ويوجد فيهم ألوف من أهل الحرب لكن فيهم ذمي واحد مجهول العين فيما بينهم لا يحل قتل العام في ذلك المقام، فلا حول ولا قوّة إلا بالله وما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، أعلم أن الله على كل شيء قدير وإن الله قد أحاط بكل شيء علماً. هذا وقد ظهر الفساد في البر والبحر حتى في الحرمين الشريفين مما لم يمكن ذكره ومما لم يتصور فكره، والله ولي دينه وناصر نبيه، وكل عام بل كل يوم بل كل ساعة شر مما قبله إلى أن تقوم الساعة، ولم يكن في الأرض من يقول: الله الله. ويؤيده قوله: **(يستحلون الحرير والفروج والخمور)** أي بأنواعها كما سبق **(يرزقون)** وفي نسخة: ويرزقون. أي والحال أنهم يرزقون **(على ذلك)** أي ما ذكر من الاستحلال وسائر قبائح الأفعال. **(وينصرون)** أي على مقاصدهم من الأعمال لحكمة عجزت عن إدراكها أرباب الكمال. **(حتى يلقوا الله)** إشارة إلى قوله تعالى: **﴿ولا تحسبن الله غافلاً عما يعمل الظالمون إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار﴾** [إبراهيم ـ ٤٢]. **(رواه البيهقي في شعب الإيمان)** قلت: وكان الأولى أن يذكره في كتابه دلائل النبوة.

٥٣٧٧ ـ **(وعن عائشة قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن أوّل ما يكفأ)** بصيغة المجهول مهموزاً من كفأت الإناء، أي قلبته وأملته وكببته لإفراغ ما فيه. قيل: إنه ﷺ كان يتحدث في الخمر فقال في أثناء حديثه: إن أوّل إلى آخره، فالخبر محذوف أي الخمر لكنه غير ملائم لما بعده من نقل المؤلف. **(قال زيد بن يحيى الراوي)** أي أحد رواة هذا الحديث **(يعني الإسلام)** فإن الظاهر أن مراده تقدير الخبر وأن معناه أوّل ما يتغير الإسلام وهو الانقياد الظاهر المتعلق بارتكاب الطاعات واجتناب المحرمات. ويؤيده قوله: **(كما يكفأ الإناء)** أي ما فيه ولهذا قال الراوي: **(يعني)** أي يريد النبي ﷺ بقوله الإناء **(الخمر)** إما على مجاز الحذف أي مظروف الإناء وإما على ذكر المحل وإرادة الحال كما حقق في قوله تعالى: **﴿واسأل القرية﴾** [يوسف ـ ٨٢]. لكن يشكل بقوله: **(قيل: فكيف يا رسول الله)** أي يشربون الخمر. ويمكن دفعه بأن يقال المعنى: فكيف الحال في انقلاب أحكام الإسلام وتبيان الحلال والحرام **(وقد بين الله فيها)** أي في الخمر مثلاً **(ما بين)** أي من تحريمها **(قال: يسمونها بغير اسمها)** أي يسمونها باسم النبيذ والمثلث **(فيستحلونها)** أي حقيقة فيصيرون كفرة أو فيظهرون أنهم يشربون شيئاً حلالاً فيكونون فسقة مكرة. ولذا قال بعض الشراح: يعني أنهم يستترون بما أبيح لهم من

الحديث رقم ٥٣٧٧: أخرجه الدارمي في السنن ٢/ ١٥٥ حديث رقم ٢١٠٠.

رواه الدارمي.

الفصل الثالث

٥٣٧٨ ـ (٨) عن النعمان بن بشير، عن حذيفة، قال: قال رسول الله ﷺ: «تكون النبوّةُ فيكم ما شاء الله أن تكون، ثمّ يرفعها الله تعالى، ثمّ تكونُ خلافةٌ على

الأنبذة فيتوصلون بذلك إلى استحلال ما حرم عليهم منها. هذا ما ظهر لي في هذا المقام من حل المرام. وقال الطيبي [رحمه الله]: خبر إن محذوف وهو الخمر، والكاف في كما يكفاء صفة مصدر محذوف. يعني: أول ما يكفأ من الإسلام إكفاء مثل إكفاء ما في الإناء انتهى. وأفاد أن التقدير من الاسلام وأن من تبعيضية ساقطة من الكلام أي من أحكامه. وقال القاضي: يكفا يقلب ويمال. ويقال: كفأت القدر إذ قلبتها لينصب عنها ما فيها، والمراد به الشرب ههنا فإن الشارب يكفأ القدح عند الشرب. وقول الراوي: يعني الإسلام، يريد به في الإسلام وسقط عنه. والمعنى أن أول ما يشرب من المحرمات ويجترأ على شربه في الإسلام كما يشرب الماء ويجترأ عليه هو الخمر، ويؤولون في تحليلها بأن يسموها بغير اسمها كالنبيذ والمثلث انتهى. فيفيد أن النبيذ والمثلث حلالان وأن حقيقة الشيء لا يتغير اسم شيء عليه كما يسمى الزنجي بالكافور فلا يصح استدلال من توهم حرمة القهوة المحدثة بأنها من أسماء الخمر ولا بأنها تشرب على هيئة أهل الشرب لأنا نقول لا خصوصية حينئذ بالقهوة فإن اللبن والماء وماء الورد كذلك على أن الشرب المتعارف في الحرمين الشريفين وغيرهما ليس على منوال شرب الفسقة، فإنه يتناول الزبادي المتعددة وشرب جماعة في حالة متحدة وبهذا تزول المشابهة وترتفع الشبهة. ومما يدل على إباحتها ما نص الله في كلامه بقوله: ﴿هو والذي خلق لكم ما في الأرض جميعاً﴾ [البقرة ـ ٢٩]. وإن الأصل في الأشياء الإباحة ما لم يصرف عنها دليل من الكتاب والسنة وإجماع الأمة، أو القياس على وجه الصحة. **(رواه الدارمي)** وروى أحمد والضياء عن عبادة بن الصامت مرفوعاً: لتستحلن طائفة من أمتي الخمر باسم يسمونها إياه.

(الفصل الثالث)

٥٣٧٨ ـ **(عن النعمان بن بشير)** له ولأبويه صحبة **(عن حذيفة)** أي صاحب أسرار النبوة المحمدية **(قال: قال رسول الله ﷺ: تكون النبوة)** بالرفع على أن تكون تامة، أي توجد وتقع. **(فيكم ما شاء الله أن تكون ثم يرفعها الله تعالى ثم تكون خلافة)** بالرفع. وفي بعض النسخ المصححة بالنصب على أن تكون ناقصة وهو الملائم لما سيأتي من قوله: ثم تكون ملكاً. والمعنى ثم تنقلب النبوة خلافة أو تكون الحكومة أو الإمارة خلافة أي بنيابة حقيقية. **(على**

الحديث رقم ٥٣٧٨: أخرجه أحمد في المسند ٤/ ٢٧٣.

منهاج النبوّةِ ما شاء الله أن تكون، ثمّ يرفعها الله تعالى، ثمّ تكون ملكاً عاضًا فتكون ما شاء الله أن تكون، ثمّ يرفعها الله تعالى، ثمّ تكونُ ملكاً جبريةً، فيكون ما شاء الله أن يكون، ثم يرفعها الله تعالى، ثمّ تكونُ خلافةً على منهاج نبوّة» ثم سكت، قال حبيب: فلما قامَ عمر ابن عبد العزيز كتبتُ إليه بهذا الحديث أُذكِّرهُ إيّاه وقلت: أرجو أن تكون أمير المؤمنين بعد الملكِ العاضِ والجبريةِ، فسُرَّ به وأعجبه، يعني عمر بن عبد العزيز. رواه أحمد والبيهقي في «دلائل النبوة».

منهاج نبوة) أي طريقتها الصورية والمعنوية (ما شاء الله أن تكون) أي الخلافة وهي ثلاثون [سنة] على ما ورد. (ثم يرفعها الله تعالى ثم تكون ملكاً عاضاً) أي يعض بعض أهله بعضاً كعض الكلاب. (فيكون) أي الملك، أي الأمر على هذا المنوال (ما شاء الله أن يكون ثم يرفعها الله تعالى) أي تلك الحالة (ثم تكون) أي الحكومة (ملكاً جبرية) أي جبروتية وسلطنة عظموتية (فيكون) أي الأمر على ذلك (ما شاء الله أن يكون ثم يرفعها الله تعالى) أي الجبرية (ثم تكون) أي تنقلب وتصير (خلافة) وفي نسخة بالرفع، أي تقع وتحدث خلافة كاملة. (على منهاج نبوة) أي من كمال عدالة. والمراد بها زمن عيسى عليه [الصلاة]والسلام والمهدي رحمه الله. (ثم سكت) أي النبي ﷺ عن الكلام (قال: حبيب:) قال المؤلف: هو حبيب بن سالم مولى النعمان بن بشير وكاتبه، روى عنه وعن محمد بن المنتشر وغيره. (فلما قام عمر بن عبد العزيز) أي بأمر الخلافة (كتبت إليه بهذا الحديث أذكره إياه) بتشديد الكاف من التذكير بمعنى الموعظة. (وقلت: أرجو أن تكون) أي أنت أو الخليفة (أمير المؤمنين) وفي نسخة بالغيبة، أي يكون الموعود أمير المؤمنين. وقال الطيبي [رحمه الله]: أمير المؤمنين خبر يكون، وقوله: (بعد الملك العاض والجبرية) ظرف للمخبر على تأويل الحاكم العادل نحو قوله تعالى: ﴿وهو الله في السموات﴾ [الأنعام ـ ٣]. أي معبود فيها. قلت: وفي بعض النسخ بالتذكير في يكون وبالرفع في أمير المؤمنين، فيكون قوله بعد الملك ظرفاً واقعاً خبراً ليكون. (فسر) بضم السين وتشديد الراء أي فرح (به) أي بهذا الحديث رجاء أن يكون في حقه. (وأعجبه) عطف تفسيري (يعني) أي يريد القائل بالضميرين. (عمر بن عبد العزيز. رواه أحمد) أي في مسنده (والبيهقي في دلائل النبوة) وفي الجامع: يكون أمراء يقولون ولا يرد عليهم يتهافتون في النار يتبع بعضهم بعضاً. رواه الطبراني عن معاوية، وروى ابن عساكر عن علي رضي الله [تعالى] عنه مرفوعاً: يكون لأصحابي زلة يغفرها الله تعالى لسابقتهم معي.

تم الجزء التاسع، ويليه الجزء العاشر

وأوله: «كتاب الفتن»

الفهرس

كتاب الرقاق